جَامِعُ البَيَان
عَنْ تَأْوِيلِ آيِ القُرآنِ

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

تفسير الطبري

تأليف
الإمام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت
الأمة على تقدمه في التفاسير
الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الجزء الخامس عشر

ضبط وتعليق
محمود شاكر الحرستاني

تصحيح
علي عاشور

دار أحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت ـ لبنان ـ شارع دكاش ـ هاتف: ٢٧٢٦٥٢ ـ ٢٧٢٦٥٥ ـ ٢٧٢٧٨٢ ـ ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ ـ ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

(١٧) سُورَةُ الإِسْرَاءِ مَكيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾.

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: يعني تعالى ذكره بقوله تعالى: **﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرَى بعَبْدِه لَيْلاً﴾** تنزيهاً للذي أسرى بعبده وتبرئة له مما يقول فيه المشركون من أنَّ له من خلقه شريكاً، وأن له صاحبة وولداً، وعلوًّا له وتعظيماً عما أضافوه إليه، ونسبوه من جهالاتهم وخطأ أقوالهم.

وقد بيَّنت فيما مضى قبل، أن قوله **﴿سبحان﴾** اسم وُضع موضع المصدر، فنصب لوقوعه موقعه بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد كان بعضهم يقول: نصب لأنه غير موصوف، وللعرب في التسبيح أماكن تستعمله فيها. فمنها الصلاة، كان كثير من أهل التأويل يتأوّلون قول الله: **﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ﴾** فلولا أنه كان من المصلين. ومنها الاستثناء، كان بعضهم يتأول قول الله تعالى: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ: لولا تستثنون، وزعم أن ذلك لغة لبعض أهل اليمن، ويستشهد لصحة تأويله ذلك بقوله: **﴿إذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحِينَ وَلا يَسْتَثْنُونَ﴾** قال: قَال أَوْسَطُهمْ أَلَم أَقُلْ لَكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحونَ فذكرهم تركهم الاستثناء. ومنها النور، وكان بعضهم يتأوّل في الخبر الذي رُوي عن النبيّ ﷺ: «لَوْلا ذلكَ لأَحرَقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِهِ ما أدرَكَتْ مِنْ شَيْء» أنه عنى بقوله: سبحات وجهه: نور وجهه.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: **﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾**، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن عثمان بن موهب، عن موسى بن طلحة، عن النبيّ ﷺ أنه سُئل عن التسبيح أن يقول الإنسان: سُبْحانَ الله، قال: «إنْزَاهُ اللّهِ عَنِ السُّوءِ».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عبدة بن سليمان، عن الحسن بن صالح، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: سبحان الله: قال: إنكاف لله. وقد ذكرنا من الآثار في ذلك ما فيه الكفاية فيما مضى من كتابنا هذا قبل. والإسراء والسُّرى: سير الليل. فمن قال: أَسْرى، قال: يُسري إسراء ومن قال: سرى، قال: يَسري سُرَىً، كما قال الشاعر:

وَلَيْلَةٍ ذَاتِ دُجىً سَرَيْتُ ... ولَمْ يَلِتْنِي عَنْ سُراها لَيْتُ[1]

ويروى: ذات ندى سَرَيْت.

ويعني بقوله: ﴿لَيلاً﴾ من الليل. وكذلك كان حُذيفة بن اليمان يقرؤها.

حدثنا أبو كريب، قال: سمعت أبا بكر بن عياش ورجل يحدّث عنده بحديث حين أُسري بالنبيّ ﷺ فقال له: لا تجيء بمثل عاصم ولا زر، قال: قرأ حُذيفة: «سُبْحانَ الَّذِي أسْرَى بِعَبْدِهِ مِنَ اللَّيْلِ منَ المَسجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى» وكذا قرأ عبد الله.

وأما قوله: ﴿مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾ فإنه اختُلف فيه وفي معناه، فقال بعضهم: يعني من الحرم، وقال: الحرم كله مسجد. وقد بيّنا ذلك في غير موضع من كتابنا هذا. وقال: وقد ذُكر لنا أن النبيّ ﷺ كان ليلة أُسري به إلى المسجد الأقصى كان نائماً في بيت أمّ هانىء ابنة أبي طالب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن السائب، عن أبي صالح بن باذام عن أمّ هانىء بنت أبي طالب، في مسرى النبيّ ﷺ، أنها كانت تقول: ما أُسري برسول الله ﷺ إلاّ وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة، فصلى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قُبَيل الفجر، أهبّنا رسول الله ﷺ، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: «يا

---

(١) البيتان في «اللسان» ليت شاهداً على أن لاته عن وجهه يليته ويلوته ليتا: حبسه عن وجهه وصرفه قال الراجز: «وليلة ذات سرى سريت». . . . الخ. وقيل معنى هذا: لم يلتني عن سراها أن أتندم فأقول: ليتني ما سريتها. وقيل معناها: لم يصرفني عن سراها صارف، أي لم يلتني لائت، فوضع المصدر موضع الاسم. وفي «التهذيب»: أن لم يلتني عنها نقص ولا عجز. وكذلك ألاته عن وجهه: فعل وأفعل: بمعنى ا هـ. وفي «اللسان» سرى السرى: سير الليل: عامته، وقيل السرى: سير الليل كله، تذكره العرب وتؤنثه. وسريت سرى ومسرى، وأسريت: بمعنى: إذا سرت ليلاً. بالألف: لغة أهل الحجاز. وجاء القرآن العزيز بهما جميعاً. ا هـ. وعلى هذا استشهد المؤلف بالبيت. وقال السهيلي في «الروض الأنف» (١/ ٢٤٢) اتفقت الرواة على تسميته إسراء، ولم يسمه أحد منهم سرى، وإن كان أهل اللغة قد قالوا: سرى، وأسرى بمعنى واحد، فدل على أن أهل اللغة لم يحققوا في العبارة. إلى أن قال: لا يجوز أن يقال سرى بعبده، بوجه من الوجوه؛ فلذلك لم تأت التلاوة إلا بوجه واحد في هذه القصة ا هـ.

أُمَّ هانِيءٍ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَكُمُ العِشاءَ الآخِرَةِ كَمَا رأيْتِ بهَذَا الوَادِي، ثُمَّ جِئْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ فَصَلَّيْتُ فِيهِ، ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلاةَ الغَدَاةِ مَعَكُمُ الآنَ كَمَا تَرَيْنَ».

وقال آخرون: بل أُسري به من المسجد، وفيه كان حين أسري به.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر بن عدي، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، وهو رجل من قومه قال: قال نبيّ الله ﷺ: «بَيْنا أنا عِنْدَ البَيْتِ بينَ النائمِ واليَقْظانِ، إذْ سَمِعْتُ قائلاً يَقُولُ، أحَدُ الثلاثَةِ، فأتِيتُ بطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيها مِنْ ماءِ زَمْزَمَ، فَشَرَحَ صَدْرِي إلى كَذَا وكَذَا» قال قتادة: قلت: ما يعني به؟ قال: إلى أسفل بطنه قال: «فاسْتَخْرَجَ قَلْبِي فغُسلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ أُعِيدَ مَكانَهُ، ثُمَّ حُشِيَ إيمَاناً وَحِكْمَةً، ثُمَّ أتِيتُ بِدَابَّةٍ أبْيَض»، وفي رواية أخرى: «بِدَابَّةٍ بَيْضَاءَ يُقالُ لَهُ البُرَاقُ، فَوْقَ الحِمارِ وَدُونَ البَغْلِ، يَقَعُ خَطْوُهُ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، فحُمِلْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقْنا حتى أتَيْنا إلى بَيْتِ المَقْدِسِ فَصَلَّيْتُ فِيهِ بالنَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ إماما، ثُمَّ عُرِجَ بِي إلى السَّماءِ الدُّنْيا»... فذكر الحديث.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا خالد بن الحرث، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك، يعني ابن صعصعة رجل من قومه، عن النبيّ ﷺ نحوه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رجل من قومه، قال: قال نبيّ الله ﷺ، ثم ذكر نحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق: ثني عمرو بن عبد الرحمن، عن الحسن بن أبي الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنا أنا نائِمٌ في الحِجْرِ جاءَنِي جِبْرِيلُ فَهَمَزَنِي بِقَدمِهِ، فجَلَسْتُ فَلَمْ أرَ شَيْئاً، فَعُدْتُ لِمَضْجَعي، فجاءَنِي الثَّانِيَةَ فَهَمَزَنِي بقَدَمِهِ، فَجَلَسْتُ فَلَمْ أرَ شَيْئاً، فَعُدْتُ لِمَضْجَعي، فجاءَني الثَّالِثَةَ فَهَمَزَنِي بقَدَمِهِ، فَجَلَسْتُ، فأخَذَ بعَضُدِي فَقُمْتُ مَعَهُ، فخَرَجَ بِي إلى بابِ المَسْجِدِ، فإذَا دَابَّةٌ بَيْضاءُ بينَ الحِمارِ والبَغْلِ، لَهُ فِي فَخِذَيْهِ جَناحانِ يَحْفِزُ بِهِما رِجْلَيْهِ، يَضَعُ يَدَهُ فِي مُنْتَهَى طَرْفِهِ، فَحَمَلَنِي عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مَعي، لا يَفُوتُنِي وَلا أفُوتُهُ».

حدثنا الربيع بن سليمان، قال: أخبرنا ابن وهب، عن سليمان بن بلال، عن شريك بن أبي نمر[1]، قال: سمعت أنساً يحدثنا عن ليلة المسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه

---

(١) قال النووي في شرحه «لصحيح مسلم» المطبعة المصرية (٢/ ٢١٠) ذكر البخاري رحمه الله رواية شريك هذه عن أنس في صحيحه وأتي بالحديث مطولاً. قال الحافظ عبد الحق رحمه الله في كتابه «الجمع بين =

ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أوّلهم: أيهم هو؟ قال أوسطهم: هو خيرهم، فقال أحدهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه والنبيّ ﷺ تنام عيناه، ولا ينام قلبه. وكذلك الأنبياء تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبرئيل عليه السلام، فشقّ ما بين نحره إلى لبَّته، حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم حتى أنقى جوفه، ثم أُتي بطست من ذهب فيه تَوْرٌ محشوّ إيماناً وحكمة، فحشا به جوفه وصدره ولغاديده[١]، ثم أطبقه ثم ركب البراق، فسار حتى أتى به إلى بيت المقدس فصلى فيه بالنَّبيين والمرسلين إماماً، ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب باباً من أبوابها، فناداه أهل السماء: من هذا؟ قال: هذا جبرائيل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: أَوَ قَد بُعث إليه[٢]؟ قال: نعم، قالوا: فمرحباً به وأهلاً، فيستبشر به أهل السماء، لا يعلم أهل السماء بما يريد الله بأهل الأرض حتى يُعلمهم، فوجد في السماء الدنيا آدم، فقال له جبرائيل: هذا أبوك، فسلَّم عليه، فردّ عليه، فقال: مرحباً بك وأهلاً يا بني، فنعم الابن أنت، ثم مضى به إلى السماء الثانية، فاستفتح جبرائيل باباً من أبوابها، فقيل: من هذا؟ فقال: جبرئيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم قد أُرسل إليه، فقيل: مرحباً به وأهلاً، ففُتح لهما فلما صعد فيها فإذا هو بنهرين يجريان، فقال: ما هذان النهران يا جبرائيل؟ قال: هذا النيل والفرات عنصرهما[٣] ثم عرج به إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبرائيل باباً من أبوابها، فقيل: من هذا؟ قال: جبرئيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أَوَ قَد بُعث إليه[٠]؟ قال: نعم قد بُعث إليه، قيل: مرحباً به وأهلاً، ففُتح له فإذا هو بنهر عليه قباب وقصور من لؤلؤ وزبرجد وياقوت، وغير ذلك مما لا يعلمه إلاّ الله، فذهب يشمّ ترابه، فإذا هو مسك أذفر، فقال: يا جبرائيل ما هذا النهر؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك في الآخرة ثم عرج به إلى الرابعة، فقالوا به مثل ذلك ثم عرج به إلى الخامسة، فقالوا له مثل ذلك ثم عرج

= **الصحيحين»** بعد ذكر هذه الرواية: هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس، وقد زاد فيه زيادة مجهولة، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين، والأئمة المشهورين، كابن شهاب، وثابت البناني وقتادة (يعني عن أنس) فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث. وانظر أيضاً ما قاله الشهاب الخفاجي في تسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض (٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤)، في نقده لرواية شريك بن أبي نمر سنداً ومتناً.

(١) في البخاري (باب التوحيد): فحشا به صدره ولغاديده، يعني عروق حلقه.

(٢) في البخاري طبعة الحلبي (٩/ ١٨٣): «وقد بعث». وقد أبقينا رواية المؤلف كما هي، لاختلاف نسخ البخاري في رواية بعض الكلم.

(٣) كذا في البخاري أيضاً.

به إلى السادسة، فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السابعة، فقالوا له مثل ذلك، وكلّ سماه فيها أنبياء قد سماهم أنس، فوعيت منهم إدريس في الثانية، وهارون في الرابعة، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه، وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة بتفضيل كلامه الله، فقال موسى: رب لم أظنّ أن يرفع عليّ أحد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلاّ الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا باب الجبّار ربّ العزّة، فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما شاء، وأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة على أمته كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه، فقال: يا محمد ماذا عهد إليك ربك؟ قال: «عهد إليّ خمسين صلاة على أمتي كل يوم وليلة» قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك، فارجع فليخفف عنك وعنهم، فالتفتَ إلى جبرائيل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه أن نعم، فعاد به جبرائيل حتى أتى الجبّارَ عزَّ وجلّ وهو مكانه، فقال: «ربّ خفف عنا، فإن أمتي لا تستطيع هذا»، فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى عليه السلام فاحتبسه، فلم يزل يردّده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه عند الخمس، فقال: يا محمد قد والله راودتُ بني إسرائيل على أدنى من هذه الخمس، فضعفوا وتركوه، فأمتك أضعف أجساداً وقلوباً وأبصاراً وأسماعاً، فارجع فليخفف عنك ربك، كلّ ذلك يلتفت إلى جبرئيل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبرئيل، فرفعه عند الخمس، فقال: «يا ربّ إن أمتي ضعاف أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم، فخفف عنا»، قال الجبّار جلّ جلاله: يا محمد، قال: «لبّيك وسعديك»، فقال: إني لا يُبدّل القول لديّ كما كتبت عليك في أمّ الكتاب، ولك بكلّ حسنة عشر أمثالها، وهي خمسون في أمّ الكتاب، وهي خمس عليك فرجع إلى موسى، فقال: كيف فعلت؟ فقال: «خفَّف عني، أعطانا بكلّ حسنة عشر أمثالها»، قال: قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من هذا فتركوه فارجع فليخفف عنك أيضاً، قال: «يا موسى قد والله استحييت من ربي مما أختلف إليه»، قال: فاهبط باسم الله، فاستيقظ وهو في المسجد الحرام.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله عزّ وجلّ أخبر أنه أسرى بعبده من المسجد الحرام، والمسجد الحرام هو الذي يتعارفه الناس بينهم إذا ذكروه، وقوله: ﴿**إلى المَسْجِدِ الأقْصَى**﴾ يعني: مسجد بيت المقدس، وقيل له: الأقصى، لأنه أبعد المساجد التي تزار، ويُبتَغى في زيارته الفضل بعد المسجد الحرام. فتأويل الكلام تنزيهاً لله، وتبرئة له مما نحله المشركون من الإشراك والأنداد والصاحبة، وما يجلّ عنه جلّ جلاله، الذي سار بعبده ليلاً من بيته الحرام إلى بيته الأقصى.

ثم اختلف أهل العلم في صفة إسراء الله تباركَ وتعالى بنبيه ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فقال بعضهم: أسرى الله بجسده، فسار به ليلاً على البُراق من بيته الحرام إلى

بيته الأقصى حتى أتاه، فأراه ما شاء أن يريه من عجائب أمره وعبره وعظيم سُلطانه، فجمعت له به الأنبياء، فصلى بهم هُنالك، وعَرج به إلى السماء حتى صعد به فوق السموات السبع، وأوحى إليه هنالك ما شاء أن يوحي ثم رجع إلى المسجد الحرام من ليلته، فصلى به صلاة الصبح.

ذكر من قال ذلك، وذكر بعض الروايات التي رُويت عن رسول الله ﷺ بتصحيحه:

حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، قال: أخبرني ابن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن رسول الله ﷺ أُسري به على البُراق، وهي دابّة إبراهيم التي كان يزور عليها البيت الحرام، يقع حافرها موضع طرفها، قال: فمرّت بعير من عيرات قريش بواد من تلك الأودية، فنفرت العير، وفيها بعير عليه غرارتان: سوداء، وزرقاء، حتى أتى رسول الله ﷺ إيلياء فأتى بقدحين: قدح خمر، وقدح لبن، فأخذ رسول الله ﷺ قدح اللبن، فقال له جبرئيل: هُديت إلى الفطرة، لو أخذت قدح الخمر غوت أمتك. قال ابن شهاب: فأخبرني ابن المسيب أن رسول الله ﷺ لقي هناك إبراهيم وموسى وعيسى، فنعتهم رسول الله ﷺ، فقال: «فأمَّا مُوسَى فَضَرْبٌ رَجْلُ الرأسِ كأنَّهُ مِنْ رِجالِ شَنُوءَةَ، وأمَّا عِيسَى فَرَجُلٌ أحْمَرُ كأنَّما خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ، فأشْبَهُ مَنْ رأيْتُ بِهِ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ وأمَّا إبْرَاهِيمُ فأنا أشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ» فلما رجع رسول الله ﷺ، حدّث قريشاً أنه أُسري به. قال عبد الله: فارتدّ ناس كثير بعد ما أسلموا، قال أبو سلمة: فأتى أبو بكر الصدّيق، فقيل له: هل لك في صاحبك، يزعم أنه أسري به إلى بيت المقدس ثم رجع في ليلة واحدة، قال أبو بكر: أوَ قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: فأشهد إن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أفتشهد أنه جاء الشام في ليلة واحدة؟ قال: إني أصدّقه بأبعد من ذلك، أصدّقه بخبر السماء. قال أبو سلمة: سمعت جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فَمَثَّلَ اللّهُ لي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وأنا أنْظُرُ إلَيْهِ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، عن أنس بن مالك، قال: لما جاء جبرائيل عليه السلام بالبراق إلى رسول الله ﷺ، فكأنها ضربت بذنبها، فقال لها جبرئيل: مه يا براق، فوالله إن ركبك مثله فسار رسول الله ﷺ، فإذا هو بعجوز ناء عن الطريق: أي على جنب الطريق.

قال أو جعفر: ينبغي أن يقال: نائية، ولكن أسقط منها التأنيث.

فقال: «ما هذه يا جبرائيل؟» قال: سر يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير، فإذا شيء يدعوه متنحياً عن الطريق يقول: هلمّ يا محمد، قال جبرائيل: سر يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير

قال: ثم لقيه خلق من الخلائق، فقال أحدهم: السلام عليك يا أوّل، والسلام عليك يا آخر، والسلام عليك يا حاشر، فقال له جبرائيل: اردد السلام يا محمد، قال: فردّ السلام ثم لقيه الثاني، فقال له مثل مقالة الأوّلين[١] حتى انتهى إلى بيت المقدس، فعرض عليه الماء واللبن والخمر، فتناول رسول الله ﷺ اللبن، فقال له جبرائيل: أصبت يا محمد الفطرة، ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك، ولو شربت الخمر لغويت وغوت أمتك. ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء، فأمّهم رسول الله ﷺ تلك الليلة، ثم قال له جبرائيل: أما العجوز التي رأيت على جانب الطريق، فلم يبق من الدنيا إلاَّ بقدر ما بقي من عمر تلك العجوز، وأما الذي أراد أن تميل إليه، فذاك عدوّ الله إبليس، أراد أن تميل إليه وأما الذين سلّموا عليك، فذاك إبراهيم وموسى وعيسى.

حدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا حجاج، قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية الرياحي، عن أبي هريرة أو غيره شك أبو جعفر في قول الله عزّ وجلّ: **﴿سُبْحانَ الَّذِي أسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾** قال: جاء جبرائيل إلى النبيّ ﷺ ومعه ميكائيل، فقال جبرائيل لميكائيل: ائتني بطست من ماء زمزم كيما أطهر قلبه، وأشرح له صدره، قال: فشقّ عن بطنه، فغسله ثلاث مرّات، واختلف إليه ميكائيل بثلاث طسات من ماء زمزم، فشرح صدره، ونزع ما كان فيه من غلّ، وملأه حلماً وعلماً وإيماناً ويقيناً وإسلاماً، وختم بين كتفيه بخاتم النبوّة، ثم أتاه بفرس فحمل عليه كلّ خطوة منه منتهى طرفه وأقصى بصره. قال: فسار وسار معه جبرائيل عليه السلام، فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان، فقال النبي ﷺ: «يا جِبْرائِيلُ ما هَذَا؟» قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله، تُضاعف لهم الحسنة بسبع مئة ضعف، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم أتى على قوم تُرضخ رؤوسهم بالصخر، كلما رضخت عادت كما كانت، لا يفتر عنهم من ذلك شيء، فقال: «ما هؤلاء يا جَبرائِيل؟» قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع، وعلى أدبارهم رقاع، يسرحون كما تسرح الإبل والغنم، ويأكلون الضريع والزقُّوم ورضف جهنم وحجارتها، قال: «ما هَؤُلاء يا جَبْرِائيلُ؟» قال: هؤلاء الذين لا يؤدّون صدقات أموالهم، وما ظلمهم الله شيئاً، وما الله بظلام للعبيد ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدور، ولحم آخر نيء قذر خبيث، فجعلوا يأكلون من النيء، ويدعَون النضيج الطيّب، فقال: «ما

---

(١) نص العبارة في «الدر المنثور» للسيوطي (١٣٩/٤) ثم بقية الثانية، فقال له مثل ذلك، ثم الثالثة كذلك. ولعل في الكلام سقطاً.

هَؤُلاء يا جَبْرَئِيلُ؟» قال: هذا الرجل من أمتك، تكون عنده المرأة الحلال الطيِّب، فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً، فتأتي رجلاً خبيثاً، فتبيت معه حتى تصبح. قال: ثم أتى على خشبة في الطريق لا يمرّ بها ثوب إلاَّ شقَّته، ولا شيء إلاَّ خرقته، قال: «ما هَذَا يا جَبْرَئِيلُ؟» قال: هذا مثَل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه. ثم قرأ: ﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ...﴾ الآية. ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها، وهو يزيد عليها، فقال: «ما هذا يا جَبْرائِيلُ؟» قال: هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس لا يقدر على أدائها، وهو يزيد عليها، ويريد أن يحملها، فلا يستطيع ذلك ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد، كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء، قال: «ما هؤلاء يا جَبْرَئِيلُ؟» فقال: هؤلاء خطباء أمتك خطباء الفتنة يقولون ما لا يفعلون ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع، فقال: «ما هَذَا يا جَبْرَئِيلُ؟» قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة، ثم يندم عليها، فلا يستطيع أن يردّها ثم أتى على واد، فوجد ريحاً طيبة باردة، وفيه ريح المسك، وسمع صوتاً، فقال: «يا جَبْرائِيلُ ما هَذِهِ الرّيحُ الطَّيِّبَةُ البارِدَةُ وَهذِهِ الرَّائحَةُ الَّتي كَرِيحِ المِسْكِ، وَما هَذَا الصَّوْتُ؟» قال: هذا صوت الجنة تقول: يا ربّ آتني ما وعدتني، فقد كثرت غرفي واستبرقي وحريري وسندسي وعبقري، ولؤلؤي ومرجاني، وفضتي وذهبي، وأكوابي وصحافي وأباريقي، وفواكهي ونخلي ورماني، ولبني وخمري، فآتني ما وعدتني، فقال: لكِ كلّ مسلم ومسلمة، ومؤمن ومؤمنة، ومن آمن بي وبرسلي، وعمل صالحاً ولم يُشرك بي، ولم يتخذ من دوني أنداداً، ومن خشيني فهو آمن، ومن سألني أعطيته، ومن أقرضني جزيته، ومن توكَّل عليّ كفيته، إني أنا الله لا إله إلاَّ أنا لا أخلف الميعاد، وقد أفلح المؤمنون، وتبارك الله أحسن الخالقين، قالت: قد رضيت ثم أتى على واد فسمع صوتاً منكراً، ووجد ريحاً منتنة، فقال: «ما هَذِهِ الرّيحُ يا جَبْرَئِيلُ وَما هَذَا الصَّوْتُ؟» قال: هذا صوت جهنم، تقول: يا ربّ آتني ما وعدتني، فقد كثرت سلاسلي وأغلالي، وسعيري وجحيمي، وضريعي وغسَّاقي، وعذابي وعقابي، وقد بعُد قعري واشتدّ حرّي، فآتني ما وعدتني، قال: لك كلّ مشرك ومشركة، وكافر وكافرة، وكلّ خبيث وخبيثة، وكلّ جبَّار لا يؤمن بيوم الحساب، قالت: قد رضيت قال: ثم سار حتى أتى بيت المقدس، فنزل فربط فرسه إلى صخرة، ثم دخل فصلى مع الملائكة فلما قُضيت الصلاة. قالوا: يا جبرئيل من هذا معك؟ قال: محمد، فقالوا: أَوَ قد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيَّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء قال: ثم لقي أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم، فقال إبراهيم: الحمد لله الذي اتخذني خليلاً وأعطاني ملكاً عظيماً، وجعلني أمَّة قانتاً لله يؤتمّ بي، وأنقذني من النار، وجعلها عليّ برداً

وسلاماً ثم إن موسى أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي كلّمني تكليماً، وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بني إسرائيل على يدي، وجعل من أمتي قوماً يهدون بالحقّ وبه يعدلون ثم إن داود عليه السلام أثنى على ربه، فقال: الحمد لله الذي جعل لي ملكاً عظيماً وعلّمني الزّبور، وألان لي الحديد، وسخّر لي الجبال يسبحن والطير، وأعطاني الحكمة وفصل الخطاب ثم إن سليمان أثنى على ربه. فقال: الحمد لله الذي سخّر لي الرياح، وسخّر لي الشياطين، يعملون لي ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب، وقدور راسيات، وعلّمني منطق الطير، وآتاني من كلّ شيء فضلاً، وسخّر لي جنود الشياطين والإنس والطير، وفضّلني على كثير من عباده المؤمنين، وآتاني ملكاً عظيماً لا ينبغي لأحد من بعدي، وجعل ملكي ملكاً طيباً ليس عليّ فيه حساب ثم إن عيسى عليه السلام أثنى على ربه، فقال: الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعل مثلي مثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له: كن فيكون، وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير، فأنفخ فيه، فيكون طيراً بإذن الله، وجعلني أبرىء الأكمه والأبرص، وأحيي الموتى بإذن الله، ورفعني وطهرني، وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم، فلم يكن للشيطان علينا سبيل قال: ثم إن محمداً ﷺ أثنى على ربه، فقال: «كُلُّكُمْ أَثْنَى عَلى رَبِّهِ، وأنا مُثْنٍ عَلى رَبّي»، فقال: «الحَمْدُ لِلّهِ الذي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً للعالَمِينَ، وكافةً للناس بَشِيراً وَنَذِيراً، وأَنْزَلَ عَلَيَّ الفُرْقَانَ فِيه تِبْيانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَجَعَلَ أُمَّتي خَيْرَ أُمةٍ أُخْرِجَتْ للناسِ، وَجَعَلَ أُمَّتِي وَسَطاً، وَجَعَلَ أُمَّتِي هُمُ الأَوَّلُونَ وَهُمُ الآخِرُونَ، وَشَرَحَ لي صَدْري، وَوَضَعَ عَني وِزْرِي وَرَفَعَ لي ذِكْرِي، وَجَعَلَني فاتحاً خاتِماً» قال إبراهيم: بهذا فضلكم محمد. قال: أبو جعفر: وهو الرازي: خاتم النبوّة، وفاتح بالشفاعة يوم القيامة ثم أتى إليه بآنية ثلاثة مغطاة أفواهها، فأتى بإناء منها فيه ماء، فقيل: اشرب، فشرب منه يسيراً ثم دفع إليه إناء آخر فيه لبن، فقيل له: اشرب، فشرب منه حتى روى ثم دفع إليه إناء آخر فيه خمر، فقيل له: اشرب، فقال: «لا أريده قد رويت» فقال له جبرئيل ﷺ: أما إنها سَتُحَرّم على أمتك، ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلاّ القليل، ثم عَرَج به إلى سماء الدنيا، فاستفتح جبرائيل باباً من أبوابها، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ فقال: محمد، قالوا: أَوَ قَد أُرسل إليه، قال: نعم، قالوا: حيّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء فدخل فإذا هو برجل تامّ الخلق لم ينقص من خلقه شيء، كما ينقص من خلق الناس، على يمينه باب يخرج منه ريح طيبة، وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة، إذا نظر إلى الباب الذي عن يمينه ضحك واستبشر، وإذا نظر إلى الباب الذي عن شماله بكى وحزن، فقلت: «يا جَبْرَئِيلَ مَنْ هَذَا الشَّيْخُ التَّامُ الخَلْقِ الَّذِي لَمْ يَنْقُصْ مِنْ خَلْقِهِ شَيْءٌ، وَما هَذَانِ البابانِ؟» قال: هذا أبوك آدم، وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة، إذا نظر إلى من يدخله من ذرّيته ضحك واستبشر، والباب الذي عن شماله باب جهنم، إذا نظر إلى من يدخله من ذريته بكى وحزن ثم صعد به جبرئيل ﷺ إلى السماء الثانية فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال:

جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد رسول الله، فقالوا: أَوَ قَد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيَّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء، قال: فإذا هو بشابين، فقال: «يا جَبْرَئِيلُ مَنْ هَذَانِ الشابَّانِ؟» قال: هذا عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا ابنا الخالة، قال: فصعد به إلى السماء الثالثة، فاستفتح، فقالوا: من هذا؟ قال: جبرائيل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أَوَ قَد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيَّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء، قال: فدخل فإذا هو برجل قد فَضَل على الناس كلهم في الحُسن، كما فُضِّل القمرُ ليلة البدر على سائر الكواكب، قال: «مَنْ هَذَا يا جِبْرائِيلُ الَّذِي فَضَلَ على النَّاسِ في الحُسْنِ؟» قال: هذا أخوك يوسف ثم صعد به إلى السماء الرابعة، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال جبرائيل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أَوَ قَد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيَّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء قال: فدخل، فإذا هو برجل، قال: «مَنْ هَذَا يا جَبْرَئِيلُ؟» قال: هذا إدريس رفعه الله مكاناً عليًا. ثم صعد به إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبرائيل، فقالوا: من هذا؟ فقال: جبرائيل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أَوَ قَد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيَّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء ثم دخل فإذا هو برجل جالس وحوله قوم يقصّ عليهم، قال: «مَنْ هَذَا يا جَبْرَئِيلُ وَمَنْ هَؤُلاءِ الَّذِينَ حَوْلَهُ؟» قال: هذا هارون المحبب في قومه، وهؤلاء بنو إسرائيل ثم صعد به إلى السماء السادسة، فاستفتح جبرائيل، فقيل له: من هذا؟ قال: جبرائيل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أَوَ قَد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيَّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء فإذا هو برجل جالس، فجاوزه، فبكى الرجل، فقال: «يا جَبْرائِيلُ مَنْ هَذَا؟» قال: موسى، قال: «فَمَا بالُهُ يَبْكي؟» قال: تزعم بنو إسرائيل أني أكرم بني آدم على الله، وهذا رجل من بني آدم قد خلفني في دنيا، وأنا في أخرى، فلو أنه بنفسه لم أبال، ولكن مع كلّ نبيّ أمته ثم صَعَد به إلى السماء السابعة، فاستفتح جبرائيل، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أَوَ قَد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيَّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء، قال: فدخل فإذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسي، وعنده قوم جلوسٍ بيض الوجوه، أمثال القراطيس، وقوم في ألوانهم شيء، فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء، فدخلوا نهراً فاغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء، ثم دخلوا نهراً آخر، فاغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء، ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء، فصارت مثل ألوان أصحابهم، فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم، فقال: «يا جَبْرَئِيلُ مَنْ هَذَا الأَشْمَطُ، ثُمَّ مَنْ هَؤُلاءِ البِيضُ وُجُوهُهُمْ، وَمَنْ هَؤُلاءِ الَّذِينَ في أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ، وَما هَذِهِ الأَنْهارُ الَّتي دَخَلُوا، فَجَاءُوا وَقَدْ صَفَتْ أَلْوَانُهُمْ؟» قال: هذا أبوك إبراهيم أوّل من شَمِط على الأرض،

وأما هؤلاء البيض الوجوه: فقوم لم يُلْبِسوا إيمانهم بظلم، وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء، فقوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فتابوا، فتاب الله عليهم، وأما الأنهار: فأولها رحمة الله، وثانيها: نعمة الله، والثالث: سقاهم ربهم شراباً طهوراً قال: ثم انتهى إلى السِّدرة، فقيل له: هذه السدرة ينتهي إليها كلّ أحد خلا من أمتك على سنتك، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذّة للشاربين، وأنهار من عسل مصفىً، وهي شجرة يسير الراكب في ظلِّها سبعين عاماً لا يقطعها، والورقة منها مغطية للأمة كلها، قال: فغشيها نور الخلاّق عزّ وجلّ، وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجرة، قال: فكلمه عند ذلك، فقال له: سل، فقال: «اتخذتَ إبراهيم خليلاً، وأعطيته مُلكاً عظيماً، وكلمت موسى تكليماً، وأعطيت داود ملكاً عظيماً، وألنت له الحديد، وسخرت له الجبال، وأعطيت سليمان ملكاً عظيماً، وسخرت له الجنّ والإنس والشياطين، وسخرت له الرياح، وأعطيته ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وعلّمت عيسى التوراة والإنجيل، وجعلته يبرىء الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم، فلم يكن للشيطان عليهما سبيل». فقال له ربه: قد اتخذتك حبيباً وخليلاً، وهو مكتوب في التوراة: حبيب الله وأرسلتك إلى الناس كافَّة بشيراً ونذيراً، وشرحت لك صدرك، ووضعت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك، فلا أذكر إلاَّ ذكرت معي، وجعلت أمتك أمة وسطاً، وجعلت أمتك هم الأوّلون والآخرون، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة، حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم، وجعلتك أوّل النّبيين خَلْقاً، وآخرهم بَعْثاً، وأوّلهم يُقْضى له، وأعطيتك سبعاً من المثاني، لم يُعطها نبيّ قبلك، وأعطيتك الكوثر، وأعطيتك ثمانية أسهم الإسلام والهجرة، والجهاد، والصدقة، والصلاة، وصوم رمضان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وجعلتك فاتحاً وخاتماً، فقال النبيّ ﷺ: «فضَّلَنِي رَبِّي بِسِتّ: أعْطانِي فَوَاتِحَ الكَلِمِ وَخَوَاتِيمَهُ، وَجَوَامِعَ الحَدِيثِ، وأرْسَلَنِي إلى النَّاسِ كافَّةً بَشِيراً وَنَذِيراً، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِ عَدُوّي الرُّعْبَ مِنْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ ولَمْ تَحِلَّ لأحَدٍ قَبْلِي، وجُعِلَتْ لي الأرْضُ كُلُّها طَهُوراً وَمَسْجِداً، قال: وَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً» فلما رجع إلى موسى، قال: بِم أُمرت يا محمد، قال: «بِخَمْسِينَ صَلاةً»، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التّخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، فقد لقيت من بني إسرائيل شدّة، قال: فرجع النبيّ ﷺ إلى ربه فسأله التخفيف، فوضع عنه عشراً، ثم رجع إلى موسى، فقال: بكم أُمرت؟ قال: «بأرْبَعِينَ»، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، وقد لقيتُ من بني إسرائيل شدّة، قال: فرجع إلى ربه، فسأله التخفيف، فوضع عنه عشراً، فرجع إلى موسى، فقال: بكم أُمرت؟ قال: «أُمِرْتُ بِثَلاثِينَ»، فقال له موسى: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، وقد لقيت من بني إسرائيل شدّة، قال: فرجع إلى ربه فسأله التخفيف، فوضع عنه عشراً، فرجع إلى موسى فقال:

بكم أمرت؟ قال: «بعشرين»، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة، قال: فرجع إلى ربه فسأله التخفيف، فوضع عنه عشراً، فرجع إلى موسى، فقال: بكم أمرت؟ قال: قال: «ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، وقد لقيت من بني إسرائيل شدّة، قال: فرجع على حياء إلى ربه فسأله التخفيف، فوضع عنه خمساً، فرجع إلى موسى، فقال: بكم أمرت؟ قال: «بخمس»، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، وقد لقيتُ من بني إسرائيل شدّة، قال: «قَدْ رَجَعْتُ إلى رَبّي حتى اسْتَحْيَيْت فَمَا أنا رَاجِعٌ إلَيْهِ»، فقيل له: أما إنك كما صبرت نفسك على خمس صلوات فإنهنّ يجزين عنك خمسين صلاة، فإن كلّ حسنة بعشر أمثالها، قال: فرضي محمد ﷺ كلّ الرضا، فكان موسى أشدّهم عليه حين مرّ به، وخيرهم له حين رجع إليه.

حدثني محمد بن عبيد الله، قال: أخبرنا أبو النضر هاشم بن القاسم، قال: ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية أو غيره «شكّ أبو جعفر» عن أبي هريرة في قوله: **﴿سُبْحانَ الَّذِي أسْرَى بِعَبْدِهِ. . .﴾** إلى قوله: **﴿إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾** قال: جاء جبرائيل إلى النبيّ ﷺ، فذكر نحو حديث عليّ بن سهل، عن حجاج، إلا أنه قال: جاء جبرائيل ومعه ميكائيل، وقال فيه: وإذا بقوم يسرحون كما تسرح الأنعام يأكلون الضريع والزقوم، وقال في كل موضع قال عليّ: «ما هؤلاء»، «من هؤلاء يا جبرئيل»، وقال في موضع «تقرض ألسنتهم» «تقص ألسنتهم»، وقال أيضاً في موضع قال عليّ فيه: «ونعم الخليفة». قال في ذكر الخمر، فقال: «لا أريده قد رويت»، قال جبرئيل: قد أصبت الفطرة يا محمد، إنها ستحرم على أمتك، وقال في سدرة المنتهى أيضاً: هذه السدرة المنتهى، إليها ينتهي كلّ أحد خلا على سبيلك من أمتك وقال أيضاً في الورقة منها: «تظلّ الخلق كلهم، تغشاها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجرة، من حُبّ الله عزّ وجلّ» وسائر الحديث مثل حديث عليّ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري وحدثني الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: ثنا معمر، قال: أخبرنا أبو هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري، واللفظ لحديث الحسن بن يحيى، في قوله: **﴿سُبْحانَ الَّذِي أسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى﴾** قال: ثنا النبيّ ﷺ عن ليلة أسري به فقال نبيّ الله: «أُتِيتُ بِدَابَّةٍ هِيَ أشْبَهُ الدَّوَابّ بالبَغْلِ، لَهُ أُذُنانِ مُضْطَرِبَتان وَهُوَ البُرَاقُ، وَهُوَ الَّذِي كانَ تَرْكَبُهُ الأنْبِياءُ قَبْلِي، فَرَكِبْتُهُ، فانْطَلَقَ بِي يَضَعُ يَدَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى بَصَرِهِ، فَسَمِعْتُ نِدَاءً عَنْ يَمِينِي: يا مُحَمَّدُ عَلى رِسْلِكَ أسألُكَ، فَمَضَيْتُ وَلَمْ أعْرُجْ عَلَيْهِ ثُمَّ سَمِعْتُ نِدَاءً عَنْ شِمالي: يا مُحَمَّدُ عَلى رِسْلِكَ أسألُكَ، فَمَضَيْتُ وَلَمْ أعَرِّجْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ امْرأةٌ فِي الطَّرِيقِ، فَرأيْتُ عَلَيْها مِنْ كُلّ زِينَةٍ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيا رَافِعَةً يَدَها، تَقُولُ: يا مُحَمَّدُ على

رِسْلِكَ أسألُكَ، فَمَضيتُ وَلَمْ أعرِّجْ عَلَيْها، ثُمَّ أتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ، أوْ قالَ المَسْجِدَ الأقْصَى، فَنَزَلْتُ عَنِ الدَّابَةِ فَأوْثَقْتُها بالحَلْقَةِ التي كانَتِ الأنْبِياءُ تُوثِقُ بِها، ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ، فقالَ لِي جَبْرَئِيل: ماذَا رأيْتَ فِي وَجْهِكَ، فَقُلْتُ: سَمِعْتُ نِدَاءً عَنْ يَمِينِي أنْ يا مُحَمَّدُ عَلى رِسْلِكَ أسألُكَ، فَمَضَيْتُ ولَمْ أعرِّجْ عَلَيْهِ، قالَ: ذَاكَ داعِيَ اليَهُودِ، أمَا لَوْ أنَّكَ وَقَفْتَ عَلَيْهِ لَتَهَوَّدَتْ أُمَّتُكَ، قال: ثُمَّ سَمِعْتُ نِداءً عَنْ يَسارِي أنْ يا مُحَمَّدُ عَلى رِسْلِكَ أسألُكَ، فَمَضَيْتُ وَلَمْ أعرِّجْ عَلَيْهِ، قال: ذَاكَ داعي النَّصارَى، أمَا إنَّكَ لَوْ وَقَفْتَ عَلَيْهِ لَتَنَصَّرَتْ أُمَّتُكَ، قُلْتُ: ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْنِي امْرأةٌ عَلَيْها مِنْ كُلِّ زِينَةٍ مِنْ زِينَةِ الدُّنيا رَافِعَةً يَدَها تَقُولُ عَلى رِسْلِكَ، أسألُكَ، فَمَضَيْتُ ولَمْ أُعرِّجْ عَلَيْها، قال: تِلْكَ الدُّنيا تَزَيَّنَتْ لَكَ، أمَا إنَّكَ لَوْ وَقَفْتَ عَلَيْها لاخْتارَتْ أُمَّتُكَ الدُّنْيا على الآخِرَةِ، ثُمَّ أُتِيتُ بإناءَيْنِ أحَدُهُما فِيهِ لَبَنٌ، والآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِي: اشْرَبْ أيَّهُما شِئْتَ، فَأخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ، قال: أصَبْتَ الفِطْرَةَ أوْ قالَ: أخَذْتَ الفِطْرَةَ».

قال معمر: وأخبرني الزهري، عن ابن المسيب أنه قيل له: أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك.

قال أبو هارون في حديث أبي سعيد: «ثُمَّ جِيءَ بالمِعْرَاجِ الَّذِي تَعْرُجُ فِيهِ أرْوَاحُ بَنِي آدَمَ فإذَا هُوَ أحْسَنُ ما رأيْتُ ألَمْ تَرَ إلى المَيِّتِ كَيْفَ يُحِدُّ بَصَرَهُ إلَيْهِ فَعُرِجَ بنا فِيهِ حتى انْتَهَيْنا إلى بابِ السَّماءِ الدُّنيا، فاسْتَفْتَحَ جَبْرَائِيلُ، فَقيلَ مَنْ هَذا؟ قال: جَبْرَئِيلُ؟ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قال: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أوَ قَدْ أُرْسِلَ إلَيْهِ؟ قال: نَعَمْ، فَفَتَحُوا وَسَلَّمُوا عَلَيَّ، وَإذَا مَلَكٌ مُوَكَّلٌ يَحْرُسُ السَّماءَ يُقال لَهُ إسْماعِيلُ، مَعَهُ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ مَعَ كُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ مِئَةُ ألفٍ»، ثم قرأ: **﴿وما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلاَّ هُوَ﴾** وَإذَا أنا بِرَجُلٍ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَهُ اللَّهُ لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهُ شَيْءٌ، فإذَا هُوَ تُعْرَض عَلَيْهِ أرْوَاحُ ذُرِّيَّتِهِ، فإذَا كانَتْ رُوح مُؤْمِنٍ، قالَ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ، وَرِيحٌ طَيِّبَةٌ، اجْعَلُوا كِتابَهُ فِي عِلِّيِينَ وَإذَا كانَ رُوحَ كافِرٍ قالَ: رُوحٌ خَبِيثَةٌ وَرِيحٌ خَبِيثَةٌ، اجْعَلُوا كِتابَهُ فِي سِجِّيلٍ، فَقُلْتُ: يا جَبْرَائِيلُ مَنْ هَذا؟ قال: أبُوكَ آدَمُ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ بِي وَدَعا لِي بِخَيْرٍ وَقالَ: مَرْحَبا بالنَّبِيِّ الصَّالِحِ والوَلَدِ الصَّالِحِ، ثُمَّ نَظَرْتُ فإذَا أنا بِقَوْمٍ لَهُمْ مَشافِرُ كَمَشافِرِ الإبِلِ، وَقَدْ وُكِّلَ بِهِمْ مَنْ يَأْخُذُ بِمَشافِرِهِمْ، ثُمَّ يُجْعَلُ في أفْوَاهِهِمْ صَخْراً مِنْ نَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أسافِلِهِمْ، قُلْتُ: يا جَبْرَئِيلُ مَنْ هَؤُلاءِ؟ قال: هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْماً. ثُمَّ نَظَرْتُ فإذَا أنا بَقَوْمٍ يُحْذَى مِنْ جُلُودِهِمْ ويُرَدُّ فِي أفْوَاهِهِمْ، ثُمَّ يُقال: كُلُوا كمَا أكَلْتُمْ، فإذَا أكْرَهُ ما خَلَقَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلاءِ يا جَبْرَائِيلُ؟ قال: هَؤُلاءِ الهَمَّازُونَ اللَّمَّازُونَ الذِينَ يأكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أعْرَاضِهِمْ بالسَّبِّ ثُمَّ نَظَرْتُ فإذَا أنا بِقَوْمٍ عَلى مائِدَةٍ عَلَيْها لَحْمٌ مَشْوِيٌّ كأحْسَنِ ما رأيْتُ مِنَ اللحْمِ، وَإذَا حَوْلَهُمْ جِيَفٌ، فَجعلُوا يَمِيلُونَ عَلى الجِيَفِ يَأْكُلُونَ مِنْها وَيَدَعُونَ ذلكَ اللحْمَ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلاءِ يا جَبْرَائِيلُ؟ قالَ: هَؤُلاءِ الزُّناةُ عَمَدُوا إلى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَتَرَكُوا ما أحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ ثمّ نَظَرْتُ فإذَا أنا بِقَوْمٍ لَهُمْ بُطونٌ كأنَّها البُيُوتُ

وَهِيَ على سابِلَةِ آلِ فِرْعَوْنَ، فإذَا مَرَّ بِهِمْ آلُ فِرْعَوْنَ ثارُوا، فَيَمِيلُ بأحَدِهِمْ بَطْنُهُ فَيَقَعُ، فَيَتَوَطّئُوهُمْ آلُ فِرْعَوْنَ بأرْجُلِهِمْ، وَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلى النارِ غُدْوّاً وَعَشِيّاً قُلْتُ: مَنْ هَؤُلاء يا جَبْرائِيلُ؟ قال: هَؤُلاءِ أكَلَةُ الرِّبا، رِبا فِي بُطُونِهِمْ، فَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِن المَسّ ثُمَّ نَظَرْتُ، فإذَا أنا بِنساءٍ مُعَلَّقاتٍ بِثُدِيِّهِنَّ، وَنِساءٌ مُنَكَّساتٌ بأرْجُلِهِنَّ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلاءِ يا جِبْرَئِيلُ؟ قال: هنّ اللاتي يَزْنِينَ وَيَقْتُلْنَ أوْلادَهُنَّ قالَ: ثُمَّ صَعِدْنا إلى السَّماءِ الثَّانِيَةِ، فإذَا أنا بِيُوسُف وحَوْلَهُ تَبَعٌ مِنْ أُمَّتِهِ، وَوَجْهُهُ كالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَسَلَّمَ عَليَّ وَرَحَّبَ بِي، ثُمَّ مَضَيْنا إلى السَّماءِ الثَّالِثَةِ، فإذا أنا بابْنِيَ الخالَةِ يَحيَى وَعِيسَى، يُشْبِهُ أحَدُهُما صَاحِبَهُ، ثِيابُهما وَشَعْرُهُما، فَسَلَّما عَليَّ، وَرَحَّبابِي ثُمَّ مَضَيْنَا إلى السَّماءِ الرَّابِعَةِ، فإذا أنا بإدْرِيسَ، فَسَلَّمَ عَليَّ وَرَحَّب وَقَدْ قالَ اللَّهُ: ﴿**وَرَفَعْناه مَكاناً عَلِيّا**﴾ ثُمَّ مَضَيْنا إلى السَّماءِ الخامِسَةِ، فإذَا أنا بِهارُونَ المُحَبَّبِ فِي قَوْمِهِ، حَوْلَهُ تَبَعٌ كَثِيرٌ مِنْ أُمَّتِهِ» فَوَصَفَهُ النَّبِي ﷺ: «طَوِيلُ اللِّحْيَةِ تَكادُ لِحْيَتُهُ تَمسُّ سُرَّتَهُ، فَسلَّمَ عليَّ وَرَحَّبَ ثُمَّ مَضَيْنا إلى السَّماءِ السَّادِسَةِ فإذَا أنا بمُوسَى بْنِ عِمْرانَ» فَوَصَفَهُ النَّبِيُّ ﷺ فقالَ: «كَثِيرُ الشَّعْرِ لَوْ كانَ عَلَيْهِ قَمِيصَانِ خَرَجَ شَعْرُهُ مِنْهُما قالَ مُوسَى: تَزْعَمُ النَّاسُ أنّي أكْرَمُ الخَلْقِ عَلى اللّهِ، فَهَذَا أكْرَمُ عَلى اللّهِ مِنّي، وَلَوْ كانَ وَحْدَهُ لَمْ أكُنْ أُبالي، وَلَكِنْ كُلُّ نَبِيّ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ أُمَّتِهِ ثُمَّ مَضَيْنا إلى السَّماءِ السَّابِعَةِ، فإذَا أنا بإبْراهِيمَ وَهُوَ جالِس مُسْنِدٌ ظَهْرَهُ إلى البَيْتِ المَعْمُورِ فَسَلَّمَ عَليَّ وَقال: مَرْحباً بالنَّبِيّ الصَّالِحِ وَالوَلَدِ الصَّالِحِ، فَقِيلَ: هذَا مَكانُكَ وَمَكانُ أُمَّتِك، ثُمَّ تَلا: ﴿إنَّ أوْلَى النَّاسِ بابْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوه وَهَذا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَاللّهُ وَلِيُّ المُؤْمِنِينَ﴾ ثُمَّ دَخَلْتُ البَيْتَ المَعْمُورَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ، وَإذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْم سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ لا يَعُودُونَ إلى يَوْمِ القِيامَةِ ثُمَّ نَظَرْتُ فإذَا أنا بِشَجَرَةٍ إنْ كانَتْ الوَرَقَةُ مِنْها لَمُغَطِّيَةٌ هَذِهِ الأُمَّةَ، فإذَا فِي أصْلِها عَيْنٌ تَجْرِي قَدْ تَشَعَّبَتْ شُعْبَتَيْنِ، فَقُلْتُ: ما هذَا يا جَبْرَائِيلُ؟ قال: أمَّا هَذَا: فَهُوَ نَهْرُ الرَّحْمَةِ، وأمَّا هذَا: فَهُوَ الكَوْثَرُ الذِي أعْطاكَهُ اللّهُ، فاغْتَسَلْتُ فِي نَهْرِ الرَّحمَةِ فَغُفِرَ لِي ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَما تَأخَّرَ، ثُمَّ أَخَذْتُ عَلى الكَوْثَرِ حتى دَخَلْتُ الجَنَّة، فإذَا فِيها ما لا عَيْنٌ رأتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ، وَإذَا فِيها رُمَّانٌ كأنَّهُ جُلُودُ الإبِلِ المُقَتَّبَةُ، وإذَا فِيها طَيْرٌ كأنَّها البُخْتُ» فقالَ أبُو بَكْرٍ: إنَّ تِلْكَ الطَّيْرَ لَناعِمَةٌ، قالَ: «أكَلَتُها أنْعَمُ مِنْها يا أبا بَكْرٍ، وإنّي لأَرْجُو أنْ تَأكُلَ مِنْها، ورأيْتُ فِيها جارِيَةً، فَسألْتُها: لِمَنْ أنْتِ؟ فَقالَتْ: لِزَيْدِ بْنِ حارِثَة» فَبَشَّرَ بِها رَسُولُ اللّهِ ﷺ زَيْداً قالَ: «ثُمَّ إنَّ اللّهَ أمَرَنِي بأمْرِهِ، وَفَرَض عَليَّ خَمْسِينَ صَلاةً، فَمَرَرْتُ عَلى مُوسَى، فقالَ: بِمَ أمَرَكَ رَبُّكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ عَليَّ خَمْسِينَ صَلاةً، قالَ: ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فأسألْهُ التَّخْفِيفَ، فإنَّ أُمَّتَكَ لَنْ يَقُومُوا بِهذَا، فَرَجَعْتُ إلى رَبّي فَسألْتُهُ فَوَضَعَ عَنّي عَشْراً، ثُمَّ رَجَعْتُ إلى مُوسَى، فَلَمْ أزَلْ أرْجِعُ إلى رَبّي إذَا مَرَرْتُ بِمُوسَى حتى فَرَض عَليَّ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، فَقالَ مُوسَى: ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسألْهُ التَّخْفِيفَ، فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إلى رَبّي حتى اسْتَحْيَيْتُ» أوْ قالَ: «قُلْت: ما أنا بِراجِعٍ، فَقِيلَ لي: إنَّ لَكَ بِهذِهِ الخَمْسِ صَلَوَاتٍ خَمْسِينَ صَلاةً، الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أمْثالِهَا، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبتْ لَهُ حَسَنَة، وَمَنْ عَمِلَها كُتِبَتْ لَهُ عَشراً، وَمَنْ هَمَّ بِسيِّئَةٍ

فَلَم يَعْمَلْها لَمْ تُكْتَبْ شَيْئاً، فإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ وَاحِدَةً».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني روح بن القاسم، عن أبي هارون عمارة بن جوين العبدي، عن أبي سعيد الخدري وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: وثني أبو جعفر، عن أبي هارون، عن أبي سعيد، قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «لَمَّا فَرَغْتُ مِمَّا كانَ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ، أُتِيَ بالمِعْرَاجِ، ولَمْ أرَ شَيْئاً قَطُّ أحْسَنَ مِنْهُ، وَهُوَ الَّذِي يَمُدُّ إلَيْهِ مَيِّتُكُمْ عَيْنَيْهِ إذا حَضَرَ، فَأَصْعَدَنِي صَاحِبي فِيهِ حتى انْتَهَى إلى بابٍ مِنَ الأبْوَابِ يُقالُ لَهُ بابُ الحَفَظَةِ، عَلَيْهِ مَلَكٌ يُقالُ لَهُ إسْماعِيلُ، تَحْتَ يَدَيْهِ اثْنا عَشَرَ ألْفَ مَلَكٍ، تَحْت يَدَيْ كُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ اثْنا عَشَرَ ألْفَ مَلَكٍ» فقال رسول الله ﷺ حين حدّث هذا الحديث: «ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلاَّ هُوَ» ثم ذكر نحو حديث معمر، عن أبي هارون إلا أنه قال في حديثه: قال: «ثُمَّ دَخَلَ بِيَ الجَنَّةَ فَرأَيْتُ فِيها جارِيَةً، فسألتُها لِمَنْ أنْتِ؟ وَقَدْ أعْجَبَتْنِي حينَ رأيْتُها، فَقالَتْ: لِزَيْدِ بْنِ حارِثَةَ» فبشَّر بها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، ثم انتهى حديث ابن حميد عن سلمة إلى ههنا.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ وصف لأصحابه ليلة أُسري به إبراهيمَ وموسى وعيسى فقال: «أمَّا إبْرَاهِيمُ فَلَمْ أرَ رَجُلاً أشْبَهَ بِصَاحِبِكُمْ مِنْهُ. وأمَّا مُوسَى فَرَجُلٌ آدَمُ طِوَالٌ جَعْدٌ أقْنَى، كأنَّه مِنْ رِجالِ شَنُوءَةَ. وأمَّا عِيسَى فَرَجُلٌ أحْمَرُ بينَ القَصِيرِ والطَّوِيلِ سَبطُ الشَّعْرِ كَثِيرُ خِيلانِ الوَجْهِ، كأنَّه خَرَجَ مِنْ دِيماسٍ كأنَّ رأسَهُ يَقْطُرُ ماءً، وَما بِهِ ماءٌ، أشْبَهُ مِنْ رأيْتُ بِهِ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن رسول الله ﷺ بنحوه، ولم يقل عن أبي هريرة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، عن أنس، أن النبيّ ﷺ أُتِي بالبراق ليلة أُسري به مسرجاً ملجماً ليركبه، فاستصعب عليه، فقال له جبرئيل: ما يحملك على هذا، فوالله ما ركبك أحد قطّ أكرم على الله منه قال: فارفض عرقاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿**سُبْحانَ الَّذِي أسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ**﴾ أسري بِنَبِيِّ الله عشاء من مكة إلى بيت المقدس، فصلى نبيّ الله فيه، فأراه الله من آياته وأمره بما شاء ليلة أسري به، ثم أصبح بمكة. ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال: «حُمِلْتُ عَلى دَابَّةٍ يُقالُ لَهَا البُرَاقُ، فَوْقَ الحِمارِ وَدُونَ

البَغْلِ، يَضَعُ حافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ» فحدث نبيّ الله بذلك أهل مكة، فكذب به المشركون وأنكروه وقالوا: يا محمد تخبرنا أنك أتيت بيت المقدس، وأقبلت من ليلتك، ثم أصبحت عندنا بمكة، فما كنت تجيئنا به، وتأتي به قبل هذا اليوم مع هذا فصدقه أبو بكر، فسمّي أبو بكر الصدّيق من أجل ذلك.

حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد، قال: ثنا سليمان الشيباني، عن عبد الله بن شدّاد، قال: لما كان ليلة أُسري برسول الله ﷺ أتي بدابة يقال لها البراق، دون البغل وفوق الحمار، تضع حافرها عند منتهى ظفرها فلما أتى بيت المقدس أُتِيَ بإناءين: إناء من لبن، وإناء من خمر، فشرب اللبن. قال: فقال له جبرائيل: هديت وهديت أمتك.

وقال آخرون ممن قال: أسري بالنبيّ ﷺ إلى المسجد الأقصى بنفسه وجسمه أسري به عليه السلام، غير أنه لم يدخل بيت المقدس، ولم يصلّ فيه، ولم ينزل عن البراق حتى رجع إلى مكة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد القطان، قال: ثنا سفيان، قال: ثني عاصم بن بهدلة عن زرّ بن حبيش، عن حُذيفة بن اليمان، أنه قال في هذه الآية: **﴿سُبْحانَ الَّذِي أسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى﴾** قال: لم يصلّ فيه رسول الله ﷺ، ولو صلى فيه لكتب عليكم الصلاة فيه، كا كتب عليكم الصلاة عند الكعبة.

حدثنا أبو كريب، قال: سمعا أبا بكر بن عياش، ورجل يحدّث عنده بحديث حين أسري بالنبيّ ﷺ، فقال له: لا تجيء بمثل عاصم ولا زرّ قال: قال حُذيفة لزرّ بن حبيش قال: وكان زرُّ رجلاً شريفاً من أشراف العرب، قال: قرأ حُذيفة **﴿سُبْحانَ الَّذِي أسْرَى بِعَبْدِهِ مِنَ اللَّيْلِ مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾** وكذا قرأ عبد الله، قال: وهذا كما يقولون: إنه دخل المسجد فصلى فيه، ثم دخل فربط دابته، قال: قلت: والله قد دخله، قال: من أنت فإني أعرف وجهك ولا أدري ما اسمك، قال: قلت: زر بن حبيش، قال: ما عملك هذا؟ قال: قلت: من قبَل القرآن، قال: من أخذ بالقرآن أفلح، قال: فقلت: **﴿سُبْحانَ الَّذِي أسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ﴾** قال: فنظر إليَّ فقال: يا أصلع، هل ترى دخله؟ قال: قلت: لا والله، قال حُذيفة: أجل والله الذي لا إله إلا هو ما دخله، ولو دخله لوجبت عليكم صلاة فيه، لا والله ما نزل عن البراق حتى رأى الجنة والنار، وما أعدّ الله في الآخرة أجمع وقال: تدري ما البراق؟ قال: دابة دون البغل وفوق الحمار، خطوه مدّ البصر.

وقال آخرون: بل أسري بروحه، ولم يسر بجسده.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبي سفيان، كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: كانت رؤيا من الله صادقة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد، قال: ثني بعض آل أبي بكر، أن عائشة كانت تقول: ما فقد جسد رسول الله ﷺ، ولكن الله أسرى بروحه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال ابن إسحاق: فلم يُنكر ذلك من قولها الحسن أن هذه الآية نزلت ﴿**وَما جَعَلْنا الرُّؤْيا التي أرَيْناكَ إلاَّ فِتْنَةً للنَّاسِ**﴾ ولقول الله في الخبر عن إبراهيم، إذ قال لابنه: ﴿**يا بنيَ إنّي أرَى فِي المَنامِ أنّي أذْبَحُكَ فانْظُرْ ماذَا تَرَى**﴾ ثم مضى على ذلك، فعرفت أن الوحي يأتي بالأنبياء من الله أيقاظاً ونياماً، وكان رسول الله ﷺ يقول: «تَنامُ عَيْنَي وَقَلْبِي يَقْظانُ» فالله أعلم أيّ ذلك كان قد جاءه وعاين فيه من أمر الله ما عاين على أيّ حالاته كان نائماً أو يقظاناً كلّ ذلك حقّ وصدق.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أسرى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كما أخبر الله عباده، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، أن الله حمله على البراق حين أتاه به، وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل، فأراه ما أراه من الآيات ولا معنى لقول من قال: أسري بروحه دون جسده، لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلاً على نبوّته، ولا حجة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك، وكانوا يدفعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن منكراً عندهم، ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقلّ؟ وبعد، فإن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائزاً لأحد أن يتعدّى ما قال الله إلى غيره. فإن ظنّ ظانّ أن ذلك جائز، إذ كانت العرب تفعل ذلك في كلامها، كما قال قائلهم:

حَسِبْتُ بُغامَ رَاحِلَتِي عَناقاً وَما هِيَ وَيْبَ غيرِكِ بالعَناقِ[1]

يعني: حسبت بغام راحلتي صوت عناق، فحذف الصوت واكتفى منه بالعناق، فإن العرب

(١) البيت تقدم الاستشهاد به في (٤/ ٩٢) من هذا التفسير. واستشهد به الفراء في «**معاني القرآن**» (١٧٩) ولكنه لم يبين موضع الشاهد فيه كما بينه المؤلف هنا، وهو أن العرب قد تحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه، كما في البيت، إذ أنه يريد: حسبت بغام راحلتي صوت عناق.

تفعل ذلك فيما كان مفهوماً مراد المتكلم منهم به من الكلام. فأما فيما لا دلالة عليه إلا بظهوره، ولا يوصل إلى معرفة مراد المتكلِّم إلا ببيانه، فإنها لا تحذف ذلك ولا دلالة تدلّ على أن مراد الله من قوله: ﴿أسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ أسرى بروح عبده، بل الأدلة الواضحة، والأخبار المتتابعة عن رسول الله ﷺ أن الله أسرى به على دابة يُقال لها البراق ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق، إذ كانت الدوابّ لا تحمل إلا الأجسام. إلا أن يقول قائل: إن معنى قولنا: أسرى بروحه: رأى في المنام أنه أسري بجسده على البراق، فيكذب حينئذٍ بمعنى الأخبار التي رُويت عن رسول الله ﷺ، أن جبرئيل حمله على البراق، لأن ذلك إذا كان مناماً على قول قائل هذا القول، ولم تكن الروح عنده مما تركب الدوابّ، ولم يحمل على البراق جسم النبيّ ﷺ، لم يكن النبيّ ﷺ على قوله حُمل على البراق لا جسمه، ولا شيء منه، وصار الأمر عنده كبعض أحلام النائمين، وذلك دفع لظاهر التنزيل، وما تتابعت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وجاءت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين.

وقوله: ﴿الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: الذي جعلنا حوله البركة لسكانه في معايشهم وأقواتهم وحروثهم وغروسهم. وقوله: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا﴾ يقول تعالى ذكره: كي نرى عبدنا محمداً من آياتنا، يقول: من عبرنا وأدلتنا وحججنا، وذلك هو ما قد ذكرت في الأخبار التي رويتها آنفاً، أن رسول الله ﷺ أريه في طريقه إلى بيت المقدس، وبعد مصيره إليه من عجائب العبر والمواعظ. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا﴾ ما أراه الله من الآيات والعبر في طريق بيت المقدس.

وقوله: ﴿إنّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذي أسرى بعبده هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون من أهل مكة في مسرى محمد ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، ولغير ذلك من قولهم وقول غيرهم، البصير بما يعملون من الأعمال، لا يخفى عليه شيء من ذلك، ولا يعزب عنه علم شيء منه، بل هو محيط بجميعه علماً، ومحصيه عدداً، وهو لهم بالمرصاد، ليجزي جميعهم بما هم أهله.

وكان بعض البصريين يقول: كسرت «إن» من قوله: ﴿إنَّهُ هَوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ لأن معنى الكلام: قل يا محمد: سبحان الذي أسرى بعبده، وقل: إنه هو السميع البصير.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً وآتى موسى الكتاب، وردّ الكلام إلى ﴿وآتينا﴾ وقد ابتدأ بقوله أسرى لما قد ذكرنا قبل فيما مضى من فعل العرب في نظائر ذلك من ابتداء الخبر بالخبر عن الغائب، ثم الرجوع إلى الخطاب وأشباهه. وعنى بالكتاب الذي أوتي موسى: التوراة. ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يقول: وجعلنا الكتاب الذي هو التوراة بياناً للحقّ، ودليلاً لهم على محجة الصواب فيما افترض عليهم، وأمرهم به، ونهاهم عنه.

وقوله: ﴿ألاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة ﴿ألاَّ تَتَّخِذُوا﴾ بالتاء بمعنى: وآتينا موسى الكتاب بأن لا تتخذوا يا بني إسرائيل ﴿مِنْ دُونِي وَكِيلاً﴾. وقرأ ذلك بعض قرّاء البصرة: «ألاَّ يَتَّخِذُوا» بالياء على الخبر عن بني إسرائيل، بمعنى: وجعلناه هدى لبني إسرائيل، ألا يتّخذ بنو إسرائيل، من دوني وكيلاً، وهما قراءتان صحيحتا المعنى، متفقتان غير مختلفتين، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب، غير أني أوثر القراءة بالتاء، لأنها أشهر في القراءة وأشدّ استفاضة فيهم من القراءة بالياء. ومعنى الكلام: وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا حفيظاً لكم سواي. وقد بينا معنى الوكيل فيما مضى. وكان مجاهد يقول: معناه في هذا الموضع: الشريك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿ألاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً﴾ قال: شريكاً.

وكأن مجاهداً جعل إقامة من أقام شيئاً سوى الله مقامه شريكاً منه له، ووكيلاً للذي أقامه مقام الله. وبنحو الذي قلنا في تأويل هذه الآية، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وآتَيْنا مُوسَى الكِتابَ وَجَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إسْرَائِيلَ﴾ جعله الله لهم هدى، يخرجهم من الظلمات إلى النور، وجعله رحمة لهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ذريّة من حملنا مع نوح. وعنى بالذرية: جميع من احتجّ عليه جلّ ثناؤه بهذا القرآن من أجناس الأمم، عربهم وعجمهم من بني

إسرائيل وغيرهم، وذلك أنّ كلّ من على الأرض من بني آدم، فهم من ذرية من حمله الله مع نوح في السفينة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ**﴾ والناس كلهم ذرّية من أنجى الله في تلك السفينة وذُكر لنا أنه ما نجا فيها يومئذٍ غير نوح وثلاثة بنين له، وامرأته وثلاث نسوة، وهم: سام، وحام، ويافث فأما سام: فأبو العرب وأما حام: فأبو الحبش[١] وأما يافث: فأبو الروم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**ذَرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ**﴾ قال: بنوه ثلاثة ونساؤهم، ونوح وامرأته.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال مجاهد: بنوه ونساؤهم ونوح، ولم تكن امرأته.

وقد بيّنا في غير هذا الموضع فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

وقوله: ﴿**إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً**﴾ يعني بقوله تعالى ذكره: «إنه» إن نوحاً، والهاء من ذكر نوح، كان عبداً شكوراً لله على نعمه.

وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي سماه الله من أجله شكوراً، فقال بعضهم: سماه الله بذلك لأنه كان يحمد الله على طعامه إذا طعمه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى وعبد الرحمن بن مهدي، قالا: ثنا سفيان، عن التيمي، عن أبي عثمان، عن سلمان، قال: كان نوح إذا لبس ثوباً أو أكل طعاماً حمد الله، فسمّي عبداً شكوراً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى وعبد الرحمن، قالا: ثنا سفيان، عن أبي حصين، عن عبد الله بن سنان، عن سعيد بن مسعود بمثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو بكر، عن أبي حصين، عن عبد الله بن سنان، عن

(١) الحبش: ليسوا حاميين، وإنما هو فرع من الساميين جنساً ولغة. وأولاد حام هم الزنوج.

سعيد بن مسعود قال: ما لبس نوح جديداً قطّ، ولا أكل طعاماً قطّ إلا حمد الله فلذلك قال الله: ﴿عَبْداً شَكُوراً﴾.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: ثني سفيان الثوري، قال: ثني أيوب، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان، قال: إنما سمي نوح عبداً شكوراً أنه كان إذا لبس ثوباً حمد الله، وإذا أكل طعاماً حمد الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ﴾ من بني إسرائيل وغيرهم ﴿إنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً﴾ قال: إنه لم يجدّد ثوباً قطّ إلا حمد الله، ولم يبل ثوباً قطّ إلا حمد الله، وإذا شرب شربة حمد الله، قال: الحمد لله الذي سقانيها على شهوة ولذّة وصحة، وليس في تفسيرها، وإذا شرب شربة قال هذا، ولكن بلغني ذا.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو فضالة، عن النضر بن شفي، عن عمران بن سليم، قال: إنما سمّي نوح عبداً شكوراً أنه كان إذا أكل الطعام قال: الحمد لله الذي أطعمني، ولو شاء أجاعني وإذا شرب قال: الحمد لله الذي سقاني، ولو شاء أظمأني وإذا لبس ثوباً قال: الحمد لله الذي كساني، ولو شاء أعراني وإذا لبس نعلاً قال: الحمد لله الذي حذاني، ولو شاء أحفاني وإذا قضى حاجة قال: الحمد لله الذي أخرج عني أذاه، ولو شاء حبسه. وقال آخرون في ذلك بما.

حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني عبد الجبار بن عمر أن ابن أبي مريم حدّثه، قال: إنما سمى الله نوحاً عبداً شكوراً، أنه كان إذا خرج البراز منه قال: الحمد لله الذي سوّغنيك طيباً، وأخرج عني أذاك، وأبقى منفعتك. وقال آخرون في ذلك بما:

حدثنا به بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال الله لنوح ﴿إنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً﴾ ذكر لنا أنه لم يستجد ثوباً قطّ إلا حمد الله، وكان يأمر إذا استجدّ الرجل ثوباً أن يقول: الحمد لله الذي كساني ما أتجمّل به، وأواري به عورتي.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿إنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً﴾ قال: كان إذا لبس ثوباً قال: الحمد لله، وإذا أخلقه قال: الحمد لله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾.

وقد بيّنا فيما مضى قبل أن معنى القضاء: الفراغ من الشيء، ثم يستعمل في كلّ مفروغ منه، فتأويل الكلام في هذا الموضع: وفرغ ربك إلى بني إسرائيل فيما أنزل من كتابه على موسى صلوات الله وسلامه عليه بإعلامه إياهم، وإخباره لهم ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الأرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ يقول: لتعصنّ الله يا معشر بني إسرائيل ولتخالفنّ أمره في بلاده مرّتين ﴿وَلَتَعْلُنَّ عَلُوّاً كَبِيراً﴾ يقول: ولتستكبرنّ على الله باجترائكم عليه استكباراً شديداً. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿**وَقَضَينا إلى بَنِي إسْرَائِيلَ**﴾ قال: أعلمناهم.

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**وَقَضَينا إلى بَنِي إسْرَائِيلَ**﴾ يقُول: أعلمناهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: وقضينا على بني إسرائيل في أمّ الكتاب، وسابق علمه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿**وَقَضَينا إلى بَنِي إسْرَائِيلَ**﴾ قال: هو قضاء قضي عليهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَقَضَينا إلى بَنِي إسْرَائِيلَ**﴾ قضاء قضاه على القوم كما تسمعون.

وقال آخرون: معنى ذلك: أخبرنا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**وَقَضَينا إلى بَنِي إسْرَائِيلَ فِي الكِتابِ**﴾ قال: أخبرنا بني إسرائيل.

وكلّ هذه الأقوال تعود معانيها إلى ما قلت في معنى قوله: ﴿**وَقَضَينا**﴾ وإن كان الذي اخترنا من التأويل فيه أشبه بالصواب لإجماع القرّاء على قراءة قوله ﴿**لَتُفْسِدُنَّ**﴾ بالتاء دون الياء، ولو كان

معنى الكلام: وقضينا عليهم في الكتاب، لكانت القراءة بالياء أولى منها بالتاء، ولكن معناه لما كان أعلمناهم وأخبرناهم، وقلنا لهم، كانت التاء أشبه وأولى للمخاطبة. وكان فساد بني إسرائيل في الأرض المرّة الأولى ما:

حدثني به هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ في خبر ذكره عن أبي صالح، وعن أبي مالك، عن ابن عباس، وعن مرّة، عن عبد الله أن الله عهد إلى بني إسرائيل في التوراة ﴿**لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ**﴾ فكان أوّل الفسادين: قتل زكريا، فبعث الله عليهم ملك النبط، وكان يُدعى صحابين[1] فبعث الجنود، وكان أساورته من أهل فارس، فهم أولو بأس شديد، فتحصنت بنو إسرائيل، وخرج فيهم بختنصر يتيماً مسكيناً، إنما خرج يستطعم، وتلطف حتى دخل المدينة فأتى مجالسهم، فسمعهم يقولون: لو يعلم عدوّنا ما قُذف في قلوبنا من الرعب بذنوبنا ما أرادوا قتالنا، فخرج بختنصرحين سمع ذلك منهم، واشتدّ القيام على الجيش، فرجعوا، وذلك قول الله: ﴿**فإذَا جاء وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عباداً لَنا أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وكانَ وَعْداً مَفْعولاً**﴾ ثم إن بني إسرائيل تجهَّزوا، فغزوا النبط، فأصابوا منهم واستنقذوا ما في أيديهم، فذلك قول الله ﴿**ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيهِمْ وأمْدَدْناكُمْ بأمْوَالٍ وَبَنِينَ، وَجَعَلْناكُمْ أكْثَرَ نَفِيراً**﴾ يقول: عدداً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان إفسادهم الذي يفسدون في الأرض مرّتين: قتل زكريا ويحيى بن زكريا، سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكاً من ملوك فارس، من قتل زكريا، وسلّط عليهم بختنصر من قتل يحيى.

حدثنا عصام بن روّاد بن الجراح، قال: ثنا أبي، قال: ثنا سفيان بن سعيد الثوري، قال: ثنا منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش، قال: سمعت حُذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ بَنِي إسْرَائِيلَ لَمَّا اعْتَدَوْا وَعَلَوْا، وَقَتَلُوا الأنْبِياءَ، بَعَثَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مَلِكَ فارِسَ بُخْتَنَصَّر، وكانَ اللّهُ مَلَّكَهُ سَبْعَ مِئَةِ سَنَةٍ، فَسارَ إلَيْهِمْ حتى دَخَلَ بَيْتَ المَقْدِسِ فَحاصَرَهَا وَفَتَحَها، وَقَتَلَ على دَمِ زَكَرِيَّا سَبْعِينَ ألفاً، ثُمَّ سبى أهْلَها وَبَنِي الأنْبِياءِ، وَسَلَبَ حُليَّ بَيْتِ المَقْدِسِ، وَاسْتَخْرَجَ مِنْها سَبْعِينَ ألْفاً وَمِئَةَ ألْفِ عَجَلَةٍ مِنْ حُلِيَ حتى أوْرَدَهُ بابِلَ» قال حُذيفة: قلت: يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عظيماً عند الله؟ قال: «أجَلْ بَناهُ سُلَيْمانُ بْنُ دَاوُدَ مِنْ ذَهَبٍ وَدُرّ وَياقُوتٍ وَزَبَرْجَدٍ، وكانَ بَلاطُهُ بَلاطَةً مِنْ ذَهَبٍ وَبَلاطَةً مِنْ فِضَّةٍ، وعُمُدُهُ ذَهَباً، أعْطاهُ اللّهُ ذلكَ،

---

(١) في «تاريخ الطبري» (ج ٢ قسم أول ص ٦٥٧ طبعة أوربة) صيحانين، وفي بعض النسخ في هامشه: صحائين، وصيحابين، وسنحاريب، وفي ٦٥٦ منه: صيحون، وفي رواية بهامشه عدة صور للتكملة.

وسَخَّرَ لَهُ الشَّياطينَ يَأْتونَهُ بِهذِهِ الأشياءِ في طَرْفَةِ عَيْنٍ، فَسارَ بُخْتَنَصَّر بهذهِ الأشْياءِ حتى نَزَلَ بِها بابِلَ، فَأَقامَ بَنُو إسْرَائيلَ فِي يَدَيهِ مِئَةَ سَنَةٍ تُعَذّبُهُمُ المَجُوسُ وأبْناءُ المَجُوسِ، فِيهِمُ الأنْبِياءُ وأبْناءُ الأنبياءِ ثُمَّ إنَّ اللّهَ رَحِمَهُمْ، فأوْحَى إلى مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ فارِسَ يُقالُ لُهُ كُورَسُ، وكانَ مُؤْمِنا، أنْ سِرْ بَقايَا بَنِي إسْرَائِيلَ حتى تَسْتَنْقِذَهُمْ، فَسارَ كُورَسُ بِبَني إسْرَائِيل وحُليّ بَيْتِ المَقْدِسِ حتى رَدَّهُ إلَيْهِ، فَأقامَ بَنُو إسْرَائِيلَ مُطِيعينَ لِلّهِ مِئَةَ سَنَةٍ، ثُمَّ إنَّهُمْ عادُوا فِي المَعاصِي، فَسَلَّطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ ابْطِيانْحُوسَ[1]، فَغَزَا بِأَبْناءِ مَنْ غَزَا مَعَ بُخْتَنَصَّر، فَغَزَا بَنِي إسْرَائِيلَ حتى أتاهُمْ بَيْتَ المَقْدِسِ، فَسَبى أهْلَها، وأحْرَقَ بَيْتَ المَقْدِسِ، وَقالَ لَهُمْ: يا بَنِي إسْرَائِيلَ إنْ عُدْتُمْ فِي المَعاصِي عُدْنا عَلَيْكُمْ بالسِّباءِ، فَعادُوا فِي المَعاصِي، فَسَيَّرَ اللّهُ عَلَيْهِمُ السِّباءَ الثَّالِثَ مَلِكَ رُومِيَّةَ، يُقالُ لَهُ قاقِسُ بْنُ إسْبايُوس، فَغَزَاهُمْ فِي البَرّ والبَحْرِ، فَسَباهُمْ وَسَبَى حُلِيّ بَيْتِ المَقْدِسِ، وأحْرَقَ بَيْتَ المَقْدِسِ بالنِّيرانِ» فقال رسول الله ﷺ: «هذَا مِنْ صَنْعَةِ حُلِيّ بَيْتِ المَقْدِسِ، ويَرُدُّهُ المَهْدِيُّ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ، وَهُوَ ألْفُ سَفِينَةٍ وسَبْعُ مِئَةِ سَفِينَةٍ، يُرْسَى بِها عَلى يافا حتى تُنْقَلَ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ، وبِها يَجْمَعُ اللّهُ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، قال: كان مما أنزل الله على موسى في خبره عن بني إسرائيل، وفي أحداثهم ما هم فاعلون بعده، فقال: **﴿وَقَضَينا إلى بَنِي إسْرَائِيلَ فِي الكتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأرْضِ مَرَّتَينِ، وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً...﴾** إلى قوله: **﴿وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً﴾** فكانت بنو إسرائيل، وفيهم الأحداث والذنوب، وكان الله في ذلك متجاوزاً عنهم، متعطفاً عليهم محسناً إليهم، فكان مما أُنزل بهم في ذنوبهم ما كان قدَّم إليهم في الخبر على لسان موسى مما أنزل بهم في ذنوبهم. فكان أول ما أنزل بهم من تلك الوقائع، أن ملكاً منهم كان يُدعى صديقة، وكان الله إذا ملَّك الملِك عليهم، بعث نبياً يسدّده ويرشده، ويكون فيما بينه وبين الله، ويحدث إليه في أمرهم، لا ينزل عليهم الكتب، إنما يؤمرون باتباع التوراة والأحكام التي فيها، وينهونهم عن المعصية، ويدعونهم إلى ما تركوا من الطاعة فلما ملك ذلك الملك، بعث الله معه شعياء أَمُصيا[2]، وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى وشعياء الذي بشّر بعيسى ومحمد، فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الأحداث، وشعياء معه، بعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل، ومعه ستّ مئة ألف راية، فأقبل سائراً حتى نزل نحو بيت المقدس، والملك مريض في ساقه قرحة، فجاء النبيّ شعياء،

(١) في «**الدر المنثور**» للسيوطي (٤/ ١٦٥) أبطنا نحوس.

(٢) اسمه في الكتاب المقدس: إشعياء بن آموص. وانظر خبر النبي شعياء في «**تاريخ الطبري**» (٢ قسم أول ٦٣٨) طبعة أوربية.

فقال له: يا ملك بني إسرائيل إن سنحاريب ملك بابل، قد نزل بك هو وجنوده ستّ مئة ألف راية، وقد هابهم الناس وفرّقوا منهم، فكبر ذلك على الملك، فقال: يا نبيّ الله هل أتاك وحي من الله فيما حدث، فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنحاريب وجنوده؟ فقال له النبيّ عليه السلام: لم يأتني وحي أحدث إليّ في شأنك. فبيناهم على ذلك، أوحى الله إلى شعياء النبيّ: أن ائت ملك بني إسرائيل، فمره أن يوصي وصيته، ويستخلف على ملكه من شاء من أهل بيته. فأتى النبيّ شيعاء ملك بني إسرائيل صديقة، فقال له: إن ربك قد أوحى إليّ أن آمرك أن توصي وصيتك، وتستخلف من شئت على مُلكك من أهل بيتك، فإنك ميت فلما قال ذلك شعياء لصديقة، أقبل على القبلة، فصلى وسبح ودعا وبكى، فقال وهو يبكي ويتضرّع إلى الله بقلب مخلص وتوكل وصبر وصدق وظنّ صادق. اللهمّ ربّ الأرباب، وإله الآلهة، قدُّوس المتقدسين، يا رحمن يا رحيم، المترحم الرؤوف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، اذكرني بعملي وفعلي وحُسن قضائي على بني إسرائيل وذلك كله كان منك، فأنت أعلم به من نفسي سرّي وعلانيتي لك وإن الرحمن استجاب له، وكان عبداً صالحاً، فأوحى الله إلى شعياء أن يخبر صديقة الملك أن ربه قد استجاب له وقبل منه ورحمه، وقد رأى بكاءه، وقد أخَّر أجله خمس عشرة سنة، وأنجاه من عدوّه سنحاريب ملك بابل وجنوده، فأتى شعياء النبيّ إلى ذلك الملك فأخبره بذلك، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع، وانقطع عنه الشرّ والحزن، وخرّ ساجداً وقال: يا إلهي وإله آبائي، لك سجدت وسبَّحت وكرمت وعظمت، أنت الذي تعطي المُلك من تشاء، وتنزعه ممن تشاء، وتعزّ من تشاء، وتذلّ من تشاء، عالم الغيب والشهادة، أنت الأوّل والآخر، والظاهر والباطن، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرّين، أنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرّعي فلما رفع رأسه، أوحى الله إلى شعياء أن قل للملك صديقة فيأمر عبداً من عبيده بالتينة، فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى، ويصبح وقد برأ، ففعل ذلك فشفي. وقال الملك لشعياء النبيّ: سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعدوّنا هذا. قال: فقال الله لشعياء النبيّ: قل له: إني قد كفيتك عدوّك، وأنجيتك منه، وإنهم سيصبحون موتى كلهم إلاَّ سنحاريب وخمسة من كتابه فلما أصبحوا جاءهم صارخ ينبئهم، فصرخ على باب المدينة: يا ملك بني إسرائيل، إن الله قد كفاك عدوّك فاخرج، فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك التمس سنحاريب، فلم يُوجد في الموتى، فبعث الملك في طلبه، فأدركه الطلب في مغارة وخمسة من كتابه، أحدهم بختنصر، فجعلوهم في الجوامع، ثم أتوا بهم ملك بني إسرائيل فلما رآهم خرّ ساجداً من حين طلعت الشمس حتى كانت العصر، ثم قال لسنحاريب: كيف ترى فعل ربنا بكم؟ ألم يقتلكم بحوله وقوّته، ونحن وأنتم غافلون؟ فقال سنحاريب له: قد أتاني خبر ربكم، ونصره إياكم، ورحمته التي رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي، فلم أطع مرشداً، ولم يلقني في الشقوة إلاّ قلة عقلي،

ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم، ولكن الشقوة غلبت عليّ وعلى من معي، فقال ملك بني إسرائيل: الحمد لله ربّ العزّة الذي كفاناكم بما شاء، إن ربنا لم يُبقك ومن معك لكرامة بك عليه، ولكنه إنما أبقاك ومن معك لما هو شرّ لك، لتزدادوا شقوة في الدنيا، وعذاباً في الآخرة، ولتخبروا من وراءكم بما لقيتم من فعل ربنا، ولتنذر من بعدكم، ولولا ذلك ما أبقاكم، فلدمُك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلته. ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير حرسه، فقذف في رقابهم الجوامع، وطاف بهم سبعين يوماً حول بيت المقدس إيليا، وكان يرزقهم في كلّ يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم، فقال سنحاريب لملك بني إسرائيل: القتل خير مما يفعل بنا، فافعل ما أمرت فنقل بهم الملك إلى سجن القتل، فأوحى الله إلى شعياء النبيّ أن قل لملك بني إسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم، وليكرمهم ويحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلّغ النبيّ شعياء الملك ذلك، ففعل، فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده، فقال له كهّانه وسحرته: يا ملك بابل قد كنا نقصّ عليك خبر ربهم وخبر نبيهم، ووحي الله إلى نبيهم، فلم تطعنا، وهي أمّة لا يستطيعها أحد مع ربهم، فكان أمر سنحاريب مما خوّفوا، ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة، ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين، ثم مات.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما مات سنحاريب استخلف بختنصر ابن ابنه على ما كان عليه جدّه يعمل بعمله، ويقضي بقضائه، فلبث سبع عشرة سنة. ثم قبض الله ملك بني إسرائيل صديقة فمرج أمر بني إسرائيل وتنافسوا المُلك، حتى قتل بعضهم بعضاً عليه، ونبيهم شعياء معهم لا يذعنون إليه، ولا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك، قال الله فيما بلغنا لشعياء: قم في قومك أُوحِ على لسانك فلما قام النبيّ أنطق الله لسانه بالوحي فقال: يا سماء استمعي، ويا أرض أنصتي، فإن الله يريد أن يقصّ شأن بني إسرائيل الذين رباهم بنعمته، واصطفاهم لنفسه، وخصّهم بكرامته، وفضّلهم على عباده، وفضلهم بالكرامة، وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها، فآوى شاردتها، وجمع ضالتها، وجبر كسيرها، وداوى مريضها، وأسمن مهزولها، وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت، فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضاً، حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر إليه آخر كسير، فويل لهذه الأمة الخاطئة، وويل لهؤلاء القوم الخاطئين الذين لا يدرون أين جاءهم الحين. إن البعير ربما يذكر وطنه فينتابه، وإن الحمار ربما يذكر الآريّ الذي شبع عليه فيراجعه، وإن الثور ربما يذكر المرج الذي سمن فيه فينتابه، وإن هؤلاء القوم لا يدرون من حيث جاءهم الحين، وهم أولو الألباب والعقول، ليسوا ببقر ولا حمير وإني ضارب لهم مثلاً فليسمعوه: قل لهم: كيف ترون في أرض كانت خواء زماناً، خربة مواتاً لا

عمران فيها، وكان لها ربّ حكيم قويّ، فأقبل عليها بالعمارة، وكره أن تخرب أرضه وهو قويّ، أو يقال ضيع وهو حكيم، فأحاط عليها جداراً، وشيَّد فيها قصراً، وأنبط فيها نهراً، وصفّ فيها غراساً من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب، وألوان الثمار كلها، وولى ذلك واستحفظه قيماً ذا رأي وهمّة، حفيظاً قوياً أميناً، وتأنى طلعها وانتظرها فلما أطلعت جاء طلعها خروباً، قالوا: بئست الأرض هذه، نرى أن يهدم جدرانها وقصرها، ويدفن نهرها، ويقبض قيّمها، ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أوّل مرّة، خربة مواتاً لا عمران فيها. قال الله لهم: فإن الجدار ذمتي، وإن القصر شريعتي، وإن النهر كتابي، وإن القَيِّمَ نبيي، وإن الغراس هم، وإن الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة، وإني قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم، وإنه مَثَلٌ ضربه الله لهم يتقرّبون إليّ بذبح البقر والغنم، وليس ينالني اللحم ولا آكله، ويدّعون أن يتقرّبوا بالتقوى والكفّ عن ذبح الأنفس التي حرمتها، فأيديهم مخضوبة منها، وثيابهم متزملة بدمائها، يشيدون لي البيوت مساجد، ويطهرون أجوافها، وينجسون قلوبهم وأجسامهم ويدنسونها، ويزوّقون لي البيوت والمساجد ويزينونها، ويخرّبون عقولهم وأحلامهم ويفسدونها، فأيّ حاجة لي إلى تشييد البيوت ولست أسكنها، وأيّ حاجة إلى تزويق المساجد ولست أدخلها، إنما أمرت برفعها لأذكر فيها وأسبح فيها، ولتكون معلماً لمن أراد أن يصلي فيها، يقولون: لو كان الله يقدر على أن يجمع ألفتنا لجمعها، ولو كان الله يقدر على أن يفقّه قلوبنا لأفقهها، فاعمد إلى عودين يابسين، ثم ائت بهما ناديهما في أجمع ما يكونون، فقل للعودين: إن الله يأمركما أن تكونا عوداً واحداً فلما قال لهما ذلك، اختلطا فصارا واحداً، فقال الله: قل لهم: إني قدرت على ألفة العيدان اليابسة وعلى أن أولِّف بينها، فكيف لا أقدر على أن أجمع ألفتهم إن شئت، أم كيف لا أقدر على أن أفقّه قلوبهم، وأنا الذي صوّرتها يقولون: صمنا فلم يرفع صيامنا، وصلّينا فلم تنوّر صلاتنا، وتصدّقنا فلم تزكّ صدقاتنا، ودعونا بمثل حنين الحمام، وبكينا بمثل عواء الذئب، في كلّ ذلك لا نسمع، ولا يُستجاب لنا قال الله: فسلهم ما الذي يمنعني أن أستجيب لهم، ألست أسمع السامعين، وأبصر الناظرين، وأقرب المجيبين، وأرحم الراحمين؟ ألأنّ ذات يدي قلت كيف ويداي مبسوطتان بالخير، أنفق كيف أشاء، ومفاتيح الخزائن عندي لا يفتحها ولا يغلقها غيري ألا وإن رحمتي وسعت كلّ شيء، إنما يتراحم المتراحمون بفضلها أو لأن البخل يعتريني أو لست أكرم الأكرمين والفتاح بالخيرات، أجود من أعطى، وأكرم من سُئل لو أنّ هؤلاء القوم نظروا لأنفسهم بالحكمة التي نوّرت في قلوبهم فنبذوها، واشتروا بها الدنيا، إذن لأبصروا من حيث أتوا، وإذن لأيقنوا أن أنفسهم هي أعدى العداة لهم، فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور، ويتقوّون عليه بطعمة الحرام؟ وكيف أنوّر صلاتهم، وقلوبهم صاغية إلى من يحاربني ويحادّني، وينتهك محارمي؟ أم كيف تزكو عندي صدقاتهم وهم يتصدّقون بأموال غيرهم؟ وإنما أوجر عليها أهلها

المغصوبين أم كيف أستجيب لهم دعاءهم وإنما هو قول بألسنتهم والفعل من ذلك بعيد؟ وإنما أستجيب للداعي اللين، وإنما أسمع من قول المستضعف المسكين، وإن من علامة رضاي رضا المساكين فلو رحموا المساكين، وقرّبوا الضعفاء، وأنصفوا المظلوم، ونصروا المغصوب، وعدلوا للغائب، وأدّوا إلى الأرملة واليتيم والمسكين، وكلّ ذي حقّ حقه، ثم لو كان ينبغي أن أكلم البشر إذن لكلمتهم، وإذن لكنت نور أبصارهم، وسمع آذانهم، ومعقول قلوبهم، وإذن لدعمت أركانهم، فكنت قوّة أيديهم وأرجلهم، وإذن لثبّتُ ألسنتهم وعقولهم. يقولون لمّا سمعوا كلامي، وبلغتهم رسالاتي بأنها أقاويل منقولة، وأحاديث متوارثة، وتآليف مما تؤلف السحرة والكهنة، وزعموا أنهم لو شاءوا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا، وأن يطلعوا على الغيب بما توحي إليهم الشياطين طلعوا، وكلهم يستخفي بالذي يقول ويسرّ، وهم يعلمون أني أعلم غيب السموات والأرض، وأعلم ما يبدون وما يكتمون وإني قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء أثبته على نفسي، وجعلت دونه أجلاً مؤجلاً، لا بدّ أنه واقع، فإن صدقوا بما ينتحلون من علم الغيب، فليخبروك متى أنفذه، أو في أيّ زمان يكون، وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاءون، فليأتوا بمثل القُدرة التي بها أمضيت، فإني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وإن كانوا يقدرون على أن يقولوا ما يشاءون فليؤلّفوا مثل الحكمة التي أدبر بها أمر ذلك القضاء إن كانوا صادقين، فإني قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض أن أجعل النبوّة في الأُجراء، وأن أحوّل الملك في الرعاء، والعزّ في الأذلاء، والقوّة في الضعفاء، والغنى في الفقراء، والثروة في الأقلاء، والمدائن في الفلوات، والآجام في المفاوز، والبردى في الغيطان، والعلم في الجهلة، والحكم في الأميين، فسلهم متى هذا، ومن القائم بهذا، وعلى يد من أسنه، ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون فإني باعث لذلك نبياً أمّياً، ليس أعمى من عميان، ولا ضالاً من ضالّين، وليس بفظّ ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، ولا متزين بالفُحش، ولا قوّال للخنا، أسدده لكل جميل، أهب له كلّ خلق كريم، أجعل السكينة لباسه، والبرّ شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة معقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والعرف خلقه والعدل والمعروف سيرته، والحقّ شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملّته، وأحمد اسمه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخمالة، وأشهر به بعد النكرة، وأكثر به بعد القلّة، وأغني به بعد العيلة، وأجمع به بعد الفُرقة، وأؤلّف به قلوباً مختلفة، وأهواء مشتتة، وأمماً متفرّقة، وأجعل أمته خير أمّة أُخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، توحيداً لي، وإيماناً وإخلاصاً بي، يصلون لي قياماً وقعوداً، وركوعاً وسجوداً، يُقاتلون في سبيلي صفوفاً وزحوفاً، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضواني، ألهمهم التكبير والتوحيد، والتسبيح والحمد والمدحة، والتمجيد لي في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم، يكبرون ويهلّلون، ويقدّسون على رؤوس

الأسواق، ويطهرون لي الوجوه والأطراف، ويعقدون الثياب في الأنصاف، قربانهم دماؤهم، وأناجيلهم صدورهم، رهبان بالليل، ليوث بالنهار، ذلك فضلي أوتيه من أشاء، وأنا ذو الفضل العظيم. فلما فرغ نبيهم شعياء إليهم من مقالته، عدوا عليه فيما بلغني ليقتلوه، فهرب منهم، فلقيته شجرة، فانفلقت فدخل فيها، وأدركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إياها، فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها، وقطعوه في وسطها.

قال أبو جعفر: فعلى القول الذي ذكرنا عن ابن عباس من رواية السديّ، وقول ابن زيد، كان إفساد بني إسرائيل في الأرض المرّة الأولى قتلهم زكريا نبيّ الله، مع ما كان سلف منهم قبل ذلك وبعده، إلى أن بعث الله عليهم من أحلّ على يده بهم نقمته من معاصي الله، وعتوّهم على ربهم. وأما على قول ابن إسحاق الذي روينا عنه، فكان إفسادهم المرّة الأولى ما وصف من قتلهم شعياء بن أمصيا نبيّ الله. وذكر ابن إسحاق أن بعض أهل العلم أخبره أن زكريا مات موتاً ولم يُقتل، وأن المقتول إنما هو شعياء، وأن بختنصر هو الذي سُلّط على بني إسرائيل في المرّة الأولى بعد قتلهم شعياء. حدثنا بذلك ابن حميد، عن سلمة عنه.

وأما إفسادهم في الأرض المرّة الآخرة، فلا اختلاف بين أهل العلم أنه كان قتلهم يحيى بن زكريا. وقد اختلفوا في الذي سلّطه الله عليهم منتقماً به منهم عند ذلك، وأنا ذاكر اختلافهم في ذلك إن شاء الله.

وأما قوله: ﴿**وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً**﴾ فقد ذكرنا قول من قال: يعني به: استكبارهم على الله بالجراءة عليه، وخلافهم أمره. وكان مجاهد يقول في ذلك ما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً**﴾ قال: ولتعلنّ الناس علواً كبيراً.

حدثنا الحارث، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

وأما قوله: ﴿**فإذَا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما**﴾ يعني: فإذا جاء وعد أولى المرّتين اللتين يفسدون بهما في الأرض كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فإذَا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما**﴾ قال: إذا جاء وعد أولى تينك المرّتين اللتين قضينا إلى بني إسرائيل ﴿**لَتُفْسِدُنَّ فِي الأرْضِ مَرَّتَيْنِ**﴾.

وقوله: ﴿**بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدّيارِ، وكانَ وَعْداً مَفْعُولاً**﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**بَعَثْنا عَلَيْكُمْ**﴾ وجَّهنا إليكم، وأرسلنا عليكم ﴿**عِباداً لَنا أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾ يقول: ذوي بطش في الحروب شديد. وقوله: ﴿**فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ، وكانَ وَعداً مَفْعُولاً**﴾ يقول: فتردّدوا بين الدور والمساكن، وذهبوا وجاءوا. يقال فيه: جاس القوم بين الديار وحاسوا بمعنى واحد، وجست أنا أجوس جوساً وجوساناً. وبنحو الذي قلنا في ذلك، رُوي الخبر عن ابن عباس:

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿**فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ**﴾ قال: مشوا.

وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول: معنى جاسوا: قتلوا، ويستشهد لقوله ذلك ببيت حسان:

وَمِنَّا الَّذِي لاقَى بِسَيْفِ مُحَمَّدٍ فَجاسَ بِهِ الأَعْدَاءَ عُرْضَ العَساكِرِ[(١)]

وجائز أن يكون معناه: فجاسوا خلال الديار، فقتلوهم ذاهبين وجائين، فيصحّ التأويلان جميعاً. ويعني بقوله: ﴿**وكانَ وَعْداً مَفْعُولاً**﴾ وكان جوس القوم الذين نبعث عليهم خلال ديارهم وعداً من الله لهم مفعولاً ذلك لا محالة، لأنه لا يخلف الميعاد.

ثم اختلف أهل التأويل في الذين عنى الله بقوله: ﴿**أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾ فيما كان من فعلهم في المرّة الأولى في بني إسرائيل حين بعثوا عليهم، ومن الذين بعث عليهم في المرّة الآخرة، وما كان من صنعهم بهم، فقال بعضهم: كان الذي بعث الله عليهم في المرّة الأولى جالوت، وهو من أهل الجزيرة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فَإِذَا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ، وكانَ وَعْداً مَفْعُولاً**﴾ قال: بعث الله عليهم جالوت، فجاس خلال ديارهم، وضرب عليهم الخراج والذلّ، فسألوا الله أن يبعث لهم ملكاً يُقاتلون في سبيل الله، فبعث الله طالوت، فقاتلوا جالوت، فنصر الله بني إسرائيل، وقُتل جالوت بيدي داود، ورجع الله إلى بني إسرائيل ملكهم.

---

(١) البيت شاهد على أن جاس، معناه: قتل. وقال في «**اللسان**»: جوس الجوس: مصدر جاس جوساً وجوساناً: تردد وفي التنزيل العزيز: «فجاسوا خلال الديار»: أي ترددوا بينها للغارة. وقال الفراء: قتلوكم بين بيوتكم. قال: وجاسوا وحاسوا بمعنى واحد: يذهبون ويجيئون. وقال الزجاج: «فجاسوا خلال الديار» فطافوا في خلال الديار، ينظرون: هل بقي أحد لم يقتلوه؟ وفي «**الصحاح**»: «فجاسوا خلال الديار»: أي تخللوها فطلبوا ما فيها، كما يجوس الرجل الأخبار: أي يطلبها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿فإذَا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ، فجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ، وكانَ وَعْداً مَفْعُولاً﴾** قضاء قضى الله على القوم كما تسمعون، فبعث عليهم في الأولى جالوت الجزري، فسبى وقتل، وجاسوا خلال الديار كما قال الله، ثم رجع القوم على دخن فيهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: أما المرّة الأولى فسلّط الله عليهم جالوت، حتى بعث طالوت ومعه داود، فقتله داود.

وقال آخرون: بل بعث عليهم في المرّة الأولى سنحاريب، وقد ذكرنا بعض قائلي ذلك فيما مضى ونذكر ما حضرنا ذكره ممن لم نذكره قبل.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن أبي المعلى، قال: سمعت سعيد بن جبير، يقول في قوله: **﴿بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾** قال: بعث الله تبارك وتعالى عليهم في المرّة الأولى سنحاريب من أهل أشور ونينوى فسألت سعيداً عنها، فزعم أنها الموصل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج عن ابن جريج، قال: ثني يعلى بن مسلم بن سعيد بن جبير، أنه سمعه يقول: كان رجل من بني إسرائيل يقرأ، حتى إذا بلغ **﴿بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾** بكى وفاضت عيناه، وطبق المصحف، فقال ذلك ما شاء الله من الزمان، ثم قال: أي ربّ أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني إسرائيل على يديه، فأُري في المنام مسكيناً ببابل، يقال له بختنصر، فانطلق بمال وأعبد له، وكان رجلاً موسراً، فقيل له أين تريد؟ قال: أريد التجارة، حتى نزل داراً ببابل، فاستكراها ليس فيها أحد غيره، فجعل يدعو المساكين ويلطف[1] بهم حتى لم يبق أحد، فقال: هل بقي مسكين غيركم؟ قالوا: نعم، مسكين بفجّ آل فلان مريض يقال له بختنصر، فقال لغلمته: انطلقوا، حتى أتاه، فقال: ما اسمك؟ قال: بختنصر، فقال لغلمته: احتملوه، فنقله إليه ومرّضه حتى برأ، فكساه وأعطاه نفقة، ثم آذن الإسرائيلي بالرحيل، فبكى بختنصر، فقال الإسرائيلي: ما يبكيك؟ قال: أبكي أنك فعلت بي ما فعلت، ولا أجد شيئاً أجزيك، قال: بلى شيئاً يسيراً، إن ملكت أطعتني فجعل الآخر يتبعه ويقول: تستهزىء بي؟ ولا يمنعه أن يعطيه ما سأله، إلاّ أنه يرى أنه يستهزىء به، فبكى الإسرائيلي وقال: ولقد علمت ما يمنعك أن تعطيني ما سألتك، إلاّ أن الله يريد أن ينفذ ما قد

(١) في «عرائس المجالس» للثعلبي: ويتلطف بهم، حتى لا يأتيه أحد مسكين إلا أعطاه.

قضاه وكتب في كتابه وضرب الدهر من ضربه فقال يوماً صيحون، وهو ملك فارس ببابل: لو أنا بعثنا طليعة إلى الشام قالوا: وما ضرّك لو فعلت؟ قال: فمن ترون؟ قالوا: فلان، فبعث رجلاً وأعطاه مئة ألف، وخرج بختنصر في مطبخه، لم يخرج إلاّ ليأكل في مطبخه فلما قدم الشام ورأى صاحب الطليعة أكثر أرض الله فرساً ورجلاً جلداً، فكسر ذلك في ذرعه، فلم يسأل[(١)]، قال: فجعل بختنصر يجلس مجالس أهل الشام فيقول: ما يمنعكم أن تغزوا بابل، فلو غزوتموها ما دون بيت مالها شيء، قالوا: لا نُحسن القتال، قال: فلو أنكم غزوتم، قالوا: إنا لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى أنفذ مجالس أهل الشام، ثم رجعوا فأخبر الطليعة ملكهم بما رأى، وجعل بختنصر يقول لفوارس الملك: لو دعاني الملك لأخبرته غير ما أخبره فلان فرُفع ذلك إليه، فدعاه فأخبره الخبر وقال: إن فلاناً لما رأى أكثر أرض الله فرساً ورجلاً جلداً، كبر ذلك في روعه ولم يسألهم عن شيء، وإني لم أدع مجلساً بالشام إلاّ جالست أهله، فقلت لهم كذا وكذا، وقالوا لي كذا وكذا، الذي ذكر سعيد بن جبير أنه قال لهم، قال الطليعة لبختنصر: إنك فضحتني[(٢)] لك مئة ألف وتنزع عما قلت، قال: لو أعطيتني بيت مال بابل ما نزعت، ضرب الدهر من ضربه فقال الملك: لو بعثنا جريدة خيل إلى الشام، فإن وجدوا مساغاً ساغوا، وإلاّ انثنوا ما قدروا عليه، قالوا: ما ضرّك لو فعلت؟ قال: فمن ترون؟ قالوا: فلان، قال: بل الرجل الذي أخبرني ما أخبرني، فدعا بختنصر وأرسله، وانتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم، فانطلقوا فجاسوا خلال الديار، فسبوا ما شاء الله ولم يخربوا ولم يقتلوا. ومات صيحون الملك[(٣)] قالوا: استخلفوا رجلاً، قالوا: على رسلكم حتى تأتي أصحابكم فإنهم فرسانكم، لن ينقضوا عليكم شيئاً، أمهلوا فأمهلوا حتى جاء بختنصر بالسبي وما معه، فقسمه في الناس، فقالوا: ما رأينا أحداً أحق بالملك من هذا، فملّكوه.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: ظهر بختنصر على الشام، فخرّب بيت المقدس وقتلهم، ثم أتى دمشق، فوجد بها دماً يغلي على كبا: أي كناسة، فسألهم ما هذا الدم؟ قالوا: أدركنا آباءنا على هذا وكلما ظهر عليه الكبا ظهر، قال: فقتل على ذلك الدم سبعين ألفاً من المسلمين وغيرهم، فسكن.

وقال آخرون: يعني بذلك قوماً من أهل فارس، قالوا: ولم يكن في المرّة الأولى قتال.

---

(١) في «عرائس المجالس» للثعلبي: فلم يسألهم عن شيء.

(٢) كذا في «تاريخ الطبري» طبع أوربة. وفي الأصل: إن صحبتني تحريف.

(٣) كذا في «عرائس المجالس» للثعلبي (ص ـ ٣٣٦) طبعة الحلبي، وفي الأصل: ورمى في جنازة صحوراً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**فإذَا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خلالَ الدّيارِ**﴾ قال: من جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم، ويسمعون حديثهم، معهم بختنصر، فوعى أحاديثهم من بين أصحابه، ثم رجعت فارس ولم يكن قتال، ونُصرت عليهم بنو إسرائيل، فهذا وعد الأولى.

حدثني الحرث، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾ جند جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم، ثم ذكر نحوه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿**فإذَا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾ قال: ذلك أي من جاءهم من فارس، ثم ذكر نحوه.

القول في تاويل قوله تعالى

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم أدلناكم يا بني إسرائيل على هؤلاء القوم الذين وصفهم جلّ ثناؤه أنه يبعثهم عليهم، وكانت تلك الإدالة والكرّة لهم عليهم، فيما ذكر السديّ في خبره أن بني إسرائيل غزوهم، وأصابوا منهم، واستنقذوا ما في أيديهم منهم. وفي قول آخرين: إطلاق الملك الذي غزاهم ما في يديه من أسراهم، وردّ ما كان أصاب من أموالهم عليهم من غير قتال. وفي قول ابن عباس الذي رواه عطية عنه هي إدالة الله إياهم من عدوّهم جالوت حتى قتلوه، وقد ذكرنا كلّ ذلك بأسانيده فيما مضى ﴿**وأمْدَدْناكُمْ بأمْوَالٍ وبَنِينَ**﴾ يقول: وزدنا فيما أعطيناكم من الأموال والبنين.

وقوله: ﴿**وَجَعَلْناكُمْ أكْثَرَ نَفِيراً**﴾ يقول: وصيرناكم أكثر عدَدَ نافرٍ منهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله﴿**وَجَعَلْناكُمْ أكْثَرَ نَفِيراً**﴾: أي عدداً، وذلك في زمن داود.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَجَعَلْناكُمْ أكْثَرَ نَفِيراً﴾ يقول: عدداً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ لبني إسرائيل، بعد أن كانت الهزيمة، وانصرف الآخرون عنهم ﴿وَجَعَلْناكُمْ أكْثَرَ نَفِيراً﴾ قال: جعلناكم بعد هذا أكثر عدداً.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور عن معمر، عن قتادة ﴿ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ ثم رددت الكرّة لبني إسرائيل.

حدثني محمد بن سنان القزّاز، قال: ثنا أبو عاصم، عن سفيان، في قوله: ﴿وأمْدَدْناكُمْ بأمْوَال وبَنِينَ﴾ قال: أربعة آلاف.

القول في تاويل قوله تعالى

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لبني إسرائيل فيما قضى إليهم في التوراة: ﴿إنْ أحْسَنْتُمْ﴾ يا بني إسرائيل، فأطعتم الله وأصلحتم أمركم، ولزمتم أمره ونهيه ﴿أحْسَنْتُمْ﴾ وفعلتم ما فعلتم من ذلك ﴿لأنْفُسِكُمْ﴾ لأنكم إنما تنفعون بفعلتكم ما تفعلون من ذلك أنفسكم في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فإن الله يدفع عنكم من بغاكم سوءاً، وينمي لكم أموالكم، ويزيدكم إلى قوّتكم قوّة. وأما في الآخرة فإن الله تعالى يثيبكم به جنانه ﴿وإنْ أسأْتُمْ﴾ يقول: وإن عصيتم الله وركبتم ما نهاكم عنه حينئذٍ، فإلى أنفسكم تسيئون، لأنكم تسخطون بذلك على أنفسكم ربكم، فيسلط عليكم في الدنيا عدوّكم، ويمكّن منكم من بغاكم سوءاً، ويخلدكم في الآخرة في العذاب المهين. وقال جلّ ثناؤه ﴿وَإنْ أسأْتُمْ فلها﴾ والمعنى: فإليها كما قال﴿بأنَّ رَبَّكَ أوْحى لَها﴾ والمعنى: أوحى إليها.

وقوله: ﴿فإذَا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ﴾ يقول: فإذا جاء وعد المرّة الآخرة من مرّتي إفسادكم يا بني إسرائيل في الأرض ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ يقول: ليسوء مجيء ذلك الوعد للمرّة الآخرة وجوهكم فيقبّحها.

وقد اختلف القرّاء في قراءة قوله ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ فقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل المدينة والبصرة ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ بمعنى: ليسوء العباد أولو البأس الشديد الذين يبعثهم الله عليكم وجوهكم، واستشهد قارئو ذلك لصحة قراءتهم كذلك بقوله ﴿وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ﴾ وقالوا: ذلك

خبر عن الجميع فكذلك الواجب أن يكون قوله ﴿لِيَسُوءُوا﴾. وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة: «لِيَسُوءَ وُجُوهَكُمْ» على التوحيد وبالياء. وقد يحتمل ذلك وجهين من التأويل أحدهما ما قد ذكرت، والآخر منهما: ليسوء الله وجوهكم. فمن وجَّه تأويل ذلك إلى ليسوء مجيء الوعد وجوهَكم، جعل جواب قوله «فإذا» محذوفاً، وقد استغني بما ظهر عنه، وذلك المحذوف «جاء»، فيكون الكلام تأويله: فإذا جاء وعد الآخرة ليسوء وجوهكم جاء. ومن وجَّهَ تأويله إلى: ليسوء الله وجوهكم، كان أيضاً في الكلام محذوف، قد استغني هنا عنه بما قد ظهر منه، غير أن ذلك المحذوف سوى «جاء»، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ليسوء الله وجوهكم، فيكون المضمر بعثناهم، وذلك جواب «إذا» حينئذٍ. وقرأ ذلك بعض أهل العربية من الكوفيين: «لِنَسُوءَ وُجُوهَكُمْ» على وجه الخبر من الله تبارك وتعالى اسمه عن نفسه.

وكان مجيء وعد المرّة الآخرة عند قتلهم يحيى. ذكر الرواية بذلك، والخبر عما جاءهم من عند الله حينئذٍ كما:

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ في الحديث الذي ذكرنا إسناده قبل أن رجلاً من بني إسرائيل رأى في النوم أن خراب بيت المقدس وهلاك بني إسرائيل على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل، يدعى بختنصر، وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم، فأقبل فسأل عنه حتى نزل على أمه وهو يحتطب، فلما جاء وعلى رأسه حزمة من حطب ألقاها، ثم قعد في جانب البيت فضمه، ثم أعطاه ثلاثة دراهم، فقال: اشتر لنا بها طعاماً وشراباً، فاشترى بدرهم لحماً وبدرهم خبزاً وبدرهم خمراً، فأكلوا وشربوا حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به ذلك، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل ذلك، ثم قال له: إني أُحبّ أن تكتب لي أماناً إن أنت ملكت يوماً من الدهر، فقال: أتسخر بي؟ فقال: إني لا أسخر بك، ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندي يداً، فكلمته أمه، فقالت: وما عليك إن كان ذلك وإلاّ لم ينقصك شيئاً، فكتب له أماناً، فقال له: أرأيت إن جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك، فاجعل لي آية تعرفني بها قال: نرفع صحيفتك على قصبة أعرفك بها، فكساه وأعطاه. ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا، ويدني مجلسه، ويستشيره في أمره، ولا يقطع أمراً دونه، وأنه هوى أن يتزوّج ابنة امرأة له، فسأل يحيى عن ذلك، فنهاه عن نكاحها وقال: لست أرضاها لك، فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوّج ابنتها، فعمدت أمّ الجارية حين جلس الملك على شرابه، فألبستها ثياباً رقاقاً حمراً، وطيَّبتها وألبستها من الحُليّ، وقيل: إنها ألبستها فوق ذلك كساء أسود، وأرسلتها إلى الملك، وأمرتها أن تسقيه، وأن تعرض له نفسها، فإن أرادها على نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته، فإذا أعطاها ذلك سألته أن يأتي برأس يحيى بن زكريا في طست، ففعلت، فجعلت تسقيه وتعرض له نفسها فلما أخذ فيه الشراب أرادها على نفسها، فقالت: لا أفعل حتى

تعطيني ما أسألك، فقال: ما الذي تسأليني؟ قالت: أسألك أن تبعث إلى يحيى بن زكريا، فأوتَى برأسه في هذا الطست، فقال: ويحك سليني غير هذا، فقالت له: ما أريد أن أسألك إلاّ هذا. قال: فلما ألَحت عليه بعث إليه، فأتى برأسه، والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول: لا يحلّ لك ذلك فلما أصبح إذا دمه يغلي، فأمر بتراب فألقى عليه، فرقى الدم فوق التراب يغلي، فألقى عليه التراب أيضاً، فارتفع الدم فوقه فلم يزل يلقي عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو يغلي وبلغ صيحابين، فثار في الناس، وأراد أن يبعث عليهم جيشاً، ويؤمِّر عليهم رجلاً، فأتاه بختنصر وكلّمه وقال: إن الذي كنت أرسلته تلك المرّة ضعيف، وإني قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها، فابعثني، فبعثه، فسار بختنصر حتى إذا بلغوا ذلك المكان تحصنوا منه في مدائنهم، فلم يطقهم، فلما اشتدّ عليهم المقام وجاع أصحابه، أرادوا الرجوع، فخرجت إليهم عجوز من عجائز بني إسرائيل فقالت: أين أمير الجند؟ فأتى بها إليه، فقالت له: إنه بلغني أنك تريد أن ترجع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة، قال: نعم، قد طال مقامي، وجاع أصحابي، فلست أستطيع المقام فوق الذي كان مني، فقالت: أرأيتك إن فتحت لك المدينة أتعطيني ما سألتك، وتقتل من أمرتك بقتله، وتكفّ إذا أمرتك أن تكفّ؟ قال: نعم، قالت: إذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أرباع، ثم أقم على كلّ زاوية ربعاً، ثم ارفعوا بأيديكم إلى السماء فنادوا: إنا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكريا، فإنها سوف تسّاقط ففعلوا، فتساقطت المدينة، ودخلوا من جوانبها، فقالت له: اقتل على هذا الدم حتى يسكن، وانطلقت به إلى دم يحيى وهو على تراب كثير، فقتل عليه حتى سكن سبعين ألفاً وامرأة فلما سكن الدم قالت له: كفّ يدك، فإن الله تبارك وتعالى إذا قتل نبيّ لم يرض، حتى يقتل من قتله، ومن رضي قتله، وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته، فكفّ عنه وعن أهل بيته، وخرّب بيت المقدس، وأمر به أن تطرح فيه الجيف، وقال: من طرح فيه جيفة فله جزيته تلك السنة، وأعانه على خرابه الروم من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى، فلما خرّبه بختنصر ذهب معه بوجوه بني إسرائيل وأشرافهم، وذهب بدانيال وعلياً وعزارياً وميشائيل، هؤلاء كلهم من أولاد الأنبياء وذهب معه برأس جالوت فلما قدم أرض بابل وجد صحابين قد مات، فملك مكانه، وكان أكرم الناس عليه دانيال وأصحابه، فحسدهم المجوس على ذلك، فوشوا بهم إليه وقالوا: إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك، ولا يأكلون من ذبيحتك، فدعاهم فسألهم، فقالوا: أجل إن لنا رباً نعبده، ولسنا نأكل من ذبيحتكم، فأمر بخدّ فخدّ لهم، فألقوا فيه وهم ستة، وألقى معهم سبعاً ضارياً ليأكلهم، فقال: انطلقوا فلنأكل ولنشرب، فذهبوا فأكلوا وشربوا، ثم راحوا فوجدوهم جلوساً والسبع مفترش ذراعيه بينهم، ولم يخدش منهم أحداً، ولم ينكأه شيئاً، ووجدوا معهم رجلاً، فعدّوهم فوجدوهم سبعة، فقالوا: ما بال هذا السابع إنما كانوا ستة؟ فخرج إليهم السابع، وكان ملَكاً من الملائكة، فلطمه لطمة فصار في الوحش، فكان فيهم

سبع سنين، لا يراه وحشيّ إلاّ أتاه حتى ينكحه، يقتصّ منه ما كان يصنع بالرجال ثم إنه رجع ورد الله عليه مُلكه، فكانوا أكرم خلق الله عليه. ثم إن المجوس وَشَوا به ثانية، فألقوا أسداً في بئر قد ضَرِي، فكانوا يلقون إليه الصخرة فيأخذها، فألقوا إليه دانيال، فقام الأسد في جانب، وقام دانيال في جانب لا يمسه، فأخرجوه، وقد كان قبل ذلك خدّ لهم خدّاً، فأوقد فيه ناراً، حتى إذا أججها قذفهم فيها، فأطفأها الله عليهم ولم ينلهم منها شيء. ثم إن بختنصر رأى بعد ذلك في منامه صنماً رأسه من ذهب، وعنقه من شَبَه، وصدره من حديد، وبطنه أخلاط ذهب وفضة وقوارير، ورجلاه من فخار فبينا هو قائم ينظر، إذ جاءت صخرة من السماء من قِبَل القبلة، فكسرت الصنم فجعلته هشيماً، فاستيقظ فزعاً وأُنسيها، فدعا السحرة والكهنة، فسألهم، فقال: أخبروني عما رأيت فقالوا له: لا، بل أنت أخبرنا ما رأيت فنعبره لك. قال: لا أدري، قالوا له: فهؤلاء الفتية الذين تكرمهم، فادعهم فاسألهم، فإن هم لم يخبروك بما رأيت فما تصنع بهم؟ قال: أقتلهم فأرسل إلى دانيال وأصحابه، فدعاهم، فقال لهم: أخبروني ماذا رأيت؟ فقال له دانيال: بل أنت أخبرنا ما رأيت فنعبره لك قال: لا أدري قد نسيتها فقال له دانيال: كيف نعلم رؤيا لم تخبرنا بها؟ فأمر البوّاب أن يقتلهم، فقال دانيال للبوّاب: إن الملك إنما أمر بقتلنا من أجل رؤياه، فأخِّرنا ثلاثة أيام، فإن نحن أخبرنا الملك برؤياه وإلا فاضرب أعناقنا فأجّلهم فدعوا الله فلما كان اليوم الثالث أبصر كل رجل منهم رؤيا بختنصر على حدة، فأتوا البوّاب فأخبروه، فدخل على الملك فأخبره، فقال: أدخلهم عليّ وكان بختنصر لا يعرف من رؤياه شيئاً، إلا شيئاً يذكرونه، فقالوا له: أنت رأيت كذا وكذا، فقصوها عليه، فقال: صدقتم قالوا: نحن نعبرها لك. أما الصنم الذي رأيت رأسه من ذهب، فإنه ملك حسن مثل الذهب، وكان قد ملك الأرض كلها وأما العنق من الشَّبَه، فهو ملك ابنك بعد، يملك فيكون ملكه حسناً، ولا يكون مثل الذهب وأما صدره الذي من حديد فهو ملك أهل فارس، يملكون بعدك ابنك، فيكون ملكهم شديداً مثل الحديد وأما بطنه الأخلاط، فإنه يذهب ملك أهل فارس، ويتنازع الناس الملك في كلّ قرية، حتى يكون الملك يملك اليوم واليومين، والشهر والشهرين، ثم يُقتل، فلا يكون للناس قوام على ذلك، كما لم يكن للصنم قوام على رجلين من فخار فبينما هم كذلك، إذ بعث الله تعالى نبياً من أرض العرب، فأظهره على بقية مُلك أهل فارس، وبقية مُلك ابنك وملكك، فدمره وأهلكه حتى لا يبقى منه شيء، كما جاءت الصخرة فهدمت الصنم فعطف عليهم بختنصر فأحبهم. ثم إن المجوس وشوا بدانيال، فقالوا: إن دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول، وكان ذلك فيهم عاراً، فجعل لهم بختنصر طعاماً، فأكلوا وشربوا، وقال للبوّاب: انظر أوّل من يخرج عليك يبول، فاضربه بالطبرزين، وإن قال: أنا بختنصر، فقل: كذبت، بختنصر أمرني. فحبس الله عن دانيال البول، وكان أوّل من قام من القوم يريد البول بختنصر، فقام مدلاً، وكان ذلك ليلاً، يسحب ثيابه فلما رآه

البوّاب شدّ عليه، فقال: أنا بختنصر، فقال: كذبت، بختنصر أمرني أن أقتل أوّل من يخرج، فضربه فقتله.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن أبي المعلى، قال: سمعت سعيد بن جبير، قال: بعث الله عليهم في المرّة الأولى سنحاريب. قال: فردّ الله لهم الكرّة عليهم، كما قال قال: ثم عصوا ربهم وعادوا لما نهوا عنه، فبعث عليهم في المرّة الآخرة بختنصر، فقتل المقاتلة، وسبى الذرّية، وأخذ ما وجد من الأموال، ودخلوا بيت المقدس، كما قال الله عزّ وجلّ: **﴿وَلِيَدْخُلُوا المَسْجدَ كمَا دَخَلُوهُ أوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً﴾** دخلوه فتبّروه وخرّبوه وألقوا فيه ما استطاعوا من العذرة والحيض والجيف والقذر، فقال الله عَسَى رَبُّكُمْ أنْ يَرْحَمَكُمْ وَإنْ عُدْتُمْ عُدْنا فرحمهم فردّ إليهم ملكهم وخلص من كان في أيديهم من ذرّية بني إسرائيل، وقال لهم: إن عدتم عدنا. فقال أبو المعلى، ولا أعلم ذلك، إلاَّ من هذا الحديث، ولم يَعِدهم الرجعة إلى ملكهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿فإذَا جاء وَعْدُ الآخرَةِ لِيَسُوءُوا وُجوهَكُمْ﴾** قال: بعث الله ملك فارس ببابل جيشاً، وأمر عليهم بختنصر، فأتوا بني إسرائيل، فدمروهم، فكانت هذه الآخرة ووعدها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد نحوه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: ثني يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، قال: لما ضرب لبختنصر الملك بجرانه، قال: ثلاثة فمن استأخر منكم بعدها فليمش إلى خشبته، فغزا الشام، فذلك حين قتل وأخرج بيت المقدس، ونزع حليته، فجعلها آنية ليشرب فيها الخمور، وخواناً يأكل عليه الخنازير، وحمل التوراة معه، ثم ألقاها في النار، وقدم فيما قدم به مئة وصيف منهم دانيال وعزريا وحنانيا ومشائيل، فقال لإنسان: أصلح لي أجسام هؤلاء لعلي أختار منهم أربعة يخدمونني، فقال دانيال لأصحابه: إنما نصروا عليكم بما غيرتم من دين آبائكم، لا تأكلوا لحم الخنزير، ولا تشربوا الخمر، فقالوا للذي يصلح أجسامهم: هل لك أن تطعمنا طعاماً، هو أهون عليك في المؤونة مما تطعم أصحابنا، فإن لم نسمن قبلهم رأيت رأيك، قال: ماذا؟ قال: خبز الشعير والكرّاث، ففعل فسمنوا قبل أصحابهم، فأخذهم بختنصر يخدمونه فبينما هم كذلك، إذ رأى بختنصر رؤيا، فجلس فنسيها فعاد فرقد فرآها، فقام فنسيها، ثم عاد فرقد فرآها، فخرج إلى الحجرة، فنسيها فلما أصبح دعا العلماء والكهّان، فقال: أخبروني بما رأيت البارحة، وأوّلوا لي رؤياي، وإلا فليمش كل رجل منكم إلى خشبته، موعدكم

ثالثة. فقالوا: هذا لو أخبرنا برؤياه وذكر كلاماً لم أحفظه، قال: وجعل دانيال كلما مرّ به أحد من قرابته يقول: لو دعاني الملك لأخبرته برؤياه، ولأوّلتها له، قال: فجعلوا يقولون: ما أحمق هذا الغلام الإسرائيلي إلى أن مرّ به كهل، فقال له ذلك، فرجع إليه فأخبره، فدعاه فقال: ماذا رأيت؟ قال: رأيت تمثالاً، قال: إيه، قال: ورأسه من ذهب، قال: إيه، قال: وعنقه من فضة، قال: إيه، قال: وصدره من حديد، قال: إيه، قال: وبطنه من صُفر، قال: إيه، قال: ورجلاه من آنك، قال: إيه، قال: وقدماه من فخار، قال: هذا الذي رأيت؟ قال: إيه، قال: فجاءت حصاة فوقعت في رأسه، ثم في عنقه، ثم في صدره، ثم في بطنه، ثم في رجليه، ثم في قدميه، قال: فأهلكته. قال: فما هذا؟ قال: أما الذهب فإنه ملكك، وأما الفضة فملك ابنك من بعدك، ثم ملك ابن ابنك، قال: وأما الفخار فملك النساء، فكساه جبة ترثون[1]، وسوّره وطاف به في القرية، وأجاز خاتمه فلما رأت ذلك فارس، قالوا: ما الأمر إلا أمر هذا الإسرائيلي، فقالوا: ائتوه من نحو الفتية الثلاثة، ولا تذكروا له دانيال، فإنه لا يصدقكم عليه، فأتوه، فقالوا: إن هؤلاء الفتية الثلاثة ليسوا على دينك، وآية ذلك أنك إن قرّبت إليهم لحم الخنزير والخمر لم يأكلوا ولم يشربوا فأمر بحطب كثير فوضع، ثم أرقاهم عليه، ثم أوقد فيه ناراً، ثم خرج من آخر الليل يبول، فإذا هم يتحدّثون، وإذا معهم رابع يروح عليهم يصلي، قال: من هذا يا دانيال؟ قال: هذا جبريل، إنك ظلمتهم، قال: ظلمتهم مُرْ بهم ينزلوا فأمر بهم فنزلوا، قال: ومسخ الله تعالى بختنصر من الدوابّ كلها، فجعل من كلّ صنف من الدوابّ رأسه رأس سبع من السباع الأسد، ومن الطير النسر، وملك ابنه فرأى كفاً خرجت بين لوحين، ثم كتبت سطرين، فدعا الكهان والعلماء فلم يجدوا لهم في ذلك علماً، فقالت له أمه: إنك لو أعدت إلى دانيال منزلته التي كانت له من أبيك أخبرك، وكان قد جفاه، فدعاه، فقال: إني معيد إليك منزلتك من أبي، فأخبرني ما هذان السطران؟ قال: أما أن تعيد إليّ منزلتي من أبيك، فلا حاجة لي بها، وأما هذان السطران فإنك تقتل الليلة، فأخرج من في القصر أجمعين، وأمر بقفله، فأقفلت الأبواب عليه، وأدخل معه آمنَ أهل القرية في نفسه معه سيف، فقال: من جاءك من خلق الله فاقتله، وإن قال أنا فلان وبعث الله عليه البطن، فجعل يمشي حتى كان شطر الليل، فرقد ورقد صاحبه ثم نبهه البطن، فذهب يمشي والآخر نائم، فرجع فاستيقظ به، فقال له: أنا فلان، فضربه بالسيف فقتله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ

---

(١) كذا في الأصل. واللفظة محرفة. وفي الكتاب المقدس: سفر دانيال، الإصحاح الخامس: «حينئذ أمر بلشاصر أن يلبسوا دانيال الأرجوان وقلادة من ذهب في عنقه».

لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسأْتُمْ فَلَهَا فإذا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ آخر العقوبتين **﴿لِيَسُوءُوا وُجوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّل مَرَّةٍ﴾** كما دخله عدوّهم قبل ذلك **﴿وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً﴾** فبعث الله عليهم في الآخرة بختنصر المجوسي البابلي، أبغض خلق الله إليه، فسبا وقتل وخرّب بيت المقدس، وسامهم سوء العذاب.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: **﴿فإِذَا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ﴾** من المرتين **﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾** قال: ليقبحوا وجوهكم **﴿وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً﴾** قال: يدمّروا ما علوا تدميراً، قال: هو بختنصر، بعثه الله عليهم في المرّة الآخرة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: فلما أفسدوا بعث الله عليهم في المرّة الآخرة بختنصر، فخرّب المساجد وتبّرما علوا تتبيراً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، قال: فيما بلغني، استخلف الله على بني إسرائيل بعد ذلك، يعني بعد قتلهم شعياء رجلاً منهم يقال له: ناشة بن آموص، فبعث الله الخضر نبياً، وكان رسول الله ﷺ فيما قد بلغني يقول: «إِنَّمَا سُمّيَ الخَضِرُ خَضِراً، لأَنَّهُ جَلَسَ عَلى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ، فَقَامَ عَنْها وَهيَ تَهْتَزُّ خَضْرَاءَ» قال: واسم الخضر فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بني إسرائيل: أرميا بن حلفيا، وكان من سبط هارون بن عمران.

حدثني محمد بن سهل بن عسكر، ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه، قالا: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: ثنا عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه. وحدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق عمن لايتهم، عن وهب بن منبه اليماني، واللفظ لحديث ابن حميد أنه كان يقول: قال الله تبارك وتعالى لإرميا حين بعثه نبياً إلى بني إسرائيل: يا إرميا من قبل أن أخلقك اخترتك، ومن قبل أن أصوّرك في بطن أمك قدّستك، ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهّرتك، ومن قبل أن تبلغ السعي نبأتك، ومن قبل أن تبلغ الأشدّ اخترتك، ولأمر عظيم اختبأتك فبعث الله إرميا إلى ذلك الملك من بني إسرائيل يسدّده ويرشده، ويأتيه بالخبر من الله فيما بينه وبين الله قال: ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل، وركبوا المعاصي، واستحلّوا المحارم، ونَسوا ما كان الله تعالى صنع بهم، وما نجاهم من عدوّهم سنحاريب وجنوده. فأوحى الله تعالى إلى إرمياء: أن ائت قومك من بني إسرائيل، واقصص عليهم ما آمرك به، وذكّرهم نعمتي عليهم، وعرّفهم أحداثهم، فقال إرمياء: إني ضعيف إن لم تقوّني، وعاجز إن لم تبلّغني، ومخطىء إن لم تسدّدني، ومخذول إن لم تنصرني، وذليل إن لم تعزّني. قال: الله تبارك

وتعالى: أوَ لم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتي، وأن القلوب كلها والألسنة بيدي، أقلبها كيف شئت، فتطيعني، وإني أنا الله الذي لا شيء مثلي، قامت السموات والأرض وما فيهنّ بكلمتي، وأنا كلَّمت البحار، ففهمْت قولي، وأمرتها فعقلت أمري، وحدَدت عليها بالبطحاء فلا تَعدَّي حدّي، تأتي بأمواج كالجبال، حتى إذا بلغت حدّي ألبستها مذلَّة طاعتي خوفاً واعترافاً لأمري إني معك، ولن يصل إليك شيء معي، وإن بعثتك إلى خلق عظيم من خلقي، لتبلغهم رسالاتي، ولتستحق بذلك مثل أجر من تبعك منهم لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، وإن تقصِّر عنها فلك مثل وزر من تركب في عماه لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً انطلق إلى قومك فقل: إن الله ذكر لكم صلاح آبائكم، فحمله ذلك على أن يستتيبكم يا معشر الأبناء، وسلهم كيف وجد آباؤهم مغبَّة طاعتي، وكيف وجدوا هم مغبَّة معصيتي، وهل علموا أن أحداً قبلهم أطاعني فشقي بطاعتي، أو عصاني فسعد بمعصيتي، فإن الدّوابّ مما تذكر أوطانها الصالحة، فتنتابها، وإن هؤلاء القوم قد رتعوا في مروج الهَلَكة. أما أحبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادي خوَلاً ليعبدوهم دوني وتحكَّموا فيهم بغير كتابي حتى أجهلوهم أمري، وأنسوهم ذكري، وغروهم مني. أما أمراؤهم وقاداتهم فبطروا نعمتي، وأمنوا مكري، ونبذوا كتابي، ونسوا عهدي، وغيروا سنتي، فادّان لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبغي إلا لي، فهم يطيعونهم في معصيتي، ويتابعونهم على البدع التي يبتدعون في ديني جراءة عليّ وغرّة وفِرْية عليّ وعلى رسلي، فسبحان جلالي وعلوّ مكاني، وعظم شأني، فهل ينبغي لبشر أن يُطاع في معصيتي، وهل ينبغي لي أن أخلق عباداً أجعلهم أرباباً من دوني. وأما قرّاؤهم وفقهاؤهم فيتعبدون في المساجد، ويتزيَّنون بعمارتها لغيري، لطلب الدنيا بالدين، ويتفقَّهون فيها لغير العلم، ويتعلَّمون فيها لغير العمل. وأما أولاد الأنبياء، فمكثرون مقهورون مغيَّرون، يخوضون مع الخائضين، ويتمنَّون عليّ مثل نُصرة آبائهم والكرامة التي أكرمتهم بها، ويزعمون أن لا أحدَ أولى بذلك منهم مني بغير صدق ولا تفكر ولا تدبُّر، ولا يذكرون كيف كان صبر آبائهم لي، وكيف كان جِدّهم في أمري حين غير المغيرون، وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم، فصبروا وصَدَقوا حتى عزّ أمري، وظهر ديني، فتأنَّيت بهؤلاء القوم لعلهم يستجيبون، فأطْوَلت لهم، وصفحت عنهم، لعلهم يرجعون، فأكثرت ومددت لهم في العمر لعلهم يتذكرون، فأعذرت في كل ذلك، أمطر عليهم السماء، وأنبت لهم الأرض، وألبسهم العافية وأظهرهم على العدوّ فلا يزدادون إلا طغياناً وبُعداً مني، فحتى متى هذا؟ أبي يتمرّسون أم إياي يخادعون؟ وإني أحلف بعزّتي لأقيضنّ لهم فتنة يتحيرُ فيها الحلْيم، ويضلّ فيها رأي ذي الرأي، وحكمة الحكيم، ثم لأسلطنّ عليهم جباراً قاسياً عاتياً، ألبسه الهيبة، وأنتزع من صدره الرأفة والرحمة والبيان، يتبعه عدد وسواد مثل سواد الليل المظلم، له عساكر مثل قطع السحاب، ومراكب أمثال العجاج، كأن خفيق راياته طيران النسور، وأن حملة فُرسانه كوبر العقبان. ثم

أوحى الله إلى إرميا: إني مهلك بني إسرائيل بيافث، ويافث أهل بابل، وهم من ولد يافث بن نوح. ثم لما سمع إرميا وحي ربه صاح وبكى وشقّ ثيابه، ونبذَ الرماد على رأسه وقال: ملعون يوم ولدت فيه، ويوم لقيت التوراة، ومن شرّ أيامي يوم ولدت فيه، فما أُبقيت آخر الأنبياء إلا لما هو أشرّ عليّ لو أراد بي خيراً ما جعلني آخر الأنبياء من بني إسرائيل، فمن أجلي تصيبهم الشّقوة والهلاك فلما سمع الله تضرّع الخضر وبكاءه، وكيف يقول، ناداه: يا إرميا أشقّ ذلك عليك فيما أوحيت لك؟ قال: نعم يا ربّ أهلكْني قبل أن أرى في بني إسرائيل ما لا أسرّ به فقال الله: وعزّتي العزيزة لا أهلك بيت المقدس وبني إسرائيل حتى يكون الأمر من قِبَلك في ذلك ففرح عند ذلك إرميا لما قال له ربه، وطابت نفسه، وقال: لا، والذي بعث موسى وأنبياءه بالحقّ لا آمر ربي بهلاك بني إسرائيل أبداً ثم أتى ملك بني إسرائيل فأخبره ما أوحى الله إليه فاستبشر وفرح وقال: إن يعذّبنا ربنا فبذنوب كثيرة قدّمناها لأنفسنا، وإن عفا عنا فبقدرته. ثم إنهم لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وتمادياً في الشرّ، وذلك حين اقترب هلاكهم فقلّ الوحي حين لم يكونوا يتذكرون الآخرة، وأمسك عنهم حين ألهتهم الدنيا وشأنها، فقال لهم ملكهم: يا بني إسرائيل، انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يمسكم بأس الله، وقبل أن يُبعث عليكم قوم لا رحمة لهم بكم، وإن ربكم قريب التوبة، مبسوط اليدين بالخير، رحيم بمن تاب إليه. فأبَوا عليه أن ينزِعوا عن شيء مما هم عليه وإن الله قد ألقى في قلب بختنصر بن نجور زاذان بن سنحاريب بن دارياس بن نمرود بن فالخ بن عابر بن نمرود صاحب إبراهيم الذي حاجّه في ربه، أن يسير إلى بيت المقدس، ثم يفعل فيه ما كان جدّه سنحاريب أراد أن يفعل، فخرج في ستّ مئة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل سائراً أتى ملك بني إسرائيل الخبر أن بختنصر قد أقبل هو وجنوده يريدكم، فأرسل الملك إلى إرميا، فجاءه فقال: يا إرميا أين ما زعمت لنا أن ربك أوحى إليك أن لا يهلك أهل بيت المقدس، حتى يكون منك الأمر في ذلك؟ فقال إرميا للملك: إن ربي لايخلف الميعاد، وأنا به واثق. فلما اقترب الأجل ودنا انقطاع ملكهم وعزم الله على هلاكهم، بعث الله مَلَكاً من عنده، فقال له: اذهب إلى إرميا فاسْتَفْتِه، وأمَرَه بالذي يُستفتَى فيه فأقبل المَلك إلى إرمياء، وكان قد تمثّل له رجلاً من بني إسرائيل، فقال له إرميا: من أنت؟ قال: رجل من بني إسرائيل أستفتيك في بعض أمري فأذن له، فقال له المَلَك: يا نبيّ الله أتيتك أستفتيك في أهل رحمي، وصلت أرحامهم بما أمرني الله به، لم آت إليهم إلا حسناً، ولم آلُهم كرامة، فلا تزيدهم كرامتي إياهم إلا إسخاطاً لي، فأفتني فيهم يا نبيّ الله فقال له: أحسن فيما بينك وبين الله، وصل ما أمرك الله أن تصل، وأبشر بخير وانصرف عنه. فمكُث أياماً، ثم أقبل إليه في صورة ذلك الذي جاءه، فقعد بين يديه، فقال له إرميا: من أنت؟ قال: أنا الرجل الذي أتيتك أستفتيك في شأن أهلي، فقال له نبيّ الله: أوَ ما ظهرت لك أخلاقهم بعد، ولم تر منهم الذي

تحبّ؟ فقال: يا نبيّ الله، والذي بعثك بالحقّ ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس لأهل رحمه إلا قد أتيتها إليهم وأفضل من ذلك، فقال النبيّ: ارجع إلى أهلك فأحسن إليهم، أسأل الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلح ذات بينكم، وأن يجمعكم على مرضاته، ويجنبكم سخطه فقام المَلك من عنده. فلبث أياماً وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس، ومعه خلائق من قومه كأمثال الجراد، ففزع منهم بنو إسرائيل فزعاً شديداً، وشق ذلك على ملك بني إسرائيل، فدعا إرميا، فقال: يا نبيّ الله أين ما وعدك الله؟ فقال: إني بربي واثق. ثم إن الملك أقبل إلى إرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده، فقعد بين يديه فقال له إرميا: من أنت؟ قال: أنا الذي كنت أتيتك في شأن أهلي مرّتين، فقال له النبيّ: أوَ لم يأنِ لهم أن يمتنعوا من الذي هم فيه مقيمون عليه؟ فقال له الملك: يا نبيّ الله، كلّ شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه، وأعلم أن مأربهم في ذلك سخطي فلما أتيتهم اليوم رأيتهم في عمل لا يرضي الله ولا يحبه الله عزّ وجلّ. فقال له نبيّ الله: على أيّ عمل رأيتهم؟ قال: يا نبيّ الله رأيتهم على عمل عظيم من سخط الله، فلو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم لم يشتدّ عليهم غضبي، وصبرت لهم ورجوتهم، ولكن غضبت اليوم لله ولك، فأتيتك لأخبرك خبرهم، وإني أسألك بالله الذي بعثك بالحقّ إلا ما دعوت عليهم ربك أن يهلكهم فقال إرميا: يا مالك السموات والأرض، إن كانوا على حقّ وصواب فأبقهم، وإن كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم. فما خرجت الكلمة مِن في إرميا حتى أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس، فالتهب مكان القربان، وخسف بسبعة أبواب من أبوابها فلما رأى ذلك إرميا صاح وشقّ ثيابه، ونبذ الرماد على رأسه وقال: يا ملك السموات والأرض بيدك ملكوت كلّ شيء وأنت أرحم الراحمين أين ميعادك الذي وعدتني؟ فنودي إرميا: إنهم لم يصبهم الذي أصابهم إلا بفتياك التي أفتيت بها رسولنا فاستيقن النبيّ ﷺ أنها فتياه التي أفتى بها ثلاث مرّات، وأنه رسول ربه. ثم إن إرميا طار حتى خالط الوحش، ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس، فوطىء الشام، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم، وخرّب بيت المقدس، أمر جنوده أن يملأ كلّ رجل منهم ترسه تراباً ثم يقذفه في بيت المقدس، فقذفوا فيه التراب حتى ملأوه، ثم انصرف راجعاً إلى أرض بابل، واحتمل معه سبايا بني إسرائيل، وأمرهم أن يجمعوا من كان في بيت المقدس كلهم، فاجتمع عنده كلّ صغير وكبير من بني إسرائيل، فاختار منهم سبعين ألف صبيّ فلما خرجت غنائم جنده، وأراد أن يقسمها فيهم، قالت له الملوك الذين كانوا معه: أيها الملك لك غنائمنا كلها، واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني إسرائيل، ففعل، وأصاب كلّ رجل منهم أربعة أغلمة، وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل وسبعة آلاف من أهل بيت داود، وأحد عشر ألفاً من سبط يوسف بن يعقوب، وأخيه بنيامين، وثمانية آلاف من سبط أشر بن يعقوب،

وأربعة عشر ألفاً من سبط زبالون بن يعقوب ونفثالي بن يعقوب، وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب، وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوي ابني يعقوب. ومن بقى من بني إسرائيل، وجعلهم بختنصر ثلاث فرق، فثلثاً أَقَرّ بالشام، وثلثاً سبئ، وثلثاً قتل، وذهب بآنية بيت المقدس حتى أقدمها بابل، وذهب بالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل، فكانت هذه الوقعة الأولى التي أنزل الله ببني إسرائيل باحداثهم وظلمهم. فلما ولّي بختنصر عنهم راجعاً إلى بابل بمن معه من سبايا بني إسرائيل، أقبل أرميا على حمار له معه عصير ثم ذكر قصته حين أماته الله مئة عام، ثم بعثه، ثم خبر رؤيا بختنصر وأمر دانيال، وهلاك بختنصر، ورجوع من بقي من بني إسرائيل في أيدي أصحاب بختنصر بعد هلاكه إلى الشام، وعمارة بيت المقدس، وأَمْرَ عُزيرَ وكيف ردّ الله عليه التوراة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق، قال: ثم عمدت بنو إسرائيل بعد ذلك يحُدِثون الأحداث، يعني بعد مهلك عُزيرَ، ويعود الله عليهم، ويبعث فيهم الرسل، ففريقاً يكذّبون، وفريقاً يقتلون، حتى كان آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم، وكانوا من بيت آل داود.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن عمر بن عبد الله بن عروة، عن عبد الله بن الزبير أنه قال، وهو يحدّث عن قتل يحيى بن زكريا قال: ما قُتل يحيى بن زكريا إلا بسبب امرأة بغيّ من بغايا بني إسرائيل كان فيهم ملك، وكان يحيى بن زكريا تحت يدي ذلك الملك، فهمّت ابنة ذلك الملك بأبيها، فقالت: لو أني تزوّجت بأبي فاجتمع لي سلطانه دون النساء، فقالت له: يا أبتِ تزوّجني ودعته إلى نفسها، فقال لها: يا بنية إن يحيى بن زكريا لا يحل لنا هذا، فقالت: من لي بيحيى بن زكريا؟ ضيّق عليّ، وحال بيني وبين أن أتزوّج بأبي، فأغلِبَ على مُلكه ودنياه دون النساء قال: فأمرت اللعابين ومحلت بذلك لأجل قتل يحيى بن زكريا، فقالت: ادخلوا عليه فالعبوا، حتى إذا فرغتم فإنه سيُحَكمكم، فقولوا: دم يحيى بن زكريا، ولا تقبلوا غيره. وكان اسم الملك رواد، واسم ابنته البغيّ، وكان الملك فيهم إذا حدّث فكذب، أو وعد فأخلف، خلع فاستُبدل به غيرهُ فلما ألعبوه وكثر عجبه منهم، قال: سلوني أعطكم، فقالوا له: نسألك دم يحيى بن زكريا أعطنا إياه قال: ويحكم سلوني غير هذا فقالوا: لا نسألك شيئاً غيره. فخاف على ملكه إن هو أخلفهم أن يُسْتَحَلّ بذلك خَلْعه، فبعث إلى يحيى بن زكريا وهو جالس في محرابه يصلي، فذبحوه في طست ثم حزّوا رأسه، فاحتمله رجل في يده والدم يحمل في الطّسْت معه. قال: فطلع برأسه يحمله حتى وقف به على الملك، ورأسه يقول في يدي الذي يحمله لا يحلّ لك ذلك فقال رجل من بني إسرائيل: أيها الملك لو أنك وهبت لي هذا الدم؟

فقال: وما تصنع به؟ قال: أطهر منه الأرض، فإنه كان قد ضيقها علينا، فقال: أعطوه هذا الدم، فأخذه فجعله في قلة، ثم عمد به إلى بيت في المذبح، فوضع القلة فيه، ثم أغلق عليه، ففار في القُلّة حتى خرج منها من تحت الباب من البيت الذي هو فيه فلما رأى الرجل ذلك، فَظع به، فأخرجه فجعله في فلاة من الأرض، فجعل يفور وعظمت فيهم الأحداث. ومنهم من يقول: أقرّ مكانه في القربان ولم يحوّل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال ابن إسحاق: فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا (وبعض الناس يقول: وقتلوا زكريا)، ابتعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خردوس، فسار إليه بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر رأساً من رؤوس جنده يدعى نبور زاذان صاحب القتل، فقال له: إني قد كنت حلفت بإلهي لئن أظهرنا على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري، إلا أن لا أجد أحداً أقتله فأمر أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم نبور زاذان، فدخل بيت المقدس، فقال في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم، فوجد فيها دماً يغلي، فسألهم فقال: يا بني إسرائيل، ما شأن هذا الدم الذي يغلي، أخبروني خبره ولا تكتموني شيئاً من أمره؟ فقالوا: هذا دم قربان كان لنا كنا قرّبناه فلم يُتَقَبّل منا، فلذلك هو يغلي كما تراه ولقد قرّبنا منذ ثمان مئة سنة القربان فتقبّل منا إلا هذا القربان قال: ما صَدَقْتموني الخبر قالوا له: لو كان كأوّل زماننا لقُبل منا، ولكنه قد انقطع منا المُلك والنبوّة والوحي، فلذلك لم يُتقبل منا فذبح منهم نبور زاذان على ذلك الدم سبع مئة وسبعين روحاً من رؤوسهم، فلم يهدأ فأمر بسبع مئة غلام من غلمانهم فذبحوا على الدم فلم يهدأ فأمر بسبعة آلاف من شيعهم وأزواجهم، فذبحهم على الدم فلم يبرد ولم يهدأ فلما رأى نبور زاذان أن الدم لا يهدأ قال لهم: ويْلكم يا بني إسرائيل، أصدقوني واصبروا على أمر ربكم فقد طال ما ملكتم في الأرض تفعلون فيها ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافخ نار، لا أنثى ولا ذكراً إلا قتلته فلما رأوا الجهد وشدّة القتل صدقوه الخبر، فقالوا له: إن هذا دم نبيّ منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله، فلو أطعناه فيها لكان أرشد لنا، وكان يخبرنا بأمركم، فلم نصدّقه، فقتلناه، فهذا دمه فقال لهم نبور زاذان: ما كان اسمه؟ قالوا: يحيى بن زكريا، فقال: الآنَ صَدَقْتموني بمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما رأى نبور زاذان أنهم صدقوه خرّ ساجداً وقال لمن حوله: غلقوا الأبواب، أبواب المدينة، وأخرجوا من كان ههنا من جيش خردوس. وخلافي بني إسرائيل ثم قال: يا يحيى بن زكريا، قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك، وما قُتل منهم من أجلك، فاهدأ بإذن الله قبل أن لا أبقي من قومك أحداً فهدأ دم يحيى بن زكريا بإذن الله، ورفع نبور زاذان عنهم القتل وقال: آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل، وصدّقت وأيقنت أنه لا ربّ غيره،

ولو كان معه آخر لم يصلح، ولو كان له شريك لم تستمسك السموات والأرض، ولو كان له ولد لم يصلح، فتبارك وتقدّس، وتسبح وتكبر وتعظم، ملك الملوك الذي له ملك السموات السبع والأرض وما فيهنّ، وما بينهما، وهو على كل شيء قدير، فله الحلم والعلم والعزّة والجبروت، وهو الذي بسط الأرض وألقى فيها رواسي لئلا تزول، فكذلك ينبغي لربي أن يكون ويكون مُلكه. فأوحى الله إلى رأس من رؤوس بقية الأنبياء أن نبور زاذان حَبُور صدوق والحبور بالعبرانية: حديث الإيمان. وإن نبور زاذان قال لبني إسرائيل: يا بني إسرائيل، إن عدوّ الله خردوس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره، وإني لست أستطيع أن أعصيه. قالوا له: افعل ما أُمرت به. فأمرهم فحفروا خندقاً وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل، فذبحها حتى سال الدم في العسكر، وأمر بالقتلى الذين كانوا قبل ذلك، فطُرحوا على ما قُتل من مواشيهم حتى كانوا فوقهم، فلم يظنّ خردوس إلا أن ما كان في الخندق من بني إسرائيل. فلما بلغ الدم عسكره، أرسل إلى نبور زاذان أن ارفع عنهم، فقد بلغتني دماؤهم، وقد انتقمت منهم بما فعلوا. ثم انصرف عنهم إلى أرض بابل، وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد، وهي الوقعة الآخرة التي أنزل الله ببني إسرائيل. يقول الله عزّ ذكره لنبيه محمد ﷺ: **﴿وَقَضَيْنا إلى بَنِي إسْرَائِيلَ فِي الكِتابِ لتَفْسِدُنَّ فِي الأرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً فإذَا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدّيارِ وكانَ وَعْداً مَفْعُولاً ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وأمْدَدْناكُمْ بأمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْناكُمْ أكْثَرَ نَفِيراً إنْ أحْسَنْتُمْ أحْسَنْتُمْ لأنْفُسِكُمْ وَإنْ أسأْتُمْ فَلَها فإذَا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ كمَا دَخَلُوهُ أوَّلَ مَرَّةٍ ولِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً عَسَى رَبُّكُمْ أنْ يَرْحَمَكُمْ وَإنْ عُدْتُمْ عُدْنا وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ للكافِرِينَ حَصِيراً﴾** وعسى من الله حقّ، فكانت الوقعة الأولى: بختنصرَ وجنوده، ثم ردّ الله لكم الكرّة عليهم، وكانت الوقعة الآخرة خردوس وجنوده، وهي كانت أعظم الوقعتين، فيها كان خراب بلادهم، وقتل رجالهم، وسبى ذراريهم ونسائهم. يقول الله تبارك وتعالى: **﴿وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً﴾** ثم عاد الله عليهم، فأكثر عددهم، ونشرهم في بلادهم، ثم بَدّلوا وأحدثوا الأحداث، واستبدلوا بكتابهم غيره، وركبوا المعاصي، واستحلوا المحارم وضيّعوا الحدود.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن أبي عَتّاب رجل من تغلب كان نصرانياً عمراً من دهره، ثم أسلم بعد، فقرأ القرآن، وفقه في الدين، وكان فيما ذكر أنه كان نصرانياً أربعين سنة، ثم عُمّر في الإسلام أربعين سنة. قال: كان آخر أنبياء بني إسرائيل نبياً بعثه الله إليهم، فقال لهم: يا بني إسرائيل إن الله يقول لكم: إني قد سلبت أصواتكم، وأبغضتكم بكثرة أحداثكم فهمُّوا به ليقتلوه، فقال الله تبارك وتعالى له: ائتهم واضرب لي ولهم مثلاً، فقل

لهم: إن الله تبارك وتعالى يقول لكم: اقضوا بيني وبين كرمي ألم أختر له البلاد، وطيبت له المَدَرة، وحظرته بالسياج، وعرشته السويق والشوك والسياج والعَوْسَج، وأحطته بردائي، ومنعته من العالم وفضّلته، فلقيني بالشوك والجذوع، وكل شجرة لا تؤكل؟ ما لهذا اخترت البلدة، ولا طيَّبت المَدَرة، ولا حَظَرته بالسِّياج، ولا عَرَشْته السويق، ولا حُطْته بردائي، ولا منعته من العالم فضلتكم وأتممت عليكم نعمتي، ثم استقبلتموني بكلّ ما أكره من معصيتي وخلاف أمري لَمَهْ إن الحمار ليعرف مذوده لَمَهْ إن البقرة لتعرف سيدها وقد حلفت بعزتي العزيزة، وبذراعي الشديد لآخذنّ ردائي، ولأمرجنّ الحائط، ولأجعلنكم تحت أرجل العالم. قال: فوثبوا على نبيهم فقتلوه، فضرب الله عليهم الذلّ، ونزع منهم الملك، فليسوا في أمة من الأمم إلا وعليهم ذلّ وصغار وجزية يؤدّونها، والملك في غيرهم من الناس، فلن يزالوا كذلك أبداً، ما كانوا على ما هم عليه.

قال: قال: فهذا ما انتهى إلينا من جماع أحاديث بني إسرائيل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فإذَا جاءَ وَعْدُ الآخِرَة لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ كمَا دَخَلُوهُ أوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً**﴾ قال: كانت الآخرة أشدّ من الأولى بكثير، قال: لأن الأولى كانت هزيمة فقط، والآخرة كان التدمير، وأحرق بختنصر التوراة حتى لم يبق منها حرف واحد، وخرب المسجد.

حدثنا أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: بعث عيسى ابن مريم يحيى بن زكريا، في اثني عشر من الحواريين يعلِّمون الناس. قال: فكان فيما نهاهم عنه، نكاح ابنة الأخ. قال: وكانت لملكهم ابنة أخ تعجبه يريد أن يتزوّجها، وكانت لها كل يوم حاجة يقضيها فلما بلغ ذلك أمها قالت لها: إذا دخلت على الملك فسألك حاجتك، فقولي: حاجتي أن تذبح لي يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه سألها حاجتها، فقالت: حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا، فقال: سلي غير هذا فقالت: ما أسألك إلا هذا قال: فلما أبت عليه دعا يحيى ودعا بطست فذبحه، فبدرت قطرة من دمه على الأرض، فلم تزل تغلي حتى بعث الله بختنصر عليهم، فجاءته عجوز من بني إسرائيل، فدلّته على ذلك الدم. قال: فألقى الله في نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن، فقتل سبعين ألفاً منهم من سنّ واحد فسكن.

وقوله: ﴿**وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ كمَا دَخَلُوهُ أوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ يقول: وليدخل عدوّكم الذي أبعثه عليكم مسجد بيت المقدس قهراً منهم لكم وغلبة، كما دخلوه أوّل مرّة حين أفسدتم الفساد الأوّل في الأرض.

وأما قوله: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً﴾ فإنه يقول: وليدمّروا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميراً. يقال منه: دمَّرت البلد: إذا خرّبته وأهلكت أهله. وتَبَر تَبْراً وَتَباراً، وتَبَّرْتُه أتبّرُه تتبيراً. ومنه قول الله تعالى ذكره ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إلاَّ تَبَاراً﴾ يعني: هلاكاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً﴾ قال: تدميراً.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً﴾ قال: يدمروا ما علوا تدميراً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لعلّ ربكم يا بني إسرائيل أن يرحمكم بعد انتقامه منكم بالقوم الذين يبعثهم الله عليكم ليسوء مبعثه عليكم وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أوّل مرّة، فيستنقذكم من أيديهم، وينتشلكم من الذلّ الذي يحله بكم، ويرفعكم من الخمولة التي تصيرون إليها، فيعزّكم بعد ذلك. و«عسى» من الله: واجب. وفعل الله ذلك بهم، فكثر عددهم بعد ذلك، ورفع خَساستهم، وجعل منهم الملوك والأنبياء، فقال جلّ ثناؤه لهم: وإن عدتم يا معشر بني إسرائيل لمعصيتي وخلاف أمري، وقتل رسلي، عدنا عليكم بالقتل والسِّباء، وإحلال الذلّ والصَّغار بكم، فعادوا، فعاد الله عليهم بعقابه وإحلال سخطه بهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن عطية، عن عمر بن ثابت، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أنْ يَرْحَمَكُمْ وَإنْ عُدْتُمْ عُدْنا﴾ قال: عادوا فعاد، ثم عادوا فعاد، ثم عادوا فعاد. قال: فسلَّط الله عليهم ثلاثة ملوك من ملوك فارس: سندباذان وشهرباذان وآخر.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: قال الله تبارك وتعالى بعد الأولى والآخرة: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أنْ يَرْحَمَكُمْ وَإنْ عُدْتُمْ عُدْنا﴾ قال: فعادوا فسلَّط الله عليهم المؤمنين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ فعاد الله عليهم بعائدته ورحمته ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنا﴾ قال: عاد القوم بشرّ ما يحضرهم، فبعث الله عليهم ما شاء أن يبعث من نقمته وعقوبته. ثم كان ختام ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحيّ من العرب، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة قال الله عزّ وجلّ في آية أخرى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إلى يَوْمِ القِيامَةِ...﴾ الآية، فبعث الله عليهم هذا الحيّ من العرب.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنا﴾ فعادوا، فبعث الله عليهم محمداً ﷺ، فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ قال بعد هذا ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ﴾ لما صنعتم لمثل هذا من قتل يحيى وغيره من الأنبياء ﴿عُدْنا﴾ إليكم بمثل هذا.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ للكافِرِينَ حَصِيراً﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: وجعلنا جهنم للكافرين سجناً يسجنون فيها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن مَسْعدة، قال: ثنا جعفر بن سليمان، عن أبي عمران ﴿وجَعَلْنا جَهَنَّمَ للكافِرِين حَصِيراً﴾ قال: سجناً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ للكافِرِينَ حَصِيراً﴾ يقول: جعل الله مأواهم فيها.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ للكافِرِينَ حَصِيراً﴾ قال: مَحْبِساً حَصُوراً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً﴾ يقول: سجناً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿حَصِيراً﴾ قال: يحصرون فيها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد

﴿وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ للْكافِرِينَ حَصِيراً﴾ قال: يُحصرون فيها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ للكافِرِينَ حَصِيراً﴾ سجناً يسجنون فيها حصروا فيها.

حدثنا عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ للكافِرِينَ حَصِيراً﴾ يقول: سجناً.

وقال آخرون: معناه: وجعلنا جهنم للكافرين فراشاً ومهاداً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال الحسن: الحصير: فِراش ومِهاد.

وذهب الحسن بقوله هذا إلى أن الحصير في هذا الموضع عني به الحصير الذي يُبْسط ويفترش، وذلك أن العرب تسمى البساط الصغير حصيراً، فوجَّه الحسن معنى الكلام إلى أن الله تعالى جعل جهنم للكافرين به بساطاً ومهاداً، كما قال: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَواشٍ﴾ وهو وجه حسن وتأويل صحيح. وأما الآخرون، فوجهوه إلى أنه فعيل من الحصر الذي هو الحبس. وقد بيَّنت ذلك بشواهده في سورة البقرة، وقد تسمي العرب الملك حصيراً بمعنى أنه محصور: أي محجوب عن الناس، كما قال لبيد:

وَمَقامَةٍ غُلْبِ الرِّقابِ كأنَّهُمْ جِنٌّ لَدَى بابِ الحَصِيرِ قِيامُ(١)

يعني بالحصير: الملك، ويقال للبخيل: حصور وحصر: لمنعه ما لديه من المال عن أهل الحاجة، وحبسه إياه عن النفقة، كما قال الأخطل:

وَشارِبٍ مُرْبِحٍ بالكأسِ نادَمَنِي لا بالحَصُورِ وَلا فِيها بِسَوَّارِ(٢)

ويروى: بسآر. ومنه الحصر في المنطق لامتناع ذلك عليه، واحتباسه إذا أراده. ومنه أيضاً

---

(١) البيت في ديوان لبيد، طبع لندن سنة ١٨٩١ (ص ـ ٣٩). والرواية فيه: «لدى طرف الحصير». وروايته في «**مجاز القرآن**» لأبي عبيدة (ص ـ ٣٧١) وفي «**لسان العرب**»: قوم كرواية المؤلف هنا. قالا: ويقال للملك حصير، لأنه محجوب. والمقامة والمقام المجلس، ومقامات الناس: مجالسهم. والمقامة: السادة. والغلب: جمع أغلب، وصف من غلب غلبا (كفرح فرحاً): إذا غلظت رقبته. وفي «**اللسان**»: حصر ذكر هذا الشاهد كرواية المؤلف مع وضع لفظة «وقماقم» في مكان: «ومقامة» وأشار إلى الرواية الأخرى. ثم قال قال: والحصير المحبس، وفي التنزيل: «وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً» قال القتيبي، هو من حصرته، أي حبسته. فهو محصور، وهذا حصيره، أي محبسه.

(٢) تقدم شرح هذا الشاهد في الجزء الثالث من هذا التفسير (ص ـ ٢٥٥).

الحصور عن النساء لتعذّر ذلك عليه، وامتناعه من الجماع، وكذلك الحصر في الغائط: احتباسه عن الخروج، وأصل ذلك كله واحد وإن اختلفت ألفاظه. فأما الحصيران: فالجنبان، كماقال الطرّماح:

قَلِيلاً تَتَلَّى حاجَةً ثُمَّ عُولِيَتْ عَلى كُلِّ مَفْرُوشِ الحَصِيرَيْنِ بادِنِ[1]

يعني بالحصيرين: الجنبين.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: معنى ذلك: ﴿**وَجَعَلْنا جَهَنَم لِلْكافِرِينَ حَصِيراً**﴾ فراشاً ومهاداً لا يزايله من الحصير الذي بمعنى البساط، لأن ذلك إذا كانَ كذلك كان جامعاً معنى الحبس والامتهاد، مع أن الحصير بمعنى البساط في كلام العرب أشهر منه بمعنى الحبس، وأنها إذا أرادت أن تصف شيئاً بمعنى حبس شيء، فإنما تقول: هو له حاصر أو محصر فأما الحصير فغير موجود في كلامهم، إلا إذا وصفته بأنه مفعول به، فيكون في لفظ فعيل، ومعناه مفعول به ألا ترى بيت لبيد: لدى باب الحصير؟ فقال: لدى باب الحصير، لأنه أراد: لدى باب المحصور، فصرف مفعولاً إلى فعيل. فأما فعيل في الحصر بمعنى وصفه بأنه الحاصر. فذلك ما لا نجده في كلام العرب، فلذلك قلت: قول الحسن أولى بالصواب في ذلك. وقد زعم بعض أهلَ العربية من أهل البصرة أن ذلك جائز، ولا أعلم لما قال وجهاً يصحّ إلا بعيداً وهو أن يقال: جاء حصير بمعنى حاصر، كما قيل: عليم بمعنى عالم، وشهيد بمعنى شاهد، ولم يسمع ذلك مستعملاً في الحاصر كما سمعنا في عالم وشاهد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا محمد ﷺ يرشد ويسدّد من اهتدى به ﴿**لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ يقول: للسبيل التي هي أقوم من غيرها من السبل، وذلك دين الله الذي بعث به أنبياءه وهو الإسلام. يقول جلّ ثناؤه: فهذا القرآن يهدي عباد الله المهتدين به إلى قصد السبيل التي ضلّ عنها سائر أهل الملل المكذّبين به، كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**إِنَّ هَذَا القُرآنَ**

---

(١) البيت في ديوان الطرماح بن حكيم (طبع لندن سنة ١٩٢٧ ص ـ ١٦٤) وتتلى الشيء: تتبعه. وتتلى أيضاً: بقي بقية من دينه. وعوليت: ذهب بها إلى العالية، وهي نجد، والحصير: سفيفة تصنع من بردي وأسل ثم تفرش.

يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ قال: للتي هي أصوب: هو الصواب وهو الحقّ قال: والمخالف هو الباطل. وقرأ قول الله تعالى: **﴿فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾** قال: فيها الحقّ ليس فيها عوج. وقرأ **﴿ولَمْ نَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً﴾** يقول: قيماً مستقيماً.

وقوله: **﴿وَيُبَشِّرُ المُؤْمِنِينَ﴾** يقول: ويبشر أيضاً مع هدايته من اهتدى به للسبيل الأقصد الذين يؤمنون بالله ورسوله، ويعملون في دنياهم بما أمرهم الله به، وينتهون عما نهاهم عنه بأن **﴿لهُمْ أجْراً﴾** من الله على إيمانهم وعملهم الصالحات **﴿كَبِيراً﴾** يعني ثواباً عظيماً، وجزاء جزيلاً، وذلك هو الجنة التي أعدّها الله تعالى لمن رضي عمله، كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج **﴿أنَّ لَهُمْ أجْراً كَبِيراً﴾** قال: الجنة، وكلّ شيء في القرآن أجر كبير، أجر كريم، ورزق كريم فهو الجنة، وأن في قوله: **﴿أنَّ لَهُمْ أجْراً كَبِيراً﴾** نصب بوقوع الشارة عليها، وأن الثانية معطوفة عليها.

وقوله: تعالى ﴿وأنَّ الذينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخرة﴾ يقول تعالىٰ ذكره: وأن الذين لا يُصدقون بالمعاد إلى الله، ولا يقرّون بالثواب والعقاب في الدنيا، فهم لذلك لايتحاشون من ركوب معاصي الله **﴿أعتدنا لهم﴾** يقول أعددنا لهم لقدومهم على ربهم يوم القيامة **﴿عَذَاباً ألِيماً﴾** يعني موجعاً، وذلك عذاب جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مذكراً عباده أياديه عندهم، ويدعو الإنسان على نفسه وولده وماله بالشرّ، فيقول: اللهمّ أهلكه والعنه عند ضجره وغضبه، كدعائه بالخير: يقول: كدعائه ربه بأن يهب له العافية، ويرزقه السلامة في نفسه وماله وولده، يقول: فلو استجيب له في دعائه على نفسه وماله وولده بالشرّ كما يستجاب له في الخير هلك، ولكن الله بفضله لا يستجيب له في ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَيَدْعُ الإنْسانُ بالشَّرّ دعاءَه بالخَيرِ وكانَ الإنسان عَجُولاً﴾** يعني قول الإنسان: اللهمّ العنه واغضب عليه، فلو يُعَجل له ذلك كما يُعجِل له الخير، لهلك، قال: ويقال: هو **﴿وإذَا مَسَّ الإنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أوْ قَاعِداً أوْ قَائِماً﴾** أن يكشف ما به من ضرّ، يقول تبارك وتعالى: لو أنه ذكرني وأطاعني، واتبع أمري عند الخير، كما يدعوني عند البلاء، كان خيراً له.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بالشَّرِّ دعاءَهُ بالخَيْرِ وكانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾** يدعو على ماله، فيلعن ماله وولده، ولو استجاب الله له لأهلكه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿ويَدْعُ الإِنسانُ بالشَّرِّ دُعاءَهُ بالخَيْرِ﴾** قال: يدعو على نفسه بما لو استجيب له هلك، وعلى خادمه، أو على ماله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد **﴿وَيَدْعُ الإِنسانُ بالشَّرِّ دُعاءَهُ بالخَيْرِ وكانَ الإِنسانُ عَجولاً﴾** قال: ذلك دعاء الإنسان بالشرّ على ولده وعلى امرأته، فيعجل: فيدعو عليه، ولا يحب أن يصيبه.

واختلف في تأويل قوله: **﴿وكانَ الإِنسانُ عَجُولاً﴾** فقال مجاهد ومن ذكرت قوله: معناه: وكان الإنسان عَجولاً، بالدعاء على ما يكره، أن يُستجاب له فيه.

وقال آخرون: عنى بذلك آدم أنه عجل حين نفخ فيه الروح قبل أن تجري في جميع جسده، فرام النهوض، فوصف ولده بالاستعجال، لما كان من استعجال أبيهم آدم القيام، قبل أن يتمّ خلقه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شُعبة، عن الحكم، عن إبراهيم، أن سلمان الفارسيّ، قال: أوّل ما خلق الله من آدم رأسه، فجعل ينظر وهو يُخلق، قال: وبقيت رجلاه فلما كان بعد العصر قال: يا ربّ عَجِّل قبل الليل، فذلك قوله: **﴿وكانَ الإِنسانُ عَجُولاً﴾**.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا بشر بن عمارة، عن أبي رَوْق، عن الضحاك عن ابن عباس، قال: لما نفخ الله في آدم من روحه أتت النفخة من قبَل رأسه، فجعل لا يجري شيء منها في جسده، إلا صار لحماً ودماً فلما انتهت النفخة إلى سرّته، نظر إلى جسده، فأعجبه ما رأى من جسده فذهب لينهض فلم يقدر، فهو قول الله تبارك وتعالى: **﴿وكانَ الإِنسانُ عَجُولاً﴾** قال: ضَجِراً لا صبر له على سرّاء، ولا ضرّاء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن نعمته عليكم أيها الناس، مخالفته بين علامة الليل وعلامة النهار، بإظلامه علامة الليل، وإضاءته علامة النهار، لتسكنوا في هذا، وتتصرّفوا في ابتغاء رزق الله الذي قدره لكم بفضله في هذا، ولتعلموا باختلافهما عدد السنين وانقضاءها، وابتداء دخولها، وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها ﴿**وكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناه تَفْصِيلاً**﴾ يقول: وكلّ شيء بيناه بياناً شافياً لكم أيها الناس لتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من نعمه، وتخلصوا له العبادة، دون الآلهة والأوثان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عبد العزيز بن رُفيع، عن أبي الطُفيل، قال: قال ابن الكَوّاء[1] لعليّ: يا أمير المؤمنين، ما هذه اللَطْخة التي في القمر؟ فقال: ويْحَك أما تقرأ القرآن ﴿**فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ**﴾، فهذه محوه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا طلق، عن زائدة، عن عاصم، عن عليّ بن ربيعة، قال: سأل ابن الكوّاء عليا فقال: ما هذا السواد في القمر؟ فقال عليّ: ﴿**فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وجَعَلْنا آيَةَ النهارِ مُبْصِرَةً**﴾ هُوَ المَحْو.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن عمر، قال: كنت عند عليّ، فسأله ابن الكَوّاء عن السواد الذي في القمر؟ فقال: ذاك آية الليل مُحِيت.

حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: ثنا يزيد بن زُرَيع، قال: ثنا عمران بن حُدير، عن رفيع بن أبي كثير قال: قال عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه: سَلُوا عما شئتم، فقام ابن الكوّاء فقال: ما السواد الذي في القمر، فقال: قاتلك الله، هلا سألت عن أمر دينك وآخرتك؟ قال: ذلك مَحْو الليل.

حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصريّ، قال: ثنا ابن عُفَير، قال: ثنا ابن لَهيعة، عن حُيَيّ بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رجلاً قال لعليّ: ما السواد الذي في القمر؟ قال: إن الله يقول: ﴿**وجَعَلْنا اللَّيْلَ والنَّهار آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ**

(١) ابن الكواء: هو عبد الله بن الكواء الخارجي، أحد الذين كانوا مع علي في صفين، ثم فارقوه بعد التحكيم. فكان من زعماء الحوارج.

اللَّيلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَجَعَلْنا اللَّيلَ والنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيلِ﴾** قال: هو السواد بالليل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، والقمر آية الليل، والشمس آية النهار، فمحونا آية الليل: السواد الذي في القمر.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: ذكر ابن جريج، عن مجاهد، في قوله: **﴿وَجَعَلْنا الليلَ والنَّهارَ آيَتَيْنِ﴾** قال: الشمس آية النهار، والقمر آية الليل **﴿فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيلِ﴾** قال: السواد الذي في القمر، وكذلك خلقه الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد **﴿وَجَعَلْنا اللَّيل والنهارَ آيَتَيْنِ﴾** قال: ليلاً ونهاراً، كذلك خلقهما الله.

قال ابن جريج: وأخبرنا عبد الله بن كثير، قال: **﴿فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً﴾** قال: ظلمة الليل وسُدْفَة النهار.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَجَعَلْنا اللَّيلَ والنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً﴾**: أي منيرة، وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وَجَعَلْنا اللَّيلَ والنَّهارَ آيَتَيْنِ﴾** قال: ليلاً ونهاراً، كذلك جعلهما الله.

واختلف أهل العربية في معنى قوله: **﴿وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً﴾** فقال بعض نحويي الكوفة معناها: مضيئة، وكذلك قوله: والنَّهار مُبْصراً معناه: مضيئاً، كأنه ذهب إلى أنه قيل مبصراً، لإضاءته للناس البصر. وقال آخرون: بل هو من أبصر النهار: إذا صار الناس يبصرون فيه فهو مبصر، كقولهم: رجل مجبن: إذا كان أهله وأصحابه جبناء، ورجل مضعف: إذا كانت رواته ضعفاء، فكذلك النهار مبصراً: إذا كان أهله بصراء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾** قال: جعل لكم سبحاً طويلاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وكُلّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلاً﴾: أي بيّناه تبييناً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وكلّ إنسان ألزمناه ما قضى له أنه عامله، وهو صائر إليه من شقاء أو سعادة بعمله في عنقه لا يفارقه. وإنما قوله ﴿أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ﴾ مثل لما كانت العرب تتفاءل به أو تتشاءم من سوانح الطير وبوارحها، فأعلمهم جلّ ثناؤه أن كلّ إنسان منهم قد ألزمه ربه طائره في عنقه نحساً كان ذلك الذي ألزمه من الطائر، وشقاء يورده سعيراً، أو كان سعداً يورده جنات عدن. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثني أبي، عن قتادة، عن جابر بن عبد الله أن نبيّ الله ﷺ قال: «لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ وكُلُّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَه فِي عُنُقِهِ».

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وكُلَّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ قال: الطائر: عمله، قال: والطائر في أشياء كثيرة، فمنه التشاؤم الذي يتشاءم به الناس بعضهم من بعض.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس، قوله: ﴿وكُلَّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ قال: عمله وما قدر عليه، فهو ملازمه أينما كان، فزائل معه أينما زال. قال ابن جريج: وقال: طائره: عمله.

قال: ابن جريج: وأخبرني عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: عمله وما كتب الله له.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: طائره: عمله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو جميعاً عن منصور، عن مجاهد ﴿وكُلَّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ قال: عمله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد مثله.

حدثني واصل بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن فضيل، عن الحسن بن عمرو الفقيمي، عن الحكم، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وكُلَّ إنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ**﴾ قال: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقيّ أو سعيد. قال: وسمعته يقول: أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب، قال: هو ما سبق.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وكُلَّ إنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ**﴾: إي والله بسعادته وشقائه بعمله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: طائره: عمله.

فإن قال قائل: وكيف قال: ألزمناه طائره في عنقه إن كان الأمر على ما وصفت، ولم يقل: ألزمناه في يديه ورجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد؟ قيل: لأن العنق هو موضع السمات، وموضع القلائد والأطوقة، وغير ذلك مما يزين أو يشين، فجرى كلام العرب بنسبة الأشياء اللازمة بني آدم وغيرهم من ذلك إلى أعناقهم وكثر استعمالهم ذلك حتى أضافوا الأشياء اللازمة سائر الأبدان إلى الأعناق، كما أضافوا جنايات أعضاء الأبدان إلى اليد، فقالوا: ذلك بما كسبت يداه، وإن كان الذي جرّ عليه لسانه أو فرجه، فكذلك قوله ﴿**أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ**﴾.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**ونُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً**﴾ فقرأه بعض أهل المدينة ومكة، وهو نافع وابن كثير وعامة قرّاء العراق ﴿**ونُخْرِجُ**﴾ بالنون ﴿**لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتاباً يَلْقاه مَنْشُوراً**﴾ بفتح الياء من يَلْقاه وتخفيف القاف منه، بمعنى: ونخرج له نحن يوم القيامة ردّاً على قوله ﴿**أَلْزَمْناهُ**﴾ ونحن نخرج له يوم القيامة كتاب عمله منشوراً. وكان بعض قرّاء أهل الشام يوافق هؤلاء على قراءة قوله ﴿**ونُخْرِجُ**﴾ ويخالفهم في قوله ﴿**يَلْقاهُ**﴾ فيقرؤه: «يُلَقَّاهُ» بضم الياء وتشديد القاف، بمعنى: ونخرج له نحن يوم القيامة كتاباً يلقاه، ثم يردّه إلى ما لم يسمّ فاعله، فيقول: يلقى الإنسان ذلك الكتاب منشوراً. وذكر عن مجاهد ما:

حدثنا أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا يزيد، عن جرير بن حازم عن حميد، عن مجاهد أنه قرأها، «وَيَخْرَجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتاباً» قال: يزيد: يعني يَخرج الطائر كتاباً، هكذا أحسبه قرأها بفتح الياء، وهي قراءة الحسن البصري وابن محيصن وكأن من قرأ هذه القراءة وجّه تأويل الكلام إلى: ويخرج له الطائر الذي ألزمناه عنق الإنسان يوم القيامة، فيصير كتاباً يقرؤه منشوراً.

وقرأ ذلك بعض أهل المدينة: «ويُخَرجُ لَهُ» بضم الياء على مذهب ما لم يسمّ فاعله، وكأنه

وجّه معنى الكلام إلى ويخرج له الطائر يوم القيامة كتاباً، يريد: ويخرج الله ذلك الطائر قد صيره كتاباً، إلا أنه نحاه نحو ما لم يسمّ فاعله.

وأولى القراءات في ذلك بالصواب، قراءة من قرأه: ﴿ونُخْرِجُ﴾ بالنون وضمها ﴿لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتاباً يَلقاهُ مَنشُوراً﴾ بفتح الياء وتخفيف القاف، لأن الخبر جرى قبل ذلك عن الله تعالى أنه الذي ألزم خلقه ما ألزم من ذلك فالصواب أن يكون الذي يليه خبراً عنه، أنه هو الذي يخرجه لهم يوم القيامة، أن يكون بالنون كما كان الخبر الذي قبله بالنون. وأما قوله: ﴿يَلقاهُ﴾ فإنّ في إجماع الحجة من القرّاء على تصويب ما اخترنا من القراءة في ذلك، وشذوذ ما خالفه الحجة الكافية لنا على تقارب معنى القراءتين: أعني ضمّ الياء وفتحها في ذلك، وتشديد القاف وتخفيفها فيه فإذا كان الصواب في القراءة هو ما اخترنا بالذي عليه دللنا، فتأويل الكلام: وكلّ إنسان منكم يا معشر بني آدم، ألزمناه نحسه وسعده، وشقاءه وسعادته، بما سبق له في علمنا أنه صائر إليه، وعامل من الخير والشرّ في عنقه، فلا يجاوز في شيء من أعماله ما قضينا عليه أنه عامله، وما كتبنا له أنه صائر إليه، ونحن نخرج له إذا وافانا كتاباً يصادفه منشوراً بأعماله التي عملها في الدنيا، وبطائره الذي كتبنا له، وألزمناه إياه في عنقه، قد أحصى عليه ربه فيه كلّ ما سلف في الدنيا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿ونُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتاباً يَلقاهُ مَنْشُوراً﴾ قال: هو عمله الذي عمل أحصي عليه، فأخرج له يوم القيامة ما كتب عليه من العمل يلقاه منشوراً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ونُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتاباً يَلقاهُ مَنْشُوراً﴾: أي عمله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة ﴿ألْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ قال: عمله ﴿ونُخْرِجُ لَهُ﴾ قال: نخرج ذلك العمل ﴿كِتاباً يَلقاهُ مَنْشُوراً﴾ قال معمر: وتلا الحسن: ﴿عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ﴾ يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك، ووكل بك ملَكان كريمان، أحدهما عن يمينك، والآخر عن يسارك. فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك. وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر، حتى إذا متّ طُويت صحيفتك، فجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ﴿اقرأْ كِتابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيكَ حَسِيباً﴾ قد عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: طائره: عمله،

ونخرج له بذلك العمل كتاباً يلقاه منشوراً.

وقد كان بعض أهل العربية يتأوّل قوله ﴿وكُلَّ إنسانٍ ألزمناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾: أي حظه، من قولهم: طار سهم فلان بكذا: إذا خرج سهمه على نصيب من الأنصباء وذلك وإن كان قولاً له وجه، فإن تأويل أهل التأويل على ما قد بينت، وغير جائز أن يتجاوز في تأويل القرآن ما قالوه إلى غيره، على أن ما قاله هذا القائل، إن كان عنى بقوله حظه من العمل والشقاء والسعادة، فلم يبعد معنى قوله من معنى قولهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿ونُخرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتاباً يَلقاهُ مَنْشُوراً﴾ فيقال له: ﴿اقرأْ كِتابَكَ كَفَى بِنَفسكَ اليَوْمَ عَلَيكَ حَسِيباً﴾ فترك ذكر قوله: فنقول له، اكتفاء بدلالة الكلام عليه. وعنى بقوله: ﴿اقرأْ كِتابَكَ﴾: اقرأ كتاب عملك الذي عملته في الدنيا، الذي كان كاتبانا يكتبانه، ونحصيه عليك ﴿كَفَى بِنَفسِكَ اليَوْمَ عَلَيكَ حَسِيباً﴾ يقول: حسبك اليوم نفسك عليك حاسباً يحسب عليك أعمالك، فيحصيها عليك، لا نبتغي عليك شاهداً غيرها، ولا نطلب عليك محصياً سواها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿اقرأْ كِتابَكَ كَفَى بِنَفسِكَ اليَوْمَ عَلَيكَ حَسِيباً﴾ سيقرأ يومئذٍ من لم يكن قارئاً في الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)﴾.

يقول تعالى ذكره: من استقام على طريق الحقّ فاتبعه، وذلك دين الله الذي ابتعث به نبيه محمداً ﷺ عليه وسلم ﴿فإنَّما يَهتَدي لِنَفسِهِ﴾ يقول: فليس ينفع بلزومه الاستقامة، وإيمانه بالله ورسوله غير نفسه ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ يقول: ومن جار عن قصد السبيل، فأخذ على غير هدى، وكفر بالله وبمحمد ﷺ وبما جاء به من عند الله من الحقّ، فليس يضرّ بضلاله وجوره عن الهدى غير نفسه، لأنه يوجب لها بذلك غضب الله وأليم عذابه.. وإنما عنى بقوله ﴿فإنَّمَا يَضِلُّ عَلَيها﴾ فإنما يكسب إثم ضلاله عليها لا على غيرها. وقوله: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرَى﴾ يعني تعالى ذكره: ولا تحمل حاملة حمل أخرى غيرها من الآثام. وقال: ﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرَى﴾ لأن معناها: ولا تزر نفس وازرة وزر نفس أخرى. يقال منه: وزرت كذا أزره وزراً، والوزر: هو الإثم، يجمع أوزاراً، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنا أوْزَاراً مِنْ زِينَةِ القَوْمِ﴾ وكأن معنى الكلام: ولا تأثم آثمة إثم

أخرى، ولكن على كل نفس إثمها دون إثم غيرها من الأنفس، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرَى﴾: والله ما يحمل الله على عبد ذنب غيره، ولا يؤاخذ إلا بعمله.

وقوله: ﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ يقول تعالى ذكره: وما كنا مهلكي قوم إلا بعد الإعذار إليهم بالرسل، وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾: إن الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله خبراً، أو يأتيه من الله بيِّنة، وليس معذِّباً أحداً إلا بذنبه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن أبي هريرة، قال: إذا كان يوم القيامة، جمع الله تبارك وتعالى نسم الذين ماتوا في الفترة والمعتوه والأصمّ والأبكم، والشيوخ الذين جاء الإسلام وقد خرفوا، ثم أرسل رسولاً، أن ادخلوا النار، فيقولون: كيف ولم يأتنا رسول، وايم الله لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً، ثم يرسل إليهم، فيطيعه من كان يريد أن يطيعه قبل قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿وَما كُنا مُعَذِّبِينَ حتى نَبعَثَ رَسُولاً﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة نحوه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾.

اختلف القرّاء في قراءة قوله ﴿أَمَرْنا مُتْرَفِيها﴾ فقرأت ذلك عامة قرّاء الحجاز والعراق ﴿أَمَرْنا﴾ بقصر الألف وغير مدها وتخفيف الميم وفتحها. وإذا قرىء ذلك كذلك، فإن الأغلب من تأويله: أمرنا مترفيها بالطاعة، ففسقوا فيها بمعصيتهم الله، وخلافهم أمره، كذلك تأوّله كثير ممن قرأه كذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس ﴿أَمَرْنا مُتْرَفيها﴾ قال: بطاعة الله، فعصوا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا شريك، عن سلمة أو غيره، عن سعيد بن جبير، قال: أمرنا بالطاعة فعصوا.

وقد يحتمل أيضاً إذا قرىء كذلك أن يكون معناه: جعلناهم أمراء ففسقوا فيها، لأن العرب تقول: هو أمير غير مأمور. وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: قد يتوجَّه معناه إذا قرىء كذلك إلى معنى أكثرنا مترفيها، ويحتجّ لتصحيحه ذلك بالخبر الذي رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خَيْرُ المَالِ مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ أوْ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ» ويقول: إن معنى قوله: مأمورة: كثيرة النسل. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين ينكر ذلك من قيله، ولا يجيزنا أمرنا، بمعنى أكثرنا إلا بمدّ الألف من أمرنا. ويقول في قوله «مهرة مأمورة»: إنما قيل ذلك على الاتباع لمجيء مأبورة بعدها، كما قيل: «ارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غيرَ مَأْجُورَات» فهمز مأزورات لهمز مأجورات، وهي من وزرت إتباعاً لبعض الكلام بعضاً. وقرأ ذلك أبو عثمان «أمَّرْنا» بتشديد الميم، بمعنى الإمارة.

حدثنا أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا هشيم عن عوف، عن أبي عثمان النهدي أنه قرأ: «أمَّرْنا» مشدّدة من الإمارة.

وقد تأوّل هذا الكلام على هذا التأويل، جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ بن داود، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: «أمَّرْنا مُتَرَفِيها» يقول: سلطنا أشرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكتهم بالعذاب، وهو قوله: ﴿وكذلكَ جَعَلنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أكابِرَ مُجْرِمِيها لِيَمْكُرُوا فِيها﴾.

حدثني الحرث، قال: ثنا القاسم، قال: سمعت الكسائي يحدّث عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، أنه قرأها: «أمَّرْنا» وقال: سلَّطنا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي حفص، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: «أمَّرْنا» مثقلة: جعلنا عليها مترفيها: مستكبريها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحرث قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى: «أمَّرْنا مُتَرَفِيها» قال: بعثنا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ ذلك: «آمَرْنا» بمدّ الألف من أمرنا، بمعنى: أكثرنا

فسقتها. وقد وجّه تأويل هذا الحرف إلى هذا التأويل جماعة من أهل التأويل، إلا أن الذين حدّثونا لم يميزوا لنا اختلاف القراءات في ذلك، وكيف قرأ ذلك المتأوّلون، إلا القليل منهم. ذكر من تأوّل ذلك كذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: «وَإذَا أرَدْنا أنْ نُهلكَ قَرْيَةً آمَرْنا مُترَفِيها فَفَسَقُوا فِيها» يقول: أكثرنا عددهم.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة قوله: «آمَرْنا مُتْرَفِيها» قال: أكثرناهم.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله ﴿أمَرْنا مُتْرَفِيها﴾ قال: أكثرناهم.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿أمَرْنا مُتْرَفيها﴾ يقول: أكثرنا مترفيها: أي كبراءها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: «وَإذَا أرَدْنا أنْ نُهْلكَ قَرْيَةً آمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها، فَحَقَّ عَلَيْها القَوْلُ» يقول: أكثرنا مترفيها: أي جبابرتها، ففسقوا فيها وعملوا بمعصية الله ﴿فَدَمَّرْناها تَدْميراً﴾. وكان يقول: إذا أراد الله بقوم صلاحاً، بعث عليهم مصلحاً. وإذا أراد بهم فساداً بعث عليهم مفسداً، وإذا أراد أن يهلكها أكثر مترفيها.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿آمَرْنا مُتْرَفِيها﴾ قال: أكثرناهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري، قال: دخل رسول الله ﷺ يوماً على زينب وهو يقول: «لا إلَهَ إلاَّ اللّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرّ قَدِ اقْتَرَبَ فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمأْجُوجَ مِثْلُ هَذَا» وحلق بين إبهامه والتي تليها، قالت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نَعَمْ إذَا كَثُرَ الخَبَثُ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَإذَا أرَدْنا أنْ نُهْلكَ قَرْيَةً أمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها﴾ قال: ذكر بعض أهل العلم أن أمرنا: أكثرنا. قال: والعرب تقول للشيء الكثير أمِرَ لكثرته. فأما إذا وصف القوم بأنهم كثروا، فإنه يقال: أمر بنو فلان، وأمر القوم يأمرون أمراً، وذلك إذا كثروا وعظم أمرهم، كما قال لبيد.

إنْ يُغْبَطُوا يُهْبَطُوا وَإنْ أَمَرُوا   يَوْماً يَصِيرُوا لِلقُلِّ والنَّفَدِ[1]

والأمر المصدر، والاسم الإمر، كما قال الله جلّ ثناؤه ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إمْراً﴾ قال: عظيماً، وحكي في مثل شرّ إمْر: أي كثير.

وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ ﴿أمَرْنا مُتْرَفِيها﴾ بقصر الألف من أمرنا وتخفيف الميم منها، لإجماع الحجة من القرّاء على تصويبها دون غيرها. وإذا كان ذلك هو الأولى بالصواب بالقراءة، فأولى التأويلات به تأويل من تأوّله: أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها، فحقّ عليهم القول: لأن الأغلب من معنى أمرنا: الأمر، الذي هو خلاف النهي دون غيره، وتوجيه معاني كلام الله جلّ ثناؤه إلى الأشهر الأعرف من معانيه، أولى ما وجد إليه سبيل من غيره.

ومعنى قوله: ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾: فخالفوا أمر الله فيها، وخرجوا عن طاعته ﴿فَحَقَّ عَلَيْها القَوْلُ﴾ يقول: فوجب عليهم بمعصيتهم الله وفسوقهم فيها، وعيد لله الذي أوعد من كفر به، وخالف رسله، من الهلاك بعد الإعذار والإنذار بالرسل والحجج ﴿فَدَمَّرْناها تَدْميراً﴾ يقول: فخرّبناها عند ذلك تخريباً، وأهلكنا من كان فيها من أهلها إهلاكاً، كما قال الفرزدق:

وكانَ لَهُمْ كَبَكْرِ ثَمُودَ لَمَّا   رَغا ظُهْراً فَدَمَّرَهُمْ دَماراً[2]

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾﴾.

---

(١) البيت في ديوان لبيد طبع فينا سنة ١٨٨٠ رواية الطوسي ١٩ وفي روايته آخر البيت: «للهلك والنكد» في موضع: للقل والنفد في رواية المؤلف. وقال شارحه: يقول: إن غبطوا يوماً فإنهم يموتون. ويهبطوا هاهنا يموتون. قال أبو الحسن: وهو قول أبي عمرو. ويروى «إن يغبطوا: يموتون غبطة، كأنهم يموتون من غير مرض. ويقال للناقة إذا ذبحت من غير علة: اعتبطت، أخذه من العبيط. والعبيط: الطري من كل شيء» ا هـ. قلت: والقد النفد بمعنى القلة والغناء.

(٢) البيت للفرزدق (ديوانه ٤٤٣) استشهد به المؤلف على أن قوله تعالى: ﴿فدمرناها تدميراً﴾ معناه: خربناها تخريباً والبيت من قصيدة ناقض بها الفرزدق قصيدة جرير التي مطلعها:

أَلا حَيِّ الدِّيارَ بِسُعْدَ إنِّي   أُحِبُّ لِحُبِّ فاطِمَةَ الدِّيارا

والضمير في قوله «وكان له كبكر ثمود» راجع إلى جرير المذكور في البيت قبله وهو:

جَرَّ المُخْزِياتِ عَلى كُلَيْبٍ   جَرِيرٌ ثُمَّ ما مَنَعَ الذِّمارا،

وبكر ثمود: ولد ناقة صالح. ورغا: صوت. والرغاء: صوت ذوات الخلف.

وهذا وعيد من الله تعالى ذكره مكذّبي رسوله محمد ﷺ من مشركي قريش، وتهديدهم لهم بالعقاب، وإعلام منه لهم، أنهم إن لم ينتهوا عما هم عليه مقيمون من تكذيبهم رسوله عليه الصلاة والسلام أنه محلّ بهم سخطه، ومنزل بهم من عقابه ما أنزل بمن قبلهم من الأمم الذين سلكوا في الكفر بالله، وتكذيب رسله سبيلهم. يقول الله تعالى ذكره: وقد أهلكنا أيها القوم من قبلكم من بعد نوح إلى زمانكم قروناً كثيرة كانوا من جحود آيات الله والكفر به، وتكذيب رسله، على مثل الذي أنتم عليه، ولستم بأكرم على الله تعالى منهم، لأنه لا مناسبة بين أحد وبين الله جلّ ثناؤه، فيعذّب قوماً بما لا يعذّب به آخرين، أو يعفو عن ذنوب ناس فيعاقب عليها آخرين يقول جلّ ثناؤه: فأنيبوا إلى طاعة الله ربكم، فقد بعثنا إليكم رسولاً ينبهكم على حججنا عليكم، ويوقظكم من غفلتكم، ولم نكن لنعذّب قوماً حتى نبعث إليهم رسولاً منبهاً لهم على حجج الله، وأنتم على فسوقكم مقيمون، وكفى بربك يا محمد بذنوب عباده خبيراً يقول: وحسبك يا محمد بالله خابراً بذنوب خلقه عالماً، فإنه لا يخفى عليه شيء من أفعال مشركي قومك هؤلاء، ولا أفعال غيرهم من خلقه، هو بجميع ذلك عالم خابر بصير، يقول: يبصر ذلك كله فلا يغيب عنه منه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر. وقد اختلف في مبلغ مدّة القرن:

فحدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن أبي محمد بن عبد الله بن أبي أوفى، قال: القرن: عشرون ومئة سنة، فبُعث رسول الله ﷺ في أوّل قرن كان، وآخرهم يزيد بن معاوية.

وقال آخرون: بل هو مئة سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا حسان بن محمد بن عبد الرحمن الحمصي أبو الصلت الطائي، قال: ثنا سلامة بن حواس، عن محمد بن القاسم، عن عبد الله بن بسر المازني، قال: وضع النبيّ ﷺ يده على رأسه وقال: «سَيَعِيشُ هذَا الغُلام قَرْناً» قلت: كم القرن؟ قال: «مِئَةُ سَنَةٍ».

حدثنا حسان بن محمد، قال: ثنا سلامة بن حواس، عن محمد بن القاسم، قال: ما زلنا نعدّ له حتى تمّت مئة سنة ثم مات، قال أبو الصلت: أخبرني سلامة أن محمد بن القاسم هذا كان ختن عبد الله بن بسر. وقال آخرون في ذلك بما:

حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري، قال: أخبرنا عمر بن شاكر، عن ابن سيرين، قال: قال رسول الله ﷺ: «القَرْنُ أرْبَعُونَ سَنَةً».

وقوله: ﴿وكَفَى بِرَبِّكَ﴾ أدخلت الباء في قوله: ﴿بِرَبِّكَ﴾ وهو في محلّ رفع، لأن معنى

الكلام: وكفاك ربك، وحسبك ربك بذنوب عباده خبيراً، دلالة على المدح وكذلك تفعل العرب في كلّ كلام كان بمعنى المدح أو الذمّ، تدخل في الاسم الباء والاسم المدخلة عليه الباء في موضع رفع لتدلّ بدخولها على المدح أو الذمّ كقولهم: أكرم به رجلاً، وناهيك به رجلاً، وجاد بثوبك ثوباً، وطاب بطعامكم طعاماً، وما أشبه ذلك من الكلام، ولو أسقطت الباء مما دخلت فيه من هذه الأسماء رفعت، لأنها في محلّ رفع، كما قال الشاعر:

ويُخْبِرُني عَنْ غائبِ المَرْءِ هَدْيُهُ ... كَفَى الهَدْيُ عَمَّا غَيَّبَ المَرْءُ مُخْبِراً[1]

فأما إذا لم يكن في الكلام مدح أو ذمّ فلا يدخلون في الاسم الباء لا يجوز أن يقال: قام بأخيك، وأنت تريد: قام أخوك، إلا أن تريد: قام رجل آخر به، وذلك معنى غير المعنى الأوّل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: من كان طلبه الدنيا العاجلة ولها يعمل ويسعى، وإياها يبتغي، لا يوقن بمعاد، ولا يرجو ثواباً ولا عقاباً من ربه على عمله ﴿**عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ**﴾ يقول: يعجل الله له في الدنيا ما يشاء من بسط الدنيا عليه، أو تقتيرها لمن أراد الله أن يفعل ذلك به، أو إهلاكه بما يشاء من عقوباته. ﴿**ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها**﴾ يقول: ثم أصليناه عند مقدمه علينا في الآخرة جهنم، ﴿**مَذْمُوماً**﴾ على قلة شكره إيانا، وسوء صنيعه فيما سلف من أيادينا عنده في الدنيا ﴿**مَدْحُوراً**﴾ يقول: مبعداً: مقصى في النار. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**مَنْ كانَ يُرِيدُ العاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ**﴾ يقول: من كانت الدنيا همّه وسَدَمَه وطلبته ونيته، عجّل الله له

(١) البيت من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ (ص ـ ١٧٨) قال: «وكل ما في القرآن من قوله: (وكفى بربك)، و (كفى بالله) و (كفى بنفسك اليوم): فلو ألقيت الباء، كان الخوف مرفوعاً، كما قال الشاعر: «ويخبرني. . . . . . البيت». وإنما يجوز دخول الباء في المرفوع إذا كان يمدح به صاحبه؛ ألا ترى أنك تقول: كفاك به، ونهاك به، وأكرم به رجلاً، وبئس به رجلاً، ونعم به رجلاً، وطاب بطعامك طعاماً، وجاد بثوبك ثوباً. ولو لم يكن مدحاً أو ذما لم يجز دخولها: ألا ترى أن الذي يقول: قام أخوك. أو قعد أخوك، لا يجوز له أن يقول: قام بأخيك، ولا قعد بأخيك؛ إلا أن تريد قام به غيره وقعد به. ا هـ. وقد اغترف المؤلف من كلام الفراء ما شاء، غير أنه لم يعزه إلى قائله في هذا الموضع.

فيها ما يشاء، ثم اضطرّه إلى جهنم. قال: ﴿**ثمّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً**﴾ مذموماً في نعمة الله مدحوراً في نقمة الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني أبو طيبة شيخ من أهل المصيصة، أنه سمع أبا إسحاق الفزاري يقول: ﴿**عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ**﴾ قال: لمن نريد هلكته.

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿**مَذْمُوماً**﴾ يقول: ملوماً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ**﴾ قال: العاجلة: الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: من أراد الآخرة وإياها طلب، ولها عمل عملها، الذي هو طاعة الله وما يرضيه عنه. وأضاف السعي إلى الهاء والألف، وهي كناية عن الآخرة، فقال: وسعى للآخرة سعي الآخرة، ومعناه: وعمل لها عملها لمعرفة السامعين بمعنى ذلك، وأن معناه: وسعى لها سعيه لها وهو مؤمن، يقول: هو مؤمن مصدّق بثواب الله، وعظيم جزائه على سعيه لها، غير مكذّب به تكذيب من أراد العاجلة، يقول الله جلّ ثناؤه: ﴿**فَأُولَئِكَ**﴾ يعني: فمن فعل ذلك ﴿**كانَ سَعْيُهُمْ**﴾ يعني عملهم بطاعة الله ﴿**مَشْكُوراً**﴾ وشكر الله إياهم على سعيهم ذلك حسن جزائه لهم على أعمالهم الصالحة، وتجاوزه لهم عن سيئها برحمته. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَمَنْ أَرادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَها وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً**﴾ شكر الله لهم حسناتهم، وتجاوز عن سيئاتهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يمدّ ربك يا محمد كلا الفريقين من مريدي العاجلة، ومريدي الآخرة، الساعي لها سعيها وهو مؤمن في هذه الدنيا من عطائه، فيرزقهما جميعاً من رزقه إلى بلوغهما الأمد، واستيفائهما الأجل ما كتب لهما، ثم تختلف بهما الأحوال بعد الممات، وتفترق بهما بعد

الورود المصادر، ففريق مريدي العاجلة إلى جهنم مصدَرهم، وفريق مريدي الآخرة إلى الجنة مآبهم ﴿وَما كانَ عَطاء رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ يقول: وما كان عطاء ربك الذي يؤتيه من يشاء من خلقه في الدنيا ممنوعاً عمن بسطه عليه لا يقدر أحد من خلقه منعه من ذلك، وقد آتاه الله إياه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾: أي منقوصاً، وإن الله عزّ وجلّ قسم الدنيا بين البرّ والفاجر، والآخرة خصوصاً عند ربك للمتقين.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْضُوراً﴾ قال: منقوصاً.

حدثنا محمد بن عبد الله المخرمي، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سهل بن أبي الصلت السراج، قال: سمعت الحسن يقول ﴿كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ﴾ قال: كلا نعطي من الدنيا البرّ والفاجر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ العاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ...﴾ الآية ﴿وَمَنْ أرادَ الآخِرَةَ...﴾ ثم قال ﴿كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس: فيرزق من أراد الدنيا، ويرزق من أراد الآخرة. قال ابن جريج ﴿وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ قال: ممنوعاً.

حدثنا بشر، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ﴾ أهل الدنيا وأهل الآخرة ﴿مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ قال: ممنوعاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ﴾ أهل الدنيا وأهل الآخرة ﴿مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ من برّ ولا فاجر، قال: والمحظور: الممنوع، وقرأ ﴿انْظُرْ كَيفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ والآخِرَةُ أكْبَرُ دَرَجاتٍ وأكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾. القول في تأويل قوله تعالى

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: انظر يا محمد بعين قلبك إلى هذين الفريقين اللذين هم أحدهما الدار العاجلة، وإياها يطلب، ولها يعمل والآخر الذي يريد الدار الآخرة، ولها يسعى

موقناً بثواب الله على سعيه، كيف فضّلنا أحد الفريقين على الآخر، بأن بصّرنا هذا رشده، وهديناه للسبيل التي هي أقوم، ويسرناه للذي هو أهدى وأرشد، وخذلنا هذا الآخر، فأضللناه عن طريق الحقّ، وأغشينا بصره عن سبيل الرشد ﴿وَلَلآخِرَةُ أكْبَرُ دَرَجاتٍ﴾ يقول: وفريق مريد الآخرة أكبر في الدار الآخرة درجات بعضهم على بعض لتفاوت منازلهم بأعمالهم في الجنة وأكبر تفضيلاً بتفضيل الله بعضهم على بعض من هؤلاء الفريق الآخرين في الدنيا فيما بسطنا لهم فيها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ﴾: أي في الدنيا ﴿وَلَلآخِرَةُ أكْبَرُ دَرَجاتٍ وأكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ وإن للمؤمنين في الجنة منازل، وإن لهم فضائل بأعمالهم. وذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال: «إنَّ بينَ أعْلَى أهْلِ الجَنَّةِ وأسْفَلِهِمْ دَرَجَةً كالنَّجْمِ يُرَى فِي مَشارِقِ الأرْضِ ومَغارِبِها». القول في تأويل قوله تعالى

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا تجعل يا محمد مع الله شريكاً في ألوهته وعبادته، ولكن أخلص له العبادة، وأفرد له الألوهة، فإنه لا إله غيره، فإنك إن تجعل معه إلهاً غيره، وتعبد معه سواه، تقعد مذموماً يقول: تصير ملوماً على ما ضيعت من شكر الله على ما أنعم به عليك من نعمه، وتصييرك الشكر لغير من أولاك المعروف، وفي إشراكك في الحمد من لم يشركه في النعمة عليك غيره، مخذولاً قد أسلمك ربك لمن بغاك سوءاً، وإذا أسلمك ربك الذي هو ناصر أوليائه لم يكن لك من دونه وليّ ينصرك ويدفع عنك. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً﴾ يقول: مذموماً في نعمة الله. وهذا الكلام وإن كان خرج على وجه الخطاب لنبيّ الله ﷺ، فهو معنيّ به جميع من لزمه التكليف من عباد الله جلّ وعزّ.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾.

يعني بذلك تعالى ذكره حكم ربك يا محمد بأمره إياكم ألا تعبدوا إلا الله، فإنه لا ينبغي أن يعبد غيره.

وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل في تأويل قوله ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ وإن كان معنى جميعهم في ذلك واحداً. ذكر ما قالوا في ذلك:

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاه﴾ يقول: أمر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا زكريا بن سلام، قال: جاء رجل إلى الحسن، فقال: إنه طلق امرأته ثلاثاً، فقال: إنك عصيتَ ربك، وبانت منك امرأتك، فقال الرجل: قضى الله ذلك عليّ، قال الحسن، وكان فصيحاً: ما قضى الله: أي ما أمر الله، وقرأ هذه الآية ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ فقال الناس: تكلم الحسن في القدر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾: أي أمر ربك في ألا تعبدوا إلا إياه، فهذا قضاء الله العاجل، وكان يُقال في بعض الحكمة: من أرضى والديه: أرضى خالقه، ومن أسخط والديه، فقد أسخط ربه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ قال: أمر ألا تعبدوا إلا إياه، وفي حرف ابن مسعود: «وَصَّى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يحيى بن عيسى، قال: ثنا نصير بن أبي الأشعث، قال: ثني ابن حبيب بن أبي ثابت، عن أبيه، قال: أعطاني ابن عباس مصحفاً، فقال: هذا على قراءة أبيّ بن كعب، قال أبو كريب: قال يحيى: رأيت المصحف عند نصير فيه: «وَوَصَّى رَبُّكَ» يعني: وقضى ربك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ قال: وأوصى ربك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ قال: أمر ألا تعبدوا إلا إياه.

حدثني الحرث، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا هشيم، عن أبي إسحاق الكوفي، عن الضحاك بن مزاحم، أنه قرأها: «وَوَصَّى رَبُّكَ» وقال: إنهم ألصقوا الواو بالصاد فصارت قافاً.

وقوله: ﴿وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ يقول: وأمركم بالوالدين إحساناً أن تحسنوا إليهما وتبرّوهما. ومعنى الكلام: وأمركم أن تحسنوا إلى الوالدين فلما حذفت «أن» تعلق القضاء بالإحسان، كما

يقال في الكلام: آمرك به خيراً، وأوصيك به خيراً، بمعنى: آمرك أن تفعل به خيراً، ثم تحذف «أن» فيتعلق الأمر والوصية بالخير، كما قال الشاعر:

عَجِبْتُ مِنْ دَهْماءَ إذْ تَشْكُونا ... ومِنْ أبي دَهْماءَ إذْ يُوصِينا
خَيْراً بِها كأنَّنا جافُونا[1]

وعمل يوصينا في الخير.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله ﴿إمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أحَدُهُما أوْ كِلاهُما﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة، وبعض قرّاء الكوفيين: ﴿إمَّا يَبْلُغَنَّ﴾ على التوحيد على توجيه ذلك إلى أحدهما لأن أحدهما واحد، فوحدوا ﴿يَبْلُغَنَّ﴾ لتوحيده، وجعلوا قوله ﴿أوْ كِلاهُما﴾ معطوفاً على الأحد. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين: «إما يَبْلُغانّ» على التثنية وكسر النون وتشديدها، وقالوا: قد ذكر الوالدان قبل، وقوله: «يَبْلُغانّ» خبر عنهما بعد ما قدّم أسماءهما. قالوا: والفعل إذا جاء بعد الاسم كان الكلام أن يكون فيه دليل على أنه خبر عن اثنين أو جماعة. قالوا: والدليل على أنه خبر عن اثنين في الفعل المستقبل الألف والنون. قالوا: وقوله ﴿أحَدُهُما أوْ كِلاهُما﴾ كلام مستأنف، كما قيل: ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا ثم تَابَ اللّهُ عَلَيهِمْ، ثم عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ منهُمْ﴾ وكقوله ﴿وأسَرُّوا النَّجْوَى﴾ ثم ابتدأ فقال: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾.

وأولى القراءتين بالصواب عندي في ذلك، قراءة من قرأه ﴿إما يَبْلُغَنَّ﴾ على التوحيد على أنه خبر عن أحدهما، لأن الخبر عن الأمر بالإحسان في الوالدين، قد تناهى عند قوله ﴿وَبالوَالِدَيْنِ إحْساناً﴾ ثم ابتدأ قوله ﴿إمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أحَدُهُما أوْ كِلاهُما﴾.

وقوله: ﴿فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ﴾ يقول: فلا تؤفف من شيء تراه من أحدهما أو منهما مما يتأذى به الناس، ولكن اصبر على ذلك منهما، واحتسب في الأجر صبرك عليه منهما، كما صبرا عليك في صغرك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن محبب، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: ﴿فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما﴾ قال: إن بلغا عندك من الكبر ما يبولان ويخرآن، فلا تقل لهما أفّ تقذرهما.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: إما

(١) الأبيات الثلاثة من مشطور الرجز. وهي من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» (ص ـ ١٧٨) قال: والعرب تقول: أوصيك به خيراً، وآمرك به خيراً، وكأن معناه آمرك أن تفعل به خيراً، ثم تحذف أن، فتوصل الخير بالوصية وبالأمر، قال الشاعر: «عجبت...... الأبيات».

يَبْلُغانِّ عِندكَ الكبر فلا تَقُل لهما أف حين ترى الأذى، وتميط عنهما الخلاء والبول، كما كانا يميطانه عنك صغيراً، ولا تؤذهما.

وقد اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى «أفّ»، فقال بعضهم: معناه: كلّ ما غلظ من الكلام وقبُح. وقال آخرون: الأفّ: وسخ الأظفار والتف كلّ ما رفعت بيدك من الأرض من شيء حقير. وللعرب في «أفّ» لغات ستّ رفعها بالتنوين وغير التنوين وخفضها كذلك ونصبها فمن خفض ذلك بالتنوين، وهي قراءة عامة أهل المدينة. شبهها بالأصوات التي لا معنى لها، كقولهم في حكاية الصوت غاق غاق، فخفضوا القاف ونوّنوها، وكان حكمها السكون، فإنه لا شيء يعربها من أجل مجيئها بعد حرف ساكن وهو الألف، فكرهوا أن يجمعوا بين ساكنين، فحرّكوا إلى أقرب الحركات من السكون، وذلك الكسر، لأن المجزوم إذا حرّك، فإنما يحرّك إلى الكسر. وأما الذين خفضوا بغير تنوين، وهي قراءة عامة قرّاء الكوفيين والبصريين، فإنهم قالوا: إنما يدخلون التنوين فيما جاء من الأصوات ناقصاً، كالذي يأتي على حرفين مثل: مَه وصَه وبَخ، فيتمم بالتنوين لنقصانه عن أبنية الأسماء. قالوا: وأفّ تامّ لا حاجة بنا إلى تتمته بغيره، لأنه قد جاء على ثلاثة أحرف. قالوا: وإنما كسرنا الفاء الثانية لئلا نجمع بين ساكنين. وأما من ضمّ ونوّن، فإنه قال: هو اسم كسائر الأسماء التي تُعرب وليس بصوت، وعدل به عن الأصوات. وأما من ضمّ ذلك بغير تنوين، فإنه قال: ليس هو باسم متمكن فيُعرب بإعراب الأسماء المتمكنة، وقالوا: نضمه كما نضمّ قوله ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾، وكما نضمّ الاسم في النداء المفرد، فنقول: يا زيد. ومن نصبه بغير تنوين، وهو قراءة بعض المكيين وأهل الشام فإنه شبهه بقولهم: مدّ يا هذا وردّ. ومن نصب بالتنوين، فإنه أعمل الفعل فيه، وجعله اسماً صحيحاً، فيقول: ما قلت له: أفاً ولا تفاً. وكان بعض نحويي البصرة يقول: قُرِئت: أفّ، وأفاً لغة جعلوها مثل نعتها. وقرأ بعضهم «أُفّ»، وذلك أن بعض العرب يقول: «أفّ لك» على الحكاية: أي لا تقل لهما هذا القول. قال: والرفع قبيح، لأنه لم يجيء بعده بلام، والذين قالوا: «أُفّ» فكسروا كثير، وهو أجود. وكسر بعضهم ونوّن. وقال بعضهم: «أُفّي»، كأنه أضاف هذا القول إلى نفسه، فقال: أُفّي هذا لكما، والمكسور من هذا منوّن وغير منوّن على أنه اسم غير متمكن، نحو أمس وما أشبهه، والمفتوح بغير تنوين كذلك. وقال بعض أهل العربية: كل هذه الحركات الستّ تدخل في «أفّ» حكاية تشبه بالاسم مرّة وبالصوت أخرى. قال: وأكثر ما تُكسر الأصوات بالتنوين إذا كانت على حرفين مثل صه ومه وبخ. وإذا كانت على ثلاثة أحرف شبهت بالأدوات «أفّ» مثل: ليت ومَدّ، وأُفّ مثل مُدّ يُشبه بالأدوات[1]. وإذا قال أفّ مثل صَهٍّ. وقالوا سمعت مِضّ يا هذا ومِضُّ. وحُكي

(١) ليس كلام المؤلف في تخريج اللغات الست في كلمة «أف» واضحا، وقد بينته المعاجم «اللسان» أفف، انظر «معاني القرآن» للفراء (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ـ ١٧٩) ففيه ما يوضح هذا الموضع من كلام المؤلف، وهو كثير لم نرد أن نطول به ذيول الكتاب.

عن الكسائي أنه قال: سمعت «ما علمك أهلك إلا مِضّ ومِضٌ»، وهذا كأفٍّ وأفُّ. ومن قال: «أُفّاً» جعله مثل سُحْقاً وبُعداً.

والذي هو أولى بالصحة عندي في قراءة ذلك، قراءة من قرأه: «فلا تَقُلْ لَهُما أُفِّ» بكسر الفاء بغير تنوين لعلّتين إحداهما: أنها أشهر اللغات فيها وأفصحها عند العرب والثانية: أن حظّ كلّ ما لم يكن له معرَب من الكلام السكون فلما كان ذلك كذلك. وكانت الفاء في أفّ حظها الوقوف، ثم لم يكن إلى ذلك سبيل لاجتماع الساكنين فيه، وكان حكم الساكن إذا حُرّك أن يحرّك إلى الكسر حرّكت إلى الكسر، كما قيل: مُدِّ وشُدِّ ورُدِّ الباب.

وقوله: ﴿وَلا تَنْهَرْهُما﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولا تزجُرهما. كما:

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمَسي، قال: ثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا واصل الرَّقاشيّ، عن عطاء ابن أبي رَباح، في قوله: ﴿وَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما﴾ قال: لا تنفض يدك على والديك. يقال منه: نَهرَه يَنهره نَهْراً، وانتهره ينتهره انتهاراً.

وأما قوله: ﴿وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً﴾ فإنه يقول جلّ ثناؤه: وقل لهما قولاً جميلاً حسناً. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ﴿وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً﴾ قال: أحسن ما تجد من القول.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن عبد الله بن المختار، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب ﴿قَوْلاً كَرِيماً﴾ قالا: لا تمتنع من شيء يريدانه.

قال أبو جعفر: وهذا الحديث خطأ، أعني حديث هشام بن عُروة، إنما هو عن هشام بن عروة، عن أبيه، ليس فيه عمر، حدّث عن ابن عُلية وغيره، عن عبد الله بن المختار.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً﴾: أي قولاً ليّناً سهلاً.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني حَرْملة بن عمران، عن أبي الهَدَّاج التُّجِيبي، قال: قلت لسعيد بن المسيب: كلّ ما ذكر الله عزّ وجلّ في القرآن من برّ الوالدين، فقد عرفته، إلاّ قوله ﴿وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً﴾ ما هذا القول الكريم؟ فقال ابن المسيب: قول العبد المذنب للسيد الفظّ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وكن لهما ذليلاً رحمة منك بهما تطيعهما فيما أمراك به مما لم يكن لله معصية، ولا تخالفهما فيما أحبّا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، في قوله ﴿وَاخفِضْ لَهُما جنَاحَ الذُّلّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ قال: لا تمتنع من شيء يُحبانه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا الأشجعي، قال: سمعت هشام بن عروة، عن أبيه، في قوله ﴿وَاخفِض لَهُما جنَاحَ الذُّلّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ قال: هو أن تلين لهما حتى لا تمتنع من شيء أحبَّاه.

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا أيوب بن سويد، قال: ثنا الثوري، عن هشام بن عروة، عن أبيه، في قوله ﴿وَاخفِضْ لَهُما جنَاحَ الذُّلّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ قال: لا تمتنع من شيء أحباه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَية، عن عبد الله بن المختار، عن هشام بن عروة، عن أبيه، في قوله ﴿وَاخفِضْ لَهُما جنَاحَ الذُّلّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ قال: هو أن لا تمتنع من شيء يريدانه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا المقرىء أبو عبد الرحمن، عن حرملة بن عمران، عن أبي الهداج، قال: قلت لسعيد بن المسيب: ما قوله ﴿وَاخفِضْ لَهُما جنَاحَ الذُّلّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ قال: ألم تر إلى قول العبد المذنب للسيد الفظّ الغليظ.

والذُّلّ بضم الذال والذِّلّة مصدران من الذليل، وذلك أن يتذلل، وليس بذليل في الخلقة من قول القائل: قد ذَلَلت لك أذلّ ذلة وذلاً، وذلك نظير القلّ والقلة، إذا أسقطت الهاء ضمت الذال من الذُّلّ، والقاف من القُلّ، وإذا أثبتت الهاء كُسِرت الذال من الذِّلة، والقاف من القِلَّة، لما قال الأعشى:

وَمَا كُنْتُ قُلاً قَبلَ ذلكَ أزْيَبَا[1]

---

(١) هذا عجز بيت للأعشى ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة، بشرح الدكتور محمد حسين ص ـ ١١٥) من قصيدة يهجو بها عمرو بن المنذر بن عبدان، ويعاتب بني سعد بن قيس. وصدره: «فأرضوه أن أعطوه مني ظلامة». وقال في «لسان العرب» زيب الأزيب: الدعي؛ قال الأعشى يذكر رجلاً من قيس عيلان، كان جاراً لعمرو بن المنذر، وكان اتهم هداجاً قائد الأعشى بأنه سرق راحلة له، لأنه وجد بعض لحمها في بيته، فأخذ=

يريد: القلة. وأما الذِّل بكسر الذال وإسقاط الهاء فإنه مصدر من الذَّلول من قولهم: دابة ذَلول: بينة الذلّ، وذلك إذا كانت لينة غير صعبة. ومنه قول الله جلّ ثناؤه: **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ ذَلُولاً﴾** يُجمع ذلك ذُلُلاً، كما قال جلّ ثناؤه: **﴿فاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكَ ذُلُلاً﴾**. وكان مجاهد يتأوّل ذلك أنه لا يتوعَّر عليها مكان سلكته.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والعراق والشام **﴿وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ﴾** بضمّ الذال على أنه مصدر من الذليل. وقرأ ذلك سعيد بن جبير وعاصم الجَحْدَرِيّ: «جناحَ الذِّلّ» بكسر الذال.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا بهز بن أسد، قال: ثنا أبو عَوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير أنه قرأ: «وَاخْفِضْ لَهُما جُناحَ الذِّلّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ قال: كن لهما ذليلاً، ولا تكن لهما ذلولاً.

حدثنا نصر بن عليّ، قال: أخبرني عمر بن شقيق، قال: سمعت عاصماً الجحدري يقرأ: «وَاخْفِضْ لَهُما جناحَ الذُّلّ مِنَ الرَّحْمَةِ» قال: كن لهما ذليلاً، ولا تكن لهما ذَلولاً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عمر بن شقيق، عن عاصم مثله.

قال أبو جعفر: وعلى هذا التأويل الذي تأوّله عاصم كان ينبغي أن تكون قراءته بضم الذال لا بكسرها.

حدثنا نصر وابن بشار وحُدثت عن الفراء، قال: ثني هشيم، عن أبي بشر جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، أنه قرأ: «وَاخفِضْ لَهُما جنَاحَ الذِّلّ». قال الفرّاء: وأخبرني الحكم بن ظهير، عن عاصم بن أبي النَّجود، أنه قرأها الذِّلّ أيضاً، فسألت أبا بكر فقال: الذُّلّ قرأها عاصم.

وأما قوله: **﴿وَقُلْ رَبّ ارْحَمْهُما كمَا رَبَّيانِي صَغِيراً﴾** فإنه يقول: ادع الله لوالديك بالرحمة، وقل ربّ ارحمهما، وتعطف عليهما بمغفرتك ورحمتك، كما تعطَّفا عليّ في صغري، فرحماني وربياني صغيراً، حتى استقللت بنفسي، واستغنيت عنهما. كما:

= هداج وضرب والأعشى جالس؛ فقام ناس منهم فأخذوا من الأعشى قيمة الراحلة، فقال الأعشى:

دَعا رَهْطَهُ حولي فجاءُوا لِنَصْرِهِ ... ونادَيْتُ حَيّاً بالمُسَنَّاةِ غُيَّبَا
فأعْطَوْهُ مُنى النَّصْفَ أوْ أضْعَفُوا لهُ ... ومَا كُنْتُ قُلاً قَبْلَ ذلكَ أزْيَبَا

أي كنت غريباً في ذلك الموضع، لا ناصر لي. والنصف: النصفة يقول: أرضوه وأعطوه النصف أو فوقه. والقل من الرجال الخسيس، ومنه قول الأعشى. ا هـ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَاخْفِضْ لَهُما جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَمَا رَبَّيانِي صَغِيراً﴾** هكذا عُلِّمتم، وبهذا أمرتم، خذوا تعليم الله وأدبه.

ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ خرج ذات يوم وهو مادّ يديه رافع صوته يقول: «مَنْ أدْرَكَ وَالِدَيهِ أوْ أحَدَهُما ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ بَعْدَ ذلكَ فَأبْعَدَهُ اللّهُ وأسْحَقَهُ». ولكن كانوا يرون أنه من بَرّ والديه، وكان فيه أدنى تُقى، فإن ذلك مُبْلِغه جسيم الخير. وقال جماعة من أهل العلم: إن قول الله جلّ ثناؤه: **﴿وَقُل رَبّ ارحَمْهُما كمَا رَبَّيانِي صَغِيراً﴾** منسوخ بقوله: **﴿ما كانَ للنَّبِيّ والَّذِينَ آمَنُوا أن يَسْتَغْفِرُوا للْمُشْرِكِينَ وَلَو كانُوا أُولي قُرْبَى من بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُم أنَّهُم أصْحابُ الجَحِيمِ﴾**.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَقُل رَبّ ارحَمْهُما كمَا رَبَّيانِي صَغِيراً﴾** ثم أنزل الله عزّ وجلّ بعد هذا: **﴿ما كانَ للنَّبِيّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أن يَسْتَغفِرُوا للْمُشْرِكِينَ وَلَو كانُوا أُولي قُرْبَى﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، قال في سورة بني إسرائيل **﴿إمَّا يَبْلُغانّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أحَدُهُما أو كِلاهُما. . .﴾** إلى قوله **﴿وَقُل رَبّ ارْحَمْهُما كمَا رَبَّيانِي صَغِيراً﴾** فنسختها الآية التي في براءة **﴿ما كانَ للنَّبِيّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا أُولي قُرْبَى. . .﴾** الآية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال ابن عباس **﴿وَقُلْ رَبّ ارْحَمْهُما. .﴾**. الآية، قال: نسختها الآية التي في براءة **﴿ما كانَ للنَّبِيّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكينَ. .﴾**. الآية.

وقد تحتمل هذه الآية أن تكون وإن كان ظاهرها عامّاً في كلّ الآباء بغير معنى النسخ، بأن يكون تأويلها على الخصوص، فيكون معنى الكلام: وقل ربّ ارحمهما إذا كانا مؤمنين، كما رَبياني صغيراً، فتكون مراداً بها الخصوص على ما قلنا غير منسوخ منها شيء. وعَنَى بقول ربياني: نَمَّياني.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره ﴿رَبُّكُمْ﴾ أيها الناس ﴿أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ من تعظيمكم أمر آبائكم وأمهاتكم وتكرمتهم، والبرّ بهم، وما فيها من اعتقاد الاستخفاف بحقوقهم، والعقوق لهم، وغير ذلك من ضمائر صدوركم، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو مجازيكم على حَسَن ذلك وسيِّئه، فاحذروا أن تُضمروا لهم سوءاً، وتعقِدوا لهم عقوقاً. وقوله ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ يقول: إن أنتم أصلحتم نياتكم فيهم، وأطعتم الله فيما أمركم به من البرّ بهم، والقيام بحقوقهم عليكم، بعد هفوة كانت منكم، أو زلة في واجب لهم عليكم مع القيام بما ألزمكم في غير ذلك من فرائضه، فإنه كان للأوّابين بعد الزَّلة، والتائبين بعد الهَفْوة غفوراً لهم. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت أبي وعمي عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ قال: البادرة تكون من الرجل إلى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير، فقال: ﴿ربُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾.

حدثنا أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرني أبي، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير بمثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو، عن حبيب بن أبي ثابت، في قوله ﴿فإِنَّهُ كانَ للأوَّابِينَ غَفُوراً﴾ قال: هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه وفي نيته وقلبه أنه لا يؤاخَذ به.

واختلف أهل التأويل، في تأويل قوله: ﴿فإِنَّهُ كانَ للأوَّابِينَ غَفُوراً﴾ فقال بعضهم: هم المسبِّحون.

ذكر من قال ذلك:

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كدينة وحدثني ابن سنان القزاز، قال: ثنا الحسين بن الحسن الأشقر، قال: ثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿فإِنَّهُ كانَ للأوَّابِينَ غَفُوراً﴾ قال: المسبحين.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا أبو خيثمة زهير، قال: ثنا أبو إسحاق، عن أبي ميسرة، عن عمرو بن شرحبيل، قال: الأوّاب: المسبح.

وقال آخرون: هم المطيعون المحسنون.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿**فإنَّهُ كانَ للأَوَّابِينَ غفُوراً**﴾ يقول: للمطيعين المحسنين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**فإنَّهُ كانَ للأَوَّابِينَ غَفُوراً**﴾ قال: هم المطيعون، وأهل الصلاة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**فإنه كانَ للأَوَّابِينَ غَفُوراً**﴾ قال: للمطيعين المصلين.

وقال آخرون: بل هم الذين يصلون بين المغرب والعشاء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، عن أبي صخر حميد بن زياد، عن ابن المنكدر يرفعه ﴿**فإنَّهُ كان للأَوَّابِينَ غَفُوراً**﴾ قال: الصلاة بين المغرب والعشاء.

وقال آخرون: هم الذين يصلُّون الضُّحَى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا رباح أبو سليمان الرقاء، قال: سمعت عوناً العُقيليّ يقول في هذه الآية ﴿**فإنَّهُ كانَ للأَوَّابِينَ غَفُوراً**﴾ قال: الذين يصلون صلاة الضحى.

وقال آخرون: بل هو الراجع من ذنبه، التائب منه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن الوليد القرشيّ، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب أنه قال في هذه الآية ﴿**فإنَّهُ كانَ للأَوَّابِينَ غَفُوراً**﴾ قال: الذي يصيب الذنب ثم يتوب ثم يصيب الذنب ثم يتوب.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا سليمان بن داود، عن شعبة، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: هو الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب في هذه الآية ﴿**فإنَّهُ كانَ للأَوَّابِينَ غَفُوراً**﴾.

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا يحيى بن سعيد، أنه سمع سعيد بن المسيب يُسْأَل عن هذه الآية ﴿**فإنَّهُ كانَ للأَوَّابِينَ غَفُوراً**﴾ قال: هو الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني جرير بن حازم، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، بنحوه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن سعيد بن المسيب بنحوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني مالك، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب ﴿**فإنَّهُ كانَ للأَوَّابِينَ غَفُوراً**﴾ قال: هو العبد يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد، قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: فذكر مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزّاق، قال: أخبرنا الثَّوريّ ومعمر، عن يحيى بن سعيد، عن ابن المسيب، قال: الأوّاب: الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير في هذه الآية ﴿**فإنَّهُ كانَ للأَوَّابِينَ غَفُوراً**﴾ قال: الراجعين إلى الخير.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الصمد وأبو داود وهشام، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، بنحوه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، جميعاً عن منصور، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير ﴿**فإنَّهُ كان للأَوَّابِين غَفُوراً**﴾ قال: الذي يذكر ذنوبه في الخلاء، فيستغفر الله منها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن منصور، عن مجاهد، قال: الأوّاب: الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله منها.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير، أنه قال في هذه الآية ﴿**إنَّهُ كان للأَوَّابِينَ غَفُوراً**﴾ قال: الذي يذكر ذنبه ثم يتوب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله جلّ ثناؤه ﴿للأوَّابِين غَفُوراً﴾ قال: الأوّابون: الراجعون التائبون.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

قال ابن جريج، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب: الرجل يذنب ثم يتوب ثلاثاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير، قوله ﴿فإنّه كان للأوَّابِين غَفُوراً﴾ قال: الذي يتذكر ذنوبه، فيستغفر الله لها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن شريح، عن عقبة بن مسلم، عن عطاء بن يسار، أنه قال في قوله ﴿فإنَّهُ كان للأوَّابِين غَفُوراً﴾ يذنب العبد ثم يتوب، فيتوب الله عليه ثم يذنب فيتوب، فيتوب الله عليه ثم يذنب الثالثة، فإن تاب، تاب الله عليه توبة لا تُمْحَى.

وقد رُوي عن عبيد بن عمير، غير القول الذي ذكرنا عن مجاهد، وهو ما:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا محمد بن مسلم، عن عمرو بن دينار، عن عبيد بن عمير، في قوله ﴿فإنَّهُ كان للأوَّابِين غَفُوراً﴾ قال: كنا نَعُدّ الأوّاب: الحفيظ، أن يقول: اللهمّ اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: الأوّاب: هو التائب من الذنب، الراجع من معصية الله إلى طاعته، ومما يكرهه إلى ما يرضاه، لأن الأوّاب إنما هو فعّال، من قول القائل: آب فلان من كذا إما من سفره إلى منزله، أو من حال إلى حال، كما قال عبَيد بن الأبرص:

وكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَئُوبُ ... وغائِبُ المَوْتِ لا يَئُوبُ[1]

فهو يئوب أوباً، وهو رجل آئب من سفره، وأوّاب من ذنوبه.

---

(١) البيت لعبيد بن الأبرص الشاعر الجاهلي ديوانه (ص ـ ٧) طبعة ليدن سنة ١٩١٣ من قصيدته التي مطلعها: «أقفر من أهله ملحوب». يقول: كل غائب تنتظر أوبته، إلا من مات فلا أوبة له إلى الدنيا. والبيت شاهد على أن الأواب الرجاع، الذي يرجع إلى التوبة والطاعة، من آب يئوب إذا رجع انظر «**اللسان**» أوب. وفيه أيضاً: قال أبو بكر في قولهم: رجل أواب، سبعة أقوال: الراحم، والتائب، والمسبح، والذي يرجع إلى التوبة ثم يذنب ثم يتوب، والمطيع، والذي يذكر ذنبه في الخلاء، فيستغفر الله منه ا هـ. وكل هذه المعاني راجعة إلى المعنى اللغوي، وهو الرجوع عن الشيء إلى غيره.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله ﴿**وآتِ ذَا القُربى**﴾ فقال بعضهم: عَنى به: قرابة الميت من قِبل أبيه وأمه، أمر الله جلّ ثناؤه عباده بصلتها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عمرانُ بن موسى، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: ثنا حبيب المعلم، قال: سأل رجل الحسن، قال: أُعطِي قرابتي زكاة مالي، فقال: إن لهم في ذلك لحقاً سوى الزكاة، ثم تلا هذه الآية ﴿**وآت ذا القُربى حَقَّهُ**﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قوله ﴿**وآتِ ذَا القُربى حَقَّهُ**﴾ قال: صلته التي تريد أن تصله بها ما كنت تريد أن تفعله إليه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿**وآتِ ذَا القُربى حَقَّهُ وَالمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ**﴾ قال: هو أن تصل ذا القرابة والمسكين وتحسن إلى ابن السبيل.

وقال آخرون: بل عنى به قرابة رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمارة الأسدي، قال: ثنا إسماعيل بن أبان، قال: ثنا الصباح بن يحيى المَزنيّ، عن السُديّ، عن أبي الديلم، قال: قال عليّ بن الحسين عليهما السلام لرجل من أهل الشام: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أفما قرأت في بني إسرائيل ﴿**وآتِ ذَا القُربى حَقَّهُ**﴾ قال: وإنكم للقَرابة التي أمر الله جلّ ثناؤه أن يُؤتى حقه؟ قال: نعم.

وأولى التأويلين عندي بالصواب، تأويل من تأوّل ذلك أنها بمعنى وصية الله عباده بصلة قرابات أنفسهم وأرحامهم من قِبَل آبائهم وأمهاتهم، وذلك أن الله عزّ وجلّ عَقَّب ذلك عقيب حَضّه عباده على بر الآباء والأمّهات، فالواجب أن يكون ذلك حَضّاً على صلة أنسابهم دون أنساب غيرهم التي لم يجر لها ذكر. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وأعط يا محمد ذا قرابتك حقه من صلتك إياه، وبرّك به، والعطف عليه. وخرج ذلك مَخْرج الخطاب لنبيّ الله ﷺ، والمراد بحكمه جميع من لزمته فرائض الله، يدلّ على ذلك ابتداؤه الوصية بقوله جلّ ثناؤه: ﴿**وَقَضى رَبُّكَ**

﴿ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ وَبالوَالِدَيْنِ إحْساناً إمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أحَدُهُما﴾ فوجّه الخطاب بقوله **﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾** إلى نبيّ الله ﷺ، ثم قال **﴿ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ﴾** فرجع بالخطاب به إلى الجميع، ثم صرف الخطاب بقوله **﴿إمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ﴾** إلى إفراده به. والمعنيّ بكل ذلك جميع من لزمته فرائض الله عزّ وجلّ، أفرد بالخطاب رسول الله ﷺ وحده، أو عمّ به هو وجميع أمته.

وقوله: **﴿والمِسْكِينَ﴾** وهو الذلّة من أهل الحاجة. وقد دللنا فيما مضى على معنى المسكين بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله **﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾** يعني: المسافر المنقطع به، يقول تعالى: وصِل قرابتك، فأعطه حقه من صلتك إياه، والمسكين ذا الحاجة، والمجتاز بك المنقطع به، فأعنه، وقوّه على قطع سفره. وقد قيل: إنما عنى بالأمر بإتيان ابن السبيل حقه أن يضاف ثلاثة أيام.

والقول الأوّل عندي أولى بالصواب، لأن الله تعالى لم يخصُص من حقوقه شيئاً دون شيء في كتابه، ولا على لسان رسوله، فذلك عامّ في كلّ حقّ له أن يُعطاه من ضيافة أو حمولة أو مَعُونة على سفره.

وقوله **﴿وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾** يقول: ولا تفرّق يا محمد ما أعطاك الله من مال في معصيته تفريقاً. وأصل التبذير: التفريق في السَّرَف ومنه قول الشاعر:

أُنَاسٌ أجَارُونا فَكانَ جِوَارُهُمْ أعاصِيرَ مِنْ فِسْقِ العِرَاقِ المُبَذِّرِ[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن أبي العبيدين، قال: قال عبد الله في قوله **﴿وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾** قال: التبذير في غير الحقّ، وهو الإسراف.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سلمة، عن مسلم البطين، عن أبي العبيدين، قال: سُئل عبد الله عن المبذّر فقال: الإنفاق في غير حقّ.

(١) لم أقف على قائله. ويقال: أجاز فلان فلاناً: إذا خفره ومنعه أن يظلمه ظالم. وجوارهم هنا بمعنى إجارتهم. والأعاصير: جمع إعصار، وهو الريح التي تستدير وتحمل ما على الأرض من تراب وغيره. والفسق: الخروج عن الطاعة أو عن جميل الأخلاق والمبذر: اسم مفعول من التبذير، وهو تفريق المال ونحوه وإفساده بالإشراف. قال في «اللسان»: بذر: والتبذير إفساد المال وإنفاقه في السرف. وقيل: التبذير: أو ينفق المال في المعاصي ا هـ. وعلى هذا المعنى استشهد المؤلف بالبيت.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، قال: سمعت يحيى بن الجزار يحدّث عن أبي العبُيدين[١]، ضرير البصر، أنه سأل عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ﴿ولا تُبَذّرْ تَبْذِيراً﴾ قال: إنفاق المال في غير حقه.

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن الحكم، عن يحيى بن الجزار، عن أبي العُبيدين، عن عبد الله مثله.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا شعبة، عن الحكم بن عتيبة، عن يحيى بن الجزار أن أبا العبيدين، كان ضرير البصر، سأل ابن مسعود فقال: ما التبذير؟ فقال: إنفاق المال في غير حقه.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: أخبرنا النضر بن شميل، قال: أخبرنا المسعودي، قال: أخبرنا سلمة بن كُهيل، عن أبي العُبيدين، وكانت به زَمانة، وكان عبد الله يعرف له ذلك، فقال: يا أبا عبد الرحمن، ما التبذير؟ فذكر مثله.

حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، قال: ثنا أبو الحوءب، عن عمار بن زُريق، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مُضرِب، عن أبي العُبيدين، عن عبد الله بن مسعود، قال: كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدّث أن التبذير: النفقة في غير حقه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى بن كثير العنبري، قال: ثنا شعبة، قال: كنت أمشي مع أبي إسحاق في طريق الكوفة، فأتى على دار تُبنى بجصّ وآجر، فقال: هذا التبذير في قول عبد الله: إنفاق المال في غير حقه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿وَلا تُبَذّرْ تَبْذِيراً﴾ قال: المبذّر: المنفق في غير حقه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عباد، عن حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: المبذّر: المنفق في غير حقه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قال: لا تنفق في الباطل، فإن المبذّر: هو المسرف في غير حقّ.

---

(١) هو معاوية بن سبرة السوائي، أبو العبيدين: مصغر عبدين، الأعمى الكوفي. مات سنة ٩٨ هـ. (عن خلاصة الخزرجي).

قال ابن جريج وقال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحقّ ما كان تبذيراً، ولو أنفق مدّاً في باطل كان تبذيراً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله **﴿وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾** قال: التبذير: النفقة في معصية الله، وفي غير الحقّ وفي الفساد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله **﴿وآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ وَالمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾** قال: بدأ بالوالدين قبل هذا، فلما فرغ من الوالدين وحقهما، ذكر هؤلاء وقال **﴿لا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾**: لا تعطِ في معاصي الله.

وأما قوله **﴿إنَّ المُبَذِّرِينَ كانُوا إخْوَانَ الشَّياطِينِ﴾** فإنه يعني: إنّ المفرّقين أموالهم في معاصي الله المنفقيها في غير طاعته أولياء الشياطين وكذلك تقول العرب لكلّ ملازم سنة قوم وتابع أثرهم: هو أخوهم **﴿وكانَ الشَّيْطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾** يقول: وكان الشيطان لنعمة ربه التي أنعمها عليه جحوداً لا يشكره عليه، ولكنه يكفرها بترك طاعة الله، وركوبه معصيته، فكذلك إخوانه من بني آدم المبذّرون أموالهم في معاصي الله، لا يشكرون الله على نعمه عليهم، ولكنهم يخالفون أمره ويعصُونه، ويستنون فيما أنعم الله عليهم به من الأموال التي خوّلهموها وجل عزّ سنته من ترك الشكر عليها، وتلقّيها بالكُفران. كالذي:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله **﴿إنَّ المُبَذِّرِينَ﴾**: إن المنفقين في معاصي الله **﴿كانُوا إخْوَانَ الشَّياطِينِ وكانَ الشَّيْطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾**. القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن تعرض يا محمد عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم حقوقهم إذا وجدت إليها السبيل بوجهك عند مسألتهم إياك، ما لا تجد إليه سبيلاً، حياء منهم ورحمة لهم **﴿ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾** يقول: انتظار رزق تنتظره من عند ربك، وترجو تيسير الله إياه لك، فلا تؤيسهم، ولكن قل لهم قولاً ميسوراً. يقول: ولكن عدهم وعداً جميلاً، بأن تقول: سيرزق الله فأعطيكم، وما أشبه ذلك من القول اللين غير الغليظ، كما قال جلّ ثناؤه **﴿وأمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾**. وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم

﴿وإمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها﴾ قال: انتظار الرزق ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً﴾ قال: ليناً تَعِدُهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخُراساني، عن ابن عباس ﴿ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال: رزق ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ﴾.

حدثنا عمران بن موسى، قال: ثنا عبد الوارث، قال: ثنا عمارة، عن عكرمة، في قوله ﴿وَإمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها﴾ قال: انتظار رزق من الله يأتيك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قوله ﴿وَإمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها﴾ قال: إن سألوك فلم يجدوا عندك ما تعطيهم ابتغاء رحمة، قال: رزق تنتظره ترجوه ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً﴾ قال: عِدْهم عِدَةً حسنة: إذا كان ذلك، إذا جاءنا ذلك فعلنا، أعطيناكم، فهو القول الميسور.

قال ابن جريج، قال مجاهد: إن سألوك فلم يكن عندك ما تعطيهم، فأعرضت عنهم ابتغاء رحمة، قال: رزق تنتظره ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً ميْسُوراً﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله عزّ وجلّ ﴿ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال: انتظار رزق الله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضُّحَى، عن عبيدة في قوله ﴿ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها﴾ قال: ابتغاء الرزق.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد ﴿وإمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها﴾ قال: أي رزق تنتظره ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً﴾ أي معروفاً.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً﴾ قال: عدهم خيراً. وقال الحسن: قل لهم قولاً ليناً سهلاً.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله ﴿وَإمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُم﴾ يقول: لا نجد شيئاً تعطيهم ﴿ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ يقول: انتظار الرزق من ربك، نزلت فيمن كان يسأل النبيّ ﷺ من المساكين.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثني حرمي بن عمارة، قال: ثنا شعبة، قال: ثني عمارة، عن عكرمة في قول الله ﴿**فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً**﴾ قال: الرفق.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وإمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُم**﴾ عن هؤلاء الذين أوصيناك بهم ﴿**ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجوها**﴾ إذا خشيت إن أعطيتهم، أن يتقوّوا بها على معاصي الله عزّ وجلّ، ويستعينوا بها عليها، فرأيت أن تمنعهم خيراً، فإذا سألوك ﴿**فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً**﴾ قولاً جميلاً: رزقك الله، بارك الله فيك.

وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن زيد مع خلافه أقوال أهل التأويل في تأويل هذه الآية، بعيد المعنى، مما يدلّ عليه ظاهرها، وذلك أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿**وَإمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها**﴾ فأمره أن يقول إذا كان إعراضه عن القوم الذين ذكرهم انتظار رحمة منه يرجوها من ربه ﴿**قَوْلاً مَيْسُوراً**﴾ وذلك الإعراض ابتغاء الرحمة، لن يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون إعراضاً منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها لنفسه، فيكون معنى الكلام كما قلناه، وقاله أهل التأويل الذين ذكرنا قولهم، وخلاف قوله أو يكون إعراضاً منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها للسائلين الذين أُمِر نبيّ الله ﷺ بزعمه أن يمنعهم ما سألوه خشية عليهم من أن ينفقوه في معاصي الله، فمعلوم أن سخط الله على من كان غير مأمون منه صَرْف ما أُعْطي من نفقة ليتقوّى بها على طاعة الله في معاصيه، أخوف من رجاء رحمته له، وذلك أن رحمة الله إنما ترجى لأهل طاعته، لا لأهل معاصيه، إلا أن يكون أراد توجيه ذلك إلى أن نبيّ الله ﷺ أمر بمنعهم ما سألوه، لينيبوا من معاصي الله، ويتوبوا بمنعه إياهم ما سألوه، فيكون ذلك وجهاً يحتمله تأويل الآية، وإن كان لقول أهل التأويل مخالفاً.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾.

وهذا مثلٌ ضربه الله تبارك وتعالى للممتنع من الإنفاق في الحقوق التي أوجبها في أموال ذوي الأموال، فجعله كالمشدودة يده إلى عنقه، الذي لا يقدر على الأخذ بها والإعطاء.

وإنما معنى الكلام: ولا تمسك يا محمد يدك بخلاً عن النفقة في حقوق الله، فلا تنفق فيها شيئاً إمساك المغلولة يده إلى عنقه، الذي لا يستطيع بسطها ﴿**وَلا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ**﴾ يقول: ولا تبسطها بالعطية كلّ البسط، فتَبقى لا شيء عندك، ولا تجد إذا سئلت شيئاً تعطيه سائلك ﴿**فَتَقْعُدَ**

مَلُوماً مَحْسُوراً﴾ يقول: فتقعد يلومك سائلوك إذا لم تعطهم حين سألوك، وتلومك نفسك على الإسراع في مالك وذهابه، **﴿محسوراً﴾** يقول: مَعِيباً، قد انقُطِع بك، لا شيء عندك تنفقه. وأصله من قولهم للدابة التي قد سير عليها حتى انقطَع سيرها، وكلَّت ورَزَحت من السير، بأنه حَسِير. يقال منه: حَسَرْت الدابة فأنا أحسِرُها، وأحسُرها حَسْراً، وذلك إذا أنضيته بالسير وحَسَرته بالمسألة إذا سألته فألحفت وحَسَرَ البصرُ فهو يَحْسِر، وذلك إذا بلغ أقصى المنظر فكَلّ. ومنه قوله عزّ وجلّ: **﴿يَنْقَلِبْ إلَيْكَ البَصَرُ خاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾** وكذلك ذلك في كلّ شيء كَلَّ وأزحف حتى يَضْنَى. وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا هودة، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قوله **﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ﴾** قال: لا تجعلها مغلولة عن النفقة **﴿وَلا تَبْسُطْها﴾**: تبذّر بسرف.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يوسف بن بهز، قال: ثنا حوشب، قال: كان الحسن إذا تلا هذه الآية **﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾** يقول: لا تطفِّف برزقي عن غير رضاي، ولا تضعه في سُخْطي فأسلُبَك ما في يديك، فتكون حسيراً ليس في يديك منه شيء.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله **﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِك وَلا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾** يقول هذا في النفقة، يقول **﴿لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ﴾** يقول: لا تبسطها بالخير **﴿وَلا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ﴾** يعني التبذير **﴿فَتَقْعُدَ مَلُوماً﴾** يقول: يلوم نفسه على ما فات من ماله **﴿مَحْسُوراً﴾** يعني: ذهب ماله كله فهو محسور.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله **﴿وَلا تجعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ﴾** يعني بذلك البخل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله **﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ﴾** أي لا تمسكها عن طاعة الله، ولا عن حقه **﴿وَلا تبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ﴾** يقول: لا تنفقها في معصية الله، ولا فيما يصلح لك، ولا ينبغي لك، وهو الإسراف. قوله **﴿فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾** قال: ملوماً في عباد الله، محسوراً على ما سلف من دهره وفرّط.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ﴾** قال: في النفقة، يقول: لا تمسك عن النفقة **﴿وَلا تَبْسُطْها كُلَّ**

البَسْطِ﴾ يقول: لا تبذر تبذيراً **﴿فَتَقْعُدَ مَلُوماً﴾** في عباد الله **﴿مَحْسُوراً﴾** يقول: نادماً على ما فرط منك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: لا تمسك عن النفقة فيما أمرتك به من الحق **﴿وَلا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ﴾** فيما نهيتك **﴿فَتَقْعُدَ مَلُوماً﴾** قال: مذنباً **﴿مَحْسُوراً﴾** قال: منقطعاً بك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله **﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلولَةً إلى عُنُقِكَ﴾** قال: مغلولة لا تبسطها بخير ولا بعطية **﴿وَلا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ﴾** في الحق والباطل، فينفَد ما معك، وما في يديك، فيأتيك من يريد أن تعطيه فيحسر بك، فيلومك حين أعطيت هؤلاء، ولم تعطهم.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن ربك يا محمد يبسط رزقه لمن يشاء من عباده، فيوسع عليه، ويقدر على من يشاء، يقول: ويُقتِّر على من يشاء منهم، فيضيِّق عليه **﴿إنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً﴾**: يقول: إن ربك ذو خبرة بعباده، ومن الذي تصلحه السعة في الرزق وتفسده ومن الذي يصلحه الإقتار والضيق ويهلكه. **﴿بصيراً﴾**: يقول: هو ذو بصر بتدبيرهم وسياستهم، يقول: فانته يا محمد إلى أمرنا فيما أمرناك ونهيناك من بسط يدك فيما تبسطها فيه، وفيمن تبسطها له، ومِن كفها عمن تكفها عنه، وتكفها فيه، فنحن أعلم بمصالح العباد منك، ومن جميع الخلق وأبصر بتدبيرهم، كالذي:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، ثم أخبرنا تبارك وتعالى كيف يصنع، فقال: **﴿إنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ﴾** قال: يقدر: يقلّ، وكل شيء في القرآن يَقْدِر كذلك ثم أخبر عباده أنه لا يرزَؤه ولا يئوده أن لو بسط عليهم، ولكن نظراً لهم منه، فقال: **﴿وَلَوْ بَسَطَ اللّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الأرْضِ وَلكِنْ يُنَزِّلُ بقَدَرٍ ما يَشاءُ إنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾** قال: والعربُ إذا كان الخصب وبُسِط عليهم أَشِروا، وقتل بعضهم بعضاً، وجاء الفساد، فإذا كان السنة شُغِلوا عن ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ وَبالوَالِدَيْنِ إحْساناً﴾، ﴿وَلا تَقْتُلُوا أوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إمْلاقٍ﴾ فموضع تقتلوا نُصب عطفاً على ألا تعبدوا.

ويعني بقوله: ﴿خَشْيَةَ إمْلاقٍ﴾ خوف إقتار وفقر. وقد بيَّنا ذلك بشواهده فيما مضى، وذكرنا الرواية فيه. وإنما قال جلّ ثناؤه ذلك للعرب، لأنهم كانوا يقتلون الإناث من أولادهم خوف العيلة على أنفسهم بالإنفاق عليهن، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿ولا تَقْتُلُوا أوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إمْلاقٍ﴾: أي خشية الفاقة، وقد كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفاقة، فوعظهم الله في ذلك، وأخبرهم أن رزقهم ورزق أولادهم على الله، فقال: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وإيَّاكُمْ إنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً﴾.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿خَشْيَةَ إمْلاقٍ﴾ قال: كانوا يقتلون البنات.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد ﴿وَلا تَقْتُلُوا أوْلادَكمْ خَشْيَة إمْلاقٍ﴾ قال: الفاقة والفقر.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿خَشْيَة إمْلاقٍ﴾ يقول: الفقر.

وأما قوله: ﴿إنَّ قَتْلَهُمْ كان خِطْأً كَبِيراً﴾ فإن القراء اختلفت في قراءته؛ فقرأته عامَّة قراء أهل المدينة والعراق ﴿إنَّ قَتْلَهُمْ كان خِطْأً كَبِيراً﴾ بكسر الخاء مِن الخطإ وسكون الطاء. وإذا قرىء ذلك كذلك، كان له وجهان من التأويل: أحدهما أن يكون اسماً من قول القائل: خَطِئت فأنا أَخْطَأ، بمعنى: أذنبت وأثمت. ويُحكى عن العرب: خَطِئتَ: إذا أذنبتَ عمداً، وأخطأت: إذا وقع منك الذنب خَطَأً على غير عمد منك له. والثاني: أن يكون بمعنى خَطَأً بفتح الخاء والطاء، ثم كسرت الخاء وسكنت الطاء، كما قيل: قِتْب وقَتَب وحَذَر وحِذْر، ونِجس ونَجس. والخِطْء بالكسر اسم، والخَطَأ بفتح الخاء والطاء مصدر من قولهم: خَطِىء الرجل وقد يكون اسماً من قولهم: أخطأ. فأما المصدر منه فالإخطاء. وقد قيل: خَطِىء، بمعنى أخطأ، كما قال الشاعر:

يــا لَـهْـفَ هِـنْـدٍ إذْ خَـطِـئْـنَ كـاهِـلا[1]

(١) هذا بيت من مشطور الرجز ينسب إلى امرىء القيس بن حجر الكندي، من مقطوعة تسعة أبيات، «**مختار الشعر الجاهلي**» بشرح مصطفى السقا، طبعة الحلبي (ص ـ ١٠٥) قالها حين بلغه أن بني أسد قتلت أباه. ومعنى يالهف: يا أسف أو يا حسرة. وهند أخته. وخطئن: يعني الخيل، أي أخطأن. وكان قد طلب بني كاهل من بني أسد ليلاً، فأوقع بين كنانة خطأ، وهرب منه بنو كاهل. وهذا البيت هو أول الأبيات في=

بمعنى: أخطأن. وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل المدينة: «إنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خَطَأً» بفتح الخاء والطاء مقصوراً على توجيهه إلى أنه اسم من قولهم: أخطأ فلان خطأ. وقرأه بعض قراء أهل مكة: «إنَّ قَتْلهُمْ كان خَطاءً» بفتح الخَاء والطاء، ومدّ الخَطَاء بنحو معنى من قرأه خطأ بفتح الخاء والطاء، غير أنه يخالفه في مدّ الحرف.

وكان عامة أهل العلم بكلام العرب من أهل الكوفة وبعض البصريين منهم يرون أن الخِطْء والخَطَأ بمعنى واحد، إلاّ أن بعضهم زعم أن الخِطْء بكسر الخاء وسكون الطاء في القراءة أكثر، وأن الخطأ بفتح الخاء والطاء في كلام الناس أفشى، وأنه لم يسمع الخِطْء بكسر الخاء وسكون الطاء، في شيء من كلامهم وأشعارهم، إلا في بيت أنشده لبعض الشعراء:

الـخِـطْءُ فـاحِـشَـةٌ والـبِـرُّ نـافِـلَـةٌ كـعَـجْـوَة غُـرِسَـتْ فِـي الأرْضِ تُـؤْتَـبـرُ[١]

وقد ذكرت الفرق بين الخِطْء بكسر الخاء وسكون الطاء وفتحهما.

وأولى القراءات في ذلك عندنا بالصواب، القراءة التي عليها قراء أهل العراق، وعامة أهل الحجاز، لإجماع الحجة من القراء عليها، وشذوذ ما عداها. وإن معنى ذلك كان إثماً وخطيئة، لا خَطَأً من الفعل، لأنهم إنما كانوا يقتلونهم عمداً لا خطأ، وعلى عمدهم ذلك عاتبهم ربهم، وتقدم إليهم بالنهي عنه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿خِطْأً كَبِيراً﴾** قال: أي خطيئة.

= «**الأغاني**» و «**العقد الثمين**» لوليم ألورد. ومحل الشاهد في البيت أن خطىء خطأ، وأخطأ إخطاء: لغتان بمعنى واحد إذا عمل شيئاً وأخطأ فيه عن غير تعمد كما في البيت والخطء، بكسر الخاء وسكون الطاء اسم مصدر بمعنى المصدر وبعض اللغويين يقول: إن خطىء خطأ معناه وقع في الإثم عن تعمد، بخلاف أخطأ، فإنه عن غير تعمد.

(١) استشهد المؤلف بهذا البيت على أن بعضهم زعم أن الخطء (بكسر الخاء وسكون الطاء) في القراءة أكثر، وأن الخطأ (بفتح الخاء وسكون الطاء في كلام الناس أفشى، وأنه لم يسمع بكسر الخاء وسكون الطاء في شيء من كلامهم وأشعارهم إلا في بيت أنشده لبعض الشعراء: الخطء فاحشة... الخ البيت). ولم أقف على البيت ولا قائله في «**معاني القرآن**» للفراء، ولا في «**مجاز القرآن**» لأبي عبيدة. غير أن الفراء قال: قرأ الحسن: خطاء كبيراً بالمد، وقرأ أبو جعفر المدني: خطأ كبيراً، قصر وهمز، وكل صواب. وكأن الخطاء الإثم. وقد يكون في معنى خطأ بالقصر، كما قالوا: قتب وقتب وحذر وحذر ونجس ونجس. ومثله قراءة من قرأ: (هُمْ أُولاء على أثرى) وإثرى. والنافلة. ما يكون زيادة على الفرض. والعجوة: أجود تمر المدينة، كما في «**اللسان**» وتؤتبر: تصلح بالإبار، ليجود ثمرها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد **﴿إنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً﴾** قال: خطيئة. قال ابن جريج، وقال ابن عباس: خِطأً: أي خطيئة.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقضى أيضاً أن **﴿لا تَقْرَبُوا﴾** أيها الناس **﴿الزِّنا إنَّهُ كانَ فاحِشَةً﴾** يقول: إن الزّنا كان فاحشة **﴿وَساءَ سَبِيلاً﴾** يقول: وساء طريق الزنا طريقاً، لأنه طريق أهل معصية الله، والمخالفين أمره، فأسوىءْ به طريقاً يورد صاحبه نار جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾.

يقول جل ثناؤه: وقضى أيضاً أن **﴿لا تَقْتُلُوا﴾** أيها الناس **﴿النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللّهُ﴾** قتلها **﴿إلاَّ بالحَقّ﴾** وحقها أن لا تقتل إلا بكفر بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان، أو قود نفس، وإن كانت كافرة لم يتقدّم كفرها إسلام، فأن لا يكون تقدم قتلها لها عهد وأمان، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله **﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللّهُ إلاَّ بالحَقّ﴾** وإنا والله ما نعلم بحلّ دم امرىء مسلم إلاَّ بإحدى ثلاث، إلا رجلاً قتل متعمداً، فعليه القَوَد، أو زَنى بعد إحصانه فعليه الرجم أو كفر بعد إسلامه فعليه القتل.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن الزهريّ، عن عُروة أو غيره، قال: قيل لأبي بكر: أتقتل من يرى أن لا يؤدي الزكاة، قال: لو منعوني شيئاً مما أقروا به لرسول الله ﷺ لقاتلتهم. فقيل لأبي بكر: أليس قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتى يَقُولُوا: لا إلَه إلاَّ اللّهُ، فإذَا قالُوها عَصَمُوا مِنّي دِماءَهُمْ وأمْوالُهم إلاَّ بِحَقِّها، وحِسابُهُمْ عَلى اللّهِ» فقال أبو بكر: هذا من حقها.

حدثني موسى بن سهل، قال: ثنا عمرو بن هاشم، قال: ثنا سليمان بن حيان، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسِ حتى يقُولُوا لا إلَه إلاَّ اللّهُ، فإذَا قالُوها عَصَمُوا مِنّى دِماءَهُمْ وأمْوالَهُمْ إلاَّ بِحَقِّها وحِسابُهُمْ عَلى اللّهِ» قيل: وما حقها؟ قال: «زِناً بَعْد إحْصانٍ، وكُفْرٌ بَعْد إيمَانٍ، وقَتْلُ نَفْسٍ فَيُقْتَلُ بِها».

وقوله: ﴿**وَمَنْ قُتِل مَظْلُوماً**﴾ يقول: ومن قتل بغير المعاني التي ذكرنا أنه إذا قتل بها كان قتلاً بحقّ ﴿**فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً**﴾ يقول: فقد جعلنا لوليّ المقتول ظلماً سلطاناً على قاتل وليه، فإن شاء استقاد منه فقتله بوليه، وإن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذ الدية.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى السلطان الذي جُعل لوليّ المقتول، فقال بعضهم في ذلك، نحو الذي قُلنا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿**ولا تَقْتَلُوا النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللّهُ إلاَّ بالحَقّ وَمَنْ قُتِل مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لوليّه سُلْطاناً**﴾ قال: بيِّنة من الله عزّ وجلّ أنزلها يطلبها وليّ المقتول، العَقْل، أو القَوَد، وذلك السلطان.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن جُويبر، عن الضحاك بن مزاحم، في قوله: ﴿**فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً**﴾ قال: إن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية.

وقال آخرون: بل ذلك السلطان: هو القتل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَمَنْ قُتِل مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً**﴾ وهو القَوَد الذي جعله الله تعالى.

وأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من تأول ذلك: أن السلطان الذي ذكر الله تعالى في هذا الموضع ما قاله ابن عباس، من أن لوليّ القتيل القتل إن شاء وإن شاء أخذ الدية، وإن شاء العفو، لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال يوم فتح مكة: «ألا وَمن قُتِل لَهُ قَتِيلٌ فَهُو بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ بينِ أنْ يَقْتُل أوْ يأْخُذ الدِّيَة» وقد بيَّنت الحكم في ذلك في كتابنا: كتاب الجراح.

وقوله: ﴿**فَلا يُسْرِفْ في القَتْلِ**﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الكوفة: «فلا تُسْرِفْ» بمعنى الخطاب لرسول الله ﷺ، والمراد به هو والأئمة من بعده، يقول: فلا تقتل بالمقتول ظُلْماً غير قاتله، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يفعلون ذلك إذا قتل رجل رجلاً عمد وليّ القتيل إلى الشريف من قبيلة القاتل، فقتله بوليه، وترك القاتل، فنهى الله عزّ وجلّ عن ذلك عباده، وقال لرسوله عليه الصلاة والسلام: قتل غير القاتل بالمقتول معصية وسرف، فلا تقتل به غير قاتله، وإن قتلت القاتل بالمقتول فلا تمثّل به. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة:

﴿فَلا يُسْرِفْ﴾ بالياء، بمعنى فلا يسرف وليّ المقتول، فيقتل غير قاتل وليه. وقد قيل: عنى به: فلا يسرف القاتل الأول لأولي المقتول.

والصواب من القول في ذلك عندي، أن يقال: إنهما قراءتان متقاربتا المعنى، وذلك أن خطاب الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ بأمر أو نهي في أحكام الدين، قضاء منه بذلك على جميع عباده، وكذلك أمره ونهيه بعضهم، أمر منه ونهي جميعهم، إلا فيما دلّ فيه على أنه مخصوص به بعض دون بعض، فإذا كان ذلك كذلك بما قد بيَّنا في كتابنا [كتاب البيان، عن أصول الأحكام] فمعلوم أن خطابه تعالى بقوله ﴿فَلا تُسْرِفْ في القَتْلِ﴾ نبيه ﷺ، وإن كان موجَّهاً إليه أنه معنيّ به جميع عباده، فكذلك نهيه وليّ المقتول أو القاتل عن الإسراف في القتل، والتعدّي فيه نهي لجميعهم، فبأيّ ذلك قرأ القارىء فمصيب صواب القراءة في ذلك.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويلهم ذلك نحو اختلاف القرّاء في قراءتهم إياه. ذكر من تأوّل ذلك بمعنى الخطاب لرسول الله ﷺ:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن طلق بن حبيب، في قوله: ﴿فَلا تُسْرِفْ في القَتْلِ﴾ قال: لا تقتل غير قاتله، ولا تمثّل به.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير. عن منصور، عن طلق بن حبيب بنحوه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن خصيف، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿فَلا تُسْرِفْ في القَتْلِ﴾ قال: لا تقتل اثنين بواحد.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فَلا تُسْرِفْ في القَتْلِ إنَّهُ كانَ مَنْصُوراً﴾ كان هذا بمكة، ونبيّ الله ﷺ بها، وهو أوّل شيء نزل من القرآن في شأن القتل، كان المشركون يغتالون أصحاب النبيّ ﷺ، فقال الله تبارك وتعالى: من قتلكم من المشركين، فلا يحملنَّكم قتله إياكم عن أن تقتلوا له أباً أو أخاً أو أحداً من عشيرته، وإن كانوا مشركين، فلا تقتلوا إلا قاتلكم وهذا قبل أن تنزل براءة، وقبل أن يؤمروا بقتال المشركين، فذلك قوله: ﴿فَلا تُسْرِفْ في القَتْلِ﴾ يقول: لا تقتل غير قاتلك، وهي اليوم على ذلك الموضع من المسلمين، لا يحلّ لهم أن يقتلوا إلا قاتلهم. ذكر من قال: عُنِي وليّ المقتول:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا أبو رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً﴾ قال: كان الرجل يُقتل فيقول وليه: لا أرضى حتى أقتل به فلاناً وفلاناً من أشراف قبيلته.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**فَلا تُسْرِفْ في القَتْلِ**﴾ قال: لا تقتل غير قاتلك، ولا تمثّل به.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فَلا يُسْرِفْ في القَتْلِ**﴾ قال: لا يقتل غير قاتله من قَتَل بحديدة قُتل بحديدة ومن قَتَل بخشبة قُتِل بخشبة ومن قَتل بحجر قُتل بحجر. ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «إنَّ منْ أعْتَى النَّاسِ على اللّهِ جَلَّ ثَناؤُهُ ثَلاثَةً: رَجُلٌ قَتَلَ غيرَ قاتِلِهِ، أوْ قَتَلَ بذَحْنٍ فِي الجاهِلِيَّةِ، أوْ قَتَلَ فِي حَرَمِ اللّهِ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: سمعته، يعني ابن زيد، يقول في قول الله جلّ ثناؤه ﴿**وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً**﴾ قال: إن العرب كانت إذا قُتل منهم قتيل، لم يرضوا أن يقتلوا قاتل صاحبهم، حتى يقتلوا أشرف من الذي قتله، فقال الله جلّ ثناؤه ﴿**فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً**﴾ ينصره وينتصف من حقه ﴿**فَلا يُسْرِفْ فِي القَتْلِ**﴾ يقتل بريئاً. ذكر من قال عُنِي به القاتل:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير عن مجاهد ﴿**فَلا يُسْرِفْ فِي القَتْلِ**﴾ قال: لا يسرف القاتل في القتل.

وقد ذكرنا الصواب من القراءة في ذلك عندنا، وإذا كان كلا وجهي القراءة عندنا صواباً، فكذلك جميع أوجه تأويله التي ذكرناها غير خارج وجه منها من الصواب، لاحتمال الكلام ذلك وإن في نهي الله جلّ ثناؤه بعض خلقه عن الإسراف في القتل، نهي منه جميعَهم عنه.

وأما قوله: ﴿**إنَّهُ كانَ مَنْصُوراً**﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عُنِي بالهاء التي في قوله ﴿**إنَّهُ**﴾ وعلى ما هي عائدة، فقال بعضهم: هي عائدة على وليّ المقتول، وهو المعنيّ بها، وهو المنصور على القاتل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**إنَّهُ كانَ مَنْصُوراً**﴾ قال: هو دفع الإمام إليه، يعني إلى الوليّ، فإن شاء قتل، وإن شاء عفا.

وقال آخرون: بل عُنِي بها المقتول، فعلى هذا القول هي عائدة على «مَن» في قوله: ﴿**وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً**﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد ﴿**إنَّهُ كانَ مَنْصُوراً**﴾ إن المقتول كان منصوراً.

وقال آخرون: عُنِي بها دم المقتول، وقالوا: معنى الكلام: إن دم القتيل كان منصوراً على القاتل.

وأشبه ذلك بالصواب عندي. قول من قال عُنِي بها الوليّ، وعليه عادت، لأنه هو المظلوم، ووليه المقتول، وهي إلى ذكره أقرب من ذكر المقتول، وهو المنصور أيضاً، لأن الله جلّ ثناؤه قضى في كتابه المنزل، أن سلّطه على قاتل وليه، وحكّمه فيه، بأن جعل إليه قتله إن شاء، واستبقاءه على الدية إن أحبّ، والعفو عنه إن رأى، وكفى بذلك نُصرة له من الله جلّ ثناؤه، فلذلك قلنا: هو المعنيّ بالهاء التي في قوله: ﴿إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقضى أيضاً أن لا تقربوا مال اليتيم بأكل، إسرافاً وبداراً أن يَكْبَروا، ولكن اقرَبوه بالفَعْلَة التي هي أحسن، والخَلّة التي هي أجمل، وذلك أن تتصرّفوا فيه له بالتثمير والإصلاح والحيطة. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلا تَقْرَبُوا مالَ اليَتِيم إلاّ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ**﴾ لما نزلت هذه الآية، اشتدّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فكانوا لا يخالطونهم في طعام أو أكل ولا غيره، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿**وَإن تُخالِطُوهُمْ فإخْوانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ المُصْلِحِ**﴾ فكانت هذه لهم فيها رُخْصة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**وَلا تَقْرَبُوا مالَ اليَتِيم إلاّ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ**﴾ قال: كانوا لا يخالطونهم في مال ولا مأكل ولا مركب، حتى نزلت ﴿**وإنْ تُخالِطُوهُمْ فإخْوَانُكُمْ**﴾. وقال ابن زيد في ذلك ما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلاَ تَقْرَبُوا مالَ اليَتِيم إلاّ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ**﴾ قال: الأكل بالمعروف، أن تأكل معه إذا احتجت إليه، كان أبيَ يقول ذلك.

وقوله: ﴿**حتى يَبْلُغَ أشُدَّهُ**﴾ يقول: حتى يبلغ وقت اشتداده في العقل، وتدبير ماله، وصلاح حاله في دينه ﴿**وأوْفُوا بالعَهْدِ**﴾ يقول: وأوفوا بالعقد الذي تعاقدون الناس في الصلح بين أهل الحرب والإسلام، وفيما بينكم أيضاً، والبيوع والأشربة والإجارات، وغير ذلك من العقود ﴿**إنَّ العَهْدَ كانَ مَسْئُولاً**﴾ يقول: إن الله جلّ ثناؤه سائل ناقض العهد عن نقضه إياه، يقول: فلا تنقصوا

العهود الجائزة بينكم، وبين من عاهدتموه أيها الناس فتخفروه، وتغدروا بمن أعطيتموه ذلك. وإنما عنى بذلك أن العهد كان مطلوباً يقال في الكلام: ليسئلنّ فلان عهد فلان.

القول في تاويل قوله تعالى

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥)﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَ﴾ قضى أن ﴿أوْفُوا الكَيْلَ﴾ للناس ﴿إذَا كِلْتُمْ﴾ لهم حقوقهم قِبَلَكم، ولا تبخَسُوهم ﴿وَزِنُوا بالقِسْطاسِ المُسْتَقِيم﴾ يقول: وقَضَى أن زنوا أيضاً إذا وزنتم لهم بالميزان المستقيم، وهو العدل الذي لا اعوجاج فيه، ولا دَغَل، ولا خديعة. وقد اختلف أهل التأويل في معنى القسطاس، فقال بعضهم: هو القبان.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا صفوان بن عيسى، قال: ثنا الحسن بن ذكوان، عن الحسن: ﴿وَزِنُوا بالقِسْطاسِ المُسْتَقِيمِ﴾ قال: القَبَّان.

وقال آخرون: هو العدل بالرومية.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: القِسطاس: العدل بالرومية. وقال آخرون: هو الميزان صغر أو كبر وفيه لغتان: القِسطاس بكسر القاف، والقُسطاس بضمها، مثل القِرطاس والقُرطاس وبالكسر يقرأ عامّة قرّاء أهل الكوفة، وبالضمّ يقرأ عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة، وقد قرأ به أيضاً بعض قرّاء الكوفيين، وبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، لأنهما لغتان مشهورتان، وقراءتان مستفيضتان في قرّاء الأمصار.

وقوله: ﴿ذلكَ خَيْرٌ﴾ يقول: إيفاؤكم أيها الناس من تكيلون له الكيل، ووزنكم بالعدل لمن توفون له ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من بخسكم إياهم ذلك، وظلمكموهم فيه. وقوله: ﴿وأحْسَنُ تأوِيلاً﴾ يقول: وأحسن مردوداً عليكم وأولى إليه فيه فعلكم ذلك، لأن الله تبارك وتعالى يرضى بذلك عليكم، فيُحسن لكم عليه الجزاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وأوْفُوا الكَيْلَ إذا كِلْتُمْ وَزِنُوا بالقِسْطاسِ المُسْتَقِيمِ ذلكَ خَيْرٌ وأحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ أي خير ثواباً وعاقبة.

وأخبرنا أن ابن عباس كان يقول: يا معشر الموالي، إنكم وَلِيتم أمرين بهما هلك الناس

قبلكم: هذا المِكيال، وهذا المِيزان. قال: وذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «لا يَقْدِرُ رَجُلٌ على حَرَامٍ ثُمَّ يَدَعُهُ، لَيْسَ بِهِ إلاَّ مَخافَةُ اللّهِ، إلاَّ أبْدَلَهُ اللّهُ فِي عاجِلِ الدُّنْيا قَبْلَ الآخِرَةِ ما هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذلكَ».

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**وأحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ قال: عاقبة وثواباً.

القول في تاويل قوله تعالى

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿**وَلا تَقْفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ فقال بعضهم: معناه: ولا تقل ما ليس لك به علم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلا تَقْفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ يقول: لا تقل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَلا تَقْفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**﴾ لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، فإن الله تبارك وتعالى سائلك عن ذلك كله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**وَلا تَقْفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ قال: لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم.

حُدثت عن محمد بن ربيعة، عن إسماعيل الأزرق، عن أبي عمر البزار، عن ابن الحنفية قال: شهادة الزور.

وقال آخرون: بل معناه: ولا ترم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿**وَلا تَقْفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ يقول: لا ترم أحداً بما ليس لك به علم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَلا تَقْفُ﴾ ولا ترمِ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

وهذان التأويلان متقاربا المعنى، لأن القول بما لا يعلمه القائل يدخل فيه شهادة الزور، ورمى الناس بالباطل، وادّعاء سماع ما لم يسمعه، ورؤية ما لم يره. وأصل القفو: العضه والبهت. ومنه قول النبيّ ﷺ: «نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنانَة لا نَقْفُو أمَّنا وَلا نَنْتَفِي مِنْ أبِينا»، وكان بعض البصريين ينشد في ذلك بيتاً:

وَمِثْلُ الدُّمَى شُمُّ العَرَانِينِ ساكِنٌ ... بِهِنَّ الحَياءُ لا يُشِعْنَ التَّقافِيا[1]

يعني بالتقافي: التقاذف. ويزعم أن معنى قوله ﴿لا تَقْفُ﴾ لا تتبع ما لا تعلم، ولا يعنيك. وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة، يزعم أن أصله القيافة، وهي اتباع الأثر وإذ كان كما ذكروا وجب أن تكون القراءة: «وَلا تَقُفْ» بضم القاف وسكون الفاء، مثل: ولا تقل. قال: والعرب تقول: قفوت أثره، وقُفت أثره، فتقدِّم أحياناً الواو على الفاء وتؤخرها أحياناً بعدها، كما قيل: قاع الجمل الناقة: إذا ركبها وقَعَا وعاثَ وعَثَى وأنشد سماعاً من العرب.

ولَوْ أنّي رَمَيْتُكَ مِنْ قَرِيبٍ ... لَعاقَكَ مِنْ دُعاءِ الذِّئْبِ عاقِ[2]

---

(١) البيت للنابغة الجعدي: وهو من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (١/ ٣٧٩) شاهد على أن معنى الثقافي: التقاذف. وفي «**اللسان** قفو قال أبو عبيد الأصل في القفو والتقافي: البهتان يرمي به الرجل صاحبه ا هـ. قال أبو بكر: قولهم قد قفا فلان فلاناً قال أبو عبيد: معناه أتبعه أمراً كلاماً قبيحاً. وقال الليث: القفو: مصدر قولك قفا يقفوقفوا وقفوا (الثاني بتشديد الواو)، وهو أن يتبع الشيء: قال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ قال الفراء: أكثر القراء يجعلونها من قفوت، كما تقول: لا تدع من دعوت. قال: وقرأ بعضهم: ولا تقف مثل ولا تقل. وقال الأخفش في قوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾: أي لا تتبع ما لا تعلم. وقيل: ولا تقل سمعت ولم تسمع، ولا رأيت ولم تر، ولا علمت ولم تعلم؛ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً. ا هـ. والدمى جمع دمية، وهي التمثال من المرمر أو العاج أو نحوها، وشم العرانين: جمع شماء العرنين، أي مرتفعات قصبات الأنوف، وهو من أمارات جمالهن.

(٢) البيت من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ١٧٩) على أن العرب تقول قفا الشيء إذا تتبعه كما تقول قافه. وكما قال الشاعر: عاقي، يريد عائق. قال الفراء: أكثر القراء يجعلونها من قفوت.. وبعضهم قال: ولا تقف. والعرب تقول: قفت أثره، وقفوته؛ ومثله: يعتام ويعتمي، وعاث وعثى، من الفساد، وهو كثير، منه شاك السلاح، وشاكي السلاح. وسمعت بعض قضاعة يقول: اجتحى ماله، واللغة الفاشية: اجتاح ماله. وقد قال الشاعر: «ولو أني رأيتك»... الخ البيت. هذا وقد نقلنا في الشاهد الذي قبل هذا عبارة الفراء، كما جاءت في «**اللسان**»، وفيها اختلاف عن عبارته هنا في «**معاني القرآن**»، ولعله من اختلاف النسخ. وأورد الفراء بعد بيت الشاهد بيتاً آخر من وزنه وقافيته، وهو لذي الخرق الطهوي كما في «**اللسان**» بغم.

خَبِيبَتُ بُغامَ رَحِلَتِي عَناقا ... وَما هِيَ وَيْبَ غَيْرِكَ بالعَناقِ

وقد سبق الاستشهاد به في أكثر من موضع من هذا التفسير.

يعني عائق، ونظائر هذا كثيرة في كلام العرب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: لا تقل للناس وفيهم ما لا علم لك به، فترميهم بالباطل، وتشهد عليهم بغير الحقّ، فذلك هو القفو.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب، لأن ذلك هو الغالب من استعمال العرب القفو فيه.

وأما قوله ﴿إِنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ فإن معناه: إن الله سائل هذه الأعضاء عما قال صاحبها، من أنه سمع أو أبصر أو علم، تشهد عليه جوارحه عند ذلك بالحقّ، وقال «أولئك»، ولم يقل «تلك»، كما قال الشاعر:

ذُمَّ المَنازِلَ بَعْدَ مَنْزِلَةِ اللِّوَى والعَيْشَ بَعْدِ أُولَئِكَ الأيَّامِ[(١)]

وإنما قيل: أولئك، لأن أولئك وهؤلاء للجمع القليل الذي يقع للتذكير والتأنيث، وهذه وتلك للجمع الكثير فالتذكير للقليل من باب أنْ كان التذكير في الأسماء قبل التأنيث. لك التذكير للجمع الأوّل، والتأنيث للجمع الثاني، وهو الجمع الكثير، لأن العرب تجعل الجمع على مثال الأسماء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولا تمش في الأرض مختالاً مستكبراً ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأرْضَ﴾ يقول: إنك لن تقطع الأرض باختيالك، كما قال رُؤْبة:

وقاتِمِ الأعماقِ خاوِي المُخْتَرَق[(٢)]

---

(١) البيت لجرير بن الخطفي ديوانه طبعة الصاوي (ص ـ ٥٥١) وهو البيت الثاني من قصيدة يجيب بها الفرزدق، مطلعها:

سَرَتِ الهُمومُ فَبِتْنَ غَيْرَ نِيامِ وأخُو الهُمومِ يَرُومُ كلَّ مَرَامِ

الشاهد في هذا البيت أنه أشار إلى الأيام بأولئك، ولم يقل تلك، لأن أولئك يشار بها إلى الجمع الكثير، وهولاء إلى الجمع القليل، للمذكر والمؤنث والعاقل وغيره.

(٢) البيت مطلع أرجوزة مطولة (١٧١ بيتاً في ديوان رؤبة طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ م، ص ـ ١٠٤) وهو شاهد على أن قوله المخترق بمعنى المقطع كما في قوله تعالى: ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ أي لن تقطع الأرض. ويريد بقاتم الأعماق: وادياً مظلم النواحي لما كثرفيه من الغبار الثائر. والخاوي: الخالي. والمخترق: الممر

يعني بالمخترق: المقطع ﴿وَلَنْ تَبلُغَ الجِبالَ طُولاً﴾ بفخرك وكبرك، وإنما هذا نهي من الله عباده عن الكبر والفخر والخُيَلاء، وتقدم منه إليهم فيه معرِّفهم بذلك أنهم لا ينالون بكبرهم وفخارهم شيئاً يقصر عنه غيرهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحاً إنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبالِ طُولاً﴾ يعني بكبرك ومرحك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحاً﴾ قال: لا تمش في الأرض فخراً وكبراً، فإن ذلك لا يبلغ بك الجبال، ولا تخرق الأرض بكبرك وفخرك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأرْضِ﴾ قال: لا تفخر.

وقيل: لا تمش مرَحاً، ولم يقل مرِحاً، لأنه لم يرد بالكلام: لا تكن مرِحاً، فيجعله من نعت الماشي، وإنما أريد لا تمرح في الأرض مرَحاً، ففسر المعنى المراد من قوله: ولا تمش، كما قال الراجز:

يُعْجِبُهُ السَّخُونُ والعَصِيدُ   والتَّمْرُ حَبّاً ما لَهُ مَزِيدُ[(١)]

فقال: حباً، لأن في قوله: يعجبه، معنى يحبّ، فأخرج قوله: حباً، من معناه دون لفظه.

وقوله: ﴿كُلُّ ذلكَ كانَ سَيِّئُهُ عندَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾ فإن القرّاء اختلفت فيه، فقرأه بعض قرّاء المدينة وعامة قرّاء الكوفة ﴿كُلُّ ذلكَ كانَ سَيِّئُهُ عندَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾ على الإضافة بمعنى: كلّ هذا الذي ذكرنا من هذه الأمور التي عددنا من مبتدإ قولنا ﴿وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ...﴾ إلى

والمقطع. وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٣٨٠) «إنك لن تخرق الأرض». مجازه لن تقطع الأرض. وقال رؤبة: ...... البيت أي المقطع. وقال آخرون: إنك لن تنقب الأرض وليس بشيء.

(١) البيتان في الملحق بشعر رؤبة بن الحجاج، بآخر ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ (ص ـ ١٧٢) وروايتهما فيه:

يُعْجِبُهُ السَّخُونُ والبَرُودُ   والقَرُّ حُبّاً مالَهُ مَزِيدُ

ورواية البيت في «اللسان» سخن كرواية المؤلف. قال: ويروى: «حتى ماله مزيد». وقال: السخون من المرق: ما يسخن وقال في (برد): كل ما برد به شيء: برود. ا هـ ولعله يريد الماء البارد، تنقع به الغلة. وقال في (عصد): العصيدة: دقيق يلت بالسمن ويطبخ. والشاهد في البيت: أن قوله حباً مفعول مطلق، لأنه بمعنى إعجاباً، لأن في قوله يعجبه، معنى يحبه، فكأنه مرادف له. وهو نظير قوله تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ أي المرح. وقد سبق الاستشهاد بالبيت في بعض أجزاء التفسير.

قولنا ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً كانَ سَيِّئُهُ﴾ يقول: سيء ما عددنا عليك عند ربك مكروهاً. وقال قارئو هذه القراءة: إنما قيل ﴿كُلّ ذلكَ كانَ سَيِّئُهُ﴾ بالإضافة، لأن فيما عددنا من قوله ﴿وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ﴾ أموراً، هي أمر بالجميل، كقوله ﴿وَبالوَالدَيْنِ إحْساناً﴾، وقوله ﴿وآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ﴾ وما أشبه ذلك، قالوا: فليس كلّ ما فيه نهياً عن سيئة، بل فيه نهي عن سيئة، وأمر بحسنات، فلذلك قرأنا ﴿سَيِّئُهُ﴾. وقرأ عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة: «كُلُّ ذلكَ كانَ سَيِّئَةً» وقالوا: إنما عنى بذلك: كلّ ما عددنا من قولنا ﴿وَلا تَقْتُلُوا أوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إمْلاقٍ﴾ ولم يدخل فيه ما قبل ذلك. قالوا: وكلّ ما عددنا من ذلك الموضع إلى هذا الموضع سيئة لا حسنة فيه، فالصواب قراءته بالتنوين. ومن قرأ هذه القراءة، فإنه ينبغي أن يكون من نيته أن يكون المكروه مقدماً على السيئة، وأن يكون معنى الكلام عنده: كلّ ذلك كان مكروهاً سيئة لأنه إن جعل قوله: مكروهاً نعتَ السيئة من نعت السيئة، لزمه أن تكون القراءة: كلّ ذلك كان سيئة عند ربك مكروهة، وذلك خلاف ما في مصاحف المسلمين.

وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأ ﴿كُلُّ ذلكَ كانَ سَيِّئُهُ﴾ على إضافة السيىء إلى الهاء، بمعنى: كلّ ذلك الذي عددنا من ﴿وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ... كانَ سَيِّئُهُ﴾ لأن في ذلك أموراً منهياً عنها، وأموراً مأموراً بها، وابتداء الوصية والعهد من ذلك الموضع دون قوله ﴿وَلا تَقْتُلُوا أوْلادَكُمْ﴾ إنما هو عطف على ما تقدّم من قوله ﴿وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ﴾ فإذا كان ذلك كذلك، فقرأته بإضافة السيء إلى الهاء أولى وأحق من قراءته سيئةً بالتنوين، بمعنى السيئة الواحدة.

فتأويل الكلام إذن: كلّ هذا الذي ذكرنا لك من الأمور التي عددناها عليك كان سيئه مكروهاً عند ربك يا محمد، يكرهه وينهى عنه ولا يرضاه، فاتق مواقعته والعمل به.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا (٣٩)﴾.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي بيّنا لك يا محمد من الأخلاق الجميلة التي أمرناك بجميلها، ونهيناك عن قبيحها ﴿مِمَّا أوْحَى إلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَةِ﴾ يقول: من الحكمة التي أوحيناها إليك في كتابنا هذا، كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿ذلكَ مِمَّا أوْحَى إلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَةِ﴾ قال: القرآن.

وقد بيَّنا معنى الحكمة فيما مضى من كتابنا هذا، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

﴿وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إلهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً﴾ يقول: ولا تجعل مع الله شريكاً في عبادتك، فتُلقى في جهنم ملوماً تلومك نفسك وعارفوك من الناس **﴿مَدْحُوراً﴾** يقول: مُبْعَداً مقصياً في النار، ولكن أخلص العبادة لله الواحد القهّار، فتنجوَ من عذابه. وبنحو الذي قلنا في قوله **﴿مَلُوماً مَدْحُوراً﴾** قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: **﴿مَلُوماً مَدْحُوراً﴾** يقول: مطروداً.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿مَلُوماً مَدْحُوراً﴾** قال: ملوماً في عبادة الله، مدحوراً في النار.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (٤٠)﴾.

يقول تعالى ذكره للذين قالوا من مشركي العرب: الملائكة بنات الله **﴿أفأصْفاكُمْ﴾** أيها الناس **﴿رَبُّكُمْ بالبَنينَ﴾** يقول: أفخصكم ربكم بالذكور من الأولاد **﴿واتَّخذَ مِنَ المَلائِكَةِ إناثاً﴾** وأنتم لا ترضونهن لأنفسكم، بل تئدونهن، وتقتلونهن، فجعلتم لله ما لا ترضونه لأنفسكم **﴿إنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً﴾** يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين قالوا من الفرية على الله ما ذكرنا: إنكم أيها الناس لتقولون بقيلكم: الملائكة بنات الله، قولاً عظيماً، وتفترون على الله فرية منكم. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

حدثنا محمد، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿واتَّخذَ مِنَ المَلائِكَةِ إناثاً﴾** قال: قالت اليهود: الملائكة بنات الله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤١)﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنا﴾** لهؤلاء المشركين المفترين على الله **﴿فِي هَذَا القُرآنِ﴾** العِبَر والآيات والحجج، وضربنا لهم فيه الأمثال، وحذّرناهم فيه وأنذرناهم **﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾** يقول: ليتذكروا تلك الحجج عليهم، فيعقلوا خطأ ما هم عليه مقيمون، ويعتبروا بالعبر، فيتعظوا بها، وينيبوا من جهالتهم، فما يعتبرون بها، ولا يتذكرون بما يرد عليهم من الآيات والنُّذر، وما يزيدهم

تذكيرنا إياهم ﴿إلاَّ نُفُوراً﴾ يقول: إلا ذهاباً عن الحقّ، وبُعداً منه وهرباً. والنفور في هذا الموضع مصدر من قولهم: نفر فلان من هذا الأمر ينفِر منه نَفراً ونفوراً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جعلوا مع الله إلهاً آخر: لو كان الأمر كما تقولون: من أن معه آلهة، وليس ذلك كما تقولون، إذن لابتغت تلك الآلهة القُربة من الله ذي العرش العظيم، والتمست الزُّلْفة إليه، والمرتبة منه. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إذاً لابْتَغَوْا إلى ذِي العَرْشِ سَبِيلاً﴾ يقول: لو كان معه آلهة إذن لعرفوا فضله ومرتبته ومنزلته عليهم، فابتغوا ما يقرّبهم إليه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿إذاً لابْتَغَوْا إلى ذِي العَرْشِ سَبِيلاً﴾ قال: لابتغَوا القُرب إليه، مع أنه ليس كما يقولون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾.

وهذا تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه عما وصفه به المشركون، الجاعلون معه آلهة غيره، المضيفون إليه البنات، فقال: تنزيهاً لله وعلوّاً له عما تقولون أيها القوم، من الفرية والكذب، فإن ما تضيفون إليه من هذه الأمور ليس من صفته، ولا ينبغي أن يكون له صفة. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً﴾ يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان. وقال تعالى: ﴿عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً﴾ ولم يقل: تعالياً، كما قال: ﴿وَتَبَتَّلْ إلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ كما قال الشاعر:

أنتَ الفِداءُ لكَعْبَةٍ هَدَّمْتَها ونَقَرْتَها بيَدَيْكَ كُلَّ مَنَقَّرِ[1]

(١) البيتان شاهدان على أن المصدرين منقر ومطير المضافين إلى كل المعرب مفعولا مطلقاً ليسا من لفظ الفعل السابق عليهما، لأن المنقر من نقر بتشديد القاف، والمطير من طير بتشديد الياء، مع أن الفعلين السابقين ثلاثيان. ولكن العرب تجيز وضع المصادر المختلفة عن الأفعال السابقة عليها، ومنه في القرآن: ﴿وتبتل إليه

مُنِعَ الحَمامُ مَقِيلَهُ مِنْ سَقْفِها ومِنَ الحَطِيمِ فَطارَ كُلُّ مُطَيَّرِ[1]

وقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمواتُ السَّبْعُ والأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ يقول: تنزّه الله أيها المشركون عما وصفتموه به إعظاماً له وإجلالاً، السموات السبع والأرض، ومن فيهنّ من المؤمنين به من الملائكة والإنس والجنّ، وأنتم مع إنعامه عليكم، وجميل أياديه عندكم، تفترون عليه بما تَفْتَرون.

وقوله: ﴿وَإنْ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وما من شيء من خلقه إلا يسبح بحمده، كما:

حدثني به نصر بن عبد الرحمن الأَوْدِيّ، قال: ثنا محمد بن يعلَى، عن موسى بن عبيدة، عن زيد بن أسلم، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ أَمَرَ بِهِ نُوحٌ ابْنَهُ؟ إنَّ نُوحاً قالَ لابْنِهِ يا بُنَيَّ آمُرُكَ أنْ تَقُولَ سُبْحانَ اللّهِ وبِحَمْدِهِ فإنَّها صَلاةُ الخَلْقِ، وَتَسْبِيحُ الخَلْقِ، وبِها تُرْزَقُ الخَلْقُ، قالَ اللّهُ ﴿وَإنْ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عيسى بن عبيد، قال: سمعت عكرمة يقول: لا يَعِيبنّ أحدكم دابته ولا ثوبه، فإن كلّ شيء يسبح بحمده.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة ﴿وَإنْ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ قال: الشجرة تسبح، والأُسطوانة تسبح.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح وزيد بن حباب، قالا: ثنا جرير أبو الخطاب، قال: كنا مع يزيد الرقاشي ومعه الحسن في طعام، فقدّموا الخوان، فقال يزيد الرقاشي: يا أبا سعيد يسبح هذا الخوان؟ فقال: كان يسبح مرّة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك، ويونس، عن الحسن أنهما قالا في قوله: ﴿وَإنْ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ يُسَبِّح بِحَمْدِهِ﴾ قالا: كلّ شيء فيه الروح.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الكبير بن عبد المجيد، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، قال: الطعام يسبح.

تبتيلاً﴾ ومصدر تبتل: هو التبتل لا التبتيل، ولكن ذلك جائز لأن الحروف الأصول مشتركة في الأفعال والمصادر التي تليها.

(١) يقال: صافه، بتشديد الفاء، فهو مضاف: إذا رتب صفوفه في مقابله صفوف العدو. وتصافوا عليه: اجتمعوا صفاً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر عن قتادة ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾ قال: كلّ شيء فيه الروح يسبح، من شجر أو شيء فيه الروح.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن عبد الله بن أبيّ، عن عبد الله بن عمرو، أن الرجل إذا قال: لا إله إلا الله، فهي كلمة الإخلاص التي لا يقبل الله من أحد عملاً حتى يقولها، فإذا قال الحمد لله، فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله عبد قطّ حتى يقولها: فإذا قال الله أكبر، فهي تملأ ما بين السماء والأرض، فإذا قال سبحان الله، فهي صلاة الخلائق التي لم يَدْعُ اللّهَ أحد من خلقه إلا نوّره بالصلاة والتسبيح، فإذا قال لا حول ولا قوّة إلا بالله، قال: أسلم عبدي واستسلم.

وقوله: ﴿**ولَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: ولكن لا تفقهون تسبيح ما عدا تسبيح من كان يسبح بمثل ألسنتكم ﴿**إِنَّهُ كانَ حَلِيماً**﴾ يقول: إن الله كان حليماً لا يعجل على خلقه، الذين يخالفون أمره، ويكفرون به، ولولا ذلك لعاجل هؤلاء المشركين الذين يدعون معه الآلهة والأنداد بالعقوبة ﴿**غَفُوراً**﴾ يقول: ساتراً عليهم ذنوبهم، إذا هم تابوا منها بالعفو منه لهم، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**إِنَّهُ كانَ حَلِيماً**﴾ عن خلقه، فلا يعجل كعجلة بعضهم على بعض ﴿**غَفُوراً**﴾ لهم إذا تابوا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا قرأت يا محمد القرآن على هؤلاء المشركين الذين لا يصدّقون بالبعث، ولا يقرّون بالثواب والعقاب، جعلنا بينك وبينهم حجاباً، يحجب قلوبهم عن أن يفهموا ما تقرؤه عليهم، فينتفعوا به، عقوبة منا لهم على كفرهم. والحجاب ههنا: هو الساتر، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَإِذَا قَرأْتَ القُرآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وبينَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخرة حِجاباً مَسْتُوراً**﴾ الحجاب المستور أكنة على قلوبهم أن يفقهوه وأن ينتفعوا به، أطاعوا الشيطان فاستحوذ عليهم.

حدثنا محمد، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**حِجاباً مَسْتُوراً**﴾ قال: هي الأكنة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَإِذَا قَرأتَ القُرآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وبينَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً**﴾ قال: قال أُبيّ: لا يفقهونه، وقرأ ﴿**قُلُوبُهُمْ فِي أكِنَّةٍ وفِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ**﴾ لا يخلص ذلك إليهم.

وكان بعض نحويّ أهل البصرة يقول: معنى قوله ﴿**حِجاباً مَستُوراً**﴾ حِجاباً ساتراً، ولكنه أخرج وهو فاعل في لفظ المفعول، كما يقال: إنك مشئوم علينا وميمون، وإنما هو شائم ويامن، لأنه من شأمهم ويمنهم. قال: والحجاب ههنا: هو الساتر. وقال: مستوراً. وكان غيره من أهل العربية يقول: معنى ذلك: حجاباً مستوراً عن العباد فلا يرونه.

وهذا القول الثاني أظهر بمعنى الكلام أن يكون المستور هو الحجاب، فيكون معناه: أن لله ستراً عن أبصار الناس فلا تدركه أبصارهم، وإن كان للقول الأوّل وجه مفهوم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وجعلنا على قلوب هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة عند قراءتك عليهم القرآن أكنة وهي جمع كِنان، وذلك ما يتغشّاها من خِذلان الله إياهم عن فهم ما يُتلى عليهم ﴿**وفي آذانِهِمْ وَقْراً**﴾ يقول: وجعلنا في آذانهم وقراً عن سماعه، وصمماً. والوَقر بالفتح في الأذن: الثقل. والوِقر بالكسر: الحِمْل. وقوله: ﴿**وَإذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي القُرْآنِ وَحْدَهُ**﴾ يقول: وإذا قلت: لا إله إلا الله في القرآن وأنت تتلوه ﴿**وَلَّوْا على أدْبارِهِمْ نُفُوراً**﴾ يقول: انفضوا، فذهبوا عنك نفوراً من قولك استكباراً له واستعظاماً من أن يوحّد الله تعالى. وبما قلنا في ذلك، قال بعض أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَإذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي القُرآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا**﴾ وإن المسلمين لما قالوا: لا إله إلا الله، أنكر ذلك المشركون وكبرت عليهم، فصافها إبليس وجنوده، فأبى الله إلا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على من ناوأها، إنها كلمة من خاصم بها فلج، ومن قاتل بها نُصِر، إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين، التي يقطعها الراكب في ليال قلائل ويسير الدهر في فِئام من الناس لا يعرفونها ولا يقرّون بها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَإذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي القُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا على أدْبارِهِمْ نُفُوراً**﴾ قال: بغضاً لما تكلم به لئلا يسمعوه، كما كان قوم

نوح يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا ما يأمرهم به من الاستغفار والتوبة، ويستغشُون ثيابهم، قال: يلتفون بثيابهم، ويجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا ولا يُنظر إليهم.

وقال آخرون: إنما عُنِي بقوله ﴿وَلَّوْا على أدْبارِهِمْ نُفُوراً﴾ الشياطين، وإنها تهرب من قراءة القرآن، وذكر الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحسين بن محمد الذارع، قال: ثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي، قال: ثنا عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي القُرآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى أدْبارِهِمْ نُفُوراً﴾ هم الشياطين.

والقول الذي قلنا في ذلك أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله تعالى أتبع ذلك قوله ﴿وَإِذَا قَرأتَ القُرآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وبينَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً﴾ فأن يكون ذلك خبراً عنهم أولى إذ كان بخبرهم متصلاً من أن يكون خبراً عمن لم يجز له ذكر. وأما النفور، فإنها جمع نافر، كما القعود جمع قاعد، والجلوس جمع جالس وجائز أن يكون مصدراً أخرج من غير لفظه، إذ كان قوله ﴿وَلَّوْا﴾ بمعنى: نفروا، فيكون معنى الكلام: نفروا نفوراً، كما قال امرؤ القيس:

وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةٌ أيَّ إذْلالِ(١)

إذا كان رُضت بمعنى: أذللت، فأخرج الإذلال من معناه، لا من لفظه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾.

---

(١) هذا عجز بيت امرىء القيس بن حجر الكندي، صدره:

وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا

وهو من قصيدة عدة أبياتها ٥٤ بيتاً، وهو الخامس والعشرون فيها، (انظر مختار الشعر الجاهلي، بشرح مصطفى السقا، طبعة الحلبي ص ـ ٣٨). وقد استشهد المؤلف على أن قول القرآن، ﴿ولوا على أدبارهم نفوراً﴾ يجوز أن يكون لفظ (نفوراً) جمع نافر، كجلوس جمع جالس، وقعود جمع قاعد، ويجوز أن يكون مصدر نفر، وهو مفعول مطلق للفعل «ولوا» لأنه يئول بمعنى نفروا كما يئول قول امرىء القيس (أي إذلال) بمعنى أي ذل مع ما بينهما من فرق في المعنى. ولكن العرب تتسمح في وضع بعض المصادر موضع بعض على التأويل.

يقول تعالى ذكره: نحن أعلم يا محمد بما يستمع به هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قومك، إذ يستمعون إليك وأنت تقرأ كتاب الله ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾. وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: النجوى: فعلهم، فجعلهم هم النجوى، كما يقول: هم قوم رضا، وإنما رضا: فعلهم. وقوله ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً﴾ يقول: حين يقول المشركون بالله ما تتبعون إلا رجلاً مسحوراً. وعنى فيما ذُكِر بالنجوى: الذين تشاوروا في أمر رسول الله ﷺ في دار النَّدوة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ قال: هي مثل قيل الوليد بن المُغيرة ومن معه في دار الندوة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد نحوه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة. قوله: ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ...﴾ الآية، ونجواهم أن زعموا أنه مجنون. وأنه ساحر، وقالوا: أساطِيرُ الأوَّلِينَ.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يذهب بقوله ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً﴾ إلى معنى: ما تتبعون إلا رجلاً له سَحْر: أي له رئة، والعرب تسمي الرئة سَحْراً، والمسحَّر من قولهم للرجل إذا جبن: قد انتفخ سَحْره، وكذلك يقال لكل ما أكَلَ أو شرب من آدميّ وغيره: مَسحور ومُسَحَّر، كما قال لبيد:

فَإنْ تَسأَلِينا فِيم نَحْنُ فإنَّنا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الأنامِ المُسَحَّرِ[1]

(١) البيت في ديوان لبيد، رواية الطوسي، طبع فينا سنة ١٨٨٠ (ص ـ ٨١) وفي شرحه: عصافير: صغار ضعاف، أي نحن أولاد قوم قد ذهبوا ومسحر معلل بالطعام والشراب. وقوله: «إنما أنت من المسحرين»: من هذا. واستشهد به المؤلف على هذا قال: والمسحر: من قولهم للرجل إذا جبن: قد انتفخ سحره. وكذلك يقال لكل ما أكل وشرب من آدمي وغيره: مسحور ومسحر كما قال لبيد: «فإن تسألينا.....» البيت. وفي **«اللسان»** سحر: وقول لبيد:

فإن تسألينا........

الخ البيت. يكون على الوجهين، وقوله تعالى: ﴿إنما أنت من المسحرين﴾ يكون من التغذية والخديعة.

وقال آخرون:

ونُسْحَرُ بالطعام وبالشراب[1]

أي نغذّي بهما. فكأن معناه عنده كان: إن تتبعون إلا رجلاً له رئة، يأكل الطعام، ويشرب الشراب، لا مَلَكاً لا حاجة به إلى الطعام والشراب، والذي قال من ذلك غير بعيد من الصواب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨)﴾.

يقول تعالى ذكره: انظر يا محمد بعين قلبك فاعتبر كيف مثّلوا لك الأمثال، وشبهوا لك الأشباه، بقولهم: هو مسحور، وهو شاعر، وهو مجنون ﴿**فَضَلُّوا**﴾ يقول: فجاروا عن قصد السبيل بقيلهم ما قالوا ﴿**فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً**﴾ يقول: فلا يهتدون لطريق الحقّ لضلالهم عنه وبُعدهم منه، وأن الله قد خذلهم عن إصابته، فهم لا يقدرون على المَخْرَج مما هم فيه من كفرهم بتوفُّقهم إلى الإيمان به، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً**﴾ قال: مخرجاً، الوليد بن المغيرة وأصحابه أيضاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿**انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً**﴾ مخرجاً الوليد بن المغيرة وأصحابه.

---

(١) هذا عجز بيت من قول امرىء القيس بن حجر الكندي:

أرانا مُوضِعِينَ لأمرِ غَيْبٍ ونُسْحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرابِ
عَصافِيرٌ وذِبَّانٌ ودُودٌ وأجرأُ مِنْ مُجَلِّحَةِ الذئابِ

قال صاحب «**اللسان**» بعد أن أورد البيتين: (سحر) أي نغذى أو نخدع، قال ابن امرىء بري: قوله: «موضعين» معناه: مسرعين. وقوله «لأمر غيب»: يريد الموت، وأنه قد غيب عنا وقته، ونحن نلهى عنه بالطعام والشراب. والسحر: الخديعة وفي «**مختار الشعر الجاهلي**» بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي (ص - ٧٩) في شرح البيت الأول من البيتين: موضعين: مسرعين. لأمر غيب: يريد الموت أو المستقبل المجهول. ويروى: لحتم غيب. ونسحر: نلهى، أو نغذى. يقول: أرانا في هذه الدنيا مسرعين للموت الذي غيب عنا وقته، أو لمستقبل مجهول، لا ندري من أمره شيئاً، ونحن نعلل عنه بالطعام وبالشراب يريد: كيف يستلذ الطعام والشراب من هو جاد إلى شرب كأس المنية. وفي شرح البيت الثاني: العصافير: ضعاف الطير؛ والمجلح: الجرىء، والأنثى مجلحة. يقول: نحن أشبه بالعصافير والذباب والدود في ضعفنا، ولكننا أجرأ على الشر، وارتكاب الآثام من الذئاب الضارية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قريش، وقالوا بعنتهم: ﴿**أئِذَا كُنَّا عِظاماً**﴾ لم نتحطم ولم نتكسّر بعد مماتنا وبِلانا ﴿**وَرُفاتاً**﴾ يعني تراباً في قبورنا، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، يقول الله: ﴿**رُفاتاً**﴾ قال: ترابا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**وَقالُوا أئِذَا كُنَّا عِظاماً وَرُفاتاً**﴾ يقول: غُباراً، ولا واحد للرُّفات، وهو بمنزلة الدُّقاق والحُطَام، يقال منه: رُفِتَ يُرْفَت رَفْتاً فهو مرفوت: إذا صُيِّر كالحُطام والرُّضاض.

وقوله: ﴿**أئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً**﴾ قالوا، إنكاراً منهم للبعث بعد الموت: إنا لمبعوثون بعد مصيرنا في القبور عظاماً غير منحطمة، ورفاتاً منحطمة، وقد بَلِينا فصرنا فيها تراباً، خلقاً مُنْشَأً كما كنا قبل الممات جديداً، نعاد كما بدئنا؟ فأجابهم جلّ جلاله يعرّفهم قُدرته على بعثه إياهم بعد مماتهم، وإنشائه لهم كما كانوا قبل بِلاهُم خلقاً جديداً، على أيّ حال كانوا من الأحوال، عظاماً أو رُفاتاً، أو حجارة أو حديداً، أو غير ذلك مما يعظُم عندهم أن يحدث مثله خَلْقاً أمثالَهم أحياء، قل يا محمد: كونوا حجارة أو حديداً، أو خلقاً مما يكبر في صدوركم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للمكذّبين بالبعث بعد الممات من قومك القائلين ﴿**أئِذَا كُنَّا عِظاماً وَرُفاتاً أئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً**﴾: كونوا إن عجبتم من إنشاء الله إياكم، وإعادته أجسامكم، خلقاً جديداً بعد بِلاكم في التراب، ومصيركم رُفاتاً، وأنكرتم ذلك من قُدرته حجارة أو حديداً، أو خلقاً مما يكبر في صدوركم إن قدرتم على ذلك، فإني أحييكم وأبعثكم

خلقاً جديداً بعد مصيركم كذلك كما بدأتكم أوّل مرّة.

واختلف أهل التأويل في المعنىّ بقوله ﴿أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ فقال بعضهم: عُنِي به الموت، وأريد به: أو كونوا الموت، فإنكم إن كنتموه أمتُّكم ثم بعثتكم بعد ذلك يوم البعث.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية، عن ابن عمر ﴿أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ قال: الموت، قال: لو كنتم موتى لأحييتكم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعني الموت. يقول: إن كنتم الموت أحييتكم.

حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا أبو مالك الجنبي، قال: ثنا ابن أبي خالد، عن أبي صالح في قوله ﴿أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ قال: الموت.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا سليمان أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ قال: الموت.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال سعيد بن جبير، في قوله: ﴿أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ كونوا الموت إن استطعتم، فإن الموت سيموت قال: وليس شيء أكبر في نفس ابن آدم من الموت.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: بلغني، عن سعيد بن جبير، قال: هو الموت.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر، أنه كان يقول: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح حتى يُجعل بين الجنة والنار، فينادي مناد يُسمِع أهلَ الجنة وأهل النار، فيقول: هذا الموت قد جئنا به ونحن مهلكوه، فأيقنوا يا أهل الجنة وأهل النار أن الموت قد هلك».

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعني الموت، يقول: لو كنتم الموت لأمتكم.

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: إن الله يجيء بالموت يوم القيامة، وقد صار أهل الجنة وأهل النار إلى منازلهم، كأنه كبش أملح، فيقف بين الجنة والنار، فينادي أهل الجنة وأهل النار هذا الموت، ونحن ذابحوه، فأيقنوا بالخلود.

وقال آخرون: عنى بذلك السماء والأرض والجبال.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ**﴾ قال: السماء والأرض والجبال.

وقال آخرون: بل أريد بذلك: كونوا ما شئتم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ**﴾ قال: ما شئتم فكونوا، فسيعيدكم الله كما كنتم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ**﴾ قال: من خلق الله، فإن الله يميتكم ثم يبعثكم يوم القيامة خلقاً جديداً.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره قال: ﴿**أَوْ خَلْقاً ممَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ**﴾، وجائز أن يكون عنى به الموت، لأنه عظيم في صدور بني آدم وجائز أن يكون أراد به السماء والأرض وجائز أن يكون أراد به غير ذلك، ولا بيان في ذلك أبين مما بين جلّ ثناؤه، وهو كلّ ما كبر في صدور بني آدم من خلقه، لأنه لم يخصص منه شيئاً دون شيء.

وأما قوله: ﴿**فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا**﴾ فإنه يقول: فسيقول لك يا محمد هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿**مَنْ يُعِيدُنا**﴾ خلقاً جديداً، إن كنا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدورنا، فقل لهم: يعيدكم ﴿**الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ يقول: يعيدكم كما كنتم قبل أن تصيروا حجارة أو حديداً إنساً أحياء، الذي خلقكم إنساً من غير شيء أوّل مرّة، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ أي خلقكم ﴿**فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ**﴾ يقول: فإنك إذا قلت لهم ذلك، فسيهزُّون إليك رءوسهم برفع وخفض وكذلك النَّغْض في كلام العرب، إنما هو حركة بارتفاع ثم انخفاض، أو انخفاض

ثم ارتفاع، ولذلك سمي الظليم نَغْضاً، لأنه إذا عجل المشي ارتفع وانخفض، وحرّك رأسه، كما قال الشاعر:

أسكّ نَغْضاً لا يَنِي مُسْتَهْدِجاً[1]

ويقال: نَغَضَت سنه: إذا تحرّكت وارتفعت من أصلها ومنه قول الراجز:

ونَغَضَتْ مِنْ هَرِمٍ أسْنانُها[2]

وقول الآخر:

لمَّا رأتْنِي أنْغَضْتُ لِيَ الرأسا[3]

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ أي يحرّكون رءوسهم تكذيباً واستهزاء.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ قال: يحرّكون رءوسهم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

---

(١) هذا بيت من مشطور الرجز للعجاج ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ (ص ـ ٧) وهو السابع من أرجوزة مطولة. وفيه: «أصك» بالصاد، في موضع «أسك» بالسين. والأسك: صفة من السكك، وهو الصمم. وقيل: صغر الأذن ولزوقها بالرأس، وقلة إشرافها. وقيل: قصرها ولصوقها بالحششاء، يكون ذلك في الآدميين وغيرهم. قال: والنعام كلها سك وكذلك القطا. وأصل السكك الصمم. ا هـ. «اللسان» وفي «اللسان» صكك: الأصك والمصك: القوي الجسيم الشديد الخلق من الناس والإبل والحمير. وفي (نغض): نغض الشيء نغضاً: تحرك واضطرب، وأنغض هو: حركه ا هـ ولا يني: أي لا يفتر. وفيه أيضاً (هدج) أورد البيت كرواية الديوان. قال: وهدج الظليم يهدج هدجاناً واستهدج، وهو مشي وسعي وعدو، كل ذلك إذا كان في ارتعاش. قال العجاج يصف الظليم: «أصك.....» الخ. ويروى مستهدجاً (بكسر الدال) أي عجلان وقال ابن الأعربي: أي مستعجلا، أي أفزع فمر. والبيت شاهد على أن «النغض» في كلام العرب حركة بارتفاع ثم انخفاض أو بالعكس.

(٢) البيت من مشطور الرجز، وهو من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (١/ ٣٨٢) وعنه أخذه المؤلف. قال أبو عبيدة: «فسينغضون إليك رؤوسهم» مجازه: فسيرفعون ويحركون استهزاء منهم. ويقال: قد نغضت سن فلان: إذا تحركت وارتفعت من أصلها قال:

ونغضب من هرم أسنانها

(٣) وهذا البيت أيضاً شاهد بمعنى الذي قبله، وهو من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (١/ ٣٨٢) جاء بعد الأول على أن أنغض الرأس بمعنى حركه ورفعه استهزاء بمن هو أمامه.

ابن عباس، قوله ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ يقول: سيحركونها إليك استهزاء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراسانيّ، عن ابن عباس ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ قال: يحرّكون رءوسهم يستهزءون ويقولون متى هو.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ يقول: يهزؤون.

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتى هُوَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ويقولون متى البعث، وفي أيّ حال ووقت يعيدنا خلقاً جديداً، كما كنا أوّل مرّة؟ قال الله عزّ وجلّ لنبيه: قل لهم يا محمد إذ قالوا لك: متى هو، متى هذا البعث الذي تعدنا؟: عسى أن يكون قريباً وإنما معناه: هو قريب، لأن عسى من الله واجب، ولذلك قال النبيّ ﷺ: «بُعِثْتُ أنا والسَّاعَةُ كَهاتَيْن، وأشار بالسَّبابة والوُسطَى»، لأن الله تعالى كان قد أعلمه أنه قريب مجيب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قل عسى أن يكون بعثكم أيها المشركون قريباً، ذلك يوم يدعوكم ربكم بالخروج من قبوركم إلى موقف القيامة، فتستجيبون بحمده.

اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ فقال بعضهم: فتستجيبون بأمره.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثني عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ يقول: بأمره.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ قال: بأمره.

وقال آخرون: معنى ذلك: فتستجيبون بمعرفته وطاعته.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ

بِحَمْدِهِ﴾: أي بمعرفته وطاعته.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: معناه: فتستجيبون لله من قبوركم بقدرته، ودعائه إياكم. ولله الحمد في كلّ حال، كما يقول القائل: فعلت ذلك الفعل بحمد الله، يعني: لله الحمد عن كلّ ما فعلته، وكما قال الشاعر:

فــإنّــي بِــحَــمْــد الله لا ثَــوْبَ فــاجِــرٍ لَــبِــسْــتُ وَلا مِــنْ غَــدْرَةٍ أتَــقَــنَّــعُ[1]

بمعنى: فإني والحمد لله لا ثوب فاجر لبست.

وقوله: **﴿وَتَظُنُّونَ إنْ لَبِثْتُمْ إلاَّ قَلِيلاً﴾** يقول: وتحسِبون عند موافاتكم القيامة من هول ما تعاينون فيها ما لبثتم في الأرض إلا قليلاً، كما قال جلّ ثناؤه **﴿قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأرْض عَدَدَ سِنِينَ قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أوْ بَعْضَ يَوْمٍ فاسألِ العادّينَ﴾**. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَتَظُنُّونَ إنْ لَبِثْتُمْ إلاَّ قَلِيلاً﴾**: أي في الدنيا، تحاقرت الدنيا في أنفسهم وقلّت، حين عاينوا يوم القيامة.

وقوله: **﴿وَقُلْ لِعِبادِي يَقُولُوا التي هِيَ أحْسَنُ﴾** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقل يا محمد لعبادي يقل بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاورة والمخاطبة. كما:

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: ثنا النضر، قال: أخبرنا المبارك، عن الحسن في هذه الآية **﴿وَقُلْ لِعِبادِي يَقُولُوا التي هِيَ أحْسَنُ﴾** قال: التي هي أحسن، لا يقول له مثل قوله يقول له: يرحمك الله يغفر الله لك.

وقوله: **﴿إنَّ الشَّيْطانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾** يقول: إن الشيطان يسوء محاورة بعضهم بعضاً ينزغ بينهم، يقول: يفسد بينهم، يهيج بينهم الشرّ **﴿إنَّ الشَّيْطانَ كانَ للإنْسانِ عَدُوّاً مُبِيناً﴾** يقول: إن الشيطان كان لآدم وذرّيته عدوّاً، قد أبان لهم عداوته بما أظهر لآدم من الحسد، وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾

(١) البيت شاهد على أن قوله «بحمد لله» واستشهد به القرطبي في (١٠/ ٢٧٦) ولم ينسبه إلى قائل معروف.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش الذين قالوا ﴿أئِذَا كُنَّا عِظاماً وَرُفاتاً أئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾: ﴿رَبُّكُمْ﴾ أيها القوم ﴿أعْلَمُ بِكُمْ إنْ يَشأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ فيتوب عليكم برحمته، حتى تنيبوا عما أنتم عليه من الكفر به وباليوم الآخر ﴿وَإنْ يَشأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ بأن يخذلكم عن الإيمان، فتموتوا على شرككم، فيعذّبكم يوم القيامة بكفركم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن عبد الملك بن جريج قوله: ﴿رَبُّكُمْ أعْلَمُ بِكُمْ إنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ قال: فتؤمنوا ﴿أوْ إنْ يَشأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ فتؤمنوا وإن يعذبكم فتموتوا على الشرك كما أنتم.

وقوله: ﴿وَما أرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: وما أرسلناك يا محمد على من أرسلناك إليه لتدعوه إلى طاعتنا رباً ولا رقيباً، إنما أرسلناك إليهم لتبلغهم رسالاتنا، وبأيدينا صرفهم وتدبيرهم، فإن شئنا رحمناهم، وإن شئنا عذّبناهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: وربك يا محمد أعلم بمن في السموات والأرض وما يصلحهم فإنه هو خالقهم ورازقهم ومدبرهم، وهو أعلم بمن هو أهل للتوبة والرحمة، ومن هو أهل للعذاب، أهدى للحقّ من سبق له مني الرحمة والسعادة، وأُضلّ من سبق له مني الشقاء والخذلان، يقول: فلا يكبرنّ ذلك عليك، فإن ذلك من فعلي بهم لتفضيلي بعض النبيين على بعض، بإرسال بعضهم إلى بعض الخلق، وبعضهم إلى الجميع، ورفعي بعضهم على بعض درجات. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَرَبُّكَ أعْلَمُ بِمَنْ في السَّمَوَاتِ والأرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ﴾ اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وكلّم موسى تكليماً، وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون، وهو عبد الله ورسوله، من كلمة الله وروحه، وآتى سليمان مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبوراً، كنا نحدّث دعاء عُلّمه داود، تحميد وتمجيد، ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود، وغفر لمحمد ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْض النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ**﴾ قال: كلم الله موسى، وأرسل محمداً إلى الناس كافَّة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه: ادعو أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دونه عند ضرّ ينزل بكم، فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم، أو تحويله عنكم إلى غيركم، فتدعوهم آلهة، فإنهم لا يقدرون على ذلك، ولا يملكونه، وإنما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم. وقيل: إن الذين أمر النبيّ ﷺ أن يقول لهم هذا القول، كانوا يعبدون الملائكة وعُزيراً والمسيح، وبعضهم كانوا يعبدون نفراً من الجنّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**قُلِ ادعُوا الَّذِين زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلاً**﴾ قال: كان أهل الشرك يقولون: نعبد الملائكة وعُزَيراً، وهم الذين يدعون، يعني الملائكة والمسيح وعُزيراً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يدعوهم هؤلاء المشركون أرباباً ﴿**يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ**﴾ يقول: يبتغي المدعوّون أرباباً إلى ربهم القُربة والزُّلفة، لأنهم أهل إيمان به، والمشركون بالله يعبدونهم من دون الله ﴿**أيُّهُمْ أقْرَبُ**﴾ أيهم بصالح عمله واجتهاده في عبادته أقرب عنده زلفة ﴿**وَيَرْجُونَ**﴾ بأفعالهم تلك ﴿**رَحْمَتَهُ وَيخافُونَ**﴾ بخلافهم أمره ﴿**عَذَابَهُ إنَّ عَذابَ رَبِّكَ**﴾ يا محمد ﴿**كانَ مَحْذوراً**﴾ متقي. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل، غير أنهم اختلفوا في المدعوّين، فقال بعضهم: هم نفر من الجنّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله، في قوله: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ﴾** قال: كان ناس من الإنس يعبدون قوماً من الجنّ، فأسلم الجن وبقي الإنس على كفرهم، فأنزل الله تعالى **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ﴾** يعني الجنّ.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلي، قال: ثنا شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم، عن أبي معمر، قال: قال عبد الله في هذه الآية **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾** قال: قَبيل من الجنّ كانوا يعبدون فأسلموا.

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: ثني أبي، قال: ثني الحسين، عن قتادة، عن معبد بن عبد الله الزِّمَّاني، عن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن مسعود، في قوله: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ﴾** قال: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجنّ، فأسلم الجنيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم، فأنزلت **﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾**.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عمه عبد الله بن مسعود، قال: نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجنّ، فأسلم الجنيون والنفر من العرب لا يشعرون بذلك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ﴾** قوم عبدوا الجنّ، فأسلم أولئك الجنّ، فقال الله تعالى ذكره: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ﴾**.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبد الله **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ﴾** قال: كان نفر من الإنس يعبدون نفراً من الجنّ، فأسلم النفر من الجنّ، واستمسك الإنس بعبادتهم، فقال **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ﴾**.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن الأعمش، عن إبراهيم عن أبي معمر، قال: قال عبد الله: كان ناس يعبدون نفراً من الجنّ، فأسلم أولئك الجنيون، وثبتت الإنس على عبادتهم، فقال الله تبارك وتعالى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ﴾**.

حدثنا الحسن، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**﴾ قال كان أناس من أهل الجاهلية يعبدون نفراً من الجنّ فلما بعث النبيّ ﷺ أسلموا جميعاً، فكانوا يبتغون أيهم أقرب.

وقال آخرون: بل هم الملائكة.

حدثني الحسين بن عليّ الصدائي، قال: ثنا يحيى بن السكن، قال: أخبرنا أبو العوّام، قال: أخبرنا قتادة، عن عبد الله بن معبد الزِّمَّاني، عن عبد الله بن مسعود، قال: كان قبائل من العرب يعبدون صنفاً من الملائكة يقال لهم الجنّ، ويقولون: هم بنات الله، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ**﴾ معشر العرب ﴿**يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ**﴾ قال: الذين يدعون الملائكة تبتغي إلى ربها الوسيلة ﴿**أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ**﴾ حتى بلغ ﴿**إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً**﴾ قال: وهؤلاء الذين عبدوا الملائكة من المشركين.

وقال آخرون: بل هم عزير وعيسى، وأمه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يحيى بن جعفر، قال: أخبرنا يحيى بن السكن، قال: أخبرنا شعبة، عن إسماعيل السديّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ**﴾ قال: عيسى وأمه وعُزير.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلي، قال: ثنا شعبة، عن إسماعيل السدي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: عيسى ابن مريم وأمه وعُزير في هذه الآية ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ**﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ**﴾ قال: عيسى ابن مريم وعُزير والملائكة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: كان ابن عباس يقول

في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ﴾ قال: هو عُزير والمسيح والشمس والقمر.

وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية قول عبد الله بن مسعود الذي رويناه، عن أبي معمر عنه، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن الذين يدعوهم المشركون آلهة أنهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة في عهد النبيّ ﷺ ومعلوم أن عُزيراً لم يكن موجوداً على عهد نبينا عليه الصلاة والسلام، فيبتغي إلى ربه الوسيلة وأن عيسى قد كان رُفع، وإنما يبتغي إلى ربه الوسيلة من كان موجوداً حياً يعمل بطاعة الله، ويتقرّب إليه بالصالح من الأعمال. فأما من كان لا سبيل له إلى العمل، فبم يبتغي إلى ربه الوسيلة. فإذ كان لا معنى لهذا القول، فلا قول في ذلك إلا قول من قال ما اخترنا فيه من التأويل، أو قول من قال: هم الملائكة، وهما قولان يحتملهما ظاهر التنزيل. وأما الوسيلة، فقد بيَّنا أنها القربة والزلفة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: الوسيلة: القربة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: الوسيلة، قال: القربة والزلفى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما من قرية من القرى إلا نحن مهلكوا أهلها بالفناء، فمبيدوهم استئصالاً قبل يوم القيامة، أو معذّبوها، إما ببلاء من قتل بالسيف، أو غير ذلك من صنوف العذاب عذاباً شديداً. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إلاَّ نَحن مُهْلِكُوها قَبْلَ يَوْمِ القِيامَةِ﴾ فمبيدوها ﴿أوْ معذّبُوها﴾ بالقتل والبلاء، قال: كل قرية في الأرض سيصيبها بعض هذا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد بنحوه

إلا أنه قال: سيصيبها هذا أو بعضه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إلاَّ نَحْن مُهْلِكُوها قَبْلَ يَوْمِ القِيامَةِ أوْ مُعَذّبوها﴾** قضاء من الله كما تسمعون ليس منه بدّ، إما أن يهلكها بموت وإما أن يهلكها بعذاب مستأصل إذا تركوا أمره، وكذّبوا رسله.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وَإنْ مِنْ قَرْيَةٍ إلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوها﴾** قال: مبيدوها.

حدثنا القاسم، قال: ثني الحسين، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك بن حرب، عن عبد الرحمن بن عبد الله، قال: إذا ظهر الزنا والربا في أهل قرية أذن الله في هلاكها.

وقوله: **﴿كانَ ذلكَ فِي الكِتابِ مَسْطُوراً﴾** يعني في الكتاب الذي كتب فيه كلّ ما هو كائن، وذلك اللوح المحفوظ. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿كانَ ذلكَ فِي الكِتابِ مَسْطُوراً﴾** قال: في أمّ الكتاب، وقرأ لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَق ويعني بقوله **﴿مَسْطُوراً﴾** مكتوباً مبيناً ومنه قول العجاج:

واعْلَمْ بأنَّ ذَا الجَلالِ قَدْ قَدَرْ ... في الكُتُبِ الأُولى التي كان سَطَرْ
أمْرَكَ هَذَا فاحْتَفِظْ فِيهِ النَّهَرْ[1]

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: وما منعنا يا محمد أن نرسل بالآيات التي سألها قومك، إلا أن كان من قبلهم من الأمم المكذّبة، سألوا ذلك مثل سؤالهم فلما أتاهم ما سألوا منه كذّبوا رسلهم، فلم يصدّقوا مع مجيء الآيات، فعوجلوا فلم نرسل إلى قومك بالآيات، لأنّا لو أرسلنا بها إليها،

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز للعجاج بن رؤبة من أرجوزة مطولة عدة أبياتها ٢٢٩ بيتاً يمدح بها عمر بن عبيد الله ابن معمر، انظر ديوان العجاج طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ (ص - ١٥، ٢١) وفيه «الكتب» في موضع: «الصحف». و(فاعلم) في موضع واعلم. وانظر «**مجاز القرآن**» لأبي عبيدة (١/ ٣٨٣) وقال: مسطورا أي مبينا مكتوبا وفي روايته النتر بفتح النون والتاء. وقال: النتر: الخديعة وفي «**اللسان**» وفي «**اللسان**» نتر والنتر بالتحريك: الفساد والضياع، قال العجاج: «وأعلم.... الخ» الأبيات.

فكذّبوا بها، سلكنا في تعجيل العذاب لهم مسلك الأمم قبلها. وبالذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد وابن وكيع، قالا: ثنا جرير، عن الأعمش، عن جعفر بن أياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: سأل أهل مكة النبيّ ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي عنهم الجبال، فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن نستأني بهم لعلنا نجتني منهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم، قال: «بل تستأني بهم»، فأنزل الله: **﴿وَما مَنَعَنا أنْ نُرْسِلَ بالآياتِ إلاَّ أنْ كَذَّبَ بِها الأوَّلُونَ وآتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾**.

حدثني إسحاق بن وهب، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا مسعود بن عباد، عن مالك بن دينار، عن الحسن في قول الله تعالى **﴿وَما مَنَعَنا أنْ نُرْسِلَ بالآياتِ إلاَّ أنْ كَذَّبَ بِها الأوَّلُونَ﴾** قال: رحمة لكم أيتها الأمة، إنا لو أرسلنا بالآيات فكذّبتم بها، أصابكم ما أصاب من قبلكم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حماد بن زيد، عن أيوب، عن سعيد بن جبير، قال: قال المشركون لمحمد ﷺ: يا محمد إنك تزعم أنه كان قبلك أنبياء، فمنهم من سخرت له الريح، ومنهم من كان يحيي الموتى، فإن سرّك أن نؤمن بك ونصدّقك، فادع ربك أن يكون لنا الصفا ذهباً، فأوحى الله إليه: إني قد سمعت الذي قالوا، فإن شئت أن نفعل الذي قالوا، فإن لم يؤمنوا نزل العذاب، فإنه ليس بعد نزول الآية مناظرة، وإن شئت أن تستأني قومك استأنيت بها، قال: «يا ربّ أستأني».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَما مَنَعَنا أنْ نُرْسِلَ بالآياتِ إلاَّ أنْ كَذَّبَ بِها الأوَّلُونَ﴾** قال: قال أهل مكة لنبيّ الله ﷺ: إن كان ما تقول حقاً، ويسرّك أن نؤمن، فحوّل لنا الصفا ذهباً، فأتاه جبرئيل عليه السلام، فقال: إن شئت كان الذي سألك قومك، ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم يناظروا، وإن شئت استأنيت بقومك، قال: «بَلِ أسْتَأْنِي بقَومْي» فأنزل الله: **﴿وآتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها﴾** وأنزل الله عزّ وجلّ **﴿ما آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أهْلَكْناها أفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾**.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، أنهم سألوا أن يحوّل الصفا ذهباً، قال الله: **﴿وَما مَنَعَنا أنْ نُرْسِلَ بالآياتِ إلاَّ أنْ كَذَّبَ بِها الأوَّلُونَ﴾** قال ابن جريج: لم يأت قرية بآية فيكذّبوا بها إلا عذّبوا، فلو جعلت لهم الصفا ذهباً ثم لم يؤمنوا عذّبوا. و«أن» الأولى التي مع مَنَعَنا، في موضع نصب بوقوع منعنا عليها، وأن الثانية رفع، لأن معنى الكلام: وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأوّلين من الأمم، فالفعل لأن الثانية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقد سأل الآيات يا محمد من قِبَل قومك ثمود، فآتيناها ما سألت، وجعلنا تلك الآية ناقة مبصرة. جعل الإبصار للناقة، كما تقول للشجة: موضحة، وهذه حجة مبينة. وإنما عنى بالمبصرة: المضيئة البينة التي من يراها كانوا أهل بصر بها، أنها لله حجة، كما قيل: ﴿والنهارَ مُبْصِراً﴾ كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وآتَينا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾: أي بيِّنة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله عزّ ذكره ﴿النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ قال: آية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

وقوله: ﴿فَظَلَمُوا بِها﴾ يقول عزّ وجلّ: فكان بها ظلمهم، وذلك أنهم قتلوها وعقروها، فكان ظلمهم بعقرها وقتلها. وقد قيل: معنى ذلك: فكفروا بها، ولا وجه لذلك إلا أن يقول قائله أراد: فكفروا بالله بقتلها، فيكون ذلك وجها.

وأما قوله: ﴿وَما نُرْسِلُ بالآياتِ إلاَّ تَخْوِيفاً﴾ فإنه يقول: وما نرسل بالعبر والذكر إلا تخويفاً للعباد، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَما نُرْسِلُ بالآياتِ إلاَّ تَخْوِيفاً﴾ وإن الله يخوّف الناس بما شاء من آية لعلهم يعتبرون، أو يذكّرون، أو يرجعون، ذُكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود، فقال: يا أيها الناس إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا نوح بن قيس، عن أبي رجاء، عن الحسن ﴿وَما نُرْسلُ بالآياتِ إلاَّ تَخْوِيفاً﴾ قال: الموت الذريع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾.

وهذا حضّ من الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ، على تبليغ رسالته، وإعلام منه أنه قد تقدّم منه إليه القول بأنه سيمنعه من كلّ من بغاه سوءاً وهلاكاً، يقول جلّ ثناؤه: واذكر يا محمد إذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس قدرة، فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته، ونحن مانعوك منهم، فلا تتهيَّب منهم أحداً، وامض لما أمرناك به من تبليغ رسالتنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الصمد، قال: ثنا شعبة، عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن يقول: أحاط بالناس، عصمك من الناس.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا أبو بكر الهُذلي، عن الحسن **﴿وَإِذْ قُلْنا لَكَ إنَّ رَبَّكَ أحاطَ بالنَّاسِ﴾** قال: يقول: أحطت لك بالعرب أن لا يقتلوك، فعرف أنه لا يُقتل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿أحاطَ بالنَّاسِ﴾** قال: فهم في قبضته.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن الزهري، عن عروة بن الزبير قوله **﴿أحاطَ بالنَّاسِ﴾** قال: منعك من الناس. قال معمر، قال قتادة مثله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله **﴿وَإذْ قُلْنا لَكَ إنَّ رَبَّك أحاطَ بالنَّاسِ﴾** قال: منعك من الناس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَإذْ قُلْنا لَكَ إنَّ رَبَّكَ أحاطَ بالنَّاسِ﴾** أي منعك من الناس حتى تبلّغ رسالة ربك.

وقوله: **﴿وَما جَعَلْنا الرُّؤْيا التي أرَيْناكَ إلاَّ فِتْنَةً للنَّاسِ﴾** اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: هو رؤيا عين، وهي ما رأى النبيّ ﷺ لما أُسري به من مكة إلى بيت المقدس.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا مالك بن إسماعيل، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله **﴿وَما جَعَلْنا الرُّؤْيا التي أرَيْناكَ إلاَّ فِتْنَةً للنَّاسِ﴾** قال: هي رؤيا عين

أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به، وليست برؤيا منام.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، سُئِل عن قوله ﴿وَما جَعَلْنا الرُّؤيا التي أرَيْناكَ إلاَّ فتْنَةً للنَّاسِ﴾ قال: هي رؤيا عين رآها النبيّ ﷺ ليلة أسري به.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس بنحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عمرو، عن فرات القزاز، عن سعيد بن جبير ﴿وَما جَعَلْنا الرُّؤيا التي أرَيْناكَ إلاَّ فِتْنَةً للنَّاسِ﴾ قال: كان ذلك ليلة أسري به إلى بيت المقدس، فرأى ما رأى فكذّبه المشركون حين أخبرهم.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن، قوله ﴿وَما جَعَلْنا الرُّؤيا التي أرَيْناكَ إلاَّ فِتْنَةً للنَّاسِ﴾ قال: أسري به عشاء إلى بيت المقدس، فصلى فيه، وأراه الله ما أراه من الآيات، ثم أصبح بمكة، فأخبرهم أنه أُسري به إلى بيت المقدس، فقالوا له: يا محمد ما شأنك، أمسيت فيه، ثم أصبحت فينا تخبرنا أنك أتيت بيت المقدس، فعجبوا من ذلك حتى ارتدّ بعضهم عن الإسلام.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا هوذة، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قوله ﴿وَما جَعَلْنا الرُّؤيا التي أرَيْناكَ إلاَّ فِتْنَةً للنَّاسِ﴾ قال: قال كفار أهل مكة: أليس من كذب ابن أبي كبشة أنه يزعم أنه سار مسيرة شهرين في ليلة.

حدثني أبو حصين، قال: ثنا عبثر، قال: ثنا حصين، عن أبي مالك في هذه الآية ﴿وَما جَعَلْنا الرُّؤيا التي أرَيْناكَ إلاَّ فِتْنَةً للنَّاسِ﴾ قال: مسيره إلى بيت المقدس.

حدثني أبو السائب ويعقوب، قالا: ثنا ابن إدريس، عن الحسن بن عبد الله، عن أبي الضحى، عن مسروق في قوله ﴿وَما جَعَلْنا الرُّؤيا التي أرَيْناكَ إلاَّ فِتْنَةً للنَّاسِ﴾ قال: حين أُسري به.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم ﴿وَما جَعَلْنا الرُّؤيا التي أرَيْناكَ إلاَّ فِتْنَةً للنَّاسِ﴾ قال: ليلة أُسري به.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَما جَعَلْنا الرُّؤيا التي أرَيْناكَ إلاَّ فتْنَةً للنَّاسِ﴾ قال: الرؤيا التي أريناك في بيت المقدس حين أُسري به،

فكانت تلك فتنة الكافر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَما جَعَلْنا الرُّؤْيا التي أرَيْناكَ إلاَّ فِتْنَةً للنَّاسِ﴾** يقول: الله أراه من الآيات والعبر في مسيره إلى بيت المقدس.

ذُكر لنا أن ناساً ارتدّوا بعد إسلامهم حين حدثهم رسول الله ﷺ بمسيره، أنكروا ذلك وكذّبوا له، وعجبوا منه، وقالوا: تحدّثنا أنك سرت مسيرة شهرين في ليلة واحدة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله **﴿وَما جَعَلْنا الرُّؤْيا التي أرَيْناكَ إلاَّ فِتْنَةً للنَّاسِ﴾** قال: هو ما أُري في بيت المقدس ليلة أُسري به.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج **﴿وَما جَعَلْنا الرُّؤْيا التي أرَيْناكَ﴾** قال: أراه الله من الآيات في طريق بيت المقدس حين أُسري به، نزلت فريضة الصلاة ليلة أُسري به قبل أن يهاجر بسنة وتسع سنين[1] من العشر التي مكثها بمكة، ثم رجع من ليلته، فقالت قريش: تعشى فينا وأصبح فينا، ثم زعم أنه جاء الشام في ليلة ثم رجع، وايم الله إن الحدأة لتجيئها شهرين: شهراً مقبلة، وشهراً مُدبرة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله **﴿وَما جَعَلْنا الرُّؤْيا الَّتي أرَيْناكَ إلاَّ فِتْنَةً للنَّاسِ﴾** قال: هذا حين أُسري به إلى بيت المقدس، افتتن فيها ناس، فقالوا: يذهب إلى بيت المقدس ويرجع في ليلة وقال: «لَمَّا أتاني جَبْرائيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ بالبُرَاقِ لِيَحْمِلَني عَلَيْها صَرَّتْ بأُذُنَيْها، وَانْقَبَض بَعْضُها إلى بَعْضٍ، فَنَظَرَ إلَيْها جَبْرائيلُ، فقالَ: وَالَّذِي بَعَثَنِي بالحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ ما رَكِبَكَ أحَدٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ خَيْرٌ مِنْهُ»، قالَ: «فَصرَّتْ بأُذُنَيْها وَارْفَضَّتْ عَرَقاً حتى سالَ ما تَحْتَها، وكانَ مُنْتَهَى خَطْوِها عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِها» فلما أتاهم بذلك، قالوا: ما كان محمد لينتهي حتى يأتي بكذبة تخرج من أقطارها، فأتوا أبا بكر رضي الله عنه، فقالوا: هذا صاحبك يقول كذا وكذا، فقال: وقد قال ذلك؟ قالوا: نعم، فقال: إن كان قد قال ذلك فقد صدق، فقالوا: تصدّقه إن قال ذهب إلى بيت المقدس ورجع في ليلة؟ فقال أبو بكر: إي، نزع الله عقولكم، أصدّقه بخبر السماء، والسماء أبعد من بيت المقدس، ولا أصدّقه بخبر بيت المقدس؟ قالوا للنبيّ ﷺ: إنا قد جئنا بيت المقدس فصفه لنا، فلما قالوا ذلك، رفعه الله تبارك وتعالى ومثله بين عينيه، فجعل يقول: «هو كذا، وفيه كذا»، فقال بعضهم: وأبيكم إن أخطأ منه حرفاً، فقالوا: هذا رجل ساحر.

(١) لعله: ولتسع [illegible] ولمضي تسع... الخ.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿**وَما جَعَلْنا الرُّؤْيا التي أرَيْناكَ إلاَّ فِتْنَةً للنَّاسِ**﴾ يعني ليلة أُسري به إلى بيت المقدس، ثم رجع من ليلته، فكانت فتنة لهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله ﴿**الرُّؤْيا التي أرَيْناكَ**﴾ قال: حين أُسري بمحمد ﷺ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد بنحوه.

وقال آخرون: هي رؤياه التي رأى أنه يدخل مكة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَما جَعَلْنا الرُّؤْيا التي أرَيْناكَ إلاَّ فِتْنَةً للنَّاسِ**﴾ قال: يقال: إن رسول الله ﷺ أُري أنه دخل مكة هو وأصحابه، وهو يومئذٍ بالمدينة، فعجَّل رسول الله ﷺ السير إلى مكة قبل الأجل، فردّه المشركون، فقالت أناس: قد ردّ رسول الله ﷺ، وقد كان حدثنا أنه سيدخلها، فكانت رجعته فتنتهم.

وقال آخرون ممن قال: هي رؤيا منام: إنما كان رسول الله ﷺ رأى في منامه قوماً يعلون منبره.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن محمد بن الحسن بن زبالة، قال: ثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد، قال: ثني أبي، عن جدّي، قال: رأى رسول الله ﷺ بني فلان ينزون على منبره نزو القردة، فساءه ذلك، فما استجمع ضاحكاً[1] حتى مات. قال: وأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك ﴿**وَما جَعَلْنا الرُّؤْيا التي أرَيْناكَ إلاَّ فِتْنَةً للنَّاسِ...**﴾ الآية.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى به رؤيا رسول الله ﷺ ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس، وبيت المقدس ليلة أُسري به، وقد ذكرنا بعض ذلك في أوّل هذه السورة.

وإنما قُلنا ذلك أولى بالصواب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما

---

(١) معناه: لم يره الناس بعدها ضاحكاً ضحكاً تاماً حتى مات.

نزلت في ذلك، وإياه عنى الله عزّ وجلّ بها، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وما جعلنا رؤياك التي أريناك ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس، إلاّ فتنة للناس: يقول: إلا بَلاء للناس الذين ارتدّوا عن الإسلام، لمَّا أُخبروا بالرؤيا التي رآها عليه الصلاة والسلام، وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا بسماعهم ذلك من رسول الله ﷺ تماديا في غيهم، وكفرا إلى كفرهم، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إلاَّ فِتْنَةً للنَّاسِ**﴾.

وأما قوله: ﴿**والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ**﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيها، فقال بعضهم: هي شجرة الزَّقُّوم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا مالك بن إسماعيل، قال: ثنا أبو عبيدة، عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿**والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ**﴾ قال: شجرة الزَّقوم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿**والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ**﴾ قال: هي شجرة الزقوم. قال أبو جهل: أيخوّفني ابن أبي كبشة بشجرة الزَّقوم، ثم دعا بتمر وزُبد، فجعل يقول: زقمني، فأنزل الله تعالى ﴿**طَلْعُها كأنَّهُ رُءُوسُ الشَّياطِينِ**﴾ وأنزل ﴿**ونُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلاَّ طُغْياناً كَبِيراً**﴾.

حدثني أبو السائب ويعقوب، قالا: ثنا ابن إدريس، عن الحسن بن عبيد الله، عن أبي الضحى، عن مسروق ﴿**والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ**﴾ قال: شجرة الزَّقوم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الحسن بن عبيد الله، عن أبي الضحى، عن مسروق مثله.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله ﴿**والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ**﴾ فإن قريشاً كانوا يأكلون التمر والزبد، ويقولون: تزقموا هذا الزقوم. قال أبو رجاء: فحدثني عبد القدّوس، عن الحسن، قال: فوصفها الله لهم في الصافات.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هوذة، قال: ثنا عوف، عن الحسن، قال: قال أبو جهل وكفار أهل مكة: أليس من كذب ابن أبي كبَشة أنه يوعدكم بنار تحترق فيها الحجارة، ويزعم أنه ينبت فيها شجرة؟ ﴿**والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ**﴾ قال: هي شجرة الزَّقوم.

---

(١) اختصر المتن اكتفاء بما سبق قريباً.

حدثني عن عبد الله بن أحمد بن يونس، قال: ثنا عبثر، قال: ثنا حصين، عن أبي مالك في هذه الآية ﴿والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ﴾ قال: شجرة الزقوم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا هشيم، عن حصين، عن أبي مالك، قال في قوله ﴿والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ﴾ قال: هي شجرة الزقوم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، عن رجل يقال له بدر، عن عكرمة، قال: شجرة الزقوم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إسرائيل، عن فرات القزّار، قال: سُئل سعيد بن جبير عن الشجرة الملعونة، قال: شجرة الزقوم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا هشيم، عن عبد الملك العَرْزميّ، عن سعيد بن جبير ﴿وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ﴾ قال: شجرة الزقوم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم بمثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثني الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ﴾ قال: الزقوم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن أبي المَحجل، عن أبي معشر، عن إبراهيم، أنه كان يحلف ما يستثني، أن الشجرة الملعونة: شجرة الزقوم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا إسرائيل، عن فُرات القزاز، قال: سألت سعيد بن جبير، عن الشجرة الملعونة في القرآن، قال: شجرة الزَّقوم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة عن ابن عباس، قال: هي الزقوم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ ونُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلاَّ طُغْياناً كَبِيراً﴾ وهي شجرة الزقوم، خوّف الله بها عباده، فافتتنوا بذلك، حتى قال قائلهم أبو جهل بن هشام: زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، وإنا والله ما نعلم الزقوم إلاَّ التمر والزبد، فتزقموا، فأنزل الله تبارك وتعالى حين عجبوا

أن يكون في النار شجرة: ﴿إنَّها شَجَرَةٌ تخرُجُ في أصْلِ الجَحِيمِ طَلْعُها كأنّهُ رُءوسُ الشَّياطِينِ﴾، إني خلقتها من النار، وعذّبت بها من شئت من عبادي.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ﴾ قال: الزقوم وذلك أن المشركين قالوا: يخبرنا هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر حتى لا تدع منه شيئاً، وذلك فتنة.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ﴾ قال: شجرة الزقوم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ﴾ الزقوم التي سألوا الله أن يملأ بيوتهم منها. وقال: هي الصَّرَفان بالزبد تتزقمه، والصرفان: صنف من التمر. قال: وقال أبو جهل: هي الصرفان بالزبد، وافتتنوا بها.

وقال آخرون: هي الكَشُوث[1].

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، عن ابن أبي ذئب، عن مولى بني هاشم حدثه، أن عبد الله بن الحارث بن نوفل، أرسله إلى ابن عباس، يسأله عن الشجرة الملعونة في القرآن؟ قال: هي هذه الشجرة التي تلوي على الشجرة، وتجعل في الماء، يعني الكشوثي.

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندنا قول من قال: عنى بها شجرة الزقوم، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك. ونصبت الشجرة الملعونة عطفاً بها على الرؤيا. فتأويل الكلام إذن: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك، والشجرة الملعونة في القرآن إلاّ فتنة للناس، فكانت فتنتهم في الرؤيا ما ذكرت من ارتداد من ارتدّ، وتمادي أهل الشرك في شركهم، حين أخبرهم رسول الله ﷺ بما أراه الله في مسيره إلى بيت المقدس ليلة أُسريَ به. وكانت فتنتهم في الشجرة الملعونة ما ذكرنا من قول أبي جهل والمشركين معه: يخبرنا محمد أن في النار شجرة نابتة، والنار تأكل الشجر فكيف تنبت فيها؟

وقوله: ﴿ونُخَوّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلاّ طُغْياناً كَبِيراً﴾ يقول: ونخوّف هؤلاء المشركين بما

(١) الكشوث، والكشوثا، والكشوثاء: نبت يتعلق بالأغصان، ولا عرق له في الأرض. وهي لفظة سوادية انظر «اللسان» والتاج.

نتوعدهم من العقوبات والنكال، فما يزيدهم تخويفنا إلاَّ طغياناً كبيراً، يقول: إلاَّ تمادياً وغياً كبيراً في كفرهم وذلك أنهم لما خُوّفوا بالنار التي طعامهم فيها الزقوم دعوا بالتمر والزبد، وقالوا: تزقموا من هذا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك وقد تقدّم ذكر بعض من قال ذلك، ونذكر بعض من بقي:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال قال ابن جريج ﴿**وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ**﴾ قال: طلعها كأنه رءوس الشياطين، والشياطين ملعونون. قال ﴿**والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ**﴾ لما ذكرها زادهم افتتاناً وطغياناً، قال الله تبارك وتعالى، ﴿**ونخوّفُهم فَمَا يَزِيدُهُمْ إلاَّ طُغياناً كَبِيراً**﴾. القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد تمادي هؤلاء المشركين في غيهم وارتدادهم عتوّاً على ربهم بتخويفه إياهم تحقيقهم قول عدّوهم وعدوّ والدهم، حين أمره ربه بالسجود له فعصاه وأبى السجود له، حسداً واستكباراً ﴿**لَئِنْ أَخَّرتَنِ إلى يَوْمِ القِيامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّته إلاَّ قَلِيلاً**﴾ وكيف صدّقوا ظنه فيهم، وخالفوا أمر ربهم وطاعته، واتبعوا أمر عدوّهم وعدوّ والدهم.

ويعني بقوله ﴿**وَإِذْ قُلْنا للْمَلائِكَةِ**﴾: واذكر إذ قلنا للملائكة ﴿**اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ**﴾ فإنه استكبر وقال ﴿**أأَسْجُدَ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً**﴾ يقول: لمن خلقته من طين فلما حذفت «مِن» تعلّق به قوله ﴿**خَلَقْتَ**﴾ فنصب، يفتخر عليه الجاهل بأنه خُلِق من نار، وخلق آدم من طين. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: بعث ربّ العزّة تبارك وتعالى إبليس، فأخذ من أديم الأرض، من عذبها وملحها، فخلق منه آدم، فكل شيء خُلق من عذبها فهو صائر إلى السعادة وإن كان ابن كافرين، وكلّ شيء خَلقه من مِلحها فهو صائر إلى الشقاوة وإن كان ابن نبيين ومن ثم قال إبليس ﴿**أأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً**﴾: أي هذه الطينة أنا جئت بها، ومن ثم سُمّي آدم. لأنه خُلق من أديم الأرض.

وقوله: ﴿**أرَأيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَليَّ**﴾ يقول تعالى ذكره: أرأيت هذا الذي كرّمته عليّ، فأمرتني بالسجود له، ويعني بذلك آدم ﴿**لئِنْ أخرْتنِ**﴾ أقسم عدوّ الله، فقال لربه: لئن أخرت

إهلاكي إلى يوم القيامة ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلاَّ قَلِيلاً﴾ يقول: لأستولينّ عليهم، ولأستأصلنهم، ولأستميلنهم. يقال منه: احتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم أو غير ذلك، ومنه قول الشاعر:

نَشْكُو إلَيْكَ سَنَةً قَدْ أجْحَفَتْ جَهْداً إلى جَهْدٍ بنا فأضْعَفَتْ
واحْتَنَكَتْ أمْوَالَنا وجَلَّفَتْ(١)

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تبارك وتعالى ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلاَّ قَلِيلاً﴾ قال: لأحتوينهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ. عن ابن عباس، قوله ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلاَّ قَلِيلاً﴾ يقول: لأستولينّ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلاَّ قليلاً﴾ قال: لأضلنهم. وهذه الألفاظ وإن اختلفت فإنها متقاربات المعنى، لأن الاستيلاء والاحتواء بمعنى واحد، وإذا استولى عليهم فقد أضلهم.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (٦٣)﴾.

يقول تعالى ذكره قال الله لإبليس إذ قال له ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إلى يَوْمِ القِيامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلاَّ

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز، من الأرجوزة السادسة في بقية ديوان الزفيان السعدي (عطاء بن أسيد الراجز) وهي ملحقة بديوان العجاج المطبوع في ليبزج سنة ١٩٠٣ (ص ـ ٦٥)، مع اختلاف في رواية بعضها. والبيتان الأولان هما:

نشكو إليك سنة قد جلفت أموالنا من أصلها وجرفت

أما البيت الثالث فليس في الأرجوزة. ومعنى أجحفت: أضرت بنا، وذهبت بأموالنا، فلقينا من شدتها جهداً إلى جهد، واحتنكت: قال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٣٨٤) يقال: احتنك فلان ما عند فلان أجمع من مال أو علم أو حديث أو غيره: أخذه كله واستقصاه. قال: نشكو إليك... الخ الأبيات. ومعنى جلفت: قشرت أو قشر الجلد مع شيء من اللحم. والأبيات شاهد على أن الاحتناك معناه الاستئصال.

قَلِيلاً﴾: اذهب فقد أخرتك، فمن تبعك منهم، يعني من ذرّية آدم عليه السلام فأطاعك، فإن جهنم جزاؤك وجزاؤهم، يقول: ثوابك على دعائك إياهم على معصيتي، وثوابهم على اتباعهم إياك وخلافهم أمري **﴿جزاءً مَوْفوراً﴾**: يقول: ثواباً مكثوراً مكملاً. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله **﴿قالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنهُمْ فإنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً﴾** عذاب جهنم جزاؤهم، ونقمة من الله من أعدائه فلا يعدل عنهم من عذابها شيء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد **﴿فإنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً﴾** قال: وافراً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿مَوْفُوراً﴾**، قال: وافراً.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره بقوله **﴿وَاسْتَفزِزْ﴾** واستخفف واستجهل، من قولهم: استفزّ فلاناً كذا وكذا فهو يستفزّه **﴿مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوتِكَ﴾**. اختلف أهل التأويل في الصوت الذي عناه جلّ ثناؤه بقوله **﴿وَاسْتَفْزِز مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوتِك﴾** فقال بعضهم: عنى به: صوت الغناء واللعب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد، في قوله **﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾** قال: باللهو والغناء.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثاً يذكر، عن مجاهد، في قوله: **﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾** قال: اللعب واللهو.

وقال آخرون: عنى به **﴿واسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ﴾** بدعائك إياه إلى طاعتك ومعصية الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس **﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾** قال: صوته كلّ داع دعا إلى معصية الله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ قال: بدعائك.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الله تبارك وتعالى قال لإبليس: واستفزز من ذرّية آدم من استطعت أن تستفزّه بصوتك، ولم يخصص من ذلك صوتاً دون صوت، فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وطاعته، وخلافاً للدعاء إلى طاعة الله، فهو داخل في معنى صوته الذي قال الله تبارك وتعالى اسمه له ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾.

وقوله: ﴿وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ ورَجِلِكَ﴾ يقول: وأجمع عليهم من ركبان جندك ومشاتهم من يجلب عليها بالدعاء إلى طاعتك، والصرف عن طاعتي. يقال منه: أجلب فلان على فلان إجلاباً: إذا صاح عليه. والجَلَبة: الصوت، وربما قيل: ما هذا الجَلَب، كما يقال: الغَلَبة والغَلَب، والشَّفَقَة والشَّفَق. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل،

ذكر من قال ذلك:

حدثني سلم بن جنادة، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثاً يذكر عن مجاهد، في قوله ﴿وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ ورَجِلِكَ﴾ قال: كلّ راكب وماش في معاصي الله تعالى.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ قال: إن له خيلاً ورجلاً من الجنّ والإنس، وهم الذين يطيعونه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ ورَجِلِكَ﴾ قال الرجال: المشاة.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ قال: خيله: كل راكب في معصية الله ورجله: كل راجل في معصية الله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله ﴿وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ قال: ما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس، وما كان من راجل في معصية الله فهو من رجال إبليس. والرجْل: جمع راجل، كما التجْر: جمع تاجر، والصَّحْب: جمع صاحب.

وأما قوله: ﴿وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأوْلادِ﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا في المشاركة التي عنيت بقوله ﴿وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأوْلادِ﴾ فقال بعضهم: هو أمره إياهم بإنفاق أموالهم في غير طاعة الله واكتسابهموها من غير حلها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثاً يذكر عن مجاهد ﴿**وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ**﴾ التي أصابوها من غير حلها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ**﴾ قال: ما أكل من مال بغير طاعة الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء بن أبي رَباح، قال: الشرك في أموال الربا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، في قوله ﴿**وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأوْلادِ**﴾ قال: قد والله شاركهم في أموالهم، وأعطاهم الله أموالاً فأنفقوها في طاعة الشيطان في غير حقّ الله تبارك اسمه، وهو قول قتادة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد، عن معمر، قال: قال الحسن ﴿**وَشارِكْهُمْ في الأمْوَالِ**﴾ مرهم أن يكسبوها من خبيث، وينفقوها في حرام.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿**وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأوْلادِ**﴾ قال: كلّ مال في معصية الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأوْلادِ**﴾ قال: مشاركته إياهم في الأموال والأولاد، ما زَيَّن لهم فيها من معاصي الله حتى ركبوها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد ﴿**وَشارِكْهُمْ في الأمْوَالِ**﴾ كلّ ما أنفقوا في غير حقه.

وقال آخرون: بل عُنِي بذلك كلّ ما كان من تحريم المشركين ما كانوا يحرّمون من الأنعام كالبحائر والسوائب ونحو ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأوْلادِ**﴾ قال: الأموال: ما كانوا يحرّمون من أنعامهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عيسى، عن عمران بن سليمان. عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: مشاركته في الأموال أن جعلوا البحيرة والسائبة والوصيلة لغير الله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ﴾** فإنه قد فعل ذلك أما في الأموال، فأمرهم أن يجعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاماً.

قال أبو جعفر: الصواب: حامياً.

وقال آخرون: بل عُنِي به ما كان المشركون يذبحونه لآلهتهم.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول: **﴿وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأوْلادِ﴾** يعني ما كانوا يذبحون لآلهتهم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك كلّ مال عصى الله فيه بإنفاق في حرام أو اكتساب من حرام، أو ذبح للآلهة، أو تسييب، أو بحر للشيطان، وغير ذلك مما كان معصياً به أو فيه، وذلك أن الله قال **﴿وَشارِكْهُمْ في الأمْوَالِ﴾** فكلّ ما أطيع الشيطان فيه من مال وعصى الله فيه، فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس، فلا وجه لخصوص بعض ذلك دون بعض.

وقوله: **﴿والأوْلادِ﴾** اختلف أهل التأويل في صفة شركته بني آدم في أولادهم، فقال بعضهم: شركته إياهم فيهم بزناهم بأمهاتهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله **﴿وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأوْلادِ﴾** قال: أولاد الزنا.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثاً يذكر عن مجاهد **﴿وشارِكْهُمْ في الأمْوَالِ والأوْلادِ﴾** قال: أولاد الزنا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وَشارِكْهُم فِي الأمْوَالِ والأولادِ﴾** قال: أولاد الزنا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: أولاد الزنا.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت

الضحاك يقول ﴿وَشارِكْهُمْ في الأمْوَالِ والأولادِ﴾ قال: أولاد الزنا، يعني بذلك أهل الشرك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَشارِكْهُم فِي الأمْوَالِ والأولادِ﴾ قال: الأولاد: أولاد الزنا.

وقال آخرون: عُني بذلك: وأْدُهم أولادَهم وقتلهموهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأولادِ﴾ قال: ما قتلوا من أولادهم، وأتوا فيهم الحرام.

وقال آخرون: بل عني بذلك: صبغهم إياهم في الكفر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن ﴿وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأولاد﴾ قال: قد والله شاركهم في أموالهم وأولادهم، فمجسوا وهوّدوا ونصروا وصبغوا غير صبغة الإسلام وجزءوا من أموالهم جزءاً للشيطان.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَال والأولادِ﴾ قال: قد فعل ذلك، أما في الأولاد فإنهم هوّدوهم ونصّروهم ومجّسوهم.

وقال آخرون: بل عني بذلك تسميتهم أولادهم عبد الحرث وعبد شمس.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني عيسى بن يونس، عن عمران بن سليمان، عن أبي صالح عن ابن عباس ﴿وَشارِكْهُم فِي الأمْوَالِ والأولادِ﴾ قال: مشاركته إياهم في الأولاد، سموا عبد الحرث وعبد شمس وعبد فلان.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: كلّ ولد ولدته أنثى عصى الله بتسميته ما يكرهه الله، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله، أو بالزنا بأمه، أو قتله ووأده، أو غير ذلك من الأمور التي يعصى الله بها بفعله به أو فيه، فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك المولود له أو منه، لأن الله لم يخصص بقوله ﴿وَشارِكْهُم في الأمْوَالِ والأولادِ﴾ معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى، فكلّ ما عصى الله فيه أو به، وأطيع به الشيطان أو فيه، فهو مشاركة من عصى الله فيه أو به إبليس فيه.

وقوله: ﴿وَعِدْهُم وَما يَعِدُهُمُ الشَّيطانُ إلاَّ غُرُوراً﴾ يقول تعالى ذكره لإبليس: وعد أتباعك

من ذرّية آدم النصرة على من أرادهم بسوء. يقول الله: ﴿وَما يَعِدُهُمْ الشَّيطانُ إلاَّ غُرُوراً﴾ لأنه لا يغني عنهم من عقاب الله إذا نزل بهم شيئاً، فهم من عداته في باطل وخديعة، كما قال لهم عدوّ الله حين حصحص الحقّ ﴿إنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقّ وَوَعَدتُكُمْ فَأخلَفْتُكُمْ وَما كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إلاَّ أنْ دَعَوْتُكُمْ فاسْتَجَبْتُمْ لي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أنْفُسَكُمْ ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ وَما أنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إنّي كَفَرْتُ بِمَا أشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لإبليس: إن عبادي الذين أطاعوني. فاتبعوا أمري وعصوك يا إبليس. ليس لك عليهم حجة.

وقوله: ﴿وكَفَى بَرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: وكفاك يا محمد ربك حفيظاً، وقيماً بأمرك. فانقَدْ لأمره. وبلغ رسالاته هؤلاء المشركين. ولا تخف أحداً، فإنه قد توكل بحفظك ونصرتك، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إنَّ عِبادِي لَيسَ لَكَ عَلَيهِمْ سُلْطانٌ وكَفَى بَرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ وعباده المؤمنون. وقال الله في آية أخرى ﴿إنَّما سُلْطانُهُ عَلى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ والَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمشركين به: ربكم أيها القوم هو الذي يسير لكم السفن في البحر. فيحملكم فيها ﴿لِتَبتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ لتوصلوا بالركوب فيها إلى أماكن تجاراتكم ومطالبكم ومعايشكم، وتلتمسون من رزقه ﴿إنَّه كانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ يقول: إن الله كان بكم رحيماً حين أجرى لكم الفلك في البحر، تسهيلاً منه بذلك عليكم التصرّف في طلب فضله في البلاد النائية التي لولا تسهيله ذلك لكم لصعب عليكم الوصول إليها. وبنحو ما قلنا في قوله: ﴿يُزْجِي لَكُمْ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ. عن ابن عباس.

قوله: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الفُلْكَ في البَحْرِ﴾ يقول: يجري الفلك.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجي لَكُمُ الفُلْكَ فِي البَحْرِ﴾ قال: يسيرها في البحر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الفُلْكَ فِي البَحْرِ﴾ قال: يجري.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجي لَكُمُ الفُلْكَ فِي البَحْرِ﴾ قال: يجريها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا نالتكم الشدّة والجهد في البحر ضلّ من تدعون: يقول: فقد تمّ من تدعون من دون الله من الأنداد والآلهة، وجار عن طريقكم فلم يغثكم، ولم تجدوا غير الله مغيثاً يغيثكم دعوتموه، فلما دعوتموه وأغاثكم، وأجاب دعاءكم ونجاكم من هول ما كنتم فيه في البحر، أعرضتم عما دعاكم إليه ربكم من خلع الأنداد، والبراءة من الآلهة، وإفراده بالألوهة كفراً منكم بنعمته ﴿وكانَ الإنسانُ كَفُوراً﴾ يقول: وكان الإنسان إذاً جحد لنعم ربه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿أَفَأَمِنْتُم﴾ أيها الناس من ربكم، وقد كفرتم نعمته بتنجيته إياكم من هول ما كنتم فيه في البحر، وعظيم ما كنتم قد أشرفتم عليه من الهلاك، فلما نجاكم وصرتم إلى البرّ كفرتم، وأشركتم في عبادته غيره ﴿أنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ البَرّ﴾ يعني ناحية البرّ ﴿أوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً﴾ يقول: أو يمطركم حجارة من السماء تقتلكم، كما فعل بقوم لوط ﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكيلاً﴾ يقول: ثم لا تجدوا لكم ما يقوم بالمدافعة عنكم من عذابه وما يمنعكم منه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**أفأَمِنتُمْ أن يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ البَرّ أوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً**﴾ يقول: حجارة من السماء ﴿**ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً**﴾: أي منعة ولا ناصراً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: ﴿**أفأَمِنْتُمْ أنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ البَرّ أوْ يُرْسلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً**﴾ قال: مطر الحجارة إذا خرجتم من البحر.

وكان بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله ﴿**أوْ يُرْسلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً**﴾ إلى: أو يرسل عليكم ريحاً عاصفاً تحصب، ويستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر:

مُسْتَقْبِلِينَ شَمالَ الشَّامِ تَضْرِبُنا ... بِحاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ(١)

وأصل الحاصب: الريح تحصب بالحصباء والحصباء: الأرض فيها الرمل والحصى الصغار. يقال في الكلام: حصب فلان فلاناً: إذا رماه بالحصباء. وإنما وُصفت الريح بأنها تحصب لرميها الناس بذلك، كما قال الأخطل:

ولَقَدْ عَلِمْتُ إذَا العِشارُ تَرَوَّحَتْ ... هُدَجَ الرِّئالِ تَكُبُّهُنَّ شَمالاً
تَرْمي العِضَاهُ بِحاصِبٍ مِنْ ثَلْجِها ... حتى يَبِيتَ عَلى العِضَاهِ جِفالا(٢)

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾.

(١) البيت للفرزدق من قصيدة يمدح بها يزيد بن عبد الملك، ويهجو يزيد بن المهلب، (ديوانه طبعة الصاوي ٢٦٢، ٢٦٧)، استشهد به المؤلف على أن الحاصب: الريح التي تحمل الحصباء وهي صغار الحصى. والبيت شاهد على أن الحاصب مطر الحجارة، وأن أصل الحاصب الريح تحصب بالحصباء، والحصباء الأرض فيها الرمل والحصى الصغار، كما أوضحه المؤلف.

(٢) البيتان للأخطل (ديوانه طبع بيروت سنة ١٨٩١) من قصيدة يهجو بها جريراً، ويفتخر على قيس. والعشار: جمع عشراء من الإبل، وهي التي قد أتي عليها عشرة أشهر وهي حامل. وتروحت: أي ذهبت في الرواح وهو المشي إلى حظائرها. والرئال: جمع رأل وهو ولد النعامة. والهدج: عدو متقارب. وتكبهن: تسقطهن، يريد تكبهن الريح وهي هابة شمالاً. والحاصب: ما تناثر من دقاق الثلج. والضمير في ترمي: راجع إلى ريح الشمال. والعضاه: كل شجر له شوك، أو كل شجرة واسعة الظل، كثيرة الأفنان، واحدته: عضة. والجفال: ما تراكم من الثلج وتراكب. وهذا الشاهد في معنى الذي قبله.

يقول تعالى ذكره: أم أمنتم أيها القوم من ربكم، وقد كفرتم به بعد إنعامه عليكم، النعمة التي قد علمتم أن يعيدكم في البحر تارة أخرى: يقول: مرّة أخرى، والهاء التي في قوله «فيه» من ذكر البحر. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**أنْ يُعيدَكُمْ فِيهِ تارَةً أُخْرَى**﴾: أي في البحر مرّة أخرى ﴿**فيُرْسلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرّيح**﴾ وهي التي تقصف ما مرّت به فتحطمه وتدقه، من قولهم: قصف فلان ظهر فلان: إذا كسره ﴿**فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرتُمْ**﴾ يقول: فيغرقكم الله بهذه الريح القاصف بما كفرتم، يقول: بكفركم به ﴿**ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعاً**﴾ يقول: ثم لا تجدوا لكم علينا تابعاً يتبعنا بما فعلنا بكم، ولا ثائراً يثأرنا بإهلاكنا إياكم. وقيل: تبيعاً في موضع التابع، كما قيل: عليم في موضع عالم. والعرب تقول لكل طالب بدم أو دين أو غيره: تبيع. ومنه قول الشاعر:

عَدَوْا وَعَدَتْ غِزْلانُهُمْ فَكأنَّهَا ضَوَامِنُ غُرْمٍ لَزْهُنَّ تَبِيعُ[1]

وبنحو الذي قلنا في القاصف والتبيع، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِنَ الرّيحِ**﴾ يقول: عاصفاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: قاصفاً التي تُغْرق.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعاً**﴾ يقول نصيراً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال:

---

(١) البيت: شاهد على أن معنى التبيع في الآية: كل طالب بدم أو دين أو غيره. قال أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (١/ ٣٨٥) أي من يتبعنا لكم تبيعة، ولا طالباً لنا بها. وفي «**اللسان**»: تبع والتبيع التابع. وقول القرآن ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً﴾: قال الفراء: أي ثائراً ولا طالباً بالثأر، لإغراقنا إياكم. وقال الزجاج: معناه: لا تجدوا من يتبعنا بإنكار ما نزل بكم، ولا من يتبعنا بأن يصرفه عنكم. وقيل: تبيعا: مطالبا. ومنه قوله تعالى: ﴿فأتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾ يقول: على صاحب الدم اتباع بالمعروف، أي المطالبة بالدية، وعلى المطالب أداء إليه بإحسان.

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال محمد: ثائراً، وقال الحرث: نصيراً ثائراً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد **﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَينا بِهِ تَبِيعاً﴾** قال: ثائراً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَينا بِهِ تَبِيعاً﴾** أي لا نخاف أن نتبع بشيء من ذلك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَينا بِهِ تَبِيعاً﴾** يقول: لا يتبعنا أحد بشيء من ذلك. والتارة: جمعه تارات وتير، وأفعلت منه: أترت.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾

يقول تعالى ذكره: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ﴾** بتسليطنا إياهم على غيرهم من الخلق، وتسخيرنا سائر الخلق لهم **﴿وَحَمَلْناهُمْ فِي البَرّ﴾** على ظهور الدوابّ والمراكب **﴿و﴾** في **﴿البَحْرِ﴾** في الفلك التي سخرناها لهم **﴿وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ﴾** يقول: من طيبات المطاعم والمشارب، وهي حلالها ولذيذاتها **﴿وَفَضَّلْناهم عَلى كَثِيرِ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً﴾** ذكر لنا أن ذلك تمكنهم من العمل بأيديهم، وأخذ الأطعمة والأشربة بها ورفعها بها إلى أفواههم، وذلك غير متيسر لغيرهم من الخلق، كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدم. . .﴾** الآية، قال: **﴿وَفَضَّلْناهُمْ﴾** في اليدين يأكل بهما، ويعمل بهما، وما سوى الإنس يأكل بغير ذلك.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم، في قوله: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ﴾** قال: قالت الملائكة: يا ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها، ويتنعّمون، ولم تعطنا ذلك، فأعطناه في الآخرة فقال: وعزّتي لا أجعل ذرّية من خلقت بيدي، كمن قلت له كن فكان.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلٗا ﴿٧١﴾﴾.

اختلفت أهل التأويل في معنى الإمام الذي ذكر الله جلّ ثناؤه أنه يدعو كلّ أناس به، فقال بعضهم: هو نبيه، ومن كان يقتدي به في الدنيا ويأتمّ به.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا فضيل، عن ليث، عن مجاهد ﴿**يَوْمَ نَدْعُواْ كُلّ أُناسٍ بِإمامِهِمْ**﴾ قال: نبيهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزّة، عن مجاهد ﴿**يَوْمَ نَدْعُوا كُلّ أُناسٍ بِإمامِهِمْ**﴾ قال: نبيهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**بِإمامِهِمْ**﴾ قال: نبيهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا محمد، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**كُلَّ أُناسٍ بِإمامِهِمْ**﴾ قال: نبيهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة مثله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنه يدعوهم بكتب أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**يَوْمَ نَدْعُواْ كُلّ أُناسٍ بِإمامِهِمْ**﴾ قال: الإمام: ما عمل وأملى، فكتب عليه، فمن بعث متقياً لله جعل كتابه بيمينه، فقرأه واستبشر، ولم يظلم فتيلاً، وهو مثل قوله: ﴿**وإنَّهُما لَبِإمامٍ مُبِينٍ**﴾ والإمام: ما أملى وعمل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن ﴿**يَوْمَ نَدْعُواْ كُلّ أُناسٍ بِإمامِهِمْ**﴾ قال: بأعمالهم.

حدثنا محمد، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قال الحسن: بكتابهم الذي فيه أعمالهم.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿**يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُناسٍ بِإمامِهِمْ**﴾ يقول: بكتابهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: بأعمالهم.

وقال آخرون: بل معناه: يوم ندعوا كلّ أناس بكتابهم الذي أنزلت عليهم فيه أمري ونهيي.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت يحيى بن زيد في قول الله عزّ وجلّ ﴿**يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُناسٍ بإمامِهِمْ**﴾ قال: بكتابهم الذي أنزل عليهم فيه أمر الله ونهيه وفرائضه، والذي عليه يحاسبون، وقرأ: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلنا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً**﴾ قال: الشرعة: الدين، والمنهاج: السنة، وقرأ: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً**﴾ قال: فنوح أوّلهم، وأنت آخرهم.

حدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُناسٍ بإمامِهِمْ**﴾ بكتابهم.

وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: يوم ندعوا كلّ أناس بإمامهم الذي كانوا يقتدون به، ويأتمُّون به في الدنيا، لأن الأغلب من استعمال العرب الإمام فيما ائتمّ واقتدي به، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر أَولى ما لم تثبت حجة بخلافه يجب التسليم لها.

وقوله: ﴿**فَمَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ**﴾ يقول: فمن أعطي كتاب عمله بيمينه ﴿**فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتابَهُمْ**﴾ ذلك حتى يعرفوا جميع ما فيه ﴿**وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً**﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يظلمهم الله من جزاء أعمالهم فتيلاً، وهو المنفتل الذي في شقّ بطن النواة. وقد مضى البيان عن الفَتيل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله ﴿**وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً**﴾ قال: الذي في شقّ النواة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٧٢﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أشير إليه بقوله «هذه»، فقال بعضهم: أشير بذلك إلى

النعم التي عدّدها تعالى ذكره بقوله: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمنا بَنِي آدَمَ وَحَملناهُمْ فِي البَرّ والبَحرِ وَرزَقناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلناهُمْ على كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً﴾** فقال: **﴿وَمَنْ كانَ فِي هَذِهِ أعمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أعْمَى وأضَلُّ سَبِيلاً﴾**.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن محمد بن أبي موسى، قال: سئل عن هذه الآية **﴿وَمَنْ كانَ فِي هذِهِ أعمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أعمَى وأضَلُّ سَبِيلاً﴾** فقال: قال **﴿وَلَقد كَرَّمنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلناهُمْ فِي البَرّ والبَحرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ على كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً﴾** قال: من عمي عن شكر هذه النعم في الدنيا، فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن قدرة الله فيها وحججه، فهو في الآخرة أعمى.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَمَنْ كانَ فِي هَذِهِ أعْمَى﴾** يقول: من عمي عن قُدرة الله في الدنيا **﴿فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أعْمَى﴾**.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿في هَذِهِ أعْمَى﴾** قال: الدنيا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَمَنْ كانَ فِي هَذِهِ أعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أعْمَى﴾** يقول: من كان في هذه الدنيا أعمى عما عاين فيها من نعم الله وخلقه وعجائبه **﴿فَهُوَ فِي الآخَرَةِ أعْمَى وأضَلُّ سَبِيلاً﴾** فيما يغيب عنه من أمر الآخرة وأعمى.

حدثنا محمد، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿وَمَنْ كانَ فِي هَذِهِ أعْمَى﴾** في الدنيا فيما أراه الله من آياته من خلق السموات والأرض والجبال والنجوم **﴿فَهُوَ فِي الآخِرَةِ﴾** الغائبة التي لم يرها **﴿أعمى وأضَلُّ سَبِيلاً﴾**.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، وسئل عن قول الله تعالى **﴿وَمَنْ كانَ فِي هَذِهِ أعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أعْمَى وأضَلُّ سَبِيلاً﴾** فقرأ: **﴿إنَّ فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ لآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وفِي أنْفُسِكُمْ أفَلا تُبْصِرُونَ﴾**. وقرأ: **﴿وَمِنْ آياتِهِ أنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إذَا أنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾**، وقرأ حتى بلغ: **﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ كُلٌ لَهُ قانِتُونَ﴾** قال: كلّ له

مطيعون، إلا ابن آدم. قال: فمن كانت في هذه الآيات التي يعرف أنها منا، ويشهد عليها وهو يرى قدرتنا ونعمتنا أعمى، فهو في الآخرة التي لم يرها أعمى وأضلّ سبيلاً.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتدبيرها، وتصريف ما فيها، فهو في أمر الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها، وفيما هو كائن فيها أعمى وأضلّ سبيلاً: يقول: وأضلّ طريقاً منه في أمر الدنيا التي قد عاينها ورآها.

وإنما قلنا: ذلك أولى تأويلاته بالصواب، لأن الله تعالى ذكره لم يخصص في قوله **﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ﴾** الدنيا **﴿أَعْمَى﴾** عمى الكافر به عن بعض حججه عليه فيها دون بعض، فيوجه ذلك إلى عماه عن نعمه بما أنعم به عليه من تكريمه بني آدم، وحمله إياهم في البرّ والبحر، وما عدّد في الآية التي ذكر فيها نعمه عليهم، بل عمّ بالخبر عن عماه في الدنيا، فهم كما عمّ تعالى ذكره.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله **﴿فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾** فكسرت القرأَةُ جميعاً أعني الحرف الأوّل قوله **﴿وَمَنْ كانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾**. وأما قوله **﴿فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾** فإن عامة قرّاء الكوفيين أمالت أيضاً قوله: **﴿فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾**. وأما بعض قرّاء البصرة فإنه فتحه، وتأوّله بمعنى: فهو في الآخرة أشدّ عمى. واستشهد لصحة قراءته بقوله: **﴿وأَضَلُّ سَبِيلاً﴾**.

وهذه القراءة هي أَوْلى القراءتين في ذلك بالصواب للشاهد الذي ذكرنا عن قارئه كذلك، وإنما كره من كره قراءته كذلك ظناً منه أن ذلك مقصود به قصد عمى العينين الذي لا يوصف أحد بأنه أعمى من آخر أعمى، إذ كان عمى البصر لا يتفاوت، فيكون أحدهما أزيد عمى من الآخر، إلا بإدخال أشدّ أو أبين، فليس الأمر في ذلك كذلك.

وإنما قلنا: ذلك من عمى القلب الذي يقع فيه التفاوت، فإنما عُنِي به عمى قلوب الكفار، عن حجج الله التي قد عاينتها أبصارهم، فلذلك جاز ذلك وحسُن. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾** قال: أعمى عن حجته في الآخرة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في الفتنة التي كاد المشركون أن يفتنوا رسول الله ﷺ بها عن الذي أوحى الله إليه إلى غيره فقال بعضهم: ذلك الإلمام بالآلهة، لأن المشركين دعوه إلى ذلك، فهمَّ به رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القُمّي، عن جعفر، عن سعيد، قال: كان رسول الله ﷺ يستلم الحجر الأسود، فمنعته قريش، وقالوا: لا نَدَعُه حتى يلم بآلهتنا، فحدّث نفسه، وقال: «ما عَلَيَّ أنْ أُلِمَّ بِها بَعْدَ أنْ يَدَعُونِي أسْتَلِمُ الحَجَرَ، وَاللّهُ يَعْلَمُ أنّي لَهَا كارِهٌ»، فَأَبَى الله، فَأنْزَلَ اللّهُ: ﴿**وإنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أوْحَيْنا إلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غيرَهُ**﴾ الآية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَلَوْلا أنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كدْتَ تَرْكَنِ إلَيهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً**﴾ ذكر لنا أن قريشاً خلوا برسول الله ﷺ ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه، وكان في قولهم أن قالوا: إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا، فما زالوا يكلّمونه حتى كاد أن يقارفهم ثم منعه الله وعصمه من ذلك، فقال: ﴿**وَلَوْلا أنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إلَيهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً**﴾.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غيرَهُ**﴾ قال: أطافوا به ليلة، فقالوا: أنت سيدنا وابن سيدنا، فأرادوه على بعض ما يريدون فهمّ أن يقارفُهُمْ[1] في بعض ما يريدون، ثم عصمه الله، فذلك قوله: ﴿**لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إلَيهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً**﴾ الذي أرادوا فهمّ أن يقارفهم فيه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: قالوا له: ائت آلهتنا فامْسَسْها، فذلك قوله: ﴿**شَيْئاً قليلاً**﴾.

وقال آخرون: إنما كان ذلك أن رسول الله ﷺ همّ أن يُنظِر قوماً بإسلامهم إلى مدة سألوه الإنظار إليها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَإنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أوْحَيْنا إلَيْكَ لِتَفْتَرِي عَلَيْنا غيرَهُ وإذاً لاتَّخذوكَ خَلِيلاً**﴾ وذلك أن ثقيفاً كانوا قالوا للنبيّ ﷺ: يا رسول الله أَجِّلنا سنة حتى يُهْدَى لآلهتنا، فإذا

(١) يقارفهم: يقاربهم ويدانيهم «اللسان».

قبضنا الذي يُهْدى لآلهتنا أخذناه، ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة، فهم رسول الله ﷺ أن يعطيهم، وأن يؤجِّلهم، فقال الله: ﴿وَلَوْلا أنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كَدْتَ تَرْكَنُ إلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلا﴾.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن نبيه ﷺ، أن المشركين كادوا أن يفتنوه عما أوحاه الله إليه ليعمل بغيره، وذلك هو الافتراء على الله وجائز أن يكون ذلك كان ما ذكر عنهم من ذكر أنهم دعوه أن يمسّ آلهتهم، ويلمّ بها، وجائز أن يكون كان ذلك ما ذُكر عن ابن عباس من أمر ثقيف، ومسألتهم إياه ما سألوه مما ذكرنا وجائز أن يكون غير ذلك، ولا بيان في الكتاب ولا في خبر يقطع العذر أيّ ذلك كان، والاختلاف فيه موجود على ما ذكرنا، فلا شيء فيه أصوب من الإيمان بظاهره، حتى يأتي خبر يجب التسليم له ببيان ما عُنِي بذلك منه.

وقوله: ﴿وَإذاً لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً﴾ يقول تعالى ذكره: ولو فعلت ما دَعَوْك إليه من الفتنة عن الذي أوحينا إليك لاتخذوك إذاً لأنفسهم خليلاً، وكنت لهم وكانوا لك أولياء.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولولا أن ثبَّتناك يا محمد بعصمتنا إياك عما دعاك إليه هؤلاء المشركون من الفتنة ﴿لَقَدْ كِدتَ تَرْكَنُ إلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ يقول: لقد كدت تميل إليهم وتطمئنّ شيئاً قليلاً، وذلك ما كان ﷺ همّ به من أن يفعل بعض الذي كانوا سألوه فعله، فقال رسول الله ﷺ فيما ذكر حين نزلت هذه الآية، ما:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، عن قتادة، في قوله ﴿وَلَوْلا أنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدتَ تَرْكَنُ إلَيْهِمْ شَيْئا قَلِيلاً﴾ فقال رسول الله ﷺ: «لا تَكِلْنِي إلى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ». القول في تأويل قوله تعالى

﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لو ركنت إلى هؤلاء المشركين يا محمد شيئاً قليلاً فيما سألوك إذن لأذقناك ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿إذاً لأَذَقْناكَ ضِعْفَ الحَياةِ وَضِعْفَ المَماتِ﴾ يعني: ضعف عذاب الدنيا والآخرة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿ضِعْفَ الحَياةِ﴾ قال: عذابها ﴿وَضِعْفَ المَماتِ﴾ قال: عذاب الآخرة.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إذاً لأَذَقْناكَ ضِعْفَ الحَياة وَضِعْفَ المَماتِ﴾: أي عذاب الدنيا والآخرة.

حدثنا محمد، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿ضِعْفَ الحَياةِ وضِعْفَ المَمَاتِ﴾ قال: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿ضِعْفَ الحَياةِ وَضِعْفَ المَماتِ﴾ يعني عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في قوله: ﴿إذاً لأَذَقْناكَ ضِعْفَ الحَياةِ﴾ مختصر، كقولك: ضعف عذاب الحياة ﴿وَضِعْفَ المَماتِ﴾ فهما عذابان، عذاب الممات به ضوعف عذاب الحياة. وقوله ﴿ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَينا نَصِيراً﴾ يقول: ثم لا تجد لك يا محمد إن نحن أذقناك لركونك إلى هؤلاء المشركين لو ركنت إليهم، عذاب الحياة وعذاب الممات علينا نصيراً ينصرك علينا، ويمنعك من عذابك، وينقذك مما نالك منا من عقوبة.

القول في تاويل قوله تعالى

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾.

يقول عزّ وجلّ: وإن كاد هؤلاء القوم ليستفزونك من الأرض: يقول: ليستخفونك من الأرض التي أنت بها ليخرجوك منها ﴿وَإذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إلاَّ قَلِيلاً﴾ يقول: ولو أخرجوك منها لم يلبثوا بعدك فيها إلاَّ قليلاً، حتى أهلكهم بعذاب عاجل.

واختلف أهل التأويل في الذين كادوا أن يستفزّوا رسول الله ﷺ ليخرجوه من الأرض وفي الأرض التي أرادوا أن يخرجوه منها فقال بعضهم: الذين كادوا أن يستفزّوا رسول الله ﷺ من ذلك اليهود، والأرض التي أرادوا أن يخرجوه منها المدينة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم حضرميّ أنه بلغه أن بعض اليهود قال للنبيّ ﷺ: إن أرض الأنبياء أرض الشام، وإن هذه ليست بأرض الأنبياء، فأنزل الله ﴿**وَإنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها**﴾.

وقال آخرون: بل كان القوم الذين فعلوا ذلك قريشاً، والأرض مكة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**وَإنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها وَإذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إلاَّ قَلِيلاً**﴾ وقد همّ أهل مكة بإخراج النبيّ ﷺ من مكة، ولو فعلوا ذلك لما توطنوا، ولكن الله كفهم عن إخراجه حتى أمره، ولقلما مع ذلك لبثوا بعد خروج نبيّ الله ﷺ من مكة حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأرْضِ**﴾ قال: قد فعلوا بعد ذلك، فأهلكهم الله يوم بدر، ولم يلبثوا بعده إلاّ قليلاً حتى أهلكهم الله يوم بدر. وكذلك كانت سنّة الله في الرسل إذا فعل بهم قومهم مثل ذلك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**خِلافَكَ إلاَّ قَلِيلاً**﴾ قال: لو أخرجت قريش محمداً لعذّبوا بذلك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول قتادة ومجاهد، وذلك أن قوله: ﴿**وَإنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأرْضِ**﴾ في سياق خبر الله عزّ وجلّ عن قريش وذكره إياهم، ولم يجر لليهود قبل ذلك ذكر، فيوجه قوله ﴿**وَإنْ كادُوا**﴾ إلى أنه خبر عنهم، فهو بأن يكون خبراً عمن جرى له ذكر أولى من غيره. وأما القليل الذي استثناه الله جلّ ذكره في قوله ﴿**وإذاً لا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إلاَّ قَلِيلاً**﴾ فإنه فيما قيل، ما بين خروج رسول الله ﷺ من مكة إلى أن قتل الله من قتل من مشركيهم ببدر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿**وإذاً لا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إلاَّ قَلِيلاً**﴾ يعني بالقليل يوم أخذهم ببدر، فكان ذلك هو القليل الذي لبثوا بعد.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وَإِذاً لا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إلاَّ قَلِيلاً**﴾ كان القليل الذي لبثوا بعد خروج النبيّ ﷺ من بين أظهرهم إلى بدر، فأخذهم بالعذاب يوم بدر، وعُنِي بقوله خلافك بعدك، كما قال الشاعر:

عَقَبَ الرَّذَاذُ خِلافَها فكأنَّمَا بَسَطَ الشَّواطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيراً[1]

يعني بقوله: خلافها: بعدها. وقد حُكي عن بعضهم أنه كان يقرؤها: خلفك. ومعنى ذلك، ومعنى الخلاف في هذا الموضع واحد.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۝٧٧﴾.

يقول تعالى ذكره: لو أخرجوك لم يلبثوا خلافك إلاَّ قليلاً، ولأهلكناهم بعذاب من عندنا، سنتنا فيمن قد أرسلنا قبلك من رسلنا، فإنا كذلك كنا نفعل بالأمم إذا أخرجت رسلها من بين أظهرهم ونصبت السنة على الخروج من معنى قوله ﴿**لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إلاَّ قَلِيلاً**﴾ لأن معنى ذلك: لعذّبناهم بعد قليل كسنتنا في أمم من أرسلنا قبلك من رسلنا، ولا تجد لسنتنا تحويلاً عما جرت به. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**سُنَّةَ مَنْ قَدْ أرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلاً**﴾: أي سنة الأمم والرسل كانت قبلك كذلك إذا كذّبوا رسلهم وأخرجوهم، لم يناظروا أن الله أنزل عليهم عذابه.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾.

---

(١) البيت للحارث بن خالد المخزومي «اللسان» خلف. شاهد على أن خلافك بمعنى بعدك. وقد سبق استشهاد المؤلف به عند تفسير قوله تعالى: ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله﴾ الجزء (١٠/ ٢٠٠)، ورواية المؤلف هنا تختلف عنها عند الآية من سورة التوبة ففيها:

عقب الربيع خلافهم فكأنما

وفي «اللسان» عقب:

عقب الرذاذ خلافهم فكأنما

وفي «**مجاز القرآن**» لأبي عبيدة (١/ ٣٨٧):

عفت الديار خلافها فكأنما

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ﴾ يا محمد ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾.

واختلف أهل التأويل في الوقت الذي عناه الله بدلوك الشمس، فقال بعضهم: هو وقت غروبها، والصلاة التي أمر بإقامتها حينئذٍ: صلاة المغرب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني واصل بن عبد الأعلى الأسدي، قال: ثنا ابن فضيل، عن أبي إسحاق، يعني الشيباني، عن عبد الرحمن بن الأسود، عن أبيه، أنه كان مع عبد الله بن مسعود، على سطح حين غربت الشمس، فقرأ: ﴿**أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيلِ**﴾، حتى فرغ من الآية، ثم قال: والذي نفسي بيده إن هذا لَحِينَ دَلَكَتِ الشمس وأفطر الصائم ووقت الصلاة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، عن قتادة، عن عقبة بن عبد الغافر، أن أبا عُبيدة بن عبد الله كتب إليه أن عبد الله بن مسعود كان إذا غربت الشمس صلَّى المغرب، ويفطر عندها إن كان صائماً، ويقسم عليها يميناً ما يقسمه على شيء من الصلوات بالله الذي لا إله إلاَّ هو، إن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة، ويقرأ فيها تفسيرها من كتاب الله ﴿**أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكَ الشَّمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيلِ**﴾.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: هذا دلوك الشمس، وهذا غسق الليل، وأشار إلى المشرق والمغرب.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: قال ابن عباس: دلوك الشمس: غروبها، يقول: دلكت براح.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن أبي إسحاق، عن الأسود، عن عبد الله، أنه قال: حين غربت الشمس دلكت، يعني بَراح مكاناً.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: دلوكها: غروبها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قد ذكر لنا أن ابن مسعود كان يصليها إذا وجبت وعندها يفطر إذا كان صائماً، ثم يقسم عليها قسماً لا يقسمه على شيء من الصلوات بالله الذي لا إله إلاَّ هو، إن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة، ثم يقرأ ويصليها وتصديقها من كتاب الله: ﴿**أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيلِ**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ**

الشَّمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيلِ﴾ قال: كان أبي يقول: دلوكها: حين تريد الشمس تغرب إلى أن يغسق الليل، قال: هي المغرب حين يغسق الليل، وتَدلُك الشمس للغروب.

حدثني سعيد بن الربيع، قال: ثنا سفيان بن عيينة، سمع عمرو بن دينار أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود يقول: كان عبد الله بن مسعود يصلي المغرب حين يغرب حاجب الشمس، ويحلف أنه الوقت الذي قال الله **﴿أقِمِ الصَّلاةَ لدُلُوكِ الشَّمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: قال عبد الله حين غربت الشمس: هذا والله الذي لا إله غيره وقت هذه الصلاة. وقال: دلوكها: غروبها.

وقال آخرون: دلوك الشمس: ميلها للزوال، والصلاة التي أمر رسول الله ﷺ بإقامتها عند دلوكها: الظهر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله، قال: دلوكها: ميلها، يعني الشمس.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن مغيرة، عن الشعبيّ، عن ابن عباس، قال، في قوله **﴿أقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾** قال: دلوكها: زوالها.

حدثني موسى بن عبد الرحمن، قال: ثنا أبو أسامة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن نافع، عن ابن عمر، في قوله **﴿أقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾** قال: دلوكها: ميلها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن سيار بن سلامة، عن أبي برزة الأسلميّ، قوله **﴿أقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾** قال: إذا زالت.

حدثنا ابن حميد مرة أخرى، قال: ثنا أبو تميلة، قال: ثنا الحسين بن واقد، قال: ثنا سيار بن سلامة الرياحي، قال: أتيت أبا برزة فسأله والدي عن مواقيت صلاة رسول الله ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر إذا زالت الشمس، ثم تلا: **﴿أقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾**.

حدثني الحسين بن عليّ الصدائي، قال: ثنا أبي، قال: ثنا مبارك، عن الحسن، قال: قال الله عزّ وجلّ لنبيه محمد ﷺ **﴿أقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيلِ﴾** قال: الظهر دلوكها، إذا زالت عن بطن السماء، وكان لها في الأرض فَيْء.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا يونس، عن الحسن، في قوله **﴿أقِمِ الصَّلاةَ لدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾** قال: دلوكها: زوالها.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، مثل ذلك.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن أبي جعفر في ﴿**أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ**﴾ قال: لزوال الشمس.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن ابن عباس، قال دلوك الشمس: زيغها بعد نصف النهار، يعني الظلّ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: دلوك الشمس، قال: حين تزيغ عن بطن السماء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ**﴾ أي إذا زالت الشمس عن بطن السماء لصلاة الظهر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**لِدُلُوكِ الشَّمْسِ**﴾ قال: حين تزيغ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: دلوك الشمس: حين تزيغ.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بقوله ﴿**أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ**﴾: صلاة الظهر، وذلك أن الدلوك في كلام العرب: الميل، يقال منه: دلَك فلان إلى كذا: إذا مال إليه. ومنه الخبر الذي روي عن الحسن أن رجلاً قال له: أيُدالك الرجل امرأته؟ يعني بذلك: أيميل بها إلى المماطلة بحقها. ومنه قول الراجز:

هَذَا مَقَامُ قَدَمَيْ رَبَاحِ غُدْوَةَ حتى دَلَكَتْ بِرَاحِ[1]

---

(١) الرجز من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» مصورة الجامعة (ص ـ ١٨١) وروايته فيه: «ذبب» في موضع «غدوة» وهي كرواية «**اللسان**»: برح. قال الفراء: «أقم الصلاة لدلوك الشمس» جاء عن ابن عباس قال؛ هو زيغوغتها وزوالها للظهر قال أبو زكريا: ورأيت العرب تذهب بالدلوك إلى غياب الشمس أنشدني بعضهم «هذا مقامي. . . . البيت» يعني الساق ـ ذبب ـ طرد الناس براح: يقول حتى قال بالراحة على العين، فينظر هل غابت؟ قال: هكذا فسروه لنا. وقال أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (١/ ٣٨٧) ودلوك الشمس من عند زوالها إلى أن تغيب. وقال: «هذا مقام». . . البيت ألا ترى أنها تدفع بالراح يضع كفه على حاجبيه من شعاعها لينظر ما بقي من غيابها. والدلوك: دنوها من غيبوبتها. وقال أبو زيد الأنصاري في النوادر (ص ـ ٨٨) ويقال: دلكت براح وبراح (بفتح الباء، وكسر الحاء أو ضمها) وهو اسم للشمس معروف قال الراجز.

هَذَا مَقَامُ قَدَمَيْ رَبَاحِ غُدْوَةَ حتى دَلَكَتْ بَرَاحِ

قال أبو حاتم: براح أي براحة. وفي «**اللسان**» برح وبراح وبراح (بالباء مفتوحة وكسر الحاء وضمها): اسم للشمس معرفة مثل قطام، سميت بذلك لانتشارها وبيانها.

ويروى: براح بفتح الباء، فمن روى ذلك: بِراح، بكسر الباء، فإنه يعني: أنه يضع الناظر كفه على حاجبه من شعاعها، لينظر ما لقي من غيارها. وهذا تفسير أهل الغريب أبي عبيدة والأصمعي وأبي عمرو الشيباني وغيرهم. وقد ذكرت في الخبر الذي رويت عن عبد الله بن مسعود، أنه قال حين غربت الشمس: دلكت براح، يعني: براح مكاناً، ولست أدري هذا التفسير، أعني قوله: براح مكاناً مِنْ كلام من هو ممن في الإسناد، أو من كلام عبد الله، فإن يكن من كلام عبد الله، فلا شكّ أنه كان أعلم بذلك من أهل الغريب الذين ذكرت قولهم، وأن الصواب في ذلك قوله، دون قولهم، وإن لم يكن من كلام عبد الله، فإن أهل العربية كانوا أعلم بذلك منه، ولما قال أهل الغريب في ذلك شاهد من قول العجاج، وهو قوله:

والشَّمْسُ قد كادَتْ تَكُونُ دَنَفا أدْفَعُها بالرَّاحِ كَيْ تَزَحْلَفا[1]

فأخبر أنه يدفع شعاعها لينظر إلى مغيبها براحه. ومن روى ذلك بفتح الباء، فإنه جعله اسماً للشمس وكسر الحاء لإخراجه إياه على تقدير قَطامِ وحَذامِ ورَقاشِ، فإذا كان معنى الدلوك في كلام العرب هو الميل، فلا شكَّ أن الشمس إذا زالت عن كبد السماء، فقد مالت للغروب، وذلك وقت صلاة الظهر، وبذلك ورد الخبر عن رسول الله ﷺ، وإن كان في إسناد بعضه بعض النظر.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا خالد بن مخلد، قال: ثني محمد بن جعفر، قال: ثني يحيى بن سعيد، قال: ثني أبو بكر بن عمرو بن حزم الأنصاري، عن أبي مسعود عقبة بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتانِي جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ حِينَ زَالَتْ فَصَلَّى بِيَ الظُّهْرَ».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا أبو تميلة، قال: ثنا الحسين بن واقد، قال: ثني سيار بن سلامة الرياحي، قال: قال أبو بَرزة: كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر إذا زالت الشمس، ثم تلا **﴿أقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس، عن ابن أبي ليلى، عن رجل، عن جابر بن عبد الله، قال: دعوت نبيّ الله ﷺ ومن شاء من أصحابه، فطعموا

---

(١) البيتان من مشطور الرجز للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ـ ٨٢ من أرجوزة عدتها ٨١ بيتاً) وهي في زوائد الديوان، لا في أصله. وهما من شواهد أبي عبيدة في **«مجاز القرآن»** (١/ ٣٨٨) قال: في دلوك الشمس: ألا ترى أنها تدفع بالراح: يضع كفه على حاجبيه من شعاعها لينظر ما بقي من غيابها، والدلوك دنوها من غيبوبتها. قال العجاج: «والشمس...... الخ». وفي **«اللسان»** تزحلف ويقال للشمس إذا مالت للمغيب، إذا زالت عن كبد السماء نصف النهار: قد تزحلف. قال العجاج: «والشمس..... الخ».

عندي، ثم خرجوا حين زالت الشمس، فخرج النبيّ ﷺ فقال: «اخْرُجْ يا أبا بَكْرٍ قَدْ دَلَكَتِ الشَّمْسُ».

حدثني محمد بن عثمان الرازي، قال: ثنا سهل بن بكار، قال: ثنا أبو عوانة، عن الأسود بن قيس، عن نُبَيح العَنَزِيّ، عن جابر بن عبد الله، عن النبيّ ﷺ، نحو حديث ابن حميد.

فإذا كان صحيحاً ما قلنا بالذي به استشهدنا، فبين إذن أن معنى قوله جلّ ثناؤه: **﴿أقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيلِ﴾** أن صلاة الظهر والعصر بحدودهما مما أوجب الله عليك فيهما لأنهما الصلاتان اللتان فرضهما الله على نبيه من وقت دلوك الشمس إلى غسق الليل وغسق الليل: هو إقباله ودنوّه بظلامه، كما قال الشاعر:

آبَ هَـذَا الـلَّـيْـلُ إذْ غَـسَـقَـا[(١)]

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في الصلاة التي أمر رسول الله ﷺ بإقامتها عنده، فقال بعضهم: الصلاة التي أمر بإقامتها عنده صلاة المغرب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله **﴿أقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيلِ﴾** قال: غسق الليل: بدوّ الليل.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، قال: سمعت عكرمة سئل عن هذه الآية: **﴿أقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيلِ﴾** قال: بدوّ الليل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: غسق الليل: غروب الشمس.

---

(١) هذا صدر بيت، لعبيد الله بن قيس الرقيات. وعجزه

واشتكيت الهم والأرقا

واستشهد به على أن معنى «غسق الليل»: ظلامه. «**مجاز القرآن**» لأبي عبيدة (١/ ٣٨٨) ورواية أبي عبيدة:

إن هذا الليل قد غسقا

وتؤيدها رواية «**اللسان**» أيضاً. قال: غسق الليل يغسق (كيضرب) غسقاً وغسقاناً، وأغسق: عن ثعلب: انصب وأظلم، ومنه قول ابن الرقيات:

إن هذا الليل قد غسقا

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**غَسَقِ اللَّيْلِ**﴾: صلاة المغرب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**إلى غَسَقِ اللَّيْلِ**﴾ بدوّ الليل لصلاة المغرب.

وقد ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «لا تَزَالُ طائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلى الفِطْرَةِ ما صَلَّوْا صَلاةَ المَغْرِبِ قَبْلَ أنْ تَبْدُوَ النُّجومُ».

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿**إلى غَسَقِ اللَّيْلِ**﴾ يعني ظلام الليل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان أبي يقول: ﴿**غَسَقِ اللَّيْلِ**﴾: ظلمة الليل.

وقال آخرون: هي صلاة العصر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن أبي جعفر ﴿**إلى غَسَقِ اللَّيْلِ**﴾ قال: صلاة العصر.

وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: الصلاة التي أمر النبيّ ﷺ بإقامتها عند غسق الليل، هي صلاة المغرب دون غيرها، لأن غسق الليل هو ما وصفنا من إقبال الليل وظلامه، وذلك لا يكون إلا بعد مغيب الشمس. فأما صلاة العصر، فإنها مما تقام بين ابتداء دلوك الشمس إلى غسق الليل، لا عند غسق الليل. وأما قوله: ﴿**وقُرآنَ الفَجْرِ**﴾ فإن معناه وأقم قرآن الفجر: أي ما تقرأ به صلاة الفجر من القرآن، والقرآن معطوف على الصلاة في قوله: ﴿**أقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ**﴾.

وكان بعض نحويي البصرة يقول: نصب قوله ﴿**وَقُرآنَ الفَجْرِ**﴾ على الإغراء، كأنه قال: وعليك قرآن الفجر ﴿**إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً**﴾ يقول: إن ما تقرأ به في صلاة الفجر من القرآن كان مشهوداً، يشهده فيما ذكر ملائكة الليل وملائكة النهار. وبالذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل: وجاءت الآثار عن رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عبيد بن أسباط بن محمد القرشي، قال: ثني أبي، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن ابن مسعود عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ في هذه الآية **﴿وقُرآنَ الفَجْرِ إن قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾** قال: «تَشْهَدُهُ مَلائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلائِكَةُ النَّهارِ».

حدثنا محمد بن سهل، قال: ثنا آدم، قال: ثنا ليث بن سعد وحدثنا محمد بن سهل بن عسكر، قال ثنا ابن أبي مريم، قال: ثنا الليث بن سعد، عن زيادة بن محمد، عن محمد بن كعب القرظي، عن فضالة بن عبيد، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللّهَ يَفْتَحُ الذِّكْرَ فِي ثَلاثِ ساعاتٍ يَبْقَينَ مِنَ اللَّيْلِ: فِي السَّاعَةِ الأُولى مِنْهُنَّ يَنْظُرُ فِي الكِتابِ الَّذِي لا يَنْظُرُ فِيهِ أحدٌ غيرُه فَيَمْحُوا ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ، ثُمَّ يَنْزِلُ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ إلى جَنَّةِ عَدْنٍ، وَهِيَ دارُهُ الَّتِي لَمْ تَرَها عَيْنٌ، وَلا تَخْطُرُ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ، وَهِيَ مَسْكَنُهُ، وَلا يَسْكُنُ مَعَهُ مِنْ بَنِي آدَمَ غيرُ ثَلاثَةٍ: النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَداءِ، ثُمَّ يَقُولُ: طُوبَى لِمَنْ دَخَلَكِ، ثُمَّ يَنْزِلُ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ إلى السَّماءِ الدُّنْيا بِرُوحِهِ وَمَلائِكَتِهِ فَتَنْتَفِضُ، فَيَقُولُ: قُومِي بِعِزِّي، ثُمَّ يَطَّلِعُ إلى عِبادِهِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي أغْفِرْ لَهُ، مَنْ يَسْألُنِي أُعْطِهِ، مَنْ يَدْعُونِي فَأسْتَجِيبَ لَهُ حتى يَطْلُعَ الفَجْرُ، فذلك حين يقول ﴿وَقُرآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾ قال موسى في حديثه: شهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار. وقال ابن عسكر في حديثه: فيشهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، عن قتادة، عن عقبة بن عبد الغافر، قال: قال أبو عبيدة بن عبد الله: كان عبد الله يحدّث أن صلاة الفجر عندها يجتمع الحرسان من ملائكة الله، ويقرأ هذه الآية: **﴿وَقُرآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾**.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وقُرآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾** وقرآن الفجر: صلاة الصبح، كنا نحدّث أن عندها يجتمع الحَرَسان من ملائكة الله حَرَس: الليل وحَرَس النهار.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿وَقُرآنَ الفَجْرِ﴾** صلاة الفجر. وأما قوله: **﴿كانَ مَشْهُوداً﴾** فإنه يقول: ملائكة الليل وملائكة النهار يشهدون تلك الصلاة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية: **﴿وَقُرآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾** قال: تنزل ملائكة النهار وتصعد ملائكة الليل.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن فضيل، عن ضرار بن عبد الله بن أبي الهُذيل، عن أبي عبيدة، في قوله: ﴿وَقُرآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾ قال: يشهده حرس الليل وحرس النهار من الملائكة في صلاة الفجر.

حدثنا أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، في قوله: ﴿وَقُرآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾ قال: كانوا يقولون تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر فتشهد فيها جميعاً، ثم يصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَقُرآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾ يعني صلاة الصبح.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَقرآنَ الفَجْرِ﴾ قال: صلاة الصبح.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿وَقُرآنَ الفَجْرِ﴾ صلاة الصبح ﴿إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾ قال: تجتمع في صلاة الفجر ملائكة الليل وملائكة النهار.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿وَقُرآنَ الفَجْرِ﴾ يعني صلاة الغداة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿وَقُرآنَ الفَجْرِ﴾ قال: صلاة الفجر ﴿إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾ قال: مشهوداً من الملائكة فيما يذكرون. قال: وكان عليّ بن أبي طالب، وأُبيّ بن كعب يقولان: الصلاة الوسطى التي حضّ الله عليها: صلاة الصبح. قال: وذلك أن صلاة الظهر وصلاة العصر: صلاتا النهار، والمغرب والعشاء: صلاتا الليل، وهي بينها، وهي صلاة نوم، ما نعمل صلاة يُغفل عنها مثلها.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن الجريري، عن أبي الورد بن ثمامة، عن أبي محمد الحضرمي، قال: ثنا كعب في هذا المسجد، قال: والذي نفس كعب بيده، إن هذه الآية ﴿وَقُرآنَ الفَجْر إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾ إنها لصلاة الفجر إنها لمشهودة.

حدثني الحسن بن عليّ بن عباس، قال: ثنا بشر بن شعيب، قال: أخبرني أبي، عن الزهري، قال: ثني سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، أن أبا هريرة قال: سمعت

رسول الله ﷺ يقول: «تَجْتَمِعُ مَلائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلائِكَةُ النَّهارِ فِي صَلاةِ الفَجْرِ»، ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿وَقُرآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله ﴿وَقُرآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾ قال: صلاة الفجر تجتمع فيها ملائكة الليل وملائكة النهار.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ومن الليل فاسهر بعد نومة يا محمد بالقرآن، نافلة لك خالصة دون أمتك. والتهجد: التيقظ والسهر بعد نومة من الليل. وأما الهجود نفسه: فالنوم، كما قال الشاعر:

أَلا طَرَقَتْنا والرِّفاقُ هُجُودُ ... فَباتَتْ بِعُلاَّتِ النَّوَالِ تَجُودُ[1]

وقال الحُطَيئة:

أَلا طَرَقَتْ هِنْدُ الهُنُودِ وصُحْبَتِي ... بِحَوْرَانَ حَوْرَانِ الجُنُودِ هُجُودُ[2]

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا أبي وشعيب بن الليث، عن الليث، عن مجاهد بن يزيد، عن أبي هلال، عن الأعرج أنه قال: أخبرني حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن رجل من الأنصار، أنه كان مع رسول الله ﷺ في سفر، فقال: لأنظرنّ كيف يصلي رسول الله ﷺ، قال: فنام رسول الله ﷺ، ثم استيقظ، فرفع رأسه إلى السماء، فتلا أربع آيات من آخر سورة آل عمران ﴿إنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ﴾ حتى مرّ بالأربع،

---

(١) البيت لم أقف على قائله. وهجود: يجوز أن يكون مصدر هجد يهجد هجوداً إذا نام، ويكون المراد منه: والرفاق ذوو هجود أو والرفاق هاجدون، فيكون بمعنى المشتق. ويجوز أن يكون هجود جمعاً لهاجد بلا بلا تأويل، كقعود جمع قاعد، وجلوس جمع جالس وحضور جمع حاضر. والعلات: جمع علة اسم للمرة من العل، وهو السقي الثاني بعد الأول. والنوال: ما يعطيه الحبيب حبيبه من ثمرة الحب.

(٢) البيت للحطيئة ديوانه طبعة الحميدية (ص ـ ١٠٣). وقال شارحه: كل كورة من كور الشام: جند. وهجود: جمع هاجد، وهو النائم، ومثله قعود: جمع قاعد. ومحل الشاهد أن الهجود في الآية معناه: النوم؛ كما في بيت الحطيئة. مصدر هجد يهجد هجوداً إذا نام. ويكون المصدر في معنى المشتق، أو يكون على معنى: والرفاق «ذوو هجود» ثم حذف المضاف، وأقيم المصدر مقامه.

ثم أهوى إلى القربة، فأخذ سواكاً فاستنّ به، ثم توضأ، ثم صلى، ثم نام، ثم استيقظ فصنع كصنعه أوّل مرّة، ويزعمون أنه التهجد الذي أمره الله.

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن، قالا: ثنا سعيد، عن أبي إسحاق، عن محمد بن عبد الرحمن، عن علقمة والأسود أنهما قالا: التهجد بعد نومة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن الأسود، قال: التهجد: بعد نومة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، قال: ثني أبو إسحاق، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد، عن علقمة والأسود بمثله.

حدثني الحارث، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا هشيم، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، قال: التهجد: بعد النوم.

حدثني الحارث، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا يزيد، عن هشام، عن الحسن، قال: التهجد: ما كان بعد العشاء الآخرة.

حُدثت عن عبد الله بن صالح، عن الليث، عن جعفر بن ربيعة، عن الأعرج، عن كثير بن العباس، عن الحجاج بن عمرو، قال: إنما التهجد بعد رقدة.

وأما قوله ﴿**نافِلَةً لَكَ**﴾ فإنه يقول: نفلاً لك عن فرائضك التي فرضتها عليك.

واختُلف في المعنى الذي من أجله خصّ بذلك رسول الله ﷺ، مع كون صلاة كلّ مصلّ بعد هجوده، إذا كان قبل هجوده قد كان أدّى فرائضه نافلة نفلاً، إذ كانت غير واجبة عليه، فقال بعضهم: معنى خصوصه بذلك: هو أنها كانت فريضة عليه، وهي لغيره تطوّع، وقيل له: أقمها نافلة لك: أي فضلاً لك من الفرائض التي فرضتها عليك عما فرضت على غيرك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَمِنَ اللَّيلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ**﴾ يعني بالنافلة أنها للنبيّ ﷺ خاصة، أُمر بقيام الليل وكُتب عليه.

وقال آخرون: بل قيل ذلك له عليه الصلاة والسلام لأنه لم يكن فعله ذلك يكفّر عنه شيئاً من الذنوب، لأن الله تعالى كان قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فكان له نافلة فضل، فأما غيره فهو له كفارة، وليس هو له نافلة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: النافلة للنبيّ ﷺ خاصة من أجل أنه قد غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فما عمل من عمل سوى المكتوبة، فهو نافلة من أجل أنه لا يعمل ذلك في كفارة الذنوب، فهي نوافل وزيادة، والناس يعملون ما سوى المكتوبة لذنوبهم في كفارتها، فليست للناس نوافل.

وأولى القولين بالصواب في ذلك، القول الذي ذكرنا عن ابن عباس، وذلك أن رسول الله ﷺ كان الله تعالى قد خصه بما فرض عليه من قيام الليل، دون سائر أمته. فأما ما ذكر عن مجاهد في ذلك، فقول لا معنى له، لأن رسول الله ﷺ فيما ذُكِر عنه أكثر ما كان استغفاراً لذنوبه بعد نزول قول الله عزّ وجلّ عليه ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ﴾ وذلك أن هذه السورة أنزلت عليه بعد مُنْصَرفه من الحديبية، وأنزل عليه ﴿إِذَا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ﴾ عام قبض. وقيل له فيها ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً﴾ فكان يُعدُّ له ﷺ في المجلس الواحد استغفار مئة مرّة، ومعلوم أن الله لم يأمره أن يستغفر إلا لما يغفر له باستغفاره ذلك، فبين إذن وجه فساد ما قاله مجاهد.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن الأعمش، عن شمر، عن عطية، عن شهر، عن أبي أُمامة، قال: إنما كانت النافلة للنبيّ ﷺ خاصة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿نافِلَةً لَكَ﴾ قال: تطوّعاً وفضيلة لك.

وقوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْموداً﴾ وعسى من الله واجبة، وإنما وجه قول أهل العلم: عسى من الله واجبة، لعلم المؤمنين أن الله لا يدع أن يفعل بعباده ما أطمعهم فيه من الجزاء على أعمالهم والعوض على طاعتهم إياه ليس من صفته الغرور، ولا شكّ أنه قد أطمع من قال ذلك له في نفعه، إذا هو تعاهده ولزمه، فإن لزم المقول له ذلك وتعاهده ثم لم ينفعه، ولا سبب يحول بينه وبين نفعه إياه مع الأطماع الذي تقدم منه لصاحبه على تعاهده إياه ولزومه، فإنه لصاحبه غارّ بما كان من إخلافه إياه فيما كان أطمعه فيه بقوله الذي قال له. وإذ كان ذلك كذلك، وكان غير جائز أن يكون جلّ ثناؤه من صفته الغرور لعباده صحّ ووجب أن كلّ ما أطمعهم فيه من طمع على طاعته، أو على فعل من الأفعال، أو أمر أو نهي أمرهم به، أو نهاهم عنه، فإنه موف لهم به، وإنهم منه كالعدة التي لا يخلف الوفاء بها، قالوا: عسى ولعلّ من الله واجبة.

وتأويل الكلام: أقم الصلاة المفروضة يا محمد في هذه الأوقات التي أمرتك بإقامتها فيها،

ومن الليل فتهجد فرضاً فرضته عليك، لعلّ ربك يبعثك يوم القيامة مقاماً تقوم فيه محموداً تحمده، وتغبط فيه.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود، فقال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي هو يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدّة ذلك اليوم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن صلة بن زُفَر، عن حُذيفة، قال: يجمع الناس في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، حُفاة عراة كما خُلقوا، قياماً لا تكلَّم نفس إلا بإذنه، ينادَى: يا محمد، فيقول: «لبيك وسعديك والخير في يديك، والشرّ ليس إليك، والمهديّ من هَدَيت، عبدك بين يديك، وبك وإليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، سبحانك ربّ هذا البيت» فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن صلة بن زُفر، عن حُذيفة، قال: يُجمع الناس في صعيد واحد. فلا تَكَلَّم نفس، فأوّل ما يدعو محمد النبيّ ﷺ، فيقوم محمد النبيّ ﷺ، فيقول: «لبيك»، ثم ذكر مثله.

حدثنا سليمان بن عمرو بن خالد الرقي، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن رشدين بن كريب، عن أبيه عن ابن عباس، قوله: ﴿**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْموداً**﴾ قال: المقام المحمود: مقام الشفاعة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، قال: ثنا أبو الزعراء، عن عبد الله في قصة ذكرها، قال: ثم يؤمر بالصراط فيضرب على جسر جهنم، فيمرّ الناس بقدر أعمالهم يمرّ أوّلهم كالبرق، وكمرّ الريح، وكمرّ الطير، وكأسرع البهائم، ثم كذلك حتى يمرّ الرجل سعياً، ثم مشياً، حتى يجيء آخرهم يتلبَّط على بطنه، فيقول: ربّ لما أبطأت بي، فيقول: إني لم أبطأ بك، إنما أبطأ بك عملك، قال: ثم يأذن الله في الشفاعة، فيكون أوّل شافع يوم القيامة جبرئيل عليه السلام، روح القُدس، ثم إبراهيم خليل الرحمن، ثم موسى، أو عيسى، قال أبو الزعراء: لا أدري أيهما قال قال: ثم يقوم نبيكم عليه الصلاة والسلام رابعاً، فلا يشفع أحد بعده فيما يشفع فيه، وهو المقام المحمود الذي ذكر الله ﴿**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْموداً**﴾.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن عوف، عن الحسن في قول الله تعالى ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً**﴾ قال: المقام المحمود: مقام الشفاعة يوم القيامة.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى: وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: ﴿**مَقاماً مَحْمُوداً**﴾ قال: شفاعة محمد يوم القيامة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو معاوية، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان، عن سلمان، قال: هو الشفاعة، يشفعه الله في أمته، فهو المقام المحمود.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً**﴾، وقد ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ خُيِّر بين أن يكون نبياً عبداً، أو ملكاً نبياً، فأومأ إليه جبرئيل عليه السلام: أن تَوَاضَعْ، فاختار نبيّ الله أن يكون عبداً نبياً، فأُعْطِي به نبيّ الله ثنتين: إنه أوّل من تنشقّ عنه الأرض، وأوّل شافع. وكان أهل العلم يَرَوْن أنه المقام المحمود الذي قال الله تبارك وتعالى ﴿**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً**﴾ شفاعة يوم القيامة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**مَقاماً مَحْمُوداً**﴾ قال: هي الشفاعة، يشفِّعه الله في أمته.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا مَعْمر والثوريّ، عن أبي إسحاق، عن صلة بن زُفَر، قال: سمعت حُذيفة يقول في قوله: ﴿**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً**﴾ قال: يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يُسمعهم الداعي، فَيَنْفُذُهم البصرُ حُفاة عُراة، كما خُلِقوا سكوتاً لا تكلَّم نفس إلا بإذنه، قال: فينادَى محمد، فيقول: لَبَّيك وسَعْديك، والخيرُ في يديك، والشرّ ليس إليك، والمهديّ من هَدَيْت، وعبدُك بين يديك، ولك وإليك، لا مَلجَأ ولا منجَى منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، سبحانك ربّ البيت، قال: فذلك المقامُ المحمودُ الذي ذكر الله ﴿**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً**﴾.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أبي إسحاق، عن صلة بن زُفَر، قال حُذيفة: يجمع الله الناس في صعيد واحد، حيث يَنْفُذُهم البصر، ويُسْمعهم الداعي، حُفاة عُراة كما خُلقوا أوّل مرّة، ثم يقوم النبيّ ﷺ فيقول: «لبيك وسعديك»، ثم ذكر نحوه، إلا أنه قال: هو المقام المحمود.

وقال آخرون: بل ذلك المقام المحمود الذي وعد الله نبيه ﷺ أن يبعثه إياه، هو أن يقاعده معه على عرشه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي، قال: ثنا ابن فضيل، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: ﴿عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾ قال: يُجْلسه معه على عرشه.

وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صحّ به الخبر عن رسول الله ﷺ. وذلك ما:

حدثنا به أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن داود بن يزيد، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ ﴿عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْموداً﴾ سُئل عنها، قال: «هِيَ الشَّفاعَةُ».

حدثنا عليّ بن حرب، قال: ثنا مَكّيّ بن إبراهيم، قال: ثنا داود بن يزيد الأَوْدِيّ، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾ قال: «هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي».

حدثنا أبو عُتبة الحِمْصِيّ أحمد بن الفَرَج، قال: ثنا بقية بن الوليد، عن الزُّبيديّ، عن الزهريّ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن كعب بن مالك، أن النبيّ ﷺ قال: «يُحشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ، فأكُونُ أنا وأُمَّتِي على تَلّ، فَيَكْسُونِي رَبّي حُلَّةً خَضْراءَ، ثُمَّ يُؤْذَنَ لِي، فأقُولُ ما شاءَ اللّهُ أنْ أقُولَ، فَذَلِكَ المَقامُ المَحْمُودُ».

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا شعيب بن الليث، قال: ثني الليث، عن عبيد الله بن أبي جعفر، أنه قال: سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر يقول: سمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الشَّمْسَ لَتَدْنُو حتى يَبْلُغَ العَرَقُ نِصْفَ الأُذُنِ، فَبَيْنَما هُمْ كَذلِكَ اسْتَغاثُوا بآدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ صَاحِبَ ذلكَ، ثُمَّ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ، فَيَقُولُ كذلكَ ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ فَيَشْفَعُ بينَ الخَلْقِ فَيَمْشِي حتى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ الجَنَّةِ، فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللّهُ مَقاماً مَحْمُوداً».

حدثني أبو زيد عمر بن شَبَّة، قال: ثنا موسى بن إسماعيل، قال: ثنا سعيد بن زيد، عن عليّ بن الحكم، قال: ثني عثمان، عن إبراهيم، عن الأسود وعلقمة، عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي لأَقُومُ المَقامَ المَحْمُودَ» فقال رجل: يا رسول الله، وما ذلك المقام المحمود؟ قال رسول الله ﷺ: «ذَاكَ إذَا جِيءَ بِكُمْ حُفاةً عُرَاةً غُرْلاً فَيَكُونُ أوَّلَ مَنْ يُكْسَى إبْراهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَيُؤْتَى بِرِيطَتَيْنِ بَيْضاوَيْنِ، فَيَلْبَسُهُما، ثُمَّ يَقْعُدُ مُسْتَقْبِلَ العَرْشِ، ثُمَّ أُوتَى بِكِسْوَتِي

فألْبَسُها، فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِهِ مَقاماً لا يَقُومُهُ غَيرِي يَغْبِطُنِي فِيهِ الأوَّلُونَ والآخِرُونَ، ثُمَّ يُفْتَحُ نَهْرٌ مِنَ الكَوْثَرِ إلى الحَوْضِ».

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهريّ، عن عليّ بن الحسين، أن النبيّ ﷺ قال: «إذَا كانَ يَوْمَ القِيامَةِ مَدَّ اللّهُ الأرْضَ مَدَّ الأدِيم حتى لا يَكُونَ لِبَشَرٍ مِنَ النّاسِ إلاّ مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ»، قال النبيّ ﷺ: «فَأكُونُ أوَّلَ مَنْ يُدْعَى وَجَبْرَئِيلُ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، واللّهِ ما رآهُ قَبْلَها، فَأقُولُ: أيْ ربّ إنَّ هَذَا أخْبَرَنِي أنَّكَ أرْسَلْتَهُ إليّ، فَيَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: صَدَقَ، ثُمَّ أشْفَعُ، قال: فَهُوَ المَقامُ المَحْمُودُ».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهريّ، عن عليّ بن الحسين، قال: قال النبيّ ﷺ: «إذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ»، فذكر نحوه، وزاد فيه: «ثُمَّ أشْفَعُ فَأقُولُ: يا ربّ عِبادُكَ عَبَدُوكَ في أطْرافِ الأرْضِ، وَهُوَ المَقامُ المَحْمُودُ».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا إبراهيم بن طهمان، عن آدم، عن عليّ، قال: سمعت ابن عمر يقول: «إن الناس يحشرون يوم القيامة، فيجيء مع كلّ نبيّ أمته، ثم يجيء رسول الله ﷺ في آخر الأمم هو وأمته، فيرقى هو وأمته على كَوم فوق الناس، فيقول: يا فلان اشفع، ويا فلان اشفع، ويا فلان اشفع، فما زال يردّها بعضهم على بعض[1] يرجع ذلك إليه، وهو المقام المحمود الذي وعده الله إياه».

حدثنا محمد بن عوف، قال: ثنا حَيْوة وربيع، قالا: ثنا محمد بن حرب، عن الزبيديّ، عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن كعب بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «يُحْشَرُ النّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ فَأكُونُ أنا وأُمّتِي على تَلّ، فَيَكْسُونِي رَبّي عَزَّ وَجَلَّ حُلَّةً خَضْرَاءَ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لِيَ فأقُولُ ما شاءَ اللّهُ أنْ أقُولَ، فذلكَ المَقامُ المَحْمُودُ».

وهذا وإن كان هو الصحيح من القول في تأويل قوله ﴿عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾ لما ذكرنا من الرواية عن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين، فإن ما قاله مجاهد من أن الله يُقعد محمداً ﷺ على عرشه، قول غير مدفوع صحته، لا من جهة خبر ولا نظر، وذلك لأنه لا خبر عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه، ولا عن التابعين بإحالة ذلك. فأما من جهة النظر، فإن جميع من ينتحل الإسلام إنما اختلفوا في معنى ذلك على أوجه ثلاثة: فقالت فرقة منهم: الله عزّ وجلّ بائن من خلقه كان قبل خلقه الأشياء، ثم خلق الأشياء فلم يماسَّها، وهو كما لم يزل،

(١) لعله حتى يرجع.

غير أن الأشياء التي خلقها، إذ لم يكن هو لها مماساً، وجب أن يكون لها مبايناً، إذ لا فعال للأشياء إلا وهو مماسّ للأجسام أو مباين لها. قالوا: فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله عزّ وجلّ فاعل الأشياء، ولم يجز في قولهم: إنه يوصف بأنه مماسّ للأشياء، وجب بزعمهم أنه لها مباين، فعلى مذهب هؤلاء سواء أقعد محمداً ﷺ على عرشه، أو على الأرض إذ كان من قولهم إن بينونته من عرشه، وبينونته من أرضه بمعنى واحد في أنه بائن منهما كليهما، غير مماسّ لواحد منهما.

وقالت فرقة أخرى: كان الله تعالى ذكره قبل خلقه الأشياء، لا شيء يماسه، ولا شيء يباينه، ثم خلق الأشياء فأقامها بقدرته، وهو كما لم يزل قبل الأشياء خلقه لا شيء يماسه ولا شيء يباينه، فعلى قول هؤلاء أيضاً سواء أقعد محمداً ﷺ على عرشه، أو على أرضه، إذ كان سواء على قولهم عرشه وأرضه في أنه لا مماس ولا مباين لهذا، كما أنه لا مماس ولا مباين لهذه.

وقالت فرقة أخرى: كان الله عزّ ذكره قبل خلقه الأشياء لا شيء يماسه، ولا شيء يباينه، ثم أحدث الأشياء وخلقها، فخلق لنفسه عرشاً استوى عليه جالساً، وصار له مماساً، كما أنه قد كان قبل خلقه الأشياء لا شيء يرزقه رزقاً، ولا شيء يحرمه ذلك، ثم خلق الأشياء فرزق هذا وحرم هذا، وأعطى هذا، ومنع هذا، قالوا: فكذلك كان قبل خلقه الأشياء يماسه ولا يباينه، وخلق الأشياء فماس العرش بجلوسه عليه دون سائر خلقه، فهو مماس ما شاء من خلقه، ومباين ما شاء منه، فعلى مذهب هؤلاء أيضاً سواء أقعد محمداً على عرشه، أو أقعده على منبر من نور، إذ كان من قولهم: إن جلوس الربّ على عرشه، ليس بجلوس يشغل جميع العرش، ولا في إقعاد محمد ﷺ موجباً له صفة الربوبية، ولا مخرجه من صفة العبودية لربه، كما أن مباينة محمد ﷺ ما كان مبايناً له من الأشياء غير موجبة له صفة الربوبية، ولا مخرجته من صفة العبودية لربه من أجل أنه موصوف بأنه له مباين، كما أن الله عزّ وجلّ موصوف على قول قائل هذه المقالة بأنه مباين لها، هو مباين له. قالوا: فإذا كان معنى مباين ومباين لا يوجب لمحمد ﷺ الخروج من صفة العبودة والدخول في معنى الربوبية، فكذلك لا يوجب له ذلك قعوده على عرش الرحمن، فقد تبين إذاً بما قُلنا أنه غير محال في قول أحد ممن ينتحل الإسلام ما قاله مجاهد من أن الله تبارك وتعالى يُقْعِد محمداً على عرشه.

فإن قال قائل: فإنا لا ننكر إقعاد الله محمداً على عرشه، وإنما ننكر إقعاده[1].

حدثني عباس بن عبد العظيم، قال: ثنا يحيى بن كثير، عن الجَريريّ، عن سيف

(١) لعل هذه الجملة قد سقطت بقيتها في هذا الموضع. وستجيء نظيرتها تامة في السطر الثالث بعدها.

السَّدُوسيّ، عن عبد الله بن سلام، قال: إن محمداً ﷺ يوم القيامة على كرسيّ الربّ بين يدي الربّ تبارك وتعالى، وإنما ينكر إقعاده إياه معه. قيل: أفجائز عندك أن يقعده عليه لا معه. فإن أجاز ذلك صار إلى الإقرار بأنه إما معه، أو إلى أنه يقعده، والله للعرش مباين، أو لا مماسّ ولا مباين، وبأيّ ذلك قال كان منه دخولاً في بعض ما كان ينكره وإن قال ذلك غير جائز كان منه خروجاً من قول جميع الفرق التي حكينا قولهم، وذلك فراق لقول جميع من ينتحل الإسلام، إذ كان لا قول في ذلك إلا الأقوال الثلاثة التي حكيناها، وغير محال في قول منها ما قال مجاهد في ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه: وقل يا محمد يا ربّ أدخلني مدخل صدق.

واختلف أهل التأويل في معنى مُدْخل الصدق الذي أمره الله نبيه ﷺ أن يرغب إليه في أن يدخله إياه، وفي مخرج الصدق الذي أمره أن يرغب إليه في أن يخرجه إياه، فقال بعضهم: عَنَى بمُدْخل الصِّدق: مُدْخل رسول الله ﷺ المدينة، حين هاجر إليها، ومُخْرج الصدق: مُخْرجه من مكة، حين خرج منها مهاجراً إلى المدينة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع وابن حميد، قالا: ثنا جرير، عن قابوس بن أبي ظَبْيان، عن أبيه، عن ابن عباس قال: كان النبيّ ﷺ بمكة، ثم أمر بالهجرة، فأنزل الله تبارك وتعالى اسمه **﴿وَقُلْ رَبّ أدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وأخرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً﴾**.

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا بشر بن المفضل، عن عوف عن الحسن، في قول الله: **﴿أدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وأخرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾** قال: كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول الله ﷺ ليقتلوه، أو يطردوه، أو يُوثِقوه، وأراد الله قتال أهل مكة، فأمره أن يخرج إلى المدينة، فهو الذي قال الله **﴿أدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾**.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن مَعْمر، عن قتادة **﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾** قال: المدينة **﴿وَمُخْرَجَ صِدْقٍ﴾** قال: مكة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَقُلْ رَبّ أدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ**

وأخرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ أخرجه الله من مكة إلى الهجرة بالمدينة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَقُلْ رَبّ أدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وأخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾** قال: المدينة حين هاجر إليها، ومخرج صدق: مكة حين خرج منها مخرج صدق، قال ذلك حين خرج مهاجراً.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقل ربّ أمتني إماتة صِدْق، وأخرجني بعد الممات من قبري يوم القيامة مُخْرَج صدق.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿وَقُلْ رَبّ أدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ. . .﴾** الآية، قال: يعني بالإدخال: الموت، والإخراج: الحياة بعد الممات.

وقال آخرون: بل عَنَى بذلك: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني من النبوّة مُدْخَل صدق، وأخرجني منه مُخْرَج صدق.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿أدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾** قال: فيما أرسلتني به من أمرك **﴿وأخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾** قال كذلك أيضاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد بنحوه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أدخلني مدخل صدق: الجنة، وأخرجني مخرج صدق: من مكة إلى المدينة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: قال الحسن: **﴿أدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾** الجنة **﴿ومُخْرَجَ صِدْقٍ﴾** من مكة إلى المدينة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أدخلني في الإسلام مُدْخل صدق.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا سهل بن موسى الرازي، قال: ثنا ابن نمير، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي

صالح في قوله: ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ قال: أدخلني في الإسلام مدخل صدق ﴿وأَخْرِجْنِي﴾ منه ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أدخلني مكة آمناً، وأخرجني منها آمناً.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك قال في قوله: ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ يعني مكة، دخل فيها آمناً، وخرج منها آمناً.

وأشبه هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: معنى ذلك: وأدخلني المدينة مُدْخل صدق، وأخرجني من مكة مُخْرج صدق.

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية، لأن ذلك عقيب قوله: ﴿وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنها وإِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾. وقد دللنا فيما مضى، على أنه عنى بذلك أهل مكة فإذ كان ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون أرادوا من استفزازهم رسول الله ﷺ، ليخرجوه عن مكة، كان بيِّناً، إذ كان الله قد أخرجه منها، أن قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ أمر منه له بالرغبة إليه في أن يخرجه من البلدة التي هم المشركون بإخراجه منها مخرج صدق، وأن يدخله البلدة التي نقله الله إليها مدخل صدق.

وقوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: واجعل لي ملكاً ناصراً ينصرني على من ناوأني، وعِزّاً أقيم به دينك، وأدفع به عنه من أراده بسوء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا بشر بن المفضل، عن عوف، عن الحسن، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً﴾ يُوعِده لَيَنْزِعَنَّ مُلك فارس، وعزّ فارس، وليجعلنه له، وعزّ الرّوم، ومُلك الروم، وليجعلنه له.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً﴾ وإن نبيّ الله علم أن لا طاقةَ له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله عزّ وجلّ، ولحدود الله، ولفرائض الله، ولإقامة دين الله، وإن السلطان رحمة من الله جعلها بين أظهر عباده، لولا ذلك لأغار بعضهم على بعض، فأكل شديدهم ضعيفهم.

وقال آخرون: بل عُنِي بذلك حجة بينة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ ﴿**سُلْطانا نَصِيراً**﴾ قال: حجة بينة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك أمر من الله تعالى نبيه بالرغبة إليه في أن يؤتيه سلطاناً نصيراً له على من بغاه وكاده، وحاول منعه من إقامته فرائض الله في نفسه وعباده.

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون هموا به من إخراجه من مكة، فأعلمه عزّ وجلّ أنهم لو فعلوا ذلك عوجلوا بالعذاب عن قريب، ثم أمره بالرغبة إليه في إخراجه من بين أظهرهم إخراج صدق يحاوله عليهم، ويدخله بلدة غيرها، بمدخل صدق يحاوله عليهم ولأهلها في دخوله إليها، وأن يجعل له سلطاناً نصيراً على أهل البلدة التي أخرجه أهلها منها، وعلى كلّ من كان لهم شبيهاً، وإذا أوتي ذلك، فقد أوتي لا شكّ حجة بينة.

وأما قوله: ﴿**نَصِيراً**﴾ فإن ابن زيد كان يقول فيه، نحو قولنا الذي قلنا فيه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَاجْعَل لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً**﴾ قال: ينصرني، وقد قال الله لموسى ﴿**سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بأخِيكَ وَنجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً فَلا يَصِلُونَ إلَيْكُما بآياتنا**﴾ هذا مقدّم ومؤخّر، إنما هو سلطان بآياتنا فلا يصلون إليكما.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين كادوا أن يستفزّونك من الأرض ليخرجوك منها: ﴿**جاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ**﴾.

واختلف أهل التأويل في معنى الحقّ الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يُعْلم المشركين أنه قد جاء، والباطل الذي أمره أن يعلمهم أنه قد زَهَق، فقال بعضهم: الحقّ: هو القرآن في هذا الموضع، والباطل: هو الشيطان.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَقُلْ جاءَ الحَقُّ**﴾ قال: الحقّ: القرآن ﴿**وَزَهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقاً**﴾.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**وَقُلْ جاءَ الحَقُّ**﴾ قال: القرآن: ﴿**وَزَهَقَ الباطِلُ**﴾ قال: هلك الباطل وهو الشيطان.

وقال آخرون: بل عُنِي بالحقّ جهاد المشركين وبالباطل الشرك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿**وَقُلْ جاءَ الحَقُّ**﴾ قال: دنا القتال ﴿**وَزَهَقَ الباطِلُ**﴾ قال: الشرك وما هم فيه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن ابن مسعود، قال: دخل رسول الله ﷺ مكة، وحول البيت ثلاثُ مئة وستون صنماً، فجعل يطعنها ويقول: ﴿**جاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقاً**﴾.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: أمر الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يخبر المشركين أن الحقّ قد جاء، وهو كلّ ما كان لله فيه رضاً وطاعة، وأن الباطل قد زهق: يقول: وذهب كلّ ما كان لا رضاً لله فيه ولا طاعة مما هو له معصية وللشيطان طاعة، وذلك أن الحقّ هو كلّ ما خالف طاعة إبليس، وأن الباطل: هو كلّ ما وافق طاعته، ولم يخصص الله عزّ ذكره بالخبر عن بعض طاعاته، ولا ذهاب بعض معاصيه، بل عمّ الخبر عن مجيء جميع الحقّ، وذهاب جميع الباطل، وبذلك جاء القرآن والتنزيل، وعلى ذلك قاتل رسول الله ﷺ أهل الشرك بالله، أعني على إقامة جميع الحقّ، وإبطال جميع الباطل.

وأما قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَزَهَقَ الباطِلُ**﴾ فإن معناه: ذهب الباطل، من قولهم: زَهَقت نفسه: إذا خرجت وأزهقتها أنا ومن قولهم: أزهق السهم: إذا جاوز الغرض فاستمرّ على جهته، يقال منه: زهق الباطل، يزهَق زُهوقاً، وأزهقه الله: أي أذهبه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿**إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقاً**﴾ يقول: ذاهباً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ونُنَزّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ للْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وننزّل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء يستشفى به من الجهل من الضلالة، ويبصر به من العمى للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به، لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله، ويحلون حلاله، ويحرّمون حرامه فيدخلهم بذلك الجنة، ويُنجيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمة من الله، أنعم بها عليهم ﴿وَلا يَزِيدُ الظّالِمِينَ إلاّ خَساراً﴾ يقول: ولا يزيد هذا الذي ننزل عليك من القرآن الكافرين به إلا خساراً: يقول: إهلاكاً، لأنهم كلما نزل فيه أمر من الله بشيء أو نهى عن شيء كفروا به، فلم يأتمروا لأمره، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه، فزادهم ذلك خساراً إلى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار، ورجساً إلى رجسهم قبلُ، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَنُنَزّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ للْمُؤْمِنِينَ﴾ إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه ﴿وَلا يَزِيدُ الظّالِمِينَ﴾ به ﴿إلاّ خَساراً﴾ أنه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه، وإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾.

يقول تبارك وتعالى: وإذا أنعمنا على الإنسان، فنجّيناه من كرب ما هو فيه في البحر، وهو ما قد أشرف فيه عليه من الهلاك بعصوف الريح عليه إلى البرّ، وغير ذلك من نعمنا، أعرض عن ذكرنا، وقد كان بنا مستغيثاً دون كلّ أحد سوانا في حال الشدّة التي كان فيها ﴿وَنأَى بِجانِبِهِ﴾ يقول: «وبعد منا بجانبه، يعني بنفسه، كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَيَ ضُرٍّ مَسَّهُ» قبل ذلك، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن مجاهد، في قوله: ﴿وَنأَى بِجانِبِهِ﴾ قال: تباعد منا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

والقراءة على تصيير الهمزة في نَأَى قبل الألف، وهي اللغة الفصيحة، وبها نقرأ. وكان بعض أهل المدينة يقرأ ذلك «وَناءَ» فيصير الهمزة بعد الألف، وذلك وإن كان لغة جائزة قد جاءت عن العرب بتقديمهم في نظائر ذلك الهمز في موضع هو فيه مؤخرّ، وتأخيرهموه في موضع، هو مقدّم، كما قال الشاعر:

أعـلامٌ يِـقَـلْـلُ رَاءَ رُؤْيـا فَـهْـوَ يَـهْـذِي بِـمـا رأى فِـي الـمَـنـامِ[1]

---

(١) هكذا جاء هذا البيت في الأصول، ولم نهتد إلى قائله بعد بحث، وهو من بحر الخفيف، وفيه تحريف في شطره الأول ولعل الصواب في روايته هكذا:

وكما قال آبار وهي أبآر، فقدموا الهمزة، فليس ذلك هو اللغة الجُودَي، بل الأخرى هي الفصيحة.

وقوله عزّ وجل: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَئُوساً﴾ يقول: وإذا مسه الشرّ والشدّة كان قنوطاً من الفرج والرَّوْح.

وبنحو الذي قلنا في اليئوس، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَئُوساً﴾ يقول: قَنُوطاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَئُوساً﴾ يقول: إذا مسه الشرّ أَيِس وقَنِط.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾.

يقول عزّ وجلّ لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للناس: كلكم يعمل على شاكلته: على ناحيته وطريقته ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ﴾ هو منكم ﴿أَهْدَى سَبِيلاً﴾ يقول: ربكم أعلم بمن هو منكم أهدى طريقاً إلى الحقّ من غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿كُلّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ﴾ يقول: على ناحيته.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿عَلى شاكِلَتِهِ﴾ قال: على ناحيته.

= أمْ غُلامٌ مُضَلَّلٌ رَاءَ رؤْيا ... فهُوَ يَهْذِي بِمَا رأى في المَنامِ

أما محل الشاهد في البيت فسليم، في قوله «راء» فإنه مقلوب رأى، قدمت اللام على العين، وهو في تقدير «فلع» والدليل على ذلك أن مصدر الفعلين واحد وهو الرؤيا، ومثله في القلب: «ناء» أصله «نأى» ومصدرهما النأي.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد **﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ على شاكِلَتِهِ﴾** قال: على طبيعته على حِدَته.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ﴾** يقول: على ناحيته وعلى ما ينوي.

وقال آخرون: الشاكلة: الدِّين.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿كُلّ يَعْمَلُ على شاكِلَتِهِ﴾** قال: على دينه، الشاكلة: الدين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ويسألك الكفار بالله من أهل الكتاب عن الروح ما هي؟ قل لهم: الروح من أمر ربي، وما أوتيتم أنتم وجميع الناس من العلم إلا قليلاً. وذُكِر أن الذين سألوا رسول الله ﷺ عن الروح، فنزلت هذه الآية بمسألتهم إياه عنها، كانوا قوماً من اليهود. ذكر الرواية بذلك:

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: «كنت مع النبيّ ﷺ في حرث بالمدينة، ومعه عَسِيب يتوكأ عليه، فمر بقوم من اليهود، فقال بعضهم: اسألوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، فقام متوكئاً على عسيبه، فقمت خلفه، فظننت أنه يوحَى إليه، فقال: **﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾** فقال بعضهم لبعض: ألم نقل لكم لا تسألوه.

حدثنا يحيى بن إبراهيم المسعوديّ، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: «بينا أنا أمشي مع رسول الله ﷺ في حَرَّة بالمدينة، إذ مررنا على يهود، فقال بعضهم: سَلُوه عن الروح، فقالوا: ما أربكم إلى أن تسمعوا ما تكرهون، فقاموا إليه، فسألوه، فقام فعرفت أنه يوحَى إليه، فقمت مكاني، ثم قرأ: **﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾** فقالوا: ألم ننهكم أن تسألوه».

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرمة، قال: «سأل أهل الكتاب رسول الله ﷺ عن الروح، فأنزل الله تعالى: **﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ**

مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾ فقالوا: أتزعم أنا لم نؤتَ من العلم إلا قليلا، وقد أوتينا التوراة، وهي الحكمة، **﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾**. قال: فنزلت: **﴿وَلَوْ أنَّ ما فِي الأرْضِ من شَجَرَةٍ أقْلامٌ والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللّهِ﴾** قال: ما أوتيتم من علم، فنجاكم الله به من النار، فهو كثير طيب، وهو في علم الله قليل».

حدثني إسماعيل بن أبي المتوكل، قال: ثنا الأشجعيّ أبو عاصم الحِمْصيّ، قال: ثنا إسحاق بن عيسى أبو يعقوب، قال: ثنا القاسم بن معن، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: «إني لمع النبيّ ﷺ في حرث بالمدينة، إذ أتاه يهوديّ، قال: يا أبا القاسم، ما الروح؟ فسكت النبيّ ﷺ، وأنزل الله عزّ وجلّ: **﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أمْرِ رَبِّي﴾**.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾** «لقيت اليهود نبيّ الله ﷺ، فتغَشّوه وسألوه وقالوا: إن كان نبياً علم، فسيعلم ذلك، فسألوه عن الروح، وعن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين فأنزل الله في كتابه ذلك كله **﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾** يعني اليهود».

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾** قال: يهود تسأل عنه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد **﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾** قال: يهود تسأله.

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾** الآية: «وذلك أن اليهود قالوا للنبيّ ﷺ: أخبرنا ما الروح، وكيف تعذّب الروح التي في الجسد وإنما الروح من الله عزّ وجلّ، ولم يكن نزل عليه فيه شيء، فلم يُحِر إليهم شيئاً، فأتاه جبرئيل عليه السلام، فقال له: **﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾** فأخبرهم النبيّ ﷺ بذلك، قالوا له: من جاءك بهذا؟ فقال لهم النبيّ ﷺ: «جاءَنِي بِهِ جِبْرِيلُ مِنْ عِنْدِ اللّهِ»، فقالوا: والله ما قاله لك إلا عدوّ لنا، فأنزل الله تبارك اسمه: **﴿قُلْ مَنْ كانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فإنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ...﴾** الآية.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله، قال: «كنت أمشي مع النبيّ ﷺ ذات يوم، فمررنا بأناس من اليهود، فقالوا: يا أبا القاسم ما الرُّوح؟ فأَسْكِت،

فرأيت أنه يوحَى إليه، قال: فتنحيت عنه إلى سُباطة، فنزلت عليه: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾ الآية، فقالت اليهود: هكذا نجده عندنا».

واختلف أهل التأويل في الروح الذي ذُكِر في هذا الموضع ما هي؟ فقال بعضهم: هي جبرئيل عليه السلام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ قال: هو جبرائيل، قال قتادة: وكان ابن عباس يكتمه.

وقال آخرون: هي مَلك من الملائكة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الروحِ﴾ قال: الروح: مَلك.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني أبو مروان يزيد بن سمرة صاحب قيسارية، عمن حدثه عن عليّ بن أبي طالب، أنه قال في قوله: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ قال: هو ملَك من الملائكة له سبعون ألف وجه، لكل وجه منها سبعون ألف لسان، لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح الله عزّ وجلّ بتلك اللغات كلها، يخلق الله من كلّ تسبيحة ملَكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة.

وقد بيَّنا معنى الرّوح في غير هذا الموضع من كتابنا، بما أغنى عن إعادته.

وأما قوله: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ فإنه يعني: أنه من الأمر الذي يعلمه الله عزّ وجلّ دونكم، فلا تعلمونه ويعلم ما هو.

وأما قوله: ﴿وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْم إلاَّ قَلِيلاً﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ بقوله ﴿وَما أُوتِيتُمْ منَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾ فقال بعضهم: عنى بذلك: الذين سألوا رسول الله ﷺ عن الروح وجميع الناس غيرهم، ولكن لما ضمّ غير المخاطب إلى المخاطب، خرج الكلام على المخاطبة، لأن العرب كذلك تفعل إذا اجتمع في الكلام مخبر عنه غائب ومخاطب، أخرجوا الكلام خطاباً للجمع.

ذكر من قال ذلك:

حدثني ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن

عطاء بن يسار، قال: نزلت بمكة ﴿وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾ فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار يهود، فقالوا: يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول ﴿وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾ أفعنيتنا أم قومك؟ قال: «كُلاًّ قَدْ عَنَيْتُ»، قالوا: فإنك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبيانُ كلّ شيء، فقال رسول الله ﷺ: «هِيَ في عِلْمِ اللّهِ قَلِيلٌ، وَقَدْ آتاكُمْ ما إنْ عَمِلْتُمْ بِهِ انْتَفَعْتُمْ»، فَأَنْزَل الله ﴿وَلَوْ أنَّ ما فِي الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ...﴾ إلى قوله ﴿إنَّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله عزّ وجلّ ﴿وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾ قال: يا محمد والناس أجمعون.

وقال آخرون: بل عنى بذلك الذين سألوا رسول الله ﷺ عن الروح خاصة دون غيرهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾ يعني: اليهود.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: خرج الكلام خطاباً لمن خوطب به، والمراد به جميع الخلق، لأن علم كلّ أحد سوى الله، وإن كثر في علم الله قليل. وإنما معنى الكلام: وما أوتيتم أيها الناس من العلم إلاَّ قليلاً من كثير مما يعلم الله.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾.

يقول ذكره: ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي آتيناك من العلم الذي أوحينا إليك من هذا القرآن لنذهبنّ به، فلا تعلمه، ثم لا تجد لنفسك بما نفعل بك من ذلك وكيلاً، يعني: قيِّماً يقوم لك، فيمنعنا من فعل ذلك بك، ولا ناصراً ينصرك، فيحول بيننا وبين ما نريد بك، قال: وكان عبد الله بن مسعود يتأوّل معنى ذهاب الله عزّ وجلّ به رفعه من صدور قارئيه. ذكر الرواية بذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن عبد العزيز بن رفيع، عن بُندار، عن معقل، قال: قلت لعبد الله، وذكر أنه يُسرى على القرآن: كيف وقد أثبتناه في صدورنا ومصاحفنا؟ قال: يُسرى عليه ليلاً، فلا يبقى منه في مصحف ولا في صدر رجل، ثم قرأ عبد الله: ﴿وَلَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بالَّذِي أوْحَيْنا إلَيْكَ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا ابن إسحاق بن يحيى، عن المسيب بن رافع، عن عبد الله بن مسعود، قال: «تطرق الناسَ ريح حمراء من نحو الشام، فلا يبقى في

مصحف رجل ولا قلبه آية. قال رجل: يا أبا عبد الرحمن، إني قد جمعت القرآن، قال: لا يبقى في صدرك منه شيء. ثم قرأ ابن مسعود: ﴿وَلَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بالَّذِي أوْحَينا إلَيْكَ﴾».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾.

يقول عزّ وجلّ: ﴿ولئنْ شِئنا لنذهبنَّ﴾ يا محمد ﴿بالَّذِي أوْحينَا إلَيكَ﴾ ولكنه لا يشاء ذلك، رحمة من ربك وتفضلاً منه عليك ﴿إنَّ فضْلهُ كانَ عليكَ كبيراً﴾ باصطفائه إياك لرسالته، وإنزاله عليك كتابه، وسائر نعمه عليك التي لا تحصى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾.

يقول جل ثناؤه: قل يا محمد للذين قالوا لك: أنا نأتي بمثل هذا القرآن: لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله، لا يأتون أبداً بمثله، ولو كان بعضهم لبعض عوناً وظهيراً. وذُكِر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ بسبب قوم من اليهود جادلوه في القرآن، وسألوه أن يأتيهم بآية غيره شاهدة له على نبّوته، لأن مثل هذا القرآن بهم قدرة على أن يأتوا به. ذكر الرواية بذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: ثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: أتى رسول الله ﷺ محمود بن سيحان وعمر بن أضا[1] وبحري بن عمرو، وعزيز بن أبي عزيز، وسلام بن مِشْكم، فقالوا: أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئنا به حقّ من عند الله عزّ وجلّ، فإنا لا نراه متناسقاً كما تناسق التوراة، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أما وَاللّهِ أنَّكُمْ لَتَعْرِفُونَ أنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللّهِ تَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَكُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ والجِنُّ عَلى أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ما جاءُوا بِهِ» فقال عند ذلك، وهم جميعاً: فِنْحاص، وعبد الله بن صُوريا، وكِنانة بن أبي الحُقيق، وأَشيع، وكعب بن أسد، وسموءَل بن زيد، وجبل بن عمرو: يا محمد ما يعلِّمك هذا إنس ولا جان؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما وَاللّهِ إنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أنَّهُ مِنْ عِنْدَ اللّهِ تَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَاةِ

(١) قد بين ابن إسحاق في «السيرة» أسماء الأعداء من يهود، ولم أجد بينهم من اسمه عمر بن أصان الذي جاء في الأصل، ولعله نعمان ابن أضا، من بني قينقاع انظر السيرة طبعة الحلبي (٢/ ١٦١).

والإنجيل»، فقالوا: يا محمد، إن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما شاء، ويقدر منه على ما أراد، فأنزل علينا كتاباً نقرؤه ونعرفه، وإلاّ جئناك بمثل ما يأتي به، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم وفيما قالوا: **﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ والجِنُّ عَلى أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾**.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله **﴿لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ والجِنُّ. . .﴾** إلى قوله **﴿وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾** قال: معيناً، قال: يقول: لو برزت الجنّ وأعانهم الإنس، فتظاهروا لم يأتوا بمثل هذا القرآن. وقوله عزّ وجلّ **﴿لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾** رفع، وهو جواب لقوله «لئن»، لأن العرب إذا أجابت لئن بلا رفعوا ما بعدها، لأن «لئن» كاليمين وجواب اليمين بلا مرفوع، وربما جزم لأن التي يجاب بها زيدت عليه لام، كما قال الأعشى:

لَـئِنْ مُـنِيـتَ بِـنـا عَـنْ غِـبِّ مَـعْـرَكَـةٍ ... لا تُـلْـفِـنـا عَـنْ دِمـاءِ الـقَـوْمِ نَـنْـتَـفِـلُ[1]

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد بيَّنا للناس في هذا القرآن من كلّ مثل، احتجاجاً بذلك كله عليهم، وتذكيراً لهم، وتنبيهاً على الحقّ ليتبعوه ويعملوا به **﴿فأبى أكْثَرُ النَّاسِ إلاَّ كُفُوراً﴾** يقول: فأبى أكثر الناس إلاّ جحوداً للحق، وإنكاراً لحجج الله وأدلته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾.

---

(١) هذا البيت للأعشى ميمون بن قيس ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين (ص ـ ٦٣) من قصيدته التي مطلعها: «ودع هريرة» وعدتها ٦٦ بيتاً، وبيت الشاهد هو الـ ٦٣ قالها ليزيد بن مسهر، أبي ثابت الشيباني. يقول: إنا لا نمل القتال، ولو قدر لك أن تبتلي بنا في أعقاب معركة قد خضناها، لوجدت فينا قوة على قتال جديد، ولم ترنا نحيد عن الخوض في الدماء مرة أخرى. ومحل الشاهد فيه أن قول الله ﴿لا يأتون بمثله﴾ جواب للقسم المتقدم عليه في قوله تعالى: ﴿لئن اجتمعت﴾ ولم يؤكد فعل الجواب بالنون، لأنه مسبوق بالنفي «لا». . . ومثله في قول الأعشى: «لاتلفنا» الذي لم يؤكد بالنون مع أنه جواب القسم «لئن منيت» وامتنع التوكيد لوجود النفي في الجواب.

يقول تعالى ذكره: وقال يا محمد، المشركون بالله من قومك لك: لن نصدّقك، حتى تفجُر لنا من أرضنا هذه عيناً تنبع لنا بالماء.

وقوله ﴿يَنْبُوعاً﴾ يفعول من قول القائل: نبع الماء: إذا ظهر وفار، ينْبُع ويَنْبَع، وهو ما نبع. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**حتى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعاً**﴾: أي حتى تفْجُر لنا من الأرض عيوناً: أي ببلدنا هذا.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله ﴿**حتى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعاً**﴾ قال: عيوناً.

حدثنا محمد، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة مثله.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**يَنْبُوعاً**﴾ قال: عيوناً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله ﴿**تَفْجُرَ**﴾ فروي عن إبراهيم النخعيّ أنه قرأ ﴿**حتى تَفْجُرَ لَنا**﴾ خفيفة وقوله ﴿**فَتُفَجِّرَ الأنهَارَ خِلالَها تَفْجِيراً**﴾ بالتشديد، وكذلك كانت قراء الكوفيين يقرءونها، فكأنهم ذهبوا بتخفيفهم الأولى إلى معنى: حتى تفجر لنا من الأرض ماء مرّة واحدة. وبتشديدهم الثانية إلى أنها تفجر في أماكن شتى، مرّة بعد أخرى، إذا كان ذلك تفجر أنهار لا نهر واحد[(١)] والتخفيف في الأولى والتشديد في الثانية على ما ذكرت من قراءة الكوفيين أعجب إليّ لما ذكرت من افتراق معنييهما، وإن لم تكن الأولى مدفوعة صحتها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقال لك يا محمد مشركو قومك: لن نصدّقك حتى تستنبط لنا عيناً من أرضنا، تَدفَّق بالماء أو تفور، أو يكون لك بستان، وهو الجنة، من نخيل وعنب، فتفجِّر الأنهار خلالها تفجيراً بأرضنا هذه التي نحن بها خلالها، يعني: خلال النخيل والكروم ويعني بقوله: ﴿**خِلالها تَفجِيراً**﴾ بينها في أصولها تفجيراً بسبب أبنيتها.

(١) في الكلام سقط ظاهر. والحاصل أنهم اتفقوا، على تشديد فتفجر واختلفوا في حتى تفجر، فبعضهم شدد، وبعضهم خفف، واختار المؤلف التشديد للعلة التي ذكرها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿كِسَفاً﴾ فقرأته عامَّة قرّاء الكوفة والبصرة بسكون السين، بمعنى: أو تسقط السماء كما زعمت علينا كِسفاً، وذلك أن الكِسْف في كلام العرب: جمع كِسْفة، وهو جمع الكثير من العدد للجنس، كما تجمع السِّدْرة بسِدْر، والتمرة بتمر، فحُكي عن العرب سماعاً: أعطني كِسْفة من هذا الثوب: أي قطعة منه، يقال منه: جاءنا بثريد كِسْف: أي قطع خبز. وقد يحتمل إذا قرىء كذلك «كِسْفاً» بسكون السين أن يكون مراداً به المصدر من كسف[1]. فأما الكِسَفُ بفتح السين، فإنه جمع ما بين الثلاث إلى العشر، يقال: كِسَفة واحدة، وثلاث كِسَف، وكذلك إلى العشر. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة وبعض الكوفيين ﴿كِسَفاً﴾ بفتح السين بمعنى: جمع الكِسْفة الواحدة من الثلاث إلى العشر، يعني بذلك قِطَعاً: ما بين الثلاث إلى العشر.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه بسكون السين، لأن الذين سألوا رسول الله ﷺ ذلك، لم يقصدوا في مسألتهم إياه ذلك أن يكون بحدّ معلوم من القطع، إنما سألوا أن يُسقط عليهم من السماء قِطَعاً، وبذلك جاء التأويل أيضاً عن أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿كِسْفاً﴾ قال: السماء جميعاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

قال ابن جريج: قال عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قوله ﴿كَمَا زَعَمْتَ عَلَينا كِسَفاً﴾ قال: مرّة واحدة، والتي في الروم ﴿ويَجْعَلُهُ كِسَفاً﴾ قال: قطعاً، قال ابن جريج: كسفاً لقول الله: ﴿إنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأرْضَ أوْ نُسْقِطْ عَلَيهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّماءِ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً﴾ قال: أي قطعاً.

---

(١) مصدر الفعل كسف يكسف (كضرب يضرب) وهو الكسف، بفتح الكاف وسكون السين «اللسان».

حدثنا عليّ، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿كِسَفاً﴾ يقول: قطعاً.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿كِسَفاً﴾ قال: قطعاً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿أوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَينا كِسَفاً﴾ يعني قِطَعاً.

القول في تأويل قوله:

﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾

يقول تعالى ذكره عن قِيل المشركين لنبيّ الله ﷺ: أو يأتي بالله يا محمد والملائكة قبيلاً.

واختلف أهل التأويل في معنى القبيل في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناه: حتى يأتي الله والملائكة كلّ قبيلة منا قبيلة قبيلة، فيعاينونهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَالمَلائِكَةِ قَبِيلاً﴾ قال: على حدتنا، كلّ قبيلة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله ﴿أوْ تَأْتِي باللّهِ وَالمَلائِكَةِ قَبِيلاً﴾ قال: قبائل على حدتها كلّ قبيلة.

وقال آخرون: معنى ذلك: أوْ تأتي بالله والملائكة عياناً نقابلهم مقابلة، فنعاينهم معاينة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أوْ تَأْتيَ باللّهِ وَالمَلائِكَةِ قَبِيلاً﴾ نعاينهم معاينة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ﴿أوْ تَأْتيَ باللّهِ وَالمَلائِكَةِ قَبِيلاً﴾ فنعاينهم.

ووجَّهه بعض أهل العربية إلى أنه بمعنى الكفيل من قولهم: هو قَبيلُ فلان بما لفلان عليه وزعيمه.

وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب، القول الذي قاله قتادة من أنه بمعنى المعاينة، من قولهم: قابلت فلاناً مقابلة، وفلان قبيل فلان، بمعنى قبالته، كما قال الشاعر:

نُصَالِحُكُمْ حتى تَبُوءُوا بِمِثْلِها ... كصَرْخَةِ حُبْلَى يَسَّرَتْها قَبِيلُها[1]

يعني قابِلَتها. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: إذا وصفوا بتقدير فعيل من قولهم قابلت ونحوها، جعلوا لفظ صفة الاثنين والجميع من المؤنث والمذكر على لفظ واحد، نحو قولهم: هذه قبيلي، وهما قبيلي، وهم قبيلي، وهن قبيلي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن المشركين الذين ذكرنا أمرهم في هذه الآيات: أو يكون لك يا محمد بيت من ذهب؟ وهو الزخرف. كما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِن زُخْرُفٍ**﴾ يقول: بيت من ذهب.

---

(١) البيت للأعشى ميمون بن قيس ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين (ص ـ ١٧٧) وهو من قصيدة عدتها ١٨ بيتاً. والشاهد هو الـ١٧ فيها. وقبله:

فإنّي وربِّ الساجدين عشيّةً ... وما صكَّ ناقوسَ النصارى أبيلُها

والقصيدة قالها في الحرب التي كانت بينه وبين الحرقتين، يعاتب بني مرثد وبني جحدر. وفي رواية الشاهد: «أصالحكم» بالهمزة بدل النون. يقول: لن أصالحكم حتى تبوءوا بمثل جنايتكم وبغيكم، وتصرخوا صرخة الحبلى حين تعينها القابلة في المخاض. «وقبولها» في موضع: قبيلها. والأبيك الراهب. وتبوءا: ترجعوا. ويسرتها: سهلت ولادتها وأعانتها فيها. والقبول: المرأة التي تستقبل الولد عند الولادة.

وفي «**مجاز القرآن**» لأبي عبيدة (١/ ٣٩٠) عند قوله تعالى: ﴿والملائكة قبيلاً﴾ مجازه مقابلة، أي معاينة. وقال:

نصالحكم حتى تبوءوا بمثلها ... كصرخة حبلى بشرتها قبيلها

أي قابلتها. فإذا وصفوا بتقدير «فعيل» من قولهم «قابلت» ونحوها، جعلوا لفظ صفة الاثنين والجميع، من المذكر والمؤنث، على لفظ واحد، نحو قولك: هي قبيلي، وهما قبيلي، وهم قبيلي، وكذلك هن قبيلي. ا هـ. وفي «**لسان العرب**» قبل: والقبيل والقبول القابلة. المحكم: قبلت القابلة الولد قبالاً: أخذته من الوالدة، وهي قابلة المرأة وقبولها وقبيلها، قال الأعشى.

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها ... كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها

ويروى: قبولها. أي يئست منها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿مِنْ زُخْرُفٍ﴾ قال: من ذهب.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾ والزخرف هنا: الذهب.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾ قال: من ذهب.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن رجل، عن الحكم قال: قال مجاهد: كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأيناه في قراءة ابن مسعود: «أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ ذَهَبٍ».

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، قال: لم أدر ما الزخرف، حتى سمعنا في قراءة عبد الله بن مسعود: «بَيْتٌ مِنْ ذَهَبٍ».

وقوله ﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّماءِ﴾ يعني: أو تصعد في درج إلى السماء وإنما قيل في السماء، وإنما يرقى إليها لا فيها، لأن القوم قالوا: أو ترقى في سلم إلى السماء، فأدخلت «في» في الكلام ليدلّ على معنى الكلام، يقال: رَقِيت في السلم، فأنا أرقَى رَقياً ورِقِياً ورُقياً، كما قال الشاعر:

أنتَ الَّذِي كَلَّفتَنِي رَقْيَ الدَّرَج ... عَلى الكَلالِ والمَشِيبِ والعَرَجِ[1]

وقوله: ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ يقول: ولن نصدّقك من أجل رُقِيك إلى السماء ﴿حتى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً﴾ منشوراً نَقْرَؤُهُ فيه أمرنا باتباعك والإيمان بك، كما:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿كِتاباً نَقْرَؤُهُ﴾ قال: من ربّ العالمين إلى فلان، عند كلّ رجل صحيفة تصبح عند رأسه يقرؤها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد بنحوه،

---

(١) البيت في «اللسان» رقى قال: ورقيت في السلم رقيا (بوزن سقف) ورقيا (بوزن فعول) إذ صعدت؛ وارتقيت مثله: أنشد ابن بري: «أنت الذي... البيت، ولم ينسبه إلى قائله».

إلاّ أنه قال: كتاباً نقرؤه من ربّ العالمين، وقال أيضاً: تصبح عند رأسه موضوعة يقرؤها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿حتى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ﴾: أي كتاباً خاصاً نؤمر فيه باتباعك.

وقوله: ﴿قُلْ سُبْحانَ رَبّي﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، القائلين لك هذه الأقوال، تنزيهاً لله عما يصفونه به، وتعظيماً له من أن يؤتى به وملائكته، أو يكون لي سبيل إلى شيء مما تسألونيه: ﴿هَلْ كُنْتُ إلاّ بَشَراً رَسُولاً﴾ يقول: هل أنا إلاّ عبد من عبيده من بني آدم، فكيف أقدر أن أفعل ما سألتموني من هذه الأمور، وإنما يقدر عليها خالقي وخالقكم، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم، والذي سألتموني أن أفعله بيد الله الذي أنا وأنتم عبيد له، لا يقدر على ذلك غيره.

وهذا الكلام الذي أخبر الله أنه كلّم به رسول الله ﷺ فيما ذكر كان من ملإ من قريش اجتمعوا لمناظرة رسول الله ﷺ ومُحاجّته، فكلّموه بما أخبر الله عنهم في هذه الآيات.

ذكر تسمية الذين ناظروا رسول الله ﷺ بذلك منهم

والسبب الذي من أجله ناظروه به[1]

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني شيخ من أهل مصر، قدم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلاً من بني عبد الدار وأبا البختري أخا بني أسد، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية، وأميّة بن خلف، والعاص بن وائل، ونُبَيهاً ومُنَبهاً ابني الحجاج السَّهميين اجتمعوا، أو من اجتمع منهم، بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تُعْذِروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظنّ أنه بدا لهم في أمره بَدَاء، وكان عليهم حريصاً، يحبّ رشدهم ويعزّ عليه عَنَتهم، حتى جلس إليهم، فقالوا: يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنُعْذِر فيك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء، وعِبْت الدين، وسفّهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرّقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلاّ وقد جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا

(١) انظر هذا الحديث في «سيرة ابن هشام» طبعة الحلبي (١/ ٣١٥) وفيه اختلاف يسير في بعض الألفاظ. وفي تفسير القرطبي (١٠/ ٣٢٨، ٣٣٠).

مالاً، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سوّدناك علينا، وإن كنت تريد به مُلكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك به رَئِياً تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجنّ: الرئيّ فربما كان ذلك، بذلنا أموالنا في طلب الطبّ لك حتى نبرئك منه، أو نُعذِرَ فيك فقال رسول الله ﷺ: «ما بِي ما تَقُولُونَ، ما جِئْتُكُمْ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أطلُبُ أمْوَالَكُمْ، وَلا الشَّرَفَ فِيكُمْ وَلا المُلْكَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّ اللّهَ بَعَثَنِي إلَيْكُمْ رَسُولاً، وأنْزَلَ عَلَيَّ كِتاباً، وأمَرَنِي أنْ أكُونَ لَكُمْ بَشِيراً وَنَذِيراً، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبّي، وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فإنْ تَقْبَلُوا مِنّي ما جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ، وإنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أصْبِرْ لأمْرِ اللّهِ حتى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» أو كما قال رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك، فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً، ولا أقلّ مالاً، ولا أشدّ عيشاً منا، فسل ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليسيِّرْ عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، ويبسط لنا بلادنا، وليفجّر[1] لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قُصَيّ بن كلاب، فإنه كان شيخاً صدوقاً، فنسألهم عما تقول، حقّ هو أم باطل؟ فإن صنعت ما سألناك، وصدقوك صدقناك، وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك بالحقّ رسولاً، كما تقول. فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما بهذَا بُعِثْتُ، إنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنَ اللّهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ، فَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ إليكم، فإنْ تَقْبَلُوهُ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ، وإنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أصْبِرْ لأمْرِ اللّهِ حتى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» قالوا: فإن لم تفعل لنا هذا، فخذ لنفسك، فسل ربك أن يبعث ملكاً يصدّقك بما تقول، ويراجعنا عنك، واسأله فليجعل لك جناناً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة، ويغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما أنا بِفاعِلٍ، ما أنا بالَّذِي يَسألُ رَبَّهُ هذَا، وَما بُعِثْتُ إلَيْكُمْ بِهذَا، وَلَكِنَّ اللّهَ بَعَثَنِي بَشِيراً وَنَذِيراً، فإنْ تَقْبَلُوا ما جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ، وَإنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أصْبِرْ لأمْرِ اللّهِ حتى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ» قالوا: فأسقط السماء علينا كِسَفاً، كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإنا لا نؤمن لك إلاّ أن تفعل، فقال رسول الله ﷺ: «ذلكَ إلى الله إنْ شاءَ فَعَلَ بِكُمْ ذلكَ»، فقالوا: يا محمد، فما علم ربك أنا سنجلس معك، ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدّم إليك، ويعلمك ما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به، فقد بلغنا أنه[2] إنما يعلِّمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن، وإنا والله ما نؤمن بالرحمن أبداً، أعذرنا إليك يا محمد، أما والله لا نتركك وما بلغت منا حتى

(١) في بعض نسخ «السيرة»، وفي تفسير القرطبي: «وليخرق».
(٢) في «السيرة» والقرطبي: «إنه قد بلغنا أنك إنما... الخ».

نهلكك أو تهلكنا، وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة، وهنّ بنات الله، وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً. فلما قالوا ذلك، قام رسول الله ﷺ عنهم، وقام معه عبد الله بن أبي أميَّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وهو ابن عمته هو لعاتكة بنت عبد المطلب، فقال له: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أموراً، ليعرفوا منزلتك من الله فَلم تفعل ذلك، ثم سألوك أن تعجل ما تخوّفهم به من العذاب، فوالله لا أومن لك أبداً، حتى تتخذ إلى السماء سلماً ترقى فيه، وأنا أنظر حتى تأتيها، وتأتي معك بنسخة منشورة[1] معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وايم الله لو فعلت ذلك لظننتُ ألاّ أصدّقك، ثم انصرف عن رسول الله ﷺ، وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً أسيفاً لما فاته مما كان يطمع فيه من قومه حين دعوه، ولَمَا رأى من مباعدتهم إياه فلما قام عنهم رسول الله ﷺ، قال أبو جهل: يا معشر قريش، إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وسبّ آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسنّ له غداً بحجر قدر ما أطيق حَمْله، فإذا سجد في صلاته فضخت رأسه به.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جبير أو عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس، بنحوه، إلاّ أنه قال: وأبا سفيان بن حرب، والنضر بن الحرث أبناء بني عبد الدار، وأبا البختريّ بن هشام.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد، قال: قلت له في قوله تعالى **﴿لَنْ نُؤمِنَ لَكَ حتى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعاً﴾** قال: قلت له: نزلت في عبد الله بن أبي أمية، قال: قد زعموا ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما منع يا محمد مشركي قومك الإيمان بالله، وبما جئتهم به من الحقّ **﴿إذْ جاءَهُمُ الهُدَى﴾** يقول: إذ جاءهم البيان من عند الله بحقيقة ما تدعوهم وصحة ما جئتهم به، إلاّ قولهم جهلاً منهم **﴿أبَعَثَ اللّهُ بَشَراً رَسُولاً﴾** فأن الأولى في موضع نصب بوقوع منع عليها، والثانية في موضع رفع، لأن الفعل لها.

---

(١) في «تفسير القرطبي» (١٠/ ٣٣٠) «ثم تأتي معك بصك معه أربعة. . . الخ» وفي «السيرة» «ثم تأتي معك أربعة. . . . الخ».

القول في تأويل قوله تعالى

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا (٩٥)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أبوا الإيمان بك وتصديقك فيما جئتهم به من عندي، استنكاراً لأن يبعث الله رسولاً من البشر: لو كان أيها الناس في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين، لَنَزَّلْنا عليهم من السماء ملَكاً رسولاً، لأن الملائكة إنما تراهم أمثالهم من الملائكة، ومن خصّه الله من بني آدم برؤيتها، فأما غيرهم فلا يقدرون على رؤيتها فكيف يبعث إليهم من الملائكة الرسل، وهم لا يقدرون على رؤيتهم وهم بهيئاتهم التي خلقهم الله بها، وإنما يرسل إلى البشر الرسول منهم، كما لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين، ثم أرسلنا إليهم رسولاً أرسلناه منهم ملَكاً مثلهم.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٩٦)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد للقائلين لك: **﴿أبَعَثَ اللّهُ بَشَراً رَسُولا كَفَى باللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَينِكُمْ﴾** فإنه نعم الكافي والحاكم **﴿إنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً﴾** يقول: إن الله بعباده ذو خبرة وعلم بأمورهم وأفعالهم، والمحقّ منهم والمُبطل، والمهْديّ والضالّ **﴿بَصِيراً﴾** بتدبيرهم وسياستهم وتصريفهم فيما شاء، وكيف شاء وأحبّ، لا يخفى عليه شيء من أمورهم، وهو مجازٍ جميعَهم بما قدّم عند ورودهم عليه.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧)﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن يهد الله يا محمد للإيمان به، ولتصديقك وتصديق ما جئت به من عند ربك، فوفَّقه لذلك، فهو المهتد الرشيد المصيب الحقّ، لا من هداه غيره، فإن الهداية بيده. **﴿ومن يضلل﴾** يقول: ومن يضلله الله عن الحقّ، فيخذله عن إصابته، ولم يوفِّقه للإيمان بالله وتصديق رسوله، فلن تجد لهم يا محمد أولياء ينصرونهم من دون الله، إذا أراد الله عقوبتهم والاستنقاذ منهم. **﴿ونَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ﴾** يقول: ونجمعهم بموقف القيامة من

بعد تفرّقهم في القبور عند قيام الساعة ﴿على وجوههم عُمْياً وَبُكْماً﴾ وهو جمع أبكم، ويعني بالبُكْم: الخُرْس، كما:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَبُكْماً﴾ قال: الخرس ﴿وَصُمّاً﴾ وهو جمع أصمّ.

فإن قال قائل: وكيف وصف الله هؤلاء بأنهم يحشرون عمياً وبكماً وصماً، وقد قال ﴿ورأى المُجْرِمون النَّارَ فَظَنُّوا أنَّهُمْ مُوَاقِعُوها﴾ فأخبر أنهم يرون، وقال: ﴿إذَا رأتْهُمْ مِنْ مكانٍ بَعيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وزَفِيراً وإذَا أُلْقُوا مِنْها مَكاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنالكَ ثُبُوراً﴾ فأخبر أنهم يسمعون وينطقون؟ قيل: جائز أن يكون ما وصفهم الله به من العَمي والبكم والصمم يكون صفتهم في حال حشرهم إلى موقف القيامة، ثم يجعل لهم أسماع وأبصار ومنطق في أحوال أُخر غير حال الحشر، ويجوز أن يكون ذلك، كما روي عن ابن عباس في الخبر الذي:

حدثنيه عليّ بن داود، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿ونَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عمْياً وَبكْماً وصُمًّا﴾ ثم قال: ﴿ورأى المُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾ وقال: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾ وقال ﴿دَعَوْا هُنالكَ ثُبوراً﴾. أما قوله: ﴿عُمْياً﴾ فلا يرون شيئاً يسرّهم. وقوله: ﴿بُكْماً﴾ لا ينطقون بحجة. وقوله: ﴿صُمّاً﴾ لا يسمعون شيئاً يسرّهم. وقوله: ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ومصيرهم إلى جهنم، وفيها مساكنهم، وهم وَقُودها، كما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ يعني إنهم وقودها.

وقوله: ﴿كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً﴾ يعني بقوله خبت: لانت وسكنت، كما قال عديّ بن زيد العبادي في وصف مزنة:

وَسْطُهُ كالْيَرَاعِ أوْ سُرُجِ المِجْـ ـدَلِ حِيناً يَخْبُو وحِيناً يُنِيرُ[1]

---

(١) البيت لعدي بن زيد العبادي شعراء النصرانية (ص ـ ٤٥٥) وهو مما كتب به إلى النعمان، وهو من غرر قصائده. واليراع: فراشة إذا طارت في الليل لم يشك من يعرفها أنها شرارة طائرة عن نار. قال الجاحظ: نار اليراعة قيل هي نار حباحب، وهي شبيهة بنار البرق. قال: واليراعة طائر صغير إن طار بالليل كان كأنه شهاب قذف، أو مصباح يطير. والمجدل، بكسر الميم: القصر المشرف، لوثاقة بنائه وجمعه مجادل. وخبت النار والحرب والحدة تخبو خبواً (على فعل) وخبوا (على فعول) سكنت وطفئت، وخمد لهبها. وقوله تعالى: ﴿كلما خبت زدناهم سعيراً﴾؛ قيل معناه: سكن لهبها، وقيل معناه: كلما تمنوا أن تخبو، وأرادوا أن تخبو انظر «اللسان» يرع، وجدل، وخبا.

يعني بقوله: يخبو السرج: أنها تلين وتضعف أحياناً، وتقوى وتنير أخرى، ومنه قول القطامي:

فَيَخْبو ساعَةً ويَهُبُّ ساعا[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في العبارة عن تأويله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**كُلَّما خَبَتْ**﴾ قال: سكنت.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿**كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً**﴾ يقول: كلما أحرقتهم تسعر بهم حطباً، فإذا أحرقتهم فلم تبق منهم شيئاً صارت جمراً تتوهَّج، فذلك خُبُوُّها، فإذا بدّلوا خلقاً جديداً عاودتهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن مجاهد حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس ﴿**كُلَّما خَبَتْ**﴾ قال: خبوّها أنها تَسَعَّر بهم حطبا، فإذا أحرقتهم، فلم يبق منهم شيء صارت جمراً تتوهج، فإذا بُدِّلوا خلقاً جديداً عاودتهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً**﴾ يقول: كلما احترقت جلودهم بُدّلوا جلوداً غيرها، ليذوقوا العذاب.

---

(١) هذا عجز بيت للقطامي. وصدره:

وكنا كالحريق أصاب غابا

انظر ديوانه طبع ليدن سنة ١٩٠٢ (ص ـ ٣٩) قال: يخبو: يسكن. ويهب: يهيج. وساع: جمع ساعة. وفي «**اللسان**» سرع الساعة: جزء من الليل والنهار. والجمع: ساعات وساع. قال القطامي:

وكنا كالحريق لذي كفاح

. . . البيت. قال ابن بري: المشهور في صدر هذا البيت:

كنا كالحريق أصاب غاباً

وفي «**مجاز القرآن**» لأبي عبيدة (١/ ٣٩١) «كلما خبت زدناهم سعيراً» أي تأججاً. وخبت سكنت. وأنشد عجز البيت، ثم قال: ولم يذكرها هنا جلودهم، فيكون الخبو لها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً﴾ قال: كلما لان منها شيء.

حُدثت عن مروان، عن جويبر، عن الضحاك ﴿كُلَّما خَبَتْ﴾ قال: سكنت. وقوله: ﴿زِدْناهُمْ سَعيراً﴾ يقول: زدنا هؤلاء الكفار سعيراً، وذلك إسعار النار عليهم والتهابها فيهم وتأججها بعد خبوّها، في أجسامهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي وصفنا من فعلنا يوم القيامة بهؤلاء المشركين، ما ذكرت أنا نفعل بهم من حشرهم على وجوههم عمياً وبكماً وصماً، وإصلائنا إياهم النار على ما بيَّنا من حالتهم فيها ثوابُهم بكفرهم في الدنيا بآياتنا، يعني بأدلته وحججه، وهم رسله الذين دعوهم إلى عبادته، وإفرادهم إياه بالألوهة دون الأوثان والأصنام، وبقولهم إذا أُمروا بالإيمان بالميعاد، وبثواب الله وعقابه في الآخرة ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظاماً﴾ بالية ﴿وَرُفاتاً﴾ قد صرنا تراباً ﴿أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾ يقولون: نُبعث بعد ذلك خلقاً جديداً كما ابتدأناه أوّل مرّة في الدنيا استنكاراً منهم لذلك، واستعظاماً وتعجباً من أن يكون ذلك.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أو لم ينظر هؤلاء القائلون من المشركين ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظاماً وَرُفاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾ بعيون قلوبهم، فيعلمون أن الله الذي خلق السموات والأرض، فابتدعها من غير شيء، وأقامها بقُدرته، قادر بتلك القُدرة على أن يخلق مثلهم أشكالهم، وأمثالهم من الخلق بعد فنائهم، وقبل ذلك، وأن من قدر على ذلك فلا يمتنع عليه إعادتهم خلقاً جديداً، بعد أن يصيروا عظاماً ورُفاتاً. وقوله ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لا رَيْبَ فِيهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعل الله لهؤلاء المشركين أجلاً لهلاكهم، ووقتاً لعذابهم لا ريب فيه. يقول: لا شك فيه أنه آتيهم ذلك الأجل. ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إلاَّ كُفُوراً﴾ يقول: فأبى الكافرون إلا جحوداً بحقيقة وعيده الذي أوعدهم وتكذيباً به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: لو أنتم أيها الناس تملكون خزائن أملاك ربي من الأموال، وعنى بالرحمة في هذا الموضع: المال ﴿إذاً لأَمسَكتُمْ خَشيَةَ الإنفاقِ﴾ يقول: إذن لبَخِلْتُمْ بِهِ، فَلم تجودوا بها على غيركم، خشية من الإنفاق والإقتار، كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿إذاً لأَمسَكتُمْ خَشيَةَ الإنفاقِ﴾ قال: الفقر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿خَشيَةَ الإنفاقِ﴾ أي خشية الفاقة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة مثله.

وقوله: ﴿وكانَ الإنْسانُ قَتُوراً﴾ يقول: وكان الإنسان بخيلاً ممسكاً، كما:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وكانَ الإنسانُ قَتُوراً﴾ يقول: بخيلاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، في قوله: ﴿وكانَ الإنسانُ قَتُوراً﴾ قال: بخيلاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وكانَ الإنْسانُ قَتُوراً﴾ قال: بخيلاً ممكساً.

وفي القتور في كلام العرب لغات أربع، يقال: قَتَر فلان يَقْتُرُ ويَقْتِر، وقتَّر يُقَتِّر، وأقتر يُقْتِر، ما قال أبو دُواد:

لا أعُدُّ الإقْتارَ عُدْماً وَلَكِنْ فَقْدُ مَنْ قد رُزِيْتُهُ الإعْدَامُ(1)

---

(١) البيت لأبي داود (بواو غير مهموزة بعد الدال، كما في التاج) وهو جارية بن الحجاج، أو هو حنظلة بن الشرقي الإيادي. والبيت في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة طبعة ليدن سنة ١٩٠٢ (ص ـ ١٢٢). وفي «اللسان»: قتر يقتر ويقتر قتراً وقتوراً، فهو قاتر وقتور؛ وأقتر. أي افتقر. وقتر على عياله وأقتر وقتر: أي ضيق عليهم في النفقة. ويقال: إنه لقتور: أي مقتر. فتلخص أن اللغات في هذا أربع: قتر يقتر ويقتر (من بابي نصر وضرب) وقتر (بالشديد) وأقتر (بالهمز) كما قال المؤلف.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى بن عمران تسع آيات بيِّنات تُبين لمن رآها أنها حجج لموسى شاهدة على صدقه وحقيقة نبوّته.

وقد اختلف أهل التأويل فيهنّ وما هنّ. فقال بعضهم في ذلك ما:

حدثني به محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَلَقَدْ آتَينا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ﴾** قال: التسع الآيات البينات: يده، وعصاه، ولسانه، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم آيات مفصلات.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿وَلَقَدْ آتَينا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ﴾** إلقاء العصا مرّتين عند فرعون، ونزع يده، والعقدة التي كانت بلسانه، وخمس آيات في الأعراف: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

وقال آخرون: نحواً من هذا القول، غير أنهم جعلوا آيتين منهنّ: إحداهما الطمسة، والأخرى الحجر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بريدة بن سفيان، عن محمد بن كعب القرظي، قال: سألني عمر بن عبد العزيز، عن قوله: **﴿وَلَقَدْ آتَينا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ﴾** فقلت له: هي الطوفان والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والبحر، وعصاه، والطمسة، والحجر، فقال: وما الطمسة؟ فقلت: دعا موسى وأمَّن هارون، فقال: قد أجيبت دعوتكما، وقال عمر: كيف يكون الفقه إلا هكذا. فدعا عمر بن عبد العزيز بخريطة كانت لعبد العزيز بن مروان أصيبت بمصر، فإذا فيها الجوزة والبيضة والعدسة ما تنكر، مسخت حجارة كانت من أموال فرعون أصيبت بمصر.

وقال آخرون: نحواً من ذلك إلا أنهم جعلوا اثنتين منهنّ: إحداهما السنين، والأخرى النقص من الثمرات.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة ومطر الورّاق، في قوله: ﴿**تِسْعَ آياتٍ**﴾ قالا: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والعصا، واليد، والسنون، ونقص من الثمرات.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن مغيرة، عن الشعبي، في قوله: ﴿**تِسْعَ آياتٍ بَيّناتٍ**﴾ قال: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، ونقص من الثمرات، وعصاه، ويده.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: سُئل عطاء بن أبي رباح عن قوله: ﴿**وَلَقَدْ آتَينا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ بَيّناتٍ**﴾ ما هي؟ قال: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وعصى موسى، ويده.

قال: ابن جريج: وقال مجاهد مثل قول عطاء، وزاد: ﴿**أخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ**﴾ قال: هما التاسعتان، ويقولون: التاسعتان: السنين، وذهاب عجمة لسان موسى.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**تِسْعَ آياتٍ بَيّناتٍ**﴾ وهي متتابعات، وهي في سورة الأعراف ﴿**وَلَقَدْ أخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ**﴾ قال: السنين في أهل البوادي، ونقص من الثمرات لأهل القُرى، فهاتان آيتان، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، هذه خمس، ويد موسى إذ أخرجها بيضاء للناظرين من غير سوء: البرص، وعصاه إذ ألقاها، فإذا هي ثعبان مبين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلَقَدْ آتَينا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ بَيّناتٍ**﴾ قال: يد موسى، وعصاه، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم والسنين، ونقص من الثمرات.

وقال آخرون نحواً من ذلك إلا أنهم جعلوا السنين، والنقص من الثمرات آية واحدة، وجعلوا التاسعة: تلقف العصا ما يأفكون.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: قال الحسن، في قوله: ﴿**تِسْعَ آياتٍ بَيّناتٍ**﴾، ﴿**وَلَقَدْ أخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ**﴾ قال: هذه آية واحدة، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ويد موسى، وعصاه إذ ألقاها فإذا هي ثعبان مبين، وإذ ألقاها فإذا هي تلقف ما يأفكون. وقال آخرون في ذلك ما:

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثني محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن عمرو بن مرّة، قال: سمعت عبد الله بن سلمة يحدّث عن صفوان بن عسال، قال: قال يهوديّ لصاحبه: اذهب بنا إلى النبيّ حتى نسأله عن هذه الآية. ﴿ولَقَدْ آتَينا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ﴾ قال: لا تقل له نبيّ، فإنه إن سمعك صارت له أربعة أعين، قال: فسألا، فقال النبيّ ﷺ: «لا تُشْرِكُوا باللهِ شَيْئاً، وَلا تَسْرِقُوا، وَلا تَزْنُوا، وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللّهُ إلاَّ بالحَقّ، وَلا تَسْحَرُوا، وَلا تَأْكُلُوا الرّبا، وَلا تَمْشُوا بَبريءٍ إلى ذي سُلْطانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلا تَقْذِفُوا مُحْصَنَةً، أو قال: لا تَفرُّوا مِنَ الزَّحْفِ» شعبة الشاكّ «وأنْتُمْ يا يَهُودُ عَلَيْكُمْ خاصَّةً لا تَعْدُوا في السَّبْتِ» فقبّلا يده ورجله، وقالا: نشهد أنك نبيّ، قال: «فما يمنعكما أن تسلما؟» قال: إن داود دعا أن لا يزال من ذرّيته نبيّ، وإنا نخشى أن تقتلنا يهود.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا سهل بن يوسف وأبو داود وعبد الرحمن بن مهدي، عن سعيد، عن عمرو، قال: سمعت عبد الله بن سلمة يحدّث عن صفوان بن عسال المرادي، عن النبيّ ﷺ بنحوه، إلا أن ابن مهديّ قال: «لا تَمْشُوا إلى ذي سُلْطانٍ» وقال ابن مهدي: أراه قال: «ببريء».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبد الله بن إدريس وأبو أسامة بنحوه، عن شعبة بن الحجاج، عن عمرو بن مرّة، عن عبد الله بن سلمة، عن صفوان بن عسال، قال: «قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبيّ، فقال صاحبه: لا تقل نبيّ، إنه لو سمعك كان له أربع أعين، قال: فأتيا رسول الله ﷺ، يسألانه عن تسع آيات بينات، فقال: «هنَّ: وَلا تُشرِكُوا باللّهِ شَيْئاً، وَلا تَسْرِقُوا، وَلا تَزْنُوا، وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللّهُ إلاَّ بالحَقّ، وَلا تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إلى ذِي سُلْطانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلا تَسْحَرُوا، وَلا تَأْكُلُوا الرّبا، وَلا تَقْذِفُوا المُحْصَنَةَ، وَلا تَوَلَّوْا يَوْمَ الزَّحْفِ وَعَلَيْكُمْ خاصَّةً يَهُودُ: أنْ لا تَعْدُوا في السَّبْتِ» قال: فقبّلوا يديه ورجليه، وقالوا: نشهد أنك نبيّ، قال: «فَمَا يَمْنَعُكُمْ أنْ تَتَّبِعُونِي؟» قالوا: إن داود دعا أن لا يزال من ذرّيته نبيّ، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود.

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا شعبة بن الحجاج، عن عمرو بن مرّة، عن عبد الله بن سلمة، عن صفوان بن عسّال، عن النبيّ ﷺ بنحوه.

وأما قوله: ﴿فاسأَلْ بَنِي إسْرَائيلَ إذْ جاءَهُمْ﴾ فإن عامّة قرّاء الإسلام على قراءته على وجه الأمر بمعنى: فاسأل يا محمد بني إسرائيل إذ جاءهم موسى ورُوي عن الحسن البصري في تأويله ما:

حدثني به الحارث، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، عن إسماعيل، عن

الحسن ﴿فأسألْ بَنِي إسْرَائِيلَ﴾ قال: سؤالك إياهم: نظرك في القرآن.

ورُوي عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك: «فَسَأَلَ» بمعنى: فسأل موسى فرعون بني إسرائيل أن يرسلهم معه على وجه الخبر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، عن حنظلة السَّدوسيّ، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس، أنه قرأ: «فَسأَلَ بَنِي إسْرَائِيلَ إذْ جاءَهُمْ» يعني أن موسى سأل فرعونَ بني إسرائيل أن يرسلهم معه.

والقراءة التي لا أستجيز أن يُقرأ بغيرها، هي القراءة التي عليها قرّاء الأمصار، لإجماع الحجة من القرّاء على تصويبها، ورغبتهم عما خالفهم.

وقوله: ﴿فَقالَ لَهُ فِرْعَوْن إنّي لأَظُنُّكَ يا مُوسَى مَسْحُوراً﴾ يقول: فقال لموسى فرعونُ: إني لأظنك يا موسى تتعاطى علم السحر، فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك وقد يجوز أن يكون مراداً به إني لأظنك يا موسى ساحراً، فوُضِع مفعول موضع فاعل، كما قيل: إنك مشؤوم علينا وميمون، وإنما هو شائم ويامن. وقد تأوّل بعضهم حجاباً مستوراً، بمعنى: حجاباً ساتراً، والعرب قد تخرج فاعلاً بلفظ مفعول كثيراً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ فقرأ عامة قرّاء الأمصار ذلك ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ بفتح التاء، على وجه الخطاب من موسى لفرعون. ورُوي عن عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك، أنه قرأ: «لَقَدْ عَلِمْتُ» بضمّ التاء، على وجه الخبر من موسى عن نفسه. ومن قرأ ذلك على هذه القراءة، فإنه ينبغي أن يكون على مذهبه تأويل قوله ﴿إنّي لأظُنُّكَ يا مُوسَى مَسْحُوراً﴾ إني لأظنك قد سُحِرت، فترى أنك تتكلم بصواب وليس بصواب. وهذا وجه من التأويل. غير أن القراءة التي عليها قرّاء الأمصار خلافها، وغير جائز عندنا خلاف الحجة فيما جاءت به من القراءة مجمعة عليه.

وبعد، فإن الله تعالى ذكره قد أخبر عن فرعون وقومه أنهم جحدوا ما جاءهم به موسى من الآيات التسع، مع علمهم بأنها من عند الله بقوله ﴿وأدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غيرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آياتٍ إلى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، إنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً قالُوا هَذَا

سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فأخبر جلّ ثناؤه أنهم قالوا: هي سحر، مع علمهم واستيقان أنفسهم بأنها من عند الله، فكذلك قوله: ﴿**لَقَدْ عَلِمْتَ**﴾ إنما هو خبر من موسى لفرعون بأنه عالم بأنها آيات من عند الله. وقد ذُكر عن ابن عباس أنه احتجّ في ذلك بمثل الذي ذكرنا من الحجة. قال:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه كان يقرأ: ﴿**لَقَدْ عَلِمْتَ**﴾ يا فرعون بالنصب ﴿**ما أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إلاَّ رَبُّ السَّمَواتِ والأرْضِ**﴾، ثم تلا ﴿**وَجَحَدُوا بِها واسْتَيْقَنَتْها أنْفُسُهُمْ ظُلْماً وعُلُوّاً**﴾. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: قال موسى لفرعون: لقد علمت يا فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات التسع البينات التي أريتكها حجة لي على حقيقة ما أدعوك إليه، وشاهدة لي على صدق وصحة قولي، إني لله رسول، ما بعثني إليك إلا ربّ السموات والأرض، لأن ذلك لا يقدر عليه، ولا على أمثاله أحد سواه. ﴿**بصائر**﴾ يعني بالبصائر: الآيات، أنهنّ بصائر لمن استبصر بهنّ، وهدى لمن اهتدى بهنّ، يعرف بهنّ من رآهنّ أن من جاء بهنّ فمحقّ، وأنهنّ من عند الله لا من عند غيره، إذ كنّ معجزات لا يقدر عليهنّ، ولا على شيء منهنّ سوى ربّ السموات والأرض وهو جمع بصيرة.

وقوله: ﴿**وإنّي لأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً**﴾ يقول: إني لأظنك يا فرعون ملعوناً ممنوعاً من الخير. والعرب تقول: ما ثبرك عن هذا الأمر: أي ما منعك منه، وما صدّك عنه؟ وثبره الله فهو يُثبره ويَثْبَره لغتان، ورجل مثبور: محبوس عن الخيرات هالك ومنه قول الشاعر:

إذْ أُجارِي الشَّيْطانَ في سَنَنِ الغَيّ ... وَمَنْ مالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ[1]

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل.

---

(١) البيت لعبد الله بن الزبعرى من مقطوعة أربعة أبيات، قالها حين جاء إلى النبي مسلماً معتذراً عما فرط منه من هجائه، بتحريض قريش على ذلك انظر «**سيرة ابن هشام**» طبعة مصطفى الحلبي وأولاده، بتحقيق مصطفى السقا والإبياري وشلبي، الطبعة الثانية القسم الثاني (ص ـ ٤١٩) والبيتان الأولان منها:

يا رَسُولَ المَلِيكِ إنَّ لِساني ... رَاتِقٌ ما فَتَقْتُ إذ أنا بُورُ

إذْ أُبارِي الشَّيْطَانَ في سَنَنِ الغَيّ ... ومَنْ مالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ

والراتق: الذي يسد الخرق. تقول: رتقت الشيء: إذا أصلحته وسددته. وفتقت: يعني في الدين، فكل إثم فتق وتمزيق، وكل توبة رتق. ومن أجل ذلك قيل التوبة نصوح، من نصحت الثوب: إذا خطته. والنصاح: الخيط. وبور: هالك. يقال: رجل بور وبائر، وقوم بور، وأباري: أجاري وأعارض. وهي رواية في البيت. والسنن بالتحريك: وسط الطريق. ومثبور هالك. وهنا محل الشاهد عند المؤلف. قال: ثبره الله يثبره، ويثبره: (كنصر وضرب) لغتان. ورجل مثبور: محبوس عن الخير هالك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عبد الله بن عبد الله الكلابي، قال: ثنا أبو خالد الأحمر، قال: ثنا عمر بن عبد الله، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: **﴿إنّي لأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾** قال ملعوناً.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا مروان بن معاوية، قال: أخبرنا عمر بن عبد الله الثقفي، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مثله.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿إنّي لأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾** يقول: ملعوناً.

وقال آخرون: بل معناه: إني لأظنك يا فرعون مغلوباً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿إنّي لأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾** يعني: مغلوباً.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله **﴿إنّي لأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾** يقول: مغلوباً.

وقال بعضهم: معنى ذلك: إنى لأظنك يا فرعون هالكاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: مثبوراً: أي هالكاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وإنّي لأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾**: أي هالكاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة بنحوه.

وقال آخرون: معناه: إني لأظنك مبدَّلاً مغيراً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبد الله بن موسى، عن عيسى بن موسى، عن عطية ﴿إنّي لأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾ قال: مبدّلاً.

وقال آخرون: معناه: مخبولاً لا عقل له.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَإنّي لأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾ قال: الإنسان إذا لم يكن له عقل فما ينفعه؟ يعني: إذا لم يكن له عقل ينتفع به في دينه ومعاشه دعته العرب مثبوراً. قال: أظنك ليس لك عقل يا فرعون، قال: بينا هو يخافه ولا ينطق لساني أن أقول هذا لفرعون، فلما شرح الله صدره، اجترأ أن يقول له فوق ما أمره الله.

وقد بيّنا الذي هو أولى بالصواب في ذلك قبل.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فأراد فرعون أن يستفزّ موسى وبني إسرائيل من الأرض، ﴿فَأَغْرَقْناهُ﴾ في البحر، ﴿وَمَنْ مَعَهُ﴾ من جنده ﴿جَمِيعاً﴾، ونجّينا موسى وبني إسرائيل، وقلنا لهم ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ هلاك فرعون ﴿اسْكُنُوا الأرْضَ﴾ أرض الشام ﴿فإذَا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً﴾ يقول: فإذا جاءت الساعة، وهي وعد الآخرة، جئنا بكم لفيفاً: يقول: حشرناكم من قبوركم إلى موقف القيامة لفيفاً: أي مختلطين قد التفّ بعضكم على بعض، لا تتعارفون، ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وحيّه، من قولك: لففت الجيوش: إذا ضربت بعضها ببعض، فاختلط الجميع، وكذلك كلّ شيء خُلط بشيء فقد لُفّ به.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن ابن أبي رَزِين ﴿جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً﴾ قال: من كلّ قوم.

(١) كذا في الأصل، والسياق مضطرب.

وقال آخرون: بل معناه: جئنا بكم جميعاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً**﴾ قال: جميعاً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً**﴾ جميعاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله ﴿**فإذَا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً**﴾: أي جميعاً، أولكم وآخركم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ﴿**جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً**﴾ قال: جميعاً.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿**جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً**﴾ يعني جميعاً. ووحّد اللفيف، وهو خبر عن الجميع، لأنه بمعنى المصدر كقول القائل: لففته لفًّا ولفيفاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وبالحقّ أنزلنا هذا القرآن: يقول: أنزلناه نأمر فيه بالعدل والإنصاف والأخلاق الجميلة، والأمور المستحسنة الحميدة، وننهى فيه عن الظلم والأمور القبيحة، والأخلاق الردية، والأفعال الذّميمة ﴿**وبالحَقّ نَزَلَ**﴾ يقول: وبذلك نزل من عند الله على نبيه محمد ﷺ. وقوله: ﴿**وَما أرْسَلْناكَ إلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وما أرسلناك يا محمد إلى من أرسلناك إليه من عبادنا، إلا مبشراً بالجنّة من أطاعنا، فانتهى إلى أمرنا ونَهينا، ومنذراً لمن عصانا وخالف أمرنا ونهينا. ﴿**وَقُرآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرأَهُ**﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار ﴿**فَرَقْناهُ**﴾ بتخفيف الراء من فرقناه، بمعنى: أحكمناه وفصلناه وبيناه. وذُكر عن ابن عباس، أنه كان يقرؤه بتشديد الراء «فَرَّقْناهُ» بمعنى: نزّلناه شيئاً بعد شيء، آية بعد آية، وقصة بعد قصة.

وأولى القراءتين بالصواب عندنا، القراءة الأولى، لأنها القراءة التي عليها الحجة مجمعة، ولا يجوز خلافها فيما كانت عليه مجمعة من أمر الدين والقرآن. فإذا كان ذلك أولى القراءتين بالصواب، فتأويل الكلام: وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً، وفصلناه قرآناً، وبيَّناه وأحكمناه، لتقرأه على الناس على مكث. وبنحو الذي قلنا في ذلك من التأويل، قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَقُرآناً فَرَقْناهُ﴾ يقول: فصلناه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن أبي الربيع عن أبي العالية، عن أبيّ بن كعب أنه قرأ: ﴿وَقُرآناً فَرَقْناهُ﴾ مخففاً: يعني بيناه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس ﴿وَقُرآنا فَرَقْناهُ﴾ قال: فصلناه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا بدل بن المحبر، قال: ثنا عباد، يعني ابن راشد، عن داود، عن الحسن أنه قرأ: ﴿وَقُرآناً فَرَقْناهُ﴾ خفَّفها: فرق الله بين الحقّ والباطل.

وأما الذين قرأوا القراءة الأخرى، فإنهم تأوّلوا ما قد ذكرت من التأويل. ذكر من قال ما حكيت من التأويل عن قارىء ذلك كذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: كان ابن عباس يقرؤها: «وَقُرآناً فَرَّقْناهُ» مثقلة، يقول: أنزل آية آية.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة، قال: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمثَلٍ إلاَّ جِئْناكَ بالحَقّ وأحْسَنَ تَفْسِيراً﴾، «وَقُرآنا فَرَّقْناهُ لِتَقْرأَهُ عَلى النَّاسِ على مُكْثٍ وَنَزَّلْناهُ تَنْزِيلاً».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: «وَقُرآناً فَرَّقْناهُ لِتَقْرأَهُ عَلى النَّاسِ» لم ينزل جميعاً، وكان بين أوّله وآخره نحو من عشرين سنة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: «وَقُرآناً فَرَّقْناهُ» قال: فرّقه: لم ينزله جميعه. وقرأ: ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ حتى

بلغ ﴿وأحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ يَنْقُض عليهم ما يأتون به.

وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول: نصب قوله ﴿وَقُرآناً﴾ بمعنى: ورحمة، ويتأوّل ذلك: ﴿وَما أرسَلْناكَ إلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ ورحمة، ويقول: جاز ذلك، لأن القرآن رحمة، ونصبه على الوجه الذي قلناه أولى، وذلك كما قال جلّ ثناؤه: ﴿والقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ﴾ وقوله: ﴿لِتَقْرَأهُ عَلى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ﴾ يقول: لتقرأه على الناس على تُؤَدة، فترتله وتبينه، ولا تعجل في تلاوته، فلا يفهم عنك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عبيد المكْتِب[1]، قال: قلت لمجاهد: رجل قرأ البقرة وآل عمران، وآخر قرأ البقرة، وركوعهما وسجودهما واحد، أيهما أفضل؟ قال: الذي قرأ البقرة، وقرأ: ﴿وَقُرآناً فَرَقْناه لِتَقْرَأَهُ عَلى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ﴾.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿لِتَقْرَأهُ عَلى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ﴾ يقول: على تأييد.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿عَلى مُكْثٍ﴾ قال: على ترتيل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿لِتَقْرأهُ على النَّاسِ عَلى مُكْثٍ﴾ قال: في ترتيل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ﴾ قال: التفسير الذي قال الله ﴿وَرَتِّلِ القُرآنَ تَرْتيلاً﴾: تفسيره.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن عبيد، عن مجاهد، قوله: ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ﴾ على تؤدة.

وفي المُكث للعرب لغات: مُكْث، ومَكْث، ومِكْث ومِكِّيثي مقصور، ومُكْثاناً، والقراءة بضمّ الميم.

وقوله: ﴿وَنَزَّلْناهُ تَنْزِيلاً﴾ يقول تعالى ذكره: فرقنا تنزيله، وأنزلناه شيئاً بعد شيء، كما:

---

(١) المكتب: اسم فاعل من أكتب أو من كتب بالتشديد وهو المعلم، يعلم الصبيان كتابة القرآة في ألواحهم.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: حدثنا، عن أبي رجاء، قال: تلا الحسن: «وَقُرآناً فَرَّقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَنَزَّلْناهُ تَنْزِيلاً» قال: كان الله تبارك وتعالى ينزل هذا القرآن بعضه قبل بعض لما علم أنه سيكون ويحدث في الناس، لقد ذكر لنا أنه كان بين أوّله وآخره ثماني عشرة سنة، قال: فسألته يوماً على سخطة، فقلت: يا أبا سعيد «وَقُرآناً فَرَّقْناهُ» فثقلها أبو رجاء، فقال الحسن: ليس فرّقناه، ولكن فرَقناه، فقرأ الحسن مخففة. قلت: من يُحدثك هذا يا أبا سعيد أصحاب محمد؟ قال: فمن يحدّثنيه قال: أنزل عليه بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة ثماني سنين، وبالمدينة عشر سنين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَقُرآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأهُ عَلى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَنَزَّلْناهُ تَنْزِيلاً﴾** لم ينزل في ليلة ولا ليلتين، ولا شهر ولا شهرين، ولا سنة ولا سنتين، ولكن كان بين أوّله وآخره عشرون سنة، وما شاء الله من ذلك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، قال: كان يقول: أنزل على نبيّ الله القرآن ثماني سنين، وعشراً بعد ما هاجر. وكان قتادة يقول: عشراً بمكة، وعشراً بالمدينة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك **﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعاً﴾**: آمنوا بهذا القرآن الذي لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله، لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، أو لا تؤمنوا به، فإن إيمانكم به لن يزيد في خزائن رحمة الله ولا ترككم الإيمان به يُنقص ذلك. وإن تكفروا به، فإن الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله من مؤمني أهل الكتابين، إذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرّون تعظيماً له وتكريماً، وعلماً منهم بأنه من عند الله، لأذقانهم سجداً بالأرض.

واختلف أهل التأويل في الذي عُنِي بقوله **﴿يَخِرُّونَ للأذْقانِ﴾** فقال بعضهم: عُنِي به: الوجوه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله:

﴿يخِرُّونَ للأذْقانِ سُجَّداً﴾ يقول: للوجوه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يَخِرُّونَ للأذْقانِ سُجَّداً﴾ قال للوجوه.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة مثله.

وقال آخرون: بل عُنِيَ بذلك اللِّحَى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: قال الحسن في قوله: ﴿يَخِرُّونَ للأذْقانِ﴾ قال: اللِّحَى.

وقوله: ﴿سُبْحانَ رَبِّنا إنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً﴾ يقول جلّ ثناؤه: ويقول هؤلاء الذين أوتوا العلم من قبل نزول هذا القرآن، إذ خرّوا للأذقان سجوداً عند سماعهم القرآن يُتْلى عليهم: تنزيهاً لربنا وتبرئة له مما يضيف إليه المشركون به، ما كان وعد ربنا من ثواب وعقاب، إلا مفعولاً حقاً يقيناً، إيمان بالقرآن وتصديق به. والأذقان في كلام العرب: جمع ذَقَن وهو مجمع اللَّحيين، وإذ كان ذلك كذلك، فالذي قال الحسن في ذلك أشبه بظاهر التنزيل. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في الذين عنوا بقوله ﴿أُوتُوا العِلْمَ﴾ وفي ﴿يُتْلَى عَلَيهِم﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ...﴾ إلى قوله ﴿خُشُوعاً﴾ قال: هم ناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل الله على محمد ﴿قالُوا سُبْحانَ رَبِّنا إنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أوْ لا تُؤْمِنُوا إنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ من قبل النبيّ ﷺ ﴿إذَا يُتْلَى عَلَيهِمْ﴾ ما أنزل إليهم من عند الله ﴿يَخِرُّونَ للأذْقانِ سُجَّداً وَيَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا إنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفعولاً﴾.

وقال آخرون: عُنِي بقوله: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ [القرآن الذي أُنزل على] محمد ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: ﴿إذَا يُتْلَى عَلَيهِمْ﴾ كتابهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿إذا يُتْلَى عَلَيهِمْ﴾ ما أنزل الله إليهم من عند الله.

وإنما قلنا: عُنِي بقوله: ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيهِمْ﴾ القرآن، لأنه في سياق ذكر القرآن لم يجر لغيره من الكتب ذكر، فيصرف الكلام إليه، ولذلك جعلت الهاء التي في قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ من ذكر القرآن، لأن الكلام بذكره جرى قبله، وذلك قوله: ﴿وَقُرآناً فَرَقْناهُ﴾ وما بعده في سياق الخبر عنه، فلذلك وجبت صحة ما قلنا إذا لم يأت بخلاف ما قلنا فيه حجة يجب التسليم لها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ (١٠٩)﴾.

يقول تعالى ذكره: ويخرّ هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمني أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان، إذا يُتلَى عليهم القرآن لأذقانهم يبكون، ويزيدهم ما في القرآن من المواعظ والعبر خشوعاً، يعني خضوعاً لأمر الله وطاعته، واستكانة له.

حدثنا أحمد بن منيع، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا مِسْعر، عن عبد الأعلى التيميّ، أن من أوتي من العلم ما لم يبكه لخليق أن لا يكون أوتي علماً ينفعه، لأن الله نعت العلماء فقال ﴿إنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إذَا يُتْلَى عَلَيهِمْ يَخِرُّونَ للأَذْقانِ...﴾ الآيتين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، عن مسعر بن كدام، عن عبد الأعلى التيمي بنحوه، إلاّ أنه قال: ﴿إذَا يُتْلَى عَلَيهِمْ يَخِرُّونَ للأَذْقانِ﴾ ثم قال: ﴿ويَخِرُّونَ للأَذْقانِ يَبْكُونَ...﴾ الآية.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ﴿ويَخُرُّونَ للأَذْقانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشوعاً﴾. قال: هذا جواب وتفسير للآية التي في كهيعص ﴿إذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١١٠)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لمشركي قومك المنكرين دعاء الرحمن: ﴿ادعُوا اللَّهَ﴾ أيها القوم ﴿أوِ ادعُوا الرَّحْمَنَ أياً مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْماءُ الحُسْنَى﴾ بأيّ أسمائه جلّ جلاله تدعون ربكم، فإنما تدعون واحداً، وله الأسماء الحُسنى. وإنما قيل ذلك له ﷺ، لأن المشركين فيما

ذكر سمعوا النبيّ ﷺ يدعو ربه: يا ربنا الله، ويا ربنا الرحمن، فظنوا أنه يدعو إلهين، فأنزل الله على نبيه عليه الصلاة والسلام هذه الآية احتجاجاً لنبيه عليهم. ذكر الرواية بما ذكرنا:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني محمد بن كثير، عن عبد الله بن واقد، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس. قال: كان النبيّ ﷺ ساجداً يدعو: «يا رَحْمَنُ يا رَحيمُ»، فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحداً، وهو يدعو مثنى مثنى، فأنزل الله تعالى: **﴿قُلِ ادعُوا اللّهَ أوِ ادعُوا الرَّحْمَنَ أيّاً مّا تَدْعُوا فَلَهُ الأسْماءُ الحُسْنَى...﴾** الآية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني عيسى، عن الأوزاعي، عن مكحول، أن النبيّ ﷺ «كان يتهجّد بمكة ذات ليلة، يقول في سجوده: «يا رَحْمَنُ يا رَحيمُ»، فسمعه رجل من المشركين، فلما أصبح قال لأصحابه: انظروا ما قال ابن أبي كبشة، يدعو الليلة الرحمن الذي باليمامة، وكان باليمامة رجل يقال له الرحمن: فنزلت: **﴿قُلِ ادعُوا اللّهَ أوِ ادعُوا الرَّحْمَنَ أيّاً مّا تَدْعُوا فَلَهُ الأسْماءُ الحُسْنَى﴾**».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿قُلِ ادعُوا اللّهَ أوِ ادعُوا الرَّحْمَنَ أيّا مّا تَدْعُوا فَلَهُ الأسْماءُ الحُسْنَى[(١)]﴾**.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿أيّاً مّا تَدْعُوا﴾** بشيء من أسمائه.

حدثني موسى بن سهل، قال: ثنا محمد بن بكار البصري، قال: ثني حماد بن عيسى، عن عبيد بن الطفيل الجهني، قال: ثنا ابن جريج، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، عن مكحول، عن عَرَّاك بن مالك، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «إنَّ لِلّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً كُلُّهُنَّ في القُرآنِ، مَنْ أحْصَاهنّ دَخَلَ الجَنَّةَ».

قال أبو جعفر: ولدخول «ما» في قوله **﴿أيّا مّا تَدْعُوا﴾** وجهان: أحدهما أن تكون صلة، كما قيل: **﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾**. والآخر أن تكون في معنى إن: كررت لما اختلف لفظاهما، كما قيل: ما إن رأيت كالليلة ليلة.

وقوله: **﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً﴾** اختلف أهل التأويل في الصلاة، فقال بعضهم: عنى بذلك: ولا تجهر بدعائك، ولا تخافت به، ولكن بين ذلك. وقالوا: عنى بالصلاة في هذا الموضع: الدعاء.

---

(١) كذا في الأصول، ولم يذكر المتن اتكالا على ما تقدم، وقد تكرر ذلك منه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يحيى بن عيسى الدامغاني، قال: ثنا ابن المبارك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، في قوله: ﴿**وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها**﴾ قالت: في الدعاء.

حدثنا بشار، قال: ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: نزلت في الدعاء.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة مثله.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا عباد بن العوّام، عن أشعث بن سوار، عن عكرمة، عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿**وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها**﴾ قال: كانوا يجهرون بالدعاء، فلما نزلت هذه الآية أُمروا أن لا يجهروا، ولا يخافتوا.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا حماد، عن عمرو بن مالك البكري، عن أبي الجوزاء عن عائشة، قالت: نزلت في الدعاء.

حدثني مطر بن محمد الضبي، قال: ثنا عبد الله بن داود، قال: ثنا شريك، عن زياد بن فياض، عن أبي عياض، في قوله: ﴿**وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها**﴾ قال: الدعاء.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن إبراهيم الهَجري، عن أبي عياض ﴿**وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها**﴾ قال: نزلت في الدعاء.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا شريك، عن زياد بن فياض، عن أبي عياض مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان عمن ذكره عن عطاء ﴿**وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها**﴾ قال: نزلت في الدعاء.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد في الآية: ﴿**وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها**﴾ قال: في الدعاء.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، قال: نزلت في الدعاء.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿**وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ**

﴿وَلا تُخافِتْ بِها﴾ في الدعاء والمسألة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد، قال: نزلت في الدعاء والمسألة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثني سفيان، قال: ثني قيس بن مسلم، عن سعيد بن جبير في قوله ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها﴾ قال: في الدعاء.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد الزبيري، قال: ثنا سفيان، عن ابن عياش العامري، عن عبد الله بن شدّاد قال: كان أعراب إذا سلم النبيّ ﷺ قالوا: اللهمّ ارزقنا إبلاً وولداً، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿وَلا تَجْهَرْ بصَلاتكَ وَلا تُخافتْ بها﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، في قوله ﴿وَلا تَجْهَرْ بصَلاتكَ وَلا تُخافِتْ بِها﴾ قال: في الدعاء.

حدثني ابن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ...﴾ الآية، قال: في الدعاء والمسألة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني عيسى، عن الأوزاعي، عن مكحول ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها﴾ قال: ذلك في الدعاء.

وقال آخرون: عنى بذلك الصلاة. واختلف قائلو هذه المقالة في المعنى الذي عني بالنهي عن الجهر به، فقال بعضهم: الذي نهي عن الجهر به منها القراءة.

ذكر مَن قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ متوار ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها﴾ قال: كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع ذلك المشركون سبُّوا القرآن ومن أنزله، ومن جاء به، قال: فقال الله لنبيه ﷺ ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ﴾ فيسمع المشركون ﴿وَلا تُخافِتْ بِها﴾ عن أصحابك، فلا تُسْمِعهم القرآن حتى يأخذوا عنك.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا بشر بن عمار، عن أبي رَوْق، عن الضحاك، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها﴾ قال: كان رسول الله ﷺ، إذا جهر بالصلاة بالمسلمين بالقرآن، شقّ ذلك على المشركين إذا سمعوه، فيُؤْذون رسول

الله ﷺ بالشتم والعيب به، وذلك بمكة، فأنزل الله: يا محمد ﴿لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ﴾ يقول: لا تُعلِنْ بالقراءة بالقرآن إعلاناً شديداً يسمعه المشركون فيؤذونك، ولا تخافت بالقراءة القرآن: يقول: لا تخفض صوتَك حتى لا تُسْمِع أذنيك ﴿وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً﴾ يقول: اطلب بين الإعلان والجهر وبين التخافت والخفض طريقاً، لا جهراً شديداً، ولا خفضاً لا تُسْمِع أذنيك، فذلك القدر فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة سقط هذا كله، يفعل الآن أيّ ذلك شاء.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها...﴾ الآية، هذا ورسول الله ﷺ بمكة كان إذا صلى بأصحابه، فرفع صوته بالقراءة أسمع المشركين، فآذوه، فأمره الله أن لا يرفع صوته، فيسمع عدوّه، ولا يخافت فلا يُسْمِع مَن خلفه من المسلمين، فأمره الله أن يبتغي بين ذلك سبيلاً.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان النبيّ ﷺ يرفع صوته بالقرآن، فكان المشركون إذا سمعوا صوته سبُّوا القرآن، ومن جاء به فكان النبيّ ﷺ يخفي القرآن فما يسمعه أصحابه، فأنزل الله ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بينَ ذلك سَبِيلاً﴾.

حدثنا محمد بن عليّ بن الحسن بن شقيق، قال: سمعت أبي، يقول: أخبرنا أبو حمزة عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها﴾ قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع صوته وسَمع المشركون، سبُّوا القرآن، ومن جاء به، وإذا خفض لم يسمع أصحابه، قال الله: ﴿وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني داود بن الحُصَين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرّقوا، وأَبَوا أن يستمعوا منه، فكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو، وهو يصلي، استرق السمع دونهم فرقاً منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع، ذهب خشية أذاهم، فلم يستمع، فإن خفض رسول الله ﷺ صوته، لم يستمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً، فأنزل الله عليه: ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ﴾ فيتفرّقوا عنك ﴿وَلا تُخافِتْ بِها﴾ فلا تُسْمِع من أراد أن يسمعها، ممن يسترق ذلك دونهم، لعله يرعَوي إلى بعض ما يسمع، فينتفع به، ﴿وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: كان النبيّ ﷺ يجهر بقراءة القرآن في المسجد الحرام، فقالت قريش: لا تجهر بالقراءة فتؤذي آلهتنا، فنهجو ربك، فأنزل الله: ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها...﴾ الآية.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس، في قوله ﴿**وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها**﴾ قال: نزلت على رسول الله ﷺ وهو مختف بمكة، فكان إذا صلى بأصحابه رفع الصوت بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله، ومن جاء به، فقال الله لنبيه: ﴿**وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ**﴾: أي بقراءتك، فيسمع المشركون، فيسبُّوا القرآن ﴿**وَلا تُخافِتْ بِها**﴾ عن أصحابك، فلا تسمعهم ﴿**وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً**﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، في قوله ﴿**وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها**﴾ قال: في القراءة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا سعيد، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، في هذه الآية ﴿**وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها**﴾ قال: كان النبيّ ﷺ إذا رفع صوته أعجب ذلك أصحابه، وإذا سمع ذلك المشركون سبُّوه، فنزلت هذه الآية.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن سلمة، عن علقمة، عن محمد بن سيرين، قال: نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته، وأن عمر كان يرفع صوته قال: فقيل لأبي بكر: لم تصنع هذا؟ فقال: أناجي ربي، وقد علم حاجتي، قيل: أحسنت وقيل لعمر: لم تصنع هذا؟ قال: أطرد الشيطان، وأوقظ الوسنان، قيل: أحسنت فلما نزلت ﴿**وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً**﴾ قيل لأبي بكر: ارفع شيئاً، وقيل لعمر: اخفض شيئاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا حسان بن إبراهيم، عن إبراهيم الصائغ، عن عطاء، في قوله: ﴿**وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها**﴾ قال: يقول ناس إنها في الصلاة، ويقول آخرون إنها في الدعاء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً**﴾ وكان نبيّ الله وهو بمكة، إذا سمع المشركون صوته رموه بكلّ خبث، فأمره الله أن يغضّ من صوته، وأن يجعل صلاته بينه وبين ربه، وكان يقال: ما سمعته أذنك فليس بمخافتة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ﴿**وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها**﴾ قال: «كان النبيّ ﷺ يرفع صوته بالصلاة، فيُرمَى بالخبث، فقال: لا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فَتُؤْذَى وَلا تُخافِتْ بِها، وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً».

وقال آخرون: إنما عُنِي بذلك: ولا تجهر بالتشهد في صلاتك، ولا تخافت بها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا حفص بن غِياث، عن هشام بن عُروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: نزلت هذه الآية في التشهد **﴿وَلا تَجْهَرْ بصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها﴾**.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا حفص، عن أشعث، عن ابن سيرين مثله. وزاد فيه: وكان الأعرابيّ يجهر فيقول: التحيات لله، والصلوات لله، يرفع فيها صوته، فنزلت **﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ﴾**.

وقال آخرون: بل كان رسول الله ﷺ يصلي بمكة جِهاراً، فأمر بإخفائها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة والحسن البصري قالا: قال في بني إسرائيل **﴿وَلا تَجْهرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بيَن ذلكَ سَبِيلاً﴾** وكان رسول الله ﷺ إذا صلى يجهر بصلاته، فآذى ذلك المشركين بمكة، حتى أخفى صلاته هو وأصحابه، فلذلك قال **﴿وَلا تَجَهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً﴾** وقال في الأعراف: **﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بالغُدُوّ والآصالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الغافِلِينَ﴾**.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولا تجهر بصلاتك تحسنها من إتيانها في العلانية، ولا تخافت بها: تسيئها في السريرة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن أنه كان يقول: **﴿ولاَ تَجهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها﴾**: أي لا تراء بها عَلانية، ولا تخفها سرّاً **﴿وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً﴾**.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: كان الحسن يقول في قوله: **﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها﴾** قال: لا تحسن علانيتها، وتسيء سريرتها.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن عوف، عن الحسن، في قوله: **﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ ولاَ تُخافِتْ بِها﴾** قال: لا تراء بها في العلانية، ولا تخفها في السريرة.

حدثني عليّ بن الحسن الأزرقي، قال: ثنا الأشجعي، عن سفيان، عن منصور، عن الحسن **﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها﴾** قال: تحسن علانيتها، وتسيء سريرتها.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ ولاَ تُخافِتْ بِها﴾ قال: لا تصلّ مراءاة الناس ولا تدعها مخافة. وقال آخرون في ذلك ما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً﴾ قال: السبيل بين ذلك الذي سنّ له جبرائيل من الصلاة التي عليها المسلمون. قال: وكان أهل الكتاب يُخافتون، ثم يجهر أحدهم بالحرف، فيصيح به، ويصيحون هم به وراءه، فنهى أن يصيح كما يصيح هؤلاء، وأن يُخافت كما يُخافت القوم، ثم كان السبيل الذي بين ذلك، الذي سنّ له جبرائيل من الصلاة.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، ما ذكرنا عن ابن عباس في الخبر الذي رواه أبو جعفر، عن سعيد، عن ابن عباس، لأن ذلك أصحّ الأسانيد التي رُوِي عن صحابيّ فيه قولٌ مخرَّجاً، وأشبه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن قوله: ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها﴾ عقيب قوله ﴿قُلِ ادْعُوا اللّهَ أوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أيّاً مّا تَدْعُوا فَلَهُ الأسْماءُ الحُسْنَى﴾ وعقيب تقريع الكفار بكفرهم بالقرآن، وذلك بعدهم منه ومن الإيمان. فإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى وأشبه بقوله ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها﴾ أن يكون من سبب ما هو في سياقه من الكلام، ما لم يأت بمعنى يوجب صرفه عنه، أو يكون على انصرافه عنه دليل يعلم به الانصراف عما هو في سياقه.

فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: قل ادعوا الله، أو ادعوا الرحمن، أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى، ولا تجهر يا محمد بقراءتك في صلاتك ودعائك فيها ربك ومسألتك إياه، وذكرك فيها، فيؤذيك بجهرك بذلك المشركون، ولا تخافت بها فلا يسمعها أصحابك ﴿وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سبِيلاً﴾ ولكن التمس بين الجهر والمخافتة طريقاً إلى أن تسمع أصحابك، ولا يسمعه المشركون فيؤذوك. ولولا أن أقوال أهل التأويل مضت بما ذكرت عنهم من التأويل، وأنا لا نستجير خلافهم فيما جاء عنهم، لكان وجهاً يحتمله التأويل أن يقال: ولا تجهر بصلاتك التي أمرناك بالمخافتة بها، وهي صلاة النهار لأنها عجماء، لا يجهر بها، ولا تخافت بصلاتك التي أمرناك بالجهر بها، وهي صلاة الليل، فإنها يجهر بها ﴿وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً﴾ بأن تجهر بالتي أمرناك بالجهر بها، وتخافت بالتي أمرناك بالمخافتة بها، لا تجهر بجميعها، ولا تخافت بكلها، فكان ذلك وجهاً غير بعيد من الصحة، ولكنا لا نرى ذلك صحيحاً لإجماع الحجة من أهل التأويل على خلافه. فإن قال قائل: فأية قراءة هذه التي بين الجهر والمخافتة؟ قيل:

حدثني مطر بن محمد، قال: ثنا قتيبة، ووهب بن جرير، قالا: ثنا شعبة، عن

الأشعث بن سليم، عن الأسود بن هلال، قال: قال عبد الله: لم يخافت من أسمع أذنيه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا شعبة، عن الأشعث، عن الأسود بن هلال، عن عبد الله، مثله.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَقُلْ﴾ يا محمد ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخذْ وَلَداً﴾ فيكون مربوباً لارباً، لأن ربّ الأرباب لا ينبغي أن يكون له ولد ﴿ولَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ﴾ فيكون عاجزاً ذا حاجة إلى معونة غيره ضعيفاً، ولا يكون إلهاً من يكون محتاجاً إلى معين على ما حاول، ولم يكن منفرداً بالمُلك والسلطان ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيّ مِنَ الذُلّ﴾ يقول: ولم يكن له حليف حالفه من الذلّ الذي به، لأن من كان ذا حاجة إلى نصرة غيره، فذليل مهين، ولا يكون من كان ذليلاً مهيناً يحتاج إلى ناصر إلهاً يطاع ﴿وكبرْهُ تَكْبيراً﴾ يقول: وعظم ربك يا محمد بما أمرناك أن تعظمه به من قول وفعل، وأطعه فيما أمرك ونهاك.

وبنحو الذي قلنا في قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيّ مِنَ الذُّلّ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿ولَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌ مِنَ الذُّلَ﴾ قال: لم يحالف أحداً، ولا يبتغي نصر أحد.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يعلّم أهله هذه الآية ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌ مِنَ الذُّلّ وكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾ الصغير من أهله والكبير.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا أبو الجنيد، عن جعفر، عن سعيد، عن ابن عباس، قال: إن التوراة كلها في خمس عشرة آية من بني إسرائيل، ثم تلا ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إلها آخَرَ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني أبو صخر، عن القُرَظي، أنه كان

يقول في هذه الآية: ﴿**الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً...**﴾ الآية. قال: إن اليهود والنصارى قالوا: اتخذ الله ولداً. وقالت العرب: لبيك، لبيك، لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك. وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذلّ الله، فأنزل الله: ﴿**وَقُلِ الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيّ مِنَ الذُّلّ وكبِّرْهُ**﴾ أنت يا محمد على ما يقولون ﴿**تَكْبِيراً**﴾.

آخر تفسير سورة بني إسرائيل، والحمد لله ربّ العالمين.

١٨ ـ سورة الكهف مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ قَيِّمًا ﴿١﴾﴾.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: الحمد لله الذي خصّ برسالته محمداً وانتخبه لبلاغها عنه، فابتعثه إلى خلقه نبياً مرسلاً، وأنزل عليه كتابه قيماً، ولم يجعل له عِوَجاً.

وعُنِي بقوله عزّ ذكره: ﴿قَيِّماً﴾ معتدلاً مستقيماً. وقيل: عُنِي به: أنه قيم على سائر الكتب يصدّقها ويحفظها. ذكر من قال: عني به معتدلاً مستقيماً:

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ولَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً﴾ يقول: أنزل الكتاب عَدلاً قيماً، ولم يجعل له عِوَجاً، فأخبر ابن عباس بقوله هذا مع بيانه معنى القيم أن القيم مؤخر بعد قوله، ولم يجعل له عوجاً، ومعناه التقديم بمعنى: أنزل الكتاب على عبده قَيِّماً.

حُدثت عن محمد بن زيد، عن جويبر، عن الضحاك، في قوله ﴿قَيِّماً﴾ قال: مستقيماً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق ﴿ولَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً﴾: أي معتدلاً لا اختلاف فيه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿ولَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً﴾ قال: أنزل الله الكتاب قيماً، ولم يجعل له عِوَجاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله ﴿الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الكِتابَ ولَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً﴾.

قال: وفي بعض القراءات: «وَلَكِنْ جَعَلَهُ قَيِّماً».

والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله ابن عباس، ومن قال بقوله في ذلك، لدلالة قوله: ﴿ولَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً﴾ فأخبر جلّ ثناؤه أنه أنزل الكتاب الذي أنزله إلى محمد ﷺ ﴿قَيِّماً﴾ مستقيماً لا اختلاف فيه ولا تفاوت، بل بعضه يصدق بعضاً، وبعضه يشهد لبعض، لا عِوَج فيه، ولا ميل عن الحقّ، وكُسرت العين من قوله ﴿عِوَجاً﴾ لأن العرب كذلك تقول في كلّ اعوجاج كان في دين، أو فيما لا يُرَى شخصه قائماً، فيُدْرَك عِياناً منتصباً كالعاج في الدين، ولذلك كُسِرت العين في هذا الموضع، وكذلك العِوَج في الطريق، لأنه ليس بالشخص المنتصب. فأما ما كان من عِوَج في الأشخاص المنتصبة قياماً، فإن عينها تفتح كالعَوج في القناة، والخشبة، ونحوها. وكان ابن عباس يقول في معنى قوله ﴿ولَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً﴾: ولم يجعل له ملتبساً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿ولَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً﴾ ولم يجعل له ملتبساً.

ولا خلاف أيضاً بين أهل العربية في أن معنى قوله ﴿قَيِّماً﴾ وإن كان مؤخراً، التقديم إلى جنب الكتاب. وقيل: إنما افتتح جلّ ثناؤه هذه السورة بذكر نفسه بما هو له أهل، وبالخبر عن إنزال كتابه على رسوله إخباراً منه للمشركين من أهل مكة، بأن محمداً رسوله ﷺ، وذلك أن المشركين كانوا سألوا رسول الله ﷺ عن أشياء علمهموها اليهود من قريظة والنضير، وأمروهم بمسألتهموه عنها، وقالوا: إن أخبركم بها فهو نبيٌّ، وإن لم يخبركم بها فهو متقوّل، فوعدهم رسول الله ﷺ للجواب عنها موعداً، فأبطأ الوحي عنه بعض الإبطاء، وتأخّر مجيء جبرائيل عليه السلام عنه عن ميعاده القوم، فتحدّث المشركون بأنه أخلفهم موعدَه، وأنه متقوّل، فأنزل الله هذه السورة جواباً عن مسائلهم، وافتتح أوّلها بذكره، وتكذيب المشركين في أحدوثتهم التي تحدّثوها بينهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني شيخ من أهل مصر، قدم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس فيما يروي أبو جعفر الطبري(١) قال: بعثت قريش النضْر بن الحارث، وعُقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصِفُوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأوّل،

---

(١) الظاهر: أن قوله «فيما يروي أبو جعفر الطبري»: من عبارة المؤلف عن نفسه، وليس يعني شخصاً آخر، ولا هو من تعبير بعض تلاميذه عنه.

وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء. فخرجا حتى قَدِما المدينة، فسألوا أحبار يهودَ عن رسول الله ﷺ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال: فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهنّ، فإن أخبركم بهنّ فهو نبيّ مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل، فَرَوْا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأوّل، ما كان من أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طَوّاف، بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك، فإنه نبيّ فاتَّبعوه، وإن هو لم يخبركم، فهو رجلٌ متقوّل، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضْر وعقبة حتى قَدِما مكة على قريش، فقالا: يا معشر قريش: قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهودَ أن نَسأله، عن أمور، فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أُخْبِرُكُمْ غَداً بِمَا سأَلْتُمْ عَنْهُ»، ولم يستثن[1] فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، لا يُحَدِث الله إليه في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام، حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعَدَنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه. وحتى أحزنَ رسول الله ﷺ مُكْثُ الوحي عنه، وشقّ عليه ما يتكلم به أهل مكة. ثم جاءه جبرائيل عليه السلام، من الله عزّ وجلّ، بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفِتية والرجل الطوّاف، وقول الله عزّ وجلّ ﴿**وَيَسألُونَكَ عَنِ الرُوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أمْرِ رَبّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً**﴾ قال ابن إسحاق: فبلغني أن رسول الله ﷺ افتتح السورة فقال ﴿**الحَمْدِ لِلّهِ الَّذِي أنْزَلَ على عَبْدِهِ الكِتابَ**﴾ يعني محمداً إنك رسولي في تحقيق ما سألوا عنه من نبوّته ﴿**ولَـمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً**﴾: أي معتدلاً، لا اختلاف فيه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أنزل على عبده القرآن معتدلاً مستقيماً لا عوج فيه لينذركم أيها الناس بأساً من الله شديداً. وعنى بالبأس العذاب العاجل، والنكال الحاضر والسطوة. وقوله: ﴿**مِنْ لَدُنْهُ**﴾ يعني: من عند الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

---

(١) أي لم يقل: «إن شاء الله». ويشير إليه قوله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق **﴿لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً﴾** عاجل عقوبة في الدنيا وعذاباً في الآخرة. **﴿مِنْ لَدنْهُ﴾**: أي من عند ربك الذي بعثك رسولاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق بنحوه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾**: أي من عنده.

فإن قال قائل: فأين مفعول قوله **﴿لِيُنْذِرَ﴾** فإن مفعوله محذوف اكتفى بدلالة ما ظهر من الكلام عليه من ذكره، وهو مضمر متصل بينذر قبل البأس، كأنه قيل: لينذركم بأساً، كما قيل: **﴿يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ﴾** إنما هو: يخوّفكم أولياءه.

وقوله: **﴿وَيُبَشِّرَ المُؤْمِنِينَ﴾** يقول: ويبشر المصدقين الله ورسوله **﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحات﴾** وهو العمل بما أمر الله بالعمل به، والانتهاء عما نهى الله عنه **﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾** يقول: ثواباً جزيلاً له من الله على إيمانهم بالله ورسوله، وعملهم في الدنيا الصالحات من الأعمال، وذلك الثواب: هو الجنة التي وعدها المتقون. وقوله: **﴿ماكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾** خالدين، لا ينتقلون عنه، ولا يُنَقَّلون ونصب ماكثين على الحال من قوله: **﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾** في هذه الحال في حال مكثهم في ذلك الأجر. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق **﴿وَيُبَشِّرَ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ماكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾**: أي في دار خلد لا يموتون فيها، الذين صدقوك بما جئت به عن الله، وعملوا بما أمرتهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ويحذر أيضاً محمد القوم **﴿الَّذِين قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾** من مشركي قومه وغيرهم، بأسَ الله وعاجلَ نقمته، وآجل عذابه، على قيلهم ذلك، كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق **﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾** يعني قريشاً في قولهم: إنما نعبد الملائكة، وهنّ بنات الله.

وقوله: ﴿ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ يقول: ما لقائلي هذا القول، يعني قولهم ﴿اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً﴾ ﴿بِهِ﴾: يعني بالله من علم، والهاء في قوله ﴿بِهِ﴾ من ذكر الله. وإنما معنى الكلام: ما لهؤلاء القائلين هذا القول بالله، إنه لا يجوز أن يكون له ولد من علم، فلجهلهم بالله وعظمته قالوا ذلك. وقوله: ﴿ولاَ لآبائِهِمْ﴾ يقول: ولا لأسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل الذي هم عليه اليوم، كان لهم بالله وبعظمته علم. وقوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أفْوَاهِهِمْ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدنيين والكوفيين والبصريين: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ بنصب كلمةً بمعنى: كبُرت كلمتهم التي قالوها كلمةً على التفسير، كما يقال: نعم رجلاً عمرو، ونعم الرجل رجلاً قام، ونعم رجلاً قام. وكان بعض نحويّي أهل البصرة يقول: نصبت كلمةً لأنها في معنى: أكْبِر بها كلمة، كما قال جلّ ثناؤه ﴿وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً﴾ وقال: هي في النصب مثل قول الشاعر:

ولَقَدْ عَلِمْتُ إذَا اللِّقاحُ تَرَوَّحَتْ هَدَجَ الرِّئالِ تَكُبُّهُنَّ شَمالا(١)

أي تكبهنّ الرياح شمالاً. فكأنه قال: كبرت تلك الكلمة. وذُكِر عن بعض المكيين أنه كان يقرأ ذلك: «كَبُرَتْ كَلِمَةٌ» رفعاً، كما يقال: عَظُم قولُك وكَبُر شأنُك. وإذا قرىء ذلك كذلك لم يكن في قوله ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ مُضمر، وكان صفة للكلمة.

والصواب من القراءة في ذلك عندي، قراءة من قرأ: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ نصباً لإجماع الحجة من القرّاء عليها، فتأويل الكلام: عَظُمت الكلمة كلمة تخرج من أفواه هؤلاء القوم الذين قالوا: اتخذ الله ولداً، والملائكة بنات الله، كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أفْوَاهِهِمْ﴾ قولهم: إن الملائكة بنات الله.

وقوله: ﴿إنْ يَقُولُونَ إلاَّ كَذِباً﴾ يقول عزّ ذكره: ما يقول هؤلاء القائلون اتخذ الله ولداً بقيلهم ذلك إلا كذباً وفرية افتروها على الله.

---

(١) البيت غير منسوب. واللقاح: هي النوق ذوات اللبن، تنتج في أول الربيع فتكون لقاحاً، واحدتها لقحة (بفتح اللام وكسرها) فلا تزال لقاحاً تى يدبر الصيف عنها. انظر «اللسان» لقح. وتروحت: عادت من مراعيها إلى مراحها. أو تروحت: أصابتها الريح. والهدج (بسكون الدال) مصدر هدج يهدج هدجاً وهدجاناً، وهو المشي الرويد في ضعف. يقال: هدج الظليم يهدج هدجانا والرئال: جمع رأل، وهو ولد النعام، وخص بعضهم به الحولي. ويقال في جمعه: أرؤل، ورئلان، ورئال، ورئالة «اللسان»: رأل وتكبهن: تلقيهن على صدورهن في الأرض. والشمال: الريح تهب من جهة الشمال. شبه سير اللقاح في رجوعها إلى مراحها يهدجان الرئال، وهو مشي ضعيف يريد أن اللقاح في ذلك الوقت تهدج في سيرها هدج الرئال حين تسوقهن ريح الشمال.
والشاهد في قوله: تكبهن شمالاً، فإن شمالاً منصوب على التمييز، وهو محول عن الفاعل. والأصل تكبهن شمال. وهو نظير نصب كلمة من قوله تعالى: ﴿كبرت كلمة﴾ فإن كلمة منصوبة على التمييز وهو تمييز نسبة محول عن الفاعل والأصل كبرت كلمة (بالرفع).

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾

يعني تعالى ذكره بذلك: فلعلك يا محمد قاتلُ نفسك ومهلكها على آثار قومك الذين قالوا لك ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعاً﴾ تمرّداً منهم على ربهم، إن هم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذي أنزلته عليك فيصدّقوا بأنه من عند الله حزناً وتلهفاً ووجداً، بإدبارهم عنك، وإعراضهم عما أتيتهم به وتركهم الإيمان بك. يقال منه: بخع فلان نفسه يبخعها بَخْعاً وبخوعاً ومنه قول ذي الرُّمة:

ألا أيُّهَذَا البَاخِعُ الوَجْدُ نَفْسَهُ ... لِشَيْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدَيْهِ المَقَادِرُ[1]

يريد: نحّته فخفف.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿باخِعٌ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَلَعَلَّك باخِعٌ نَفْسَكَ﴾ يقول: قاتل نفسك.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا مَعْمر، عن قتادة مثله.

وأما قوله: ﴿أسَفاً﴾ فإنّ أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معناه: فلعلك باخع نفسك إن لم يؤمنوا بهذا الحديث غضباً.

---

(١) البيت في ديوان ذي الرمة طبع كيمبردج سنة ١٩١٩ (ص - ٢٥١) من القصيدة الثانية والثلاثين، وعدتها ثمانية وسبعون بيتاً. والباخع: القاتل. ونحته عدلته وصرفته. والبيت من شواهد أبي عبيدة في **«مجاز القرآن»** (١/ ٣٩٣) قال: «فلعلك باخع نفسك»: مهلك نفسك. قال ذو الرمة: «ألا أيهذا. . . . البيت». أي نحته، مشدد. ويقال: بخعت له نفسي ونصحي: أي جهدت له، وقال الفراء في **«معاني القرآن»** (الورقة ١٨٣ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩) باخع نفسك مخرج، وقاتل نفسك. ا هـ وفي **«اللسان»** بخع نفسه يبخعها بخعاً وبخوعاً: قتلها غيظاً أو غماً. وفي التنزيل «فلعلك باخع نفسك على آثارهم» قال الفراء: أي محرج نفسك، وقاتل نفسك. وقال ذو الرمة «ألا أيهذا. . . بشيء» البيت. قال الأخفش: بخعت لك نفسي ونصحي: أي جهدتها. أبخع بخوعاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفاً**﴾ قال: غضباً.

وقال آخرون: جَزَعاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله ﴿**أَسَفاً**﴾ قال: جزَعاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

وقال آخرون: معناه: حزناً عليهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**أَسَفاً**﴾ قال: حزناً عليهم.

وقد بيَّنا معنى الأسف فيما مضى من كتابنا هذا، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وهذه معاتبة من الله عزّ ذكره على وجده بمباعدة قومه إياه فيما دعاهم إليه من الإيمان بالله، والبراءة من الآلهة والأنداد، وكان بهم رحيماً.

وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق ﴿**فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفاً**﴾ يعاتبه على حزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم: أي لا تفعل.

وقوله: ﴿**إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا**﴾ يقول عزّ ذكره: إنا جعلنا ما على الأرض زينة للأرض ﴿**لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ يقول: لنختبر عبادنا أيُّهم أترك لها وأتبع لأمرنا ونهينا وأعمل فيها بطاعتنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث،

قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**ما عَلى الأرضِ زِينَةً لَهَا**﴾ قال: ما عليها من شيء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إنَّا جَعَلْنا ما عَلى الأرْضِ زِينَةً لَهَا**﴾ ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «إنَّ الدُّنيا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإنَّ اللّهَ مُسْتَخْلِفَكُمْ فِيها، فَناظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فاتَّقُوا الدُّنيا، واتَّقُوا النِّساءَ».

وأما قوله: ﴿**لِنَبْلُوَهُمْ أيُّهُمْ أحْسَنُ عَمَلاً**﴾ فإن أهل التأويل قالوا في تأويله نحو قولنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو عاصم العسقلاني، قال: ﴿**لِنَبْلُوَهُمْ أيُّهُمْ أحْسَنُ عَمَلاً**﴾ قال: أترك لها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق ﴿**إنَّا جَعَلْنا ما عَلى الأرْض زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أيُّهُمْ أحْسَنُ عَمَلاً**﴾ اختباراً لهم أيهم أتبع لأمري وأعمل بطاعتي.

وقوله: ﴿**وَإنَّا لَجاعِلُونَ ما عَلَيها صَعِيداً جُرزاً**﴾ يقول عزّ ذكره: وإنما لمخرّبوها بعد عمارتنا بما جعلنا عليها من الزينة، فمصيروها صعيداً جرزاً لا نبات عليها ولا زرع ولا غرس. وقد قيل: إنه أريد بالصعيد في هذا الموضع: المستوي بوجه الأرض، وذلك هو شبيه بمعنى قولنا في ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، وبمعنى الجرز، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وإنَّا لَجَاعِلُونَ ما عَلَيْها صَعِيداً جُرُزاً**﴾ يقول: يهلك كلّ شيء عليها ويبيد.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**صَعِيداً جُرُزاً**﴾ قال: بلقعاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَإنَّا لَجاعِلُونَ ما عَلَيها صَعِيداً جُرُزاً**﴾ والصعيد: الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق **﴿وَإنَّا لَجَاعِلُونَ ما عَلَيها صَعِيداً جُرُزاً﴾** يعني: الأرض إن ما عليها لفانٍ وبائد، وإن المرجع لإليّ، فلا تأس، ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿صَعِيداً جُرُزاً﴾** قال: الجزر: الأرض التي ليس فيها شيء، ألا ترى أنه يقول: **﴿أوَ لَمْ يَرَوْا أنّا نَسُوقُ الماءَ إلى الأرْضِ الجُرُزِ فنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً﴾** قال: والجرز: لا شيء فيها، لا نبات ولا منفعة. والصعيد: المستوي. وقرأ: **﴿لاَ تَرَى فِيها عِوَجاً وَلا أمْتاً﴾** قال: مستوية: يقال: جُرِزت الأرض فهي مجروزة، وجرزها الجراد والنعم، وأرَضُون أجْراز: إذا كانت لا شيء فيها. ويقال للسنة المجدبة: جُرُز وسنون أجراز لجدوبها ويبسها وقلَّة أمطارها قال الراجز:

قَدْ جَرَفَتْهُنَّ السُّنُونُ الأجْرَازْ(١)

يقال: أجرز القوم: إذا صارت أرضهم جُرُزاً، وجَرَزوا هم أرضهم: إذا أكلوا نباتها كله.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عَجَباً، فإن ما خلقت من السموات والأرض، وما فيهنّ من العجائب أعجب من أمر أصحاب الكهف، وحجتي بكل ذلك ثابتة على هؤلاء المشركين من قومك، وغيرهم من سائر عبادي. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿أمْ حَسِبْتَ أنَّ أصحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً﴾** قال محمد بن عمرو في حديثه، قال: ليسوا عجباً بأعجب

---

(١) البيت من مشطور الرجز. وهو من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (١/ ٣٩٤) قال جرزاً: أي غلظاً لا ينبت شيئاً، والجميع: أرضون أجراز. ويقال للسنة المجدبة: جرز، وسنون أجراز، لجدوبها، ويبسها، وقلة مطرها. ثم أنشد بيتاً لذي الرمة، ثم بيت الشاهد، والبيت أيضاً من شواهد «**اللسان**» جرز قال: وسنة جرز: إذ كانت جدبة. والجرز السنة المجدبة قال الراجز: «قد جرفتهن...» البيت. ومعنى جرفتهن: أي ذهبت بهن كلهن أو جلهن. والضمير راجع إلى إبله. ويجوز أن يكون معنى جرفتهن بالتشديد: هزلتهن، وذهبت بما فيهن من شحم ولحم، لقلة المرعى.

آياتنا. وقال الحارث في حديثه بقولهم: أعجب آياتنا: ليسوا أعجب آياتنا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً﴾ كانوا يقولون هم عجب.

حدثنا بشر، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً﴾ يقول: قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً﴾. أي وما قدروا من قَدْر فيما صنعت من أمر الخلائق، وما وضعت على العباد من حججي ما هو أعظم من ذلك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عَجَباً، فإن الذي آتيتك من العلم والحكمة أفضل منه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً﴾ يقول: الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم.

وإنما قلنا: إن القول الأوّل أولى بتأويل الآية، لأنّ الله عزّ وجلّ أنزل قصة أصحاب الكهف على نبيه احتجاجاً بها على المشركين من قومه على ما ذكرنا في الرواية عن ابن عباس، إذ سألوه عنها اختباراً منهم له بالجواب عنها صدقه، فكان تقريعهم بتكذيبهم بما هو أوكد عليهم في الحجة مما سألوا عنهم، وزعموا أنهم يؤمنون عند الإجابة عنه أشبه من الخبر عما أنعم الله على رسوله من النعم.

وأما الكهف، فإنه كهف الجبل الذي أوى إليه القوم الذين قصّ الله شأنهم في هذه السورة.

وأما الرقيم، فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ به، فقال بعضهم: هو اسم قرية، أو واد على اختلاف بينهم في ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى بن عبد الأعلى وعبد الرحمن، قالا: ثنا سفيان، عن الشيبانيّ، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: يزعم كعب أن الرقيم: القرية.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

ابن عباس ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصحَابَ الكَهفِ والرَّقِيمِ﴾ قال: الرقيم: واد بين عُسْفان وأَيلة دون فلسطين، وهو قريب من أيلة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت أبي، عن عطية، قال: الرقيم: واد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصحَابَ الكَهفِ والرَّقِيمِ﴾ كنَّا نحدّث أن الرقيم: الوادي الذي فيه أصحاب الكهف.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله ﴿الرَّقِيمِ﴾ قال: يزعم كعب: أنها القرية.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، في قوله: ﴿الرَّقِيمِ﴾ قال: يقول بعضهم: الرقيم: كتاب تبانهم. ويقول بعضهم: هو الوادي الذي فيه كهفهم.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول: أما الكهف: فهو غار الوادي، والرقيم: اسم الوادي.

وقال آخرون: الرقيم: الكتاب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصحَابَ الكهفِ والرَّقِيمِ﴾ يقول: الكتاب.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: ثنا أبي، عن ابن قيس، عن سعيد بن جبير، قال: الرقيم: لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف، ثم وضعوه على باب الكهف.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: الرقيم: كتاب، ولذلك الكتاب خبر فلم يخبر الله عن ذلك الكتاب وعما فيه، وقرأ: ﴿وَما أَدْرَاكَ ما عِلِّيُّونَ كِتابٌ مَرْقُومٌ يَشهدُهُ المُقَرَّبُون﴾ ﴿وَما أَدْرَاكَ ما سِجِّينٌ كتابٌ مرْقُومٌ﴾.

وقال آخرون: بل هو اسم جبل أصحاب الكهف.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: الرقيم: الجبل الذي فيه الكهف.

قال أبو جعفر: وقد قيل إن اسم ذلك الجبل: بنجلوس.

حدثنا بذلك ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: وقد قيل: إن اسمه بناجلوس.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الجَبْئي[1] أن اسم جبل الكهف: بناجلوس. واسم الكهف: حيزم. والكلب: حُمران. وقد رُوي عن ابن عباس في الرقيم ما:

حدثنا به الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا إسرائيل عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كلّ القرآن أعلمه، إلا حناناً، والأوّاه، والرقيم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عمرو بن دينار، أنه سمع عكرمة يقول: قال ابن عباس: ما أدري ما الرقيم، أكتاب، أم بنيان؟.

وأولى هذه الأقوال بالصواب في الرقيم أن يكون معنياً به: لوح، أو حجر، أو شيء كُتب فيه كتاب. وقد قال أهل الأخبار: إن ذلك لوح كُتب فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم حين أوَوْا إلى الكهف. ثم قال بعضهم: رُفع ذلك اللوح في خزانة الملك. وقال بعضهم: بل جُعل على باب كهفهم. وقال بعضهم: بل كان ذلك محفوظاً عند بعض أهل بلدهم. وإنما الرقيم: فعيل. أصله: مرقوم، ثم صُرف إلى فعيل، كما قيل للمجروح: جريح، وللمقتول: قتيل، يقال منه: رقمت كذا وكذا: إذا كتبته، ومنه قيل للرقم في الثوب رقم، لأنه الخطّ الذي يعرف به ثمنه. ومن ذلك قيل للحيَّة: أرقم، لما فيه من الآثار والعرب تقول: عليك بالرقمة، ودع الضفة: بمعنى عليك برقمة الوادي حيث الماء، ودع الضفة الجانبة. والضفتان: جانبا الوادي. وأحسب أن الذي قال الرقيم: الوادي، ذهب به إلى هذا، أعني به إلى رقمة الوادي.

---

(١) شعيب الجبئي: هو شعيب بن الأسود الجبئي المحدث من أقران طاوس، أخذ عنه محمد بن إسحاق وسلمة بن وهران. وهو منسوب إلى الجبأ، بالهمز والقصر، كما قال الهمداني في صفة جزيرة العرب في مواضع. وهو كرورة المعافر، بالقرب من الجند (انظر «معجم ما استعجم» للبكري طبعة القاهرة، في رسم الحبأ (ص - ٣٦٠)).

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿**أم حَسِبْتَ أنَّ أصحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً**﴾ حين أوى الفتية أصحاب الكهف إلى كهف الجبل، هرباً بدينهم إلى الله، فقالوا إذ أووه: ﴿**رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً**﴾ رغبة منهم إلى ربهم، في أن يرزقهم من عنده رحمة. وقوله: ﴿**وَهَيِّىءْ لَنا مِنْ أمْرِنا رَشَداً**﴾ يقول: وقالوا: يسِّر لنا بما نبتغي وما نلتمس من رضاك والهرب من الكفر بك، ومن عبادة الأوثان التي يدعونا إليها قومنا، ﴿**رَشَداً**﴾ يقول: سَداداً إلى العمل بالذي تحبّ.

وقد اختلف أهل العلم في سبب مصير هؤلاء الفِتية إلى الكهف الذي ذكره الله في كتابه، فقال بعضهم: كان سبب ذلك، أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى، وكان لهم ملك عابد وَثَن، دعاهم إلى عبادة الأصنام فهربوا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن دينهم، أو يقتلهم، فاستخفَوا منه في الكهف.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو في قوله: ﴿**أصحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ**﴾ كانت الفِتية على دين عيسى على الإسلام، وكان ملكهم كافراً، وقد أخرج لهم صنماً، فأبَوا، وقالوا: ﴿**رَبُّنا رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِه إلها لَقَدْ قُلْنا إذاً شَطَطاً**﴾ قال: فاعتزلوا عن قومهم لعبادة الله، فقال أحدهم: إنه كان لأبي كهف يأوي فيه غنمه، فانطلقوا بنا نكن فيه، فدخلوه، وفُقدوا في ذلك الزمان فطُلبوا، فقيل: دخلوا هذا الكهف، فقال قومهم: لا نريد لهم عقوبة ولا عذاباً أشدّ من أن نردم عليهم هذا الكهف، فبنوه عليهم ثم ردموه. ثم إن الله بعث عليهم ملكاً على دين عيسى، ورفع ذلك البناء الذي كان ردم عليهم، فقال بعضهم لبعض: ﴿**كَمْ لَبِثْتُمْ**﴾؟ فـ ﴿**قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أوْ بَعْضَ يَوْمٍ...**﴾ حتى بلغ ﴿**فابْعَثُوا أحدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إلى المَدِينَةِ**﴾ وكان ورِق ذلك الزمان كباراً، فأرسلوا أحدهم يأتيهم بطعام وشراب فلما ذهب ليخرج، رأى على باب الكهف شيئاً أنكره فأراد أن يرجع، ثم مضى حتى دخل المدينة، فأنكر ما رأى، ثم أخرج درهماً، فنظروا إليه فأنكروه، وأنكروا الدرهم، وقالوا: من أين لك هذا؟ هذا من ورق غير هذا الزمان، واجتمعوا عليه يسألونه، فلم يزالوا به حتى انطلقوا به إلى ملكهم، وكان لقومهم لوح يكتبون فيه ما يكون، فنظروا في ذلك اللوح، وسأله الملك، فأخبره بأمره، ونظروا في الكتاب

متى فقد، فاستبشروا به وبأصحابه، وقيل له: انطلق بنا فأرنا أصحابك، فانطلق وانطلقوا معه، ليريهم، فدخل قبل القوم، فضرب على آذانهم، فقال الذين غلبوا على أمرهم: ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِداً**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: مَرِج أمر أهل الإنجيل وعظُمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك، حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت، وفيهم على ذلك بقايا على أمر عيسى ابن مريم، متمسكون بعبادة الله وتوحيده، فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم، ملك من الروم يقال له: دَقْيَنوس، كان قد عبد الأصنام، وذبح للطواغيت، وقتل من خالفه في ذلك ممن أقام على دين عيسى ابن مريم. كان ينزل في قُرى الروم، فلا يترك في قرية ينزلها أحداً ممن يدين بدين عيسى ابن مريم إلا قتله، حتى يعبد الأصنام، ويذبح للطواغيت، حتى نزل دقينوس مدينة الفِتية أصحاب الكهف فلما نزلها دقينوس كبر ذلك على أهل الإيمان، فاستَخْفَوا منه وهربوا في كلّ وجه. وكان دقينوس قد أمر حين قدمها أن يتبع أهل الإيمان فيُجمعوا له، واتخذ شُرَطاً من الكفّار من أهلها، فجعلوا يتبعون أهل الإيمان في أماكنهم التي يستخفون فيها، فيستخرجونهم إلى دقينوس، فقدمهم إلى المجامع التي يذبح فيها للطواغيت فيخيرهم بين القتل، وبين عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، فمنهم من يرغب في الحياة ويُفْظَع بالقتل فيَفتِتن، ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك أهل الصلابة من أهل الإيمان بالله، جعلوا يُسْلمون أنفسهم للعذاب والقتل، فيقتلون ويقطعون، ثم يربط ما قطع من أجسادهم، فيعلَّق على سور المدينة من نواحيها كلها، وعلى كلّ باب من أبوابها، حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان، فمنهم من كفر فُترك، ومنهم من صُلب على دينه فقُتل فلما رأى ذلك الفِتية أصحاب الكهف، حزنوا حزناً شديداً، حتى تغيرت ألوانهم، وَنحِلت أجسامهم، واستعانوا بالصلاة والصيام والصدقة، والتحميد، والتسبيح، والتهليل، والتكبير، والبكاء، والتضرّع إلى الله، وكانوا فتية أحداثاً أحراراً من أبناء أشراف الروم.

فحدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: لقد حُدّثت أنه كان على بعضهم من حداثة أسنانه وضح الورِق. قال ابن عباس: فكانوا كذلك في عبادة الله ليلهم ونهارهم، يبكون إلى الله، ويستغيثونه، وكانوا ثمانية نفر مَكْسِلمينا، وكان أكبرهم، وهو الذي كلّم الملك عنهم، ومَحْسيميلنينا، ويَمليخا، ومَرْطوس، وكشوطوش، وبيرونس، ودينموس، ويطونس قالوس[1] فلما أجمع دقينوس أن يجمع أهل القرية

(١) قال القرطبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٦٠) وأما أسماء أهل الكهف فأعجمية، والسند في معرفتها واه، ونقلها عن الطبري.

لعبادة الأصنام، والذبح للطواغيت، بكوا إلى الله وتضرّعوا إليه، وجعلوا يقولون: اللهمّ ربّ السموات والأرض، لن ندعو من دونك إلهاً ﴿لَقَدْ قُلْنا إذاً شَطَطاً﴾ اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وادفع عنهم البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك، ومنعوا عبادتك إلا سرّاً، مستخفِينَ بذلك، حتى يعبدوك علانية. فبينما هم على ذلك، عرفهم عُرفاؤهم من الكفار، ممن كان يجمع أهل المدينة لعبادة الأصنام، والذبح للطواغيت، وذكروا أمرهم، وكانوا قد خَلَوا في مُصَلًى لهم يعبدون الله فيه، ويتضرّعون إليه، ويتوقّعون أن يُذْكَروا لدقينوس، فانطلق أولئك الكفرة حتى دخلوا عليهم مُصَلاَّهم، فوجدوهم سجوداً على وجوههم يتضرّعون، ويبكون، ويرغبون إلى الله أن ينجيهم من دقينوس وفتنته فلما رآهم أولئك الكفرة من عُرفائهم قالوا لهم: ما خَلَّفكم عن أمر الملك؟ انطلقوا إليه ثم خرجوا من عندهم، فرفعوا أمرهم إلى دقينوس، وقالوا: تجمع الناس للذبح لآلهتك، وهؤلاء فِتية من أهل بيتك، يسخَرون منك، ويستهزئون بك، ويعصُون أمرك، ويتركون آلهتك، يَعمِدون إلى مُصَلًى لهم ولأصحاب عيسى ابن مريم يصلون فيه، ويتضرّعون إلى إلههم وإله عيسى وأصحاب عيسى، فلم تتركهم يصنعون هذا وهم بين ظَهرانَي سلطانك ومُلكك، وهم ثمانية نفر: رئيسهم مكسلمينا، وهم أبناء عظماء المدينة؟ فلما قالوا ذلك لدقينوس، بعث إليهم، فأتى بهم من المصلَّى الذي كانوا فيه تفيض أعينهم من الدموع مُعَفرة وجوههم في التراب، فقال لهم: ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تُعبد في الأرض، وأن تجعلوا أنفسكم أُسْوة لسَراة أهل مدينتكم، ولمن حضر منّا من الناس؟ اختاروا مني: إما أن تذبحوا لآلهتنا كما ذبح الناس، وإما أن أقتلكم فقال مكسلمينا: إن لنا إلهاً نعبده ملأ السموات والأرض عَظَمتُه، لن ندعو من دونه إلهاً أبداً، ولن نقرّ بهذا الذي تدعونا إليه أبداً، ولكنا نعبد الله ربنا، له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصاً أبداً، إياه نعبد، وإياه نسأل النجاة والخير، فأما الطواغيت وعبادتها، فلن نقرّ بها أبداً، ولسنا بكائنين عُبّاداً للشياطين، ولا جاعلي أنفسنا وأجسادنا عُباداً لها، بعد إذ هدانا الله له رهبتَك، أو فَرَقاً من عبودتك، اصنع بنا ما بدا لك ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقينوس مثل ما قال. قال: فلما قالوا ذلك له، أمر بهم فنزع عنهم لبوس كان عليهم من لبوس عظمائهم، ثم قال: أما إذ فعلتم ما فعلتم فإني سأؤخركم أن تكونوا من أهل مملكتي وبطانتي، وأهل بلادي، وسأفرُغ لكم، فأنجز لكم ما وعدتكم من العقوبة، وما يمنعني أن أعجِّل ذلك لكم إلا أني أراكم فتياناً حديثة أسنانُكم، ولا أحبّ أن أهلككم حتى أستأني بكم، وأنا جاعل لكم أجلاً تَذكرون فيه، وتراجعون عقولكم. ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة، فُنزعت عنهم ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده. وانطلق دقينوس مكانه إلى مدينة سوى مدينتهم التي هم بها قريباً منها لبعض ما يريد من أمره.

فلما رأى الفِتية دقينوس قد خرج من مدينتهم بادروا قدومه، وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكر بهم، فأتمروا بينهم أن يأخذ كلّ واحد منهم نفقة من بيت أبيه، فيتصدّقوا منها، ويتزوّدوا بما بقي، ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له: بنجلوس فيمكثوا فيه، ويعبدوا الله حتى إذا رجع دقينوس أتوه فقاموا بين يديه، فيصنع بهم ما شاء. فلما قال ذلك بعضهم لبعض، عمد كلّ فتى منهم، فأخذ من بيت أبيه نفقة، فتصدّق منها، وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم، واتبعهم كلْب لهم، حتى أتوا ذلك الكهف الذي في ذلك الجبل، فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد، ابتغاء وجه الله تعالى، والحياة التي لا تنقطع، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يُقال له يمليخا، فكان على طعامهم، يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرّا من أهلها وذلك أنه كان من أجملهم وأجلدهم، فكان يمليخا يصنع ذلك، فإذا دخل المدينة يضع ثياباً كانت عليه حساناً، ويأخذ ثياباً كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها، ثم يأخذ وَرِقه، فينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاماً وشراباً، ويتسمّع ويتجسّس لهم الخبر، هل ذكر هو وأصحابه بشيء من ملإ المدينة، ثم يرجع إلى أصحابه بطعامهم وشرابهم، ويخبرهم بما سمع من أخبار الناس، فلبثوا بذلك ما لبثوا.

ثم قدم دقينوس الجبّار المدينة التي منها خرج إلى مدينته، وهي مدينة أَفْسوس فأمر عظماء أهلها، فذبحوا للطواغيت، ففزع من ذلك أهل الإيمان، فتخبأوا من كلّ مخبأ وكان يمليخا بالمدينة يشتري لأصحابه طعامهم وشرابهم ببعض نفقتهم، فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل، فأخبرهم أن الجبار دقينوس قد دخل المدينة، وأنهم قد ذُكروا وافتقدوا والتمسوا مع عظماء أهل المدينة ليذبحوا للطواغيت فلما أخبرهم بذلك، فزعوا فزعاً شديداً، ووقعوا سجوداً على وجوههم يدعون الله، ويتضرّعون إليه، ويتعوّذون به من الفتنة ثم إن يمليخا قال لهم: يا إخوتاه، ارفعوا رؤوسكم، فاطعَموا من هذا الطعام الذي جئتكم به، وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤوسهم، وأعينهم تفيض من الدمع حذراً وتخوّفاً على أنفسهم، فطعموا منه، وذلك مع غروب الشمس، ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون، ويذكر بعضهم بعضاً على حزن منهم، مشفقين مما أتاهم به صاحبهم من الخبر.

فبيناهم على ذلك، إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف سنين عدداً، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، فأصابهم ما أصابهم وهم مؤمنون مُوقنون، مصدّقون بالوعد، ونفقتهم موضوعة عندهم فلما كان الغد فقدهم دقينوس، فالتمسهم فلم يجدهم، فقال لعظماء أهل المدينة: لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا. لقد كانوا يظنون أن بي غضباً عليهم فيما صنعوا في أوّل شأنهم، لجهلهم ما جهلوا من أمري، ما كنت لأجهل عليهم في نفسي، ولا أؤاخذ أحداً منهم بشيء إن هم تابوا وعبدوا آلهتي، ولو فعلوا لتركتهم، وما عاقبتهم بشيء سلف منهم. فقال له عظماء أهل المدينة: ما أنت بحقيق أن ترحم قوماً

فجرة مَرَدة عُصاة، مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم، وقد كنتَ أجَّلتهم أجلاً، وأخَّرتهم عن العقوبة التي أصبت بها غيرهم، ولو شاؤوا لرجعوا في ذلك الأجل، ولكنهم لم يتوبوا ولم ينزعوا ولم يندموا على ما فعلوا، وكانوا منذ انطلقت يبذّرون أموالهم بالمدينة فلما علموا بقدومك فرّوا فلم يُروا بعد. فإن أحببت أن تُؤْتَى بهم، فأرسل إلى آبائهم فامتحنهم، واشدُد عليهم يدُلوك عليهم، فإنهم مختبئون منك.

فلما قالوا ذلك لدقينوس الجبار، غضب غضباً شديداً، ثم أرسل إلى آبائهم، فأتي بهم فسألهم عنهم وقال: أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوا أمري، وتركوا آلهتي ائتوني بهم، وأنبئوني بمكانهم فقال له آباؤهم: أما نحن فلم نعص أمرك ولم نخالفك. قد عبدنا آلهتك وذبحنا لهم، فلم تقتلنا في قوم مَرَدة، قد ذهبوا بأموالنا فبذّروها وأهلكوها في أسواق المدينة، ثم انطلقوا، فارتقوا في جبل يدعى بنجلوس، وبينه وبين المدينة أرض بعيدة هَرباً منك؟ فلما قالوا ذلك خلَّى سبيلهم، وجعل يأتمر ماذا يصنع بالفِتية، فألقى الله عزّ وجلّ في نفسه أن يأمر بالكهف فيُسدّ عليهم كرامة من الله، أراد أن يكرمهم، ويكرم أجساد الفتية، فلا يجول، ولا يطوف بها شيء، وأراد أن يحييهم، ويجعلهم آية لأمة تُستخلف من بعدهم، وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. فأمر دقينوس بالكهف أن يسدّ عليهم، وقال: دعوا هؤلاء الفتية المَرَدة الذين تركوا آلهتي فليموتوا كما هم في الكهف عطشاً وجوعاً، وليكن كهفهم الذي اختاروا لأنفسهم قبراً لهم ففعل بهم ذلك عدوّ الله، وهو يظنّ أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم، وقد تَوفَّى الله أرواحهم وفاة النوم، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، قد غَشَّاه الله ما غشاهم، يُقلَّبون ذات اليمين وذات الشمال.

ثم إن رجلين مؤمنين كانا في بيت الملك دقينوس يكتمان إيمانهما: اسم أحدهما بيدروس، واسم الآخر: روناس، فأتمرا أن يكتبا شأن الفتية أصحاب الكهف، أنسابهم وأسماءهم وأسماء آبائهم، وقصة خبرهم في لوحين من رَصاص، ثم يصنعا له تابوتاً من نحاس، ثم يجعلا اللوحين فيه، ثم يكتبا عليه في فم الكهف بين ظهراني البنيان، ويختما على التابوت بخاتمهما، وقالا: لعلّ الله أن يُظْهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة، فيعلم من فتح عليهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم، ففعلا ثم بنيا عليه في البنيان، فبقي دقينوس وقرنه الذين كانوا منهم ما شاء الله أن يبقوا، ثم هلك دقينوس والقرن الذي كانوا معه، وقرون بعده كثيرة، وخلفت الخلوف بعد الخلوف.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: كان أصحاب الكهف أبناء عظماء مدينتهم، وأهل شرفهم، فخرجوا فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعاد، فقال رجل منهم هو أسنهم: إني لأجد في نفسي شيئاً ما

أظنّ أن أحداً يجده، قالوا: ماذا تجد؟ قال: أجد في نفسي أن ربي ربّ السموات والأرض، وقالوا: نحن نجد. فقاموا جميعاً، فقالوا: ﴿**رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً**﴾، فاجتمعوا أن يدخلوا الكهف، وعلى مدينتهم إذ ذاك جبار يقال له دقينوس، فلبثوا في الكهف ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعاً رقداً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن عبد العزيز بن أبي روّاد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: كان أصحاب الكهف فتياناً ملوكاً مُطَوَّقين مُسَوَّرين ذوي ذوائب، وكان معهم كلب صيدهم، فخرجوا في عيد لهم عظيم في زيّ وموكب، وأخرجوا معهم آلهتم التي يعبدون. وقذف الله في قلوب الفتية الإيمان فآمنوا، وأخفى كلّ واحد منهم الإيمان عن صاحبه، فقالوا في أنفسهم من غير أن يظهر إيمان بعضهم لبعض: نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لا يصيبنا عقاب بجرمهم. فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظلّ شجرة، فجلس فيه، ثم خرج آخر فرآه جالساً وحده، فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر منه، فجاء حتى جلس إليه، ثم خرج الآخرون، فجاؤوا حتى جلسوا إليهما، فاجتمعوا، فقال بعضهم: ما جمعَكم؟ وقال آخر: بل ما جمعكم؟ وكلّ يكتم إيمانه من صاحبه مخافة على نفسه، ثم قالوا: ليخرج منكم فَتَيان، فيخْلُوَا، فيتواثقا أن لا يفشيَ واحد منهما على صاحبه، ثم يفشي كلّ واحد منهما لصاحبه أمره، فإنا نرجو أن نكون على أمر واحد. فخرج فَتَيان منهم فتواثقا، ثم تكلما، فذكر كلّ واحد منهما أمره لصاحبه، فأقبلا مستبشَرين إلى أصحابهما قد اتفقا على أمر واحد، فإذا هم جميعاً على الإيمان، وإذا كهف في الجبل قريب منهم، فقال بعضهم لبعض: ائتوا إلى الكهف ﴿**يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّىءْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً**﴾ فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا، فجعله الله عليهم رقدة واحدة، فناموا ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعاً. قال: وفقدهم قومُهم فطلبوهم وبعثوا البرد، فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم. فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح: فلان ابن فلان، وفلان ابن فلان أبناء ملوكنا، فَقَدناهم في عيد كذا وكذا في شهر كذا وكذا في سنة كذا وكذا، في مملكة فلان ابن فلان ورفعوا اللوح في الخزانة. فمات ذلك الملك وغلب عليهم ملك مسلم مع المسلمين، وجاء قرن بعد قرن، فلبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعاً.

وقال آخرون: بل كان مصيرهم إلى الكهف هرباً من طلب سلطان كان طلبهم بسبب دَعوى جناية ادّعى على صاحب لهم أنه جناها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: أخبرني

إسماعيل بن شروس، أنه سمع وهب بن منبه يقول: جاء حواريّ عيسى ابن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف، فأراد أن يدخلها، فقيل له: إن على بابها صنماً لا يدخلها أحد إلاّ سجد له. فكره أن يدخلها، فأتى حَمَّاماً، فكان فيه قريباً من تلك المدينة، فكان يعمل فيه يؤاجر نفسه من صاحب الحمام. ورأى صاحب الحمام في حمامه البركة ودرّ عليه الرزق، فجعل يعرض عليه الإسلام، وجعل يسترسل إليه، وعلقه فتية من أهل المدينة، وجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة، حتى آمنوا به وصدّقوه، وكانوا على مثل حاله في حُسْن الهيئة. وكان يشترط على صاحب الحمّام أن الليل لي لا تحول بيني وبين الصلاة إذا حضرت فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة، فدخل بها الحمام، فعيَّره الحواريّ، فقال: أنت ابن الملك، وتدخل معك هذه النكداء؟ فاستحيا، فذهب فرجع مرّة أخرى، فقال له مثل ذلك، فسبه وانتهره ولم يلتفت حتى دخل ودخلت معه المرأة، فماتا في الحمام جميعاً. فأتى الملك، فقيل له: قتل صاحب الحمام ابنك فالتُمس، فلم يقدر عليه هرَباً، قال: من كان يصحبه؟ فسموا الفتية، فالتُمسوا، فخرجوا من المدينة، فمرّوا بصاحب لهم في زرع له، وهو على مثل أمرهم، فذكروا أنهم التُمسوا، فانطلق معهم الكلب، حتى أواهم الليل إلى الكهف، فدخلوه، فقالوا: نبيت ههنا الليلة، ثم نصبح إن شاء الله فترون رأيكم، فضرب على آذانهم. فخرج الملك في أصحابه يتبعونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف فكلما أراد رجل أن يدخُل أُرعب، فلم يطق أحد أن يدخله، فقال قائل: أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم؟ قال: بلى قال: فابن عليهم باب الكهف، ودعهم فيه يموتوا عطشاً وجوعاً، ففعل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿**فَضَرَبْنا على آذانِهِمْ فِي الكَهْفِ**﴾: فضربنا على آذانهم بالنوم في الكهف: أي ألقينا عليهم النوم، كما يقول القائل لآخر: ضربك الله بالفالِج، بمعنى ابتلاه الله به، وأرسله عليه. وقوله: ﴿**سِنِينَ عَدَداً**﴾ يعني سنين معدودة، ونصب العدد بقوله ﴿**فَضَرَبْنا**﴾. وقوله: ﴿**ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لنَعْلَمَ أيُّ الحِزبَيْنِ أحْصَى**﴾ يقول: ثم بعثنا هؤلاء الفتية الذين أوَوْا إلى الكهف بعد ما ضربنا على آذانهم فيه سنين عدداً من رقدتهم، لينظر عبادي فيعلموا بالبحث، أيُّ الطائفتين اللتين اختلفتا في قدر مبلغ مُكْث الفتية في كهفهم رقوداً ﴿**أحْصَى لِمَا لَبِثُوا أمَداً**﴾ يقول: أصوب لقدر لبثهم فيه أمداً ويعني بالأمد: الغاية، كما قال النابغة:

إلاَّ لِـمِثْـلِـكَ أوْ مَـنْ أنـتَ سـابِـقُـهُ سَبْقَ الجَوَادِ إذا اسْتَوْلَى على الأمَدِ[١]

وذُكر أن الذين اختلفوا في ذلك من أمورهم، قوم من قوم الفتية، فقال بعضهم: كان الحزبان جميعاً كافرين. وقال بعضهم: بل كان أحدهما مسلماً، والآخر كافراً. ذكر من قال: كان الحزبان من قوم الفتية:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿أيُّ الحِزْبينِ﴾** من قوم الفتية.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بنحوه.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله **﴿ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أيُّ الحِزْبَيْنِ أحْصَى لِما لَبِثُوا أمَداً﴾** يقول: ما كان لواحد من الفريقين علم، لا لكفارهم ولا لمؤمنيهم.

وأما قوله: **﴿أمَداً﴾** فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه، فقال بعضهم: معناه: بعيداً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله **﴿لِمَا لَبِثُوا أمَداً﴾** يقول: بعيداً.

وقال آخرون: معناه: عدداً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿أمَداً﴾** قال: عدداً.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

---

(١) البيت للنابغة الذبياني في «**مختار الشعر الجاهلي**»، بشرح مصطفى السقا، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (ص - ١٥٢) من قصيدته التي مطلعها: «يا دارمية بالعلياء فالسند» وهي خمسون بيتاً، والشاهد هو السادس والعشرون منها. قال شارحه: الأمد: الغاية التي تجري إليها (وعلى هذا استشهد المؤلف) يقول: لا تنطو على حقد وغضب، إلا لمن هو مثلك في الناس، أو قريب منك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

وفي نصب قوله ﴿أَمَداً﴾ وجهان: أحدهما أن يكون منصوباً على التفسير من قوله ﴿أحْصَى﴾ كأنه قيل: أيّ الحزبين أصوب عدداً لقدر لبثهم.

وهذا هو أولى الوجهين في ذلك بالصواب، لأن تفسير أهل التفسير بذلك جاء.

والآخر: أن يكون منصوباً بوقوع قوله ﴿لَبِثوا﴾ عليه، كأنه قال: أيّ الحزبين أحصى للبثهم غاية.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: نحن يا محمد نقصّ عليك خبر هؤلاء الفتية الذين أوَوْا إلى الكهف بالحقّ، يعني: بالصدق واليقين الذي لا شكّ فيه ﴿إنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ يقول: إن الفتية الذين أوَوْا إلى الكهف الذين سألك عن نبئهم الملأ من مشركي قومك، فتية آمنوا بربهم، ﴿وَزِدْناهُمْ هُدًى﴾ يقول: وزدناهم إلى إيمانهم بربهم إيماناً، وبصيرة بدينهم، حتى صبروا على هجران دار قومهم، والهرب من بين أظهرهم بدينهم إلى الله، وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش ولينه، إلى خشونة المكث في كهف الجبل.

وقوله: ﴿وَرَبَطْنا على قُلُوبِهِمْ﴾ يقول عزّ ذكره: وألهمناهم الصبر، وشددنا قلوبهم بنور الإيمان حتى عزفت أنفسهم عما كانوا عليه من خفض العيش، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة ﴿وَرَبَطْنا على قُلُوبِهِمْ﴾ يقول: بالإيمان.

وقوله: ﴿إذْ قامُوا فقالُوا رَبُّنا رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ يقول: حين قاموا بين يدي الجبار دقينوس، فقالوا له إذ عاتبهم على تركهم عبادة آلهته: ﴿ربُّنا رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ يقول: قالوا ربنا ملك السموات والأرض وما فيهما من شيء، وآلهتك مربوبة، وغير جائز لنا أن نترك عبادة الربّ ونعبد المربوب ﴿لَنْ نَدْعُوَ منْ دُونِه إلَها﴾ يقول: لن ندعو من دون ربّ السموات والأرض إلهاً، لأنه لا إله غيره، وإن كلّ ما دونه فهو خلقه ﴿لَقَدْ قُلْنا إذاً شَطَطاً﴾ يقول جلّ ثناؤه: لئن

دعونا إلهاً غير إله السموات والأرض، لقد قلنا إذن بدعائنا غيره إلهاً، شططاً من القول: يعني غالياً من الكذب، مجاوزاً مقداره في البطول والغلوّ: كما قال الشاعر:

أَلا يـا لَـقَـوْمـي قَـدْ أَشْـطَـتْ عَـوَاذِلـي ويـزْعُـمْـنَ أنْ أوْدَى بِـحَـقِّـيَ بـاطـلـي[1]

يقال منه: قد أشط فلان في السوم إذا جاوز القدر وارتفع، يشطّ إشطاطاً وشططاً. فأما من البعد فإنما يقال: شطّ منزل فلان يشطّ شطوطاً ومن الطول: شطت الجارية تشطّ شطاطاً وشطاطة: إذا طالت. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿**شَطَطاً**﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**لَقَدْ قُلْنا إذاً شَطَطاً**﴾ يقول كذباً.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**لَقَدْ قُلْنا إذاً شَطَطاً**﴾ قال: لقد قلنا إذن خطأً، قال: الشطط: الخطأ من القول.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾﴾.

يقول عزّ ذكره مخبراً عن قيل الفتية من أصحاب الكهف: هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها من دونه ﴿**لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ**﴾ يقول: هلا يأتون على عبادتهم إياها بحجة بينة. وفي الكلام محذوف اجتزىء بما ظهر عما حذف، وذلك في قوله: ﴿**لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ**﴾ فالهاء والميم في عليهم من ذكر الآلِهة، والآلهة لا يؤتى عليها بسلطان، ولا يُسأل السلطان عليها، وإنما يسأل عابدوها السلطان على عبادتهموها، فمعلوم إذ كان الأمر

---

(١) البيت للأحوص بن محمد. وهو من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (١/ ٣٩٤) قال: «قلنا إذا شططا» أي جورا وغلوا، قال: «ألا يا لقوم قد أشطت عواذلي»... البيت وذكر بعده بيتاً آخر، وهو:

وَيَـلْـحَـيْـنَـنِـي فـي الـلَّـهْـوِ أنْ لا أُحِـبُّـهُ ولِـلَّـهْـوِ دَاعٍ دائِـبٌ غَـيْـرُ غـافِـلِ

وفي «**اللسان**» شطط: الشطط: مجاوزة القدر في بيع أو طلب أو احتكام أو غير ذلك من كل شيء مشتق منه. اهـ. وقال: وشط في سلعته وأشط: جاوز القدر، وتباعد عن الحق. وشط عليه في حكمه يشط شططاً. واشتط، وأشط: جار في قضيته. وقال أبو عبيد: شططت أشط بضم الشين، وأشططت: جرت قال ابن بري: أشط بمعنى أبعد، وشط: بمعنى بعد. وشاهد أشط بمعنى أبعد، قول الأحوص:

ألا يـا لـقـومـي قـد أشـطـت عـواذلـي

..... البيت.

كذلك، أن معنى الكلام: لولا يأتون على عبادتهموها، واتخاذهموها آلهة من دون الله بسلطان بين. وبنحو ما قلنا في معنى السلطان، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ**﴾ يقول: بعذر بين.

وعنى بقوله عزّ ذكره: ﴿**فَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى على اللّهِ كَذِباً**﴾ ومن أشدّ اعتداء وإشراكاً بالله، ممن اختلق، فتخرّص على الله كذباً، وأشرك مع الله في سلطانه شريكاً يعبده دونه، ويتخده إلهاً.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل بعض الفتية لبعض: وإذا اعتزلتم أيها الفتية قومكم الذين اتخذوا من دون الله آلهة ﴿**وَما يَعْبُدُونَ إلاَّ اللّهَ**﴾ يقول: وإذا اعتزلتم قومكم الذين يعبدون من الآلهة سوى الله، ف «ما» إذ كان ذلك معناه في موضع نصب عطفاً لها على الهاء، والميم التي في قوله ﴿**وإذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ**﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**وَإذَ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَما يَعْبُدُونَ إلاَّ اللّهَ**﴾ وهي في مصحف عبد الله: «وَما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ» هذا تفسيرها.

وأما قوله: ﴿**فَأْوُوا إلى الكَهْفِ**﴾ فإنه يعني به: فصيروا إلى غار الجبل الذي يسمَّى بنجلوس، ﴿**يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ**﴾ يقول: يبسط لكم ربكم من رحمته بتيسيره لكم المخرج من الأمر الذي قد رُمِيتم به من الكافر دقينوس وطلبه إياكم لعرضكم على الفتنة.

وقوله: ﴿**فَأْوُوا إلى الكَهْفِ**﴾ جواب لإذ، كأن معنى الكلام: وإذ اعتزلتم أيها القوم قومكم، فأْوُوا إلى الكهف كما يقال: إذ أذنبت فاستغفر الله وتب إليه.

وقوله: ﴿**ويُهَيِّىءْ لَكُمْ مِنْ أمْرِكُمْ مِرْفَقاً**﴾ يقول: وييسر لكم من أمركم الذي أنتم فيه من الغمّ والكرب خوفاً منكم على أنفسكم ودينكم مرفقاً، ويعني بالمرفق: ما ترتفقون به من شيء. وفي المرفق من اليد وغير اليد لغتان: كسر الميم وفتح الفاء، وفتح الميم وكسر الفاء. وكان

الكسائي يُنكر في مِرْفَق الإنسان الذي في اليد إلا فتح الفاء وكسر الميم. وكان الفرّاء يحكي فيهما، أعني في مرفق الأمر واليد اللغتين كلتيهما، وكان ينشد في ذلك قول الشاعر:

بتُّ أُجافي مِرْفَقاً عَنْ مِرْفَقي[١]

ويقول: كسر الميم فيه أجود.

وكان بعض نحويّي أهل البصرة يقول في قوله: ﴿مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً﴾ شيئاً ترتفقون به مثل المقطع، ومرفقاً جعله اسماً كالمسجد، ويكون لغة، يقولون: رفق يَرْفُق مَرْفقاً، وإن شئت مَرْفقاً تريد رفقاً ولم يُقرأ.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك. فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة: «ويُهَيِّيء لَكُمْ مِنْ أمْرِكُمْ مَرْفِقاً» بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأته عامّة قرّاء العراق في المصرين ﴿مِرْفَقاً﴾ بكسر الميم وفتح الفاء.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان بمعنى واحد، قد قرأ بكلّ واحدة منهما قرّاء من أهل القرآن، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن الذي أختار في قراءة ذلك: ﴿ويُهَيِّيء لَكُمْ أمْرِكُمْ مِرْفَقاً﴾ بكسر الميم وفتح الفاء، لأن ذلك أفصح اللغتين وأشهرهما في العرب، وكذلك ذلك في كلّ ما ارتُفق به من شيء.

القول في تاويل قوله تعالى

﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ﴾ يامحمد ﴿إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ﴾.

---

(١) هذا بيت من الرجز، استشهد به المؤلف على أن المرفق الذي يرتفق به وينتفع: يجوز فيه فتح الميم مع كسر الراء وكسر الميم مع فتح. وكذلك مرفق اليدين، وهو موافق لما قاله الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ١٨٤ من مصورة الجامعة) قال: وقوله «من أمركم مرفقاً» كسر الميم الأعمش والحسن، ونصبها أهل المدينة وعاصم؛ فكأن الذين فتحوا الميم وكسروا الفاء، أرادوا أن يفرقوا بين المرفق من الأمر، والمرفق من الإنسان. وأكثر العرب على كسر الميم من الأمر ومن الإنسان. والعرب أيضاً تفتح الميم من مرفق الإنسان، لغتان فيهما. ا هـ. أما أبو عبيدة في«**مجاز القرآن**» (١/ ٣٩٥) فإنه قال: المرفق ما ارتفق به، ويقرؤه قوم مرفقاً (أي بالفتح) فأما في اليدين فهو مرفق. ولم أجد هذا الشاهد عند الفراء، ولا عند أبي عبيدة، ولا في «**لسان العرب**». ومعنى أجافي أبعد.

يعني بقوله: ﴿تَزَاوَرُ﴾: تعدِل وتميل، من الزَّوَر: وهو العِوَج والميل يقال منه: في هذه الأرض زَوَر: إذا كان فيها اعوجاج، وفي فلان عن فلان ازْورار، إذا كان فيه عنه إعراض ومنه قول بشر بن أبي خازم:

يَـؤُمُّ بِـهـا الـحُـدَاةُ مِـيـاهَ نَـخْـلٍ ... وَفِـيـهـا عَـنْ أبـانَـيـنِ ازْوِرَارُ(١)

يعني: إعراضاً وصدّاً.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة ومكة والبصرة: «تَزَّاوَرُ» بتشديد الزاي، بمعنى: تتزاور بتاءين، ثم أدغم إحدى التاءين في الزاي، كما قيل: تظّاهرون عليهم. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين: ﴿تَزَاوَرُ﴾ بتخفيف التاء والزاي، كأنه عنى به تفاعل من الزور. ورُوي عن بعضهم: «تَزْوَرّ» بتخفيف التاء وتسكين الزاي وتشديد الراء مثل تحمرُّ، وبعضهم: «تَزْوَارّ» مثل تحمارّ.

والصواب من القول في قراءة ذلك عندنا أن يقال: إنهما قراءتان، أعني ﴿تَزَاوَرُ﴾ بتخفيف الزاي، و ﴿تَزَّاوَرُ﴾ بتشديدها معروفتان، مستفيضة القراءة بكلّ واحدة منهما في قرّاء الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب. وأما القراءتان الأخريان فإنهما قراءتان لا أرى القراءة بهما، وإن كان لهما في العربية وجه مفهوم، لشذوذهما عما عليه قرأة الأمصار. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا محمد بن أبي الوضاح، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، قال: **﴿وَتَرى الشَّمْسَ إذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ﴾** قال: تميل.

---

(١) البيت لبشر بن أبي خازم. ذكره البكري في «**معجم ما استعجم**» طبع القاهرة (لجنة التأليف، بتحقيق مصطفى السقا) في رسم «أبان». قال: أبان: جبل. وهما أبانان: أبان الأبيض وأبان الأسود، بينهما نحو فرسخ، ووادي الرمة يقطع بينهما. فأبان الأبيض لبني جريد من بني فزارة خاصة، والأسود: لبني والبة، من بني الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد. وقال بشر فيهما «وفيها عن أبانين ازورار». وقال الأصمعي: أراد أبانا، فثناه للضرورة. ونخل، كما في «**معجم ما أستعجم**» على لفظ جمع نخلة، قال يعقوب: هي قرية بواد يقال له: شدخ، لفزارة وأشجع وأنمار وقريش والأنصار... على ليلتين من المدينة. أو هي ما بين القصة والثاملية. ويؤم بها: يقصد بالإبل، والحداة: جمع حاد، وهو سائق الإبل يحدو بها، ويغني لها. والازورار: الميل والعدول والإعراض عن الشيء، كما استشهد به المؤلف عند قوله تعالى: ﴿تزاور عن كهفهم﴾ أي تميل عنه وتنحرف.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس **﴿تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾** يقول: تميل عنهم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾** يقول: تميل عن كهفهم يميناً وشمالاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَتَرى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾** يقول: تميل ذات اليمين، تدعهم ذات اليمين.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزّاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾** قال: تميل عن كهفهم ذات اليمين.

حُدثت عن يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، عن يَعْلَى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لو أن الشمس تطلع عليهم لأحرقتهم، ولو أنهم لا يقلَّبون لأكلتهم الأرض، قال: وذلك قوله: **﴿وَتَرى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمالِ﴾**.

حدثني محمد بن سنان القزاز، قال: ثنا موسى بن إسماعيل، قال: ثنا محمد بن مسلم بن أبي الوضاح، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، قال: **﴿تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾** تميل.

وقوله: **﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمالِ﴾** يقول تعالى ذكره: وإذا غربت الشمس تتركهم من ذات شمالهم. وإنما معنى الكلام: وترى الشمس إذا طلعت تعدل عن كهفهم، فتطلع عليه من ذات اليمين، لئلا تصيب الفتية، لأنها لو طلعت عليهم قبالهم لأحرقتهم وثيابهم، أو أشحبتهم. وإذا غربت تتركهم بذات الشمال، فلا تصيبهم يقال منه: قرضت موضع كذا: إذا قطعته فجاوزته. وكذلك كان يقول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة. وأما الكوفيون فإنهم يزعمون أنه المحاذاة، وذكروا أنهم سمعوا من العرب قرضته قُبُلاً ودُبُراً، وحذوته ذات اليمين والشمال، وقُبلاً ودبراً: أي كنت بحذائه قالوا: والقرض والحذو بمعنى واحد. وأصل القرض: القطع، يقال منه: قرضت الثوب: إذا قطعته ومنه قيل للمقراض: مقراض، لأنه يقطع ومنه قرض الفأر الثوب ومنه قول ذي الرُّمَّة:

إلَـى ظُـعْـنٍ يَـقْـرِضْـنَ أجْـوَازَ مُـشْـرِفٍ ... شِـمَـالاً وعَـنْ أيْـمـانِـهِـنَّ الـفَـوَارِسُ[1]

يعني بقوله: يَقْرِضْن: يقطعن. وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثني أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ**﴾ يقول: تَذَرُهم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا محمد بن أبي الوضاح، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، قال ﴿**وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ**﴾ تتركهم ذات الشمال.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**تَّقْرِضُهُمْ**﴾ قال: تتركهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ**﴾ يقول: تدعهم ذات الشمال.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا مَعْمر، عن قتادة، قوله: ﴿**تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ**﴾ قال: تَدَعُهم ذات الشمال.

حدثنا ابن سنان القَزّاز، قال: ثنا موسى بن إسماعيل، قال: أخبرنا محمد بن مسلم بن أبي الوضّاح عن سالم، عن سعيد بن جبير ﴿**وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ**﴾ قال: تتركهم.

وقوله: ﴿**وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ**﴾ يقول: والفتية الذين أووا إليه في متسع منه يُجْمع: فَجَوات، وفِجَاء ممدوداً. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

---

(١) البيت في ديوان ذي الرمة طبع كيمبردج سنة ١٩١٩ (ص ـ ٣١٣) من القصيدة رقم ٤١، وعدة أبياتها ٥١ بيتاً. أي نظرت ـ إلى ظعن يقرضن أي يملن عنها. والفوارس: رمال بالدهناء. والبيت من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (١/ ٣٩٦)، قال: «تقرضهم ذات الشمال» أي تخلفهم شمالاً، وتجاوزهم وتقطعهم، وتتركهم عن شمالها. ويقال: هل مررت بمكان كذا وكذا؟ فيقول المسؤول: قرضته ذات اليمين ليلاً. وقال ذو الرمة:

إلـى ظـعـن يـقـرضـن أجـواز مـشـرف...

البيت. ومشرف والفوارس: موضعان بنجد، كما في «**معجم ما استعجم**» وأنشد البيت في رسم الفوارس، ونسبه إلى ذي الرمة. والظعن: جمع ظعينة، وهي المرأة في الهودج على جملها أو ناقتها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ**﴾ يقول: في فضاء من الكهف، قال الله: ﴿**ذلكَ مِنْ آياتِ الله**﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا محمد بن أبي الوضّاح، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير ﴿**وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ**﴾ قال: المكان الداخل.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿**وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ**﴾ قال: المكان الذاهب.

حدثني ابن سِنان، قال: ثنا موسى بن إسماعيل، قال: ثنا محمد بن مسلم أبو سعيد بن أبي الوضّاح، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير ﴿**فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ**﴾ قال: في مكان داخل.

وقوله: ﴿**ذلكَ مِنْ آياتِ اللّهِ**﴾ يقول عزّ ذكره: فعلنا هذا الذي فعلنا بهؤلاء الفتية الذين قصصنا عليكم أمرهم من تصييرناهم، إذ أردنا أن نضرب على آذانهم بحيث تزاور الشمس عن مضاجعهم ذات اليمين إذا هي طلعت، وتقرضهم ذات الشمال إذا هي غَرَبت، مع كونهم في المتسع من المكان، بحيث لاتُحرقهم الشمس فتُشحبهم، ولا تُبْلي على طول رقدتهم ثيابهم، فتعفَن على أجسادهم، من حجج الله وأدلته على خلقه، والأدلة التي يستدلّ بها أولو الألباب على عظيم قدرته وسلطانه، وأنه لا يُعجزه شيء أراده. وقوله ﴿**مَنْ يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ المُهْتَدِ**﴾ يقول عزّ وجلّ: من يوفّقه الله للاهتداء بآياته وحججه إلى الحقّ التي جعلها أدلة عليه، فهو المهتدي. يقول: فهو الذي قد أصاب سبيل الحقّ ﴿**وَمَنْ يُضْلِلْ**﴾ يقول: ومن أضله الله عن آياته وأدلته، فلم يوفقه للاستدلال بها على سبيل الرشاد ﴿**فَلَنْ تَجِد لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً**﴾ يقول: فلن تجد له يا محمد خليلاً وحليفاً يرشده لإصابتها، لأن التوفيق والخِذْلان بيد الله، يوفق من يشاء من عباده، ويخذل من أراد يقول: فلا يَحْزنْك إدبار من أدبر عنك من قومك وتكذيبهم إياك، فإني لو شئت هديتهم فآمنوا، وبيدي الهداية والضلال.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وتحسب يا محمد هؤلاء الفتية الذين قصصنا عليك قصتهم، لو رأيتهم في حال ضربنا على آذانهم في كهفهم الذي أووا إليه أيقاظاً. والأيقاظ: جمع يَقِظ ومنه قول الراجز:

وَوَجَدُوا إِخْوَتَهُمْ أَيْقَاظَا وسَيْفَ غَيَّاظٍ لَهُمْ غَيَّاظَا[١]

وقوله: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ يقول: وهم نيام. والرقود: جمع راقد، كالجلوس: جمع جالس، والقعود: جمع قاعد. وقوله: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينَ وَذَاتَ الشمالِ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ونقلّب هؤلاء الفتية في رقدتهم مرّة للجنب الأيمن، ومرّة للجنب الأيسر، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمالِ﴾ وهذا التقليب في رقدتهم الأولى. قال: وذُكر لنا أن أبا عياض قال: لهم في كل عام تقليبتان.

حُدثت عن يزيد، قال: أخبرنا سفيان بن حسين، عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمالِ﴾ قال: لو أنهم لا يقلّبون لأكلتهم الأرض.

وقوله: ﴿وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ﴾ اختلف أهل التأويل في الذي عنى الله بقوله: ﴿وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ فقال بعضهم: هو كلب من كلابهم كان معهم. وقد ذكرنا كثيراً ممن قال ذلك فيما مضى. وقال بعضهم: كان إنساناً[٢] من الناس طباخاً لهم تَبِعهم.

وأما الوصيد، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: هو الفِناء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿بالوَصِيد﴾ يقول: بالفناء.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مَهديّ، قال: ثنا محمد بن أبي الوضّاح، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير ﴿وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ﴾ قال: بالفناء.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: قال:

---

(١) البيتان في ديوان العجاج الراجز، في الملحق بديوانه (ص ـ ٨١ ـ ٨٢) من أرجوزة عدتها ١٩ بيتاً. ورقما البيتين فيها هما: (٨، ١٦) وهما من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (١ : ٣٩٧) قال «وتحسبهم أيقاظاً» واحدهم: يقظ. ورجال أيقاظ؛ وكذلك جمع يقظان: أيقاظ، يذهبون به إلى جمع يقظ. وقال رؤبة: «ووجدوا. . . . البيتين» وقد نسبهما لرؤبة، وهما في ديوان العجاج. وقد تداخلت أشعارهما على الرواية واللغويين. وغياظ: اسم رجل.

(٢) قوله «كان إنساناً الخ» كذا في الأصول وفي ابن كثير. وقيل كلب طباخ الملك، وقد كان وافقهم على الدين، وصحبه كلبه ا هـ.

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿بالوَصِيد﴾ قال: بالفناء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿بالوَصِيد﴾ قال: بالفناء. قال ابن جريج: يمسك باب الكهف.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ﴾ يقول: بفناء الكهف.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله: ﴿بالوَصِيدِ﴾ قال: بفناء الكهف.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿بالوَصِيدِ﴾ قال: يعني بالفناء.

وقال آخرون: الوَصِيد: الصعيد.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ﴾ يعني فناءهم، ويقال: الوصيد: الصعيد.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن هارون، عن عنترة، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ﴾ قال: الوصيد: الصعيد.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، عن عمرو، في قوله: ﴿وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ﴾ قال: الوصيد: الصعيد، التراب.

وقال آخرون: الوصيد الباب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا أبو عاصم، عن شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ﴾ قال: بالباب، وقالوا بالفناء.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: الوصيد: الباب، أو فناء الباب حيث يغلق الباب، وذلك أن الباب يُوصَد، وإيصاده: إطباقه وإغلاقه من قول الله عزّ وجلّ: ﴿إنَّهَا عَلَيهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾ وفيه لغتان: الأصيد، وهي لغة أهل نجد، والوصيد: وهي لغة أهل تهامة. وذُكِر عن أبي عمرو بن العلاء، قال: إنها لغة أهل اليمن، وذلك نظير قولهم: ورّخت الكتاب وأرخته، ووكدت الأمر وأكدته فمن قال الوصيد، قال: أوصدت الباب فأنا أُوصِده، وهو مُوصَد ومن قال

الأصيد، قال: آصدت الباب فهو مُؤْصَد، فكان معنى الكلام: وكلبهم باسط ذَراعيه بفناء كهفهم عند الباب، يحفظ عليهم بابه.

وقوله: ﴿**لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنهُمْ فِرَاراً**﴾ يقول: لو اطلعت عليهم في رقدتهم التي رقدوها في كهفهم، لأدبرت عنهم هارباً منهم فارّاً، ﴿**وَلَمِلِئْتَ مِنهُمْ رُعْباً**﴾ يقول: ولملئت نفسُك من اطلاعك عليهم فَزَعاً، لما كان الله ألبسهم من الهيبة، كي لا يصل إليهم واصل، ولا تلمِسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله، وتوقظهم من رقدتهم قدرته وسلطانه في الوقت الذي أراد أن يجعلهم عبرة لمن شاء من خلقه، وآية لمن أراد الاحتجاج بهم عليه من عباده، ليعلموا أن وعد الله حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**وَلُمِلِئْتَ مِنهُمْ رُعْباً**﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة بتشديد اللام من قوله: «ولُملِّئْتَ» بمعنى أنه كان يمتلىء مرّة بعد مرّة. وقرأ ذلك عامة قراء العراق: ﴿**وَلُمِلِئْتَ**﴾ بالتخفيف، بمعنى: لملئت مرّة، وهما عندنا قراءتان مستفيضتان في القراءة، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامٗا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٖ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: كما أرقدنا هؤلاء الفتية في الكهف، فحفظناهم من وصول واصل إليهم، وعين ناظر أن ينظر إليهم، وحفظنا أجسامهم من البلاء على طول الزمان، وثيابهم من العفن على مرّ الأيام بقدرتنا فكذلك بعثناهم من رقدتهم، وأيقظناهم من نومهم، لنعرّفهم عظيم سلطاننا، وعجيب فعلنا في خلقنا، وليزدادوا بصيرة في أمرهم الذي هم عليه من براءتهم من عبادة الآلهة، وإخلاصهم لعبادة الله وحده لا شريك له، إذا تبيَّنوا طول الزمان عليهم، وهم بهيئتهم حين رقدوا. وقوله: ﴿**لِيَتَساءَلُوا بَيْنَهُمْ**﴾ يقول: ليسأل بعضهم بعضاً ﴿**قالَ قائلٌ مِنهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ**﴾ يقول عزّ ذكره: فتساءلوا فقال قائل منهم لأصحابه: ﴿**كَمْ لبثتمْ**﴾ وذلك أنهم استنكروا من أنفسهم طول رقدتهم ﴿**قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أوْ بَعْضَ يَوْم**﴾ يقول: فأجابه الآخرون فقالوا: لَبِثنا يوماً أو بعض يوم. ظناً منهم أن ذلك كذلك كان، فقال الآخرون: ﴿**رَبُّكُمْ أعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ**﴾ فسلَّموا العلم إلى الله.

وقوله: ﴿**فابْعَثُوا أحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إلى المَدِينَةِ**﴾ يعني مدينتهم التي خرجوا منها هِراباً،

التي تسمى أفسوس ﴿فَلْيَنْظُرْ أيُّها أزْكَى طَعاماً فَلْيأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ ذكر أنهم هبوا من رقدتهم جياعاً، فلذلك طلبوا الطعام.

ذكر من قال ذلك، وذكر السبب الذي من أجله ذكر أنهم بعثوا من رقدتهم حين بعثوا منها:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: أخبرني إسماعيل بن بشروس، أنه سمع وهب بن منبه يقول: إنهم غبروا، يعني الفتية من أصحاب الكهف بعد ما بنى عليهم باب الكهف زماناً بعد زمان، ثم إن راعياً أدركه المطر عند الكهف، فقال: لو فتحت هذا الكهف وأدخلت غنمي من المطر، فلم يزل يعالجه حتى فتح ما أدخله فيه، وردّ إليهم أرواحهم في أجسامهم من الغد حين أصبحوا، فبعثوا أحدهم بورق يشتري طعاماً فلما أتى باب مدينتهم، رأى شيئاً يُنكره، حتى دخل على رجل فقال: بعني بهذه الدراهم طعاماً، فقال: ومن أين لك هذه الدراهم؟ قال: خرجت أنا وأصحاب لي أمس، فآوانا الليل، ثم أصبحوا، فأرسلوني، فقال: هذه الدراهم كانت على عهد مُلك فلان، فأنّى لك بها؟ فرفعه إلى الملك، وكان ملكاً صالحاً، فقال: من أين لك هذه الوَرق؟ قال: خرجت أنا وأصحاب لي أمس، حتى أدركَنا الليل في كهف كذا وكذا، ثم أمروني أن أشتري لهم طعاماً قال: وأين أصحابك؟ قال: في الكهف قال: فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف، فقال: دعوني أدخل على أصحابي قبلكم فلما رأوه، ودنا منهم ضُرِب على أذنه وآذانهم، فجعلوا كلما دخل رجل أرعب، فلم يقدروا على أن يدخلوا عليهم، فبنوا عندهم كنيسة، اتخذوها مسجداً يصلون فيه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، عن عكرمة، قال: كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم، رزقهم الله الإسلام، فتعوّذوا بدينهم، واعتزلوا قومهم، حتى انتهوا إلى الكهف، فضَرَب الله على سمعهم، فلبثوا دهراً طويلاً، حتى هَلكت أمتهم، وجاءت أمّة مسلمة، وكان ملكهم مسلماً، فاختلفوا في الروح والجسد، فقال قائل: يبعث الروح والجسد جميعاً وقال قائل: يُبعث الروح، فأما الجسد فتأكله الأرض، فلا يكون شيئاً فشقّ على ملكهم اختلافهم، فانطلق فلبس المُسُوح، وجلس على الرَّماد، ثم دعا الله تعالى فقال: أي ربّ، قد ترى اختلاف هؤلاء، فابعث لهم آية تبين لهم، فبعث الله أصحاب الكهف، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاماً، فدخل السوق، فجعل يُنكر الوجوه، ويعرف الطرق، ويرى الإيمان بالمدينة ظاهراً، فانطلق وهو مستخف حتى أتى رجلاً يشتري منه طعاماً فلما نظر الرجل إلى الوَرِق أنكرها، قال: حسبت أنه قال: كأنها أخفاف الرُّبَع، يعني الإبل الصغار، فقال له الفتى: أليس ملككم فلاناً؟ قال: بل ملكنا فلان فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك، فسأله، فأخبره الفتى خبر أصحابه، فبعث الملك في الناس، فجمعهم، فقال: إنكم قد اختلفتم

في الروح والجسد، وإن الله قد بعث لكم آية، فهذا رجل من قوم فلان، يعني ملكهم الذي مضى، فقال الفتى: انطلقوا بي إلى أصحابي فركب الملك، وركب معه الناس حتى انتهوا إلى الكهف فقال الفتى دعوني أدخل إلى أصحابي، فلما أبصرهم ضُرِب على أذنه وعلى آذانهم فلما استبطؤوه دخل الملك، ودخل الناس معه، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئاً، غير أنها لا أرواح فيها، فقال الملك: هذه آية بعثها الله لكم. قال قتادة: وعن ابن عباس، كان قد غزا مع حبيب بن مسلمة، فمرّوا بالكهف، فإذا فيه عظام، فقال رجل: هذه عظام أصحاب الكهف، فقال ابن عباس: لقد ذهبت عظامهم منذ أكثر من ثلاث مئة سنة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق فيما ذكر من حديث أصحاب الكهف، قال: ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تيذوسيس فلما ملك بقي ملكه ثمانياً وستين سنة، فتحزّب الناس في مُلكه، فكانوا أحزاباً، فمنهم من يؤمن بالله، ويعلم أنّ الساعة حقّ، ومنهم من يكذّب، فكبر ذلك على الملك الصالح تيذوسيس، وبكى إلى الله وتضرّع إليه، وحزن حزناً شديداً لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحقّ ويقولون: لا حياة إلا الحياة الدنيا، وإنما تُبعث النفوس، ولا تُبعث الأجساد، ونسُوا ما في الكتاب فجعل تيذوسيس يرسل إلى من يظنّ فيه خيراً، وأنهم أئمة في الحقّ، فجعلوا يكذّبون بالساعة، حتى كادوا أن يُحوّلوا الناس عن الحقّ ومِلة الحَواريين فلما رأى ذلك الملك الصالح تيذوسيس، دخل بيته فأغلقه عليه، ولبس مِسْحاً وجعل تحته رماداً، ثم جلس عليه، فدأب ذلك ليله ونهاره زماناً يتضرّع إلى الله، ويبكي إليه مما يرى فيه الناس ثم إن الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة العباد، أراد أن يَظْهر على الفتية أصحاب الكهف، ويبين للناس شأنهم، ويجعلهم آية لهم، وحجة عليهم، ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن يستجيب لعبده الصالح تيذوسيس، ويتمّ نعمته عليه، فلا ينزع منه مُلكه، ولا الإيمان الذي أعطاه، وأن يعبد الله لا يشرك به شيئاً، وأن يجمع من كان تبدّد من المؤمنين، فألقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي به الكهف، وكان الجبل بنجلوس الذي فيه الكهف لذلك الرجل، وكان اسم ذلك الرجل أولياس، أن يهدم البنيان الذي على فم الكهف، فيبني به حظيرة لغنمه، فاستأجر عاملين، فجعلا ينزعان تلك الحجارة، ويبنيان بها تلك الحظيرة، حتى نزعا ما على فم الكهف، حتى فتحا عنهم باب الكهف، وحجبهم الله من الناس بالرعب فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر إليهم غاية ما يمكنه أن يدخل من باب الكهف، ثم يتقدّم حتى يرى كلبهم دونهم إلى باب الكهف نائماً فلما نزعا الحجارة، وفتحا عليهم باب الكهف، أذن الله ذو القدرة والعظمة والسلطان محيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهري الكهف، فجلسوا فرحين مُسْفِرة وجوههم طيّبة أنفسهم، فسلّم بعضهم على بعض، حتى كأنما

استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون لها إذا أصبحوا من ليلتهم التي يبيتون فيها. ثم قاموا إلى الصلاة فصلَّوا، كالذي كانوا يفعلون، لا يرَون، ولا يُرَى في وجوههم، ولا أبشارهم، ولا ألوانهم شيء يُنكرونه كهيئتهم حين رقدوا بعشيّ أمس، وهم يرون أن ملكهم دقينوس الجبار في طلبهم والتماسهم.

فلما قضوا صلاتهم كما كانوا يفعلون، قالوا ليمليخا، وكان هو صاحب نفقتهم، الذي كان يبتاع لهم طعامهم وشرابهم من المدينة، وجاءهم بالخبر أن دقينوس يلتمسهم، ويسأل عنهم: أنبئنا يا أخي ما الذي قال الناس في شأننا عشيّ أمسى عند هذا الجبار؟ وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون، وقد خُيِّل إليهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون في الليلة التي أصبحوا فيها، حتى تساءلوا بينهم، فقال بعضهم لبعض: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ نياماً؟ ﴿**قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما لَبِثْتُمْ**﴾ وكل ذلك في أنفسهم يسير. فقال لهم يمليخا: افتُقِدْتم والتمستم بالمدينة، وهو يريد أن يُؤْتَى بكم اليوم، فتَذْبحُون للطواغيت، أو يقتُلُكم، فما شاء الله بعد ذلك. فقال لهم مكسلمينا: يا إخوتاه اعلموا أنكم ملاقُوْن، فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدوّ الله، ولا تُنكروا الحياة التي لا تبيد بعد إيمانكم بالله، والحياة من بعد الموت ثم قالوا ليمليخا: انطلق إلى المدينة فتسمَّع ما يقال لنا بها اليوم، وما الذي نُذكر به عند دقينوس، وتلطَّف، ولا يشعَرنّ بنا أحد، وابتع لنا طعاماً فأتنا به، فإنه قد آن لك، وزدنا على الطعام الذي قد جئتنا به، فإنه قد كان قليلاً، فقد أصبحنا جياعاً ففعل يمليخا كما كان يفعل، ووضع ثيابه، وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها، وأخذ وَرِقاً من نفقتهم التي كانت معهم، التي ضُربت بطابَع دقينوس الملك، فانطلق يمليخا خارجاً فلما مرّ بباب الكهف، رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف، فعجب منها، ثم مرّ فلم يبال بها، حتى أتى المدينة مستخفياً يصدّ عن الطريق تخوّفاً أن يراه أحد من أهلها، فيعرفه، فيذهب به إلى دقينوس، ولا يشعر العبد الصالح أن دقينوس وأهل زمانه قد هَلكوا قبل ذلك بثلاث مئة وتسع سنين، أو ما شاء الله من ذلك إذ كان ما بين أن ناموا إلى أن استيقظوا ثلاث مئة وتسع سنين. فلما رأى يمليخا باب المدينة رفع بصره، فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الإيمان، إذا كان ظاهراً فيها فلما رآها عجب وجعل ينظر مستخفياً إليها فنظر يميناً وشمالاً، فتعجب بينه وبين نفسه، ثم ترك ذلك الباب، فتحوّل إلى باب آخر من أبوابها، فنظر فرأى من ذلك ما يحيط بالمدينة كلها، ورأى على كلّ باب مثل ذلك فجعل يخيل إليه أن المدينة ليس بالمدينة التي كان يعرف، ورأى ناساً كثيرين محدثين لم يكن يراهم قبل ذلك، فجعل يمشي ويعجب ويخيل إليه أنه حيران ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه، فجعل يعجب بينه وبين نفسه ويقول: يا ليت شعري، أما هذه عشية أمس، فكان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها، وأما اليوم فإنها ظاهرة لعليّ حالم؟ ثم يرى أنه ليس بنائم فأخذ كساءه فجعله على رأسه، ثم دخل المدينة، فجعل يمشي بين ظهري سوقها، فيسمع أناساً كثيراً يحلفون باسم عيسى ابن

مريم، فزاده فرقاً، ورأى أنه حيران، فقام مُسنداً ظهره إلى جدار من جُدُر المدينة ويقول في نفسه: والله ما أدري ما هذا أما عشية أمس فليس على الأرض إنسان يذكر عيسى ابن مريم إلا قُتل وأما الغداة فأسمعهم، وكلّ إنسان يذكرأمر عيسى لا يخاف ثم قال في نفسه: لعلّ هذه ليست بالمدينة التي أعرف أسمع كلام أهلها ولا أعرف أحداً منهم، والله ما أعلم مدينة قرب مدينتنا فقام كالحيران لا يتوجه وجهاً ثم لقي فتى من أهل المدينة، فقال له: ما اسم هذه المدينة يا فتى؟ قال: اسمها أفسوس، فقال في نفسه: لعلّ بي مساً، أو بي أمر أذهب عقلي؟ والله يحقّ لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزى فيها أو يصيبني شرّ فأهلك. هذا الذي يحدّث به يمليخا أصحابه حين تبين لهم ما به.

ثم إنه أفاق فقال: والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بي لكان أكيس لي فدنا من الذين يبيعون الطعام، فأخرج الورِق التي كانت معه، فأعطاها رجلاً منهم، فقال: بعني بهذه الورِق يا عبد الله طعاماً. فأخذها الرجل، فنظر إلى ضرب الورق ونقشها، فعجب منها، ثم طرحها إلى رجل من أصحابه، فنظر إليها، ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل، ويتعجبون منها، ثم جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد أصاب كنزاً خبيئاً في الأرض منذ زمان ودهر طويل فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقاً شديداً، وجعل يرتعد ويظنّ أنهم قد فطنوا به وعرفوه، وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقينوس يسلمونه إليه. وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرّفونه، فقال لهم وهو شديد الفرق منهم: أفضلوا عليّ، فقد أخذتم ورقي فأمسكوا، وأما طعامكم فلا حاجة لي به. قالوا له: من أنت يا فتى؟ وما شأنك؟ والله لقد وجدت كنزاً من كنوز الأوّلين، فأنت تريد أن تخفيه منا، فانطلق معنا فأرناه وشاركنا فيه، نخفف عليك ما وجدت، فإنك إن لا تفعل نأت بك السلطان، فنسلمك إليه فيقتلك. فلما سمع قولهم، عجب في نفسه فقال: قد وقعت في كلّ شيء كنت أحذر منه ثم قالوا: يا فتى إنك والله ما تستطيع أن تكتم ما وجدت، ولا تظنّ في نفسك أنه سيخفى حالك. فجعل يمليخا لا يدري ما يقول لهم وما يرجع إليهم، وفَرِق حتى ما يحير إليهم جواباً فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطوقوه في عنقه، ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة ملبّباً، حتى سمع به من فيها، فقيل: أُخذ رجلٌ عنده كنزٌ.

واجتمع عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم، فجعلوا ينظرون إليه ويقولون: والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة، وما رأيناه فيها قطّ، وما نعرفه فجعل يمليخا لا يدري ما يقول لهم، مع ما يسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة، فَرِق، فسكت فلم يتكلم ولو أنه قال إنه من أهل المدينة لم يصدّق. وكان مستيقناً أنّ أباه وإخوته بالمدينة، وأن حسبه من أهل المدينة من عظماء أهلها، وأنهم سيأتونه إذا سمعوا، وقد استيقن أنه من عشية أمس يعرف كثيراً من أهلها، وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحداً.

فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأته بعض أهله، أبوه أو بعض إخوته فيخلصه من أيديهم، إذ اختطفوه فانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها، وهما رجلان صالحان، كان اسم أحدهما أريوس، واسم الآخر أسطيوس فلما انطلق به إليهما، ظنّ يمليخا أنه يُنطلق به إلى دقينوس الجبار ملكهم الذي هربوا منه، فجعل يلتفت يميناً وشمالاً، وجعل الناس يسخرون منه، كما يُسخر من المجنون والحيران، فجعل يمليخا يبكي. ثم رفع رأسه إلى السماء وإلى الله، ثم قال: اللهمّ إله السموات والأرض، أولج معي روحاً منك اليوم تؤيدني به عند هذا الجبار. وجعل يبكي ويقول في نفسه: فرق بيني وبين إخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت، وأنى يُذهب بي إلى دقينوس الجبار فلو أنهم يعلمون، فيأتون، فنقوم جميعاً بين يدي دقينوس فإنا كنا تواثقنا لنكوننّ معاً، لا نكفر بالله ولا نشرك به شيئاً، ولا نعبد الطواغيت من دون الله. فُرّق بيني وبينهم، فلن يروني ولن أراهم أبداً وقد كنا تواثقنا أن لا نفترق في حياة ولا موت أبداً. يا ليت شعري ما هو فاعل بي؟ أقاتلي هو أم لا؟ ذلك الذي يحدّث به يمليخا نفسه فيما أخبر أصحابه حين رجع إليهم.

فلما انتهى إلى الرجلين الصالحين أريوس وأسطيوس، فلما رأى يمليخا أنه لم يُذهب به إلى دقينوس، أفاق وسكن عنه البكاء فأخذ أريوس وأسطيوس الورق فنظرا إليها وعجبا منها، ثم قال أحدهما: أين الكنز الذي وجدت يا فتى؟ هذا الورِق يشهد عليك أنك قد وجدت كنزاً فقال لهما يمليخا: ما وجدت كنزاً ولكن هذه الورِق ورق آبائي، ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن والله ما أدري ما شأني، وما أدري ما أقول لكم فقال له أحدهما: ممن أنت؟ فقال له يمليخا: ما أدري، فكنت أرى أني من أهل هذه القرية، قالوا: فمن أبوك ومن يعرفك بها؟ فأنبأهم باسم أبيه، فلم يجدوا أحداً يعرفه ولا أباه فقال له أحدهما: أنت رجل كذّاب لا تنبئنا بالحقّ فلم يدر يمليخا ما يقول لهم، غيرأنه نكس بصره إلى الأرض. فقال له بعض من حوله: هذا رجل مجنون فقال بعضهم: ليس بمجنون، ولكنه يحمق نفسه عمداً لكي ينفلت منكم فقال له أحدهما، ونظر إليه نظراً شديداً: أتظنّ أنك إذ تتجانن نرسلك ونصدّقك بأن هذا مال أبيك، وضرب هذه الورق ونقشها منذ أكثر من ثلاث مئة سنة؟ وإنما أنت غلام شاب تظنّ أنك تأفكنا، ونحن شمط كما ترى، وحولك سُراة أهل المدينة، وولاة أمرها، إني لأظنني سآمر بك فتعذّب عذاباً شديداً، ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدت. فلمال قال ذلك، قال يمليخا: أنبئوني عن شيء أسألكم عنه، فإن فعلتم صدقتكم عما عندي أرأيتم دقينوس الملك الذي كان في هذه المدينة عشية أمس ما فعل؟ فقال له الرجل: ليس على وجه الأرض رجل اسمه دقينوس، ولم يكن إلا ملك قد هلك منذ زمان ودهر طويل، وهَلكت بعده قرون كثيرة فقال له يمليخا: فوالله إني إذاً لحيران، وما هو بمصدّق أحد من الناس بما أقول والله لقد علمت، لقد فررنا من الجبار دقينوس، وإني قد رأيته عشية أمس حين دخل مدينة أفسوس، ولكن لا أدري أمدينة أفسوس هذه

أم لا؟ فانطلقا معي إلى الكهف الذي في جبل بنجلوس أريكم أصحابي. فلما سمع أريوس ما يقول يمليخا قال: يا قوم لعلّ هذه آية من آيات الله جعلها لكم على يدي هذا الفتى، فانطلقوا بنا معه يرنا أصحابه، كما قال. فانطلق معه أريوس وأسطيوس، وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم، نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم.

ولما رأى الفتية أصحاب الكهف يمليخا قد احتبس عليهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي به، ظنوا أنه قد أُخِذ فذُهب به إلى ملكهم دَقْينوس الذي هربوا منه. فبينما هم يظنون ذلك ويتخوّفونه، إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل مصعدة نحوهم، فظنوا أنهم رُسل الجبار دقينوس بعث إليهم ليُؤتى بهم، فقاموا حين سمعوا ذلك إلى الصلاة، وسلَّم بعضهم على بعض، وأوصى بعضهم بعضاً، وقالوا: انطلقوا بنا نأت أخانا يمليخا، فإنه الآن بين يدي الجبار دقينوس ينتظر متى نأته. فبينما هم يقولون ذلك، وهم جلوس بين ظهري الكهف، فلم يروا إلا أريوس وأصحابه وقوفاً على باب الكهف. وسبقهم يمليخا، فدخل عليهم وهو يبكي. فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم سألوه عن شأنه، فأخبرهم خبره وقصّ عليهم النبأ كله، فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياماً بأمر الله ذلك الزمان كله، وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس، وتصديقاً للبعث، وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها. ثم دخل على أثر يمليخا أريوس، فرأى تابوتاً من نحاس مختوماً بخاتم من فضة، فقام بباب الكهف ثم دعا رجالاً من عظماء أهل المدينة، ففتح التابوت عندهم، فوجدوا فيه لوحين من رصاص، مكتوباً فيهما كتاب، فقرأهما فوجد فيهما[1]: أن مكسلمينا، ومحسلمينا، ويمليخا، ومرطونس، وكسطونس، ويبورس، ويكرنوس، ويطبيونس، وقالوش، كانوا فتية هربوا من ملكهم دقينوس الجبار، مخافة أن يفتنهم عن دينهم، فدخلوا هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسدّ عليهم بالحجارة، وإنا كتبنا شأنهم وقصة خبرهم، ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم. فلما قرأوه، عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية للبعث فيهم، ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه. ثم دخلوا على الفتية الكهف، فوجدوهم جلوساً بين ظهريه، مُشرقة وجوههم، لم تبل ثيابهم. فخرّ أريوس وأصحابه سجوداً، وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته. ثم كلم بعضهم بعضاً، وأنبأهم الفتية عن الذين لقوا من ملكهم دقينوس ذلك الجبار الذي كانوا هربوا منه. ثم إن أريوس وأصحابه بعثوا بريداً إلى ملكهم الصالح تيذوسيس، أن عَجِّل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله، جعلها الله على ملكك، وجعلها آية للعالمين، لتكون لهم نوراً وضياء، وتصديقاً بالبعث، فاعجل على فتية بعثهم الله، وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلاث مئة سنة.

---

(١) في عدد هذه الأسماء، وضبطها، اختلاف كثير بين ناقليها. وهي في المخطوطة رقم ١٠٠ تفسير، غير منقوطة.

فلما أتى الملك تيذوسيس الخبر، قام من المَسْندة التي كان عليها، ورجع إليه رأيه وعقله، وذهب عنه همه، ورجع إلى الله عزّ وجلّ، فقال: أحمدك اللهمّ ربّ السموات والأرض، أعبدك، وأحمدك، وأسبح لك تطوّلت عليّ، ورحمتني برحمتك، فلم تطفىء النور الذي كنت جعلته لآبائي، وللعبد الصالح قسطيطينوس الملك، فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا إليه، وساروا معه حتى أتوا مدينة أفسوس، فتلقاهم أهل المدينة، وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف حتى أتوه فلما رأى الفتية تيذوسيس، فرحوا به، وخرّوا سجوداً على وجوههم وقام تيذوسيس قدامهم، ثم اعتنقهم وبكى، وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه، ويقول: والله ما أشبه بكم إلا الحواريون[1] حين رأوا المسيح. وقال: فرج الله عنكم، كأنكم الذي تُدْعَون فتحْشَرون من القبور فقال الفتية لتيذوسيس: إنا نودّعك السلام، والسلام عليك ورحمة الله، حفظك الله، وحفظ لك ملكك بالسلام، ونعيذك بالله من شرّ الجنّ والإنس فأمر بعيش من خُلَّر ونشيل. إن أسوأ ما سلك في بطن الإنسان أن لا يعلم شيئاً إلا كرامة إن أكرم بها، ولا هوان إن أهين به[2].

فبينما الملك قائم، إذ رجعوا إلى مضاجعهم، فناموا، وتوفى الله أنفسهم بأمره. وقام الملك إليهم، فجعل ثيابه عليهم، وأمر أن يجعل لكلّ رجل منهم تابوت من ذهب فلما أَمْسَوا ونام، أتوه في المنام، فقالوا: إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة، ولكنا خُلقنا من تراب وإلى التراب نصير، فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك حينئذٍ بتابوت من ساج، فجعلوهم فيه، وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب، فلم يقدر أحد على أن يدخل عليهم. وأمر الملك فجعل كهفهم مسجداً يُصَلَّى فيه، وجعل لهم عيداً عظيماً، وأمر أن يؤتى كلّ سنة. فهذا حديث أصحاب الكهف.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن عبد العزيز بن أبي روّاد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: بعثهم الله يعني الفتية أصحاب الكهف وقد سلط عليهم ملك مسلم، يعني على أهل مدينتهم وسلَّط الله على الفتية الجوع، فقال قائل منهم: **﴿كَمْ لَبِثْتُمْ قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾** قال: فردّوا علم ذلك إلى الله، **﴿قالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما لَبِثْتُمْ فابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذِهِ إلَى المَدِينَةِ﴾** وإذا معهم ورِق من ضرب الملك الذي كانوا في زمانه **﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾**: أي بطعام **﴿وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾**. فخرج أحدهم فرأى المعالم متنكرة حتى انتهى إلى المدينة، فاستقبله

---

(١) في الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير: «وما أشبه بكم إلا الحراد» ولعله تحريف عن الحواريين.

(٢) العبارة من أول قوله: فأمر بعيش من خلر ونشيل... إلى هنا: ساقطة من هذا الخبر في **«عرائس المجالس»** للثعلبي المفسر (ص ـ ٤٢٧). والخلر: حب يقتات به، قيل: هو الجلبان؛ والنشيل: اللبن ساعة يحلب، والعبارة فيما يظهر من بقية كلام أصحاب الكهف.

الناس لا يعرف منهم أحداً فخرج ولا يعرفونه، حتى انتهى إلى صاحب الطعام، فسامه بطعامه، فقال صاحب الطعام: هات ورقك فأخرج إليه الورق، فقال: من أين لك هذا الورق؟ قال: هذه ورِقُنا وورِق أهل بلادنا فقال: هيهات هذه الورِق من ضرب فلان بن فلان منذ ثلاث مئة وتسع سنين أنت أصبت كنزاً ولست بتاركك حتى أرفعك إلى الملك. فرفعه إلى الملك، وإذا الملك مسلم وأصحابه مسلمون، ففرح واستبشر، وأظهر لهم أمره، وأخبرهم خبر أصحابه فبعثوا إلى اللوح في الخزانة، فأتوا به، فوافق ما وصف من أمرهم، فقال المشركون: نحن أحقّ بهم هؤلاء أبناء آبائنا، وقال المسلمون: نحن أحقّ بهم، هم مسلمون منا. فانطلقوا معه إلى الكهف فلما أتوا باب الكهف قال: دعوني حتى أدخل على أصحابي حتى أبشرهم، فإنهم إن رأوكم معي أرعبتموهم فدخل فبشَّرهم، وقبض الله أرواحهم. قال: وعمى الله عليهم مكانهم، فلم يهتدوا، فقال المشركون: نبني عليهم بُنياناً، فإنهم أبناء آبائنا، ونعبد الله فيها. وقال المسلمون: نحن أحقّ بهم، هم منا، نبني عليهم مسجداً نصلي فيه، ونعبد الله فيه.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: إن الله تعالى بعثهم من رقدتهم ليتساءلوا بينهم كما بيَّنا قبل، لأن الله عزّ ذكره، كذلك أخبر عباده في كتابه، وإن الله أعثر عليهم القوم الذين أعثرهم عليهم، ليتحقق عندهم ببعث الله هؤلاء الفتية من رقدتهم بعد طول مدتها بهيئتهم يوم رقدوا، ولم يشيبوا على مرّ الأيام والليالي عليهم، ولم يهرَموا على كرّ الدهور والأزمان فيهم قدرته على بعث من أماته في الدنيا من قبره إلى موقف القيامة يوم القيامة، لأن الله عزّ ذكره بذلك أخبرنا، فقال: **﴿وكذلكَ أعْثَرْنا عَلَيهمْ لِيَعْلَمُوا أنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌ وأنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيها﴾**.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: **﴿فابْعَثُوا أحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذِهِ﴾** فقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل المدينة وبعض العراقيين **﴿بِوَرِقِكُمْ هذِهِ﴾** بفتح الواو وكسر الراء والقاف. وقرأ عامّة قرّاء الكوفة والبصرة: «بِوَرْقِكُمْ» بسكون الراء، وكسر القاف. وقرأه بعض المكيين بكسر الراء، وإدغام القاف في الكاف، وكلّ هذه القراءات متفقات المعاني، وإن اختلفت الألفاظ منها، وهنّ لغات معروفات من كلام العرب، غير أن الأصل في ذلك فتح الواو وكسر الراء والقاف، لأنه الوَرِق، وما عدا ذلك فإنه داخل عليه طلب التخفيف. وفيه أيضاً لغة أخرى وهو «الوَرْق»، كما يقال للكَبِد كَبْدَ. فإذا كان ذلك هو الأصل، فالقراءة به إليّ أعجب، من غير أن تكون الأخريان مدفوعة صحتهما، وقد ذكرنا الرواية بأن الذي بُعث معه بالوَرِق إلى المدينة كان اسمه يمليخا. وقد:

حدثني عبيد الله بن محمد الزهري، قال: ثنا سفيان، عن مقاتل **﴿فابْعَثُوا أحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ﴾** اسمه يمليخ.

وأما قوله: ﴿فَلْيَنْظُرْ أيُّها أزْكَى طَعاماً﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم: معناه فلينظر أيّ أهل المدينة أكثر طعاماً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي حصين، عن عكرِمة ﴿أيُّها أزْكَى طَعاماً﴾ قال: أكثر.

وحدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن أبي حُصَين، عن عكرِمة مثله، إلا أنه قال: «أيُّهُ أكْثَرُ».

وقال آخرون: بل معناه: أيها أحلّ طعاماً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير: ﴿أيُّها أزْكَى طَعاماً﴾ قال: أحلّ.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير مثله.

وقال آخرون: بل معناه: أيها خير طعاماً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿أزْكَى طَعاماً﴾ قال: خير طعاماً.

وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: أحلّ وأطهر، وذلك أنه لا معنى في اختيار الأكثر طعاماً للشراء منه إلا بمعنى إذا كان أكثرهم طعاماً، كان خليقاً أن يكون الأفضل منه عنده أوجد، وإذا شرط على المأمور الشراء من صاحب الأفضل، فقد أمر بشراء الجيد، كان ما عند المشتري ذلك منه قليلاً الجيد أو كثيراً، وإنما وجه من وجه تأويل أزكى إلى الأكثر، لأنه وجد العرب تقول: قد زكا مال فلان: إذا كثر، وكما قال الشاعر:

قَبائِلُنا سَبْعٌ وأنْتُمْ ثَلاثَةٌ وَلَلسَّبْعُ أزْكَى مِنْ ثَلاثٍ وأطْيَبُ(١)

---

(١) البيت للقتال الكلابي، أنشده سيبويه في الكتاب (٢/ ١٨١) وهو من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (١/ ٢٣٧، ٣٩٧) قال في الموضع الثاني: «أيها أزكى طعاماً»: أي أكثر؛ قال:

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة =

بمعنى: أكثر، وذلك وإن كان كذلك، فإن الحلال الجيد وإن قلّ، أكثر من الحرام الخبيث وإن كثر. وقيل: ﴿فَلْيَنظُرْ أيُّها﴾ فأضيف إلى كناية المدينة، والمراد بها أهلها، لأن تأويل الكلام: فلينظر أيّ أهلها أزكى طعاماً لمعرفة السامع بالمراد من الكلام. وقد يُحتمل أن يكونوا عنوا بقولهم ﴿أيُّها أزْكَى طَعاماً﴾: أيها أحلّ، من أجل أنهم كانوا فارقوا قومهم وهم أهل أوثان، فلم يستجيزوا أكل ذبيحتهم.

وقوله: ﴿فَلْيَأتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ يقول: فليأتكم بقوت منه تقتاتونه، وطعام تأكلونه، كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن عبد العزيز بن أبي روّاد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ قال: بطعام.

وقوله: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ يقول: وليترفق في شرائه ما يشتري، وفي طريقه ودخوله المدينة ﴿وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أحَداً﴾ يقول: ولا يعلمنّ بكم أحداً من الناس. وقوله: ﴿إنَّهُمْ إنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ يعنون بذلك: دقينوس وأصحابه قالوا: إن دقينوس وأصحابه إن يظهروا عليكم، فيعلموا مكانكم، يرجموكم شتماً بالقول، كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: ﴿إنَّهُمْ إنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ قال: يشتموكم بالقول، يؤذوكم.

وقوله: ﴿أوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ يقول: أو يردّوكم في دينهم، فتصيروا كفاراً بعبادة الأوثان. ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إذاً أبَداً﴾ يقول: ولن تدركوا الفلاح، وهو البقاء الدائم والخلود في الجنان، إذن: أي إن أنتم عُدْتم في ملتهم. أبداً: أيام حياتكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وكما بعثناهم بعد طول رقدتهم كهيئتهم ساعة رقدوا، ليتساءلوا بينهم، فيزدادوا بعظيم سلطان الله بصيرة، وبحسن دفاع الله عن أوليائه معرفة ﴿كَذلِكَ أعْثَرْنا عَلَيْهِمْ﴾

= ..... البيت، وقال في الموضع الأول: ذكر ثلاثة، ذهب به إلى بطن، ثم أنثه، لأنه ذهب به إلى قبيلة قلت: والنحاة يجوزون في اسم العدد التذكير والتأنيث، إذا لم يذكر المعدود، وهذا شاهد عليه. وفي «اللسان» زكا الزكاء ممدوداً النماء والريع. زكا يزكو زكاء وزكوا.

يقول: كذلك أطلعنا عليهم الفريق الآخر الذين كانوا في شكّ من قُدرة الله على إحياء الموتى، وفي مِرْية من إنشاء أجسام خلقه، كهيئتهم يوم قبضهم بعد البِلَى، فيعلموا أن وعْد الله حقّ، ويُوقنوا أن الساعة آتية لا ريب فيها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وكذلكَ أعْثَرْنا عَلَيْهِمْ**﴾ يقول: أطلعنا عليهم ليعلم من كذب بهذا الحديث، أن وعد الله حقّ، وأن الساعة لا ريب فيها.

وقوله: ﴿**إذْ يَتَنازَعُون بَيْنَهُمْ أمْرَهُمْ**﴾ يعني: الذين أعثروا على الفتية. يقول تعالى: وكذلك أعثرنا هؤلاء المختلفين في قيام الساعة، وإحياء الله الموتى بعد مماتهم من قوم تيذوسيس، حين يتنازعون بينهم أمرهم فيما الله فاعل بمن أفناه من عباده، فأبلاه في قبره بعد مماته، أمنشئهم هو أم غير منشئهم. وقوله: ﴿**فقالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْياناً**﴾ يقول: فقال الذين أعثرناهم على أصحاب الكهف: ابنوا عليهم بنياناً ﴿**رَبُّهمْ أعْلَمُ بِهِمْ**﴾ يقول: ربّ الفتية أعلم بالفتية وشأنهم. وقوله: ﴿**قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلى أمْرِهِمْ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: قال القوم الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً**﴾.

وقد اختُلف في قائلي هذه المقالة، أهم الرهط المسلمون، أم هم الكفار؟ وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى، وسنذكر إن شاء الله ما لم يمض منه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا على أمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيهِمْ مَسْجِداً**﴾ قال: يعني عدوّهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن عبد العزيز بن أبي روّاد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: عمَّى الله على الذين أعثرهم على أصحاب الكهف مكانهم، فلم يهتدوا، فقال المشركون: نبني عليهم بنياناً، فإنهم أبناء آبائنا، ونعبد الله فيها، وقال المسلمون: بل نحن أحقّ بهم، هم منا، نبني عليهم مسجداً نصلي فيه، ونعبد الله فيه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: سيقول بعض الخائضين في أمر الفِتْية من أصحاب الكهف، هم ثلاثة

رابعهم كلبهم، ويقول بعضهم: هم خمسة سادسهم كلبهم ﴿رجْماً بالغَيْبِ﴾: يقول: قذفاً بالظنّ غير يقين علم، كما قال الشاعر:

وأجْعَلُ مِنِّي الحَقَّ غَيْباً مُرَجَّمَا[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بالغَيْبِ**﴾: أي قذفاً بالغيب.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**رَجْماً بالغَيْبِ**﴾ قال: قذفاً بالظنّ.

وقوله: ﴿**وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ**﴾ يقول: ويقول بعضهم: هم سبعة وثامنهم كلبهم. ﴿**قُلْ رَبِيّ أعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ**﴾ يقول عزّ ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لقائلي هذه الأقوال في عدد الفتية من أصحاب الكهف رجماً منهم بالغيب: ﴿**رَبِّي أعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ما يَعْلَمُهُمْ**﴾ يقول: ما يعلم عددهم ﴿**إلاَّ قَلِيلٌ**﴾ من خلقه، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**ما يَعْلَمُهُمْ إلاَّ قَلِيلٌ**﴾ يقول: قليل من الناس.

وقال آخرون: بل عنى بالقليل: أهل الكتاب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس ﴿**ما يَعْلَمُهُمْ إلاَّ قَلِيلٌ**﴾ قال: يعني أهل الكتاب. وكان ابن عباس يقول: أنا ممن استثناه الله، ويقول: عدتهم سبعة.

---

(١) هذا عجز البيت لم أقف على قائله. وهو شاهد على أن معنى الرجم معناه: القول بالظن على غير يقين علم. قال أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (١/٣٩٨) «رجما بالغيب»: الرجم ما لم تستيقنه. وقال: ظن مرجم: لا يدري: أحق هو أم باطل؟ قال زهير:

وَمَا الحَرْبُ إلاَّ ما رأيتُمْ وَذُقْتُمُ ... وَمَا هُوَ عَنْهَا بالحَدِيثِ المُرَجَّمِ

وفي «**اللسان**»: رجم: والرجم: القول بالظن والحدس.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿**ما يَعْلَمُهُمْ إلاَّ قَلِيلٌ**﴾ قال: أنا من القليل، كانوا سبعة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول: أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله، كانوا سبعة وثامنهم كلبهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: قال ابن عباس: عدتهم سبعة وثامنهم كلبهم، وأنا ممن استثنى الله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**ما يَعْلَمُهُمْ إلاَّ قَلِيلٌ**﴾ قال: كان ابن عباس يقول: أنا من القليل، هم سبعة وثامنهم كلبهم.

وقوله: ﴿**فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إلاَّ مِرَاءً ظاهِراً**﴾ يقول عزّ ذكره لنبيه محمد ﷺ: فلا تمار يا محمد: يقول: لا تجادل أهل الكتاب فيهم، يعني في عدّة أهل الكهف، وحُذِفت العِدّة اكتفاء بذكرهم فيها لمعرفة السامعين بالمراد. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**فَلا تُمارِ فِيهِمْ**﴾ قال: لا تمار في عدّتهم.

وقوله: ﴿**إلاَّ مِرَاءً ظاهِراً**﴾ اختلف أهل التأويل في معنى المِراء الظاهر الذي استثناه الله، ورخص فيه لنبيه ﷺ، فقال بعضهم: هو ما قصّ الله في كتابه أبيح له أن يتلوه عليهم، ولا يماريهم بغير ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعيد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إلاَّ مِرَاءً ظاهِراً**﴾ يقول: حَسْبُك ما قصصت عليك فلا تمار فيهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿**فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إلاَّ مِرَاءً ظاهِراً**﴾ يقول: إلا بما قد أظهرنا لك من أمرهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إلاَّ مِرَاءً ظاهِراً**﴾: أي حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة ﴿فَلا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ قال: حَسْبُك ما قصصنا عليك من شأنهم.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إلاَّ مِرَاءً ظاهِراً﴾ يقول: حَسْبُك ما قصصنا عليك.

وقال آخرون: المِراء الظاهر هو أن يقول ليس كما تقولون، ونحو هذا من القول.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿إلاَّ مِرَاءً ظاهِراً﴾ قال: أن يقول لهم: ليس كما تقولون، ليس تعلمون عدّتهم إن قالوا كذا وكذا فقل ليس كذلك، فإنهم لا يعلمون عدّتهم، وقرأ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ حتى بلغ ﴿رَجْماً بالغَيْبِ﴾.

وقوله: ﴿وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أحَداً﴾ يقول تعالى ذكره: ولا تستفت في عدّة الفتية من أصحاب الكهف منهم، يعني من أهل الكتاب، أحداً، لأنهم لا يعلمون عدتهم، وإنما يقولون فيهم رجماً بالغيب، لا يقيناً من القول. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يحيى بن عيسى، عن سفيان، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أحَداً﴾ قال: هم أهل الكتاب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أحَداً﴾ من يهود.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أحَداً﴾: من يهود، قال: ولا تسأل يهودَ عن أمر أصحاب الكهف، إلا ما قد أخبرتك من أمرهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أحَداً﴾: من أهل الكتاب. كنا نحدّث أنهم كانوا بني الركنا[1]. والركنا: ملوك الروم، رزقهم الله الإسلام، فتفرّدوا بدينهم، واعتزلوا قومهم، حتى انتهوا إلى الكهف، فضرب الله على أصمختهم، فلبثوا دهراً طويلاً حتى هلكت أمّتهم وجاءت أمّة مسلمة بعدهم، وكان ملكهم مسلماً.

---

(١) الركنا: كذا بالقصر، ولعل أصله الركناء بالمد، جمع ركين، وهو من الرجال: الوقور الرزين. أو هو القوي بعشيرته وكثرتها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾.

وهذا تأديب من الله عزّ ذكره لنبيه ﷺ عهد إليه أن لا يجزم على ما يحدث من الأمور أنه كائن لا محالة، إلا أن يصله بمشيئة الله، لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله.

وإنما قيل له ذلك فيما بلغنا من أجل أنه وعد سائليه عن المسائل الثلاث اللواتي قد ذكرناها فيما مضى، اللواتي إحداهنّ المسألة عن أمر الفتية من أصحاب الكهف أن يجيبهم عنهنّ غد يومهم، ولم يستثن، فاحتبس الوحي عنه فيما قيل من أجل ذلك خمس عشرة، حتى حزنه إبطاؤه، ثم أنزل الله عليه الجواب عنهنّ، وعرف نبيه سبب احتباس الوحي عنه، وعلّمه ما الذي ينبغي أن يستعمل في عِدَاته وخبره عما يحدث من الأمور التي لم يأته من الله بها تنزيل، فقال: ﴿**وَلا تَقُولَنَّ**﴾ يا محمد ﴿**لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلك غَداً**﴾ كما قلت لهؤلاء الذين سألوك عن أمر أصحاب الكهف، والمسائل التي سألوك عنها، سأخبركم عنها غداً ﴿**إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ**﴾. ومعنى الكلام: إلا أن تقول معه: إن شاء الله، فترك ذكر تقول اكتفاء بما ذكر منه، إذ كان في الكلام دلالة عليه. وكان بعض أهل العربية يقول: جائز أن يكون معنى قوله: ﴿**إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ**﴾ استثناء من القول، لا من الفعل كأن معناه عنده: لا تقولنّ قولاً إلا أن يشاء الله ذلك القول، وهذا وجه بعيد من المفهوم بالظاهر من التنزيل مع خلافه تأويل أهل التأويل.

وقوله: ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ**﴾ اختلف أهل التأويل في معناه، فقال بعضهم: واستثن في يمينك إذا ذكرت أنك نسيت ذلك في حال اليمين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن هارون الحربيّ، قال: ثنا نعيم بن حماد، قال: ثنا هشيم، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس، في الرجل يحلف، قال له: أن يستثنيَ ولو إلى سنة، وكان يقول: ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ**﴾ في ذلك قيل للأعمش سمعتَه من مجاهد، فقال: ثني به ليث بن أبي سليم، يرى ذهب كسائي هذا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن

(١) قوله: «يرى: ذهب كسائي هذا» هكذا جاءت هذه العبارة في الجزء الخامس عشر من النسخة المخطوطة رقم ١٠٠ الورقة ٤١١ والعبارة غامضة، ولعل فيها تحريفاً.

أبي العالية، في قوله ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنّي فاعِلٌ ذلكَ غَداً إلاَّ أنْ يَشاءَ اللّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إذَا نَسِيتَ﴾ الاستثناء، ثم ذكرت فاستثن.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، في قوله: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إذَا نَسِيتَ﴾ قال: بلغني أن الحسن، قال: إذا ذكر أنه لم يقل: إن شاء الله، فليقل: إن شاء الله.

وقال آخرون: معناه: واذكر ربك إذا عصيت.

ذكر من قال ذلك:

حدثني نصر بن عبد الرحمن، قال: ثنا حكام بن سلم، عن أبي سنان، عن ثابت، عن عكرمة، في قول الله: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إذَا نَسِيتَ﴾ قال: اذكر ربك إذا عصيت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أبي سنان، عن ثابت، عن عكرمة مثله.

وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: واذكر ربك إذا تركت ذكره، لأن أحد معاني النسيان في كلام العرب الترك، وقد بيَّنا ذلك فيما مضى قبل.

فإن قال قائل: أفجائز للرجل أن يستثنيَ في يمينه إذ كان معنى الكلام ما ذكرت بعد مدة من حال حلفه؟ قيل: بل الصواب أن يستثني ولو بعد حِنْثه في يمينه، فيقول: إن شاء الله ليخرج بقيله ذلك مما ألزمه الله في ذلك بهذه الآية، فيسقط عنه الحرج بتركه ما أمره بقيله من ذلك فأما الكفارة فلا تسقط عنه بحال، إلا أن يكون استثناؤه موصولاً بيمينه.

فإن قال: فما وجه قول من قال له: ثُنْياه ولو بعد سنة، ومن قال له ذلك ولو بعد شهر، وقول من قال ما دام في مجلسه؟ قيل: إن معناهم في ذلك نحو معنانا في أن ذلك له، ولو بعد عشر سنين، وأنه باستثنائه وقيله إن شاء الله بعد حين من حال حلفه، يسقط عنه الحرج الذي لو لم يقله كان له لازماً فأما الكفارة فله لازمة بالحِنْث بكلّ حال، إلا أن يكون استثناؤه كان موصولاً بالحلف، وذلك أنا لا نعلم قائلاً قال ممن قال له الثُّنيا بعد حين يزعم أن ذلك يضع عنه الكفارة إذا حنِث، ففي ذلك أوضح الدليل على صحة ما قلنا في ذلك، وأن معنى القول فيه، كان نحو معنانا فيه.

وقوله: ﴿وَقُلْ عَسَى أنْ يَهْدِينِ رَبّي لأقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً﴾ يقول عزّ ذكره لنبيه ﷺ: قل ولعلّ الله أن يهديني فيسدّدني لأسدَّ مما وعدتكم وأخبرتكم أنه سيكون، إن هو شاء.

وقد قيل: إن ذلك مما أُمر النبيّ ﷺ أن يقوله إذا نسي الاستثناء في كلامه، الذي هو عنده في أمر مستقبل مع قوله: إن شاء الله، إذا ذكر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، عن محمد، رجل من أهل الكوفة، كان يفسر القرآن، وكان يجلس إليه يحيى بن عباد، قال: **﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنّي فاعِلٌ ذلكَ غَداً إلاَّ أنْ يَشاءَ اللّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أنْ يَهْدِيَنِ رَبّي لأقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً﴾** قال فقال: وإذا نسي الإنسان أن يقول: إن شاء الله، قال: فتوبته من ذلك، أو كفّارة ذلك أن يقول: **﴿عَسَى أنْ يَهْدِيَنِ رَبّي لأقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً﴾**.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

اختلف أهل التأويل في معنى قوله **﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً﴾** فقال بعضهم: ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن أهل الكتاب أنهم يقولون ذلك كذلك، واستشهدوا على صحة قولهم ذلك بقوله: **﴿قُلِ اللّهُ أعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾** وقالوا: لو كان ذلك خبراً من الله عن قدر لبثهم في الكهف، لم يكن لقوله **﴿قُلِ اللّهُ أعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾** وجه مفهوم، وقد أعلم الله خلقه مبلغ لبثهم فيه وقدره.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً﴾** هذا قول أهل الكتاب، فردّه الله عليهم فقال: **﴿قُلِ اللّهُ أعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَواتِ والأرْضِ﴾**.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله **﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾** قال: في حرف ابن مسعود: «وَقالُوا وَلَبِثُوا» يعني أنه قال الناس، ألا ترى أنه قال: **﴿قُلِ اللّهُ أعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾**.

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا ضمرة بن ربيعة، عن ابن شوذب عن مطر الورّاق، في قول الله: **﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ﴾** قال: إنما هو شيء قالته اليهود، فردّه الله عليهم وقال: **﴿قُلِ اللّهُ أعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾**.

وقال آخرون: بل ذلك خبر من الله عن مبلغ ما لبثوا في كهفهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً**﴾ قال: عدد ما لبثوا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد بنحوه، وزاد فيه ﴿**قُلِ اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: ﴿**ولَبِثُوا في كُهفِهم ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً**﴾ قال: وتسع سنين.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق بنحوه.

حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا أبو أسامة، قال: ثني الأجلح، عن الضحاك بن مزاحم، قال: نزلت هذه الآية ﴿**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ**﴾ فقالوا: أياماً أو أشهراً أو سنين؟ فأنزل الله: ﴿**سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً**﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وَلَبِثُوا في كَهْفِهِمْ**﴾ قال: بين جبلين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله عزّ ذكره: ولبث أصحاب الكهف في كهفهم رقوداً إلى أن بعثهم الله، ليتساءلوا بينهم، وإلى أن أعثر عليهم من أعثر، ثلاث مئة سنين وتسع سنين، وذلك أن الله بذلك أخبر في كتابه. وأما الذي ذُكر عن ابن مسعود أنه قرأ «وَقالُوا: وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِم» وقول من قال: ذلك من قول أهل الكتاب، وقد ردّ الله ذلك عليهم، فإن معناه في ذلك: إن شاء الله كان أن أهل الكتاب قالوا فيما ذكر على عهد رسول الله ﷺ أن للفتية من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا ثلاث مئة سنين وتسع سنين، فردّ الله ذلك عليهم، وأخبر نبيه أن ذلك قدر لبثهم في الكهف من لدن أوَوا إليه أن بعثهم ليتساءلوا بينهم ثم قال جلّ ثناؤه لنبيه ﷺ: قل يا محمد: الله أعلم بما لبثوا بعد أن قبض أرواحهم، من بعد أن بعثهم من رقدتهم إلى يومهم هذا، لا يعلم بذلك غير الله، وغير من أعلمه الله ذلك.

فإن قال قائل: وما يدلّ على أن ذلك كذلك؟ قيل: الدالّ على ذلك أنه جلّ ثناؤه ابتدأ الخبر عن قدر لبثهم في كهفهم ابتداء، فقال: ﴿**وَلَبِثُوا في كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ سنينَ وَازْدَادُوا تسْعاً**﴾

ولم يضع دليلاً على أن ذلك خبر منه عن قول قوم قالوه، وغير جائز أن يضاف خبره عن شيء إلى أنه خبر عن غيره بغير برهان، لأن ذلك لو جاز جاز في كلّ أخباره، وإذا جاز ذلك في أخباره جاز في أخبار غيره أن يضاف إليه أنها أخباره، وذلك قلب أعيان الحقائق وما لا يخيل فساده.

فإن ظنّ ظانّ أن قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ دليل على أن قوله: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ خبر منه عن قوم قالوه، فإن ذلك كان يجب أن يكون كذلك لو كان لا يحتمل من التأويل غيره فأما وهو محتمل ما قلنا من أن يكون معناه: قل الله أعلم بما لبثوا إلى يوم أنزلنا هذه السورة، وما أشبه ذلك من المعاني فغير واجب أن يكون ذلك دليلاً على أن قوله: ﴿وَلَبِثُوا في كَهْفِهِمْ﴾ خبر من الله عن قوم قالوه، وإذا لم يكن دليلاً على ذلك، ولم يأت خبر بأن قوله: ﴿وَلَبِثُوا في كَهْفِهِمْ﴾ خَبر من الله عن قوم قالوه، ولا قامت بصحة ذلك حجة يجب التسليم لها، صحّ ما قلنا، وفسدَ ما خالفه.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ﴾ فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ﴿ثَلاثِ مِئَةٍ سِنِينَ﴾ بتنوين: ثلاث مئةٍ، بمعنى: ولبثوا في كهفهم سنين ثلاث مئة. وقرأته عامة قرّاء أهل الكوفة: «ثَلاثَ مِئَةِ سِنِينَ» بإضافة ثلاث مئة إلى السنين، غير منوّن.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراة من قرأه: ﴿ثَلاثَ مِئَةٍ﴾ بالتنوين ﴿سِنِينَ﴾، وذلك أن العرب إنما تضيف المئة إلى ما يفسرها إذا جاء تفسيرها بلفظ الواحد، وذلك كقولهم ثلاث مئة درهم، وعندي مئة دينار، لأن المئة والألف عدد كثير، والعرب لا تفسر ذلك إلا بما كان بمعناه في كثرة العدد، والواحد يؤدّي عن الجنس، وليس ذلك للقليل من العدد، وإن كانت العرب ربما وضعت الجمع القليل موضع الكثير، وليس ذلك بالكثير. وأما إذا جاء تفسيرها بلفظ الجمع، فإنها تنوّن، فتقول: عندي ألفٌ دراهمُ، وعندي مئةٌ دنانير، على ما قد وصفت.

وقوله: ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: لله علم غيب السموات والأرض، لا يعزب عنه علم شيء منه، ولا يخفى عليه شيء، يقول: فسلموا له علم مبلغ ما لبثت الفتية في الكهف إلى يومكم هذا، فإن ذلك لا يعلمه سوى الذي يعلم غيب السموات والأرض، وليس ذلك إلا الله الواحد القهار.

وقوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وأَسْمِعْ﴾ يقول: أبصر بالله وأسمع، وذلك بمعنى المبالغة في المدح، كأنه قيل: ما أبصره وأسمعه.

وتأويل الكلام: ما أبصر الله لكلّ موجود، وأسمعه لكلّ مسموع، لا يخفى عليه من ذلك شيء، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**أَبْصِرْ بِهِ وأَسْمِعْ**﴾ فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع، تبارك وتعالى.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أَبْصِرْ بِهِ وأَسْمِعْ ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيّ**﴾ قال: يرى أعمالهم، ويسمع ذلك منهم سميعاً بصيراً.

وقوله: ﴿**ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيّ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: ما لخلقه دون ربهم الذي خلقهم وليّ، يلي أمرهم وتدبيرهم، وصرفهم فيما هم فيه مصرفون. ﴿**وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً**﴾ يقول: ولا يجعل الله في قضائه، وحكمه في خلقه أحداً سواه شريكاً، بل هو المنفرد بالحكم والقضاء فيهم، وتدبيرهم وتصريفهم فيما شاء وأحبّ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واتبع يا محمد ما أنزل إليك من كتاب ربك هذا، ولا تتركنّ تلاوته، واتباع ما فيه من أمر الله ونهيه، والعمل بحلاله وحرامه، فتكون من الهالكين وذلك أن مصير من خالفه، وترك اتباعه يوم القيامة إلى جهنم ﴿**لا مُبَدِّلَ لكَلماتِهِ**﴾ يقول: لا مغير لما أوعد بكلماته التي أنزلها عليك أهل معاصيه، والعاملين بخلاف هذا الكتاب الذي أوحيناه إليك.

وقوله: ﴿**وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً**﴾ يقول: وإن أنت يا محمد لم تتل ما أوحي إليك من كتاب ربك فتتبعه وتأتمّ به، فنالك وعيد الله الذي أوعد فيه المخالفين حدوده، لن تجد من دون الله موئلاً تئل إليه ومعدلاً تعدل عنه إليه، لأن قدرة الله محيطة بك وبجميع خلقه، لا يقدر أحد منهم على الهرب من أمر أراد به.

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿**مُلْتَحَداً**﴾ قال أهل التأويل، وإن اختلفت ألفاظهم في البيان عنه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿**مُلْتَحَداً**﴾ قال: مَلْجَأ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**مُلْتَحَداً**﴾ قال: ملجأ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً**﴾ قال: موئلاً.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**مُلْتَحَداً**﴾ قال: ملجأ ولا موئلاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً**﴾ قال: لا يجدون ملتحداً يلتحدونه، ولا يجدون من دونه ملجأ ولا أحداً يمنعهم. والملتحد: إنما هو المفتعل من اللحد، يقال منه: لحدت إلى كذا: إذا ملت إليه ومنه قيل للحد: لحد، لأنه في ناحية من القبر، وليس بالشقّ الذي في وسطه، ومنه الإلحاد في الدين، وهو المعاندة بالعدول عنه، والترك له.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿**وَاصْبِرْ**﴾ يا محمد ﴿**نَفْسَكَ مَعَ**﴾ أصحابك ﴿**الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ**﴾ بذكرهم إياه بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والأعمال الصالحة من الصلوات المفروضة وغيرها ﴿**يُرِيدُونَ**﴾ بفعلهم ذلك ﴿**وَجْهَهُ**﴾ لا يريدون عرضاً من عرض الدنيا.

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في قوله ﴿**يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ**﴾ في سورة الأنعام، والصواب من القول في ذلك عندنا، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. والقرّاء على قراءة ذلك: ﴿**بالغَدَاة والعَشِيّ**﴾، وقد ذُكر عن عبد الله بن عامر وأبي عبد الرحمن السلمي أنهما كانا يقرآنه: «بالغدوة والعشيّ»، وذلك قراءة عند أهل العلم بالعربية مكروهة، لأن غدوة معرّفة، ولا ألف ولا لام فيها، وإنما يعرّف بالألف واللام ما لم يكن معرفة فأما المعارف فلا تعرّف بهما. وبعد، فإن غدوة لا تضاف إلى شيء، وامتناعها من الإضافة دليل واضح على امتناع الألف واللام من الدخول عليها، لأن ما دخلته الألف واللام من الأسماء صلحت فيه الإضافة وإنما تقول العرب: أتيتك غداة الجمعة، ولا تقول: أتيتك غدوة الجمعة، والقراءة عندنا في ذلك ما عليه القرّاء في الأمصار لا نستجيز غيرها لإجماعها على ذلك، وللعلة التي بيّنا من جهة العربية.

وقوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيناكَ عَنهُمْ﴾ يقول جلّ ثناؤه لنبيه ﷺ: ولا تصرف عيناك عن هؤلاء الذين أمرتك يا محمد أن تصبر نفسك معهم إلى غيرهم من الكفار، ولا تجاوزهم إليه وأصله من قولهم: عدوت ذلك، فأنا أعدوه: إذا جاوزته. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، في قوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيناكَ عَنهُمْ﴾ قال: لا تجاوزهم إلى غيرهم.

حدثني عليّ، قال: ثني عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيناكَ عَنهُمْ﴾ يقول: لا تتعدّهم إلى غيرهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ...﴾ الآية، قال: قال القوم للنبيّ ﷺ: إنا نستحيي أن نجالس فلاناً وفلاناً وفلاناً، فجانبهم يا محمد، وجالس أشراف العرب، فنزل القرآن ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ والعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيناكَ عَنْهُمْ﴾ ولا تحقرهم، قال: قد أمروني بذلك، قال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾.

حدثنا الربيع بن سليمان، قال: ثنا ابن وهب، قال: أخبرني أسامة بن زيد، عن أبي حازم، عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف، أن هذه الآية لما نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بضع أبياته ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ فخرج يلتمس، فوجد قوماً يذكرون الله، منهم ثائر الرأس، وجافّ الجلد، وذو الثوب الواحد، فلما رآهم جلس معهم، فقال: «الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي جَعَلَ لِي فِي أُمَّتي مَنْ أمرني أنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُ» ورُفعت العينان بالفعل، وهو لا تعد.

وقوله: ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الحَياةِ الدُّنْيا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: لا تعدُ عيناك عن هؤلاء المؤمنين الذين يدعون ربهم إلى أشراف المشركين، تبغي بمجالستهم الشرف والفخر وذلك أن رسول الله ﷺ أتاه فيما ذكر قوم من عظماء أهل الشرك، وقال بعضهم: بل من عظماء قبائل العرب ممن لا بصيرة لهم بالإسلام، فرأوه جالساً مع خباب وصهيب وبلال، فسألوه أن يقيمهم عنه إذا حضروا، قالوا: فهمّ رسول الله ﷺ، فأنزل الله عليه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ثم كان يقوم إذا أراد القيام، ويتركهم قعوداً، فأنزل الله عليه ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ...﴾ الآية ﴿وَلَا تَعْدُ عَيناكَ عَنهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَياةِ الدُّنْيا﴾ يريد زينة الحياة الدنيا: مجالسة أولئك العظماء الأشراف، وقد ذكرت الرواية بذلك فيما مضى قبل في سورة الأنعام.

حدثني الحسين بن عمرو العنقزي، قال: ثنا أبي، قال: ثنا أسباط بن نصر، عن السدي، عن أبي سعيد الأزدي، وكان قارىء الأزد عن أبي الكنود، عن خباب في قصة ذكرها عن النبيّ ﷺ، ذكر فيها هذا الكلام مدرجاً في الخبر ﴿**وَلا تَعْدُ عَيناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَياةِ الدُّنيا**﴾ قال: تجالس الأشراف.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرت أن عيينة بن حصن قال للنبيّ ﷺ قبل أن يسلم: لقد آذاني ريح سلمان الفارسي، فاجعل لنا مجلساً منك لا يجامعوننا فيه، واجعل لهم مجلساً لا نجامعهم فيه، فنزلت الآية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قال: ذُكر لنا أنه لما نزلت هذه الآية قال نبيّ الله ﷺ: «الحَمْدِ لِلّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتي مَنْ أُمِرْتُ أنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**تُرِيدُ زِينَةَ الحَياةِ الدُّنيا**﴾ قال: تريد أشراف الدنيا.

حدثنا صالح بن مسمار، قال: ثنا الوليد بن عبد الملك، قال: سليمان بن عطاء، عن مسلمة بن عبد الله الجهنيّ، عن عمه أبي مشجعة بن ربعي، عن سلمان الفارسي، قال: جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ: عيينة بن حصن(١)، والأقرع بن حابس وذووهم، فقالوا: يا نبيّ الله، إنك لو جلست في صدر المسجد، ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم يعنون سلمان وأبا ذرّ وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف، ولم يكن عليهم غيرها جلسنا إليك وحادثناك، وأخذنا عنك فأنزل الله: ﴿**وَاتْلُ ما أُوحِيَ إلَيْكَ مِنْ كِتابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً**﴾، حتى بلغ ﴿**إنَّا أعْتَدْنا للظَّالِمِينَ ناراً**﴾ يتهدّدهم بالنار فقام نبيّ الله ﷺ يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله، فقال: «الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يُمِتْنِي حتى أمَرَنِي أنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَ رِجالٍ مِنْ أُمَّتِي، مَعَكُمُ المَحْيا وَمَعَكُمُ المَماتُ».

وقوله: ﴿**وَلا تُطِعْ مَنْ أغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: ولا تطع يا محمد من شغلنا قلبه من الكفار الذين سألوك طرد الرهط الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ عنك، عن ذكرنا، بالكفر وغلبة الشقاء عليه، واتبع هواه، وترك اتباع أمر الله ونهيه، وآثر هوى نفسه على طاعة ربه، وهم فيما ذُكر: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس وذووهم.

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، قال: ثنا أبي، قال: ثنا أسباط، عن

(١) في الأصل: عيينة بن بدر. والصواب: ابن حصن، ولعله من سبق القلم. وقد ذكره صحيحاً بعده بقليل.

السديّ، عن أبي سعيد الأزدي، عن أبي الكنود، عن خباب ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا﴾ قال: عيينة، والأقرع.

وأما قوله: ﴿وكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معناه: وكان أمره ضياعاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿وكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ قال ابن عمرو في حديثه قال: ضائعاً. وقال الحرث في حديثه: ضياعاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: ضياعاً.

وقال آخرون: بل معناه: وكان أمره ندماً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا بدل بن المحبر، قال: ثنا عباد بن راشد، عن داود ﴿فُرُطاً﴾ قال: ندامة.

وقال آخرون: بل معناه: هلاكاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحسين بن عمرو، قال: ثنا أبي، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، عن أبي سعيد الأزدي، عن أبي الكنود، عن خباب ﴿وكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ قال: هلاكاً.

وقال آخرون: بل معناه: خلافاً للحق.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿وكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ قال: مخالفاً للحقّ، ذلك الفُرُط.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: ضياعاً وهلاكاً، من قولهم: أفرط فلان في هذا الأمر إفراطاً: إذا أسرف فيه وتجاوز قدره، وكذلك قوله: ﴿وكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ معناه: وكان أمر هذا الذي أغفلنا قلبه عن ذكرنا في الرياء والكبر، واحتقار أهل الإيمان، سرفاً قد تجاوز حدّه، فَضَيَّع بذلك الحقّ وهلك. وقد:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، قال: قيل له: كيف قرأ عاصم؟ فقال ﴿كانَ أمْرُهُ فُرُطاً﴾ قال أبو كريب: قال أبو بكر: كان عُيينة بن حصن يفخر بقول أنا وأنا.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا، واتبعوا أهواءهم: الحقّ أيها الناس من عند ربكم، وإليه التوفيق والخذلان، وبيده الهدى والضلال يهدي من يشاء منكم للرشاد، فيؤمن، ويضلّ من يشاء عن الهدى فيكفر، ليس إليّ من ذلك شيء، ولست بطارد لهواكم من كان للحقّ متبعاً، وبالله وبما أنزل عليّ مؤمنا، فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا، فإنكم إن كفرتم فقد أعدّ لكم ربكم على كفركم به نار أحاط بكم سرادقها، وإن آمنتم به وعملتم بطاعته، فإن لكم ما وصف الله لأهل طاعته. وروي عن ابن عباس في ذلك ما:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ يقول: من شاء الله له الإيمان آمن، ومن شاء الله له الكفر كفر، وهو قوله: ﴿وَما تَشاءُونَ إلاَّ أنْ يَشاءَ اللّهُ رَبُّ العَالَـمِينَ﴾ وليس هذا بإطلاق من الله الكفر لمن شاء، والإيمان لمن أراد، وإنما هو تهديد ووعيد.

وقد بين أن ذلك كذلك قوله: ﴿إنَّا اعْتَدْنا للظَّالِـمينَ ناراً﴾ والآيات بعدها. كما:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن عمر بن حبيب، عن داود، عن مجاهد، في قوله: ﴿فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾. قال: وعيد من الله، فليس بمعجزي.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾، وقوله ﴿اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ﴾ قال: هذا كله وعيد ليس مصانعة ولا مراشاة ولا تفويضاً. وقوله: ﴿إنَّا أعْتَدْنا للظَّالِـمينَ ناراً﴾ يقول تعالى ذكره: إنا أعددنا، وهو من العُدّة. للظالمين: الذين كفروا بربهم. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إنَّا أعْتَدْنا للظَّالِمِينَ ناراً أحاطَ بِهِمْ سُرَادِقُها﴾ قال: للكافرين.

وقوله: ﴿أحاطَ بِهِمْ سُرَادِقُها﴾ يقول: أحاط سرادق النار التي أعدّها الله للكافرين بربهم، وذلك فيما قيل: حائط من نار يطيف بهم كسرادق الفسطاط، وهي الحجرة التي تطيف بالفسطاط، كما قال رؤبة:

يا حَكَمَ بنَ المُنذِرِ بنَ الجارُودْ سُرادِقُ الفَضْلِ عَلَيْكَ مَمْدُودْ[1]

وكما قال سلامة بن جندل:

هُوَ المُولِجُ النُّعمانَ بيْتاً سَماؤُهُ صُدُورُ الفُيُولِ بعدَ بَيْتٍ مُسَرْدَقِ[2]

يعني: بيتاً له سرادق.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، في قوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنا للظَّالِمِينَ ناراً أحاطَ بِهِمْ سُرَادِقُها﴾ قال: هي حائط من نار.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عمن أخبره، قال

---

(١) البيتان من أرجوزة قصيرة سبعة أبيات لرؤبة في ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ضمن الزوائد الملحقة بالديوان، وهما الأول والخامس، (ص ـ ١٧٢) والبيتان من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (١/ ٣٩٩) إلا أن رواية البيت الثاني فيه:

أنت الجواد ابن الجواد المحمود

وبعده البيت الثاني. قال: «أحاط بهم سرادقها»: كسرادق الفسطاط، وهي الحجرة التي تطيف بالفسطاط؛ قال رؤبة:

يا حكم بن المنذر بن الجارود

وفي «**اللسان**» سردق: السرادق: ما أحاط بالبناء، والجمع: سرادقات. قال سيبويه: جمعوه بالتاء وإن كان مذكراً، حين لم يكسر. وفي التنزيل: «أحاط بهم سرادقها». في صفة النار، أعاذنا الله منها. قال الزجاج: صار عليهم سرادق من العذاب، والسرادق كل ما أحاط بالشيء، نحو الشقة في المضرب (الخيمة) أو الحائط المشتمل على الشيء.

(٢) البيت في ديوان سلامة بن جندل السعدي التميمي طبعة بيروت سنة ١٩١٠ (ص ـ ١٩) من قصيدة عدة أبياتها ثلاثون بيتاً. قال أبو عمرو: كان كسرى حبس النعمان في بيت فيه ثلاثة فيول، والمسردق: ذو السرادق، أو الذي عليه سرادق. وقال أبو عبيدة: في «**مجاز القرآن**» (١/ ٣٩٩) بعد أن أورد البيت: أي له سرادق ا هـ. وفي «**اللسان**» سردق: وقد سردق البيت. قال سلامة ابن جندل: (وأورد البيت)، ثم قال: الجوهري: السرادق: واحد السرادقات التي تمد فوق صحن الدار. وكل بيت من كرسف (قطن) فهو سرادق. قال رؤبة:

يا حكم بن المنذر بن الجارود أنت الجواد ابن الجواد المحمود

سرادق المجد عليك ممدود

قال: وقيل الرجز للكذاب الحرمازي.

ونسب الجوهري بيت سلامة بن جندل إلى الأعشى، وقال في سببه: يذكر ابن وبر وقتله النعمان بن المنذر عن «**لسان العرب**» سردق.

﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ قال: دخان يحيط بالكفار يوم القيامة، وهو الذي قال الله: ﴿ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾.

وقد رُوي عن النبيّ ﷺ في ذلك خبر يدلّ على أن معنى قوله ﴿أحاطَ بِهِمْ سرادِقُها﴾ أحاط بهم ذلك في الدنيا، وأن ذلك السرادق هو البحر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني العباس بن محمد والحسين بن نصر، قالا: ثنا أبو عاصم، عن عبد الله بن أمية، قال: ثني محمد بن حيي بن يعلى، عن صفوان بن يعلى، عن يعلى بن أمية، قال: قال رسول الله ﷺ: «البَحْرُ هُوَ جَهَنَّمُ» قال: فقيل له: كيف ذلك، فتلا هذه الآية، أو قرأ هذه الآية: ﴿ناراً أحاطَ بِهِمْ سُرَادِقُها﴾ ثم قال: «واللّهِ لا أدْخُلُها أبَداً أوْ ما دُمْتُ حَيّاً، وَلا تُصِيبُني مِنْها قَطْرَة».

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا يعمر بن بشر، قال: ثنا ابن المبارك، قال: أخبرنا رشدين بن سعد، قال: ثني عمرو بن الحارث، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن النبيّ ﷺ قال: «سُرَادِقُ النَّارِ أرْبَعَةُ جُدُرٍ، كِثْفُ كُلّ وَاحِدٍ مِثْلُ مَسِيرَةِ أرْبَعِينَ سَنَةً».

حدثنا بشر، قال: ثنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن درّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنَّ لِسُرَادِقِ النَّارِ أرْبَعَةَ جُدُرٍ، كِثْفُ كُلّ وَاحِدَة مِثْلُ مَسِيرةِ أرْبَعِينَ سَنَةً».

حدثنا بشر، قال: ثنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «ماءٌ كالمُهْلِ»، قالَ: «كَعَكَرِ الزَّيْتِ، فإذَا قَرَّبَهُ إلَيْه سقط فَرْوَةُ وَجْهِهِ فِيهِ».

وقوله: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كالمُهْلِ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن يستغث هؤلاء الظالمون يوم القيامة في النار من شدّة ما بهم من العطش، فيطلبونَ الماء يُغاثوا بماء المُهْل.

واختلف أهل التأويل في المهل، فقال بعضهم: هو كلّ شيء أذيب وإنماع.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذُكر لنا أن ابن مسعود أهديت إليه سِقاية من ذهب وفضة، فأمر بأخدود فخدّ في الأرض، ثم قذف فيه من جزل حطب، ثم قذف فيه تلك السقاية، حتى إذا أزبدت وانماعت قال لغلامه: ادع من يحضُرنا من أهل

الكوفة، فدعا رهطاً، فلما دخلوا عليه قال: أترون هذا؟ قالوا: نعم، قال: ما رأينا في الدنيا شبيهاً للمهل أدنى من هذا الذهب والفضة، حين أزبد وإنماع.

وقال آخرون: هو القيح والدم الأسود.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم، عن أبي بَزّة، عن مجاهد في قوله: ﴿**وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثوا بِمَاءٍ كالمُهْلِ**﴾ قال: القيح والدم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**بمَاءٍ كالمُهْلِ**﴾ قال: القيح والدم الأسود، كعكر الزيت. قال الحرث في حديثه: يعني درديّة.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**كالمُهْلِ**﴾ قال: يقول: أسود كهيئة الزيت.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**بِمَاءٍ كالمَهْلِ**﴾ ماء جهنم أسود، وهي سوداء، وشجرها أسود، وأهلها سود.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿**وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِمَاءٍ كالمُهْلِ**﴾ قال: هو ماء غليظ مثل دردي الزيت.

وقال آخرون: هو الشيء الذي قد انتهى حرّه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن جعفر وهارون بن عنترة، عن سعيد بن جبير، قال: المهل: هو الذي قد انتهى حرّه.

وهذه الأقوال وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها، فمتقاربات المعنى، وذلك أن كلّ ما أذيب من رصاص أو ذهب أو فضة فقد انتهى حرّة، وأن ما أوقدت عليه من ذلك النار حتى صار كدردي الزيت، فقد انتهى أيضاً حرّه. وقد:

حُدثت عن معمر بن المثنى، أنه قال: سمعت المنتجع بن نبهان يقول: والله لفلان أبغض

إليّ من الطلياء[١] والمهل، قال: فقلنا له: وما هما؟ فقال: الجرباء، والملة التي تنحدر عن جوانب الخبزة إذا ملت في النار من النار، كأنها سهلة[٢] حمراء مدققة، فهي أحمره، فالمهل إذاً هو كلّ مائع قد أوقد عليه حتى بلغ غاية حرّه، أو لم يكن مائعاً، فإنماع بالوقود عليه، وبلغ أقصى الغاية في شدّة الحرّ.

وقوله: ﴿يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ يقول جلّ ثناؤه: يشوي ذلك الماء الذي يغاثون به وجوههم. كما:

حدثني محمد بن خلف العسقلاني، قال: ثنا حيوة بن شريح، قال: ثنا بقية، عن صفوان بن عمرو، عن عبد الله بن بُسْر هكذا قال ابن خلف عن أبي أمامة، عن النبيّ ﷺ، في قوله ﴿ويُسْقَى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ﴾ قال: «يقرب إليه فيتكرّهه، فإذا قرب منه، شوى وجهه، ووقعت فَرْوة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه»، يقول الله: ﴿وَإنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِمَاءٍ كالمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا إبراهيم بن إسحاق الطالَقاني ويعمر بن بشر، قالا: ثنا ابن المبارك، عن صفوان، عن عبد الله بن بُسْر، عن أبي أمامة، عن النبيّ ﷺ بمثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر وهارون بن عنترة، عن سعيد بن جبير، قال هارون: إذا جاع أهل النار. وقال جعفر: إذا جاء أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم، فأكلوا منها، فاختلست جلود وجوههم، فلو أن مارّا مارّ بهم يعرفهم، لعرف جلود وجوههم فيها، ثم يصبّ عليهم العطش، فيستغيثون، فيغاثون بماء كالمهل، وهو الذي قد انتهى حرّة، فإذا أدنوه من أفواههم انشوى من حرّه لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود.

وقوله: ﴿بِئْسَ الشَّرابُ﴾ يقول تعالى ذكره: بئس الشراب، هذا الماء الذي يغاث به هؤلاء الظالمون في جهنم الذي صفته ما وصف في هذه الآية. وقوله: ﴿وَساءَتْ مُرْتَفَقاً﴾ يقول تعالى ذكره: وساءت هذه النار التي أعتدناها لهؤلاء الظالمين مرتفقاً والمرتفَق في كلام العرب: المتكأ، يقال منه: ارتفقت إذا اتكأت، كما قال الشاعر:

قالَتْ لَهُ وَارْتَفَقَتْ ألا فَتَى ... يَسُوقُ بالقَوْمِ غَزَالاتِ الضُّحَى[٣]

---

(١) يريد بالطلياء: الناقة الجرباء المطلية بالقطران أو الخضخاض. ويريد بالمهل: الملة إذا حميت جداً ورأيتها تموج.

(٢) السهلة، بالكسر: تراب كالرمل أحمر يجيء به الماء «اللسان».

(٣) هذان البيتان من مشطور الرجز، ذكرهما «اللسان» في: غزل. ورواية الأول منهما مختلفة عن رواية المؤلف، وهي:

=

أراد: واتكأت على مرفقها وقد ارتفق الرجل: إذا بات على مرفقه لا يأتيه نوم، وهو مرتفق، كما قال أبو ذؤيب الهذليّ:

نَامَ الخَلِيُّ وَبِتُّ اللَّيْلَ مُرْتَفِقاً ... كأَنَّ عَيْنِيَ فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحُ[1]

وأما من الرفق فإنه يقال: قد ارتفقت بك مرتفقاً، وكان مجاهد يتأوّل قوله: ﴿**وَساءَتْ مُرْتَفَقاً**﴾ يعني المجتمع. ذكر الرواية بذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**مُرْتَفَقاً**﴾: أي مجتمعاً.

حدثني يعقوب، قال: ثنا معتمر، عن ليث، عن مجاهد ﴿**وَساءَتْ مُرْتَفَقاً**﴾ قال: مجتمعاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

ولست أعرف الارتفاق بمعنى الاجتماع في كلام العرب، وإنما الارتفاق: افتعال، إما من المرفق، وإما من الرفق.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠)﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بطاعة الله، وانتهوا إلى أمره ونهيه، إنا لا نضيع ثواب من أحسن عملاً، فأطاع الله، واتبع أمره ونهيه، بل نجازيه بطاعته وعمله الحسن جنات عدن تجري من تحتها الأنهار.

فإن قال قائل: وأين خَبَر «إنّ» الأولى؟ قيل: جائز أن يكون خبرها قوله: ﴿**إنَّا لا نُضِيعُ أجْرَ**

= دعت سليمى دعوة هل من فتى

وفي رواية أخرى:

ودعوة القوم ألا هل من فتى

وغزالة الضحى وغزالاته: بعد ما تنبسط الشمس وتضحي. ولا شاهد في البيت الأول على هاتين الروايتين.

(١) البيت في ديوان أبي ذؤيب الهذلي طبع دار الكتب المصرية، القسم الأول من ديوان الهذليين (ص ـ ١٠٤) وهو مطلع قصيدة له. وفيه «مشتجراً» في موضع «مرتفقاً». ومشتجراً أي يشجر رأسه بيده، يريد أنه وضع رأسه على يديه، كما يشجر الثوب بالعود. وقال الأصمعي: الصاب: شجرة مرة لها لبن يمض العين إذا أصابها. ومذبوح: مشقوق. والذبح: الشق. ومرتفقاً: واضعاً مرفقه تحت رأسه. والبيت: من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (١/ ٤٠٠) وأوله: «إني أرقت فبت. . .» وقال: «ساءت مرتفقاً» أي متكئاً. قال أبو ذؤيب. . . البيت.

مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ فيكون معنى الكلام: إنا لا نضيع أجر من عمل صالحاً، فترك الكلام الأوّل، واعتمد على الثاني بنية التكرير، كما قيل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ بمعنى: عن قتال فيه على التكرير، وكما قال الشاعر:

إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرْبَلَهُ سِرْبَالَ مُلْكٍ بِهِ تُزْجَى الْخَواتِيمُ[(١)]

ويروى: تُرْخَى وجائز أن يكون: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ جزاءً، فيكون معنى الكلام: إن من عمل صالحاً فإنا لا نضيع أجره، فتضمر الفاء في قوله «إنّا» وجائز أن يكون خبرها: أولئك لهم جنات عدن، فيكون معنى الكلام: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أولئك لهم جنات عدن.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتُ عدن، يعني بساتين إقامة في الآخرة. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأنهارُ﴾ يقول: تجري من دونهم ومن أيديهم الأنهار. وقال جلّ ثناؤه: ﴿من تحتهم﴾، ومعناه: من دونهم وبين أيديهم، ﴿يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أساوِرَ﴾ يقول: يلبسون فيها من الحليّ أساور من ذهب، والأساور: جمع إسوار.

وقوله: ﴿يَلْبَسُونَ ثِياباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ﴾ والسندس: جمع واحدها سندسة، وهي ما

---

(١) في «اللسان» سربل: السربال: القميص والدرع. وفي حديث عثمان: «لا أخلع سربالا سربلنيه الله»: كنى به عن الخلافة. واستشهد به المؤلف على أن التكرار في قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع...﴾ الآية له نظير في قول الشاعر:

إن الخليفة إن الله سربله...

البيت. وقد بين وجهي الإعراب في المكرر. والبيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ١٨٥ من مصورة الجامعة) قال: خبر الذين آمنوا في قوله: إنا لا نضيع وهو مثل قول الشاعر:

إن الخليفة.....

البيت، فإنه في المعنى إنا لا نضيع أجر من عمل صالحاً: فترك الكلام الأول، واعتمد على الثاني، بنية التكرير. كما قال: «يسئلونك عن الشهر الحرام»، ثم قال: «قتال فيه» يريد: عن قتال فيه، بالتكرير ويكون أن تجعل «إن الذين آمنوا وعملوا» في مذهب جزاء، كقولك: إن من عمل صالحاً فإنا لا نضيع أجره، فتضمر الفاء في قوله «فإنا»، وإلقاؤها جائز، وهو أحب الوجوه إلي.

رقّ من الديباج: والاستبرق: ما غلظ منه وَثخُن وقيل: إن الاستبرق: هو الحرير ومنه قول المرَقِّش:

تَـرَاهُـنَّ يَـلْـبَـسْـنَ الـمَـشـاعِـرَ مَـرَّةً ... واسْتَبْرَقَ الـدِّيـبـاجِ طَـوْراً لِـبـاسُـهـا[١]

يعني: وغليظ الديباج.

وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيها على الأرَائِكِ﴾ يقول: متكئين في جنات عدن على الأرائك، وهي السُّرُر في الحِجال، واحدتها: أريكة ومنه قول الشاعر:

خُدُوداً جَفَتْ في السَّيْرِ حتى كأنَّما ... يُـبـاشِـرْنَ بـالـمَـعْـزاءِ مَـسَّ الأرَائِـك[٢]

ومنه قول الأعشى:

بـيـنَ الـرّوَاقِ وجـانِـبٍ مِـنْ سِـتْـرِهـا ... مِـنْـهـا وبـيـنَ أرِيـكَـةِ الأنْـضـادِ[٣]

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ﴿عَلَى الأرَائِكِ﴾ قال: هي الحجال. قال معمر، وقال غيره: السرر في الحجال.

وقوله: ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾ يقول: نعم الثواب جنات عدن، وما وصف جلّ ثناؤه أنه جعل لهؤلاء الذين آمنوا وعلموا الصالحات ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً﴾ يقول: وحسُنت هذه الأرائك في هذه الجنان التي وصف تعالى ذكره في هذه الآية متكأ. وقال جلّ ثناؤه: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً﴾ فأنث

---

(١) البيت للمرقش. المشاعر: جمع مشعر، وهو الشعار الذي يلي جسد الإنسان من الثياب، دون ما سواه. وفي الحديث ذكر الأنصار: هم الشعار دون الدثار، يصفهم بالمودة والقرب. وقد فسر المؤلف الإستبرق والديباج. والبيت شاهد على معنى الاستبرق.

(٢) البيت لذي الرمة ديوانه طبع كيمبردج سنة ١٩١٩ (ص ـ ٤٢٢) وقبله قوله:

إذا وَقَـعُـوا وهَـنـا كَـسَـوْا حَـيْـثُ مَـوَّتَـتْ ... مِنَ الـجَـهْـدِ أنْـفـاس الـرِّيـاحِ الـحَـوَاشِـكِ

وقوله خدودا: مفعول كسوا في البيت قبله. والمعزاء الأرض الصلبة ذات الحجارة مثل الفرش على الأرائك، وهي الأسرة، الواحد سرير. أي صيروا المكان الذي ناموا فيه كسوة للخدود. وفي «**اللسان**» أرك قال المفسرون: الأرائك: السرر في الحجال. وقال الزجاج: الأرائك الفرش في الحجال، وقيل هي الأسرة، وهي في الحقيقة الفرش كانت في الحجال، أو في غير الحجال. وقيل: الأريكة: سرير منجد مزين في قبة أو بيت، فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة.

(٣) البيت لم أجده في ديوان الأعشى ميمون، ولا في سائر أشعار الملحقة به، إنما وجدت بيتين اثنين من وزنه وقافيته، (ص ـ ٢٤٥) طبعة الدكتور محمد حسين بالقاهرة. ولم أجد غيرها. والرواق، بضم الراء المشددة وكسرها: الخيمة. والبيت شاهد كالذي قبله، على أن معنى الأرائك: السرر في الحجال، وأن واحدتها: أريكة. والأنضاد: جمع لضد بالتحريك، وهو ما تضد من متاع البيت، وجعل بعضه فوق بعض.

الفعل بمعنى: وحسنت هذه الأرائك مرتَفَقاً، ولو ذكر لتذكير المرتفق كان صواباً، لأن نِعْم وبِئْس إنما تدخلهما العرب في الكلام لتدلا على المدح والذمّ لا للفعل، فلذلك تذكرهما مع المؤنث، وتوحّدهما مع الاثنين والجماعة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واضرب يا محمد لهؤلاء المشركين بالله، الذين سألوك أن تطرُد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه، **﴿مَثلاً﴾** مثل **﴿رَجُلَينِ جَعَلْنا لأحَدِهما جَنَّتَينِ﴾** أي جعلنا له بساتين من كروم **﴿وحَفَفْناهُمَا بنَخْلٍ﴾** يقول: وأطفنا هذين البساتين بنخل. وقوله: **﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعاً﴾** يقول: وجعلنا وسط هذين البسانين زرعاً. وقوله: **﴿كِلْتا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها﴾** يقول: كلا البستانين أطعم ثمره وما فيه من الغروس من النخل والكرم وصنوف الزرع. وقال: كلتا الجنتين، ثم قال: آتت، فوحّد الخبر، لأن كلتا لا يفرد واحدتها، وأصله كلّ، وقد تفرد العرب كلتا أحياناً، ويذهبون بها وهي مفردة إلى التثنية قال بعض الرُّجاز في ذلك:

فِي كِلْتَ رِجْلَيْها سُلاَمى وَاحِدَه كِلْتاهُما مَقْرُونَةٌ بِزَائِدَه(١)

يريد بكلت: كلتا، وكذلك تفعل بكلتا وكلا وكل إذا أضيفت إلى معرفة، وجاء الفعل بعدهن ويجمع ويوحد. وقوله: **﴿ولَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً﴾** يقول: ولم تنقص من الأكل شيئاً، بل آتت ذلك تاماً كاملاً، ومنه قولهم: ظلم فلان فلاناً حقَّه: إذا بخَسَهُ ونقصه، كما قال الشاعر:

---

(١) البيت من شواهد الفراء في **«معاني القرآن»** (الورقة ١٨٦ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩) قال: وقد تفرد العرب إحدى «كلتي» (كتبها بالياء للإمالة). وهو من شواهد النحويين على أن «كلت» أصلهت «كلتا»، حذفت ألفها للضرورة، وفتحة التاء دليل عليها **«خزانة الأدب»** للبغدادي (١/ ٦٢) وقال: رأيت في حاشية **«الصحاح»** أن هذا البيت من رجز يصف به نعامة، فضمير رجليها عائدة على النعامة. والسلامي: على وزن حباري عظم في فرسن البعير، وعظام صغار طول إصبع أو أقل في اليد والرجل. والجمع: سلاميات والفرسن: بمنزلة الحافر للفرس. والضمير في كلتاهما للرجلين. ثم قال: استدلالهم بهذا البيت على الإفراد يرده معناه، فإن المعنى على التثنية، بدليل تأكيده بالمصراع الثاني، فتأمل. وقال أبو حيان في تذكرته: هذا البيت من اضطرار الشعراء، وكلت ليس بواحد كلتا، بل هو جاء بمعنى كلا، غير أنه أسقط الألف اعتماداً على الكسوة التي قبلها وعملا على أنها تكفي من الألف الممالة إلى الياء؛ وما من الكوفيين أحد يقول: كلت واحدة كلتا، ولا يدعي أن لكلا وكلتا واحداً منفرداً في النطق مستعملاً، فإن ادعاه عليه مدع فهو تشنيع وتفحيش من الخصوم على قول خصومهم انتهى.

تَظَلَّمَنِي ما لي كَذَا وَلَوى يَدِي لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذِي هُوَ غالِبُهْ[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ولَمْ تَظْلِمْ مِنهُ شَيْئاً﴾: أي لم تنقص منه شيئاً.

وقوله: ﴿وَفَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً﴾ يقول تعالى ذكره: وَسيَّلنا خلال هذين البستانين نهراً، يعني بينها وبين أشجارهما نهراً. وقيل: ﴿وفَجَّرْنا﴾ فثقل الجيم منه، لأن التفجير في النهر كله، وذلك أنه يميد ماء فيُسيل بعضه بعضاً.

وقوله: ﴿وكانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق: «وكانَ لَهُ ثُمُرٌ» بضمّ الثاء والميم. واختلف قارئو ذلك كذلك، فقال بعضهم: كان له ذهب وفضة، وقالوا: ذلك هو الثمر، لأنها أموال مثمرة، يعني مكثَّرة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وكانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ قال: ذهب وفضة، وفي قول الله عزّ وجلّ: ﴿بِثُمُرِهِ﴾ قال: هي أيضاً ذهب وفضة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله ﴿ثَمَرٌ﴾ قال: ذهب وفضة. قال: وقوله: ﴿وأُحِيطَ بِثُمُرِهِ﴾ هي هي أيضاً.

وقال آخرون: بل عُنِي به: المال الكثير من صنوف الأموال.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثني حجاج، عن هارون، عن سعيد بن أبي عَروبة، عن قتادة، قال: قرأها ابن عباس: «وكانَ لَهُ ثُمُرٌ» بالضمّ، وقال: يعني أنواع المال.

---

(١) البيت من أبيات تسعة لفرعان بن الأعرف في ابنه منازل الحماسة بشرح التبريزي (٤/ ٩) وأوله: «تغمد حقي ظالماً ولوى يدي. وتغمد حقي؛ ستره. وهو في معنى: «تظلمني مالي» ولوى يدي: أي فتلها وأزالها عن حالها وهيئتها. وهو من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٤٠٢) قال: «ولم تظلم منه شيئاً»: ولم تنقص. ويقال: ظلمني فلان حقي، أي نقصني وقال رجل لابنه: «تظلمني مالي كذا.... الخ».

ورواية البيت في «اللسان»: «تظلم مالي هكذا....» البيت. ولم ينسبه وقال قبله: وظلمه حقه، وتظلمه إياه. يريد أنهما بمعنى.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: «وكانَ لَهُ ثُمُرٌ» يقول: مال.

٢٨٣٧١ **حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد. قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: «وكانَ لَهُ ثُمُرٌ» يقول: من كلّ المال.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ﴿**وأُحِيطَ بِثُمُرِهِ**﴾ قال: الثمر من المال كله يعني الثمر، وغيره من المال كله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة، قال: «الثُّمُر» المال كله، قال: وكلّ مال إذا اجتمع فهو ثُمُر إذا كان من لون الثمرة وغيرها من المال كله.

وقال آخرون: بل عنى به الأصل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: «وكانَ لَهُ ثُمُرٌ» الثمر الأصل. قال ﴿**وأُحيطَ بِثُمُرِهِ**﴾ قال: بأصله.

وكأنّ الذين وجّهوا معناها إلى أنها أنواع من المال، أرادوا أنها جمع ثمار جمع ثمر، كما يجمع الكتاب كتباً، والحمار حمراً. وقد قرأ بعض من وافق هؤلاء في هذه القراءة «ثُمْرٌ» بضمّ الثاء وسكون الميم، وهو يريد الضمّ فيها غير أنه سكنها طلب التخفيف. وقد يحتمل أن يكون أراد بها جمع ثمرة، كما تجمع الخَشبة خَشَباً. وقرأ ذلك بعض المدنيين: ﴿**وكانَ لَهُ ثَمَرٌ**﴾ بفتح الثاء والميم، بمعنى جمع الثَّمرة، كما تجمع الخشبة خَشباً. والقَصبة قَصباً.

وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ ﴿**وكانَ لَهُ ثُمُرٌ**﴾ بضمّ الثاء والميم لإجماع الحجة من القرّاء عليه وإن كانت جمع ثمار، كما الكتب جمع كتاب.

ومعنى الكلام: ﴿**وَفَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً وكانَ لَهُ**﴾ منهما ﴿**ثُمُرٌ**﴾ بمعنى من جنتيه أنواع من الثمار. وقد بين ذلك لمن وفق لفهمه، قوله: ﴿**جَعَلْنا لأحَدِهِما جَنَّتَيْنِ مِنْ أعْنابٍ وحَفَفْناهُما بِنَخْلٍ وَجَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعاً**﴾ ثم قال: وكان له من هذه الكروم والنخل والزرع ثمر.

وقوله: ﴿**فَقالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ**﴾ يقول عزّ وجلّ: فقال هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب، لصاحبه الذي لا مال له وهو يخاطبه: ﴿**أنا أكْثَرُ مِنْكَ مالاً وأعَزُّ نَفَراً**﴾ يقول: وأعزّ عشيرة ورَهْطاً، كما قال عُيينة والأقرع لرسول الله ﷺ: نحن سادات العرب، وأرباب الأموال، فنحّ عنا سلمان وَخّباباً وصُهيباً، احتقاراً لهم، وتكبراً عليهم، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أنا أكْثَرُ مِنْك مالاً وأعَزُّ نَفَراً**﴾ وتلك والله أمنية الفاجر: كثرة المال، وعزّة النفر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب ﴿**دَخَلَ جَنَّتَهُ**﴾ وهي بستانه ﴿**وَهُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ**﴾ وظلمه نفسه: كفره بالبعث، وشكه في قيام الساعة، ونسيانه المعاد إلى الله تعالى، فأوجب لها بذلك سخط الله وأليم عقابه. وقوله: ﴿**قالَ ما أظُنُّ أنْ تَبِيدَ هَذِهِ أبَداً**﴾ يقول جلّ ثناؤه: قال لما عاين جنته، ورآها وما فيها من الأشجار والثمار والزروع والأنهار المطردة شكاً في المعاد إلى الله: ما أظنّ أن تبيد هذه الجنة أبداً، ولا تفنى ولا تخرب، وما أظنّ الساعة التي وعد الله خلقه الحشر فيها تقول فتحدث، ثم تمنى أمنية أخرى على شكّ منه، فقال: ﴿**وَلَئِنْ رُدِدْتُ إلى رَبّي**﴾ فرجعت إليه، وهو غير موقن أنه راجع إليه ﴿**لأَجِدَنَّ خَيراً مِنها مُنْقَلَباً**﴾ يقول: لأجدنّ خيراً من جنتي هذه عند الله إن رددت إليه مرجعاً ومرداً، يقول: لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ولي عنده أفضل منها في المعاد إن رددت إليه. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَما أظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً**﴾ قال: شكّ، ثم قال: ﴿**وَلَئِنْ**﴾ كان ذلك ثم ﴿**رُدِدْتُ إلى رَبّي لأَجِدَنَّ خَيراً مِنها مُنقَلَباً**﴾ ما أعطاني هذه إلا ولي عنده خير من ذلك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظالِمٌ لَنفسِهِ قالَ ما أظُنُّ أنْ تَبِيدَ هَذِهِ أبَداً وَما أظُنُّ السَّاعة قائِمَةً**﴾ كفور لنعم ربه، مكذّب بلقائه، متمنّ على الله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال لصاحب الجنتين صاحبه الذي هو أقلّ منه مالاً وولداً، ﴿**وَهُوَ يُحاوِرُهُ**﴾: يقول: وهو يخاطبه ويكلمه: ﴿**أكَفَرْتَ بالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ**﴾ يعني خلق أباك آدم من تراب ﴿**ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ**﴾ يقول: ثم أنشأك من نطفة الرجل والمرأة، ﴿**ثم سَوّاكَ رَجُلاً**﴾ يقول: ثم

عَدلك بشراً سوياً رجلاً، ذكراً لا أنثى، يقول: أكفرت بمن فعل بك هذا أن يعيدك خلقاً جديداً بعد ما تصير رفاتاً ﴿لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ يقول: أما أنا فلا أكفر بربي، ولكن أنا هو الله ربي، معناه أنه يقول: ولكن أنا أقول: هو الله ربي ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾. وفي قراءة ذلك وجهان: أحدهما لكنّ هو الله ربي بتشديد النون وحذف الألف في حال الوصل، كما يقال: أنا قائم فتحذف الألف من أنا، وذلك قراءة عامة قرّاء أهل العراق. وأما في الوقف فإن القرأة كلها تثبت فيها الألف، لأن النون إنما شدّدت لاندغام النون من لكن، وهي ساكنة في النون التي من أنا، إذ سقطت الهمزة التي في أنا، فإذا وقف عليها ظهرت الألف التي في أنا، فقيل: لكنا، لأنه يقال في الوقف على أنا بإثبات الألف لا بإسقاطها. وقرأ ذلك جماعة من أهل الحجاز: ﴿لَٰكِنَّا﴾ بإثبات الألف في الوصل والوقف، وذلك وإن كان مما ينطق به في ضرورة الشعر، كما قال الشاعر:

أنا سَيْفُ العَشِيرَةِ فاعْرِفُونِي   حُمَيْداً قد تَذَرَّيْتُ السَّنَامَا[1]

فأثبت الألف في أنا، فليس ذلك بالفصيح من الكلام، والقراءة التي هي القراءة الصحيحة عندنا ما ذكرنا عن العراقيين، وهو حذف الألف من «لكنّ» في الوصل، وإثباتها في الوقف.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً (٣٩)﴾.

يقول عزّ ذكره: وهلا إذ دخلت بستانك، فأعجبك ما رأيت منه، قلت ما شاء الله كان وفي الكلام محذوف استغني بدلالة ما ظهر عليه منه، وهو جواب الجزاء، وذلك كان.

وإذا وجه الكلام إلى هذا المعنى الذي قلنا كانت «ما» نصباً بوقوع فعل الله عليه، وهو شاء

(١) البيت من شواهد النحويين، على أن ثبوت ألف «أنا» في الوصل عند غير بني تميم لا يكون إلا في ضرورة الشعر. «**خزانة الأدب**» للبغدادي (٢/ ٣٩٠) ثم قال: قال ابن جني في شرح تصريف المازني: أما الألف في «أنا» في الوقف فزائدة، ليست بأصل؛ ألا ترى أنك تقول في الوصل: أن زيد، كما قال تعالى: ﴿إني أنا ربك﴾ تكتب بألف بعد النون، وليست الألف في اللفظ، وإنما كتبت على الوقف، فصار سقوط الألف في الوصل، كسقوط الهاء التي تلحق في الوقف لبيان الحركة في الوصل وبينت الحركة بالألف كما بينت بالهاء، لأن الهاء مجاورة للألف. اهـ. و«حميداً»: بدل من الياء في اعرفوني، يروى مصغراً ومكبراً، وفي «**الصحاح**»: جمعاً» في موضع «حميداً». وتذريت السنام: علوته. ونسب ياقوت هذا البيت في حاشية «**الصحاح**» إلى حميد بن بحدل، شاعر. وهو حميد بن حريث بن بحدل، من بني كلب بن وبرة، . ينتهي نسبه إلى قضاعة. وهو شاعر إسلامي، كانت عمته ميسون بنت بحدل، أم يزيد بن معاوية.

وجاز طرح الجواب، لأن معنى الكلام معروف، كما قيل: فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض، وترك الجواب، إذ كان مفهوماً معناه. وكان بعض أهل العربية يقول «ما» من قوله: ﴿ما شاءَ اللَّهُ﴾ في موضع رفع بإضمار هو، كأنه قيل: قلت هو ما شاء الله ﴿لا قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ﴾ يقول: لا قوّة على ما نحاول من طاعته إلا به. وقوله: ﴿إنْ تَرَنِ أنا أقَلَّ مِنْكَ مالاً وَوَلَداً﴾ وهو قول المؤمن الذي لا مال له، ولا عشيرة، مثل صاحب الجنتين وعشيرته، وهو مثل سَلْمان وصُهَيب وَخباب، يقول: قال المؤمن للكافر: إن ترن أيها الرجل أنا أقلّ منك مالاً وولداً فإذا جعلت أنا عماداً نصبت أقل، وبه القراءة عندنا، لأن عليه قراءة الأمصار، وإذا جعلته اسماً رفعت أقل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل المؤمن الموقن للمعاد إلى الله للكافر المرتاب في قيام الساعة: إن تَرَن أيها الرجل أنا أقلّ منك مالاً وولداً في الدنيا، فعسى ربي أن يرزقني خيراً من بستانك هذا ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيها﴾ يعني على جنة الكافر التي قال لها: ما أظنّ أن تبيد هذه أبداً ﴿حُسْباناً مِنَ السَّماءِ﴾ يقول: عذاباً من السماء ترمي به رمياً، وتقذف. والحُسْبان: جمع حُسْبانة، وهي المرامي. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أوْ يُرْسِلَ عَلَيها حُسْباناً مِنَ السَّماءِ﴾ عذاباً.

حُدثت عن محمد بن يزيد، عن جويبر، عن الضحاك، قال: عذاباً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أوْ يُرْسِلَ عَلَيها حُسْباناً مِنَ السَّماءِ﴾. قال: عذاباً، قال: الحُسبان: قضاء من الله يقضيه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: الحُسبان: العذاب.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ﴿حُسْباناً مِنَ السَّماءِ﴾ قال: عذاباً. وقوله: ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً﴾ يقول عزّ ذكره: فتصبح جنتك هذه أيها الرجل أرضاً ملساء لا شيء فيها، قد ذهب كلّ ما فيها من غَرْس ونبت، وعادت خراباً بلاقع، زَلَقاً، لا يثبت في أرضها قدم لا ملساسها، ودروس ما كان نابتاً فيها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً﴾**: أي قد حُصِد ما فيها فلم يُترك فيها شيء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: **﴿فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً﴾** قال: مثل الجُرز.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال ابن زيد، في قوله: **﴿فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً﴾** قال: صعيداً زلقاً وصعيداً جُرزاً واحد ليس فيها شيء من النبات.

وقوله: **﴿أَوْ يُصْبِحَ ماؤُها غَوْراً﴾** يقول: أو يصبح ماؤها غائراً فوضع الغور وهو مصدر مكان الغائر، كما قال الشاعر:

تَظَلُّ جِيادُهُ نَوْحاً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أعِنَّتَها صُفُونا[1]

بمعنى نائحة وكما قال الآخر:

هَرِيقي مِنْ دُمُوعِهِما سَجامَا ضُباعَ وجَاوِبي نَوْحاً قِيامَا[2]

والعرب توحد الغَور مع الجمع والاثنين، وتذكر مع المذكر والمؤنث، تقول: ماء غور، وماءان غَوْر ومياه غَور. ويعني بقوله: **﴿غَوْراً﴾** ذاهباً قد غار في الأرض، فذهب فلا تلحقه الرِّشاء، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿أَوْ يُصْبِحَ ماؤُها غَوْراً﴾** أي ذاهباً قد غار في الأرض.

وقوله: **﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً﴾** يقول: فلن تطيق أن تدرك الماء الذي كان في جنتك بعد غَوْره، بطلبك إياه.

---

(١) البيت لعمرو بن كلثوم فارس تغلب وسيدها، من معلقته المشهورة، ورواية الشطر الأول منه في شرح التبريزي والزوزني وجمهرة أشعار العرب طبع القاهرة: «تركنا الخيل عاكفة عليه».
قال الزوزني: الصفون: جمع صافن. وقد صفن الفرس يصفن صفونا: إذا قام على ثلاث، وثنى سنبكه الرابع. يقول: قتلناه، وحبسنا خيلنا عليه، وقد قلدناها أعنتها في حال صفونها عنده. والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٤٠٣) قال: «أو يصبح ماؤها غورا» أي غائراً. والعرب قد تصف الفاعل بمصدره، وكذلك الاثنين والجمع، على لفظ المصدر قال عمرو بن كلثوم «تظل جياده نوحاً عليه»... البيت أي نائحات.

(٢) البيت في شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (١/ ٤٠٤) قال بعد الشاهد السابق: وقال باك يبكي هشام بن المغيرة: «هريقي.... البيت» قال محققه لعله هشام بن عقبة بن عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي ا هـ. والشاهد فيه كالشاهد في البيت الذي قبله، يريد بقوله: «نوحاً» نائحات، وهذا في المصدر كثير. وضباع مرخم ضباعة: اسم امرأة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأحاط الهلاك والجوائح بثمره، وهي صنوف ثمار جنته التي كان يقول لها: ﴿ما أظُنُّ أنْ تَبِيدَ هَذِهِ أبَداً﴾ فأصبح هذا الكافر صاحب هاتين الجنتين، يقلب كفَّيه ظهراً لبطن، تلهفاً وأسفاً على ذهاب نفقته التي أنفق في جنته ﴿وَهِيَ خاوِيَةٌ على عُرُوشِها﴾ يقول: وهي خالية على نباتها وبيوتها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فأصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾: أي يصفق ﴿كَفَّيه عَلى ما أنْفَقَ فِيها﴾ متلهفاً على ما فاته.

﴿وَ﴾ هو ﴿يقول يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أحَداً﴾ ويقول: يا ليتني، يقول: يتمنى هذا الكافر بعد ما أصيب بجنته أنه لم يكن كان أشرك بربه أحداً، يعني بذلك: هذا الكافر إذا هلك وزالت عنه دنياه وانفرد بعمله، ودّ أنه لم يكن كفر بالله ولا أشرك به شيئاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولم يكن لصاحب هاتين الجنتين فِئَة، وهم الجماعة كما قال العَجَّاج:

كَـمَـا يَـحُـوزُ الـفِـئَـةُ الـكَـمِـيّ(١)

---

(١) البيت للعجاج من أرجوزة له مطولة (أراجيز العرب للسيد محمد توفيق البكري طبعة القاهرة سنة ١٣٣٦ ص ـ ١٨٤) وقبله:

يحوذهن وله حوذي خوف الخلاط وهو أجنبي كما يحوذ الفئة الكمي

وقال في شرحه: ويحوذ: يسوق ويطرد. وله حوذي: أي له ما يطردهن به. والكمي: الشجاع. وأجنبي: أي مجانب لهن، متخوف، لا يمكنهن من نفسه. ا هـ وفي «اللسان» حوذ حاذ الإبل يحوذها: إذا حازها وجمعها ليسوقها. وحاذه يحوذه حوذاً: غلبه، وحاذ الحمار أتنه: إذا استولى عليها وجمعها، وكذلك حازها. والفئة: الفرقة والجماعة من الناس في الأصل، والطائفة التي تقيم وراء الجيش، فإن كان عليهم خوف أو هزيمة التجئوا إليهم.

وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل، وإن خالف بعضهم في العبارة عنه عبارتنا، فإن معناهم نظير معنانا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله عزّ وجلّ: **﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللّهِ﴾** قال: عشيرته.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿ولَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللّهِ﴾**: أي جند ينصرونه.

وقوله: **﴿يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللّهِ﴾** يقول: يمنعونه من عقاب الله وعذاب الله إذا عاقبه وعذّبه. وقوله **﴿وَما كانَ مُنْتَصِراً﴾** يقول: ولم يكن ممتنعاً من عذاب الله إذا عذّبه، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَما كانَ مُنْتَصِراً﴾**: أي ممتنعاً.

وقوله: **﴿هُنالِكَ الوَلايَةُ لِلّهِ الحَقِّ﴾** يقول عزّ ذكره: ثم وذلك حين حلّ عذاب الله بصاحب الجنتين في القيامة.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: الولاية، فقرأ بعض أهل المدينة والبصرة والكوفة **﴿هُنالِكَ الوَلايَةُ﴾** بفتح الواو من الولاية، يعنون بذلك هنالك المُوالاة لله، كقول الله: **﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** وكقوله: **﴿ذلكَ بأنَّ اللّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾** يذهبون بها إلى الوَلاية في الدين. وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة: «هُنالِكَ الوِلايَةُ» بكسر الواو: من المُلك والسلطان، من قول القائل: وَلِيتُ عمل كذا، أو بلدة كذا أليه ولاية.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب، قراءة من قرأ بكسر الواو، وذلك أن الله عقب ذلك خبره عن مُلكه وسلطانه، وأن من أحلّ به نقمته يوم القيامة فلا ناصر له يومئذٍ، فإتباع ذلك الخبر عن انفراده بالمملكة والسلطان أولى من الخبر عن الموالاة التي لم يجر لها ذكر ولا معنى، لقول من قال: لا يسمَّى سلطان الله ولاية، وإنما يسمى ذلك سلطان البشر، لأن الولاية معناها أنه يلي أمر خلقه منفرداً به دون جميع خلقه، لا أنه يكون أميراً عليهم.

واختلفوا أيضاً في قراءة قوله **﴿الحَقِّ﴾** فقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة والعراق خفضاً، على توجيهه إلى أنه من نعت الله، وإلى أن معنى الكلام: هنالك الولاية لله الحقّ ألوهيته، لا الباطل

بطول[1] ألوهيته التي يدعونها المشركون بالله آلهة. وقرأ ذلك بعض أهل البصرة وبعض متأخري الكوفيين: «لِلّهِ الحَقُّ» برفع الحق توجيهاً منهما إلى أنه من نعت الولاية، ومعناه: هنالك الولاية الحقّ، لا الباطل لله وحده لا شريك له.

وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب، قراءة من قرأه خفضاً على أنه من نعت الله، وأن معناه ما وصفت على قراءة من قرأه كذلك.

وقوله: ﴿**هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً**﴾ يقول عزّ ذكره: خير للمنيبين في العاجل والآجل ثواباً ﴿**وخَيْرٌ عُقْباً**﴾ يقول: وخيرهم عاقبة في الآجل إذا صار إليه المطيع له، العامل بما أمره الله، والمنتهي عما نهاه الله عنه. والعقب هو العاقبة، يقال: عاقبة أمر كذا وعُقْباه وعُقُبه، وذلك آخره وما يصير إليه منتهاه.

وقد اختلف القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الكوفة ﴿**عُقْباً**﴾ بضم العين وتسكين القاف[2].

والقول في ذلك عندنا. أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾.

يقول عزّ ذكره لنبيه محمد ﷺ: واضرب لحياة هؤلاء المستكبرين الذين قالوا لك: اطرد عنك هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ، إذا نحن جئناك الدنيا منهم مثلاً يقول: شبهاً ﴿**كَماءٍ أنزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ**﴾ يقول: كمطر أنزلناه من السماء ﴿**فاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأرْضِ**﴾ يقول: فاختلط بالماء نبات الأرض ﴿**فأصْبَحَ هَشِيماً**﴾ يقول: فأصبح نبات الأرض يابساً متفتتاً ﴿**تَذْرُوهُ الرّياحُ**﴾ يقول تطيره الرياح وتفرّقه يقال منه: ذَرَته الريح تَذْرُوه ذَرْواً، وَذَرَته ذَرْياً، وأذرته تُذْرِيهِ إذراء كما قال الشاعر:

فَقُلْتُ لَهُ صَوّبْ وَلا تُجْهِدَنَّهُ فَيُذْرِكَ مِنْ أُخْرَى القَطاةِ فَتزْلَقِ[3]

---

(١) لعل كلمة «بطول» هذه مقحمة من قلم الناسخ، وأن الأصل: لا الباطل ألوهيته... الخ.

(٢) سقط من قلم الناسخ القراءة الثانية، وهي: عقبا، بضم العين والقاف.

(٣) البيت لامرىء القيس بن حجر «**مختار الشعر الجاهلي**» طبعة مصطفى البابي الحلبي بشرح مصطفى السقا (ص=

يقال: أذريت الرجل عن الدابة والبعير: إذا ألقيته عنه.

وقوله: ﴿**وكانَ اللّهُ على كُلّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً**﴾ يقول: وكان الله على تخريب جنة هذا القائل حين دخل جنته: ﴿**ما أظُنُّ أنْ تَبِيدَ هَذِهِ أبَداً وَما أظُنُّ السّاعَةَ قائمَةً**﴾ وإهلاك أموال ذي الأمْوَالِ الباخلين بها عن حقوقها، وإزالة دنيا الكافرين به عنهم، وغير ذلك مما يشاء قادر، لا يعجزه شيء أراده، ولا يعْييه أمر أراده، يقول: فلا يفخر ذو الأموال بكثرة أمواله، ولا يستكبر على غيره بها، ولا يغترنّ أهل الدنيا بدنياهم، فإنما مَثَلُها مثل هذا النبات الذي حسُن استواؤه بالمطر، فلم يكن إلا رَيْثَ أن انقطع عنه الماء، فتناهى نهايته، عاد يابساً تذروه الرياح، فاسداً، تنبو عنه أعين الناظرين، ولكن ليعمل للباقي الذي لا يفنى، والدائم الذي لا يبيد ولا يتغير.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: المال والبنون أيها الناس التي يفخر بها عيينة والأقرع، ويتكبران بها على سلمان وخباب وصهيب، مما يتزين به في الحياة الدنيا، وليسا من عداد الآخرة ﴿**والباقياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبّكَ ثَوَاباً**﴾ يقول: وما يعمل سلمان وخباب وصهيب من طاعة الله، ودعائهم ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه، الباقي لهم من الأعمال الصالحة بعد فناء الحياة الدنيا، خير يا محمد عند ربك ثواباً من المال والبنين التي يفتخر هؤلاء المشركون بها، التي تفنى، فلا تبقى لأهلها ﴿**وخَيْرٌ أمَلاً**﴾ يقول: وما يؤمل من ذلك سلمان وصهيب وخباب، خير مما يؤمل عيينة والأقرع من أموالهما وأولادهما. وهذه الآيات من لدن قوله: ﴿**وَاتْلُ ما أُوحيَ إلَيْكَ مِنْ كِتابِ رَبّكَ**﴾ إلى هذا الموضع، ذُكر أنها نزلت في عيينة والأقرع.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسين بن عمرو العنقزي، قال: ثنا أبي، قال: ثنا أسباط بن نصر، عن السديّ، عن أبي سعيد الأزدي، وكان قارىء الأزد، عن أبي الكنود، عن خباب في قوله: ﴿**وَلا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشيّ**﴾ ثم ذكر القصة التي ذكرناها في سورة الأنعام في قصة عيينة والأقرع، إلى قوله: ﴿**وَلا تُطِعْ مَنْ أغْفَلْنا قَلْبَه عَنْ ذِكْرِنا**﴾ قال: عيينة والأقرع ﴿**وَاتّبَعَ هَوَاهُ**﴾ قال:

= ـ ١٢٥) قال في شرحه: فيذرك: يصرعك ويلقك؛ يقال: أذريت الشيء عن الشيء: إذا ألقيته. والقطاة: مقعد الرديف. يقول: قلت للغلام: صوب الفرس نحو القصد، وخذ عفوه، ولا تحمله على سرعة العدو، فيلقيك من آخر القطاة. ويروى: من أعلى القطاة.

قال: ثم قال ضرب لهم مثلاً رجلين، ومثل الحياة الدنيا.

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بالباقيات الصالحات، اختلافهم في المعنيّ بالدعاء الذي وصف جلّ ثناؤه به الذين نهى رسول الله ﷺ، عن طردهم، وأمره بالصبر معهم، فقال بعضهم: هي الصلوات الخمس. وقال بعضهم: هي ذكر الله بالتسبيح والتقديس والتهليل، ونحو ذلك. وقال بعضهم: هي العمل بطاعة الله. وقال بعضهم: الكلام الطيب. ذكر من قال: هي الصلوات الخمس:

حدثني محمد بن إبراهيم الأنماطي، قال: ثنا يعقوب بن كاسب، قال: ثنا عبد الله بن عبد الله الأموي قال: سمعت عبد الله بن يزيد بن هرمز، يحدّث عن عبيد الله بن عتبة، عن ابن عباس أنه قال: الباقيات الصالحات: الصلوات الخمس.

حدثني زريق بن إسحاق، قال: ثنا قبيصة، عن سفيان، عن عبد الله بن مسلم، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿**وَالباقِياتُ الصَّالِحاتُ**﴾ قال: الصلوات الخمس.

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن الأعمش، عن أبي إسحاق عن عمرو بن شُرَحبيل في هذه الآية ﴿**والباقياتُ الصَّالِحاتُ**﴾ قال: هي الصلوات المكتوبات.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن عبد الله بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: الباقيات الصالحات: الصلوات الخمس.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان عن الحسن بن عبد الله، عن إبراهيم، قال ﴿**الباقِياتُ الصَّالِحاتُ**﴾ الصلوات الخمس.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة ﴿**والباقِياتُ الصَّالِحاتُ**﴾ قال: الصلوات الخمس. ذكر من قال: هنّ ذكر الله بالتسبيح والتحميد ونحو ذلك:

حدثنا ابن حميد وعبد الله بن أبي زياد ومحمد بن عمارة الأسدي، قالوا: ثنا عبد الله بن يزيد، قال: أخبرنا حيوة، قال: أخبرنا أبو عقيل زهرة بن معبد القرشي من بني تيم من رهط أبي بكر الصدّيق، أنه سمع الحرث مولى عثمان بن عفان، يقول: قيل لعثمان: ما الباقيات الصالحات؟ قال: هنّ لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

حدثني سعيد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا أبو زرعة، قال: ثنا حيوة، قال: ثنا أبو عقيل زهرة بن معبد، أنه سمع الحرث مولى عثمان بن عفان يقول: قيل لعثمان بن عفان: ما الباقيات الصالحات؟ قال: هي لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده، والله أكبر، والحمد لله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

حدثني ابن عبد الرحيم البرّقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: ثنا نافع بن يزيد ورشدين بن سعد، قالا: ثنا زهرة بن معبد، قال: سمعت الحارث مولى عثمان بن عفان يقول: قالوا لعثمان: ما الباقيات الصالحات؟ فذكر مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عبد الله بن مسلم بن هرمز، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**وَالباقِياتُ الصَّالِحاتُ**﴾ قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت عبد الملك، عن عطاء، عن ابن عباس، في قوله ﴿**وَالباقِياتُ الصَّالِحاتُ**﴾ قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا طلق بن غنام، عن زائدة، عن عبد الملك، عن عطاء، عن ابن عباس مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا مالك، عن عمارة بن عبد الله بن صياد، عن سعيد بن المسيب، قال: ﴿**الباقِياتُ الصَّالِحاتُ**﴾: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: أخبرني عبد الله بن عثمان بن خُثَيم، عن نافع بن سرجس، أنه أخبره أنه سأل ابن عمر عن الباقيات الصالحات، قال: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله. قال ابن جريج، وقال عطاء بن أبي رَباح مثل ذلك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: الباقيات الصالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن مجاهد بنحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله ﴿**والباقياتُ الصَّالِحاتُ**﴾ قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني أبو صخر: أن عبد الله بن عبد الرحمن، مولى سالم بن عبد الله، حدثه قال: أرسلني سالم بن محمد بن كعب القُرَظي، فقال: قل له الْقَنِي عند زاوية القبر، فإن لي إليك حاجة، قال: فالتقيا، فسلم أحدهما على الآخر، ثم قال سالم: ما تعدّ الباقيات الصالحات؟ فقال: لا إله إلا الله، والحمد لله، وسبحان الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، فقال له سالم: متى جعلت فيها لا حول ولا قوّة إلا بالله؟ فقال: ما زلت أجعلها، قال: فراجعه مرّتين أو ثلاثاً فلم ينزع. قال: فأثبت، قال سالم: أجل، فأثبت فإن أبا أيوبَ الأنصاري حدثني أنه سمع رسول الله ﷺ وهو يقول: «عُرِجَ بِي إلى السَّماءِ فَأُرِيتُ إبْرَاهِيمَ، فقال: يا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ فقالَ: مُحَمَّد، فَرَحَّبَ بِي وَسَهَّلَ، ثُمَّ قالَ: مُرْ أُمَّتَكَ فَلْتُكْثِرْ مِنْ غِرَاسِ الجَنَّةِ، فإنَّ تُرْبَتَها طَيِّبَةٌ، وأرْضُها وَاسِعَةٌ، فَقُلْتُ: وَما غِرَاسُ الجَنَّةِ؟ قالَ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ باللّهِ».

وجدت في كتابي عن الحسن بن الصَّباح البزار، عن أبي نصر التمار، عن عبد العزيز بن مسلم، عن محمد بن عجلان، عن سعيد المَقْبُري، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «سُبْحَانَ اللّهِ، والحَمْدُ لِلّهِ، وَلا إلَهَ إلاَّ اللّهُ، وَاللّهُ أكْبَرُ مِنَ الباقِياتِ الصَّالِحاتِ».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن وقتادة، في قوله: ﴿**والباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ**﴾ قال: لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، وسبحان الله، هنّ الباقيات الصالحات.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا عمرو بن الحارث، أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخُدريّ، أن رسول الله ﷺ قال: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ الباقِياتِ الصَّالِحاتِ»، قيلَ: وما هي يا رسول الله؟ قال: «المِلَّة»، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «التَّكْبِيرُ والتَّهْلِيلُ والتسبِيحُ، والحَمْدُ، ولا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ باللّهِ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني مالك، عن عمارة بن صياد، أنه سمع سعيد بن المسيب يقول في الباقيات الصالحات: إنها قول العبد: الله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

حدثني ابن البَرْقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا يحيى بن أيوب، قال: ثني ابن عَجْلان، عن عمارة بن صياد، قال: سألني سعيد بن المسيب، عن الباقيات الصالحات، فقلت:

الصلاة والصيام، قال: لم تصب فقلت: الزكاة والحجّ، فقال: لم تصب، ولكنهنّ الكلمات الخمس: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله. ذكر من قال: هي العمل بطاعة الله عزّ وجلّ:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراسانيّ، عن ابن عباس **﴿والباقِياتُ الصَّالحاتُ خَيرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وخَيرٌ أمَلاً﴾** قال: الأعمال الصالحة: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿والباقِياتُ الصَّالحاتُ﴾** قال: هي ذكر الله قول لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، وتبارك الله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، وأستغفر الله، وصلى الله على رسول الله والصيام والصلاة والحجّ والصدقة والعتق والجهاد والصلة، وجميع أعمال الحسنات، وهنّ الباقيات الصالحات، التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله **﴿والباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وخَيرٌ أمَلاً﴾** قال: الأعمال الصالحة. ذكر من قال: هي الكلم الطيب:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿والباقياتُ الصَّالِحاتُ﴾** قال: الكلام الطيب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هنّ جميع أعمال الخير، كالذي رُوي عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، لأن ذلك كله من الصالحات التي تبقى لصاحبها في الآخرة، وعليها يجازى ويُثاب، وإن الله عزّ ذكره لم يخصص من قوله **﴿والباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً﴾** بعضاً دون بعض في كتاب، ولا بخبر عن رسول الله ﷺ.

فإن ظنّ ظانّ أن ذلك مخصوص بالخبر الذي رويناه عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ، فإن ذلك بخلاف ما ظن، وذلك أن الخبر عن رسول الله ﷺ إنما ورد بأن قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هنّ من الباقيات الصالحات، ولم يقل: هنّ جميع الباقيات الصالحات، ولا كلّ الباقيات الصالحات وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات، وغيرها من أعمال البرّ أيضاً باقيات صالحات.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا

عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الجِبالَ﴾ عن الأرض، فَنبسُها بَسّاً، ونجعلها هباء منبثاً ﴿وَتَرَى الأرْضَ بارِزَةً﴾ ظاهرة، وظهورها لرأي أعين الناظرين من غير شيء يسترها من جبل ولا شجر هو بروزها. وبنحو ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَتَرى الأرْضَ بارِزَةً﴾ قال: لا خَمَر فيها ولا غيابة ولا بناء، ولا حجر فيها.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَتَرى الأرْضَ بارِزَةً﴾ ليس عليها بناء ولا شجر.

وقيل: معنى ذلك: وترى الأرض بارزاً أهلها الذين كانوا في بطنها، فصاروا على ظهرها. وقوله ﴿وَحَشَرناهُمْ﴾ يقول: جمعناهم إلى موقف الحساب ﴿فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أحَداً﴾، يقول: فلم نترك، ولم نبق منهم تحت الأرض أحداً، يقال منه: ما غادرت من القوم أحداً، وما أغدرت منهم أحداً، ومن أغدرت قول الراجز:

هَلْ لَكِ والعارِضُ مِنْكِ عائِضُ ... فِي هَجْمَةٍ يُغْدِرُ مِنْها القابِضُ[1]

---

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز، من ثلاثة أبيات أوردها «اللسان» عرض والثالث قبلهما، وهو:

يا ليل أسقاك البريق السوامض

وهي لأبي محمد الفقعمي قاله يخاطب امرأة خطبها إلى نفسها، ورغبها في أن تنكحه، فقال: هل لك رغبة في مئة من الإبل أو أكثر من ذلك لأن الهجمة أولها الأربعون، إلى ما زدت، يجعلها لها مهراً. قال: وفيه تقديم وتأخير، والمعنى هل لك في مئة من الإبل أو أكثر، يسئر منها قابضها الذي يسوقها، أي يبقى، لأنه لا يقدر على سوقها، لكثرتها وقوتها، لأنها تفرق عليه. ثم قال والعارض منك عائض، أي المعطى بذل بضعك أي معطي بدل بضعك عرضاً عائض، أي آخذ عوضاً منك بالتزويج، يكون كفاء لما عرض منك. ويقال عضت أعاض: إذا اعتضت عوضاً، (بكسر العين في الماضي) وعضت أعوض (بضم عين الماضي): إذا عوضت عوضاً، أي دفعت. فقوله عائض من عضت (بالكسر) لا من عضت (بالضم). ومن روى «يغدر»: أراد يترك، من قولهم غادرت الشيء. قال ابن بري: والذي في شعره: «والعائض منك عائض»: أي والعوض منك عوض، كما تقول: الهبة منك هبة، أي لها موقع. ا هـ قلت: في رواية «اللسان» لهذا الرجز «يسئر» أي يبقى، في موضع «يغدر».

وقوله: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً﴾ يقول عزّ ذكره: وعُرض الخلق على ربك يا محمد صفاً ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونا كَمَا خَلَقْناكُمْ أوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يقول عزّ ذكره: يقال لهم إذ عُرضوا على الله: لقد جئتمونا أيها الناس أحياء كهيئتكهم حين خلقناكم أوّل مرّة وحذف يقال من الكلام لمعرفة السامعين بأنه مراد في الكلام.

وقوله: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ ألَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً﴾ وهذا الكلام خرج مخرج الخبر عن خطاب الله به الجميع، والمراد منه الخصوص، وذلك أنه قد يرد القيامة خلق من الأنبياء والرسل، والمؤمنين بالله ورسله وبالبعث. ومعلوم أنه لا يُقال يومئذٍ لمن وردها من أهل التصديق بوعد الله في الدنيا، وأهل اليقين فيها بقيام الساعة، بل زعمتم أن لن نجعل لكم البعث بعد الممات، والحشر إلى القيامة موعداً، وأن ذلك إنما يقال لمن كان في الدنيا مكذّباً بالبعث وقيام الساعة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)﴾.

يقول عزّ ذكره: ووضع الله يومئذٍ كتاب أعمال عباده في أيديهم، فأخذ واحد بيمينه وأخذ واحد بشماله ﴿فَتَرى المُجْرِمينَ مُشْفقينَ مِمَّا فِيهِ﴾ يقول عزّ ذكره: فترى المجرمين المشركين بالله مشفقين، يقول: خائفين وجلين مما فيه مكتوب من أعمالهم السيئة التي عملوها في الدنيا أن يؤاخذوا بها ﴿وَيَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهَذَا الكِتابِ لا يُغادِرُ صَغيرَةً وَلا كَبيرَةً إلاَّ أحْصَاها﴾ يعني أنهم يقولون إذا قرأوا كتابهم، ورأوا ما قد كُتب عليهم فيه من صغائر ذنوبهم وكبائرها، نادوا بالويل حين أيقنوا بعذاب الله، وضجوا مما قد عرفوا من أفعالهم الخبيثة التي قد أحصاها كتابهم، ولم يقدروا أن ينكروا صحتها كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ما لِهَذَا الكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إلاَّ أحْصَاها﴾ اشتكى القوم كما تسمعون الإحصاء، ولم يشتك أحد ظلماً، «فإياكم والمحقَّرات من الذنوب، فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه». ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يضرب لها مثلاً، يقول كمثل قوم انطلقوا يسيرون حتى نزلوا بفلاة من الأرض، وحضر صنيع القوم، فانطلق كلّ رجل يحتطب، فجعل الرجل يجيء بالعود، ويجيء الآخر بالعود، حتى جمعوا سواداً كثيراً وأجّجوا ناراً، فإن الذنب الصغير يجتمع على صاحبه حتى يهلكه. وقيل: إنه عنى بالصغيرة في هذا الموضع: الضحك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا عبد الله بن داود، قال: ثنا محمد بن موسى، عن الزيال بن عمرو، عن ابن عباس ﴿**لا يُغادِرُ صَغِيرةً وَلا كَبِيرةً**﴾ قال: الضحك.

حدثنا أحمد بن حازم، قال: ثنا أبي، قال: حدثتني أمي حمادة ابنة محمد، قالت: سمعت أبي محمد بن عبد الرحمن يقول في هذه الآية في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**ما لِهَذَا الكِتابِ لا يُغَادِرُ صَغيرةً وَلا كَبِيرةً إلاَّ أحْصَاها**﴾ قال: الصغيرة: الضحك.

ويعني بقوله: ﴿**ما لِهَذَا الكِتابِ**﴾: ما شأن هذا الكتاب ﴿**لا يُغادِرُ صَغِيرةً وَلا كَبِيرَةً**﴾ يقول: لا يبقي صغيرة من ذنوبنا وأعمالنا ولا كبيرة منها ﴿**إلاَّ أحْصَاها**﴾ يقول: إلا حفظها ﴿**وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا**﴾ في الدنيا من عمل ﴿**حاضِراً**﴾ في كتابهم ذلك مكتوباً مثبتاً، فجوّزوا بالسيئة مثلها، والحسنة ما الله جازيهم بها ﴿**وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أحَداً**﴾ يقول: ولا يجازي ربك أحداً يا محمد بغير ما هو أهله، لا يجازي بالإحسان إلا أهل الإحسان، ولا بالسيئة إلا أهل السيئة، وذلك هو العدل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا (٥٠)﴾.

يقول تعالى ذكره مذكِّراً هؤلاء المشركين حسد إبليس أباهم ومعلمهم ما كان منه من كبره واستكباره عليه حين أمره بالسجود له، وأنه من العداوة والحسد لهم على مثل الذي كان عليه لأبيهم: ﴿**وَ**﴾ اذكر يا محمد ﴿**إذْ قُلْنا للْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ**﴾ الذي يطيعه هؤلاء المشركون ويتبعون أمره، ويخالفون أمر الله، فإنه لم يسجد له استكباراً على الله، وحسداً لآدم ﴿**كانَ مِنَ الجِنّ**﴾.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿**كانَ مِنَ الجِنّ**﴾ فقال بعضهم: إنه كان من قبيلة يقال لهم الجنّ. وقال آخرون: بل كان من خزّان الجنة، فنُسب إلى الجنة. وقال آخرون: بل قيل من الجنّ، لأنه من الجنّ الذين استجنوا عن أعين بني آدم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن خلاد بن عطاء، عن طاوس، عن ابن عباس قال: كان اسمه قبل أن يركب المعصية عزازيل، وكان من سكان الأرض، وكان من أشدّ الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً، فذلك هو الذي دعاه إلى الكبر، وكان من حيّ يسمى جناً.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: كان إبليس من حيّ من أحياء الملائكة يقال لهم الجنّ، خُلقوا من نار السموم من بين الملائكة، وكان اسمه الحارث. قال: وكان خازناً من خزّان الجنة. قال: وخُلقت الملائكة من نور غير هذ الحيّ. قال: وخُلقت الجنّ الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهبت.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثني شيبان، قال: ثنا سلام بن مسكين، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، قال: كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**إلاَّ إبْلِيسَ كانَ مِنَ الجِنّ**﴾ قال: كان إبليس من خزّان الجنة، وكان يدبر أمر سماء الدنيا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: كان إبليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة. وكان خازناً على الجنان، وكان له سلطان السماء الدنيا، وكان له سلطان الأرض، وكان فيما قضى الله أنه رأى أن له بذلك شرفاً وعظمة على أهل السماء، فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله فما كان عند السجود حين أمره أن يسجد لآدم استخرج الله كبره عند السجود، فلعنه وأخّره إلى يوم الدين. قال: قال ابن عباس: وقوله: ﴿**كانَ مِنَ الجِنّ**﴾ إنما سمي بالجنان أنه كان خازناً عليها، كما يقال للرجل: مكيّ، ومدنيّ، وكوفيّ، وبصريّ، قاله ابن جريج.

وقال آخرون: هم سبط من الملائكة قبيلة، وكان اسم قبيلته الجنّ:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن صالح مولى التوأمة، وشريك بن أبي نمر أحدهما أو كلاهما، عن ابن عباس، قال: إن من الملائكة قبيلة من الجنّ، وكان إبليس منها، وكان يسوس ما بين السماء والأرض، فعصى، فسخط الله عليه فمسخه شيطاناً رجيماً، لعنه الله ممسوخاً. قال: وإذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجه، وإذا كانت خطيئته في معصية فارجه، وكانت خطيئة آدم في معصية، وخطيئة إبليس في كبر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَإذْ قُلْنا للْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ كانَ مِنَ الجِنّ**﴾ قبيل من الملائكة يقال لهم الجنّ. وقال ابن عباس: لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود، وكان على خزانة السماء الدنيا. قال: وكان قتادة يقول: جنّ عن طاعة ربه. وكان الحسن يقول: ألجأه الله إلى نسبه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ﴿**إلاَّ إبْلِيسَ كانَ مِنَ الجِنّ**﴾ قال: كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجنّ.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن عوف، عن الحسن، قال: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجنّ، كما أن آدم عليه السلام أصل الإنس.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول: كان إبليس على السماء الدنيا وعلى الأرض وخازن الجنان.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ كانَ مِنَ الجِنّ**﴾: كان ابن عباس يقول: إن إبليس كان من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة، وكان خازناً على الجنان، وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الأرض، وكان مما سوّلت له نفسه من قضاء الله أنه رأى أن له بذلك شرفاً على أهل السماء، فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله، فاستخرج الله ذلك الكبر منه حين أمره بالسجود لآدم، فاستكبر وكان من الكافرين، فذلك قوله للملائكة: ﴿**إنّي أعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ وأعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَما كُنْتُم تَكْتُمُونَ**﴾ يعني: ما أسرّ إبليس في نفسه من الكبر.

وقوله: ﴿**كانَ مِنَ الجِنّ**﴾ كان ابن عباس يقول: قال الله ﴿**كانَ مِنَ الجِنّ**﴾ لأنه كان خازناً على الجنان، كما يقال للرجل: مكيّ، ومدني، وبصريّ، وكوفيّ.

وقال آخرون: كان اسم قبيلة إبليس الجنّ، وهم سبط من الملائكة يقال لهم الجنّ، فلذلك قال الله عزّ وجلّ ﴿**كانَ مِنَ الجِنّ**﴾ فنسبه إلى قبيلته.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، في قوله ﴿**كانَ مِنَ الجِنّ**﴾ قال: من الجنانين الذين يعملون في الجنان.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا أبو سعيد اليحمدي إسماعيل بن إبراهيم، قال: ثني سوار بن الجعد اليحمدي، عن شهر بن حوشب، قوله: ﴿**مِنَ الجِنّ**﴾ قال: كان إبليس من الجنّ الذين طردتهم الملائكة، فأسره بعض الملائكة، فذهب به إلى السماء.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿**إلاَّ إبْلِيسَ كانَ مِنَ الجِنّ فَفَسَقَ عَنْ أمْرِ رَبِّهِ**﴾ قال: كان خازن الجنان فسمي بالجنان.

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي، قال: ثنا أحمد بن بشير، عن سفيان بن أبي

المقدام، عن سعيد بن جبير، قال: كان إبليس من خزنة الجنة.

وقد بيَّنا القول في ذلك فيما مضى من كتابنا هذا، وذكرنا اختلاف المختلفين فيه، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ يقول: فخرج عن أمر ربه، وعدل عنه ومال، كما قال رؤبة:

يَهْوِينَ فِي نَجْدٍ وغَوْراً غائِرَا فَوَاسِقاً عَنْ قَصْدِها جَوَائِرَا[1]

يعني بالفواسق: الإبل المنعدلة عن قصد نجد، وكذلك الفسق في الدين إنما هو الانعدال عن القصد، والميل عن الاستقامة. ويُحكى عن العرب سماعاً: فسقت الرطبة من قشرها: إذا خرجت منه، وفسقت الفأرة: إذا خرجت من جحرها. وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: إنما قيل: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ لأنه مراد به: ففسق عن ردّه أمر الله، كما تقول العرب: اتخمت عن الطعام، بمعنى: اتخمت لما أكلته. وقد بيَّنا القول في ذلك، وأن معناه: عدل وجار عن أمر الله، وخرج عنه. وقال بعض أهل العلم بكلام العرب: معنى الفسق: الاتساع. وزعم أن العرب تقول: فسق في النفقة: بمعنى اتسع فيها. قال: وإنما سمي الفاسق فاسقاً، لاتساعه في محارم الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى «ح» وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ قال: في السجود لآدم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ قال: عصى في السجود لآدم.

وقوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ يقول تعالى ذكره: أفتوالون يا بني آدم من استكبر على أبيكم وحسده، وكفر نعمتي عليه، وغرّه حتى أخرجه من الجنة ونعيم عيشه فيها إلى الأرض وضيق العيش فيها، وتطيعونه وذرّيته من دون الله مع عداوته لكم قديماً وحديثاً، وتتركون طاعة ربكم الذي أنعم عليكم وأكرمكم، بأن أسجد لوالدكم ملائكته، وأسكنه

---

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز لرؤبة، أوردهما صاحب «**مجموع أشعار العرب**» (ج ٣) في ملحق ديوان رؤبة (ص ـ ١٩٠) والبيت الثاني في«**اللسان**» فسق. والشاهد في قوله: فواسقا بمعنى خوارج. وقد استشهد بهما أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (١/ ٤٠٦) قال: «ففسق عن أمر ربه»: جاز عنه، وكفر به، وقال رؤبة: «يهوين...» الخ، وما قاله المؤلف شبيه بما قال أبو عبيدة.

جناته، وآتاكم من فواضل نعمه ما لا يحصى عدده، وذرّية إبليس: الشياطين الذين يغرّون بني آدم. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿أَفَتَتَّخِذونَه وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي﴾ قال: ذرّيته: هم الشياطين، وكان يعدّهم «زلنبور»[1] صاحب الأسواق ويضع رايته في كلّ سوق ما بين السماء والأرض، و«ثبر» صاحب المصائب، و«الأعور» صاحب الزنا و«مسوط» صاحب الأخبار، يأتي بها فيلقيها في أفواه الناس، ولا يجدون لها أصلاً، و«داسم» الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع، وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: ثنا حفص بن غياث، قال: سمعت الأعمش يقول: إذا دخلتُ البيت ولم أسلم، رأيت مطهرة، فقلت: ارفعوا ارفعوا، وخاصمتهم، ثم أذكر فأقول: داسم داسم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، قال: هم أربعة ثبر، وداسم، وزلنبور، والأعور، ومسوط: أحدها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي...﴾ الآية، وهم يتوالدون كما تتوالد بنو آدم، وهم لكم عدوّ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ وهو أبو الجنّ كما آدم أبو الإنس. وقال: قال الله لإبليس: إني لا أذرأ لآدم ذرّية إلا ذرأت لك مثلها، فليس من ولد آدم أحد إلا له شيطان قد قرن به.

وقوله: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ يقول عزّ ذكره: بئس البدل للكافرين بالله اتخاذ إبليس وذرّيته أولياء من دون الله، وهم لكم عدّو من تركهم اتخاذ الله ولياً باتباعهم أمره ونهيه، وهو المنعم عليهم وعلى أبيهم آدم من قبلهم، المتفضّل عليهم من الفواضل ما لا يحصى بدلاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ بئسما استبدلوا بعبادة ربهم إذ أطاعوا إبليس.

---

(١) زلنبور وما عطف عليه من أسماء أولاد إبليس: مذكورة في (التاج: زلنبور)، نقلاً عن الأزهري في «التهذيب» في الخماسي، والغزالي في الإحياء، والصاغاني في التكملة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾.

يقول عزّ ذكره: ما أشهدت إبليس وذرّيته ﴿خَلْقَ السمَوَاتِ والأرْضِ﴾ يقول: ما أحضرتهم ذلك فأستعين بهم على خلقها ﴿وَلا خَلْقَ أنْفُسِهِمْ﴾ يقول: ولا أشهدت بعضهم أيضاً خلق بعض منهم، فأستعين به على خلقه، بل تفرّدت بخلق جميع ذلك بغير معين ولا ظهير، يقول: فكيف اتخذوا عدوّهم أولياء من دوني، وهم خلق من خلق أمثالهم، وتركوا عبادتي وأنا المنعم عليهم وعلى أسلافهم، وخالقهم وخالق من يوالونه من دوني منفرداً بذلك من غير معين ولا ظهير.

وقوله: ﴿وَما كُنْتُ مُتَّخِذَ المُضِلِّينَ عَضُداً﴾ يقول: وما كنت متخذ من لا يهدي إلى الحقّ، ولكنه يضلّ، فمن تبعه يجور به عن قصد السبيل أعواناً وأنصاراً وهو من قولهم: فلان يعضد فلاناً إذا كان يقوّيه ويعينه. وبنحو ذلك قال بعض أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَما كُنْتُ مُتَّخِذَ المُضِلِّينَ عَضُداً﴾: أي أعواناً.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة مثله، وإنما يعني بذلك أن إبليس وذرّيته يضلون بني آدم عن الحقّ، ولا يهدونهم للرشد، وقد يحتمل أن يكون عنى بالمضلين الذين هم أتباع على الضلالة، وأصحاب على غير هدى.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾.

يقول عزّ ذكره ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ الله عزّ ذكره للمشركين به الآلهة والأنداد ﴿نادُوا شُرَكائيَ الّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ يقول لهم: ادعوا الذين كنتم تزعمون أنهم شركائي في العبادة لينصروكم ويمنعوكم مني ﴿فَدَعَوهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ يقول: فاستغاثوا بهم فلم يغيثوهم ﴿وجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً﴾.

فاختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: وجعلنا بين هؤلاء المشركين وما كانوا يدعون من دون الله شركاء في الدنيا يومئذٍ عداوة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا بشر بن المفضل، عن عوف، عن الحسن، في قول الله: ﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً﴾ قال: جعل بينهم عداوة يوم القيامة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عثمان بن عمر، عن عوف، عن الحسن ﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً﴾ قال: عداوة.

وقال آخرون: معناه: وجعلنا فعلهم ذلك لهم مَهْلِكاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً﴾ قال: مَهْلِكاً.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿مَوْبِقاً﴾ قال: هلاكاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً﴾ قال: الموبق: المهلك، الذي أهلك بعضهم بعضاً فيه، أوبق بعضهم بعضاً. وقرأ ﴿وَجَعَلْنا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً﴾.

حُدثت عن محمد بن يزيد، عن جويبر، عن الضحاك ﴿مَوْبِقاً﴾ قال: هلاكاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن عَرْفَجة، في قوله ﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً﴾ قال: مهلكاً.

وقال آخرون: هو اسم واد في جهنم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، عن قتادة، عن أبي أيوب، عن عمرو البكّاليّ: ﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً﴾ قال: واد عميق فُصِل به بين أهل الضلالة وأهل الهدى، وأهل الجنة، وأهل النار.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً﴾ ذكر لنا أن عَمراً البكَالي حدّث عن عبد الله بن عمرو، قال: هو واد عميق فُرق به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عمر بن عبيد، عن الحجاج بن أرطاة، قال: قال مجاهد ﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً﴾ قال: وادياً في النار.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى «ح» وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً﴾ قال: وادياً في جهنم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثني محمد بن سنان القزاز، قال: ثنا عبد الصمد، قال: ثنا يزيد بن درهم، قال: سمعت أنس بن مالك يقول في قول الله عزّ وجلّ ﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً﴾ قال: واد في جهنم من قيح ودم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، القول الذي ذكرناه عن ابن عباس، ومن وافقه في تأويل الموبق: أنه المهلك، وذلك أن العرب تقول في كلامها: قد أوبقت فلاناً: إذا أهلكته. ومنه قول الله عزّ وجلّ: ﴿أوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ بمعنى: يهلكهنّ. ويقال للمهلك نفسه: قد وبق فلان فهو يوبق وبقاً. ولغة بني عامر: يابق بغير همز. وحُكي عن تميم أنها تقول: ييبق. وقد حُكي وبق يبق وبوقاً، حكاها الكسائي. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: الموبق: الوعد، ويستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر:

وحادَ شَرَوْرَى فالسَّتارَ فَلَمْ يَدَعْ ... تِعاراً لَهُ والوَادِيَيْنِ بِمَوْبِقِ(١)

ويتأوّله بموعد. وجائز أن يكون ذلك المهلك الذي جعل الله جلّ ثناؤه بين هؤلاء المشركين، هو الوادي الذي ذكر عن عبد الله بن عمرو، وجائز أن يكون العداوة التي قالها الحسن.

وقوله: ﴿وَرَأى المُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ يقول: وعاين المشركون النار يومئذٍ ﴿فَظَنُّوا أنَّهُمْ مُوَاقِعُوها﴾ يقول: فعلموا أنهم داخلوها، كما:

---

(١) البيت في «اللسان»: وبق قال: وبق الرجل يبق وبقا ووبوقاً (من باب ضرب) ووبق (من باب حسب) وبقا، واستوبق هلك. وأوبقه هو. والموبق: مفعل (بكسر العين) من، كالموعد مفعل من وعد يعد. ومنه قوله تعالى: ﴿وجعلنا بينهم موبقاً﴾ قال الفراء: يقول جعلنا تواصلهم في الدنيا موبقاً: أي مهلكاً لهم في الآخرة. وقال ابن الأعرابي: موبقاً: أي حاجزاً، وكل حاجز بين شيئين فهو موبق. وقال أبو عبيد: الموبق: الموعد، في قوله «وجعلنا بينهم موبقاً» واحتج بقوله: «وحاد شروري.....» البيت معناه: بموعد. وحاد شروري: نأى عنها وهي جبل بين العمق والمعدن، في طريق مكة إلى الكوفة، بين بني أسد وبني عامر. والستار: جبل بالحجاز معروف، أسفل من النباج. وتعار: جبل أيضاً، ببلاد قيس.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوها﴾ قال: علموا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن درّاج، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدريّ، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «إنَّ الكافرَ يَرَى جَهَنَّمَ فَيَظُنُّ أنَّها مُوَاقِعَتُهُ مِنْ مَسيرَةِ أرْبَعينَ سَنَة».

وقوله: ﴿ولَمْ يَجِدُوا عَنها مَصْرِفاً﴾ يقول: ولم يجدوا عن النار التي رأوا معدلاً يعدلون عنها إليه. يقول: لم يجدوا من مواقعتها بدّاً، لأن الله قد حتم عليهم ذلك. ومن المصرف بمعنى المعدل قول أبي كبير الهذليّ:

أزُهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرِفِ ... أمْ لا خُلُودَ لِباذِلٍ مُتَكَلِّفِ[1]

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤)﴾.

يقول عزّ ذكره: ولقد مثلنا في هذا القرآن للناس من كلّ مثل، ووعظناهم فيه من كلّ عظة، واحتججنا عليهم فيه بكلّ حجة ليتذكّروا فينيبوا، ويعتبروا فيتعظوا، وينزجروا عما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وعبادة الأوثان ﴿وكانَ الإنسانُ أكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ يقول: وكان الإنسان أكثر شيء مراء وخصومة، لا ينيب لحقّ، ولا ينزجر لموعظة، كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وكانَ الإنْسانُ أكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ قال: الجدل: الخصومة، خصومة القوم لأنبيائهم، وردّهم عليهم ما جاءوا به. وقرأ: ﴿مَا هَذَا إلاَّ بَشرٌ مِثْلُكُمْ يَأكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ منه ﴿وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾. وقرأ: ﴿يُرِيدُ أنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾. وقرأ: ﴿حتى تُوَفَّى...﴾ الآية: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً فِي قِرْطاسٍ...﴾ الآية. وقرأ: ﴿وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ قال: هم ليس أنت ﴿لقالوا إنَّمَا سُكِّرَت أبْصَارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾.

---

(١) البيت لأبي كبير الهذلي، وهو في القسم الثاني من ديوان الهذليين طبعة دار الكتب (ص ـ ١٠٤) مطلع قصيدة له. وهو من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٤٠٧) قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾: أي معدلاً وقال أبو كبير الهذلي: أزهير.... الخ البيت.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾.

يقول عزّ ذكره: وما منع هؤلاء المشركين يا محمد الإيمان بالله إذ جاءهم الهدى بيان الله، وعلموا صحة ما تدعوهم إليه وحقيقته، والاستغفار مما هم عليه مقيمون من شركهم، إلا مجيئهم سنتنا في أمثالهم من الأمم المكذبة رسلها قبلهم، أو إتيانهم العذاب قُبُلا.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: أو يأتيهم العذاب فجأة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ قُبُلاً﴾** قال فجأة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

وقال آخرون: معناه: أو يأتيهم العذاب عياناً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله **﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ قُبُلاً﴾** قال: قبلاً معاينة ذلك القبل.

وقد اختلف القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته جماعة ذات عدد **﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ قُبُلاً﴾** بضمّ القاف والباء، بمعنى أنه يأتيهم من العذاب ألوان وضروب، ووجهوا القُبُل إلى جمع قبيل، كما يُجمع القتيل القُتُل، والجديد الجُدُد. وقرأ جماعة أخرى: «أَوْ يَأْتِيَهُمْ العَذَابُ قِبَلاً» بكسر القاف وفتح الباء، بمعنى أو يأتيهم العذاب عياناً من قولهم: كلمته قِبَلاً. وقد بيَّنت القول في ذلك في سورة الأنعام بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾.

يقول عزّ ذكره: وما نرسل إلا ليبشروا أهل الإيمان والتصديق بالله بجزيل ثوابه في الآخرة،

ولينذروا أهل الكفر به والتكذيب، عظيم عقابه، وأليم عذابه، فينتهوا عن الشرك بالله، وينزجروا عن الكفر به ومعاصيه ﴿ويُجادِلُ الَّذينَ كَفَرُوا بالباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقّ﴾ يقول: ويخاصم الذين كذّبوا بالله ورسوله بالباطل، ذلك كقولهم للنبيّ ﷺ: أخبرنا عن حديث فتية ذهبوا في أوّل الدهر لم يدر ما شأنهم، وعن الرجل الذي بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وعن الروح، وما أشبه ذلك مما كانوا يخاصمونه به، يبتغون إسقاطه، تعنيتاً له ﷺ، فقال الله لهم: إنا لسنا نبعث إليكم رسلنا للجدال والخصومات، وإنما نبعثهم مبشرين أهل الإيمان بالجنة، ومنذرين أهل الكفر بالنار، وأنتم تجادلونهم بالباطل طلباً منكم بذلك أن تبطلوا الحقّ الذي جاءكم به رسولي. وعنى بقوله: ﴿ليُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ﴾ ليبطلوا به الحقّ ويزيلوه ويذهبوا به. يقال منه: دحض الشيء: إذا زال وذهب، ويقال: هذا مكان دَحْض: أي مُزِل مُزْلِق لا يثبت فيه خفّ ولا حافر ولا قدم ومنه قوله الشاعر:

رَدِيتُ ونَجّى اليَشْكُرِيَّ حِذَارُهُ ... وحادَ كما حادَ البَعيرُ عَن الدّحْضِ[١]

ويروى: ونحّى، وأدحضته أنا: إذا أذهبته وأبطلته.

وقوله: ﴿واتّخَذُوا آياتي وَما أُنْذِرُوا هُزُواً﴾ يقول: واتخذوا الكافرون بالله حججه التي احتجّ بها عليهم، وكتابه الذي أنزله إليهم، والنذر التي أنذرهم بها سخرياً يسخرون بها، يقولون: ﴿إنْ هَذَا إلاّ أساطِيرُ الأوّلِينَ اكْتَتَبها فَهِيَ تُملَى عَلَيهِ بُكْرَةً وَأصِيلا﴾ و﴿لَوْ شِئْنا لَقُلْنا مِثْلَ هَذَا﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾.

---

(١) البيت في «**اللسان**» دحض وفي التاج وأساس البلاغة، منسوباً إلى طرفة، ولا يوجد في «**شعر الشعراء**» الستة «**مختار الشعر الجاهلي**» وغيره. وأورد صاحب شعراء النصرانية وصاحب العقد الثمين في الملحق بشعر طرفة مقطوعة ضادية مطلعها.

أبا مُنْذِرٍ كانَتْ غَرُوراً صَحِيفَتي ... ولم أُعطِكُمْ بالطَّوْعِ ما لي ولا عِرْضي

وأغلب الظن أن البيت سقط من هذه المقطوعة، وإن كان شائعاً في كتب الأدب واللغة. وهو من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (١/ ٤٠٨) قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ليدحضوا به الحق﴾: مجازه ليزيلوا به الحق، ويذهبوا به. ويقال مكان دحض البيت أي مزل مزلق، لا يثبت فيه خف ولا قدم ولا حافر. قال طرفة «رديت ونجى. . . .».

وفي «**اللسان**»: دحض. وشاهد الدحض قول طرفة: «رديت. . .» الخ.

يقول عزّ ذكره: وأيّ الناس أوضع للإعراض والصدّ في غير موضعهما ممن ذكره بآياته وحججه، فدله بها على سبيل الرشاد، وهداه بها إلى طريق النجاة، فأعرض عن آياته وأدلته التي في استدلاله بها الوصول إلى الخلاص من الهلاك **﴿وَنَسِيَ ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾** يقول: ونسي ما أسلف من الذنوب المهلكة فلم يتب، ولم ينب كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَنَسِيَ ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾**: أي نسي ما سلف من الذنوب.

وقوله: **﴿إنَّا جَعَلْنا على قُلوبِهِمْ أكِنَّةً أنْ يَفقَهُوهُ وفِي آذانِهِمْ وَقْراً﴾** يقول تعالى ذكره: إنا جعلنا على قلوب هؤلاء الذين يعرضون عن آيات الله إذا ذكروا بها أغطية لئلا يفقهوه، لأن المعنى أن يفقهوا ما ذكروا به. وقوله: **﴿وفِي آذانِهِمْ وَقْراً﴾** يقول: في آذانهم ثقلاً لئلا يسمعوه **﴿وَإنْ تَدْعُهُمْ إلى الهُدَى﴾** يقول عزّ ذكره لنبيه محمد ﷺ: وَإنْ تَدْعُ يا مُحَمَّد هؤلاء المعرضين عن آيات الله عند التذكير بها إلى الاستقامة على محجة الحقّ والإيمان بالله، وما جئتهم به من عند ربك **﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا إذاً أبَداً﴾** يقول: فلن يستقيموا إذاً أبداً على الحقّ، ولن يؤمنوا بما دعوتهم إليه، لأن الله قد طبع على قلوبهم، وسمعهم وأبصارهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وربك الساتر يا محمد على ذنوب عباده بعفوه عنهم إذا تابوا منهم **﴿ذُو الرَّحمَةِ بِهِمْ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا﴾** هؤلاء المعرضين عن آياته إذا ذكروا بها بما كسبوا من الذنوب والآثام، **﴿لَعجَّلَ لَهُمُ العَذَابَ﴾** ولكنه لرحمته بخلقه غير فاعل ذلك بهم إلى ميقاتهم وآجالهم، **﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾** يقول: لكن لهم موعد، وذلك ميقات محلّ عذابهم، وهو يوم بدر **﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلا﴾** يقول تعالى: ذكره: لن يجد هؤلاء المشركون، وإن لم يعجل لهم العذاب في الدنيا من دون الموعد الذي جعلته ميقاتاً لعذابهم، ملجأ يلجأون إليه، ومنجى ينجون معه، يعني أنهم لا يجدون معقلاً يعتقلون به من عذاب الله يقال منه: وألت من كذا إلى كذا، أئل وُؤولاً، مثل وعولاً ومنه قول الشاعر:

لا وَاءَلَتْ نَفْسُكَ خَلَّيْتَها ... لِلْعامِرِيِّينَ ولَمْ تُكْلَمِ[1]

(١) البيت: من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة: ١٨٧) قال: وقوله: «لن يجدوا من دونه موئلا»: الموئل: المنجي وهو الملجأ والمعنى واحد، والعرب تقول: إنه ليوائل إلى موضعه. يريدون: يذهب إلى

يقول: لانجت وقول الأعشى:

وَقَدْ أُخَالِسُ رَبَّ البَيْتِ غَفْلَتَهُ ... وقَدْ يُحاذِر مِنِّي ثَمَّ ما يَئِلُ[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى «ح» وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿مَوْئِلًا﴾ قال: محرزاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا﴾: يقول: ملجأ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لَن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا﴾: أي لن يجدوا من دونه ولياً ولا ملجأ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿لَن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ قال: ليس من دونه ملجأ يلجأون إليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وتلك القُرى من عاد وثمود وأصحاب الأيكة أهلكنا أهلها لما ظلموا،

موضعه وحرزه. وقال الشاعر:

ولا واءلت نفسك......

البيت. يريدون: لانجت. وفي «اللسان» وأل قال أبو الهيثم: يقال: وأل يئل وألا ووألة، وواءل يوائل مواءلة ووئالاً وقال الليث: والموئل: الملجأ.

(١) البيت من لامية الأعشى ميمون بن قيس ديوانه بشرح الدكتور محمد حسين (ص ـ ٥٩) قال: خلس الشيء سرقه وأخذه خفية ما يئل: ما ينجو، والماضي وأل: أي نجا يقول: وقد استبى كل عقيلة يحذر عليها صاحبها ويحوطها برعايته، فلا ينجيه مني الحذر وهو أيضاً من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٤٠٨) كالشاهد السابق، في تفسير قوله تعالى: ﴿لن يجدوا من دونه موئلا﴾، قال: وقال الأعشى:

وقد أخالس....

البيت. أي لا ينجو.

فكفروا بالله وآياته، ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً﴾ يعني ميقاتاً وأجلاً، حين بلغوه جاءهم عذاب فأهلكناهم به، يقول: فكذلك جعلنا لهؤلاء المشركين من قومك يا محمد الذين لا يؤمنون بك أبداً موعداً، إذا جاءهم ذلك الموعد أهلكناهم سنتنا في الذين خلوا من قبلهم من ضربائهم كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً﴾ قال: أجلاً.

حدثنا القاسم، قال: ثني الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله ﴿لِمَهْلِكِهِمْ﴾ فقرأ ذلك عامّة قرّاء الحجاز والعراق: «لِمُهْلِكِهِمْ» بضمّ الميم وفتح اللام على توجيه ذلك إلى أنه مصدر من أهلكوا إهلاكاً. وقرأه عاصم: «لِمَهْلَكِهِمْ» بفتح الميم واللام على توجيهه إلى المصدر من هلكوا هلاكاً ومهلكاً.

وأولى القراءتين بالصواب عندي في ذلك قراءة من قرأه: «لمُهْلَكِهِمْ» بضمّ الميم وفتح اللام لإجماع الحجة من القرّاء عليه، واستدلالاً بقوله: ﴿وَتِلْكَ القُرَى أهْلَكْناهُمْ﴾ فأن يكون المصدر من أهلكنا، إذ كان قد تقدّم قبله أولى. وقيل: أهلكناهم، وقد قال قبل: ﴿وَتلكَ القُرَى﴾، لأن الهلاك إنما حلّ بأهل القرى، فعاد إلى المعنى، وأجرى الكلام عليه دون اللفظ.

وقال بعض نحويي البصرة: قال: ﴿وَتَلْكَ القُرَى أهْلَكْناهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ يعني أهلها، كما قال: ﴿وَاسْئَلِ القَرْيَةِ﴾ ولم يجيء بلفظ القرى، ولكن أجرى اللفظ على القوم، وأجرى اللفظ في القرية عليها إلى قوله ﴿التي كُنّا فِيها﴾، وقال: ﴿أهْلَكْناهُمْ﴾ ولم يقل: أهلكناها، حمله على القوم، كما قال: جاءت تميم، وجعل الفعل لبني تميم، ولم يجعله لتميم، ولو فعل ذلك لقال: جاء تميم، وهذا لا يحسُن في نحو هذا، لأنه قد أراد غير تميم في نحو هذا الموضع، فجعله اسماً، ولم يحتمل إذا اعتلّ أن يحذف ما قبله كله معنى التاء من جاءت مع بني تميم، وترك الفعل على ما كان ليعلم أنه قد حذف شيئاً قبل تميم. وقال بعضهم: إنما جاز أن يقال: تلك القرى أهلكناهم، لأن القرية قامت مقام الأهل، فجاز أن ترد على الأهل مرة وعليها مرّة، ولا يجوز ذلك في تميم، لأن القبيلة تعرف به وليس تميم هو القبيلة، وإنما عرفت القبيلة به، ولو كانت القبيلة قد سميت بالرجل لجرت عليه، كما تقول: وقعت في هود، تريد في سورة هود وليس هود اسماً للسورة وإنما عرفت السورة به، فلو سميت السورة بهود لم يجر. فقلت: وقعت في هود يا هذا، فلم يجر، وكذلك لو سمي بني تميم تميماً لقيل: هذه تميم قد أقبلت، فتأويل الكلام: وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا، وجعلنا لإهلاكهم موعداً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾.

يقول عزّ ذكره لنبيه ﷺ: واذكر يا محمد إذ قال موسى بن عمران لفتاه يوشع: ﴿لا أَبرَحُ﴾ يقول: لا أزال أسير ﴿حتى أَبْلُغَ مَجمَعَ البَحْرَيْنِ﴾، كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿لا أَبرَحُ﴾ قال: لا أنتهي.

وقيل: عنى بقوله: ﴿مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ﴾ اجتماع بحر فارس والروم، والمجمع: مصدر من قولهم: جمع يجمع.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿حتى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ﴾ والبحران: بحر فارس وبحر الروم، وبحر الروم مما يلي المغرب، وبحر فارس مما يلي المشرق.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله: ﴿مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ﴾ قال: بحر فارس، وبحر الروم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿مجمَع البَحْرَينِ﴾ قال: بحر الروم، وبحر فارس، أحدهما قِبَل المشرق، والآخر قِبَل المغرب.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: ﴿مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ﴾[1].

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن الضريس، قال: ثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب، في قوله: ﴿لا أبرَحُ حتى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ﴾ قال: طنجة.

وقوله: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً﴾ يقول: أو أسير زماناً ودهراً، وهو واحد، ويجمع كثيره وقليله: أحقاب. وقد تقول العرب: كنت عنده حقبة من الدهر، ويجمعونها حُقباً. وكان بعض أهل

(١) بياض بالأصل، وفي الدر عن ابن عباس «تفسير **مجمع البحرين**» بملتقى البحرين».

العربية بوجه تأويل قوله ﴿لا أَبْرَحُ﴾: أي لا أزول، ويستشهد لقوله ذلك ببيت الفرزدق:

فَمَا بَرِحُوا حتى تَهادَتْ نِساؤُهُمْ ... بِبَطْحاءِ ذِي قارٍ عِيابَ اللَّطائِمِ[1]

يقول: ما زالوا.

وذكر بعض أهل العلم بكلام العرب، أن الحقب في لغة قيس: سنة. فأما أهل التأويل فإنهم يقولون في ذلك ما أنا ذاكره، وهو أنهم اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو ثمانون سنة.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن هشيم، قال: ثنا أبو بلج، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن عمرو، قال: الحقب: ثمانون سنة.

وقال آخرون: هو سبعون سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً﴾ قال: سبعين خريفاً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

وقال آخرون في ذلك، بنحو الذي قلنا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً﴾ قال: دهراً.

حدثنا أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ﴿حُقُباً﴾ قال: الحقب: زمان.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً﴾ قال: الحقب: الزمان.

---

(١) البيت في ديوان الفرزدق طبعة الصاوي (ص ـ ٧٧٣) من مقطوعة يمدح بها عبد الله بن عبد الأعلى الشيباني، عدتها تسعة أبيات والواو في برحوا عائدة على بني تميم الذين فخر بأعمالهم في يوم ذي قار، والعياب: جمع عيبة، وهي الحقيبة، واللطائم: جمع لطيمة، وهي الإبل يحمل عليها البر والطيب خاصة. والبيت شاهد على أن بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله «لا أبرح» أي لا أزال.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾.

يعني تعالى ذكره: فلما بلغ موسى وفتاه مجمع البحرين، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿**مَجْمَعَ بَيْنِهِما**﴾ قال: بين البحرين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

وقوله: ﴿**نَسيا حُوتَهُما**﴾ يعني بقوله: نسيا: تركا، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**نَسيَا حُوتَهُما**﴾ قال: أضلاه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: أضلاه.

قال بعض أهل العربية: إن الحوت كان مع يوشع، وهو الذي نسيه، فأضيف النسيان إليهما، كما قال: ﴿**يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤْلُؤُ والمَرْجانُ**﴾ وإنما يخرج من الملح دون العذب[(١)].

وإنما جاز عندي أن يقال: ﴿**نَسِيا**﴾ لأنهما كانا جميعاً تزوّداه لسفرهما، فكان حمل أحدهما ذلك مضافاً إلى أنه حمل منهما، كما يقال: خرج القوم من موضع كذا، وحملوا معهم كذا من الزاد، وإنما حمله أحدهما ولكنه لما كان ذلك عن رأيهم وأمرهم أضيف ذلك إلى جميعهم، فكذلك إذا نسيه حامله في موضع قيل: نسي القوم زادهم، فأضيف ذلك إلى الجميع بنسيان حامله ذلك، فيجرى الكلام على الجميع، والفعل من واحد، فكذلك ذلك في قوله: ﴿**نَسِيا حُوتَهُما**﴾ لأن الله عزّ ذكره خاطب العرب بلغتها، وما يتعارفونه بينهم من الكلام.

وأما قوله: ﴿**يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤْلُؤُ والمَرْجانُ**﴾ فإن القول في ذلك عندنا بخلاف ما قال فيه، وسنبينه إن شاء الله تعالى إذا انتهينا إليه.

---

(١) هذا كلام الفراء في «معاني القرآن» (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩) الورقة ١٨٩.

وأما قوله: ﴿فاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَباً﴾ فإنه يعني أن الحوت اتخذ طريقه الذي سلكه في البحر سرباً، كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿فاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَباً﴾ قال: الحوت اتخذ. ويعني بالسرب: المسلك والمذهب، يسرب فيه: يذهب فيه ويسلكه.

ثم اختلف أهل العلم في صفة اتخاذه سبيله في البحر سرباً، فقال بعضهم: صار طريقه الذي يسلك فيه كالحجر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، قوله ﴿سَرَباً﴾ قال: أثره كأنه حجر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس، عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ حين ذكر حديث ذلك: «ما انْجابَ ماءٌ مُنْذُ كانَ النَّاسُ غيرُهُ ثَبَتَ مَكانُ الحُوتِ الَّذِي فِيهِ[1] فانْجابَ كالكُوَّةِ حتى رَجَعَ إلَيْهِ مُوسَى، فَرأى مَسْلَكَهُ، فقالَ: ذلكَ ما كُنَّا نَبْغي».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن عطية، قال: ثنا عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله ﴿فاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَباً﴾ قال: جاء فرأى أثر جناحيه في الطين حين وقع في الماء، قال ابن عباس ﴿فاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَباً﴾ وحلق بيده[2].

وقال آخرون: بل صار طريقه في البحر ماء جامداً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: سرب من الجرّ[3] حتى أفضى إلى البحر، ثم سلك، فجعل لا يسلك فيه طريقاً إلا صار ماء جامداً.

وقال آخرون: بل صار طريقه في البحر حجراً.

---

(١) كذا في الأصل، والذي في الدر هكذا: غير بيت ماء كان الحوت دخل منه... الخ، وفي «تفسير ابن كثير»: غير مسير مكان الحوت الخ.

(٢) في البخاري: كتاب التفسير، من رواية سعيد بن جبير، وحلق بين إبهاميه واللتين تليانهما.

(٣) لعل المراد بالجر هنا: الوهدة من الأرض، كما في «اللسان» جر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: جعل الحوت لا يمسّ شيئاً من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة.

وقال آخرون: بل إنما اتخذ سبيله سرباً في البرّ إلى الماء، حتى وصل إليه لا في البحر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿فاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَباً﴾** قال: قال: حشر الحوت في البطحاء بعد موته حين أحياه الله. قال ابن زيد، وأخبرني أبو شجاع أنه رآه قال: أتيت به فإذا هو شقة حوت وعين واحدة، وشقّ آخر ليس فيه شيء.

والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عزّ وجلّ: واتخذ الحوت طريقه في البحر سرباً. وجائز أن يكون ذلك السرب كان بانجياب عن الأرض وجائز أن يكون كان بجمود الماء وجائز أن يكون كان بتحوّله حجراً.

وأصحّ الأقوال فيه ما رُوي الخبر به عن رسول الله ﷺ الذي ذكرنا عن أبيّ عنه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿فلما جاوز﴾** موسى وفتاه مجمع البحرين، **﴿قال موسى ﴿لفتاه﴾** يوشع **﴿آتِنا غَدَاءَنا﴾** يقول: جئنا بغدائنا وأعطناه، وقال: آتنا غداءنا، كما يقال: أتى الغداء وأتيته، مثل ذهب وأذهبته، **﴿لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هَذَا نَصَباً﴾** يقول: لقد لقينا من سفرنا هذا عناء وتعباً وقال ذلك موسى، فيما ذُكر، بعد ما جاوز الصخرة، حين ألقي عليه الجوع ليتذكر الحوت، ويرجع إلى موضع مطلبه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال فتى موسى لموسى حين قال له: آتنا غداءنا لنطعم: أرأيت إذا أوينا

(١)) في «**عرائس المجالس**» للثعلبي المفسر، طبعة الحلبي (ص ـ ٢١٨) دون نهر الزيت.

إلى الصخرة فإني نسيت الحوت هنالك ﴿وَما أنسانيهُ إلاّ الشَّيطانُ﴾ يقول: وما أنساني الحوت إلا الشيطان ﴿أنْ أذْكُرَهُ﴾ فأن في موضع نصب ردّاً على الحوت، لأن معنى الكلام: وما أنساني أن أذكر الحوت إلا الشيطان سبق الحوت إلى الفعل، وردّ عليه قوله ﴿أنْ أذْكُرَهُ﴾ وقد ذكر أن ذلك في مصحف عبد الله: «وما أنسانيه أن أذكره إلا الشيطان».

حدثني بذلك بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة حدثني العباس بن الوليد قال: سمعت محمد بن معقل، يحدّث عن أبيه، أن الصخرة التي أوى إليها موسى هي الصخرة التي دون نهر الذئب على الطريق.

﴿واتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَباً﴾ يُعْجَبُ منه. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿فِي البَحْرِ عَجَباً﴾ قال: موسى يعجب من أثر الحوت في البحر ودوراته التي غاب فيها، فوجد عندها خضراً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿واتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَباً﴾ فكان موسى لما اتخذ سبيله في البحر عجباً، يعجب من سرب الحوت.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿واتَّخَذَ سَبِيلَهُ في البَحْرِ عَجَباً﴾ قال: عجب والله حوت كان يؤكل منه أدهراً، أيّ شيء أعجب من حوت كان دهراً من الدهور يؤكل منه، ثم صار حياً حتى حشر في البحر.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: جعل الحوت لا يمسّ شيئاً من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة، فجعل نبيّ الله ﷺ يعجب من ذلك.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا الحسن بن عطية، قال: ثنا عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿واتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَباً﴾ قال: يعني كان سرب الحوت في البحر لموسى عجباً.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ

ءَاتَيْنَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: فـ﴿قال موسى لفتاه ﴿ذلكَ﴾ يعني بذلك: نسيانك الحوت ﴿وما كُنَّا نَبْغِ﴾ يقول: الذي كنا نلتمس ونطلب، لأن موسى كان قيل له صاحبك الذي تريده حيث تنسى الحوت، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿ذلكَ ما كُنَّا نَبْغِ﴾ قال موسى: فذلك حين أخبرت أني واجد خضراً حيث يفوتني الحوت.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله، إلا أنه قال: حيث يفارقني الحوت.

وقوله: ﴿فارْتَدَّا على آثارِهِما قَصَصَاً﴾ يقول: فرجعا في الطريق الذي كانا قطعاه ناكصين على أدبارهما يقصان آثارهما التي كانا سلكاهما. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿قَصصاً﴾ قال: اتبع موسى وفتاه أثر الحوت، فشقا البحر راجعين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿فارْتَدا على آثارِهِما قَصَصاً﴾ قال: اتباع موسى وفتاه أثر الحوت بشقّ البحر، وموسى وفتاه راجعان وموسى يعجب من أثر الحوت في البحر، ودوراته التي غاب فيها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: رجعا عودهما على بدئهما ﴿فارْتَدَّا عَلى آثارِهما قَصَصاً﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس، عن أُبَيّ بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿ذلكَ ما كُنَّا نَبْغِ فارْتَدَّا عَلى آثارِهما قَصَصاً﴾: «أيْ يَقُصَّان آثارَهما حتى انْتَهَيا إلى مَدْخَلِ الحُوتِ».

وقوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عبادِنا آتَيناه رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا﴾ يقول: وهبنا له رحمة من عندنا ﴿وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾ يقول: وعلمناه من عندنا أيضاً علماً. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾: أي من عندنا علماً.

وكان سبب سفر موسىٰ ﷺ وفتاه، ولقائه هذا العالم الذي ذكره الله في هذا الموضع فيما ذكر أن موسىٰ سُئل: هل في الأرض أحد أعلم منك؟ فقال: لا، أو حدّثته نفسه بذلك، فكره ذلك له، فأراد الله تعريفه أن من عباده في الأرض من هو أعلم منه، وأنه لم يكن له أن يحتم على ما لا علم له به، ولكن كان ينبغي له أن يكل إلى عالمه.

وقال آخرون: بل كان سبب ذلك أنه سأل الله جلّ ثناؤه أن يدله على عالم يزداد من علمه إلى علم نفسه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: «سأل موسى ربه وقال: ربّ أيّ عبادك أحبّ إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني قال: فأيّ عبادك أقضى؟ قال: الذي يقضي بالحقّ ولا يتبع الهوى قال: أي ربّ أيّ عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علم نفسه، عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هُدَى، أو تردّه عن رَدَى قال: ربّ فهل في الأرض أحدٌ[1]؟ قال: نعم قال: ربّ، فمن هو؟ قال: الخضر قال: وأين أطلبه؟ قال: على الساحل عند الصخرة التي ينفلت عندها الحوت قال: فخرج موسى يطلبه، حتى كان ما ذكر اللّهُ، وانتهى إليه موسى عند الصخرة، فسلم كلّ واحد منهما على صاحبه، فقال له موسى: إني أريد أن تستصحبني، قال: إنك لن تطيق صحبتي، قال: بلى، قال: فإن صحبتني فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيءٍ حتى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً فانْطَلَقا حتى إذَا رَكِبا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَها قال أخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إمْراً قالَ ألَمْ أقُلْ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً قال لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أمْرِي عُسْراً فانْطَلَقَا حتى إذَا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ قالَ أقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً. . . إلى قوله: ﴿**لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أجْراً**﴾ قال: فكان قول موسى في الجدار لنفسه، ولطلب شيء من الدنيا، وكان قوله في السفينة وفي الغلام لله، ﴿**قالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سأُنَبِّئُكَ بتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً**﴾ فأخبره بما قال أما السفينة وأما الغلام وأما الجدار، قال: فسار به في البحر حتى انتهى إلى مجمع البحور، وليس في الأرض مكان أكثر ماء منه، قال: وبعث ربك الخُطَّاف فجعل يستقي منه بمنقاره، فقيل لموسى: كم ترى هذا الخطاف رَزَأ[2] من هذا الماء؟ قال: ما أقلّ ما رَزَأ قال: يا موسى فإن علمي وعلمك في علم الله كقدر ما استقى هذا الخطاف من هذا الماء وكان موسى قد حدّث نفسه أنه ليس أحد أعلم منه، أو تكلم به، فمن ثَم أُمِرَ أن يأتي الخضر.

---

(١) أي أعلم، فتنبه.

(٢) رزأ: أصاب أو نقص.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: خطب موسى بني إسرائيل، فقال: ما أحد أعلم بالله وبأمره مني، فأوحى الله إليه أن يأتي هذا الرجل.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة أنه قيل له: إن آية لقيك إياه أن تنسى بعض متاعك، فخرج هو وفتاه يوشع بن نون، وتزوّدا حوتاً مملوحاً، حتى إذا كانا حيث شاء الله، ردّ الله إلى الحوت روحه، فسرب في البحر، فاتخذ الحوت طريقه سرباً في البحر، فسرب فيه ﴿**فَلَمَّا جاوَزَا قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَدَاءنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هَذا نَصَباً...**﴾ حتى بلغ ﴿**واتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَباً**﴾ فكان موسى اتخذ سبيله في البحر عجباً، فكان يعجب من سرب الحوت.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما اقتص موسى أثر الحوت انتهى إلى رجل، راقد قد سجى عليه ثوبه فسلم عليه موسى فكشف الرجل عن وجهه الثوب وردّ عليه السلام وقال: من أنت؟ قال: موسى، قال: صاحب بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: أوَ ما كان لك في بني إسرائيل شغل؟ قال: بلى، ولكن أُمرت أن آتيك وأصحبك، قال: إنك لن تستطيع معي صبراً، كما قصّ الله، ﴿**حتى**﴾ بلغ فلما ﴿**رَكِبا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَها**﴾ صاحب موسى ﴿**قالَ أخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إمْراً**﴾ يقول: نُكراً ﴿**قالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أمْرِي عُسْراً فانْطَلَقا حتى إذَا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ، قالَ أقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ**﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يحيى بن آدم، قال: ثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس: إن نوفاً يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى، فقال: كذب عدوّ الله. حدثنا أبيّ بن كعب، عن النبيّ ﷺ قال: «إنَّ مُوسَى قامَ فِي بَنِي إسْرَائِيلَ خَطِيباً فَقِيلَ: أيُّ النَّاسِ أعْلَمُ؟ فَقالَ: أنا، فعَتَبَ اللّهُ عَلَيْهِ حِينَ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إلَيْهِ، فقالَ: بَلى عَبْدٌ لي عِنْدَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ، فَقالَ: يا رَبّ كَيْفَ بِهِ؟ فَقِيلَ: تَأْخُذُ حُوتاً، فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ، ثُمَّ قالَ لِفَتاهُ: إذَا فَقَدْتَ هَذَا الحُوتَ فَأَخْبِرْنِي، فانْطَلَقا يَمْشِيانِ عَلى ساحِلِ البَحْرِ حتى أتَيا صَخْرَةً، فَرَقَدَ مُوسَى، فاضْطَرَبَ الحُوتُ فِي المِكْتَلِ، فَخَرَجَ فَوَقَعَ فِي البَحْرِ، فأمْسَكَ اللّهُ عَنْهُ جِرْيَةَ المَاءِ، فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ، فَصَارتْ لِلْحُوتِ سَرَباً وكانَ لَهُما عَجَباً. ثُمَّ انْطَلَقا، فَلَمَّا كانَ حِينَ الغَدِ، قالَ مُوسَى لَفَتاهُ: آتِنا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هَذَا نَصَباً، قالَ: وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حتى جاوَزَ حَيْثُ أمَرَهُ اللّهُ قالَ: فَقالَ: أرَأَيْتَ إذْ أوَيْنا إلى الصَّخْرَةِ فإنِّي نَسِيتُ الحُوتَ، وَما أنْسانِيهُ إلاَّ

الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، واتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَباً، قالَ: فَقالَ: ذلكَ ما كُنَّا نَبْغِ، فارْتَدَّا عَلى آثارِهما قَصَصاً، قالَ: يَقُصَّانِ آثارَهما، قالَ: فَأَتَيا الصَّخْرَةَ، فإذَا رَجُلٌ نائمٌ مُسَجًّى بِثَوْبِهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقالَ: وأنَّي بأرْضِنَا السَّلامُ؟ فَقالَ: أنا مُوسَى، قالَ: مُوسَى بَنِي إسْرائيلَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: يا مُوسَى، إنّي عَلى عِلْم مِنْ عِلْم اللهِ، عَلَّمَنِيهِ اللّهُ لا تعْلَمُهُ، وأنْتَ على عِلْـم مِنْ عِلْمِهِ عَلَّمَكَهُ لا أعْلَمُهُ، قالَ: فإنّي أَتَّبِعُكَ عَلى أنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً، قالَ: فإنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حتى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً. فانْطَلَقا يَمْشِيانِ عَلى السَّاحِلِ، فَعُرِفَ الخَضِرُ، فَحُمِلَ بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَجاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلى حَرْفِها فَنَقَرَ، أَوْ فَنَقَدَ فِي المَاءِ، فَقالَ الخَضِرُ لِمُوسَى: ما نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْم اللّهِ إلاَّ مِقْدارَ ما نَقَرَ أَوْ نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ مِنَ البَحْرِ».
أبو جعفر الطبري يشكّ، وهو في كتابه نَقَر، قالَ: «فَبَيْنما هُوَ إذْ لَمْ يَفْجَأْهُ مُوسَى إلاَّ وَهُوَ يَتِدُ وَتِداً أَوْ يَنْزِعُ تَخْتاً مِنْها، فَقالَ لَهُ مُوسَى: حُمِلْنا بِغَيْرِ نَوْلٍ وَتخرِقُها لِتُغْرِقَ أهْلَها؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إمْراً، قالَ: أَلَمْ أَقُل إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعَيَ صَبْراً، قالَ: لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ، قالَ: وكانَتِ الأُولى مِنْ مُوسَى نِسْياناً قالَ: ثُمَّ خَرَجا فانْطَلَقَا يَمْشِيانِ، فَأَبْصَرا غُلاماً يَلْعَبُ مَعَ الغلْمانِ، فَأَخَذَ برأْسِهِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَقَتَلْتَ نَفْساً زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكراً، قالَ: أَلَـمْ أَقُلْ لَكَ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعَي صَبْراً؟ قالَ: إنْ سأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنّي عُذْراً. قالَ: فانْطَلَقا حتى إذَا أَتَيا أهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها، فَلَمْ يَجِدَا أَحَداً يُطْعِمُهُمْ وَلا يَسْقِيهِمْ، فَوَجَدَا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ، فأقامَهُ بيَدِهِ، قالَ: مَسَحَه بِيَدِهِ فَقالَ لَهُ مُوسَى: لَمْ يُضَيِّفُونا ولَـمْ يُنْزِلُونا، لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أجْراً، قالَ: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ» فقال رسول الله ﷺ: «لَوَددْتُ أنَّهُ كانَ صَبَرَ حتى يَقُصَّ عَلَيْنا قَصَصَهُمْ».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق، عن الحسن بن عمارة، عن الحكم بن عتيبة، عن سعيد بن جبير، قال: جلست فأسنَدَ ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب، فقال بعضهم: يا أبا العباس، إن نوفاً ابن امرأة كعب يزعم عن كعب، أن موسى النبيّ الذي طلب العالم، إنما هو موسى بن ميشا. قال سعيد: قال ابن عباس: أنوف يقول هذا؟ قال سعيد: فقلت له نعم، أنا سمعت نوفاً يقول ذلك، قال: أنت سمعته يا سعيد؟ قال: قلت: نعم، قال: كذب نوف ثم قال ابن عباس: حدثني أبيّ بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ مُوسَى هُوَ نَبِيُّ بَنِي إسْرَائِيلَ سأَلَ رَبَّهُ فَقالَ: أيْ رَبّ إنْ كانَ فِي عِبادِكَ أحَدٌ هُوَ أعْلَمُ مِنّي فادْلُلْنِي عَلَيْهِ، فَقالَ لَهُ: نَعَمْ في عِبادِي مَنْ هُوَ أعْلَمُ مِنْكَ، ثُمَّ نَعَتَ لَهُ مَكانَهُ، وأذِنَ لَهُ فِي لُقِيِّهِ فخَرَجَ مُوسَى مَعَهُ فَتاه وَمَعَهُ حُوتٌ مَلِيحٌ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ: إذَا حَيِيَ هَذَا الحُوتُ فِي مَكانٍ فصاحبُكَ هُنالكَ وَقَدْ أدْرَكْتَ حاجَتَكَ فَخَرَجَ مُوسَى وَمَعَهُ فَتاهُ، وَمَعَهُ ذلكَ الحُوتُ يَحْمِلانِهِ، فَسارَ حتى جَهَدَهُ السَّيْرُ، وَانْتَهَى إلى الصَّخْرَةِ وَإلى ذلكَ المَاءِ، ماءِ الحَياةِ،

مَنْ شَرِبَ مِنْهُ خَلَدَ، وَلا يُقارِبُهُ شَيْءٌ مَيْتٌ إلاَّ حَيِيَ فَلَمَّا نَزَلا، وَمَسَّ الحُوتَ المَاءُ حَيِيَ، فاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَباً فانْطَلَقا، فَلَمَّا جاوَزَا مُنْقَلَبَهُ قالَ مُوسَى: آتِنا غَدَاءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هَذَا نَصَباً. قالَ الفَتى وَذَكَرَ: أرَأَيْتَ إذْ أوَيْنا إلى الصَّخْرَةِ فإنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَما أنْسانِيهُ إلاَّ الشَّيْطانُ أنْ أذْكُرَهُ. واتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَباً» قال ابن عباس: فظهر موسى على الصخرة حين انتهيا إليها، فإذا رجل متلفف في كساء له، فسلم موسى، فردّ عليه العالم، ثم قال له: وما جاء بك؟ إن كان لك في قومك لشغل؟ قال له موسى: جئتك لتعلمني مما علمت رشداً، ﴿قالَ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾، وكان رجلاً يعلم علم الغيب قد علّم ذلك، فقال موسى: بلى ﴿قالَ وكَيفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبراً﴾: أي إنما تعرف ظاهر ما ترى من العدل، ولم تُحط من علم الغيب بما أعلم ﴿قالَ سَتَجِدُنِي إنْ شاءَ اللّهُ صَابِراً وَلا أعْصِيَ لَكَ أمْراً﴾ وإن رأيتَ ما يخالفني، ﴿قالَ فإنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْألْنِي عَنْ شَيْءٍ﴾ وإن أنكرته ﴿حتى أُحدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، يتعرّضان الناس، يلتمسان من يحملهما، حتى مرّت بهما سفينة جديدة وثيقة لم يمرّ بهما من السفن شيء أحسن ولا أجمل ولا أوثق منها، فسألا أهلها أن يحملوهما، فحملوهما، فلما اطمأنا فيها، ولجت بهما مع أهلها، أخرج منقاراً له ومطرقة، ثم عمد إلى ناحية منها فضرب فيها بالمنقار حتى خرقها، ثم أخذ لوحاً فطبقه عليها، ثم جلس عليها يرقعها. قال له موسى ورأى أمراً فظع به: ﴿أخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إمْراً قالَ ألَمْ أقُلْ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعَي صَبْراً قالَ لا تؤاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾: أي ما تركت من عهدك ﴿وَلا تُرْهِقْنِي من أمْرِي عُسْراً﴾. ثم خرجا من السفينة، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية فإذا غلمان يلعبون خلفها، فيهم غلام ليس في الغلمان أظرف منه، ولا أثرى ولا أوضأ منه، فأخذه بيده، وأخذ حجراً، قال: فضرب به رأسه حتى دمغه فقتله، قال: فرأى موسى أمراً فظيعاً لا صبر عليه، صبيّ صغير لا ذنب له ﴿قالَ أقَتَلْتَ نَفساً زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي صغيرة بغير نفس ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً قالَ ألَم أقُلْ لَكَ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعي صَبْراً قالَ إنْ سألْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنّي عُذْراً﴾: أي قد أعذرتَ في شأني ﴿فانطَلَقا حتى إذَا أتَيا أهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أهْلَها فأبَوْا أنْ يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدَا فِيها جِدَاراً يُرِيدُ أنْ يَنْقَضَّ﴾ فهدمه، ثم قعد يبنيه، فضجر موسى مما رآه يصنع من التكليف لما ليس عليه صبر، فقال: ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أجْراً﴾ أي قد استطعمناهم فلم يطعمونا، وضفناهم فلم يضيفونا، ثم قعدت في غير صنيعة، ولو شئت لأعطيت عليه أجراً في عمله ﴿قالَ هَذَا فِراقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سأُنَبِّئُكَ بِتأوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً أمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ فأرَدْتُ أنْ أعِيبَها، وَكانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾، وفي قراءة أبيّ بن كعب: «كلّ سفينة صالحة»،

وإنما عبتها لأردّه عنها، فسلمت حين رأى العيب الذي صنعت بها. ﴿**وأمَّا الغُلامُ فَكانَ أبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينا أنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وكُفْراً. فأرَدْنا أنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وأقْرَبَ رُحْماً وأمَّا الجِدارُ فَكانَ لغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي المَدِينَةِ وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لهما وكانَ أبُوهُمَا صالِحاً فأرَادَ رَبُّكَ أنْ يَبْلُغا أشُدَّهُما ويَسْتَخْرِجا كَنْزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أمْرِي**﴾: أي ما فعلته عن نفسي ﴿**ذلكَ تأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيهِ صَبْراً**﴾ فكان ابن عباس يقول: ما كان الكنز إلا علماً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، عن الحسن بن عُمارة، عن أبيه، عن عكرِمة قال: قيل لابن عباس: لم نسمع لفتى موسى بذكر من حديث، وقد كان معه[(١)]، فقال ابن عباس فيما يذكر من حديث الفتى قال: شرب الفتى من الماء فخلُد، فأخذه العالم فطابق به سفينة، ثم أرسله في البحر، فإنها لتموج به إلى يوم القيامة، وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَإذْ قالَ مُوسَى لفَتاهُ لا أبْرَحُ حتى أبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ أوْ أمْضِيَ حُقُباً**﴾ قال: لما ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه مصر فلما استقرّت بهم الدار أنزل الله عليه أن ﴿**ذَكِّرْهُمْ بِأيَّامِ اللَّهِ**﴾ فخطب قومه، فذكر ما آتاهم الله من الخير والنعمة، وذكَّرهم إذ أنجاهم الله من آل فرعون، وذكرهم هلاك عدوّهم، وما استخلفهم الله في الأرض، وقال: كلم الله نبيكم تكليماً، واصطفاني لنفسه، وأنزل عليّ محبة منه، وآتاكم الله من كلّ ما سألتموه، فنبيكم أفضل أهل الأرض، وأنتم تقرأون التوراة، فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم إلا ذكرها، وعرّفها إياهم، فقال له رجل من بني إسرائيل: هم كذلك يا نبيّ الله، قد عرفنا الذي تقول، فهل على الأرض أحد أعلم منك يا نبيّ الله؟ قال: لا فبعث الله جبرئيل إلى موسى عليهما السلام، فقال: إن الله يقول: وما يدريك أين أضع علمي؟ بلى إن على شطّ البحر رجلاً أعلم منك فقال ابن عباس: هو الخَضِر، فسأل موسى ربه أن يريه إياه، فأوحى الله إليه أن ائت البحر، فإنك تجد على شطّ البحر حُوتاً، فخذه فادفعه إلى فتاك، ثم الزم شطّ البحر، فإذا نسيتَ الحوت وهَلك منك، فثمّ تجد العبد الصالح الذي تطلب فلما طال سفر موسى نبيّ الله ونصب فيه، سأل فتاه عن الحوت، فقال له فتاه وهو غلامه ﴿**أرَأيْتَ إذْ أوَينا إلى الصَّخْرَةِ فإنّي نَسِيتُ الحُوتَ وَما أنْسانِيهُ إلاَّ الشَّيطانُ أنْ أذْكُرَهُ**﴾ قال الفتى: لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله في البحر سَرَباً، فأعجب ذلك موسى

---

(١) الذي في الدر بدل هذا: لم نسمع: يعني موسى يذكر من حديث فتاه، وقد كان... الخ.

فرجع حتى أتى الصخرة، فوجد الحوت يضرب في البحر، ويتبعه موسى، وجعل موسى يقدّم عصاه يفرُج بها عن الماء يتبع الحوت، وجعل الحوت لا تمسّ شيئاً من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة، فجعل نبيّ الله يعجب من ذلك حتى انتهى به الحوت إلى جزيرة من جزائر البحر، فلقى الخَضِر بها فسلم عليه، فقال الخضر: وعليك السلام، وأنى يكون هذا السلام بهذه الأرض، ومن أنت؟ قال: أنا موسى، فقال له الخضر: أصاحبُ بني إسرائيل؟ قال: نعم فرحب به، وقال: ما جاء بك؟ قال: جئتك على أن تعلمني مما علّمت رُشداً ﴿**قالَ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً**﴾ قال: لا تطيق ذلك، قال موسى: ﴿**سَتَجِدُنِي إنْ شاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلا أعْصِيَ لَكَ أمْراً**﴾ قال: فانطلق به وقال له: لا تسألني عن شيء أصنعه حتى أبيِّن لك شأنه، فذلك قوله: ﴿**أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً**﴾. فركبا في السفينة يريدان البرّ، فقام الخضر فخرق السفينة، فقال له موسى ﴿**أخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إمْراً**﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فَلَمَّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما**﴾ ذُكِر أن نبيّ الله ﷺ لما قطع البحر وأنجاه الله من آل فرعون، جمع بني إسرائيل، فخطبهم فقال: أنتم خير أهل الأرض وأعلمه، قد أهلك الله عدوّكم، وأقطعكم البحر، وأنزل عليكم التوراة قال: فقيل له: إن ههنا رجلاً هو أعلم منك. قال: فانطلق هو وفتاه يوشع بن نون يطلبانه، وتزوّدا سمكة مملوحة في مِكتل لهما، وقيل لهما: إذا نسيتما ما معكما لقيتما رجلاً عالماً يقال له الخضر فلما أتيا ذلك المكان، ردّ الله إلى الحوت روحه، فسرب له من الجسر حتى أفضى إلى البحر، ثم سلك فجعل لا يسلك فيه طريقاً إلا صار ماء جامداً. قال: ومضى موسى وفتاه يقول الله عزّ وجلّ: ﴿**فَلَمَّا جاوَزَا قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَدَاءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هَذَا نَصَباً قالَ أرَأيْتَ إذْ أوَيْنا إلى الصَّخْرَةِ فإنّي نَسِيتُ الحُوتَ...**﴾ ثم تلا إلى قوله: ﴿**وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً**﴾ فلقيا رجلاً عالماً يقال له الخَضِر، فذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال: «إنَّما سُمّيَ الخَضِرُ خَضِراً لأنهُ قَعَدَ عَلى فَرْوَةٍ بَيْضاءَ، فاهْتَزَّتْ بِهِ خَضراء»[١].

حدثني العباس بن الوليد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا الأوزاعيّ، قال: ثنا الزهريّ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس أنه تمارى هو والحرّ بن قيس بن حِصْن الفزاريّ في صاحب موسى، فقال ابن عباس: هو خَضِر، فمرّ بهما أبيّ بن كعب، فدعاه ابن عباس فقال: إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقيِّه، فقال سمعت رسول الله ﷺ يذكر شأنه؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بَيْنا مُوسَى فِي مَلأ مِنْ

(١) في «عرائس المجالس» للثعلبي المفسر (ص ـ ٢٢٠) طبعة الحلبي: فإذا هي تهتز تحته خضراء.

بَنِي إسْرَائِيلَ إذْ جاءَهُ رَجُلٌ فَقالَ: تَعْلَمُ مَكانَ أحَدٍ أعْلَمُ مِنْكَ؟ قالَ مُوسَى: لا، فَأوْحَى اللَّهُ إلى مُوسَى: بَلى عَبْدُنا خَضِرٌ، فَسألَ مُوسَى السَّبِيلَ إلى لُقِيِّهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إذَا فَقَدْتَ الحُوتَ فارْجِعْ فإنَّكَ سَتَلْقاهُ، فَكانَ مُوسَى يَتْبَعُ أثَرَ الحُوتِ فِي البَحْرِ، فَقال فَتي مُوسَى لمُوسَى: أرَأَيْتَ إذْ أوَيْنا إلى الصَّخْرَةِ، فإنِّي نَسِيتُ الحُوتَ، قالَ مُوسَى: ذلكَ ما كُنَّا نَبْغِ، فارْتَدَّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً، فَوَجَدَا عَبْدَنا خَضِراً، وكانَ مِنْ شأنِهِما ما قَصَّ اللَّهُ في كِتابِهِ».

حدثني محمد بن مرزوق، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا عبد الله بن عمر النميري، عن يونس بن يزيد، قال: سمعت الزهريّ يحدّث، قال: أخبرني عميد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس، أنه تمارى هو والحرّ بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى، ثم ذكر نحو حديث العباس، عن أُبيّ بن كعب، عن النبيّ ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال موسى للعالم: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أنْ تَعَلِّمَنِ﴾ من العلم الذي علمك الله ما هو رشاد إلى الحقّ، ودليل على هدى؟ ﴿قالَ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعَي صَبْراً﴾ يقول تعالى ذكره: قال العالم: إنك لن تطيق الصبر معي، وذلك أني أعمل بباطن علم علّمنيه الله، ولا علم لك إلا بظاهر من الأمور، فلا تصبر على ما ترى من الأفعال، كما ذكرنا من الخبر عن ابن عباس قَبلُ من أنه كان رجلاً يعمل على الغيب قد علم ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾.

يقول عزّ ذكره مخبراً عن قول العالم لموسى: وكيف تصبر يا موسى على ما ترى مني من الأفعال التي لا علم لك بوجوه صوابها، وتقيم معي عليها، وأنت إنما تحكم على صواب المصيب وخطأ المخطىء بالظاهر الذي عندك، وبمبلغ علمك، وأفعالي تقع بغير دليل ظاهر لرأي عينك على صوابها، لأنها تُبتدأ لأسباب تحدث آجلة غير عاجلة، لا علم لك بالحادث عنها، لأنها غيب، ولا تحيط بعلم الغيب خبراً يقول علماً، قال: ﴿سَتَجِدُنِي إنْ شاءَ اللَّهُ صَابِراً﴾ على ما أرى منك وإن كان خلافاً لما هو عندي صواب ﴿وَلا أعْصِي لَكَ أمْراً﴾ يقول: وأنتهي إلى ما تأمرني، وإن لم يكن موافقاً هواي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾.

يقول تبارك وتعالى: قال العالم لموسى: فإن اتبعتني الآن فلا تسألني عن شيء أعمله مما تستنكره، فإني قد أعلمتك أني أعمل العمل على الغيب الذي لا تحيط به علماً ﴿**حتى أُحْدِثَ لَكَ مِنهُ ذِكْراً**﴾ يقول: حتى أحدث أنا لك مما ترى من الأفعال التي أفعلها التي تستنكرها أذكرها لك وأبين لك شأنها، وأبتدئك الخبر عنها، كما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**فَلا تَسأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حتى أُحْدِثَ لَكَ مِنهُ ذِكْراً**﴾ يعني عن شيء أصنعه حتى أبين لك شأنه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فانطلق موسى والعالم يسيران يطلبان سفينة يركبانها، حتى إذا أصاباها ركبا في السفينة، فلما ركباها، خرق العالم السفينة، قال له موسى: أخرقتها بعد ما لَجَجنا في البحر ﴿**لِتُغْرِقَ أهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إمْراً**﴾ يقول: لقد جئت شيئاً عظيماً، وفعلت فعلاً مُنكراً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إمْراً**﴾: أي عجباً، إن قوماً لججوا سفينتهم فخرقتها، كأحوج ما نكون إليها، ولكن علم من ذلك ما لم يعلم نبيّ الله موسى ذلك من علم الله الذي آتاه، وقد قال لنبيّ الله موسى عليه السلام: ﴿**فإنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حتى أُحْدِثَ لَكَ مِنهُ ذِكْراً**﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة ﴿**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إمْراً**﴾ يقول: نُكراً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إمْراً**﴾ قال: منكراً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

والإمر: في كلام العرب: الداهية ومنه قول الراجز:

قَدْ لَقِيَ الأقْرَانُ مِنِّي نُكْرَا ... دَاهِيَةً دَهْيَاءَ إدّاً إمْرَا(١)

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: أصله: كلّ شيء شديد كثير، ويقول منه: قيل للقوم: قد أَمِروا: إذا كثروا واشتدّ أمرهم. قال: والمصدر منه: الأَمَر، والاسم: الإمْر.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ بالتاء في لتغرق، ونصب الأهل، بمعنى: لتُغرق أنت أيها الرجل أهل هذه السفينة بالخرق الذي خرقت فيها. وقرأه عامة قرّاء الكوفة: «لِيَغْرَقَ» بالياء أهلها بالرفع، على أن الأهل هم الذين يغرقون.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قرأة الأمصار، متفقتا المعنى وإن اختلفت ألفاظهما، فبأيّ ذلك قرأ القارىء فمصيب.

وإنما قلنا: هما متفقتا المعنى، لأنه معلوم أن إنكار موسى على العالِم خرق السفينة إنما كان لأنه كان عنده أن ذلك سبب لغرق أهلها إذا أحدث مثل ذلك الحدث فيها فلا خفاء على أحد معنى ذلك قرىء بالتاء ونصب الأهل، أو بالياء ورفع الأهل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾.

يقول عزّ ذكره: ﴿قَالَ﴾ العالم لموسى إذ قال له ما قال ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ على ما ترى من أفعالي، لأنك ترى ما لم تُحِط به خبراً قال له موسى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾. فاختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: كان هذا الكلام من موسى عليه

---

(١) البيت: من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١/٤٠٩) قال في تفسير قوله تعالى: ﴿جئت شيئاً إمرا﴾ أي داهية نكراً عظيمة. وفي آية أخرى شيئاً إدًا. قال: «قد بقي الأقران...» البيت وفي «اللسان» إمرا: الأخفش: يقال: أمر أمره يأمر أمراً (الفعل كفرح يفرح) أي اشتد. والاسم: الإمر بكسر الهمزة. قال الراجز:

قد لقي....

البيت» ويقال: عجباً. وأمر إمراً: منكر، وفي التنزيل العزيز: «لقد جئت شيئاً إمرا» قال أبو إسحاق: أي جئت شيئاً عظيماً من المنكر. وقيل: الإمر بالكسر، الأمر العظيم الشنيع. وقيل: العجيب. قال: ونكرا أقل من قوله: إمرا؛ لأن تغريق من في السفينة أنكر من قتل نفسه واحدة. قال ابن سيده: وذهب الكسائي إلى أن معنى إمرا: شيئاً داهياً منكراً عجباً، واشتقه من قولهم: أمِر القوم: إذا أكثروا ا هـ.

السلام للعالِم معارضة، لا أنه كان نسي عهده، وما كان تقدّم فيه حين استصحبه بقوله: ﴿فإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تسألْنِي عَنْ شَيْءٍ حتى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن يحيى بن زياد، قال: ثني يحيى بن المهلب، عن رجل، عن سعيد بن جبير، عن أبيّ بن كعب الأنصاريّ في قوله: ﴿لا تُؤاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ قال: لم ينس، ولكنها من معاريض الكلام.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا تؤاخذني بتركي عهدك، ووجه أن معنى النسيان: الترك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن الحسن بن عمارة، عن الحكم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿قالَ لا تُؤاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾: أي بما تركت من عهدك.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن موسى سأل صاحبه أن لا يؤاخذه بما نسِي فيه عهده من سؤاله إياه على وجه ما فعل وسببه لا بما سأله عنه، وهو لعهده ذاكر للصحيح عن رسول الله ﷺ، بأن ذلك معناه من الخبر، وذلك ما:

حدثنا به أبو كريب، قال: ثنا يحيى بن آدم، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبيّ بن كعب، عن رسول الله ﷺ ﴿لا تُؤاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ قالَ: «كانَتِ الأُولى مِنْ مُوسَى نِسْياناً».

وقوله: ﴿ولا تُرْهِقْنِي مِنْ أمْرِي عُسْراً﴾ يقول: لا تُغْشِني من أمري عسراً، يقول: لا تضيق عليّ أمري معك، وصحبتي إياك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله﴾ العالم، فـ﴿قال﴾ له موسى: ﴿أقتلت نفساً زكية﴾.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والبصرة: «أَقَتَلْتَ نَفْساً زَاكِيَةً» وقالوا معنى ذلك: المطهرة التي لا ذنب لها، ولم تذنب قطّ لصغرها. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل

الكوفة: ﴿نَفساً زَكِيَّةً﴾ بمعنى: التائبة المغفور لها ذنوبها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿أَقَتَلْتَ نَفساً زَكِيَّةً﴾ والزكية: التائبة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿قالَ أَقَتَلْتَ نَفساً زَكِيَّةً﴾ قال: الزكية: التائبة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر «أَقَتَلْتَ نَفساً زَاكِيَةً» قال: قال الحسن: تائبة، هكذا في حديث الحسن وشهْر زاكية.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿نَفسا زَكيَّة﴾ قال: تائبة. ذكر من قال: معناها المسلمة التي لا ذنب لها:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني يعلى بن مسلم، أنه سمع سعيد بن جبير يقول: وجد خضر غلماناً يلعبون، فأخذ غلاماً ظريفاً فأضجعه ثم ذبحه بالسكين. قال: وأخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الجبئي قال: اسم الغلام الذي قتله الخضر: جيسور «قالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَاكِيَةً» قال: مسلمة. قال: وقرأها ابن عباس: ﴿زَكِيَّةً﴾ كقولك: زكياً.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل الكوفة يقول: معنى الزكية والزاكية واحد، كالقاسية والقسية، ويقول: هي التي لم تجن شيئاً، وذلك هو الصواب عندي لأني لم أجد فرقاً بينهما في شيء من كلام العرب.

فإذا كان ذلك كذلك، فبأيّ القراءتين قرأ ذلك القارىء فمصيب، لأنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار بمعنى واحد.

وقوله: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يقول: بغير قصاص بنفس قتلت، فلزمها القتل قوداً بها. وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾ يقول: لقد جئت بشيء منكر، وفعلت فعلاً غير معروف. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل:

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾ والنُكْرُ أشدّ من الإمر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال العالم لموسى ﴿أَلَمْ أَقُلْ لكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾ على ما ترى من أفعالي التي لم تُحط بها خبراً، قال موسى له: ﴿إِنْ سألْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها﴾ يقول: بعد هذه المرّة ﴿فَلا تُصَاحِبْنِي﴾ يقول: ففارقني، فلا تكن لي مصاحباً ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنّي عُذْراً﴾ يقول: قد بلغت العذر في شأني.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة: «مِنْ لَدُنِي عُذْراً» بفتح اللام وضم الدال وتخفيف النون. وقرأه عامة قرّاء الكوفة والبصرة بفتح اللام وضمّ الدال وتشديد النون. وقرأه بعض قرّاء الكوفة بإشمام اللام الضم وتسكين الدال وتخفيف النون، وكأن الذين شدّدوا النون طلبوا للنون التي في لدن السلامة من الحركة، إذ كانت في الأصل ساكنة، ولو لم تشدّد لتحرّكت، فشدّدوها كراهة منهم تحريكها، كما فعلوا في «من، وعن» إذ أضافوهما إلى مكنيّ المخبر عن نفسه، فشدّدوهما، فقالوا مني وعنّي. وأما الذين خفّفوها، فإنهم وجدوا مكنيّ المخبر عن نفسه في حال الخفض ياء وحدها لا نون معها، فأجروا ذلك من لدن على حسب ما جرى به كلامهم في ذلك مع سائر الأشياء غيرها.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما لغتان فصيحتان، قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء بالقرآن، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، غير أن أعجب القراءتين إليّ في ذلك قراءة من فتح اللام وضمّ الدال وشدّد النون. لعلتين: إحداهما أنها أشهر اللغتين، والأخرى أن محمد بن نافع البصري:

حدثنا، قال: ثنا أمية بن خالد، قال: ثنا أبو الجارية العبدي، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبيّ بن كعب، أن النبيّ ﷺ قرأ ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنّي عُذْراً﴾ مثقلة.

حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: ثنا حجاج بن محمد، عن حمزة الزيات، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبيّ بن كعب، عن النبيّ ﷺ مثله، وذكر أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية فقال: «اسْتَحيَا فِي اللّهِ مُوسَى».

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا بدل بن المحبر، قال: ثنا عباد بن راشد، قال: ثنا

داود، في قول الله عزّ وجلّ ﴿إنْ سألْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنّي عُذْراً﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «اسْتَحيا فِي اللّهِ مُوسَى عِنْدَها».

حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: ثنا حجاج بن محمد، عن حمزة الزيات، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبيّ بن كعب، قال: كان النبيّ ﷺ إذا ذكر أحداً فدعا له بدأ بنفسه، فقال ذات يوم: «رَحْمَةُ اللّهِ عَلَيْنا وَعلى مُوسَى، لَوْ لَبِثَ مَعَ صَاحِبِهِ لأَبْصَرَ العَجَبَ وَلَكِنَّهُ قالَ: إنْ سألْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنّي عُذْراً» مُثَقلة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فانطلق موسى والعالم ﴿حَتَّى إذَا أتَيا أهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أهْلَها﴾ من الطعام فلم يطعموهما واستضافاهم ﴿فَأبَوْا أن يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدَا فِيها جِداراً يُرِيدُ أنْ يَنْقَضَّ﴾ يقول: وجدا في القرية حائطاً يريد أن يسقط ويقع يقال منه: انقضّت الدار: إذا انهدمت وسقطت ومنه انقضاض الكوكب، وذلك سقوطه وزواله عن مكانه ومنه قول ذي الرُّمة:

فانْقَضَّ كالكَوْكَبِ الدُّرّي مُنْصَلِتا[1]

وقد رُوي عن يحيى بن يعمر أنه قرأ ذلك: «يُرِيدُ أنْ يَنْقاضَّ».

وقد اختلف أهل العلم بكلام العرب إذا قرىء ذلك كذلك في معناه، فقال بعض أهل البصرة منهم: مجاز ينقاضّ: أي ينقلع من أصله، ويتصدّع، بمنزلة قولهم: قد انقاضت السنّ: أي تصدّعت، وتصدّعت من أصلها، يقال: فراق كقيض السنّ: أي لا يجتمع أهله. وقال بعض أهل الكوفة[2] منهم: الانقياض: الشقّ في طول الحائط في طيّ البئر وفي سنّ الرجل، يقال: قد انقاضت سنة: إذا انشقّت طولاً. وقيل: إن القرية التي استطعم أهلها موسى وصاحبه، فأبوا أن يضيفوهما: الآيلة.

---

(١) هذا صدر بيت لذي الرمة. وفي «اللسان» قض: انقض الجدار: تصدع من غير أن يسقط. وقيل: انقض: سقط وفي التنزيل العزيز: «فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض» هكذا عده أبو عبيد وغيره ثنائياً، وجعله أبو علي ثلاثياً من نقض، فهو عنده «افعل» بتشديد اللام. وفي «التهذيب» ينقض: أي ينكسر، يقال: قضضت الشيء: إذا دققته. والمنصلت: المسرع من كل شيء.

(٢) هو الفراء انظر «معاني القرآن» له، (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ ص ـ ١٩٠).

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحسين بن محمد الذارع، قال: ثنا عمران بن المعتمر صاحب الكرابيسي، قال: ثنا حماد أبو صالح، عن محمد بن سيرين، قال: انتابوا الأيلة، فإنه قلّ من يأتيها فيرجع منها خائباً، وهي الأرض التي أبوا أن يضيفوهما، وهي أبعد أرض الله من السماء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فانطَلَقا حتى إذَا أتيا أهْلَ قَرْيَةٍ**﴾، وتلا إلى قوله ﴿**لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أجْراً**﴾ شرّ القرى التي لا تُضِيف الضيف، ولا تعرف لابن السبيل حقه.

واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قول الله عزّ وجلّ ﴿**يُرِيدُ أنْ يَنْقَضَّ**﴾ فقال بعض أهل البصرة: ليس للحائط إرادة ولا للمَوَات، ولكنه إذا كان في هذه الحال من رثة فهو إرادته. وهذا كقول العرب في غيره:

يُـرِيـدُ الـرُّمْـحُ صَـدْرَ أبِـي بَـرَاءٍ   وَيَـرْغَـبُ عَـنْ دِمـاء بَـنِـي عُـقَـيْـلِ(1)

وقال آخر منهم: إنما كلم القوم بما يعقلون، قال: وذلك لما دنا من الانقضاض، جاز أن يقول: يريد أن ينقضّ، قال: ومثله ﴿**تَكادُ السَّمَواتُ يَتَفَطَّرْنَ**﴾ وقولهم: إني لأكاد أطير من الفرح، وأنت لم تقرب من ذلك، ولم تهمّ به، ولكن لعظيم الأمر عندك. وقال بعض الكوفيين منهم: من كلام العرب أن يقولوا: الجدار يريد أن يسقط قال: ومثله من قول العرب قول الشاعر:

إنّ دهـراً يَـلُـفُّ شَـمِـلـي بِـجُـمْـلٍ   لَـزَمـانٌ يَـهُـمُّ بـالإحْـسـانِ(2)

---

(1) البيت من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (١/ ٤١٠) قال في تفسير قوله تعالى: ﴿يريد أن ينقض﴾ ليس للحائط إرادة ولا للموات ولكنه إذا كان في هذه الحال من رثة، فهو إرادته. وهذا قول العرب في غيره، قال الحارثي:

«يـــريـــد الـــرمـــح....

البيت». وفي «**اللسان**» رود: وقوله عز وجل: ﴿فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه﴾ أي أقامه الخضر، وقال: يريد، والإرادة إنما تكون من الحيوان، والجدار لا يريد إرادة حقيقية؛ لأن تهيؤه للسقوط قد ظهر كما تظهر أفعال المريدين، فوصف الجدار بالإرادة، إذ كانت الصورتان واحدة، ومثل هذا كثير في اللغة والشعر، قال الراعي:

فـي مـهـمـه قـلـقـت بـه هـامـاتـهـا   قـلـق الـفـئـوس إذا أردن نـصـولاً

وقال الآخر: «يريد الرمح صدر أبي براء»..... البيت.

(2) البيت من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ١٩٠ من مصورة الجامعة) قال: «يريد أن ينقض»: يقال: كيف يريد الجدار أن ينقض؟ وذلك من كلام العرب أن يقولوا: الجدار يريد أن يسقط. ومثله قول الله: ﴿ولما سكت عن موسى الغضب﴾ والغضب لا يسكت، إنما يسكت صاحبه، ومعناه: سكن. وقوله فإذا عزم الأمرم: إنما يعزم الأمر أهله. وقال الشاعر:

«إن دهــــراً........»

وقول الآخر:

يَشْكُو إليَّ جَمَلِي طُولَ السُّرَى صَبْراً جَمِيلاً فَكِلانا مُبْتَلَى(١)

قال: والجمل لم يشك، إنما تكلَّم به على أنه لو تكلم لقال ذلك قال: وكذلك قول عنترة:

وَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنا بِلَبانِهِ وشَكا إليَّ بِعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ(٢)

قال: ومنه قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الغَضَبُ**﴾ والغضب لا يسكت، وإنما يسكت صاحبه. وإنما معناه: سكن. وقوله: ﴿**فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ**﴾ إنما يعزم أهله. وقال آخر منهم: هذا من أفصح كلام العرب، وقال: إنما إرادة الجدار: ميله، كما قال النبيّ ﷺ «لا تَرَاءى نارَاهُما» وإنما هو أن تكون ناران كلّ واحدة من صاحبتها بموضع لو قام فيه إنسان رأى الأخرى في القُرب قال: وهو كقول الله عزّ وجلّ في الأصنام: ﴿**وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ**﴾ قال: والعرب تقول: داري تنظر إلى دار فلان، تعني: قرب ما بينهما واستشهد بقول ذي الرُّمَّة في وصفه حوضاً أو منزلاً دارساً:

قَدْ كادَ أوْ قَدْ هَمَّ بالبُيُودِ(٣)

قال: فجعله يهمّ، وإنما معناه: أنه قد تغير للبلى. والذي نقول به في ذلك أن الله عزّ ذكره بلطفه، جعل الكلام بين خلقه رحمة منه بهم، ليبين بعضهم لبعض عما في ضمائرهم. مما لا تحسُّه أبصارهم، وقد عقلت العرب معنى القائل:

فِي مَهْمَهٍ قَلِقَتْ بِهِ هاماتُها قَلَقَ الفُؤُوسِ إذا أرَدْنَ نُصُولا(٤)

وفهمت أن الفؤوس لا توصف به بنو آدم من ضمائر الصدور مع وصفها إياهما بأنها تريد.

البيت، وقال الآخر:

شكا إلى جملي....

البيت. (وسيجيء بعد هذا) والجمل لم يشك، إنما تكلم به على أنه لو نطق لقال ذلك، وكذلك قول عنترة:

وأزور من وقع القنا....

البيت (سيجيء بعد هذا)... وقال أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (١/ ٤١١) ومجاز «أن ينقض» مجاز: يقع. يقال: انقضت الدار إذا انهدمت وسقطت، وقرأ قوم «أن ينقاض»، ومجازه: أن ينقلع من أصله ويتصدع؛ بمنزلة قولهم: قد انقاضت السن: أي انصدعت، وتقلعت من أصلها.

(١) سبق الكلام على البيت في الشاهد السابق عليه وهو من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**».

(٢) سبق الكلام على البيت في الشاهد السابق على الذي قبله. ولبانه: صدره: والقنا جمع قناة، وهي الرمح. وهو من «**شواهد الفراء**».

(٣) هذا بيت من الرجز. لذي الرمة. والبيود: مصدر باد يبيد: إذا هلك. والشاهد فيه مثل الشواهد السابقة عليه.

(٤) هذا البيت للراعي، وقد سبق الكلام عليه قبل في أكثر من موضع.

وعلمت ما يريد القائل بقوله:

كَمِثْلِ هَيْلِ النَّقا طافَ المُشاةُ بِهِ   يَنْهالُ حِيناً ويَنْهاهُ الثَّرَى حِينا[١]

وإنما لم يرد أن الثرى نطق، ولكنه أراد به أنه تلبَّد بالندى، فمنعه من الانهيال، فكان منعه إياه من ذلك كالنهي من ذوي المنطق فلا ينهال. وكذلك قوله: ﴿جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ قد علمت أن معناه: قد قارب من أن يقع أو يسقط، وإنما خاطب جلّ ثناؤه بالقرآن من أنزل الوحي بلسانه، وقد عقلوا ما عنى به وإن استعجم عن فهمه ذوو البلادة والعمى، وضلّ فيه ذوو الجهالة والغبا.

وقوله: ﴿فَأَقامَهُ﴾ ذكر عن ابن عباس أنه قال: هدمه ثم قعد يبنيه.

حدثنا بذلك ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، عن الحسن بن عُمارة، عن الحكم بن عتيبة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وقال آخرون في ذلك ما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير ﴿فوجدا فيها جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ قال: رفع الجدار بيده فاستقام.

والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إن الله عزّ ذكره أخبر أن صاحب موسى وموسى وجدا جداراً يريد أن ينقضّ فأقامه صاحب موسى، بمعنى: عَدَل مَيله حتى عاد مستوياً. وجائز أن يكون كان ذلك بإصلاح بعد هدم. وجائز أن يكون كان برفع منه له بيده، فاستوى بقدرة الله، وزال عنه مَيْلُه بلطفه، ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر للعذر قاطع بأيّ ذلك كان من أيّ.

وقوله: ﴿قالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ يقول: قال موسى لصاحبه: لو شئت لم تقم لهؤلاء القوم جدارهم حتى يعطوك على إقامتك أجراً، فقال بعضهم: إنما عَنَى موسى بالأجر الذي قال له ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ القِرى: أي حتى يَقْرُونا، فإنهم قد أبوا أن يضَيفونا.

وقال آخرون: بل عنى بذلك العِوَض والجزاء على إقامته الحائط المائل.

واختلف القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة والكوفة ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ على التوجيه منهم له إلى أنه لافتعلت من الأخذ. وقرأ ذلك بعض أهل البصرة «لَوْ شَئتَ لَتَخِذْتَ» بتخفيف التاء وكسر الخاء، وأصله: لافتعلت، غير أنهم جعلوا التاء كأنهم من

---

(١) هال التراب والرمل هيلا وأهاله فانهال، وهيله فتهيل أي دفعه فانهال. والنقا: الكثيب من الرمل النقي. والبيت كالشواهد السابقة عليه في أن قوله ينهاه الثرى: أي يمسكه الثرى عن التهيل، جعل ذلك بمنزلة نهيه عن السقوط، مع أن الثرى لا ينهى ولا يأمر، ولكنه جاء كذلك عن «لسان العرب»، كما جاء قوله تعالى في القرآن ﴿يريد أن ينقض﴾. وقد اتضح معناه بما لا مزيد عليه في الشواهد السابقة قريباً.

أصل الكلمة، ولأن الكلام عندهم في فعل ويفعل من ذلك: تخِذ فلان كذا يَتْخَذُهُ تَخذاً، وهي لغة فيما ذكر لهُذَيل. وقال بعض الشعراء:

وَقَدْ تَخِذَتْ رِجْلِي لَدَى جَنْبِ غَرْزِها ... نَسِيفاً كأُفْحُوصِ القَطاةِ المُطَرِّقِ[(١)]

والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، غير أني أختار قراءته بتشديد التاء على لافتعلت، لأنها أفصح اللغتين وأشهرهما، وأكثرهما على ألسن العرب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال صاحب موسى لموسى: هذا الذي قلته وهو قوله **﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أجْراً﴾** **﴿فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾**. يقول: فرقة ما بيني وبينك: أي مفرق بيني وبينك. **﴿سأُنَبِّئُكَ﴾** يقول: سأخبرك **﴿بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾** يقول: بما يؤول إليه عاقبة أفعالي التي فعلتها، فلم تستطع عليّ ترك المسألة عنها، وعن النكير علي فيها صبراً، والله أعلم.

---

(١) البيت للممزق العبدي، واسمه شأس بن نهار، شاعر جاهلي قديم. وهو من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٤١١) قال: «لو شئت لتخذت عليه أجراً» الخاء مكسورة، ومعناها معنى أخذت، فكان مخرجها مخرج فعلت تفعل (من باب فرح يفرح) قال الممزق العبدي (من عبد القيس):

«وقد تخذت رجلي...

البيت». وفي «اللسان»: والغرز للجمل مثل الركاب للبغل، وهو ما يضع الراكب فيه قدمه عند الركوب. والأفحوص: مجثم القطاة، لأنها تفحص الموضع، ثم تبيض فيه، وكذلك هو للدجاجة، قال الممزق العبدي:

«وقد تخذت رجلي....»

البيت. والنسيف: أثر عض الغرز في جنب الناقة، من عضة أو انحصاص وبر. والمطرق من وصف القطاة. يقال: طرقت المرأة وكل حامل تطرق: إذا خرج من الولد نصفه ثم نشب فيقال: طرقت ثم خلصت. وقيل التطريق للقطاة: إذا فحصت للبيض، كأنها تجعل له طريقاً.

محتوى الجزى الخامس عشر من تفسير الطبري

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	سورة بني إسرائيل	
١	سبحان الذي أسرى بعبد، ليلا	٥
٢	وآتينا موسى الكتاب	٢٢
٣	ذرية من حملنا مع نوح	٢٣
٤	وقضينا إلى بني إسرائيل	٢٥
٥	فإذا جاء وعد أولادهما	٢٦
٦	ثم رددنا لكم الكرّة عليهم	٣٧
٧	إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم	٣٨
٨	عسى ربكم أن يرحمكم	٥٢
٩	إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم	٥٥
١٠	وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة	٥٥
١١	ويَدْعُ الإنسان بالشرّ	٥٦
١٢	وجعلنا الليل والنهار آيتين	٥٨
١٣	وكلّ إنسان ألزمناه طائرَه في عنقه	٦٠
١٤	اقرأ كتابك	٦٣
١٥	من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه	٦٣
١٦	وإذا أردنا أن نُهلك قَرية	٦٤
١٧	وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح	٦٧
١٨	من كان يريد العاجلة	٦٩
١٩	ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها	٧٠
٢٠	كلا نمدّ هؤلاء وهؤلاء	٧٠
٢١	انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض	٧١
٢٢	لا تجعل مع الله إلهاً آخر	٧٢
٢٣	وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إيّاه	٧٢
٢٤	واخفض لهما جَناح الذلّ	٧٧
٢٥	ربكم أعلم بما في نفوسكم	٧٩
٢٦	وآت ذا القربى حقه	٨٤
٢٧	إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين	٨٤
٢٨	وإما أن تُعْرِضَنّ عنهم ابتغاء رحمة	٨٧
٢٩	ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك	٨٩
٣٠	إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ...	٩١
٣١	ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ..	٩١
٣٢	ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة	٩٤
٣٣	ولا تقتلوا النفس	٩٤
٣٤	ولا تقربوا مال اليتيم	٩٨
٣٥	وأوفوا الكيل إذا كِلْتُم	٩٩
٣٦	ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم	١٠٠

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٧	ولا تمشِ في الأرض مَرَحا	١٠٢
٣٨	كل ذلك كان سيئهُ عند ربك	١٠٢
٣٩	ذلك مما أوحى إليك ربك	١٠٤
٤٠	أفأصفاكم ربكم بالبنين	١٠٥
٤١	ولقد صرّفنا في هذا القرآن ليذكّروا	١٠٥
٤٢	قل لو كان معه آلهة كما يقولون ..	١٠٦
٤٣	سبحانه وتعالى عما يقولون	١٠٦
٤٤	تسبح له السموات السبع والأرض	١٠٦
٤٥	وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك	١٠٨
٤٦	وجعلنا على قلوبهم أكِنة	١٠٩
٤٧	نحن أعلم بما يستمعون به	١١٠
٤٨	انظر كيف ضربوا لك الأمثال	١١٢
٤٩	وقالوا أإذا كنا عظاما	١١٣
٥٠	قل كونوا حجارة أو حديداً	١١٣
٥١	أو خلقا مما يكبر في صدوركم ...	١١٣
٥٢	يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ...	١١٧
٥٣	وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن	١١٧
٥٤	ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم .	١١٨
٥٥	وربك أعلم بمن في السموات	١١٩
٥٦	قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ..	١٢٠
٥٧	أولئك الذين يدعون يبتغون	١٢٠
٥٨	وإن من قرية إلا نحن مهلكوها ...	١٢٣
٥٩	وما منعنا أن نرسل بالآيات	١٢٦
٦٠	وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالنسا	١٢٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦١	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ...	١٣٤
٦٢	قال أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ	١٣٤
٦٣	قال اذهب فمن تبعك منهم	١٣٥
٦٤	واستفزز من استطعت منهم	١٣٦
٦٥	إن عبادي ليس لك عليهم سلطان	١٤١
٦٦	ربكم الذي يُزجى لكم الفلك في البحر	١٤١
٦٧	وإذا مسكم الضرّ في البحر	١٤٢
٦٨	أفأمنتم أن يخسِفَ بكم جانب البرّ	١٤٢
٦٩	أم أمنتم أن يعيدكم فيه	١٤٣
٧٠	ولقد كرّمنا بني آدم	١٤٥
٧١	يوم ندعوا كل أناس بإمامهم	١٤٦
٧٢	ومن كان في هذه أعمى	١٤٧
٧٣	وإن كادوا ليفتنونك	١٤٩
٧٤	ولولا أنْ ثبتناك	١٥١
٧٥	إذن لأذقناك ضِعف الحياة	١٥١
٧٦	وإن كادوا ليستفزّونك	١٥٢
٧٧	سنة من قد أرسلنا قبلك	١٥٤
٧٨	أقم الصلاة لدُلوك الشمس	١٥٤
٧٩	ومن الليل فتهجدْ به نافلةً لك	١٦٣
٨٠	وقل ربّ أدخلني مُدْخَلِ صِدْق ...	١٧١
٨١	وقل جاء الحقّ وزهق الباطل	١٧٤
٨٢	ونتزّل من القرآن ما هو شفاء	١٧٤
٨٣	وإذا أنعمنا على الإنسان	١٧٦
٨٤	قل كُلٌ يعمل على شاكلته	١٧٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨٥	ويسألونك عن الروح	١٧٨
٨٦	ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا ...	١٨١
٨٧	إلا رحمة من ربك	١٨٢
٨٨	قل لئن اجتمعت الإنس والجن ...	١٨٢
٨٩	ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن	١٨٣
٩٠	وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجُرَ لنا	١٨٣
٩١	أو تكونَ لك جنة من نخيل وعنب	١٨٤
٩٢	أو تُسقطَ السماء كما زعمت علينا	١٨٥
٩٣	أو يكونَ لك بيت من زُخْرف	١٨٧
٩٤	وما منع الناس أن يؤمنوا	١٩١
٩٥	قل لو كان في الأرض ملائكة	١٩٢
٩٦	قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ..	١٩٢
٩٧	ومن يَهْدِ الله فهو المهتد	١٩٢
٩٨	ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا ..	١٩٥
٩٩	أولم يروا أن الله الذي خلق	١٩٥
١٠٠	قل لو أنتم تملكون خزائن	١٩٦
١٠١	ولقد آتينا موسى تسع آيات	١٩٧
١٠٢	قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء	٢٠٠
١٠٣	فأراد أن يستفزّهم من الأرض	٢٠٣
١٠٤	وقلنا من بعده لبني إسرائيل	٢٠٣
١٠٥	وبالحقّ أنزلناه وبالحقّ نزل	٢٠٤
١٠٦	وقرآنا فَرَقْناه لتقرأه على الناس	٢٠٤
١٠٧	قل آمنوا به أو لا تؤمنوا	٢٠٧
١٠٨	ويقولون سُبحان ربنا	٢٠٧
١٠٩	ويخرّون للأذقان يبكون	٢٠٩
١١٠	قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمٰن	٢٠٩
١١١	وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً	٢١٧

تفسير سورة الكهف

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	الحمد لله الذي أنزل على عبده ...	٢١٩
٢	لينذر بأسا شديداً من لدنه	٢٢١
٣	ماكثين فيه أبداً	٢٢١
٤	وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ..	٢٢٢
٥	ما لهم به من علم ولا لآبائهم	٢٢٢
٦	فلعلك باخع نفسك على آثارهم .	٢٢٤
٧	إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها	٢٢٤
٨	وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً	٢٢٤
٩	أم حسبت أن أصحاب الكهف	٢٣١
١٠	إذ أوَى الفتية إلى الكهف	٢٣١
١١	فضربنا على آذانهم في الكهف	٢٣٧
١٢	ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين	٢٣٧
١٣	نحن نقصّ عليك نبأهم بالحقّ	٢٣٩
١٤	وربطنا على قلوبهم إذ قاموا	٢٣٩
١٥	هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه	٢٤٠
١٦	وإذِ اعتزلتموهم وما يعبدون	٢٤١
١٧	وترى الشمس إذا طلعت تزَاور ...	٢٤٢
١٨	وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود	٢٤٦
١٩	وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ...	٢٤٩
٢٠	إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم	٢٤٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢١	وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا	٢٥٩
٢٢	سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم	٢٦٠
٢٣	ولا تقولنّ لشيء إن فاعل	٢٦٤
٢٤	إلا أن يشاء الله	٢٦٤
٢٥	ولبثوا في كهفهم ثلاث مِئَةٍ سنين .	٢٦٦
٢٦	قل الله أعلم بما لبثوا	٢٦٦
٢٧	واتل ما أوحى إليك	٢٦٩
٢٨	واصبر نفسك مع الذين يدعون ...	٢٧٠
٢٩	وقل الحقّ من ربكم	٢٧٤
٣٠	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات	٢٧٩
٣١	أولئك لهم جنات عدن	٢٨٠
٣٢	واضرب لهم مثلا رجلين	٢٨٢
٣٣	كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم	٢٨٢
٣٤	وكان له ثمر فقال لصاحبه	٢٨٢
٣٥	ودخل جنته وهو ظالم لنفسه	٢٨٥
٣٦	وما أظنّ الساعة قائمة	٢٨٥
٣٧	قال لصاحبه وهو يحاوره	٢٨٥
٣٨	لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي ..	٢٨٥
٣٩	ولولا إذ دخلت جنتك	٢٨٦
٤٠	فعسى ربي أن يؤتين خيراً	٢٨٧
٤١	أو يصبح ماؤها غَورا	٢٨٧
٤٢	وأُحيط بثمره	٢٨٩
٤٣	ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله	٢٨٩
٤٤	هنالك الوَلاية لله الحقّ	٢٨٩
٤٥	واضرب لهم مثل الحياة الدنيا	٢٩١
٤٦	المال والبنون زينة الحياة الدنيا ...	٢٩٢
٤٧	ويوم نسير الجبال	٢٩٦
٤٨	وعُرضوا على ربك صفًا	٢٩٧
٤٩	ووُضع الكتاب فترى المجرمين ...	٢٩٨
٥٠	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا للآدم ..	٢٩٩
٥١	ما أشهدتهم خلق السموات	٣٠٤
٥٢	ويوم يقول نادوا شركائي	٣٠٤
٥٣	ورأى المجرمون النار فظنوا	٣٠٤
٥٤	ولقد صرّفنا في هذا القرآن للناس	٣٠٧
٥٥	وما منع الناس أن يؤمنوا	٣٠٨
٥٦	وما نرسل المرسلين إلا مبشّرين ..	٣٠٨
٥٧	ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه	٣٠٩
٥٨	وربك الغفو ذو الرحمة	٣١٠
٥٩	وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا	٣١١
٦٠	وإذ قال موسى لفتاه	٣١٣
٦١	فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حُوتهما	٣١٥
٦٢	فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا ...	٣١٧
٦٣	قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة ..	٣١٧
٦٤	قال ذلك ما كنا نبغ	٣١٨
٦٥	فوجدا عبداً من عبادنا	٣١٩
٦٦	قال له موسى هل أتبعك	٣٢٦
٦٧	قال إنك لن تستطيع معي صبراً ...	٣٢٦
٦٨	وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً	٣٢٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦٩	قال ستجدني إن شاء الله صابراً ...	٣٢٦	٧٤	فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله ..	٣٢٩
٧٠	قال فإن اتبعتني	٣٢٧	٧٥	قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع .	٣٣١
٧١	فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة ..	٣٢٧	٧٦	قال إن سألتك عن شيء بعدها ...	٣٣١
٧٢	قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي	٣٢٨	٧٧	فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية	٣٣٢
٧٣	قال لا تؤاخذني بما نسيت	٣٢٨	٧٨	قال هذا فراق بيني وبينك	٣٣٦

جَامِعُ البَيَان
عَنْ تَأويلِ آيِ القُرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

جَامِع البيان عَن تأويل آي القرآن

تفسير الطبري

تأليف

الإمام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه في التفاسير

الامام ابي جعفر محمد بن جرير الطبري

الجزء السادس عشر

ضبط وتعليق

محمود شاكر الحرستاني

تصحيح

علي عاشور

دار احياء التراث العربي

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف: ٢٧٢٦٥٢ - ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ - ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

١٨ ـ سورة الكهف مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾.

يقول: أما فِعْلي ما فعلت بالسفينة، فلأنها كانت لقوم مساكين ﴿**يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ فأَرَدْتُ أنْ أعِيبَها**﴾ بالخَرق الذي خرقتها، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**فأَرَدْتُ أنْ أعِيبَها**﴾ قال: أخرقها.

حدثنا الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

وقوله: ﴿**وكانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً**﴾ وكان أمامهم وقُدّامهم ملك. كما:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: ﴿**وكانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ**﴾ قال قتادة: أمامهم، ألا ترى أنه يقول: ﴿**مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ**﴾ وهي بين أيديهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان في القرآن: وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصباً. وقد ذُكر عن ابن عيينة، عن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قرأ ذلك: وكان أمامهم ملك.

قال أبو جعفر: وقد جعل بعض أهل المعرفة بكلام العرب «وراء» من حروف الأضداد، وزعم أنه يكون لما هو أمامه ولما خلفه، واستشهد لصحة ذلك بقول الشاعر:

أَيَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وطاعَتِي وَقَوْمِي تَمِيمٌ والفَلاةُ وَرَائِيَا[1]

بمعنى أمامي، وقد أغفل وجه الصواب في ذلك. وإنما قيل لما بين يديه: هو ورائي، لأنك من ورائه، فأنت ملاقيه كما هو ملاقيك، فصار: إذ كان ملاقيك، كأنه من ورائك وأنت أمامه. وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة لا يجيز أن يقال لرجل بين يديك: هو ورائي، ولا إذا كان وراءك أن يقال: هو أمامي، ويقول: إنما يجوز ذلك في المواقيت من الأيام والأزمنة كقول القائل: وراءك برد شديد، وبين يديك حرّ شديد، لأنك أنت وراءه، فجاز لأنه شيء يأتي، فكأنه إذا لحقك صار من ورائك، وكأنك إذا بلغته صار بين يديك. قال: فلذلك جاز الوجهان.

وقوله: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾ فيقول القائل: فما أغنى خَرْق هذا العالم السفينة التي ركبها عن أهلها، إذ كان من أجل خرقها يأخذ السفن كلها، مَعِيبها وغير معيبها، وما كان وجه اعتلاله في خرقها بأنه خرقها، لأن وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة غصباً؟ قيل: إن معنى ذلك، أنه يأخذ كل سفينة صحيحة غصباً، ويدع منها كلّ معيبة، لا أنه كان يأخذ صحاحها وغير صحاحها. فإن قال: وما الدليل على أن ذلك كذلك؟ قيل: قوله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها﴾ فأبان بذلك أنه إنما عابها، لأن المعيبة منها لا يعرض لها، فاكتفى بذلك من أن يقال: وكان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة صحيحة غصباً على أن ذلك في بعض القراءات كذلك.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: هي في حرف ابن مسعود: «وكان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة صالحة غصباً».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني الحسن بن دينار، عن الحكم بن عيينة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: في قراءة أُبي: «وكان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة صالحة غصباً». وإنما عبتها لأردّه عنها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ﴿وكانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾ فإذا خلفوه أصلحوها بزفت فاستمتعوا بها. قال ابن جريج: أخبرني وهب بن سليمان، عن شعيب الجَبَائِي، أن اسم الرجل الذي يأخذ كلّ سفينة غصباً: هُدَدُ بنُ بُدد.

---

(١) البيت لسوار بن المضرب «اللسان»: روى. وهو من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٤١٢) قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وكان وراءهم ملك﴾: أي بين أيديهم وأمامهم. قال:

«أترجو بنو مروان...... البيت»

أي أمامي. ا هـ. وفي «اللسان» ورى: وقوله عز وجل: «وكان وراءهم ملك» أي أمامهم. قال ابن بري: ومثله قول سوار بن المضرب:

«أيرجو بنو مروان..... البيت»

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأما الغلام، فإنه كان كافراً، وكان أبواه مؤمنين، فعلمنا أنه يرهقهما. يقول: يغشيهما طغياناً، وهو الاستكبار على الله، وكفراً به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وقد ذُكر ذلك في بعض الحروف. وأما الغلام فكان كافراً. ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: «وأمَّا الغُلامُ فَكانَ كافِراً» في حرف أُبيّ، وكان أبواه مؤمنين **﴿فأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خيراً مِنهُ زَكاة وأَقْرَبَ رُحْماً﴾**.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَأَمَّا الغُلامُ فَكانَ أبَواه مُؤمِنَيْنِ﴾** وكان كافراً في بعض القراءة. وقوله: **﴿فَخَشِينا﴾** وهي في مصحف عبد الله: «فخَافَ رَبُّكَ أنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وكُفْراً».

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا أبو قتيبة، قال: ثنا عبد الجبار بن عباس الهمْداني، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبيّ بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: **«الغُلامُ الَّذِي قَتَلَهُ الخَضِرُ طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كافِراً»**.

والخشية والخوف توجههما العرب إلى معنى الظنّ، وتوجه هذه الحروف إلى معنى العلم بالشيء الذي يُدرك من غير جهة الحسّ والعيان. وقد بيَّنا ذلك بشواهده في غير هذا الموضع، بما أغنى عن إعادته.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: معنى قوله **﴿خَشِينا﴾** في هذا الموضع: كرهنا، لأنّ الله لا يخشَى. وقال في بعض القراءات: فخاف ربكُ، قال: وهو مثل خفت الرجلين أن يعولا، وهو لا يخاف من ذلك أكثر من أنه يكرهه لهما.

وقوله: **﴿فأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾**: اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه جماعة من قرّاء المكيين والمدنيين والبصريين: «فأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا». وكان بعضهم يعتلّ لصحة ذلك بأنه وجد ذلك مشدّداً في عامَّة القرآن، كقول الله عزّ وجلّ: فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا، وقوله: وَإِذَا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ إيَةٍ، فألحق قوله: **﴿فأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا بِه﴾**. وقرأ ذلك عامَّة قرّاء الكوفة: **﴿فأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا﴾** بتخفيف الدال. وكان بعض من قرأ ذلك كذلك من أهل العربية يقول: أبدل يُبْدِل بالتخفيف وبَدَّل يُبدِّل بالتشديد: بمعنى واحد.

والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، قد قرأ بكلّ واحدة منهما جماعة من القرّاء، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وقيل: إن الله عزّ وجلّ أبدل أبوَي الغلام الذي قتله صاحب موسى منه بجارية. ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا هاشم بن القاسم، قال: ثنا المبارك بن سعيد، قال: ثنا عمرو بن قيس في قوله: ﴿**فأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً**﴾ قال: بلغني أنها جارية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، قال: قال ابن جريج، أخبرني سليمان بن أميّة أنه سمع يعقوب بن عاصم يقول: أُبْدِلاَ مكان الغلام جارية.

قال ابن جريج: وأخبرني عبد الله بن عثمان بن خُثَيم، أنه سمع سعيد بن جبير يقول: أبدلا مكان الغلام جارية.

وقال آخرون: أبدلهما ربهما بغلام مسلم. ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ﴿**فأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً**﴾ قال: كانت أمه حُبلى يومئذ بغلام مسلم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة، أنه ذكر الغلام الذي قتله الخضر، فقال: قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحبّ.

وقوله: ﴿**خَيراً مِنْهُ زَكَاةً**﴾ يقول: خيراً من الغلام الذي قتله صلاحاً وديناً، كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿**فأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيراً مِنْهُ زَكَاةً**﴾ قال: الإسلام.

وقوله: ﴿**وأَقْرَبَ رُحْماً**﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معنى ذلك: وأقرب رحمة بوالديه وأبرّ بهما من المقتول. ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر عن قتادة ﴿**وأَقْرَبَ رُحْماً**﴾: أبرّ بوالديه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سيعد، عن قتادة ﴿**وأَقْرَبَ رُحْماً**﴾ أي أقرب خيراً.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأقرب أن يرحمه أبواه منهما للمقتول. ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ﴿وأقْرَبَ رُحْماً﴾ أرحم به منهما بالذي قتل الخضر.

وكان بعض أهل العربية يتأوّل ذلك: وأقرب أن يرحماه والرُّحْم: مصدر رحمت، يقال: رَحِمته رَحْمة ورُحماً. وكان بعض البصريين يقول: من الرَّحِم والقرابة. وقد يقال: رُحْم ورُحُم مثل عُسْر وعُسُر، وهُلْك وهُلُك، واستشهد لقوله ذلك ببيت العجاج:

ولَمْ تُعَوَّجْ رُحْمُ مَنْ تَعَوَّجا[1]

ولا وجه للرَّحم في هذا الموضع. لأن المقتول كان الذي أبدل الله منه والديه ولداً لأبوي المقتول، فقرابتهما من والديه، وقربهما منه في الرَّحِم سواء. وإنما معنى ذلك: وأقرب من المقتول أن يرحم والديه فيبرهما كما قال قتادة. وقد يتوجه الكلام إلى أن يكون معناه: وأقرب أن يرحماه، غير أنه لا قائل من أهل تأويل تأوّله كذلك. فإذ لم يكن فيه قائل، فالصواب فيه ما قلنا لما بيَّنا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قول صاحب موسى: وأما الحائط الذي أقمته، فإنه كان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحته كنزلهما.

اختلف أهل التأويل في ذلك الكنز، فقال بعضهم: كان صُحُفاً فيها عِلم مدفونة. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

---

(١) البيت من مشطور الرجز. وهو للعجاج ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ (ص ـ ١٠) وهو من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٤١٣) قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وأقرب رحماً﴾: معناها: معنى رحماً، مثل عسر ويسر، وهلك وهلك قال العجاج:

«ولم تعوج... البيت»

وفي «اللسان» رحم: الرحم، بالضم: الرحمة. وفي التنزيل: «وأقرب رحماً»، وقرئت رحماً (بضمتين) وقال أبو إسحاق: أي أقرب عطفاً وأمس بالقرابة. والرحم والرحم (بضم الراء المشددة فيهما، مع سكون الحاء أو ضمها) في اللغة: العطف والرحمة.

ابن عباس ﴿وكانَ تَحتَهُ كَنزٌ لَهُما﴾ قال: كان تحته كنزُ علم.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن سعيد بن جبير: ﴿وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما﴾ قال: كان كنز علم.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير ﴿وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما﴾ قال: علم.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير ﴿وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما﴾ قال: علم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما﴾ قال: صحف لغلامين فيها علم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: صحف علم.

حدثني أحمد بن حازم الغفاريّ، قال: ثنا هنادة ابنة مالك الشيبانية، قالت: سمعت صاحبي حماد بن الوليد الثقفي يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما﴾ قال: سطران ونصف، لم يتمّ الثالث: «عجبت للموقن بالرزق كيف يتعب، وعجبت للموقن بالحساب كيف يغفل، وعجبت للموقن بالموت كيف يفرح» وقد قال: ﴿وَإنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أتينا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِينَ﴾ قالت: وذكر أنهما حُفِظا بصلاح أبيهما، ولم يذكر منهما صلاح، وكان بينهما وبين الأب الذي حُفظا به سبعة آباء، كان نساجاً.

حدثني يعقوب، قال: ثنا الحسن بن ندبة، قال: ثنا سلمة بن محمد، عن نعيم العنبريّ، وكان من جُلساء الحسن، قال: سمعت الحسن يقول في قوله: ﴿وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما﴾ قال: لوح من ذهب مكتوب فيه: «بسم الله الرحمٰن الرحيم: عجبت لمن يؤمن كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئنّ إليها، لا إله إلا الله، محمد رسول الله».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، عن الحسن بن عمارة، عن الحكم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه كان يقول: ما كان الكنز إلا علماً.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن حميد، عن مجاهد، في قوله ﴿وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما﴾ قال: صُحُف من علم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عبد الله بن عياش، عن عمر مولى غُفر[1]، قال: إن الكنز الذي قال الله في السورة التي يذكر فيها الكهف **﴿وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما﴾** قال: كان لوحاً من ذهب مصمت، مكتوباً فيه: بسم الله الرحمٰن الرحيم. عَجَبٌ ممن عرف الموت ثم ضحك، عَجَبٌ ممن أيقن بالقدر ثم نَصِب، عَجَبٌ ممن أيقن بالموت ثم أمن، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

وقال آخرون: بل كان مالاً مكنوزاً. ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن عكرمة **﴿وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما﴾** قال: كنز مال.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي حصين، عن عكرمة، مثله.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو داود، عن شعبة، قال: أخبرني أبو حُصَين، عن عكرمة، مثله، قال شعبة: ولم نسمعه منه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة **﴿وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما﴾** قال: مال لهما، قال قتادة: أُحِلَّ الكنز لمن كان قبلنا، وحُرّم علينا، فإن الله يُحلّ من أمره ما يشاء، ويحرّم، وهي السنن والفرائض، ويحلّ لأمة، ويحرّم على أخرى، لكنّ الله لا يقبل من أحد مضى إلا الإخلاص والتوحيد له.

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب: القول الذي قاله عِكْرمة، لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال، وأن كلّ ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز، فإن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل، ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك، لعلل قد بيَّناها في غير موضع.

وقوله: **﴿وكان أبُوهُما صَالِحاً فأرَادَ رَبّكَ أنْ يَبْلُغا أشُدَّهُما﴾** يقول: فأراد ربك أن يدركا ويبلغا قوتهما وشدّتهما، ويستخرجا حينئذ كنزهما المكنوز تحت الجدار الذي أقمته، رحمة من ربك بهما، يقول: فعلت فعل هذا بالجدار، رحمة من ربك لليتيمين. وكان ابن عباس يقول في ذلك ما:

حدثني موسى بن عبد الرحمن، قال: ثنا أبو أسامة، عن مسعر، عن عبد الملك بن

---

(١) عمر بن عبد الله المدني، مولى غفرة، بضم المعجمة، قيل: هي أخت بلال بن رباح. توفي سنة ١٤٥ هـ (الخزرجي).

ميسرة، عن سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس، في قوله ﴿وَكانَ أَبُوهُما صالِحاً﴾ قال: حُفِظا بصلاح أبيهما، وما ذكر منهما صلاح.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا سفيان، عن مسعر، عن عبد الملك بن ميسرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، مثله.

وقوله: ﴿وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ يقول: وما فعلت يا موسى جميع الذي رأيتني فعلته عن رأيي، ومن تلقاء نفسي، وإنما فعلته عن أمر الله إياي به، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾: كان عبداً مأموراً، فمضى لأمر الله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ ما رأيت أجمع ما فعلته عن نفسي.

وقوله: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾ يقول: هذا الذي ذكرت لك من الأسباب التي من أجلها فعلت الأفعال التي استنكرتها مني، تأويل. يقول: ما تؤول إليه وترجع الأفعال التي لم تسطع على ترك مسألتك إياي عنها، وإنكارك لها صبراً.

وهذه القصص التي أخبر الله عزّ وجلّ نبيه محمد ﷺ بها عن موسى وصاحبه، تأديب منه له، وتقدمٌ إليه بترك الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذّبوه واستهزؤوا به وبكتابه، وإعلام منه له أن أفعاله بهم وإن جرت فيما ترى الأعين بما قد يجري مثله أحياناً لأوليائه، فإن تأويله صائر بهم إلى أحوال أعدائه فيها، كما كانت أفعال صاحب موسى واقعة بخلاف الصحة في الظاهر عند موسى، إذ لم يكن عالماً بعواقبها، وهي ماضية على الصحة في الحقيقة وآئلة إلى الصواب في العاقبة، ينبىء عن صحة ذلك قوله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ العَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلا﴾. ثم عقب ذلك بقصة موسى وصاحبه، يعلم نبيه أن تركه جلّ جلاله تعجيل العذاب لهؤلاء المشركين، بغير نظر منه لهم، وإن ذلك فيما يَحْسِب من لا علم له بما اللهمدبر فيهم، نظراً منه لهم، لأن تأويل ذلك صائر إلى هلاكهم وبوارهم بالسيف في الدنيا واستحقاقهم من الله في الآخرة الخَزْيَ الدائم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ويسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن ذي القرنين ما

كان شأنه، وما كانت قصته، فقل لهم: سأتلو عليكم من خبره ذكراً يقول: سأقصّ عليكم منه خبراً. وقد قيل: إن الذين سألوا رسول الله ﷺ عن أمر ذي القرنين، كانوا قوماً من أهل الكتاب. فأما الخبر بأن الذين سألوه عن ذلك كانوا مشركي قومه فقد ذكرناه قبل. وأما الخبر بأن الذين سألوه، كانوا قوماً من أهل الكتاب.

فحدثنا به أبو كريب، قال: ثنا زيد بن حباب عن ابن لهيعة، قال: ثني عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن شيخين من تجيب، قال: أحدهما لصاحبه: انطلق بنا إلى عقبة بن عامر نتحدّث، قالا: فأتياه فقالا: جئنا لتحدثنا، فقال: كنت يوماً أخدم رسول الله ﷺ، فخرجت من عنده، فلقيني قوم من أهل الكتاب، فقالوا: نريد أن نسأل رسول الله ﷺ، فاستأذن لنا عليه، فدخلت عليه، فأخبرته، فقال: «**مالي ومالهم، مالي علم إلا ما علمني الله**»، ثم قال: «**اسكب لي ماء**»، فتوضأ ثم صلى، قال: فما فرغ حتى عرفت السرور في وجهه، ثم قال: «**أدخلهم عليّ، ومن رأيت من أصحابي**» فدخلوا فقاموا بين يديه، فقال: «**إن شئتم سألتم فأخبرتكم عما تجدونه في كتابكم مكتوباً، وإن شئتم أخبرتكم**»، قالوا: بلى أخبرنا، قال: «**جئتم تسألوني عن ذي القرنين، وما تجدونه في كتابكم: كان شاباً من الروم، فجاء فبنى مدينة مصر الإسكندرية فلما فرغ جاءه ملك فعلا به في السماء، فقال له ما ترى؟ فقال: أرى مدينتي ومدائن، ثم علا به، فقال: ما ترى؟ فقال: أرى مدينتي، ثم علا به فقال: ما ترى؟ قال: أرى الأرض، قال: فهذا أليم محيط بالدنيا، إن الله بعثني إليك تعلم الجاهل، وتثبت العالم، فأتى به السدّ، وهو جبلان لينان يَزْلَقَ عنهما كل شيء، ثم مضى به حتى جاوز يأجوج ومأجوج، ثم مضى به إلى أمة أخرى، وجوْههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج، ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب، ثم مضى حتى قطع به هؤلاء إلى أمة أخرى قد سماهم**».

واختلف أهل العلم في المعنى الذي من أجله قيل لذي القرنين: ذو القرنين، فقال بعضهم: قيل له ذلك من أجل أنه ضُرِب على قَرنه فهلك، ثم أُحيِي فضُرب على القرن الآخر فهلك. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن عبيد المُكْتِب، عن أبي الطُّفَيل، قال: سأل ابن الكوّاء علياً عن ذي القرنين، فقال: هو عبد أحبّ الله فأحبه، وناصح الله فنصحه، فأمرهم بتقوى الله فضربوه على قَرْنه فقتلوه، ثم بعثه الله، فضربوه على قرنه فمات.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، قال: سئل عليّ رضوان الله عليه عن ذي القرنين، فقال: كان عبداً ناصح الله فناصحه،

فدعا قومه إلى الله، فضربوه على قرنه فمات، فأحياه الله، فدعا قومه إلى الله، فضربوه على قرنه فمات، فسمي ذا القرنين.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: قال: ثنا شعبة، عن القاسم بن أبي بَزَّة، عن أبي الطفيل، قال: سمعت علياً وسألوه عن ذي القرنين أنبياً كان؟ قال: كان عبداً صالحاً، أحبَّ الله فأحبه، وناصَحَ الله فنصحه، فبعثه الله إلى قومه، فضربوه ضربتين في رأسه، فسمي ذا القرنين، وفيكم اليوم مثله.

وقال آخرون في ذلك بما:

حدثني به محمد بن سهل البخاريّ، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: ثني عبد الصمد بن معقل، قال: قال وهب بن منبه: كان ذو القرنين مَلِكاً، فقيل له: فلم سُمِّي ذا القرنين؟ قال: اختلف فيه أهل الكتاب، فقال بعضهم: مَلَك الروم وفارس. وقال بعضهم: كان في رأسه شبه القرنين.

وقال آخرون: إنما سمي ذلك لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق، قال: ثني من لا أتهم عن وهب بن منبه اليماني، قال: إنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس.

وقوله: **﴿إنَّا مَكَّنا لَهُ في الأرْضِ وآتَيناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سبَباً﴾** يقول: إنا وطأنا له في الأرض، **﴿وآتَيناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سبَباً﴾** يقول: وآتيناه من كلّ شيء: يعني ما يتسبب إليه وهو العلم به.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿وآتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سبَباً﴾** يقول: علماً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وآتَيناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سبَباً﴾**: أي علماً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وآتَيناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سبَباً﴾** قال: من كلّ شيء علماً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: **﴿وآتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سبَباً﴾** قال: علم كلّ شيء.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**وآتَيناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سبباً**﴾ علماً.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وآتَيناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سبباً**﴾ يقول: علماً.

وقوله: ﴿**فَأَتْبَعَ سبباً**﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: «فاتَّبع» بوصل الألف وتشديد التاء، بمعنى: سلك وسار، من قول القائل: اتَّبعتُ أثر فلان: إذا قفوته وسرت وراءه. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة ﴿**فَأَتْبَعَ**﴾ بهمز، وتخفيف التاء، بمعنى لحق.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب: قراءة من قرأ: «فاتَّبَعَ» بوصل الألف، وتشديد التاء، لأن ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن مسير ذي القرنين في الأرض التي مكن له فيها، لا عن لحاقه السبب، وبذلك جاء تأويل أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس «فاتَّبَعَ سَبَباً» يعني بالسبب: المنزل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**سَبَباً**﴾ قال: منزلاً وطريقاً ما بين المشرق والمغرب.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد نحوه.

حدثني محمد بن عُمارة الأسديّ، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد «فاتَّبَعَ سَبَباً» قال: طريقاً في الأرض.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة «فاتَّبَعَ سَبَباً»: اتبع منازل الأرض ومعالمها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله «فاتَّبَعَ سَبَباً» قال: هذه الآن سبب الطرق[1] كما قال فرعون ﴿**يا هامانُ ابنِ لي صَرْحاً لَعَلِّي أبْلُغُ الأسْبابَ أسْبابَ السَّمَوَاتِ**﴾ قال: طُرق السموات.

---

(١) عبارة الدر: هذه الآن الطرق، ثم قال: والشيء يكون اسمه واحداً، وهو متفرق في المعنى.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: «فاتَّبَعَ سَبَباً» قال: منازل الأرض.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: «فاتَّبَعَ سَبَباً» قال: المنازل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿حتى إذَا بَلَغَ﴾ ذو القرنين ﴿مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَغْرُبُ في عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، فاختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قرّاء المدينة والبصرة: ﴿في عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ بمعنى: أنها تغرب في عين ماء ذات حمأة، وقرأته جماعة من قراء المدينة، وعامّة قرّاء الكوفة: «في عَيْنٍ حَامِيَةٍ» يعني أنها تغرب في عين ماء حارّة.

واختلف أهل التأويل في تأويلهم ذلك على نحو اختلاف القرّاء في قراءته. ذكر من قال ذلك: ﴿تَغْرُبُ في عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿وَجَدَها تَغْرُبُ في عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ قال: في طين أسود.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه كان يقرأ ﴿في عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ قال: ذات حمأة.

حدثنا الحسين بن الجنيد، قال: ثنا سعيد بن مسلمة، قال: ثنا إسماعيل بن عُلَية، عن عثمان بن حاضر، قال: سمعت عبد الله بن عباس يقول: قرأ معاوية هذه الآية، فقال: «عَيْنٍ حامِيَة» فقال ابن عباس: إنها عين حمئة، قال: فجعلا كعباً بينهما، قال: فأرسلا إلى كعب الأحبار، فسألاه، فقال كعب: أما الشمس فإنها تغيب في ثأط، فكانت على ما قال ابن عباس، والثأط: الطين.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني نافع بن أبي نعيم، قال: سمعت عبد الرحمن الأعرج يقول: كان ابن عباس يقول ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَة﴾ ثم فسرها: ذات حمأة، قال نافع: وسئل عنها كعب، فقال: أنتم أعلم بالقرآن مني، ولكني أجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ قال: هي الحمأة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ قال: ثأط.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد في قول الله عزّ ذكره ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ قال: ثأطة.

قال: وأخبرني عمرو بن دينار، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: قرأت ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ وقرأ عمرو بن العاص «فِي عَيْنٍ حامِيَةٍ» فأرسلنا إلى كعب، فقال: إنها تغرب في حمأة طينة سوداء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ والحمئة: الحمأة السوداء.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن ورقاء، قال: سمعت سعيد بن جبير، قال: كان ابن عباس يقرأ هذا الحرف ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ويقول: حمأة سوداء تغرب فيها الشمس.

وقال آخرون: بل هي تغيب في عين حارّة. ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس «وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ» يقول: في عين حارّة.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن يقول: «فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ» قال: حارّة.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن، في قوله: «فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ» قال: حارّة، وكذلك قرأها الحسن.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار، ولكلّ واحدة منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم، وكلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه، وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارّة ذات حمأة وطين، فيكون القارىء في عين حامية بصفتها التي هي لها، وهي الحرارة، ويكون القارىء في عين حمئة واصفها بصفتها التي هي بها وهي أنها ذات حمأة وطين. وقد رُوي بكلا صيغتيها اللتين قلت إنهما من صفتيها أخبار.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا العوّام، قال: ثني مولى لعبد الله بن عمرو، عن عبد الله، قال: نظر رسول الله ﷺ إلى الشمس حين غابت، فقال: «**فِي نارِ اللَّهِ الحامِيَةِ، فِي نارِ اللَّهِ الحامِيَةِ، لَوْلا ما يَزَعُها مِنْ أمْرِ اللَّهِ لأَحْرَقَتْ ما عَلى الأرْض**».

حدثني الفضل بن داود الواسطي، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا محمد بن دينار، عن سعد بن أوس، عن مصدع، عن ابن عباس، عن أبيّ بن كعب أن النبيّ ﷺ أقرأه: ﴿**حَمِئَةٍ**﴾.

وقوله: ﴿**وَوَجَدَ عَنْدَها قَوْماً**﴾ ذكر أن أولئك القوم يقال لهم: ناسك. وقوله: ﴿**قُلْنا يا ذَا القَرْنَيْنِ إمَّا أنْ تُعَذِّبَ**﴾ يقول: إما أن تقتلهم إن هم لم يدخلوا في الإقرار بتوحيد الله، ويذعنوا لك بما تدعوهم إليه من طاعة ربهم ﴿**وإمَّا أنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً**﴾ يقول: وإما أن تأسرهم فتعلمهم الهدى وتبصرهم الرشاد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه ﴿**قال أمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ**﴾ يقول: أما من كفر فسوف نقتله، كما:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**أمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ**﴾ قال: هو القتل.

وقوله: ﴿**ثُمَّ يُرَدُّ إلى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً**﴾ يقول: ثم يرجع إلى الله تعالى بعد قتله، فيعذّبه عذاباً عظيماً، وهو النكر، وذلك عذاب جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾.

يقول: وأما من صدّق الله منهم ووحّده، وعمل بطاعته، فله عند الله الحسنى، وهي الجنة، ﴿**جزاء**﴾ يعني ثواباً على إيمانه، وطاعته ربه.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة: «فَلَهُ جَزَاءُ الحُسْنَى» برفع الجزاء وإضافته إلى الحسنى.

وإذا قرىء ذلك كذلك، فله وجهان من التأويل:

أحدهما: أن يجعل الحسنى مراداً بها إيمانه وأعماله الصالحة، فيكون معنى الكلام إذا أريد بها ذلك: وإما من آمن وعمل صالحاً فله جزاؤها، يعني جزاء هذه الأفعال الحسنة.

والوجه الثاني: أن يكون معنياً بالحسنى: الجنة، وأضيف الجزاء إليها، كما قيل ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ والدار: هي الآخرة، وكما قال: ﴿وَذلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾ والدين: هو القيم.

وقرأ آخرون: ﴿فَلَهُ جَزَاءً الحُسْنَى﴾ بمعنى: فله الجنة جزاء فيكون الجزاء منصوباً على المصدر، بمعنى: يجازيهم جزاء الجنة.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأه: ﴿فَلَهُ جَزَاءً الحُسْنَى﴾ بنصب الجزاء وتنوينه على المعنى الذي وصفت، من أن لهم الجنة جزاء، فيكون الجزاء نصباً على التفسير.

وقوله: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أمْرِنا يُسْراً﴾ يقول: وسنعلمه نحن في الدنيا ما تيسر لنا تعليمه مما يقرّ به إلى الله ويلين له من القول. وكان مجاهداً يقول نحواً مما قلنا في ذلك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿مِنْ أمْرِنا يُسْراً﴾ قال معروفاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم سار وسلك ذو القرنين طرقاً ومنازل، كما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿ثُمَّ أتْبَعَ سَبَباً﴾ يعني منزلاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ثُمَّ أتْبَعَ سَبَباً﴾: منازل الأرض ومعالمها. ﴿حتى إذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَطْلُعُ على قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونها سِتْراً﴾: يقول تعالى ذكره: ووجد ذو القرنين الشمس تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً، وذلك أن أرضهم لا جبل فيها ولا شجر، ولا تحتمل بناء، فيسكنوا البيوت، وإنما يغورون في المياه، أو يَسْرُبون في الأسراب. كما:

حدثني إبراهيم بن المستمر، قال: ثنا سليمان بن داود وأبو داود، قال: ثنا سهل بن أبي الصلت السراج، عن الحسن ﴿تَطْلُعُ على قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونها سِتْراً﴾ قال: كانت

أرضاً لا تحتمل البناء، وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس تغوروا في الماء، فإذا غربت خرجوا يتراعون، كما ترعى البهائم، قال: ثم قال الحسن: هذا حديث سَمُرة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿حتى إذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَطْلُعُ على قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونها سِتْراً﴾ ذُكِر لنا أنهم كانوا في مكان لا يستقرّ عليه البناء، وإنما يكونونَ في أسراب لهم، حتى إذا زالت عنهم الشمس خرجوا إلى معايشهم وحروثهم، قال: ﴿كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج في قوله: ﴿وَجَدَها تَطْلُعُ على قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونها سِتْراً﴾ قال: لم يبنوا فيها بناء قَطّ، ولم يُبْنَ عليهم فيها بناء قَطّ، وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا أسراباً لهم حتى تزول الشمس، أو دخلوا البحر، وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل، وجاءهم جيش مرّة، فقال لهم أهلها: لا تطلُعَنّ عليكم الشمس وأنتم بها، فقالوا: لا نبرح حتى تطلع الشمس، ما هذه العظام؟ قالوا: هذه جِيفَ جيش طلعت عليهم الشمس ههنا فماتوا، قال: فذهبوا هاربين في الأرض.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله: ﴿تَطْلُعُ على قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونها سِتْراً﴾ قال: بلغنا أنهم كانوا في مكان لا يثبت عليهم بناء، فكانوا يدخلون في أسراب لهم إذا طلعت الشمس، حتى تزول عنهم، ثم يخرجون إلى معايشهم.

وقال آخرون: هم الزَّنج. ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ﴿تَطْلُعُ على قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونها سِتْراً﴾ قال: يقال: هم الزَّنْج.

وأما قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ فإن معناه: ثم أتبع سبباً كذلك، حتى إذا بلغ مطلع الشمس وكذلك: من صلة أتبع. وإنما معنى الكلام: ثم أتبع سبباً، حتى بلغ مطلع الشمس، كما أتبع سبباً حتى بلغ مغربها.

وقوله: ﴿وَقَدْ أَحَطْنا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً﴾ يقول: وقد أحطنا بما عند مطلع الشمس علماً، لا يخفى علينا مما هنالك من الخلق وأحوالهم وأسبابهم، ولا من غيرهم، شيء. وبالذي قلنا في معنى الخبر، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿خُبْراً﴾ قال: علماً.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً**﴾ قال: علماً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم سار طرقاً ومنازل، وسلك سبلاً ﴿**حَتَى إِذَا بَلَغَ بينَ السَّدَّيْنِ**﴾.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة وبعض الكوفيين: «حَتَى إِذَا بَلَغَ بينَ السُّدَّيْنِ» بضمّ السين وكذلك جميع ما في القرآن من ذلك بضم السين. وكان بعض قرّاء المكيين يقرؤه بفتح ذلك كله. وكان أبو عمرو بن العلاء يفتح السين في هذه السورة، ويضمّ السين في يس، ويقول: السدّ بالفتح: هو الحاجز بينك وبين الشيء والسُدّ بالضم: ما كان من غشاوة في العين. وأما الكوفيون فإن قراءة عامتهم في جميع القرآن بفتح السين غير قوله: ﴿**حَتَى إِذَا بَلَغَ بينَ السَّدَّيْنِ**﴾ فإنهم ضموا السين في ذلك خاصة. وروي عن عكرمة في ذلك ما:

حدثنا به أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، عن أيوب، عن عكرمة قال: ما كان من صنعة بني آدم فهو السَّدّ، يعني بالفتح، وما كان من صنع الله فهو السُدّ. وكان الكسائي يقول: هما لغتان بمعنى واحد.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار، ولغتان متفقتا المعنى غير مختلفة، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، ولا معنى للفرق الذي ذكر عن أبي عمرو بن العلاء، وعكرمة بين السُد والسَد، لأنا لم نجد لذلك شاهداً يبين عن فرقان ما بين ذلك على ما حكي عنهما. ومما يبين ذلك أن جمع أهل التأويل الذي رُوي لنا عنهم في ذلك قول، لم يحك لنا عن أحد منهم تفصيل بين فتح ذلك وضمه، ولو كان مختلفي المعنى لنقل الفصل مع التأويل إن شاء الله، ولكن معنى ذلك كان عندهم غير مفترق، فيفسر الحرف بغير تفصيل منهم بين ذلك. وأما ما ذُكر عن عكرمة في ذلك، فإن الذي نقل ذلك عن أيوب وهارون، وفي نقله نظر، ولا نعرف ذلك عن أيوب من رواية ثقات أصحابه. والسَّد والسُّد جميعاً: الحاجز بين الشيئين، وهما ههنا فيما ذُكر جبلان سدّ ما بينهما، فردم ذو القرنين حاجزاً بين يأجوج

ومأجوج ومن وراءهم، ليقطع مادّ غوائلهم وعيثهم عنهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس «حَتَى إذَا بَلَغَ بينَ السَّدَّيْنِ» قال: الجبلين الردم الذي بين يأجوج ومأجوج، أمتين من وراء ردم ذي القرنين، قال: الجبلان: أرمينية وأذربيجان.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة «حَتَى إذَا بَلَغَ بينَ السَّدَّيْنِ» وهما جبلان.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: «بينَ السَّدَّيْنِ» يعني بين جبلين.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: «بينَ السَّدَّيْنِ» قال: هما جبلان.

وقوله **﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوْماً لا يَكادُونَ يَفقَهُونَ قَوْلاً﴾** يقول عزّ ذكره: وجد من دون السدّين قوماً لا يكادون يفقهون قول قائل سوى كلامهم.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة قوله **﴿يَفقَهُونَ﴾** فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة **﴿يَفقَهُونَ قَوْلاً﴾** بفتح القاف والياء، من فقَه الرجل يفقه فقهاً. وقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل الكوفة «يُفْقِهُونَ قَوْلاً» بضمّ الياء وكسر القاف: من أفقهت فلاناً كذا أفقهه إفقاها: إذا فهمته ذلك.

والصواب عندي من القول في ذلك، أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، غير دافعة إحداهما الأخرى وذلك أن القوم الذين أخبر الله عنهم هذا الخبر جائز أن يكونوا لا يكادون يفقهون قولاً لغيرهم عنهم، فيكون صواباً القراءة بذلك. وجائز أن يكونوا مع كونهم كذلك كانوا لا يكادون أن يفقهوا غيرهم لعلل: إما بألسنتهم، وإما بمنطقهم، فتكون القراءة بذلك أيضاً صواباً.

وقوله: **﴿إنَّ يأجُوجَ ومَأجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ﴾** اختلفت القرّاء في قراءة قوله **﴿إنَّ يأجُوجَ ومَأجُوجَ﴾** فقرأت القرّاء من أهل الحجاز والعراق وغيرهم: «إنَّ ياجُوجَ ومَاجُوجَ» بغير همز على فاعول من يججت ومججت، وجعلوا الألفين فيهما زائدتين، غير عاصم بن أبي النجود والأعرج، فإنه ذكر أنهما قرآ ذلك بالهمز فيهما جميعاً، وجعلا الهمز فيهما من أصل الكلام، وكأنهما جعلا يأجوج: يفعول من أججت، ومأجوج: مفعول.

والقراءة التي هي القراءة الصحيحة عندنا، أن ﴿**يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ**﴾ بألف بغير همز لإجماع الحجة من القرّاء عليه، وأنه الكلام المعروف على ألسن العرب ومنه قول رؤبة بن العجاج.

لَـوْ أنَّ يـاجُـوجَ ومَـاجُـوجَ مـعَـا وعـادَ عـادُوا واسْـتَـجـاشُـوا تُـبَّـعـا[1]

وهم أمّتان من وراء السدّ.

وقوله: ﴿**مفسِدُونَ فِي الأرضِ**﴾ اختلف أهل التأويل في معنى الإفساد الذي وصف الله به هاتين الأمتين، فقال بعضهم: كانوا يأكلون الناس. ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن الوليد الرملي، قال: ثنا إبراهيم بن أيوب الخوزاني، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول في قوله ﴿**إنَّ يأجُوجَ ومَأْجُوجَ مُفسِدُونَ فِي الأرْضِ**﴾ قال: كانوا يأكلون الناس.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إن يأجوج ومأجوج سيفسدون في الأرض، لا أنهم كانوا يومئذ يفسدون. ذكر من قال ذلك، وذكر صفة اتباع ذي القرنين الأسباب التي ذكرها الله في هذه الآية، وذكر سبب بنائه للردم:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني بعض من يسوق أحاديث الأعاجم من أهل الكتاب، ممن قد أسلم، مما توارثوا من علم ذي القرنين، أن ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر اسمه مرزبا بن مردَبة اليوناني، من ولد يونن بن يافث بن نوح.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان الكلاعي، وكان خالد رجلاً قد أدرك الناس أن رسول الله ﷺ سئل عن ذي القرنين فقال: «**مَلِكٌ مَسَحَ الأرْضَ مِنْ تَحْتِها بالأسْبابِ**» قال خالد: وسمع عمر بن الخطاب رجلاً يقول:

---

(١) البيت لرؤبة بن العجاج ديوانه طبعة ليبسج سنة ١٩٠٣ (ص ـ ٩٢) قال: «يأجوج ومأجوج، لا ينصرفان ويعضم يهمز ألفيهما، وبعضهم لا يهمزها؛ قال رؤبة: «لو أن يأجوج ومأجوج معاً» فلم يصرفهما. وفي «**اللسان**» أجج. ويأجوج ومأجوج قبيلتان من خلق الله، جاءت القراءة فيهما بهمز وغير همز. قال: وجاء في الحديث «إن الخلق عشرة أجزاء، تسعة منها يأجوج ومأجوج. وهما اسمان أعجميان، واشتقاق مثلهما من كلام العرب، يخرج من أجت النار، ومن الماء الأجج، وهو الشديد الملوحة، المحرق من ملوحته. قال: ويكون التقدير في يأجوج: «يفعول». وكذلك مأجوج. قال: وهذا لو كان الاسمان عربيان، لكان هذا اشتقاقهما؛ فأما الأعجمية فلا تشتق من العربية. ومن لا يهمز وجعل الألفين زائدتين، يقول: يأجوج: من يججت، ومأجوج: من مججت وهما غير مصروفين؛ قال رؤبة:

لـو أن يـأجـوج ومـاجـوج مـعـاً وعـاد عـادوا واسـتـجـاشـوا تـبـعـاً

اهـ.

يا ذا القرنين، فقال: اللهمّ غفراً، أما رضيتم أن تسموا بأسماء الأنبياء، حتى تسموا بأسماء الملائكة؟ فإن كان رسول الله ﷺ قال ذلك، فالحقّ ما قال، والباطل ما خالفه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، قال: فحدثني من لا أتهم عن وهب بن منبه اليماني، وكان له علم بالأحاديث الأول، أنه كان يقول: ذو القرنين رجل من الروم. ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، وكان اسمه الإسكندر. وإنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس فلما بلغ وكان عبداً صالحاً، قال الله عزّ وجلّ له: يا ذا القرنين إني باعثك إلى أمم الأرض، وهي أمم مختلفة ألسنتهم، وهم جميع أهل الأرض ومنهم أمتان بينهما طول الأرض كله ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض كله، وأمم في وسط الأرض منهم الجنّ والإنس ويأجوج ومأجوج. فأما الأمتان اللتان بينهما طول الأرض: فأمة عند مغرب الشمس، يقال لها: ناسك. وأما الأخرى: فعند مطلعها يقال لها: منسك. وأما اللتان بينهما عرض الأرض، فأمة في قطر الأرض الأيمن، يقال لها: هاويل. وأما الأخرى التي في قطر الأرض الأيسر، فأمة يقال لها: تاويل فلما قال الله له ذلك، قال له ذو القرنين: إلهي إنك قد ندبتني لأمر عظيم لا يَقدر قَدره إلا أنت، فأخبرني عن هذه الأمم التي بعثتني إليها، بأيّ قوّة أكابرهم، وبأيّ جمع أكاثرهم، وبأيّ حيلة أكايدهم، وبأيّ صبر أقاسيهم، وبأيّ لسان أناطقهم، وكيف لي بأن أفقه لغاتهم، وبأيّ سمع أعي قولهم، وبأيّ بصر أنفذهم، وبأيّ حجة أخاصمهم، وبأيّ قلب أعقل عنهم، وبأيّ حكمة أدبر أمرهم، وبأيّ قسط أعدل بينهم، وبأيّ حلم أصابرهم، وبأيّ معرفة أفصل بينهم، وبأيّ علم أتقن أمورهم، وبأيّ يد أسطو عليهم، وبأيّ رجل أطؤهم، وبأيّ طاقة أخصمهم، وبأيّ جند أقاتلهم، وبأيّ رفق أستألفهم، فإنه ليس عندي يا إلهي شيء مما ذكرت يقوم لهم، ولا يقوى عليهم ولا يطيقهم، وأنت الربّ الرحيم، الذي لا يكلّف نفساً إلا وسعها، ولا يحملها إلا طاقتها، ولا يعنتها ولا يفدحها، بل أنت ترأفها[1] وترحمها. قال الله عزّ وجلّ: إني سأطوّقك ما حمّلتك، أشرح لك صدرك، فيسع كلّ شيء وأشرح لك فهمك فتفقه كلّ شيء، وأبسط لك لسانك، فتنطق بكلّ شيء، وأفتح لك سمعك فتعي كلّ شيء، وأمدّ لك بصرك، فتنفذ كلّ شيء، وأدبر لك أمرك فتتقن كلّ شيء، وأحصي لك فلا يفوتك شيء، وأحفظ عليك فلا يعزب عنك شيء، وأشدّ لك ظهرك، فلا يهدّك شيء، وأشدّ لك ركنك فلا يغلبك شيء، وأشدّ لك قلبك فلا يروعك شيء، وأسخر لك النور والظلمة، فأجعلهما جنداً من جنودك، يهديك النور أمامك، وتحوطك الظلمة من ورائك، وأشدّ لك عقلك فلا يهولك شيء، وأبسط لك من بين يديك، فتسطو فوق كلّ شيء، وأشدّ لك وطأتك، فتهدّ كلّ شيء، وألبسك الهيبة فلا يرومك شيء.

---

(١) يقال: رأف به يرأف: إذا رحمه، وهو بوزن فتح وكرم وفرح، ويعدى بالباء،كما في «اللسان» ولعل هنا مضمن معنى رئمه، فعدى بنفسه، أو محرف عن ترأمها.

ولما قيل له ذلك، انطلق يؤمّ الأمة التي عند مغرب الشمس، فلما بلغهم، وجد جمعاً وعدداً لا يحصيه إلا الله، وقوّة وبأساً لا يطيقه إلا الله، وألسنة مختلفة وأهواء متشتتة، وقلوباً متفرّقة فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة، فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها، فأحاطتهم من كلّ مكان، وحاشتهم حتى جمعتهم في مكان واحد، ثم أخذ عليه بالنور، فدعاهم إلى الله وإلى عبادته، فمنهم من آمن له، ومنهم من صدّ، فعمد إلى الذين تولوا عنه، فأدخل عليهم الظلمة، فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم، ودخلت في بيوتهم ودورهم، وغشيتهم من فوقهم، ومن تحتهم ومن كلّ جانب منهم، فماجوا فيها وتحيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجوا إليه بصوت واحد، فكشفها عنهم وأخذهم عنوة، فدخلوا في دعوته، فجنّد من أهل المغرب أمماً عظيمة، فجعلهم جنداً واحداً، ثم انطلق بهم يقودهم، والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم من حولهم، والنور أمامهم يقودهم ويدلهم، وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى، وهو يريد الأمة التي في قطر الأرض الأيمن التي يقال لها هاويل، وسخر الله له يده وقلبه ورأيه وعقله ونظره وائتماره، فلا يخطىء إذا ائتمر، وإذا عمل عملاً أتقنه. فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه، فإذا انتهى إلى بحر أو مخاضة بنى سفناً من ألواح صغار أمثال النعال، فنظمها في ساعة، ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم وتلك الجنود، فإذا قطع الأنهار والبحار فتقها، ثم دفع إلى كلّ إنسان لوحاً فلا يكرثه حمله، فلم يزل كذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل، فعمل فيها كعمله في ناسك. فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس، فعمل فيها وجند منها جنوداً، كفعله في الأمتين اللتين قبلها، ثم كرّ مقبلاً في ناحية الأرض اليسرى، وهو يريد تاويل وهي الأمة التي بحيال هاويل، وهما متقابلتان بينهما عرض الأرض كله فلما بلغها عمل فيها، وجند منها كفعله فيما قبلها فلما فرغ منها عطف منها إلى الأمم التي وسط الأرض من الجنّ وسائر الناس، ويأجوج ومأجوج فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق، قالت له أمة من الإنس صالحة: يا ذا القرنين، إن بين هذين الجبلين خلقاً من خلق الله، وكثير منهم مشابه للإنس(١)، وهم أشباه البهائم، يأكلون العشب، ويفترسون الدوابّ والوحوش كما تفترسها السباع، ويأكلون خشاش الأرض كلها من الحيات والعقارب، وكلّ ذي روح مما خلق الله في الأرض، وليس لله خلق ينمو نماءهم في العام الواحد، ولا يزداد كزيادتهم، ولا يكثر ككثرتهم، فإن كانت لهم مدّة على ما نرى من نمائهم وزيادتهم، فلا شكّ أنهم سيملؤون الأرض، ويجلون أهلها عنها ويظهرون عليها فيفسدون فيها، وليست تمرّ بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقعهم، وننتظر أن يطلع علينا أوائلهم من بين هذين الجبلين ﴿فَهَلْ

---

(١) في «عرائس المجالس» للثعلبي المفسر، طبعة الحلبي (ص ـ ٣٦٥) ليس فيهم مشابهة من الإنس، وهو أليق بالمقام.

نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً على أنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وبَيْنَهُمْ سَدّاً قالَ ما مَكَّنّي فِيهِ رَبّي خَيْرٌ فأعِينُونِي بِقُوَّةٍ أجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾ أعدّوا إليّ الصخور والحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم، وأعلم علمهم، وأقيس ما بين جبليهم.

ثم انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم وتوسط بلادهم، فوجدهم على مقدار واحد، ذكرهم وأنثاهم، مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا، لهم مخالب في موضع الأظفار من أيدينا، وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها، وأحناك كأحناك الإبل، قوّة تسمع لها حركة إذا أكلوا كحركة الجِرّة من الإبل، أو كقضم الفحل المسنّ، أو الفرس القويّ، وهم هلب، عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم، وما يتقون به الحرّ والبرد إذا أصابهم ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان: إحداهما وبرة ظهرها وبطنها، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها، تَسعانه إذا لبسهما، يلتحف إحداهما، ويفترش الأخرى، ويصيف في إحداهما، ويَشْتي في الأخرى، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه، ومنقطع عمره، وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد، ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد، فإذا كان ذلك أيقن بالموت، وهم يرزقون التنين أيام الربيع، ويستمطرونه إذا تحينوه كما نستمطر الغيث لحينه، فيقذفون منه كلّ سنة بواحد، فيأكلونه عامهم كله إلى مثله من العام القابل، فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم، فإذا أمطروا وأخصبوا وعاشوا وسمنوا، ورؤي أثره عليهم، فدرّت عليهم الإناث، وشَبقت منهم الرجال الذكور، وإذا أخطأهم هَزَلُوا وأجدبوا، وجفرت الذكور، وحالت الإناث، وتبين أثر ذلك عليهم، وهم يتداعون تداعي الحَمام، ويعوُون عُواء الكلاب، ويتسافدون حيث التقوا تسافد البهائم.

فلما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصَّدَفين، فقاس ما بينهما وهو في منقطع أرض الترك مما يلي مشرق الشمس، فوجد بُعد ما بينهما مئة فرسخ فلما أنشأ في عمله، حفر له أساساً حتى بلغ الماء، ثم جعل عرضه خمسين فرسخاً، وجعل حشوه الصخور، وطينه النحاس، يذاب ثم يُصبّ عليه، فصار كأنه عِرْق من جبل تحت الأرض، ثم علاه وشَرّفه بزُبَر الحديد والنحاس المذاب، وجعل خلاله عِرْقاً من نحاس أصفر، فصار كأنه بُرد محبَّر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد فلما فرغ منه وأحكمه، انطلق عامداً إلى جماعة الإنس والجنّ فبينا هو يسير، دفع إلى أمة صالحة يهدون بالحقّ وبه يعدلون، فوجد أمة مقسطة مقتصدة، يقسمون بالسوية، ويحكمون بالعدل، ويتآسون ويتراحمون، حالهم واحدة، وكلمتهم واحدة، وأخلاقهم مشتبهة، وطريقتهم مستقيمة، وقلوبهم متألفة، وسيرتهم حسنة، وقبورهم بأبواب بيوتهم، وليس على بيوتهم أبواب، وليس عليهم أمراء، وليس بينهم قضاة، وليس بينهم أغنياء، ولا ملوك، ولا أشراف، ولا يتفاوتون، ولا يتفاضلون، ولا يختلفون، ولا يتنازعون، ولا يستبُّون، ولا يقتتلون، ولا يَقْحَطُون، ولا يحردون، ولا تصيبهم الآفات التي تصيب الناس، وهم

أطول الناس أعماراً، وليس فيهم مسكين، ولا فقير، ولا فظّ، ولا غليظ فلما رأى ذلك ذو القرنين من أمرهم، عجب منه وقال: أخبروني أيها القوم خبركم، فإني قد أحصيت الأرض كلها برّها وبحرها، وشرقها وغربها، ونورها وظلمتها، فلم أجد مثلكم، فأخبروني خبركم قالوا: نعم، فسلنا عما تريد، قال: أخبروني، ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم؟ قالوا: عمداً فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت، ولا يخرج ذِكرُه من قلوبنا قال: فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟ قالوا: ليس فينا متهم، وليس منا إلا أمين مؤتمن قال: فما لكم ليس عليكم أمراء؟ قالوا: لا نتظالم قال: فما بالكم ليس فيكم حكام؟ قالوا: لا نختصم قال: فما بالكم ليس فيكم أغنياء؟ قالوا: لا نتكاثر قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك؟ قالوا: لا نتكابر قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟ قالوا: من قِبَل ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا قال: فما بالكم لا تستبُّون ولا تقتتلون؟ قالوا: من قبل أنا غلبنا طبائعنا بالعزم، وسسنا أنفسنا بالأحلام قال: فما بالكم كلمتكم واحدة، وطريقتكم مستقيمة مستوية؟ قالوا: من قبل أنا لا نتكاذب، ولا نتخادع، ولا يغتاب بعضنا بعضاً قال: فأخبروني من أين تشابهت قلوبكم، واعتدلت سيرتكم؟ قالوا: صحّت صدورنا، فنزع بذلك الغلّ والحسد من قلوبنا قال: فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير؟ قالوا: من قبل أنا نقتسم بالسوية قال: فما بالكم ليس فيكم فظّ ولا غليظ؟ قالوا: من قبل الذلّ والتواضع قال: فما جعلكم أطول الناس أعماراً؟ قالوا: من قِبَل أنا نتعاطى الحقّ ونحكم بالعدل قال: فما بالكم لا تُقْحَطون؟ قالوا: لا نغفل عن الاستغفار قال: فما بالكم لا تَحْرَدون؟ قالوا: من قبل أنا وطأنا أنفسنا للبلاء منذ كنا، وأحببناه وحرصنا عليه، فعرينا منه قال: فما بالكم لا تصيبكم الآفات كما تصيب الناس؟ قالوا: لا نتوكل على غير الله، ولا نعمل بالأنواء والنجوم قال: حدثوني أهكذا وجدتم آباءكم يفعلون؟ قالوا: نعم وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم، ويُواسون فقراءهم، وَيعفون عمن ظلمهم، ويُحسنون إلى من أساء إليهم، ويحلُمون عمن جهل عليهم، ويستغفرون لمن سبهم، ويَصِلون أرحامهم، ويؤدّون أماناتهم، ويحفظون وقتهم لصلاتهم، ويُوَفُّون بعهودهم، ويَصدُقون في مواعيدهم، ولا يرغبون عن أكفائهم، ولا يستنكفون عن أقاربهم، فأصلح الله لهم بذلك أمرهم، وحفظهم ما كانوا أحياء، وكان حقاً على الله أن يحفظهم في تركتهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي رافع، عن أبي هريرة، عن نبيّ الله ﷺ: «**إنَّ يأْجُوجَ ومَأْجُوجَ يَحْفُرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْم، حتى إذَا كادُوا يَرَوْنَ شُعاعَ الشَّمْسِ قالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ ارْجِعُوا فَتَحْفِرُونَهُ غَداً، فَيُعِيدُهُ اللَّهُ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ تَرَكُوهُ، حتى إذَا جاءَ الوَقْتُ قالَ: إنْ شاءَ اللَّهُ، فَيَحْفُرُونَهُ ويَخْرُجُون على النَّاسِ، فَيَنْشِفُونَ المِياهَ، ويَتَحَصَّنُ النَّاسُ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهامِهِمْ إلى السَّماءِ، فَيَرْجِعُ فِيها كَهَيْئَةِ الدّماءِ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنا أهْلَ الأرْضِ، وَعَلَوْنا أهْلَ السَّماءِ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَغَفاً فِي أقْفائِهِمْ فَتَقْتُلُهُمْ**» فقال رسول الله ﷺ: «**والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إنَّ دَوابَّ الأرْضِ لَتَسْمَنُ وتَشْكَرُ مِنْ لُحُومِهِمْ**».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاريّ ثم الظَّفَريّ، عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل، عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُفْتَحُ يأجُوجُ ومَأجُوجُ فَيخْرُجُونَ على النَّاسِ كمَا قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يِنسِلُون فَيَغْشُونَ الأرْضَ، ويَنحازُ المُسْلِمُونَ عَنهُمْ إلى مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيَضُمُّونَ إلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ، فَيَشْرَبُونَ مِياهَ الأرْضِ، حتى إنَّ بَعْضَهُمْ لَيَمُرُّ بالنَّهْرِ فَيَشْرَبُونَ ما فِيهِ، حتى يَتْرُكُوهُ يابساً، حتى إنَّ من بَعْدَهِمْ لَيَمُرُّ بِذلكَ النَّهرِ، فيَقُولُ: لَقَدْ كانَ هَهُنا ماءٌ مَرَّةً، حتى لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ أحَدٌ إلاّ انحازَ إلى حِصْنٍ أوْ مَدِينَةٍ، قالَ قائِلُهُمْ: هَولاءِ أهْلُ الأرْضِ قَدْ فَرَغْنا مِنْهُمْ، بَقِيَ أهْلُ السَّمَاءِ، قالَ: ثُمَّ يَهُزُّ أحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ، ثُمَّ يَرْمِي بها إلى السَّماءِ، فَترْجِعُ إلَيْهِ مُخَضَّبَةً دَماً للْبِلاءِ وَالفِتْنَةِ. فَبَيْنا هُمْ على ذلكَ، بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ دُوداً في أعناقِهِمْ كالنَّغَفِ، فَتَخْرُجُ فِي أعْناقِهِمْ فِيُصْبِحُونَ مَوْتَى، لا يُسْمَعُ لَهُمْ حِسٌّ، فَيَقُولُ المُسلِمُونَ: ألا رَجُلٌ يَشْرِي لَنا نَفْسَهُ، فَيَنْظُرُ ما فعل العدوّ، قال: فَيَتَجَرَّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لذلكَ مُحْتَسِباً لِنَفْسِهِ، قَدْ وَطَّنَها على أنَّهُ مَقْتُولٌ، فيَنْزِلُ فَيَجِدُهُمْ مَوْتى، بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ، فَينادي: يا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، ألا أبْشِرُوا، فإنَّ اللَّهَ قَدْ كَفاكُمْ عَدُوَّكُمْ، فيَخْرُجونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيُسَرِّحُونَ مَوَاشِيَهُمْ، فَمَا يَكُونُ لَهَا رَعْيٌ إلاّ لُحُومُهُمْ، فَتَشْكَرُ عَنْهُمْ أحْسَنَ ما شَكَرَتْ عَنْ شَيْءٍ مِنَ النَّباتِ أصَابَتْ قَطُّ**».

حدثني بحر بن نصر، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني معاوية، عن أبي الزاهرية وشريح بن عبيد: أن يأجوج ومأجوج ثلاثة أصناف: صنف طولهم كطول الأرز، وصنف طوله وعرضه سواء، وصنف يفترش أحدهم أذنه ويلتحف بالأخرى فتغطي سائر جسده.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**قالوا يا ذَا القَرْنَيْنِ إنَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوج مُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ**﴾ قال: كان أبو سعيد الخُدريّ يقول: إن نبيّ الله ﷺ قال: «**لا يَمُوتُ رَجُلٌ مِنْهُمْ حتى يُولَدَ لِصُلْبِهِ ألْفُ رَجُلٍ**» قال: وكان عبد الله بن مسعود يعجب من كثرتهم ويقول: لا يموت من يأجوج ومأجوج أحد حتى يولد له ألف رجل من صلبه.

فالخبر الذي ذكرناه عن وهب بن منبه في قصة يأجوج ومأجوج، يدلّ على أن الذين قالوا لذي القرنين ﴿**إنَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوج مُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ**﴾ إنما أعلموه خوفَهم ما يُحدث منهم من الإفساد في الأرض، لا أنهم شَكَوا منهم فساداً كان منهم فيهم أو في غيرهم، والأخبار عن رسول الله ﷺ أنهم سيكون منهم الإفساد في الأرض، ولا دلالة فيها أنهم قد كان منهم قبل إحداث ذي القرنين السدّ الذي أحدثه بينهم وبين من دونهم من الناس في الناس غيرهم إفساد.

فإذا كان ذلك كذلك بالذي بيّنا، فالصحيح من تأويل قوله ﴿**إنَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوج مُفْسِدُونَ فِي**

الأرضِ﴾ إن يأجوج ومأجوج سيفسدون في الأرض.

وقوله **﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً﴾** اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: **﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً﴾** كأنهم نحوا به نحو المصدر من خَرْج الرأس، وذلك جعله. وقرأته عامّة قرّاء الكوفيين: «فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجاً» بالألف، وكأنهم نحوا به نحو الاسم، وعنوا به أجرة على بنائك لنا سدّاً بيننا وبين هؤلاء القوم.

وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأه: «فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجاً» بالألف، لأن القوم فيما ذُكر عنهم، إنما عرضوا على ذي القرنين أن يعطوه من أموالهم ما يستعين به على بناء السدّ، وقد بين ذلك بقوله: **﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾** ولم يعرضوا عليه جزية رؤوسهم. والخراج عند العرب: هو الغلة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراسانيّ، عن ابن عباس «فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجاً» قال: أجراً **﴿عَلَى أَنْ تَجعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً﴾**.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: «فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجاً» قال: أجراً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة، قوله: «فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجاً» قال: أجراً.

وقوله: **﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾** يقول: قالوا له: هل نجعل لك خراجاً حتى أن تجعل بيننا وبين يأجوج ومأجوج حاجزاً يحجز بيننا وبينهم، ويمنعهم من الخروج إلينا، وهو السدّ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥)﴾.

يقول تعالى ذكره: قال ذو القرنين: الذي مكنني في عمل ما سألتموني من السدّ بينكم وبين هؤلاء القوم ربي، ووطأه لي، وقوّاني عليه، خير من جُعلكم، والأجرة التي تعرضونها عليّ لبناء ذلك، وأكثر وأطيب، ولكن أعينوني منكم بقوّة، أعينوني بفَعلة وصناع يُحسنون البناء والعمل. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد **﴿ما**

مَكَّنّي فِيهِ رَبّي خَيْرٌ فَأَعِينوني بقُوَةٍ﴾ قال: برجال **﴿أجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾** وقال ما مكني، فأدغم إحدى النونين في الأخرى، وإنما هو ما مكنني فيه. وقوله: **﴿أجعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾** يقول: أجعل بينكم وبين يأجوج ومأجوج ردماً. والردم: حاجز الحائط والسدّ، إلا أنه أمنع منه وأشدّ، يقال منه: قد ردم فلان موضع كذا يَردِمه رَدْماً ورُداماً[1] ويقال أيضاً: رَدَّم ثوبه يردمه، وهو ثوب مُرَدَّم: إذا كان كثير الرقاع ومنه قول عنترة:

هَـلْ غـادَرَ الـشُّـعَـرَاءُ مِـنْ مُـتَـرَدَّمِ ... أمْ هَـلْ عَـرَفْـتَ الـدَّارَ بَـعْـدَ تَـوَهُّـمِ[2]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿أجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾** قال: هو كأشدّ الحجاب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبيّ الله قد رأيت سدّ يأجوج ومأجوج، قال: «**انْعَتْهُ لي**»، قال: كأنه البرد المحبَّر، طريقة سوداء، وطريقة حمراء، قالَ: «**قَدْ رأيْتَهُ**»**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا (٩٧)﴾.

يقول عزّ ذكره: قال ذو القرنين للذين سألوه أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدّاً **﴿آتوني﴾** أي جيئوني بِزُبَر الحديد، وهي جمع زُبْرة، والزُّبْرة: القطعة من الحديد. كما:

---

(١) الردام: مصدر ردم يردم (بالضم في المضارع) رداما: ضرط. عن «**اللسان**».

(٢) البيت لعنترة بن عمرو بن شداد العبسي، من معلقته المشهورة انظره في شرح الزوزني للمعلقات السبع، وشرح التبريزي للقصائد العشر، و «**مختار الشعر الجاهلي**» بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي (ص ـ ٣٦٩) قال شارحه: متردم: موضع يسترقع ويستفلح لوهنه ووهيه، من قولهم: ردمت الشيء إذا أصلحته، وهي منه ويروى مترنم، من الترنم، وهو ترجيع الصوت مع تحزين. يقول: هل ترك الشعراء موضعاً مسترقعاً إلا وقد أصلحوه، أو هل تركت ا لشعراء شيئاً إلا رجعوا نغماته بإنشاء الشعر في وصفه؟ والمعنى: لم يترك الأول للآخر شيئاً. ثم أضرب عن ذلك، وسأل نفسه: هل عرفت دار عشيقتك، بعد شكك فيها؟ وفي «**اللسان**» ردم: والمتردم: الموضع الذي يرقع. ويقال: تردم الرجل ثوبه: أي رقعه يتعدى، ولا يتعدى ابن سيده: ثوب مردم، ومرتدم، ومتردم، وملوم: خلق مرقع؛ قال عنترة:

هل غـادر الـشـعـراء مـن مـتـردم.... الـبـيـت»

معناه: أي مستصلح. قال ابن سيده: أي من كلام يلصق بعضه ببعض ويليق: أي قد سبقونا إلى القول فلم يدعوا مقالاً لقائل.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿زُبَرَ الحَدِيدِ﴾** يقول: قطع الحديد.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿آتوني زُبَرَ الحَدِيدِ﴾** قال: قطع الحديد.

حدثني إسماعيل بن سيف، قال: ثنا عليّ بن مسهر، عن إسماعيل، عن أبي صالح، قوله: **﴿زُبَرَ الحَدِيدِ﴾** قال: قطع الحديد.

حدثني محمد بن عمارة الأسديّ، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى عن مجاهد، قوله: **﴿آتوني زُبَرَ الحَدِيدِ﴾** قال: قطع الحديد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿آتوني زُبَرَ الحَدِيدِ﴾**: أي فَلَق الحديد.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿آتوني زُبَرَ الحَدِيدِ﴾** قال: قطع الحديد.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: **﴿آتوني زُبَرَ الحَدِيدِ﴾** قال: قطع الحديد.

وقوله: **﴿حتى إذَا ساوَى بينَ الصَّدَفَينِ﴾** يقول عزّ ذكره: فآتَوهُ زُبَر الحديد، فجعلها بين الصدفين حتى إذا ساوى بين الجبلين بما جعل بينهما من زُبر الحديد، ويقال: سوّى. والصدفان: ما بين ناحيتي الجبلين ورؤوسهما ومنه قوله الراجز:

قدْ أخَذَتْ ما بينَ عَرْضِ الصُّدُفَيْنِ ... ناحِيَتَيْها وأعالي الرُّكْنَيْنِ[1]

---

(١) البيتان من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٤١٤) قال: «بين الصدفين»... فبعضهم يضمها، وبعضهم يفتحها (الصاد المشددة) يحرك الدال. ومجازاهما: ما بين الناحيتين من الجبلين. وقال:

«قد أخذت...... البيتين»

ولم ينسبهما. وفي «اللسان» صدف: والصدفان (بالتحريك) والصدفان بضمهما: جبلان متلاقيان بيننا وبين يأجوج ومأجوج. وفي التنزيل العزيز: «حتى إذا ساوى بين الصدفين»: قرىء الصدفين (بالتحريك) والصدفين وبضمهما، والصدفين (بضم الأول وفتح الثاني). وفي هامش «اللسان»: «وبقيت رابعة: الصدفين كعضوين كما في «القاموس». ثم قال في «اللسان»: وفي الحديث «أن النبي ﷺ كان إذا مر بصدف مائل أسرع المشي». ابن الأثير: وهو بفتحتين وضمتين. قال أبو عبيدة: الصدف والهدف احد، وهو كل بناء مرتفع عظيم. قال الأزهري: وهو مثل صدف الجبل، شبهه به، وهو ما قابلك من جانبه ا هـ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿**بينَ الصَّدَفَينِ**﴾ يقول: بين الجبلين.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**حتى إذَا بَلَغَ بينَ السَّدَّيْنِ**﴾ قال: هو سدّ كان بين صَدَفين، والصدفان: الجبلان.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**الصَّدَفَينِ**﴾ رؤوس الجبلين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا مُعاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**بينَ الصَّدَفَينِ**﴾ يعني الجبلين، وهما من قبل أرمينية وأذربيجان.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**حتى إذَا ساوَى بينَ الصَّدَفَينِ**﴾ وهما الجبلان.

حدثني أحمد بن يوسف، قال: أخبرنا القاسم، قال: ثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم أنه قرأها: ﴿**بينَ الصَّدَفَينِ**﴾ منصوبة الصاد والدال، وقال: بين الجبلين، وللعرب في الصدفين: لغات ثلاث، وقد قرأ بكلّ واحدة منها جماعة من القراء: الفتح في الصاد والدال، وذلك قراءة عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة والضمّ فيهما، وهي قراءة أهل البصرة والضم في الصاد وتسكين الدال، وذلك قراءة بعض أهل مكة والكوفة. والفتح في الصاد والدال أشهر هذه اللغات، والقراءة بها أعجب إليّ، وإن كنت مستجيزاً القراءة بجميعها، لاتفاق معانيها. وإنما اخترت الفتح فيهما لما ذكرت من العلة.

وقوله: ﴿**قالَ انْفُخُوا**﴾ يقول عزّ ذكره، قال للفعلة: انفخوا النار على هذه الزُّبر من الحديد.

وقوله: ﴿**حتى إذَا جَعَلَهُ ناراً**﴾ وفي الكلام متروك، وهو: فنفخوا حتى إذا جعل ما بين الصدفين من الحديد ناراً ﴿**قالَ آتوني أُفرِغْ عَلَيهِ قِطْراً**﴾ فاختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة، وبعض أهل الكوفة: ﴿**قالَ آتوني**﴾ بمدّ الألف من ﴿**آتوني**﴾ بمعنى:

أعطوني قطراً أفرغ عليه. وقرأه بعض قرّاء الكوفة، قال: «ائْتُونِي» بوصل الألف، بمعنى: جيئوني قِطْراً أفرغ عليه، كما عليه: أخذت الخطام، وأخذت بالخطام، وجئتك زيداً، وجئتك بزيد. وقد يتوجه معنى ذلك إذا قرىء كذلك إلى معنى أعطوني، فيكون كأن قارئه أراد مدّ الألف من آتوني، فترك الهمزة الأولى من آتوني، وإذا سقطت الأولى همز الثانية.

وقوله: ﴿أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾ يقول: أصبّ عليه قطراً، والقِطْر: النُّحاس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾ قال: القِطر: النحاس.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج مثله.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا مُعاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾: يعني النحاس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾ أي النحاس ليلزمه به.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ﴿أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾ قال: نحاساً.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: القِطر: الحديد المذاب، ويستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر:

حُساماً كَلَوْنِ المِلْحِ صَافٍ حَديدُه ... جُرَازاً مِنَ اقْطارِ الحَديدِ المُنَعَّتِ[1]

وقوله: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ يقول عزّ ذكره: فما اسطاع يأجوج ومأجوج أن يَعلُوا

---

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٤١٥) عند تفسير قوله تعالى: ﴿أفرغ عليه قطراً﴾ قال: أي أصب عليه حديداً ذائباً، قال:

حساماً..... البيت»

جمع قطر، وجعله بعضهم الرصاص النقرة ا هـ. وفي «اللسان»: قطر والقطر بالكسر: النحاس الذائب، وقيل ضرب منه ا هـ. وفي «اللسان» جرز: وسيف جراز: قاطع. قال: ويقال: سيف جراز: إذا كان مستأصلاً. والجراز من السيوف: الماضي النافذ ا هـ.

الردم الذي جعله ذو القرنين حاجزاً بينهم، وبين من دونهم من الناس، فيصيروا فوقه وينزلوا منه إلى الناس.

يقال منه: ظهر فلان فوق البيت: إذا علاه ومنه قول الناس: ظهر فلان على فلان: إذا قهره وعلاه. ﴿وَما اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً﴾ يقول: ولم يستطيعوا أن ينقبوه من أسفله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾** من فوقه: **﴿وَما اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً﴾**: أي من أسفله.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله **﴿فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾** قال: ما استطاعوا أن ينزعوه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة **﴿فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾** قال: أن يرتقوه **﴿وَما اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً﴾**.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، **﴿فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾** قال: أن يرتقوه **﴿وَما اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً﴾**.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج **﴿فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾** قال: يعلوه **﴿وَما اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً﴾**: أي ينقبوه من أسفله.

واختلف أهل العربية في وجه حذف التاء من قوله: **﴿فَمَا اسْطاعُوا﴾** فقال بعض نحويي البصرة: فعل ذلك لأن لغة العرب أن تقول: اسطاع يسطيع، يريدون بها: استطاع يستطيع، ولكن حذفوا التاء إذا جُمعت مع الطاء ومخرجهما واحد. قال: وقال بعضهم: استاع، فحذف الطاء لذلك. وقال بعضهم: أسطاع يسطيع، فجعلها من القطع كأنها أطاع يطيع، فجعل السين عوضاً من إسكان الواو[1]. وقال بعض نحويّ الكوفة: هذا حرف استعمل فكثر حتى حذف.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)﴾.

يقول عزّ ذكره: فلما رأى ذو القرنين أن يأجوج ومأجوج لا يستطيعون أن يظهروا ما بني من الردم، ولا يقدرون عل نقبه، قال: هذا الذي بنيته وسوّيته حاجزاً بين هذه الأمة، ومن دون الردم

(١) أي عوضاً من ذهاب حركة الواو، كما في «اللسان».

رحمة من ربي رحم بها من دون الردم من الناس، فأعانني برحمته لهم حتى بنيته وسوّيته ليكفّ بذلك غائلة هذه الأمة عنهم.

وقوله: ﴿فإذَا جاءَ وَعْدُ رَبّي جَعَلَهُ دَكّاءَ﴾ يقول: فإذا جاء وعد ربي الذي جعله ميقاتاً لظهور هذه الأمة وخروجها من وراء هذا الردم لهم، جعله دكاء، يقول: سوّاه بالأرض، فألزقه بها، من قولهم: ناقة دكاء: مستوية الظهر لا سنام لها. وإنما معنى الكلام: جعله مدكوكاً، فقيل: دكاء. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فإذَا جاءَ وَعدُ رَبي جَعَلَه دَكّاءَ﴾ قال: لا أدري الجبلين يعني به، أو ما بينهما.

وذُكر أن ذلك يكون كذلك بعد قتل عيسى بن مريم عليه السلام الدجال. ذكر من قال ذلك:

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، قال: ثنا هشيم بن بشير، قال: أخبرنا العوّام، عن جبلة بن سحيم، عن مؤثر، وهو ابن عفارة العبدي، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَقِيتُ لَيلَةَ الإسْرَاءِ إبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى فَتَذَاكرُوا أمْرَ السَّاعَةِ، وَرَدُّوا الأمْرَ إلى إبْرَاهِيمَ فَقالَ إبْرَاهِيمُ: لا عِلْمَ لي بِها، فَرَدُّوا الأمْرَ إلى مُوسَى، فقالَ مُوسَى: لا عِلْمَ لي بها، فَرَدُّوا الأمْرَ إلى عِيسَى قالَ عِيسَى: أمَّا قِيامُ السَّاعَةِ لا يَعْلَمُهُ إلاَّ اللَّهُ، وَلَكِنَّ رَبّي قَدْ عَهِدَ إليَّ بِمَا هُوَ كائِنٌ دُونَ وَقْتِها، عَهِدَ إليَّ أنَّ الدَّجَّالَ خارِجٌ، وأنَّهُ مُهْبِطي إلَيْه، فَذَكَرَ أنَّ مَعَهُ قَصَبَتَيْنِ، فإذَا رآنِي أهْلَكَهُ اللَّهُ، قالَ: فَيَذُوبُ كمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ، حتى إنَّ الحَجَرَ والشَّجَرَ لَيَقُولُ: يا مُسْلِمُ هَذَا كافِرٌ فاقْتُلْهُ، فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ، وَيَرْجِعُ الناسُ إلى بِلادِهِمْ وأوْطانِهِمْ فَيَسْتَقْبِلُهُمْ يَأْجُوجُ ومَأْجُوجَ مِنْ كُلّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، لا يَأْتُونَ عَلى شَيْءٍ إلاَّ أكَلُوهُ، ولا يَمُرُّونَ عَلى ماءٍ إلاَّ شَرِبُوهُ، فَيَرْجِعُ النَّاسُ إليَّ، فَيَشْكُونَهُمْ، فأدْعُوا اللَّهَ عَلَيهِمْ فَيُمِيتُهُمْ حتى تَجْوَى الأرْضُ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِمْ، فَيَنْزِلُ المَطَرُ، فَيَجُرُّ أجْسادَهُمْ، فيُلْقِيهِمْ فِي البَحْرِ، ثُمَّ يَنْسِفُ الجِبالَ حتى تَكُونَ الأرْضُ كالأديمِ، فَعَهِدَ إليَّ رَبّي أنَّ ذلكَ إذا كان كذلك، فَإنَّ السَّاعَةَ مِنْهُمْ كالحامِلِ المُتِمّ الَّتِي لا يَدْرِي أهْلُها مَتى تَفْجَؤهُمْ بِوِلادِها، لَيْلاً أوْ نَهاراً**».

حدثني عبيد بن إسماعيل، قال: ثنا المحاربيّ، عن أصبغ بن زيد، عن العوّام بن حوشب، عن جبلة بن سحيم، عن مؤثر بن عَفازَة، عن عبد الله بن مسعود، قال: لما أُسْري برسول الله ﷺ التقى هو وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام. فتذاكروا أمر الساعة. فذكر نحو حديث إبراهيم الدورقي عن هشيم، وزاد فيه: قال العوّام بن حوشب: فوجدت تصديق ذلك في كتاب الله تعالى، قال الله عزّ وجلّ: ﴿حتى إذَا فُتِحَتْ يأْجُوجُ ومَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ

وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ فإذَا هِيَ شاخِصَةٌ أبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقال: ﴿**فإذَا جاءَ وَعْدُ رَبّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وكانَ وَعْدُ رَبّي حَقّاً﴾** يقول: وكان وعد ربي الذي وعد خلقه في دكّ هذا الردم، وخروج هؤلاء القوم على الناس، وعيثهم فيه، وغير ذلك من وعده حقاً، لأنه لا يخلف الميعاد فلا يقع غير ما وعد أنه كائن.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠)﴾.

يقول تعالى ذكره: وتركنا عبادنا يوم يأتيهم وعدنا الذي وعدناهم، بأنا ندكّ الجبال ونَنْسِفها عن الأرض نسفاً، فنذرها قاعاً صفصفاً، بعضهم يموج في بعض، يقول: يختلط جنهم بإنسهم. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن هارون بن عنترة، عن شيخ من بني فزارة، في قوله: ﴿**وَتَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ في بَعْضٍ**﴾ قال: إذا ماج الجنّ والإنس، قال إبليس: فأنا أعلم لكم علم هذا الأمر، فيظعن إلى المشرق، فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض، ثم يظعن إلى المغرب، فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض، ثم يصعد يميناً وشمالاً إلى أقصى الأرض، فيجد الملائكة قطعوا الأرض، فيقول: ما من مَحِيص، فبينا هو كذلك، إذ عرض له طريق كالشراك، فأخذ عليه هو وذريّته، فبينما هم عليه، إذ هجموا على النار، فأخرج الله خازناً من خُزّان النار، قال: يا إبليس ألم تكن لك المنزلة عند ربك، ألم تكن في الجنان؟ فيقول: ليس هذا يوم عتاب، لو أن الله فرض عليّ فريضة لعبدته فيها عبادة لم يعبده مثلها أحد من خلقه، فيقول: فإن الله قد فرض عليك فريضة، فيقول: ما هي؟ فيقول: يأمرك أن تدخل النار، فيتلكأ عليه، فيقول[1] به وبذريّته بجناحيه، فيقذفهم في النار، فَتزفر النار زفرة فلا يبقى مَلَك مقرّب، ولا نبيّ مرسل إلا جثى لركبتيه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَتَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ في بَعْضٍ**﴾ قال: هذا أوّل القيامة، ثم نفخ في الصور على أثر ذلك فجمعناهم جمعاً.

﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ**﴾ قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيما مضى في الصُور، وما هو، وما

(١) يقول: بمعنى يدفع به ويحركه.

عُنِي به. واخترنا الصواب من القول في ذلك بشواهده المغنية عن إعادته في هذا الموضع، غير أنا نذكر في هذا الموضع بعض ما لم نذكر في ذلك الموضع من الأخبار. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: ثنا أسلم، عن بشر بن شغاف، عن عبد الله بن عمرو، عن النبيّ ﷺ أن أعرابياً سأله عن الصُّور، قال: «**قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ**».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا معاوية بن هشام، عن سفيان، عن سليمان التيميّ، عن العجلي، عن بشر بن شغاف، عن عبد الله بن عمرو، عن النبيّ ﷺ، بنحوه.

حدثنا محمد بن الحارث القنطري، قال: ثنا يحيى بن أبي بكير، قال: كنت في جنازة عمر بن ذرّ فلقيت مالك بن مغول، فحدثنا عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخُدريّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَيفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ وَحَنى الجَبْهَةَ، وأَصْغَى بالأُذُنُ مَتى يُؤْمَرُ**» فشقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: «**قُولُوا حَسْبُنا اللّهُ وَعَلى اللّهِ تَوَكَّلْنا، ولوِ اجْتَمَعَ أَهْلُ مِنى ما أقالُوا ذلكَ القَرْنَ**» كذا قال، وإنما هو ماأقلوا.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا حفص، عن الحجاج، عن عطية، عن أبي سعيد الخُدريّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَيفَ أَنعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَم القَرْنَ، وَحَنى ظَهرَهُ وَجَحَظَ بعَيْنَيهِ**»، قالوا: ما نقول يارسول الله؟ قال: «**قُولُوا: حَسْبُنا اللّهُ، تَوَكَّلْنا علَى اللّهِ**».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن فضيل، عن مطرف، عن عطية، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَيفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْن قَدِ الْتَقَمَ القَرْنَ، وَحَنى جَبْهَتَهُ، يَسْتَمِعُ مَتى يُؤْمَرُ فَيَنْفُخُ فِيهِ**»، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فكيف نقول؟ قال: «**تَقُولُونَ: حَسْبُنا اللّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، تَوَكَّلنا على اللّهِ**».

حدثنا أبو كريب والحسن بن عرفة، قالا: ثنا أسباط، عن مطرف، عن عطية، عن ابن عباس، عن النبيّ ﷺ مثله.

حدثني يعقوب، قال: ثنا شعيب بن حرب، قال: ثنا خالد أبو العلاء، قال: ثنا عطية العوفيّ، عن أبي سعيد الخُدريّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَيفَ أَنْعَمُ وَصاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَحَنى الجَبْهَةَ، وأَصْغَى بالأُذُنِ مَتى يُؤْمَرُ أنْ يَنْفُخَ، وَلَوْ أنَّ أَهْلَ مِنىً اجْتَمَعُوا على القَرْنَ عَلى أنْ يُقِلُّوهُ مِنَ الأرْضِ، ما قَدَرُوا عَلَيْهِ**» قال: فأُبلِسَ أصحابُ رسول الله ﷺ، وشقّ عليهم، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**قُولُوا: حَسْبُنا اللّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، عَلى اللّهِ تَوَكَّلْنا**».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ، عن إسماعيل بن رافع المدني، عن يزيد بن فلان، عن رجل من الأنصار، عن محمد بن كعب القُرَظيّ، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا فَرَغَ اللَّهُ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَلأَرْضِ، خَلَقَ الصُّورَ، فأَعْطاهُ إسْرَافِيلَ، فَهُوَ وَضَعَهُ عَلى فِيهِ شاخِصٌ بَصَرُهُ إلى العَرْشِ يَنْتَظِرُ مَتى يُؤْمَرُ**». قال أبو هريرة: يا رسول الله، ما الصُّور؟ قال: «**قَرْنٌ**». قال: وكيف هو؟ قال: «**قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلاثُ نَفَخاتٍ: الأُولى: نَفْخَةُ الفَزَعِ، والثَّانِيَةُ: نَفْخَةُ الصَّعْقِ، والثَّالِثَةُ: نَفْخَةُ القِيامِ لِرَبِّ العالَمِينَ**».

وقوله: ﴿**فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً**﴾ يقول: فجمعنا جميع الخلق حينئذ لموقف الحساب جميعاً. وقوله: ﴿**وعَرَضْنا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ للكافِرِينَ عَرْضاً**﴾ يقول: وأبرزنا جهنم يوم ينفخ في الصور، فأظهرناها للكافرين بالله، حتى يروها ويعاينوها كهيئة السراب ولو جعل الفعل لها قيل: أعرضت إذا استبانت، كما قال عمرو بن كلثوم:

وأَعْرَضَتِ اليَمامَةُ واشْمَخَرَّتْ ... كأَسْيافٍ بأَيْدِي مُصْلِتِينا[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، قال: ثنا أبو الزعراء، عن عبد الله، قال: يقوم الخلق لله إذا نفخ في الصور، قيام رجل واحد، ثم يتمثَّل الله عزّ وجلّ للخلق فما يلقاه أحد من الخلائق كان يعبد من دون الله شيئاً إلا وهو مرفوع له يتبعه، قال: فيلقى اليهود فيقول: من تعبدون؟ قال: فيقولون: نعبد عُزَيرا، قال: فيقول: هل يسركم الماء؟ فيقولون نعم، فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب، ثم قرأ ﴿**وَعَرَضْنا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ للكافِرِينَ عَرْضاً**﴾ ثم يلقى النصارى فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد المسيح، فيقول: هل يسركم الماء، فيقولون نعم، قال: فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب، ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئاً، ثم قرأ عبد الله ﴿**وَقِفوهُم إنَّهُمْ مَسْئُولُونَ**﴾.

---

(١) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي في «**جمهرة أشعار العرب**» (٧٤، ٨٤)، وفي شرحي الزوزني والتبريزي للمعلقات. وأعرضت: ظهرت، وعرضت الشيء: أظهرته، ومنه قوله عز وجل: ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً﴾ وهذا من النوادر عرضت الشيء فأعرض، ومثله كببته فأكب، واشمخرت: طالت وارتفعت. والمعنى بدت مستطيلة. والكاف في قوله كأسياف: في موضع نصب، على أنها نعت لمصدر محذوف. والمصلت الشاهر سيفه، يقال: أصلت السيف: إذا سللته. والمعنى: ظهرت لنا قرى اليمامة، وارتفعت في أعيننا، كأسياف بأيدي رجال سالين سيوفهم، فاشتقت لذلك لما رأيت موضعها الذي تصير إليه. والشاهد في قوله: أعرضت بمعنى ظهرت.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴿١٠١﴾﴾.

يقول تعالى: وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين الذين كانوا لا ينظرون في آيات الله، فيتفكّرون فيها ولا يتأمّلون حججه، فيعتبرون بها، فيتذكرون وينيبون إلى توحيد الله، وينقادون لأمره ونهيه، ﴿**وكانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً**﴾ يقول: وكانوا لا يطيقون أن يسمعوا ذكر الله الذي ذكّرهم به، وبيانه الذي بيَّنه لهم في آي كتابه، بخذلان الله إياهم، وغلبة الشقاء عليهم، وشُغْلِهم بالكفر بالله وطاعة الشيطان، فيتعظون به، ويتدبَّرونه، فيعرفون الهدى من الضلالة، والكفر من الإيمان. وكان مجاهد يقول في ذلك ما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً**﴾ قال: لا يعقلون.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿**وكانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً**﴾ قال: لا يعلمون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**الَّذِينَ كانَتْ أعْيُنُهُمْ في غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِي...**﴾ الآية، قال: هؤلاء أهل الكفر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ﴿١٠٢﴾﴾.

يقول عزّ ذكره: أفظن الذين كفروا بالله من عبدة الملائكة والمسيح، أن يتخذوا عبادي الذين عبدوهم من دون الله أولياء، يقول كلا بل هم لهم أعداء. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: ﴿**أفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أنْ يَتَّخِذُوا عِبادِي مِنْ دُونِي أوْلِياءَ**﴾ قال: يعني من يعبد المسيح ابن مريم والملائكة، وهم عباد الله، ولم يكونوا للكفار أولياء. وبهذه القراءة، أعني بكسر السين من ﴿**أفَحَسِبَ**﴾ بمعنى الظنّ قرأت هذا الحرف قرّاء الأمصار. ورُوي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وعكرِمة ومجاهد أنهم قرأوا ذلك «أفَحَسْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا» بتسكين السين، ورفع الحرف

بعدها، بمعنى: أفحسبهم ذلك: أي أفكفاهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء من عباداتي وموالاتي. كما:

حُدثت عن إسحاق بن يوسف الأزرق، عن عمران بن حدير، عن عكرمة «أَفَحَسْبُ الَّذينَ كَفَرُوا» قال: أفحسبهم ذلك.

والقراءة التي نقرؤها هي القراءة التي عليها قرّاء الأمصار ﴿**أَفَحَسِبَ الَّذِينَ**﴾ بكسر السين، بمعنى أفظنّ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها.

وقوله: ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ نُزُلاً**﴾ يقول: أعددنا لمن كفر بالله جهنم منزلاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿**قُلْ**﴾ يا محمد لهؤلاء الذين يبغون عَنَتَك ويجادلونك بالباطل، ويحاورونك بالمسائل من أهل الكتابين: اليهود، والنصارى ﴿**هَلْ نُنَبِّئُكُمْ**﴾ أيها القوم ﴿**بالأَخسَرِينَ أعمالاً**﴾ يعني بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبغون به ربحاً وفضلاً، فنالوا به عَطَباً وهلاكاً ولم يدركوا طلباً، كالمشتري سلعة يرجو بها فضلاً وربحاً، فخاب رجاؤه، وخسر بيعه، ووكس في الذي رجا فضله.

واختلف أهل التأويل في الذين عُنوا بذلك، فقال بعضهم: عُنِي به الرهبانُ والقسوس. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا المقبري، قال: ثنا حيوة بن شريح، قال: أخبرني السكن بن أبي كريمة، أن أمه أخبرته أنها سمعت أبا خميصة عبد الله بن قيس يقول: سمعت عليّ بن أبي طالب يقول في هذه الآية ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخسَرِينَ أعمالاً**﴾: هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت حيوة يقول: ثني السكن بن أبي كريمة، عن أمه أخبرته أنها سمعت عبد الله بن قيس يقول: سمعت عليّ بن أبي طالب يقول، فذكر نحوه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن هلال بن

يِساف، عن مصعب بن سعد، قال: قلت لأبي: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ أهم الحَرورية؟ قال: هم أصحاب الصوامع.

حدثنا فضالة بن الفضل، قال: قال بزيع: سأل رجل الضحاك عن هذه الآية ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أعمالاً﴾ قال: هم القِسيسون والرهبان.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن منصور، عن هلال بن يِساف، عن مصعب بن سعد، قال: قال سعد: هم أصحاب الصوامع.

حدثنا ابن حميد، قال ثنا جرير، عن منصور، عن ابن سعد، قال: قلت لسعد: يا أبت ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُم بالأَخْسَرِينَ أعمالاً﴾ أهم الحَرورية، فقال: لا، ولكنهم أصحاب الصوامع، ولكن الحَرورية قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم.

وقال آخرون: بل هم جميع أهل الكتابين. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال ثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن مصعب بن سعد، قال: سألت أبي عن هذه الآية ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أعمالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ في الحَياةِ الدُّنْيا﴾ أهم الحَرورية؟ قال: لا، هم أهل الكتاب، اليهود والنصارى. أما اليهود فكذبوا بمحمد. وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا: ليس فيها طعام ولا شراب، ولكن الحَرورية ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ ويَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ في الأرض أُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ﴾ فكان سعد يسميهم الفاسقين.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن إبراهيم بن أبي حُرّة عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، في قوله ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بالأَخْسَرِينَ أعمالاً﴾ قال: هم اليهود والنصارى.

حدثنا القاسم، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن أبي حرب بن أبي الأسود عن زاذان، عن عليّ بن أبي طالب، أنه سئل عن قوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أعمالاً﴾ قال: هم كفرة أهل الكتاب كأن أوائلهم على حقّ، فأشركوا بربهم، وابتدعوا في دينهم، الذين يجتهدون في الباطل، ويحسبون أنهم على حقّ، ويجتهدون في الضلالة، ويحسبون أنهم على هدى، فضلّ سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ثم رفع صوته، فقال: وما أهل النار منهم ببعيد. وقال آخرون: بل هم الخوارج. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان بن سَلَمة، عن سلمة بن كُهَيل، عن

أبي الطفيل، قال: سأل عبد الله بن الكوّاء علياً عن قوله: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أعمالاً**﴾ قال: أنتم يا أهل حَروراء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا يحيى بن أيوب، عن أبي صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن أبي الصهباء البكريّ، عن عليّ بن أبي طالب، أن ابن الكوّاء سأله، عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أعمالاً**﴾ فقال عليّ: أنت وأصحابك.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الطفيل، قال: قام ابن الكوّاء إلى عليّ، فقال: مَن الأخسرين أعمالاً الذي ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسبون صنعاً، قال: ويْلَكَ أهلُ حَروراء منهم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن خالد ابن عَثْمة[1]، قال: ثنا موسى بن يعقوب بن عبد الله، قال: ثني أبو الحويرث، عن نافع بن جبير بن مطعم، قال: قال ابن الكوّاء لعليّ بن أبي طالب: ما الأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا؟ قال: أنت وأصحابك.

والصواب من القول في ذلك عندنا، أن يقال: إن الله عزّ وجلّ عنى بقوله: ﴿**هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أعمالاً**﴾ كلّ عامل عملا يحسبه فيه مصيباً، وأنه لله بفعله ذلك مطيع مرض، وهو بفعله ذلك لله مسخط، وعن طريق أهل الإيمان به جائر كالرهابنة والشمامسة وأمثالهم من أهل الاجتهاد في ضلالتهم، وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله كفرة، من أهل أيّ دين كانوا.

وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب قوله ﴿**أعمالاً**﴾، فكان بعض نحويي البصرة يقول: نصب ذلك لأنه لما أدخل الألف واللام والنون في الأخسرين لم يوصل إلى الإضافة، وكانت الأعمال من الأخسرين فلذلك نصب. وقال غيره: هذا باب الأفعل والفُعْلَى، مثل الأفضل والفُضْلَى، والأخسر والخُسْرَى، ولا تدخل فيه الواو، ولا يكون فيه مفسر، لأنه قد انفصل بمن هو كقوله الأفضل والفُضْلَى، وإذا جاء معه مفسر كان للأوّل والآخر، وقال: ألا ترى أنك تقول: مررت برجل حَسَنٍ وجهاً، فيكون الحسن للرجل والوجه، وكذلك كبير عقلاً، وما أشبهه قال: وإنما جاز في الأخسرين، لأنه ردّه إلى الأفْعَل والأَفْعَلة. قال: وسمعت العرب تقول: الأوّلات دخولاً، والآخرات خروجاً، فصار للأوّل والثاني كسائر الباب قال: وعلى هذا يقاس.

وقوله: ﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ في الحَياةِ الدُّنْيا**﴾ يقول: هم الذين لم يكن عملهم الذي عملوه في حياتهم الدنيا على هدى واستقامة، بل كان على جور وضلالة، وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به بل على كفر منهم به، ﴿**وهُمْ يحسَبُونَ أنَّهُمْ يُحسِنُونَ صُنْعاً**﴾ يقول: وهم يظنون

(١) هي أم محمد، وخالد أبوه، فيلزم إثبات الألف ا هـ.

أنهم بفعلهم ذلك لله مطيعون، وفيما ندب عباده إليه مجتهدون، وهذا من أدلّ الدلائل على خطأ قول من زعم أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يقصد إلى الكفر بعد العلم بوحدانيته، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية، أن سعيهم الذي سعوا في الدنيا ذهب ضلالاً، وقد كانوا يحسبون أنهم محسنون في صنعهم ذلك، وأخبر عنهم أنهم هم الذين كفروا بآيات ربهم. ولو كان القول كما قال الذين زعموا أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يعلم، لوجب أن يكون هؤلاء القوم في عملهم الذي أخبر الله عنهم أنهم كانوا يحسبون فيه أنهم يحسنون صنعه، كانوا مثابين مأجورين عليها، ولكن القول بخلاف ما قالوا، فأخبر جلّ ثناؤه عنهم أنهم بالله كفرة، وأن أعمالهم حابطة. وعني بقوله: ﴿**أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**﴾ عملاً، والصُّنع والصَّنْعة والصنيع واحد، يقال: فرس صنيع بمعنى مصنوع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفنا صفتهم، الأخسرون أعمالاً، الذين كفروا بحُجج ربهم وأدلته، وأنكروا لقاءه ﴿**فَحَبِطَتْ أعمالُهُمْ**﴾ يقول: فبطلت أعمالهم، فلم يكن لها ثواب ينفع أصحابها في الآخرة، بل لهم منها عذاب وخِزي طويل ﴿**فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ وَزْناً**﴾ يقول تعالى ذكره: فلا نجعل لهم ثقلاً. وإنما عنى بذلك: أنهم لا تثقل بهم موازينهم، لأن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة، وليس لهؤلاء شيء من الأعمال الصالحة، فتثقل به موازينهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن شمر، عن أبي يحيى عن كعب، قال: يؤتى يوم القيامة برجل عظيم طويل، فلا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرأوا: ﴿**فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القيامَةِ وَزْناً**﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن الصلت، قال: ثنا ابن أبي الزناد، عن صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول ﷺ: «**يُؤْتَى بالأَكُولِ الشَّرُوبِ الطَّوِيلِ، فَيُوزَنُ فَلا يَزِنُ جَناحَ بَعُوضَةٍ**» ثم قرأ ﴿**فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ وَزْناً**﴾

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أولئك ثوابهم جهنم بكفرهم بالله، واتخاذهم آيات كتابه، وحجج رسله سُخرياً، واستهزائهم برسله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾

يقول تعالى ذكره: إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وأقرّوا بتوحيد الله وما أنزل من كتبه وعملوا بطاعته، كانت لهم بساتين الفردوس، والفردوس: معظم الجنة، كما قال أمية:

كـانَـتْ مَـنـازِلُـهُـمْ إذْ ذاكَ ظـاهِـرَةً فِيهـا الفَراديسُ والفُومانُ والبَصَلُ(١)

واختلف أهل التأويل في معنى الفردوس فقال بعضهم: عنى به أفضل الجنة وأوسطها. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عباس بن الوليد، قال: ثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة، قال: الفردوس: رَبوة الجنة وأوسطها وأفضلها.

حدثنا أحمد بن أبي سريج الرازي، قال: ثنا الهيثم أبو بشر، قال: أخبرنا الفرج بن فضالة، عن لقمان، عن عامر، قال: سئل أبو أسامة عن الفردوس، فقال: هي سرّة الجنة.

حدثنا أحمد بن أبي سريج، قال: ثنا حماد بن عمرو النصيبي، عن أبي عليّ، عن كعب، قال: ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس، وفيها الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر.

وقال آخرون: هو البستان بالرومية. ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن سهل الرملي، قال: ثنا حجاج عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: الفردوس: بستان بالرومية.

---

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت الثقفي «اللسان»: فوم. قال: وقال أمية في جمع الفوم:

كانت لهم جنة إذ ذاك ظاهرة..... البيت

قال: ويروي الفراريس. قال أبو الإصبع الفراريس: البصل. وقال: الزجاج: الفوم الحنطة ويقال الحبوب، لا اختلاف بين أهل اللغة أن الفوم الحنطة وسائر الحبوب التي تختبز يلحقها اسم الفوم، قال: ومن قال: الفوم ههنا الثوم، فإن هذا لا يعرف. وقال أبو منصور: فإن قرأها ابن مسعود بالثاء، فمعناه الفوم وهو الحنطة. وفي «اللسان» فردس الفردوس: البستان. قال الفراء: هو عربي. وقال ابن سيده: الفردوس: الوادي الخصيب عند العرب، كالبستان وهو بلسان الروم: البستان. والفردوس: الروضة عن السيرافي. خضرة الأعناب. قال الزجاج: وحقيقته: أنه البستان الذي يجمع ما يكون في البساتين، وكذلك هو عند أهل كل لغة. والفردوس: حديقة في الجنة. والفردوس: أصله رومي عرب، وهو البستان.

حدثنا العباس بن محمد، قال: ثنا حجاج، قال: ابن جريج: أخبرني عبد الله عن مجاهد مثله.

وقال آخرون: هو البستان الذي فيه الأعناب. ذكر من قال ذلك:

حدثنا عباس بن محمد، قال: ثنا محمد بن عبيد، عن الأعمش، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث، عن كعب، قال: جنات الفردوس التي فيها الأعناب.

والصواب من القول في ذلك، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ. وذلك ما:

حدثنا به أحمد بن أبي سريج، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا همام بن يحيى، قال: ثنا زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبادة بن الصامت، عن النبيّ ﷺ قال: «**الجَنَّةُ مِئَةُ دَرَجةٍ، ما بينَ كُلّ دَرَجتَينِ مَسِيرَةُ عام والفِرْدَوْسُ أعْلاها دَرَجَةً، وَمِنْها الأنهارُ الأرْبَعةُ، والفِرْدَوْسُ مِنْ فَوْقِها، فإذَا سألْتُمْ اللَّهَ فاسألُوهُ الفِرْدَوْسَ**».

حدثنا موسى بن سهل، قال: ثنا موسى بن داود، قال: ثنا همام بن يحيى، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عُبادة بن الصامت، أن رسول الله ﷺ قال: «**الجَنَّةُ مِئَةُ دَرَجَةٍ ما بينَ كُلّ دَرَجَتَينِ كمَا بينَ السَّماءِ والأرْضِ، أعْلاها الفِرْدَوْسُ، ومِنْها تُفَجَّر أنهارُ الجَنَّةِ الأرْبَعَةُ، فإذَا سألْتُمُ اللَّهَ فاسألُوهُ الفِرْدَوْسَ**».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني أبو يحيى بن سليمان، عن هلال بن أسامة، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، أو أبي سعيد الخُدريّ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذَا سألْتُمُ اللَّهَ فاسألُوهُ الفِرْدَوْسَ، فإنَّها أوْسَطُ الجَنَّةِ وأعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَها عَرْشُ الرَّحْمنِ تَبارَكَ وَتَعالى، ومِنْهُ تَفَجَّرُ أنهارُ الجَنَّةِ**».

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا فليح، عن هلال، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ مثله، إلا أنه قال: «**وَسَطُ الجَنَّةِ**» وقالَ أيضاً: «**وَمِنهُ تُفَجَّرُ أو تَتَفَجَّرُ**».

حدثني عمار بن بكار الكلاعي، قال: ثنا يحيى بن صالح، قال: ثنا عبد العزيز بن محمد، قال: ثنا زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن معاذ بن جبل، أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ فِي الجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ، ما بينَ كُلّ دَرَجَتَينِ كمَا بينَ السَّماءِ والأرْضِ، والفِرْدَوْسُ أعْلَى الجنَّةِ وأوْسَطُها، وفَوْقُها عَرْشُ الرَّحْمنِ، ومِنْها تَفَجَّر أنهارُ الجَنَّةِ، فإذَا سألْتُمُ الله فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ**».

حدثنا أحمد بن منصور، قال: ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: ثنا الحارث بن

عمير، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ أرْبَعَةٌ، اثْنَتانِ مِنْ ذَهَبٍ حِلْيَتُهُما وآنِيَتُهُما، وَما فِيهِما مِنْ شَيْءٍ، وَاثْنَتانِ مِنْ فِضَّةٍ حِلْيَتُهُما وآنِيَتُهُما، وَما فِيهِما مِنْ شَيْءٍ»**.

حدثنا أحمد بن أبي سريج، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا أبو قدامة، عن أبي عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ أرْبَعٌ: ثِنْتانِ مِنْ ذَهَبٍ حِلْيَتهُما وآنِيَتُهُما وَما فِيهِما، وَثِنْتانِ مِنْ فِضَّةٍ حِلْيَتُهُما وآنِيَتُهُما وَما فِيهِما»**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن حفص، عن شمر، قال: خلق الله جنة الفردوس بيده، فهو يفتحها في كلّ يوم خميس، فيقول: ازدادي طيباً لأوليائي، ازدادي حسناً لأوليائي.

حدثنا ابن البرقيّ، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا محمد بن جعفر وابن الدراورديّ، قالا: ثنا زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ للْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ، كُلُّ دَرَجَةٍ مِنْها كَمَا بينَ السَّماءِ والأرْضِ، أعْلَى دَرَجَةٍ مِنها الفِرْدَوْسُ»**.

حدثني أحمد بن يحيى الصوفيّ، قال: ثنا أحمد بن الفرج الطائيّ، قال: ثنا الوليد بن مسلم، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن سَمرة بن جُنْدَب، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الفِرْدَوْسُ مِنْ رَبْوَةِ الجَنَّةِ، هِيَ أوْسَطُها وأحْسَنُها»**.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، قال: أنبأنا إسماعيل بن مسلم، عن الحسن، عن سمرة بن جندب، قال: أخبرنا رسول الله ﷺ: **«أنَّ الفِرْدَوْسَ هِيَ أعْلَى الجَنَّةِ وأحْسَنُها وأرْفَعُها»**.

حدثني محمد بن مرزوق، قال: ثنا روح بن عبادة، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك أن نبيّ الله ﷺ، قال للربيع ابنة النضر: **«يا أُمَّ حارِثَةَ، إنَّها جِنانٌ، وإنَّ ابْنَكِ أصَابَ الفِرْدَوْسَ الأعْلَى»**. والفردوس: ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها.

وقوله: **﴿نُزُلاً﴾** يقول: منازل ومساكن، والمنزل: من النزول، وهو من نزول بعض الناس على بعض. وأما النُّزْل: فهو الرَّيْع، يقال: ما لطعامكم هذا نَزْل، يراد به الرَّيْع، وما وجدنا عندكم نزلاً: أي نزولاً.

وقوله: **﴿خالِدِينَ﴾** يقول: لابثين فيها أبداً **﴿لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلاً﴾** يقول: لا يريدون عنها تحوّلاً، وهو مصدر تحوّلت، أخرج إلى أصله، كما يقال: صغُر يصغُر صِغَراً، وعاج يعوج عِوَجاً.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**لا يَبْغُونَ عَنها حِوَلاً**﴾ قال: متحوّلاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد بنحوه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: سمعت مخلد بن الحسين يقول: وسئل عنها، قال: سمعت بعض أصحاب أنس يقول: قال: «**يقول أوّلهم دخولاً إنما أدخلني الله أوّلهم، لأنه ليس أحد أفضل مني، ويقول آخرهم دخولاً: إنما أخرني الله، لأنه ليس أحد أعطاه الله مثل الذي أعطاني**»**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾.

يقول عز ذُكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿**قُلْ**﴾ يا محمد: ﴿**لَوْ كانَ البَحْرُ مِدَاداً**﴾ لِلقلم الذي يُكتب به ﴿**كَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ**﴾ ماء ﴿**البَحْرُ قَبْلَ أنْ تَنفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مدداً**﴾ يقول: ولو مددنا البحر بمثل ما فيه من الماء مدداً، من قول القائل: جئتك مدداً لك، وذلك من معنى الزيادة. وقد ذُكر عن بعضهم: ولو جئنا بمثله مدداً، كأن قارىء ذلك كذلك أراد: لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي، ولو زدنا بمثل ما فيه من المداد الذي يكتب به مداداً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**البَحْرُ مِداداً لكلمات ربي**﴾ للقلم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**لَوْ كانَ البَحْرُ مِداداً لكَلِماتِ رَبّي**﴾ يقول: إذاً لنفد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات الله وحكمه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ

عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المشركين يا محمد: إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم لا علم لي إلا ما علمني الله وإن الله يوحي إليّ أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، معبود واحد لا ثاني له، ولا شريك ﴿فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ﴾ يقول: فمن يخاف ربه يوم لقائه، ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾ يقول: فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الربيع بن أبي راشد، عن سعيد بن جبير ﴿فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ﴾ قال: ثواب ربه.

وقوله: ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ يقول: ولا يجعل له شريكاً في عبادته إياه، وإنما يكون جاعلاً له شريكاً بعبادته إذا رأى بعمله الذي ظاهره أنه لله وهو مريد به غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عمرو بن عبيد، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[1].

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ قال: لا يرائي.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن طاوس، قال: جاء رجل، فقال: يا نبيّ الله إني أحبّ الجهاد في سبيل الله، وأحبّ أن يرى موطني ويرى مكاني، فأنزل الله عزّ وجل: ﴿فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ومسلم بن خالد الزنجي عن صدقة بن يسار، قال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ، فذكر نحوه، وزاد فيه: وإني أعمل العمل وأتصدّق وأحبّ أن يراه الناس وسائر الحديث نحوه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن الأعمش، قال: ثنا حمزة أبو عمارة مولى بني هاشم، عن شهر بن حوشب، قال: جاء رجل إلى عُبادة بن الصامت،

(١) كذا في المخطوطة رقم ١٠٠ تفسير، بدار الكتب المصرية، وفي الدر عن سعيد: لا يشرك: لا يرائي بعبادة ربه أحداً.

فسأله فقال: أنبئني عما أسألك عنه، أرأيت رجلاً يصلي يبتغي وجه الله ويحبّ أن يُحْمَد ويصوم ويبتغي وجه الله ويحبّ أن يُحْمَد، فقال عبادة: ليس له شيء، إن الله عزّ وجلّ يقول: أنا خير شريك، فمن كان له معي شريك فهو له كله، لا حاجة لي فيه.

حدثنا أبو عامر إسماعيل بن عمرو السَّكوني، قال: ثنا هشام بن عمار، قال: ثنا ابن عياش، قال: ثنا عمرو بن قيس الكندي، أنه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية: ﴿**فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾ وقال: إنها آخر آية أنزلت من القرآن.

آخر تفسير سورة الكهف

(١٩) سورة مريم مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كٓهيعٓصٓ ①﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى ذكره: كاف من ﴿**كهيعص**﴾ فقال بعضهم: تأويل ذلك أنها حرف من اسمه الذي هو كبير، دلّ به عليه، واستغنى بذكره عن ذكر باقي الاسم. ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس، قال: ثنا عبثر، قال: ثنا حصين، عن إسماعيل بن راشد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في هذه الآية ﴿**كهيعص**﴾ قال: كبير، يعني بالكبير: الكاف من ﴿**كهيعص**﴾.

حدثنا هناد بن السري، قال: ثنا أبو الأحوص، عن حصين، عن إسماعيل بن راشد، عن سعيد بن جبير مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا حصين، عن إسماعيل بن راشد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، كان يقول ﴿**كهيعص**﴾ قال: كاف: كبير.

حدثني أبو السائب، قال: أخبرنا ابن إدريس، عن حصين، عن إسماعيل بن راشد، عن سعيد بن جبير في ﴿**كهيعص**﴾ قال: كاف: كبير.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحم بن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن حصين، عن إسماعيل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس نحوه.

وقال آخرون: بل الكاف من ذلك حرف من حروف اسمه الذي هو كاف. ذكر من قال ذلك:

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: أخبرنا شريك، عن سالم، عن سعيد، في قوله ﴿**كهيعص**﴾ قال: كاف: كاف.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: أخبرنا أبو روق، عن الضحاك بن مزاحم في قوله: ﴿**كهيعص**﴾ قال: كاف: كاف.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام عن عنبسة، عن الكلبي مثله.

وقال آخرون: بل هو حرف من حروف اسمه الذي هو كريم. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد بن جبير ﴿**كهيعص**﴾ قال: كاف من كريم.

وقال الذين فسروا ذلك هذا التفسير الهاء من كهيعص: حرف من حروف اسمه الذي هو هاد. ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا أبو حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان يقول في الهاء من ﴿**كهيعص**﴾: هاد.

حدثنا أبو حصين، قال: ثنا عبثر، قال: ثنا حصين، عن إسماعيل بن راشد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مثله.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن حصين، عن إسماعيل، عن سعيد مثله.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن حصين، عن إسماعيل بن راشد، عن سعيد بن جبير نحوه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حُصَين، عن إسماعيل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مثله.

حدثني يحيى بن طلحة، قال: ثنا شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير، قال: ها: هاد.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: أخبرنا أبو روق، عن الضحاك بن مزاحم، في قوله ﴿**كهيعص**﴾ قال: ها: هاد.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عنبسة، عن الكلبيّ مثله.

واختلفوا في تأويل الياء من ذلك، فقال بعضهم: هو حرف من حروف اسمه الذي هو يمين. ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو حصين، قال: ثنا عبثر، قال: ثنا حصين، عن إسماعيل بن راشد، عن

سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: «يا» من ﴿**كهيعص**﴾ ياء يمين.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا حصين، عن إسماعيل بن راشد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مثله.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن حُصين، عن إسماعيل بن راشد، عن سعيد بن جبير مثله.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن حُصين، عن إسماعيل بن راشد، عن سعيد بن جبير ياء: يمين.

وقال آخرون: بل هو حرف من حروف اسمه الذي هو حكيم. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد بن جبير ﴿**كهيعص**﴾ قال: يا: من حكيم.

وقال آخرون: بل هي حرف من قول القائل: يا من يجير. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا إبراهيم بن الضريس، قال: سمعت الربيع بن أنس في قوله ﴿**كهيعص**﴾ قال: يا من يجير ولا يجار عليه.

واختلف متأوّلو ذلك كذلك في معنى العين، فقال بعضهم: هي حرف من حروف اسمه الذي هو عالم. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد ﴿**كهيعص**﴾ قال: عين من عالم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن الكلبي مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا حصين، عن إسماعيل بن راشد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مثله.

حدثنا عمرو، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن العلاء بن المسيب بن رافع، عن أبيه، في قوله ﴿**كهيعص**﴾ قال: عين: من عالم.

وقال آخرون: بل هي حرف من حروف اسمه الذي هو عزيز. ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو حصين، قال: ثنا عبثر، قال: ثنا حصين، عن إسماعيل بن راشد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿**كهيعص**﴾ عين: عزيز.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حصين، عن إسماعيل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مثله.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن حصين، عن إسماعيل بن راشد، عن سعيد بن جبير مثله.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن حصين، عن إسماعيل بن راشد، عن سعيد بن جبير مثله.

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير، في قوله ﴿**كهيعص**﴾ قال: عين عزيز.

وقال آخرون: بل هي حرف من حروف اسمه الذي هو عدل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: أخبرنا أبو روق، عن الضحاك بن مزاحم، في قوله ﴿**كهيعص**﴾ قال: عين: عدل.

وقال الذين تأوّلوا ذلك هذا التأويل: الصاد من قوله ﴿**كهيعص**﴾: حرف من حروف اسمه الذي هو صادق. ذكر الرواية بذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا حصين، عن إسماعيل بن راشد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان يقول في ﴿**كهيعص**﴾ صاد: صادق.

حدثني أبو حصين، قال: ثنا عبثر، قال: ثنا حصين، عن إسماعيل بن راشد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حصين، عن إسماعيل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مثله.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن حصين، عن إسماعيل بن راشد، عن سعيد بن جبير مثله.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن حصين، عن إسماعيل بن راشد، عن سعيد بن جبير مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: أخبرنا أبو روق، عن الضحاك بن مزاحم، قال: صاد: صادق.

حدثني يحيى بن طلحة، قال: ثنا شريك، عن سالم، عن سعيد، قال: صادق، يعني الصاد من ﴿**كهيعص**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد ﴿**كهيعص**﴾ قال: صاد صادق.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عنبسة، عن الكلبي، قال: صادق.

وقال آخرون: بل هذه الكلمة كلها اسم من أسماء الله تعالى. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن خالد بن خداش، قال: ثني سالم بن قتيبة، عن أبي بكر الهُذَليّ، عن عاتكة، عن فاطمة ابنة عليّ قالت: كان عليّ يقول: يا ﴿**كهيعص**﴾: اغفر لي.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**كهيعص**﴾ قال: فإنه قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله.

وقال آخرون: كلّ حرف من ذلك اسم من أسماء الله عزّ وجلّ. ذكر من قال ذلك:

حدثني مطر بن محمد الضبي، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن عبد العزيز بن مسلم القسملي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: ﴿**كهيعص**﴾ ليس منها حرف إلا وهو اسم.

وقال آخرون: هذه الكلمة اسم من أسماء القرآن. ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله ﴿**كهيعص**﴾ قال: اسم من أسماء القرآن.

قال أبو جعفر: والقول في ذلك عندنا نظير القول في ﴿**الم**﴾ وسائر فواتح سور القرآن التي افتتحت أوائلها بحروف المعجم، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤)﴾.

اختلف أهل العربية في الرافع للذكر، والناصب للعبد، فقال بعض نحويي البصرة في معنى ذلك كأنه قال: مما نقصّ عليك ذكر رحمة ربك عبده، وانتصب العبد بالرحمة كما تقول: ذكر

ضرب زيد عمراً. وقال بعض نحويي الكوفة: رفعت الذكر بكهيعص، وإن شئت أضمرت هذا ذكر رحمة ربك، قال: والمعنى ذكر ربك عبده برحمته تقديم وتأخير.

قال أبو جعفر: والقول الذي هو الصواب عندي في ذلك أن يقال: الذكر مرفوع بمضمر محذوف، وهو هذا كما فعل ذلك في غيرها من السور، وذلك كقول الله: ﴿**بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ وكقوله: ﴿**سُورَةٌ أَنْزَلْناها**﴾ ونحو ذلك. والعبد منصوب بالرحمة، وزكريا في موضع نصب، لأنه بيان عن العبد، فتأويل الكلام: هذا ذكر رحمة ربك عبده زكريا.

وقوله: ﴿**إِذْ نادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً**﴾ يقول حين دعا ربه، وسأله بنداء خفيّ، يعني: وهو مستسرّ بدعائه ومسألته إياه ما سأل كراهته منه للرياء، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إِذْ نادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً**﴾ أي سرّاً، وإن الله يعلم القلب النقيّ، ويسمع الصوت الخفيّ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿**إِذْ نادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً**﴾ قال: لا يريد رياء.

حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: رغب زكريا في الولد، فقام فصلى، ثم دعا ربه سرّاً، فقال: ﴿**رَبِّ إِنّي وَهَنَ العَظْمُ مِنّي**﴾... إلى ﴿**وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً**﴾.

وقوله: ﴿**قالَ رَبِّ إِنّي وَهَنَ العَظْمُ مِنّي**﴾ يقول تعالى ذكره، فكان نداؤه الخفيّ الذي نادى به ربه أن قال: ﴿**رَبِّ إِنّي وَهَنَ العَظْمُ مِنّي**﴾ يعني بقوله ﴿**وَهَنَ**﴾ ضعف ورقّ من الكبر، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**قالَ رَبِّ إِنّي وَهَنَ العَظْمُ مِنّي**﴾ أي ضعف العظم مني.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وَهَنَ العَظْمُ مِنّي**﴾ قال: نَحَل العظم. قال عبد الرزاق، قال: الثوريّ: وبلغني أن زكريا كان ابن سبعين سنة.

وقد اختلف أهل العربية في وجه النصب في الشَّيْب، فقال بعض نحويّي البصرة: نصب على المصدر من معنى الكلام، كأنه حين قال: اشتعل، قال: شاب، فقال: شَيْباً على المصدر. قال: وليس هو في معنى: تفقأت شحماً وامتلأت ماء، لأن ذلك ليس بمصدر. وقال غيره: نصب الشيب على التفسير، لأنه يقال: اشتعل شيبُ رأسي، واشتعل رأسي شيباً، كما يقال: تفقَّأت شحماً، وتفقَّأ شحمي.

وقوله: ﴿ولَمْ أكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيّاً﴾ يقول: ولم أشق يا ربّ بدعائك، لأنك لم تخيب دعائي قبل إذ كنت أدعوك في حاجتي إليك، بل كنت تجيب وتقضي حاجتي قبلك. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج عن ابن جريج، قوله: ﴿ولَمْ أكُنْ بِدُعائِكَ رَبّ شَقِيّاً﴾ يقول: قد كنت تعرّفني الإجابة فيما مضى.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾.

يقول: وإني خفت بني عمي وعصبتي من ورائي. يقول: من بعدي أن يرثوني، وقيل: عنى بقوله ﴿مِنْ وَرائي﴾ من قدّامي ومن بين يديّ وقد بيَّنت جواز ذلك فيما مضى قبل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وإنّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائي﴾ يعني بالموالي: الكَلالة الأولياء أن يرثوه، فوهب الله له يحيى.

حدثنا يحيى بن داود الواسطي، قال: ثنا أبو أسامة، عن إسماعيل، عن أبي صالح في قوله: ﴿وإنّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائي﴾ قال: العصبة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، عن إسماعيل، عن أبي صالح في قوله ﴿وإنّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائي﴾ قال: خاف مواليَ الكلالة.

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح بنحوه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح ﴿وإنّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائي﴾ قال: يعني الكلالة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائي﴾ قال: العَصَبة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله: ﴿**وإنّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائي**﴾ قال: العصبة.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وإنّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائي**﴾ والموالي: هنّ العصبة، والموالي: جمع مولى، والمولى والوليّ في كلام العرب واحد.

وقرأت قراء الأمصار: ﴿**وإنّي خِفْتُ المَوَالِيَ**﴾ بمعنى: الخوف الذي هو خلاف الأمن. وروي عن عثمان بن عفان أنه قرأه: «وإنّي خَفَّتِ المَوَالِيَ» بتشديد الفاء وفتح الخاء من الخفة، كأنه وجه تأويل الكلام: وإني ذهبت عصبتي ومن يرثني من بني أعمامي. وإذا قريء ذلك كذلك كانت الياء من الموالي مسكنة غير متحركة، لأنها تكون في موضع رفع بخفَّتْ.

وقوله: ﴿**وكانَتِ امْرأتي عاقِراً**﴾ يقول: وكانت زوجتي لا تلد، يقال منه: رجل عاقر، وامرأة عاقر بلفظ واحد، كما قال الشاعر:

لَبِئْسَ الفَتى أنْ كُنْتُ أعْوَرَ عاقِراً جَباناً فَمَا عُذْرِي لَدَى كُلّ مَحْضَرِ(١)

وقوله: ﴿**فَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً**﴾ يقول: فارزقني من عندك ولداً وارثاً ومعيناً.

وقوله: ﴿**يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ**﴾ يقول: يرثني من بعد وفاتي مالي، ويرث من آل يعقوب النبوّة، وذلك أن زكريا كان من ولد يعقوب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، عن إسماعيل، عن أبي صالح، قوله ﴿**يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ**﴾ يقول: يرث مالي، ويرث من آل يعقوب النبوّة.

حدثنا مجاهد، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا إسماعيل، عن أبي صالح في قوله ﴿**يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ**﴾ قال: يرث مالي، ويرث من آل يعقوب النبوّة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله ﴿**يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ**﴾ قال: يرثني مالي، ويرث من آل يعقوب النبوّة.

---

(١) البيت في ديوان عامر بن الطفيل، طبعة ليدن سنة ١٩١٣. والرواية فيه «فبئس» في مكان: «لبئس». وفي «**اللسان**»: العاقر التي لا تحمل، ورجل عاقر: لا يولد له، ونساء عقر، ورجال عقر، بضم العين وتشديد القاف المفتوحة. وقد استشهد به المؤلف على معنى العاقر، في سورة آل عمران (٣/ ٢٥٧) وأعاده في هذا الموضع، ومحل الاستشهاد في الموضعين واحد.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنَ آلِ يَعْقُوبَ﴾ قال: يكون نبياً كما كانت آباؤه أنبياء.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ قال: وكان وراثته علماً، وكان زكريا من ذرّية يعقوب.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: كان وراثته علماً، وكان زكريا من ذرية يعقوب.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، عن الحسن، في قوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ قال: نبوّته وعلمه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، عن مبارك، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَرحِمَ اللَّهُ أخِي زَكَرِيا، ما كانَ عَلَيهِ مِنْ وَرَثَةِ مالِهِ حِينَ يَقُولُ فَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ وَلِياً، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ**».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنَ آلِ يَعْقُوبَ﴾ قال: كان الحسن يقول: يرث نبوّته وعلمه. قال قتادة: ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية، وأتى على ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ قال: «**رحم الله زكريا ما كان عليه من ورثته**».

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، أن النبيّ ﷺ، قال: «**يَرْحَمُ اللَّهُ زَكَرِيَّا وَما كانَ عَلَيهِ مِنْ وَرَثَتِهِ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ لُوطاً إنْ كانَ لَيَأْوِي إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ**».

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿فَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ وَلِياً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ قال: يرث نبوّتي ونبوّة آل يعقوب.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ فقرأت ذلك عامّة قرّاء المدينة ومكة وجماعة من أهل الكوفة: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾ برفع الحرفين كليهما، بمعنى: فهب الذي يرثني ويرث من آل يعقوب، على أن يرثني ويرث من آل يعقوب، من صلة الوليّ. وقرأ ذلك جماعة من قرّاء أهل الكوفة والبصرة: «يَرِثْنِي ويَرِثْ» بجزم الحرفين على الجزاء والشرط، بمعنى: فهب لي من لدنك ولياً فإنه يرثني إذا وهبته لي. وقال الذين قرأوا ذلك كذلك: إنما حسُن ذلك في هذا الموضع، لأن يرثني من آية غير التي قبلها. قالوا: وإنما يحسُن أن يكون مثل هذا صلة، إذا كان غير منقطع عما هو له صلة، كقوله: ﴿رِدْءاً يُصَدِّقُنِي﴾.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأه برفع الحرفين على الصلة للوليّ، لأنّ الوليّ نكرة، وأن زكريا إنما سأل ربه أن يهب له ولياً يكون بهذه الصفة، كما رُوي عن رسول الله ﷺ، لا أنه سأله ولياً، ثم أخبر أنه إذا وهب له ذلك كانت هذه صفته، لأن ذلك لو كان كذلك، كان ذلك من زكريا دخولاً في علم الغيب الذي قد حجبه الله عن خلقه.

وقوله: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾ يقول: واجعل يا ربّ الوليّ الذي تهبه لي مرضياً ترضاه أنت ويرضاه عبادك ديناً وخُلُقاً وخَلْقاً. والرضي: فعيل صرف من مفعول إليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فاستجاب له ربه، فقال له: يا زكريا إنا نبشرك بهبتنا لك غلاماً اسمه يحيى. كان قتادة يقول: إنما سماه الله يحيى لإحيائه إياه بالإيمان.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿يا زَكَرِيَّا إنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ عبد أحياه الله للإيمان.

وقوله: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه لم تلد مثله عاقر قط. ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ليحيى: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً﴾ يقول: لم تلد العواقر مثله ولداً قط.

وقال آخرون: بل معناه: لم نجعل له من قبله مثلاً. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو الربيع، قال: ثنا سالم بن قتيبة، قال: أخبرنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، في قوله ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً﴾ قال: شبيهاً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً﴾ قال: مثلاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك، أنه لم يسمّ باسمه أحد قبله. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً﴾ لم يسمّ به أحد قبله.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً﴾ قال: لم يسمّ يحيى أحد قبله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قول الله: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً﴾ قال: لم يسمّ أحد قبله بهذا الاسم.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿إنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بغُلامٍ اسمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً﴾ لم يسمّ أحد قبله يحيى.

قال أبو جعفر: وهذا القول أعني قول من قال: لم يكن ليحيى قبل يحيى أحد سمي باسمه أشبه بتأويل ذلك، وإنما معنى الكلام: لم نجعل للغلام الذي نهب لك الذي اسمه يحيى من قبله أحداً مسمى باسمه. والسميّ: فعيل صرف من مفعول إليه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال زكريا لما بشره الله بيحيى: ﴿ربّ أنّى يكونُ لي غُلام﴾، ومن أيّ وجه يكون لي ذلك، وامرأتي عاقر لا تحبل، وقد ضعُفت من الكبر عن مباضعة النساء بأن تقوّيني على ما ضعفت عنه من ذلك، وتجعل زوجتي ولوداً، فإنك القادر على ذلك وعلى ما تشاء، أم بأن أنكح زوجة غير زوجتي العاقر، يستثبت ربه الخبر، عن الوجه الذي يكون من قبله له الولد، الذي بشره الله به، لا إنكاراً منه ﷺ حقيقة كون ما وعده الله من الولد، وكيف يكون ذلك منه إنكاراً لأن يرزقه الولد الذي بشّره به، وهو المبتدىء مسألة ربه ذلك بقوله: ﴿فَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ بعد قوله ﴿إنّي وَهَنَ العَظْمُ مِنّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾. وقال السدّي في ذلك ما:

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: نادى جبرائيل زكريا: ﴿إنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً﴾ فلما سمع النداء، جاءه الشيطان فقال: يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس من الله، إنما هو من الشيطان يسخر

بك، ولو كان من الله أوحاه إليك كما يوحي إليك غيره من الأمر، فشكّ وقال: ﴿أنّى يَكُونُ لي غُلامٌ﴾ يقول: من أين يكون ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الكِبَرُ وَامْرَأتِي عاقِرٌ﴾.

وقوله: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيّاً﴾ يقول: وقد عتوت من الكبر فصرت نحل العظام يابسها، يقال منه للعود اليابس: عود عاتٍ وعاس، وقد عتا يعتو عِتِيّاً وعُتُوّاً، وعسى يعسو عِسِيّاً وعسوّاً، وكلّ متناه إلى غايته في كبر أو فساد، أو كفر، فهو عات وعاس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قد علمتُ السنة كلها، غير أني لا أدري أكان رسول الله ﷺ يقرأ في الظهر والعصر أم لا، ولا أدري كيف كان يقرأ هذا الحرف: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيّاً﴾ أو «عِسِيّاً».

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيّاً﴾ قال: يعني بالعِتيّ: الكبر..

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿عِتِيّاً﴾ قال: نُحول العظم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ﴿مِنَ الكِبَرِ عِتِيّاً﴾ قال: سنّاً، وكان ابن بضع وسبعين سنة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيّاً﴾ قال: العتيّ: الذي قد عتا عن الولد فيما يرى نفسه لا يولد له.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكبَرِ عتيّاً﴾ قال: هو الكبر.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠﴾.

يقول تعالى ذكره: قال الله لزكريا مجيباً له ﴿قالَ كَذلكَ﴾ يقول: هكذا الأمر كما تقول من

أنّ امرأتك عاقر، وأنك قد بلغت من الكبر العتيّ، ولكن ربك يقول: خلْق ما بشَّرتك به من الغلام الذي ذكرت لك أن اسمه يحيى عليّ هين، فهو إذن من قوله: **﴿قالَ رَبُّكَ هُوَ عَليَّ هَيِّنٌ﴾** كناية عن الخلق.

وقوله: **﴿وَقَدْ خلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ ولَمْ تَك شَيْئاً﴾** يقول تعالى ذكره: وليس خلق ما وعدتك أن أهبه لك من الغلام الذي ذكرت لك أمره منك مع كبر سنك، وعقم زوجتك بأعجب من خلقيك، فإني قد خلقتك، فأنشأتك بشراً سوياً من قبل خلقي ما بشرتك بأني واهبه لك من الولد، ولم تك شيئاً، فكذلك أخلق لك الولد الذي بشرتك به من زوجتك العاقر، مع عِتيك ووهن عظامك، واشتعال شيب رأسك.

وقوله: **﴿قالَ رَبِّ اجْعَلْ لي آيَةً﴾** يقول تعالى ذكره: قال زكريا: يا ربِّ اجعل لي علماً ودليلاً على ما بشَّرتني به ملائكتك من هذا الغلام عن أمرك ورسالتك، ليطمئنّ إلى ذلك قلبي. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿قالَ رَبِّ اجْعَلْ لي آيَةً﴾** قال: قال ربِّ اجعل لي آية أن هذا منك.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: قال ربّ، فإن كان هذا الصوت منك فاجعل لي آية.

﴿قال الله ﴿آيَتُكَ﴾ لذلك **﴿ألاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيّاً﴾** يقول جلّ ثناؤه: علامتك لذلك، ودليلك عليه أن لا تكلم الناس ثلاث ليال وأنت سويّ صحيح، لا علة بك من خرس ولا مرض يمنعك من الكلام. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد، عن ابن عباس **﴿ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيّاً﴾** قال: اعتقل لسانه من غير مرض.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله **﴿ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيّاً﴾** يقول: من غير خرس.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله **﴿ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيّاً﴾** قال: لا يمنعك من الكلام مرض.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد **﴿ألاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيّاً﴾** قال: صحيحاً لا يمنعك من الكلام مرض.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**قالَ آيَتُكَ ألاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيّاً**﴾ من غير بأس ولا خرس، وإنما عوقب بذلك لأنه سأل آية بعد ما شافهته الملائكة مشافهة، أُخذ بلسانه حتى ما كان يفيض الكلام إلا أومأ إيماء.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، عن عكرمة، في قوله ﴿**ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيّاً**﴾ قال: سويا من غير خرس.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**قالَ آيَتُكَ ألاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيّاً**﴾ وأنت صحيح، قال: فحبس لسانه، فكان لا يستطيع أن يكلم أحداً، وهو في ذلك يسبح، ويقرأ التوراة ويقرأ الإنجيل، فإذا أراد كلام الناس لم يستطع أن يكلمهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لايتهم، عن وهب بن منبه اليماني، قال: أخذ الله بلسانه من غير سوء، فجعل لا يطيق الكلام، وإنما كلامه لقومه بالإشارة، حتى مضت الثلاثة الأيام التي جعلها الله آية لمصداق ما وعده من هبته له.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**قالَ آيَتُكَ ألاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيّاً**﴾ يقول: من غير خَرَس إلا رمزاً، فاعتُقل لسانه ثلاثة أيام وثلاث ليال.

وقال آخرون: السويّ من صفة الأيام، قالوا: ومعنى الكلام: قال: آيتك ألاّ تكلم الناس ثلاث ليال متتابعات. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**قالَ آيَتُكَ ألاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيّاً**﴾: قال: ثلاث ليال متتابعات.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فخرج زكريا على قومه من مُصَلاه حين حُبس لسانه عن كلام الناس، آية من الله له على حقيقة وعده إياه ما وعد. فكان ابن جريج يقول في معنى خروجه من محرابه، ما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ﴿**فَخَرَجَ على قَوْمِهِ مِنَ المِحْرابِ**﴾ قال: أشرف على قومه من المحراب.

قال أبو جعفر: وقد بيَّنا معنى المحراب فيما مضى قبل، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ**﴾ قال: المحراب: مُصَلاه، وقرأ: ﴿**فَنَادَتْهُ المَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرَابِ**﴾.

وقوله: ﴿**فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ**﴾ يقول: أشار إليهم، وقد تكون تلك الإشارة باليد وبالكتاب وبغير ذلك، مما يفهم به عنه ما يريد. وللعرب في ذلك لغتان: وَحَى، وأوحى؛ فمن قال: وَحَى، قال في يفعل: يَحِي ومن قال: أوحى، قال: يُوحِي، وكذلك أَومَى ووَمَى، فمن قال: وَمَى، قال في يفعل يَمِي ومن قال أَومَى، قال يُومِي.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي به أوحى إلى قومه، فقال بعضهم: أوحى إليهم إشارة باليد. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**فَأَوْحَى**﴾: فأشار زكريا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه ﴿**فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ**﴾ قال: الوحي: الإشارة.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة ﴿**فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ**﴾ قال: أومى إليهم.

وقال آخرون: معنى أوحى: كتب. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمود بن خداش، قال: ثنا عباد بن العوّام، عن سفيان بن حسين، عن الحكم، عن مجاهد، في قول الله تعالى: ﴿**فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً**﴾ قال: كتب لهم في الأرض.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن الثوريّ، عن ابن أبي ليلى، عن الحكم ﴿**فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ**﴾ قال: كتب لهم.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ المِحْرَابِ**﴾ فكتب لهم في كتاب ﴿**أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً**﴾، وذلك قوله: ﴿**فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ**﴾.

وقال آخرون: معنى ذلك: أمرهم. ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾ قال: ما أدري كتاباً كتبه لهم، أو إشارة أشارها، والله أعلم، قال: أمرهم أن سبّحوا بكرة وعشياً، وهو لا يكلمهم.

وقوله: ﴿أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾ قد بيَّنت فيما مضى الوجوه التي ينصرف فيها التسبيح، وقد يجوز في هذا الموضع أن يكون عَنَى به التسبيح الذي هو ذكر الله، فيكون أمرهم بالفراغ لذكر الله في طرفي النهار بالتسبيح، ويجوز أن يكون عنى به الصلاة، فيكون أمرهم بالصلاة في هذين الوقتين. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

حدثنا به الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾ قال: أَوْمَى إليهم أن صلوا بكرة وعشياً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فولد لزكريا يحيى، فلما ولد، قال الله له: يا يحيى، خذ هذا الكتاب بقوّة، يعني كتاب الله الذي أنزله على موسى، وهو التوراة. بقوّة، يقول: بجدّ. كما:

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿خُذِ الكِتابَ بِقُوَّةٍ﴾ قال: بجدّ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿خُذِ الكِتابَ بِقُوَّةٍ﴾ قال: بجدّ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

وقال ابن زيد في ذلك ما:

حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يا يَحْيَى خُذِ الكِتابَ بِقُوَّةٍ﴾ قال: القوّة: أن يعمل ما أمره الله به، ويجانب فيه ما نهاه الله.

قال أبو جعفر: وقد بيَّنت معنى ذلك بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا، في سورة آل عمران، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿وآتَيناهُ الحُكْمَ صَبِيّاً﴾ يقول تعالى ذكره: وأعطيناه الفهم لكتاب الله في حال صباه قبل بلوغه أسنان الرجال. وقد:

حدثنا أحمد بن منيع، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرني معمر، ولم يذكره عن أحد في هذه الآية ﴿وآتَيناهُ الحُكْمَ صَبِيّاً﴾ قال: بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى: اذهب بنا نلعب، فقال: ما للعب خُلِقتُ، فأنزل الله: ﴿وآتَيناهُ الحُكْمَ صَبِيّاً﴾.

وقوله: ﴿وَحَناناً مِنْ لَدُنَّا﴾ يقول تعالى ذكره: ورحمة منا ومحبة له آتيناه الحكم صبياً.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى الحنان، فقال بعضهم: معناه: الرحمة، ووجهوا الكلام إلى نحو المعنى الذي وجهناه إليه. ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَحَناناً مِنْ لَدُنَّا﴾ يقول: ورحمة من عندنا.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك، عن عكرمة، في هذه الآية ﴿وَحَناناً مِنْ لَدُنَّا﴾ قال: رحمة.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَحَناناً مِنْ لَدُنَّا﴾ قال: رحمة من عندنا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك، قوله: ﴿وَحَناناً مِنْ لَدُنَّا﴾ قال: رحمة من عندنا لا يملك عطاءها أحد غيرنا.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿وَحَناناً مِنْ لَدُنَّا﴾ يقول: رحمة من عندنا، لا يقدر على أن يعطيها أحد غيرنا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ورحمة من عندنا لزكريا، آتيناه الحكم صبياً، وفعلنا به الذي فعلنا. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَحَناناً مِنْ لَدُنَّا﴾ يقول: رحمة من عندنا.

وقال آخرون: معنى ذلك: وتعطفاً من عندنا عليه، فعلنا ذلك. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَحَناناً مِنْ لَدُنَّا﴾ قال: تعطفاً من ربه عليه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

وقال آخرون: بل معنى الحنان: المحبة. ووجهوا معنى الكلام إلى: ومحبة من عندنا فعلنا ذلك. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن يحيى بن سعيد، عن عكرمة ﴿وَحَناناً مِنْ لَدُنَّا﴾ قال: محبة عليه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَحَناناً﴾ قال: أما الحَنان فالمحبة.

وقال آخرون معناه تعظيماً منا له. ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو تميلة، عن أبي حمزة، عن جابر، عن عطاء بن أبي رباح ﴿وَحَناناً مِنْ لَدُنَّا﴾ قال: تعظيماً من لدنا. وقد ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لا أدري ما الحنان.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة، عن ابن عباس، قال: والله ما أدري ما حناناً.

وللعرب في حَنَانَك لغتان: حَنَانَك يا ربنا، وحَنانَيك كما قال طَرَفة بن العبد في حنانيك:

أبـا مُـنْـذِرٍ أفْـنَـيْـتَ فـاسْـتَـبْـقِ بَـعْـضَـنـا ... حَنانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ أهْوَنُ مِن بعض(1)

وقال امرؤ القيس في اللغة الأخرى:

ويَـمْـنَـحُـهـا بَـنُـو شَـمَـجَـي بْـنِ جَـرْمٍ ... مَـعِـيـزَهُـمُ حَـنـانَـكَ ذَا الـحَـنـانِ(2)

---

(١) البيت لطرفة بن العبد البكري «اللسان» حنن. والشاهد في قوله حنانيك، أي تحننا على بعد تحنن. وحكى الأزهري عن الليث: حنانيك يا فلان افعل كذا، ولا تفعل كذا، يذكره الرحمة والبر، وأنشد بيت طرفة. قال ابن سيده: وقد قالوا حناناً فصلوه من الإضافة في الإفراد وكل ذلك بدل من اللفظ بالفعل.

(٢) البيت لامرىء القيس بن حجر «اللسان»: حنن و «**مختار الشعر الجاهلي**»، بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي (ص ـ ١١٠) قال شارحه ويمنحها: هذه رواية الأصمعي أي يعطيها. ويروي: ويمنعها، وهي أشبه بمعنى البيت. وقوله حنانك ذا الحنان، فسره ابن الأعرابي: رحمتك يا رحمٰن، فأغنني عنهم. وعلى أية حال. فالشاعر برم بمجاورة بني شمجي بن جرم، متسخط فعلهم، زار عليهم، إذا منعوه المعزى. فأما إذا منحوه إياها (على رواية الأصمعي) فإنه يكون ساخطاً، لاضطراره إلى أن يقبل منح أمثالهم مع ماله من الشرف والعراقة في الملك؛ كأنه يقول في نفسه: أبعد ما كان لنا من العز الشامخ تذل نفسي وتضطر إلى قبول المنح والصلات من الناس وفي «**اللسان**» فرواية الأعرابي تسخط وذم، وكذلك تفسيره؛ ورواية الأصمعي: تشكر وحمد ودعاء لهم، وكذلك تفسيره.

وقد اختلف أهل العربية في «حنانيك» فقال بعضهم: هو تثنية «حنان». وقال آخرون: بل هي لغة ليست بتثنية قالوا: وذلك كقولهم: حَوَاليك وكما قال الشاعر:

ضَـرْبـاً هَـذَا ذَيْـكَ وطَـعْـنـاً وَخْـضـاً[١]

وقد سوّي بين جميع ذلك الذين قالوا حنانيك تثنية، في أن كل ذلك تثنية. وأصل ذلك أعني الحنان، من قول القائل: حنّ فلان إلى كذا، وذلك إذا ارتاح إليه واشتاق، ثم يقال: تحَنَّنَ فلان على فلان، إذا وصف بالتعطُّف عليه والرقة به، والرحمة له، كما قال الشاعر:

تَـحَـنَّـنْ عَـلَـيَّ هَـدَاكَ الـمَـلِـيـكُ ... فـإنَّ لِـكُـلِّ مَـقـامٍ مَـقـالا[٢]

بمعنى: تعطَّف عليّ. فالحنان: مصدر من قول القائل: حنّ فلان على فلان، يقال منه: حننت عليه، فأنا أحنّ عليه حنيناً وحناناً، ومن ذلك قيل لزوجة الرجل: حَنَّته، لتحننه عليها وتعطفه، كما قال الراجز:

وَلَـيْـلَـةٍ ذَاتِ دُجًـى سَـرَيْـتُ ... ولَـم تَـضِـرْنِـي حَـنَّـةٌ وَبَـيْـتُ[٣]

وقوله: ﴿وَزَكَاةً﴾ يقول تعالى ذكره: وآتينا يحيى الحكم صبياً، وزكاة: وهو الطهارة من الذنوب، واستعمال بدنه في طاعة ربه، فالزكاة عطف على الحكم من قوله: ﴿وآتَيناهُ الحُكْمَ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وزَكاةً﴾ قال: الزكاة: العمل الصالح.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿وزَكاةً﴾ قال: العمل الصالح الزكيّ.

---

(١) البيت في «اللسان» هذذ غير منسوب. قال: الهذ والهذذ: سرعة القطع وسرعة القراءة. قال: ضربا هذا ذيك: أي هذا بعد هذا، يعني قطعاً بعد قطع. وعلى هذا استشهد به المؤلف... والوخض: قال الأصمعي: إذا خالطت الطعنة الجوف ولم تنفذ، فذلك الوخض والوخط ا هـ. يقال: وخضه بالرمح وخضاً.

(٢) البيت للحطيئة «لسان العرب»: حنن. قال: وتحنن عليه: ترحم، وأنشد ابن بري للحطيئة: تحنن على... البيت.

(٣) هذان بيتان من مشطور الرجز، لأبي محمد الفقعسي، وبينهما بيت ثالث، وهو قوله:

ولـم يـلـتـنـي عـن سـراهـا لـيـت

«اللسان» حنن. وقد استشهد بالبيتين الأولين منهما صاحب «اللسان» في (ليت). واستشهد بهما المؤلف في أول الجزء الخامس عشر عند تفسير قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ وموضع الشاهد هنا في البيت الثالث وهو قوله: «حنة». قال: وحنة الرجل: امرأته، قال أبو محمد الفقعسي: «وليلة»... الخ الأبيات الثلاثة. قال: وهي طلته وكنينته ونهضته وحاصنته وحاضنته.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول: في قوله ﴿**وزَكاةً**﴾ يعني العمل الصالح الزاكيّ.

وقوله: ﴿**وكانَ تَقِياً**﴾ يقول تعالى ذكره: وكان لله خائفاً مؤدّياً فرائضه، مجتنباً محارمه مسارعاً في طاعته. كما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**وَزَكاةً وكانَ تَقِياً**﴾ قال: طهر فلم يعمل بذنب.

حدثني يونس، قال: خبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَزَكاةً وكانَ تَقِياً**﴾ قال: أما الزكاة والتقوى فقد عرفهما الناس.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيًّا (١٥)﴾.

يقول تعالى ذكره: وكان برّاً بوالديه، مسارعاً في طاعتهما ومحبتهما، غير عاقّ بهما ﴿**ولَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِياً**﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولم يكن مستكبراً عن طاعة ربه وطاعة والديه، ولكنه كان لله ولوالديه متواضعاً متذللاً، يأتمر لما أمر به، وينتهي عما نُهي عنه، لا يَعْصِي ربه، ولا والديه.

وقوله: ﴿**عَصِياً**﴾ فعيل بمعنى أنه ذو عصيان، من قول القائل: عَصَى فلان ربه، فهو يعصيه عصياً.

وقوله: ﴿**سَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ ويَوْمَ يَمُوتُ ويَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً**﴾ يقول: وأمان من الله يوم ولد، من أن يناله الشيطان من السوء، بما ينال به بني آدم، وذلك أنه رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ يَأْتِي يَوْمَ القِيامَةِ وَلَهُ ذَنْبٌ إلاَّ ما كانَ مِنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا**».

حدثنا بذلك ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: ثني ابن العاص، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ذلك.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**جَبَّاراً عَصِياً**﴾ قال: كان ابن المسيب يذكر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْ أحَدٍ يَلْقَى اللَّهَ يَوْمَ القِيامَةِ، إلا ذَا ذَنْبٍ، إلا يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا**».

قال: وقال قتادة: ما أذنب، ولا هم بامرأة.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ يقول: وأمان من الله تعالى ذكره له من فَتَّانَي القبر، ومن هول المطلع ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَياً﴾ يقول: وأمان له من عذاب الله يوم القيامة، يوم الفزع الأكبر، من أن يروعه شيء، أو أن يفزعه ما يفزع الخلق. وقد ذكر ابن عيينة في ذلك ما:

حدثني أحمد بن منصور الفَيروزيّ، قال: أخبرني صدقة بن الفضل قال: سمعت ابن عطية يقول: أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يُبعث فيرى نفسه في محشر عظيم، قال: فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا، فخصه بالسلام عليه، فقال ﴿وسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ ويَوْمَ يَمُوتُ ويَوْمَ يُبْعَثُ حَياً﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، أن الحسن قال: إن عيسى ويحيى التقيا فقال له عيسى: استغفر لي أنت خير مني، فقال له الآخر: استغفر لي، أنت خير مني، فقال له عيسى: أنت خير مني، سَلَّمت على نفسي، وسلَّم الله عليك، فعرف والله فضلها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد في كتاب الله الذي أنزله عليك بالحقّ مريم ابنة عمران، حين اعتزلت من أهلها، وانفردت عنهم، وهو افتعل من النَّبذ، والنَّبذ: الطَّرح، وقد بيَّنا ذلك بشواهده فيما مضى قبلُ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتابِ مَرْيَمَ إذِ انْتَبَذَتْ﴾ أي انفردت من أهلها.

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن الصَّلْت، قال: ثنا أبو كُدَينة، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿إذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أهْلِها مَكاناً شَرْقِياً﴾ قال: خرجت مكاناً شرقياً.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: خرجت مريم إلى جانب المحراب لحيض أصابها، وهو قوله: فانتبذت[1] من أهلها مكاناً شرقياً: في شرقيّ المحراب.

(١) كذا هنا، وفي موضعين بعد: فانتبذت، والقراءة: إذ انتبذت.

وقوله: ﴿مَكاناً شَرْقِيّاً﴾ يقول: فتنحت واعتزلت من أهلها في موضع قِبَلَ مَشرق الشمس دون مَغربها، كما:

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿مَكاناً شَرْقِيّاً﴾ قال: من قِبَل المشرق.

حدثني إسحاق بن شاهين، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن داود، عن عامر، عن ابن عباس، قال: إني لأعلم خلق الله لأيّ شيء اتخذت النصارى المشرق قبلة؟ لقول الله: فانتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثني عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر، عن ابن عباس مثله.

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: أخبرنا محمد بن الصَّلْت، قال: ثنا أبو كُدَينة، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: إن أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلى البيت، والحجّ لله، وما صرفهم عنهما إلا قيل ربك ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَكاناً شَرْقِيّاً﴾ فصلوا قبل مطلع الشمس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَكاناً شَرْقِيّاً﴾ قال: شاسعاً متنحياً، وقيل: إنها إنما صارت بمكان يلي مشرق الشمس، لأن ما يلي المشرق عندهم كان خيراً مما يلي المغرب، وكذلك ذلك فيما ذُكر عند العرب.

وقوله: ﴿فاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً﴾ يقول: فاتخذت من دون أهلها ستراً يسترها عنهم وعن الناس. وذُكر عن ابن عباس، أنها صارت بمكان يلي المشرق، لأن الله أظلها بالشمس، وجعل لها منها حجاباً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَكاناً شَرْقِيّاً﴾ قال: مكاناً أظلتها الشمس أن يراها أحد منهم.

وقال غيره في ذلك ما.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿فاتَّخَذَتْ مِنْ دونِهِمْ حِجاباً﴾ من الجدران.

وقوله: ﴿فأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا﴾ يقول تعالى ذكره: فأرسلنا إليها حين انتبذت من أهلها مكاناً

شرقياً، واتخذت من دونهم حجاباً: جبريل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فأَرْسَلْنا إلَيْها رُوحَنا**﴾ قال: أرسل إليها فيما ذُكر لنا جبريل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه، قال: وجدت عندها جبريل قد مثله الله بشراً سوياً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿**فأرْسَلْنا إلَيْها رُوحَنا**﴾ قال: جبريل.

حدثني محمد بن سهل، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: ثني عبد الصمد بن معقل ابن أخي وهب، قال: سمعت وهب بن منبه، قال: أرسل الله جبريل إلى مريم، فَمَثَلَ لها بشراً سوياً.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: فلما طهرت، يعني مريم من حيضها، إذا هي برجل معها، وهو قوله: ﴿**فأرْسَلْنا إلَيْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيّاً**﴾ يقول تعالى ذكره: فتشبه لها في صورة آدميّ سويّ الخلق منهم، يعني في صورة رجل من بني آدم معتدل الخلق.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فخافت مريم رسولنا، إذ تمثَّل لها بشراً سوياً، وظنته رجلاً يريدها على نفسها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله ﴿**إنّي أعُوذُ بالرَّحْمَنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقِيّاً**﴾ قال: خشيت أن يكون إنما يريدها على نفسها.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً**﴾ فلما رأته فزعت منه وقالت: ﴿**إنّي أعُوذُ بالرَّحْمَنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقِيّاً**﴾.

فقالت: إني أعوذ أيها الرجل بالرحمن منك، تقول: أستجير بالرحمن منك أن تنال مني ما

حرّمه عليك إن كنت ذا تقوى له تتقي محارمه، وتجتنب معاصيه لأن من كان لله تقياً، فإنه يجتنب ذلك. ولو وجه ذلك إلى أنها عَنَت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تتقي الله في استجارتي واستعاذتي به منك كان وجهاً. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه **﴿قالَتْ إنّي أعُوذُ بالرَّحْمَنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقِياً﴾** ولا ترى إلا أنه رجل من بني آدم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو بكر، عن عاصم، قال: قال ابن زيد: وذكر قَصَص مريم فقال: قد علمت أن التقيّ ذو نُهية حين قالت: **﴿إنّي أعُوذُ بالرَّحْمَنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقِياً قالَ إنّمَا أنا رَسُولُ رَبِّكِ﴾**.

يقول تعالى ذكره: فقال لها روحنا: إنما أنا رسول ربك يا مريم أرسلني إليك **﴿لأهَبَ لكِ غُلاماً زَكياً﴾**.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والعراق غير أبي عمرو: **﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾** بمعنى: إنما أنا رسول ربك: يقول: أرسلني إليك لأهب لك **﴿غُلاَماً زَكِيّاً﴾** على الحكاية. وقرأ ذلك أبو عمرو بن العلاء: «لِيَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً» بمعنى: إنما أنا رسول ربك أرسلني إليك ليهب الله لك غلاماً زكياً.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك، ما عليه قرّاء الأمصار، وهو **﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾** بالألف دون الياء، لأن ذلك كذلك في مصاحف المسلمين، وعليه قراءة قديمهم وحديثهم، غير أبي عمرو، وغير جائز خلافهم فيما أجمعوا عليه، ولا سائغ لأحد خلاف مصاحفهم، والغلام الزكيّ: هو الطاهر من الذنوب وكذلك تقول العرب: غلام زاكٍ وزكيّ، وعال وعليّ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قالت مريم لجبريل: **﴿أنّى يَكُونُ لي غُلامٌ﴾** من أيّ وجه يكون لي غلام؟ أمن قِبَل زوج أتزوّج، فأرزقه منه، أم يبتدىء الله فيّ خلقه ابتداء **﴿ولَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾** من ولد آدم بنكاح حلال **﴿ولَمْ أكُ﴾** إذ لم يمسسني منهم أحد على وجه الحلال **﴿بَغِياً﴾** بغيت ففعلت ذلك من الوجه الحرام، فحملته من زنا، كما:

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿ولَمْ أكُ بَغِيّاً﴾ يقول: زانية.

﴿قالَ كَذلكِ قالَ رَبُّكِ هُوَ عَليَّ هَيِّنٌ﴾ يقول تعالى ذكره: قال لها جبريل: هكذا الأمر كما تصفين، من أنك لم يمسسك بشر ولم تكوني بغياً، ولكن ربك قال: هو عليّ هين: أي خَلْق الغلام الذي قلت أن أهبه لك عليّ هين لا يتعذّر عليّ خلقه وهبته لك من غير فحل يفتحلك.

﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً للنَّاسِ﴾ يقول: وكي نجعل الغلام الذي نهبه لك علامة وحجة على خلقي أهبه لك. ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ يقول: ورحمة منا لك، ولمن آمن به وصدّقه أخلقه منك ﴿وكانَ أمْراً مَقْضِيّاً﴾ يقول: وكان خلقه منك أمراً قد قضاه الله، ومضى في حكمه وسابق علمه أنه كائن منك. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني من لا أتهم، عن وهب بن منبه ﴿وكانَ أمْراً مَقْضِيّاً﴾ أي إن الله قد عزم على ذلك، فليس منه بدّ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾.

وفي هذا الكلام متروك تُرِك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر منه عنه ﴿فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا﴾ بغلام ﴿فَحَمَلَتْهُ فانْتَبَذَتْ بِهِ مَكاناً قَصِيّاً﴾ وبذلك جاء تأويل أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سهل، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: ثني عبد الصمد بن معقِل ابن أخي وهب بن منبه، قال: سمعت وهباً قال: لما أرسل الله جبريل إلى مريم تمثَّل لها بشراً سوياً فقالت له: ﴿إنّي أعُوذُ بالرَّحْمَنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقِيّاً﴾ ثم نفخ في جيب درعها حتى وصلت النفخة إلى الرحم فاشتملت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه اليماني، قال: لما قال ذلك، يعني لما قال جبريل ﴿قالَ كذلكِ قالَ رَبُّكَ هُوَ عَليَّ هَيِّنٌ...﴾ الآية استسلمت لأمر الله، فنفخ في جيبها ثم انصرف عنها.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: طرحَتْ عليها

جلبابها لما قال جبريل ذلك لها، فأخذ جبريل بكميها، فنفخ في جيب درعها، وكان مشقوقاً من قُدامها، فدخلت النفخة صدرها، فحملت، فأتتها أختها امرأة زكريا ليلة تزورها فلما فتحت لها الباب التزمتها، فقالت امرأة زكريا: يا مريم أشعرت أني حبلى، قالت مريم: أشعرت أيضاً أني حُبلى، قالت امرأة زكريا: إني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك، فذلك قوله ﴿**مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ**﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: يقولون: إنه إنما نفخ في جيب درعها وكمها.

وقوله: ﴿**فانْتَبَذَتْ بِهِ مَكانا قَصِيّاً**﴾ يقول: فاعتزلت بالذي حملته، وهو عيسى، وتنحّت به عن الناس ﴿**مكاناً قَصِيّاً**﴾ يقول: مكاناً نائياً قاصياً عن الناس، يقال: هو بمكان قاص، وقصيّ بمعنى واحد، كما قال الراجز:

لَتَقْعُدِنَّ مَقْعَدَ القَصِيِّ مِنِّي ذي القاذُورَةِ المَقْلِيّ(١)

يقال منه: قصا المكان يقصو قصوا: إذا تباعد، وأقصيت الشيء: إذا أبعدته وأخّرته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فانْتَبَذَتْ بِهِ مَكاناً قَصِيّاً**﴾ قال: مكاناً نائياً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**مَكاناً قَصِيّاً**﴾ قال: قاصياً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

---

(١) البيتان لرؤبة بن العجاج الراجز انظر فرائد القلائد في «**مختصر شرح الشواهد**» للعيني (ص ـ ١١٥ ـ ١١٦) وبعدهما بيتان آخران وهما:

أو تحلفي بربك العلي أني أبو ذيالك الصبي

ومقعد القصي: إما مفعول مطلق، على أن يكون المقعد بمعنى القعود أو على أنه مفعول فيه، أي في مقعد القصي، أي البعيد، من قصا المكان يقصو: إذا بعد. ويقال رجل قاذورة: أي لا يخالط الناس، لسوء خلقه. والمقلي المبغض من قلاه يقليه قلي بالكسر. وهما صفتان للقصي. وفي «**لسان العرب**»: قصا قصاً عنه قصوا وقصا وقصاء، وقصي (بكسر الصاد): بعد. وقصا المكان يقصو قصواً (على فعول): بعد. والقصي والقاصي: البعيد، والجمع: أقصاء فيهما، كشاهد وأشهاد، ونصير وأنصار.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: لما بلغ أن تضع مريم، خرجت إلى جانب المحراب الشرقي منه فأتت أقصاه.

وقوله: ﴿**فأجاءَها المَخاضُ إلى جِذْعِ النَّخْلَةِ**﴾ يقول تعالى ذكره: فجاء بها المخاض إلى جذع النخلة، ثم قيل: لما أسقطت الباء منه أجاءها، كما يقال: أتيتك بزيد، فإذا حذفت الباء قيل آتيتك زيداً، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿**آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ**﴾ والمعنى: ائتوني بزُبرَ الحديد، ولكن الألف مُدّت لما حذفت الباء، وكما قالوا: خرجت به وأخرجته، وذهبت به وأذهبته، وإنما هو أفعل من المجيء، كما يقال: جاء هو، وأجأته أنا: أي جئت به، ومثل من أمثال العرب: «شرّ ما أجاءني إلى مُخّة عرقوب»، وأشاء ويقال: شرّ ما يُجيئك ويُشيئك إلى ذلك ومنه قول زهير:

وَجارٍ سارَ مُعْتَمِداً إلَيْكُمْ أجاءَتْهُ المَخافَةُ وَالرَّجاءُ[1]

يعني: جاء به، وأجاءه إلينا وأشاءك: من لغة تميم، وأجاءك من لغة أهل العالية، وإنما تأوّل من تأوّل ذلك بمعنى: ألجأها، لأن المخاض لما جاءها إلى جذع النخلة، كان قد ألجأها إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**فأجاءَها المَخاضُ**﴾ قال: المخاض ألجأها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: ألجأها المخاض. قال ابن جريج: وقال ابن عباس: ألجأها المخاض إلى جذع النخلة.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**فأجاءَها المَخاضُ إلى جِذْعِ النَّخْلَةِ**﴾ يقول: ألجأها المخاض إلى جذع النخلة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فأجاءَها المَخاضُ إلى جِذْعِ النَّخْلَةِ**﴾ قال: اضطرّها إلى جذع النخلة.

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى «**اللسان**»: جيأ. قال: وأجاءه إلى شيء: جاء به، وألجأه، واضطره إليه. قال زهير بن أبي سلمى: «وجار...» البيت. قال الفراء: أصله من جئت، وقد جعلته العرب إلجاء. وفي المثل: «شر ما أجاءك إلى مخة العرقوب، وشر ما يجيئك إلى مخة عرقوب» قال الأصمعي: وذلك أن العرقوب لا مخ فيه، وإنما يحوج إليه من لا يقدر على شيء ومنهم من يقول: شر ما ألجأك، والمعنى واحد وتميم تقول: شر ما أشاءك.

واختلفوا في أيّ المكان الذي انتبذت مريم بعيسى لوضعه، وأجاءها إليه المخاض، فقال بعضهم: كان ذلك في أدنى أرض مصر، وآخر أرض الشام، وذلك أنها هربت من قومها لما حملت، فتوجهت نحو مصر هاربة منهم. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن سهل، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: ثني عبد الصمد بن معقِل، أنه سمع وهب بن منبه يقول: لما اشتملت مريم على الحمل، كان معها قَرابة لها، يقال له يوسف النجّار، وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صِهْيَون، وكان ذلك المسجد يؤمئذ من أعظم مساجدهم، فكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد، في ذلك الزمان، وكان لخدمته فضل عظيم، فرغبا في ذلك، فكانا يليان معالجته بأنفسهما، تحبيره وكناسته وطهوره، وكلّ عمل يعمل فيه، وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد أشدّ اجتهاداً وعبادة منهما، فكان أوّل من أنكر حَمْل مريم صاحُبها يوسف فلما رأى الذي بها استفظعه، وعظُم عليه، وفُظِع به، فلم يدر على ماذا يضع أمرها، فإذا أراد يوسف أن يتهمها، ذكر صلاحها وبراءتها، وأنها لم تغب عنه ساعة قطّ وإذا أراد أن يبرئها، رأى الذي ظهر عليها فلما اشتدّ عليه ذلك كلّمها، فكان أوّل كلامه إياها أن قال لها: إنه قد حدث في نفسي من أمرك أمر قد خشيته، وقد حَرَصت على أن أميته وأكتمه في نفسي، فغلبني ذلك، فرأيت الكلام فيه أشفى لصدري، قالت: فقل قولاً جميلاً، قال: ما كنت لأقول لك إلا ذلك، فحدثيني، هل ينبت زرع بغير بذر؟ قالت: نعم، قال: فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها؟ قالت: نعم، قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم، ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر، والبذر يومئذ إنما صار من الزرع الذي أنبته الله من غير بذر أو لم تعلم أن الله بقدرته أنبت الشجر بغير غيث، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كلّ واحد منهما وحده، أم تقول: لن يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته؟ قال يوسف لها: لا أقول هذا، ولكني أعلم أن الله تبارك وتعالى بقدرته على ما يشاء يقول لذلك كن فيكون، قالت مريم: أو لم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وامرأته من غير أنثى ولا ذكر؟ قال: بلى، فلما قالت له ذلك، وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله تبارك وتعالى، وأنه لا يسعه أن يسألها عنه، وذلك لما رأى من كتمانها لذلك.

ثم تولى يوسف خدمة المسجد، وكفاها كلّ عمل كانت تعمل فيه، وذلك لما رأى من رقة جسمها، واصفرار لونها، وكلف وجهها، ونتوّ بطنها، وضعف قوّتها، ودأب نظرها، ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك فلما دنا نفاسها أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك، فإنهم إن ظفروا بك عيروك، وقتلوا ولدك، فأفضت ذلك إلى أختها، وأختها حينئذ حُبلى، وقد بشرت بيحيى،

فلما التقيا وجدت أمّ يحيى ما في بطنها خرّ لوجهه ساجداً معترفاً لعيسى، فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له ليس بينها حين ركبت وبين الإكاف شيء، فانطلق يوسف بها حتى إذا كان متاخماً لأرض مصر في منقطع بلاد قومها، أدرك مريم النفاس، ألجأها إلى آريّ حمار، يعني مذود الحمار، وأصل نخلة، وذلك في زمان أحسبه برداً أو حرّاً «الشكّ من أبي جعفر»، فاشتدّ على مريم المخاض فلما وجدت منه شدّة التجأت إلى النخلة فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة، قاموا صفوفاً محدقين بها.

وقد رُوي عن وهب بن منبه قول آخر غير هذا، وذلك ما:

حدثنا به ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لايتهم، عن وهب بن منبه، قال: لما حضر ولادُها، يعني مريم، ووجدت ما تجد المرأة من الطلق، خرجت من المدينة مغربة من إيلياء، حتى تدركها الولادة إلى قرية من إيلياء على ستة أميال يقال لها بيت لحم، فأجاءها المخاض إلى أصل نخلة إليها مذود بقرة تحتها ربيع من الماء، فوضعته عندها.

وقال آخرون: بل خرجت لما حضر وضعها ما في بطنها إلى جانب المحراب الشرقي منه، فأتت أقصاه فألجأها المخاض إلى جِذع النخلة، وذلك قول السدي، وقد ذكرت الرواية به قبل.

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا حجاج، قال: قال ابن جريج: أخبرني المغيرة بن عثمان، قال: سمعت ابن عباس يقول: ما هي إلا أن حملت فوضعت.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: وأخبرني المغيرة بن عثمان بن عبد الله أنه سمع ابن عباس يقول: ليس إلا أن حملتْ فولدتْ.

وقوله: ﴿**يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا**﴾ ذكر أنها قالت ذلك في حال الطلق استحياء من الناس، كما:

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: قالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس: ﴿**يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً**﴾.

تقول: يا ليتني متّ قبل هذا الكرب الذي أنا فيه، والحزن بولادتي المولود من غير بَعْل، وكنت نِسياً منسياً: شيئاً نُسي فُترك طلبه كخرق الحيض التي إذا ألقيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر، وكذلك كل شيء نسي وترك ولم يطلب فهو نسيّ. ونسي بفتح النون وكسرها لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد، مثل الوَتر والوِتر، والجَسر والجِسر، وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب عندنا وبالكسر قرأت عامة قرّاء الحجاز والمدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة وبالفتح قرأه أهل الكوفة ومنه قول الشاعر:

كَأَنَّ لَهَا فِي الأَرْضِ نِسْياً تَقُصُّهُ ... إِذَا مَا غَدَتْ وَإِنْ تُحَدِّثْكَ تَبْلَتِ[1]

ويعني بقوله: تقصه: تطلبه، لأنها كانت نسيته حتى ضاع، ثم ذكرته فطلبته، ويعني بقوله: تبلت: تحسن وتصدّق، ولو وجه النسي إلى المصدر من النسيان كان صواباً، وذلك أن العرب فيما ذكر عنها تقول: نسيته نسياناً ونسياً، كما قال بعضهم من طاعة الربّ وعصي الشيطان، يعني وعصيان، وكما تقول أتيته إتياناً وأتياً، كما قال الشاعر:

أَتْيُ الفَوَاحِشِ فِيهِمُ مَعْرُوفَةٌ ... ويَرَوْنَ فِعْلَ المَكْرُماتِ حَرَامَا[2]

وقوله ﴿مَنْسِيّاً﴾ مفعول من نسيت الشيء كأنها قالت: ليتني كنت الشيء الذي ألقي، فترك ونسي.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس، قوله: ﴿يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً﴾ لم أخلق، ولم أك شيئاً.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً﴾ يقول: نِسياً: نُسي ذكري، ومنسياً: تقول: نسي أثري، فلا يُرى لي أثر ولا عين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً﴾: أي شيئاً لا يعرف ولا يذكر.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله ﴿وكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً﴾ قال: لا أعرف ولا يدري من أنا.

---

(١) البيت للشنفري «اللسان» نسي قال: والنسي: الشيء المنسي الذي لا يذكر. وقال الأخفش: النسي: ما أغفل من شيء حقير ونسي. وقال الزجاج النسي في كلام العرب الشيء المطروح، لا يؤبه له. وقال الشنفري:
وكأن لها .... البيت»
قال ابن بري: بلت، بالفتح: إذا قطع، وبلت بالكسر: إذا سكن. وقال الفراء: النسي والنسى (بكسر النون المشددة وفتحها) لغتان فيما تلقيه المرأة من خرق اعتلالها (حيضها) مثل وتر ووتر. قال ولو أراد بالنسي (بالفتح) مصدر النسيان، كان صواباً.

(٢) في «اللسان»: أتى الإتيان: المجيء. أتيته: المجيء. أتيته أتياً وإتياناً وإتيانة ومأتاة: جئته. واستشهد المؤلف بالبيت على أن العرب تقول نسيته ونسياً، كما تقول أتيته إتياناً وأتيا. وقوله معروف: أنث الخبر بالتاء مع أن المبتدأ وهو الأتي مذكر، لكنه لما أضيف إلى الفواحش، وهي جمع فاحشة. اكتسب منها التأنيث، فلذلك أنث الخبر بالتاء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس ﴿نَسْياً مَنْسِيّاً﴾ قال: هو السقط.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً﴾ لم أكن في الأرض شيئاً قط.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق ﴿فَناداها مِنْ تَحْتِها﴾ بمعنى: فناداها جبرائيل من بين يديها على اختلاف منهم في تأويله فمن متأوّل منهم إذا قرأه ﴿مِنْ تحْتِها﴾ كذلك ومن متأوّل منهم أنه عيسى، وأنه ناداها من تحتها بعد ما ولدته. وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل الكوفة والبصرة: «فَنادَاها مَنْ تَحْتَها» بفتح التاءين من تحت، بمعنى: فناداها الذي تحتها، على أن الذي تحتها عيسى، وأنه الذي نادى أمه. ذكر من قال: الذي ناداها من تحتها المَلَك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبد المؤمن، قال: سمعت ابن عباس قرأ: ﴿فَنادَاها مِنْ تَحْتِها﴾ يعني: جبرائيل.

حدثني أحمد بن عبد الله أحمد بن يونس، قال: أخبرنا عبَثر، قال: ثنا حصين، عن عمرو بن ميمون الأَوْديّ، قال: الذي ناداها الملك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، أنه قرأ: فخاطبها من تحتها.

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة. أنه قرأ: فخاطبها من تحتها.

حدثنا الرفاعي، قال: ثنا وكيع، عن أبيه، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة أنه قرأها كذلك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا سفيان، عن جويبر، عن الضحاك ﴿فَنادَاها مِنْ تَحْتِها﴾ قال: جبرائيل.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، عن سفيان، عن جويبر، عن الضحاك مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فَنادَاها مِنْ تَحْتِها**﴾: أي من تحت النخلة.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**فَنادَاها**﴾ جبرائيل ﴿**مِنْ تَحْتِها أنْ لا تَحْزَني**﴾.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ﴿**فَنادَاها مِنْ تَحْتِها**﴾ قال: المَلَك.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿**فَنادَاها مِنْ تَحْتِها**﴾ يعني: جبرائيل كان أسفل منها.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿**فَنادَاها مِنْ تَحْتِها**﴾ قال: ناداها جبرائيل ولم يتكلم عيسى حتى أتت قومها.

ذكر من قال: ناداها عيسى ﷺ:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**فَنادَاها مِنْ تَحْتِها**﴾ قال: عيسى بن مريم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى. وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن ﴿**فَنادَاها مِنْ تَحْتِها**﴾ ابنها.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: قال الحسن: هو ابنها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه ﴿**فَنادَاها**﴾ عيسى ﴿**مِنْ تَحْتِها أنْ لا تَحْزَني**﴾.

حدثني أبو حميد أحمد بن المغيرة الحمصي، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا محمد بن مهاجر، عن ثابت بن عجلان، عن سعيد بن جبير، قوله ﴿**فَنادَاها مِنْ تَحْتِها**﴾ قال عيسى: أما تسمع الله يقول: ﴿**فأشارَتْ إلَيْهِ**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ﴿**فَنادَاها مِنْ تَحْتِها**﴾ قال: عيسى ناداها: ﴿**أنْ لا تَحْزَنِي قَدْ جَعل رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً**﴾.

حُدثت عن عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية الرياحيّ، عن أبيّ بن كعب قال: الذي خاطبها هو الذي حملته في جوفها ودخل من فيها.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك عندنا قول من قال: الذي ناداها ابنها عيسى، وذلك أنه من كناية ذكره أقرب منه من ذكر جبرائيل، فردّه على الذي هو أقرب إليه أولى من ردّه على الذي هو أبعد منه، ألا ترى في سياق قوله: ﴿**فحَمَلَتْهُ فانْتَبَذَتْ بِهِ مَكاناً قَصِيّاً**﴾ يعني به: فحملت عيسى فانتبذت به، ثم قيل: فناداها نسقاً على ذلك من ذكر عيسى والخبر عنه. ولعلة أخرى، وهي قوله: ﴿**فأشارَتْ إلَيْهِ**﴾ ولم تشر إليه إن شاء الله إلا وقد علمت أنه ناطق في حاله تلك، وللذي كانت قد عرفت ووثقت به منه بمخاطبته إياها بقوله لها: ﴿**أنْ لا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً**﴾ وما أخبر الله عنه أنه قال لها أشيري للقوم إليه، ولو كان ذلك قولاً من جبرائيل، لكان خليقاً أن يكون في ظاهر الخبر، مبيناً أن عيسى سينطق، ويحتجّ عنها للقوم، وأمر منه لها بأن تشير إليه للقوم إذا سألوها عن حالها وحاله.

فإذا كان ذلك هو الصواب من التأويل الذي بيّنا، فبين أن كلتا القراءتين، أعني ﴿**مِنْ تَحْتِها**﴾ بالكسر، و«مَنْ تَحْتَها» بالفتح صواب. وذلك أنه إذا قرىء بالكسر كان في قوله: ﴿**فَنادَاها**﴾ ذكر من عيسى: وإذا قرىء ﴿**مِنْ تَحْتِها**﴾ بالفتح كان الفعل لمن وهو عيسى. فتأويل الكلام إذن: فناداها المولود من تحتها أن لا تحزني يا أمه ﴿**قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً**﴾ كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**فَنادَاها مِنْ تَحْتِها أنْ لا تَحْزَنِي**﴾ قالت: وكيف لا أحزن وأنت معي، لا ذات زوج فأقول ومن زوج، ولا مملوكة فأقول من سيدي، أيّ شيء عذري عند الناس ﴿**يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً**﴾ فقال لها عيسى: أنا أكفيك الكلام.

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بالسريّ في هذا الموضع، فقال بعضهم: عني به: النهر الصغير. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾ قال: الجدول.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء يقول في هذه الآية ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾ قال: الجدول.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾ وهو نهر عيسى.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾ قال: السريّ: النهر الذي كان تحت مريم حين ولدته كان يجري يسمى سَرياً.

حدثني أبو حصين، قال: ثنا عبثر، قال: ثنا حصين، عن عمرو بن ميمون الأَوْدِيّ، قال في هذه الآية: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾ قال: السريّ: نهر يُشرب منه.

حدثنا يعقوب وأبو كريب، قالا: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن عمرو بن ميمون، في قوله: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾ قال: هو الجدول.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿سَرِيّاً﴾ قال: نهر بالسريانية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله، قال ابن جريج: نهر إلى جنبها.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن قتادة، عن الحسن، في قوله ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾ قال: كان سرياً فقال حميد بن عبد الرحمن: إن السريّ: الجدول، فقال: غلبتنا عليك الأمراء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾ قال: هو الجدول، النهر الصغير، وهو بالنبطية: السريّ.

حدثني أبو حميد الحمصي، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا محمد بن مهاجر، عن ثابت بن عجلان قال: سألت سعيد بن جبير، عن السريّ، قال: نهر.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: النهر الصغير.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم، أنه قال: هو النهر الصغير: يعني الجدول، يعني قوله **﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾**.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك، قال: جدول صغير بالسريانية.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله **﴿تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾**: الجدول الصغير من الأنهار.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾** والسريّ: هو الجدول، تسميه أهل الحجاز.

حدثنا الحسن، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، في قوله **﴿سَرِيّاً﴾** قال: هو جدول.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم وعن وهب بن منبه **﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾** يعني ربيع الماء.

حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾** والسريّ: هو النهر.

وقال آخرون: عنى به عيسى. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن **﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾** والسريّ: عيسى نفسه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله **﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾** يعني نفسه، قال: وأيّ شيء أسرى منه، قال: والذين يقولون: السريّ: هو النهر ليس كذلك النهر، لو كان النهر لكان إنما يكون إلى جنبها، ولا يكون النهر تحتها.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قيل من قال: عنى به الجدول، وذلك أنه أعلمها ما قد أعطاها الله من الماء الذي جعله عندها، وقال لها **﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً فَكُلِي﴾** من هذا الرطب **﴿وَاشْرَبِي﴾** من هذا الماء **﴿وَقَرِّي عَيْناً﴾** بولدك، والسريّ معروف من كلام العرب أنه النهر الصغير ومنه قول لبيد:

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيِّ وَصَدَّعا مَسْجُورَةً مُتَجاوِراً قُلاَّمُها[١]

ويُروى: مثلما[٢] مسجورة، ويُروى أيضاً: فغارا.

وقوله: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ ذكر أن الجذع كان جذعاً يابساً، وأمرها أن تهزّه، وذلك في أيام الشتاء، وهزّه إياه كان تحريكه، كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ قال: حركيها. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ قال: كان جذعاً يابساً، فقال لها: هزّيه ﴿تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبد المؤمن، قال: سمعت أبا نهيك يقول: كانت نخلة يابسة.

حدثني محمد بن سهل بن عسكر، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: ثني عبد الصمد بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه يقول في قوله: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ فكان الرطب يتساقط عليها وذلك في الشتاء.

حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾: وكان جذعاً منها مقطوعاً فهزّته، فإذا هو نخلة، وأُجري لها في المحراب نهر، فتساقطت النخلة رطباً جنياً فقال لها: ﴿كُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً﴾.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وهزّي إليك بالنخلة. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، قال: قال مجاهد ﴿وَهُزِّي

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة العامري، من معلقته المشهورة انظر في شرح الزوزني على المعلقات السبع، وفي شرح التبريزي على القصائد العشر، وفي «**جمهرة أشعار العرب**» (ص ـ ٦٣، ٧٤). قال صاحب الجمهرة: توسطاً، أي دخلا وسطه. وعرض السري: أي ناحية النهر، وأهل الحجاز يسمون النهر سرياً. وصدعاً: أي فرقا. ومسجورة: أي عينا مملوءة، قال الله تعالى: ﴿والبحر المسجور﴾. وأقلامها، ويروى قلامها، وهو ضرب من شجر الحمض، والأقلام: قصب اليراع. وقال الزوزني: يقول فتوسط العير والأتان جانب النهر الصغير، وشقا عينا مملوءة ماء، قد تجاوز قلامها، أي قد كثر هذا الضرب من النبت عليها. وتحرير المعنى: أنهما قد وردا عينا ممتلئة ماء، فدخلا فيها من عرض نهرها، وقد تجاور نبتها. والشاهد في قوله «السري»، وهو اسم للنهر الصغير.

(٢) كذا في المخطوطة بغير نقط، ولم نقف على هذه الرواية.

إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ قال: النخلة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن عيسى بن ميمون، عن مجاهد، في قوله ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ قال: العجوة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن عمرو بن ميمون، أنه تلا هذه الآية: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾ قال: فقال عمرو: ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب.

وأدخلت الباء في قوله: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ كما يقال: زوجتك فلانة، وزوّجتك بفلانة وكما قال ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ بمعنى: تنبت الدهن. وإنما تفعل العرب بذلك، لأن الأفعال تكنى عنها بالباء، فيقال إذا كنيت عن ضربت عمراً: فعلت به، وكذلك كلّ فعل، فلذلك تدخل الباء في الأفعال وتخرج، فيكون دخولها وخروجها بمعنى، فمعنى الكلام: وهزّي إليك جذع النخلة وقد كان لو أن المفسرين كانوا فسروه كذلك: وهزّي إليك رطباً بجذع النخلة، بمعنى: على جذع النخلة، وجهاً صحيحاً، ولكن لست أحفظ عن أحد أنه فسره كذلك. ومن الشاهد على دخول الباء في موضع دخولها وخروجها منه سواء قول الشاعر:

بِـوَادٍ يَـمـانٍ يُـنْـبِـتُ الـسِّـدْرَ صَـدْرُهُ وأسْـفَـلُـهُ بـالـمَـرْخِ والـشَّـبَـهـانِ[١]

واختلف القرّاء في قراءة قوله: ﴿تُسَاقِطْ﴾ فقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة والبصرة والكوفة: «تَسَّاقَطُ» بالتاء من تساقط وتشديد السين، بمعنى: تتساقط عليك النخلة رطباً جنياً، ثم تُدغم

---

(١) في «**اللسان**» سدر السدر: شجر النبق، واحدتها سدرة. . والمرخ: شجر كثير الورى سريعه. وفي «**اللسان**» شبه الشبهان: نبت يشبه الثمام، ويقال له الشبهان. قال ابن سيده: والشبهان (بالتحريك) والشبهان (بضمتين): ضرب من العضاه؛ وقيل: هو الثمام، يمانية، حكاها ابن دريد. قال رجل من عبد القيس:

بـواد يـمـان ينبت الشـث صـدره . . . البـيـت

قال ابن بري قال أبو عبيدة: البيت للأحول اليشكري. واسمه يعلى. قال: وتقديره: وينبت أسفله المرخ. على أن تكون الباء زائدة. وإن شئت قدرته: وينبت أسفله بالمرخ، فتكون الباء للتعدية. لما قدرت الفعل ثلاثياً. وفي «**الصحاح**»: قيل: الشبهان: هو الثمام من الرياحين. وفي «**اللسان**»: شث الشث: ضرب من الشجر عن ابن دريد، وأنشد البيت:

بـواد يـمـان يـنـبـت الـشـث فـرعـه الـخ

وقيل: الشث: شجر طيب الريح، مر الطعم، يدبغ به. قال أبو الدقيش: وينبت في جبال الغور وتهامة ونجد والبيت شاهد على أن الباء في قوله «بالمرخ» زائدة، دخولها كخروجها وهي مثل الباء في قوله تعالى: وهزى إليك بجذع النخلة. قال في «**اللسان**» هز الهز: تحريك الشيء، كما تهز القناة، فتضطرب وتهز. وهزه يهزه هزاً وهز به، وفي التنزيل: ﴿وهزي إليك بجذع النخلة» أي حركي. والعرب تقول: هزه وهزبه إذا حركه. ومثله: خذ الخطام، وخذ بالخطام، وتعلق زيداً وتعلق بزيد قال ابن سيده: وإنما عداه بالباء، لأن في هزي معنى جري، (أمر من الجر).

إحدى التاءين في الأخرى فتشدد[1]، وكأن الذين قرأوا ذلك كذلك وجهوا معنى الكلام إلي: وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط النخلة عليك رطباً. وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة: «تَساقَطُ» بالتاء وتخفيف السين، ووجه معنى الكلام، إلى مثل ما وجه إليه مشدّدوها، غير أنهم خالفوهم في القراءة. ورُوي عن البراء بن عازب أنه قرأ ذلك: «يُساقِط» بالياء.

حدثني بذلك أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا يزيد، عن جرير بن حازم، عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء بن عازب يقرؤه كذلك، وكأنه وجه معنى الكلام إلي: وهزّي إليك بجذع النخلة يتساقط الجذع عليك رطباً جنياً.

ورُوي عن أبي نهيك أنه كان يقرؤه: «تُسْقِطُ» بضمّ التاء وإسقاط الألف.

حدثنا بذلك ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبد المؤمن، قال: سمعت أبا نَهِيك يقرؤه كذلك، وكأنه وجه معنى الكلام إلي: تسقط النخلة عليك رطباً جنياً.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن هذه القراءات الثلاث، أعني «تَسَّاقَطُ» بالتاء وتشديد السين، وبالتاء وتخفيف السين، وبالياء وتشديد السين، قراءات متقاربات المعاني، قد قرأ بكل واحدة منهنّ قرّاء أهل معرفة بالقرآن، فبأيّ ذلك قرأ القارىء فمصيب الصواب فيه، وذلك أن الجذع إذا تساقط رطباً، وهو ثابت غير مقطوع، فقد تساقطت النخلة رطباً، وإذا تساقطت النخلة رطباً، فقد تساقطت النخلة بأجمعها، جذعها وغير جذعها، وذلك أن النخلة ما دامت قائمة على أصلها، فإنما هي جذع وجريد وسعف، فإذا قطعت صارت جذعاً، فالجذع الذي أمرت مريم بهزّه لم يذكر أحد نعلمه أنه كان جذعاً مقطوعاً غير السديّ، وقد زعم أنه عاد بهزّها إياه نخلة، فقد صار معناه ومعنى من قال: كان المتساقط عليها رطباً نخلة واحدةً، فتبين بذلك صحة ما قلنا.

وقوله: ﴿جَنِيّاً﴾ يعني مجنياً وإنما كان أصله مفعولاً فصرف إلى فعيل والمجني: المأخوذ طرياً، وكل ما أخذ من ثمرة، أو نقل من موضعه بطراوته فقد اجتني، ولذلك قيل: فلان يجتني الكمأة ومنه قول ابن أخت جذيمة:

هَـذَا جَـنَـايَ وخِـيَـارُهُ فِـيـهْ ... إذْ كُـلُّ جـانٍ يَـدُهُ إلـى فِـيـهْ[2]

---

(١) عبارة الجلالين، بتاءين قلبت الثانية سيناً وأدغمت في السين.

(٢) البيت في «اللسان»: جنى قال: قال أبو عبيد: يضرب هذا مثلا للرجل يؤثر صاحبه بخيار ما عنده. قال أبو عبيد: وذكر ابن الكلبي أن المثل لعمرو بن عدي اللخي ابن أخت جذيمة، وهو أول من قاله، وإن جذيمة نزل منزلاً، وأمر الناس أن يجتنوا له الكمأة، فكان بعضهم يستأثر بخير ما يجد، ويأكل طيبها، وعمرو يأتيه بخير ما يجد، ولا يأكل منها شيئاً، فلما أتى خاله جذيمة قال: هذا البيت. والجنى: ما يجني من الشجر. ويروى:

هـذا جـنـاي وهـجـانـه فـيـه =

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦)﴾.

يقول تعالى ذكره: فكلي من الرطب الذي يتساقط عليك، واشربي من ماء السريّ الذي جعله ربك تحتك، لا تخشي جوعاً ولا عطشاً ﴿وَقَرّي عَيناً﴾ يقول: وطيبي نفساً وافرحي بولادتك إياي ولا تحزني. ونصبت العين لأنها هي الموصوفة بالقرار. وإنما معنى الكلام: ولتقرِر عينك بولدك، ثم حوّل الفعل عن العين إلى المرأة صاحبة العين، فنصبت العين إذ كان الفعل لها في الأصل على التفسير، نظير ما فعل بقوله: ﴿فإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً﴾ وإنما هو: فإن طابت أنفسهن لكم. وقوله: ﴿وَضَاقَ بِهِم ذَرْعاً﴾ ومنه قوله: «يُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً» إنما هو يساقط عليك رطب الجذع، فحوّل الفعل إلى الجِذع، في قراءة من قرأه بالياء. وفي قراءة من قرأه: ﴿تُساقِطْ﴾ بالتاء، معناه: يساقط عليك رطب النخلة، ثم حوّل الفعل إلى النخلة.

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿وقَرّي﴾ فأما أهل المدينة فقرأوه: ﴿وَقَرّي﴾ بفتح القاف على لغة من قال: قَرِرت بالمكان أَقَرّ به، وقَرِرت عيناً، أَقَرّ به قُروراً، وهي لغة قريش فيما ذكر لي وعليها القراءة. وأما أهل نجد فإنها تقول قررت به عيناً أقر به قراراً وقررت بالمكان أقر به، فالقراءة على لغتهم: «وَقِرِي عَيْناً» بكسر القاف، والقراءة عندنا على لغة قريش بفتح القاف.

وقوله: ﴿فإمّا تَرَيِنَّ مِنَ البَشَرِ أحَداً﴾ يقول: فإن رأيت من بني آدم أحداً يكلمك أو يسائلك عن شيء من أمرك وأمر ولدك وسبب ولادتكه ﴿فَقُولي إنّي نَذَرْتُ للرَّحْمَنِ صَوْماً﴾ يقول: فقولي: إني أوجبت على نفسي لله صمتاً ألاّ أكلم أحداً من بني آدم اليوم ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَوْمَ إنْسِيّاً﴾.

وبنحو الذي قلنا في معنى الصوم، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: سمعت أنس بن مالك يقول في هذه الآية ﴿إنّي نَذَرْتُ للرَّحْمَنِ صَوْماً﴾ صمتاً.

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا حجاج، قال: أخبرنا ابن جريج، قال:

= أي خياره. ا هـ. وقال: وجنيت الثمرة أجنيتها واجتنيتها: بمعنى. ابن سيده: جنى الثمرة ونحوها وتجناها، كل ذلك: تناولها من شجرتها. وعلى هذا استشهد المؤلف بالبيت.

أخبرني المغيرة بن عثمان، قال: سمعت أنس بن مالك يقول ﴿**إنّي نَذَرْتُ للرَّحْمَنِ صَوْماً**﴾ قال: صمتاً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿**إنّي نَذَرْتُ للرَّحْمَنِ صَوْماً**﴾ قال: يعني بالصوم: الصمت.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن سليمان التيميّ، قال: سمعت أنساً قرأ: «إنّي نَذَرْتُ للرَّحْمَنِ صَوْماً وَصَمْتاً».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة ﴿**إنّي نَذَرْتُ للرَّحْمَنِ صَوْماً**﴾ أما قوله: ﴿**صَوْماً**﴾ فإنها صامت من الطعام والشراب والكلام.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**نَذَرْتُ للرَّحْمَنِ صَوْماً**﴾ قال: كان من بني إسرائيل من إذا اجتهد صام من الكلام كما يصوم من الطعام، إلا مِن ذكر الله، فقال لها ذلك، فقالت: إني أصوم من الكلام كما أصوم من الطعام، إلا من ذكر الله فلما كلموها أشارت إليه، فقالوا: ﴿**كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيّاً**﴾ فأجابهم فقال: ﴿**إنّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الكِتابَ**﴾ حتى بلغ ﴿**ذلكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقّ الَّذِي فِيهِ يَمترُونَ**﴾.

واختلفوا في السبب الذي من أجله أمرها بالصوم عن كلام البشر، فقال بعضهم: أمرها بذلك لأنه لم يكن لها حجة عند الناس ظاهرة، وذلك أنها جاءت وهي أيِّم بولد بالكفّ عن الكلام ليكفيها فأمرت الكلام ولدها. ذكر من قال ذلك:

حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني، قال: ثنا مصعب بن المقدام، قال: ثنا إسرائيل، قال: ثنا أبو إسحاق، عن حارثة، قال: كنت عند ابن مسعود، فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر، فقال: ما شأنك؟ فقال أصحابه: حلف أن لا يكلم الناس اليوم، فقال عبد الله: كلم الناس وسلم عليهم، فإن تلك امرأة علمت أن أحداً لا يصدّقها أنها حملت من غير زوج، يعني بذلك مريم عليها السلام.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد لما قال عيسى لمريم: ﴿**لا تَحْزَنِي**﴾ قالت: وكيف لا أحزن وأنت معي، لا ذات زوج ولا مملوكة، أيّ شيء عذري عند الناس ﴿**يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً**﴾ فقال لها عيسى: أنا أكفيك الكلام ﴿**فإمَّا تَرَيِنَّ مِنَ البَشَرِ أحَداً فقُولِي إنّي نَذَرْتُ للرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَوْمَ إنْسِيّاً**﴾ قال: هذا كله كلام عيسى لأمه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه **﴿فإمَّا تَرَيِنَّ مِنَ البَشَرِ أحَداً فَقُولي إنّي نَذَرْتُ للرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَوْمَ إنْسِيّاً﴾** فإني سأكفيك الكلام.

وقال آخرون: إنما كان ذلك آية لمريم وابنها. ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿إنّي نَذَرْتُ للرَّحْمَنِ صَوْماً﴾** قال في بعض الحروف: صمتاً، وذلك أنك لا تلقى امرأة جاهلة تقول: نذرت كما نذرت مريم، ألا تكلم يوماً إلى الليل، وإنما جعل الله تلك آية لمريم ولابنها، ولا يحلّ لأحد أن ينذر صمت يوم إلى الليل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، فقرأ: **﴿إنّي نَذَرْتُ للرَّحْمَنِ صَوْماً﴾** وكانت تقرأ في الحرف الأوّل: صمتاً، وإنما كانت آية بعثها الله لمريم وابنها.

وقال آخرون: بل كانت صائمة في ذلك اليوم، والصائم في ذلك الزمان كان يصوم عن الطعام والشراب وكلام الناس، فأذن لمريم في قدر هذا الكلام ذلك اليوم وهي صائمة. ذكر من قال ذلك:

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿فإمَّا تَرَيِنَّ مِنَ البَشَرِ أحَداً﴾** يكلمك **﴿فَقُولي إنّي نَذَرْتُ للرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلمَ اليَوْمَ إنْسِيّاً﴾** فكان من صامَ في ذلك الزمان لم يتكلم حتى يمسي، فقيل لها: لا تزيدي على هذا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما قال ذلك عيسى لأمه اطمأنت نفسها، وسلّمت لأمر الله، وحملته حتى أتت به قومها. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه، قال: أنساها يعني مريم كرب البلاء وخوف الناس ما كانت تسمع من الملائكة من البشارة بعيسى، حتى إذا كلّمها، يعني عيسى، وجاءها مصداق ما كان الله وعدها احتملته ثم أقبلت به إلى قومها.

وقال السديّ في ذلك ما:

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: لما ولدته ذهب الشيطان، فأخبر بني إسرائيل أن مريم قد ولدت، فأقبلوا يشتدّون، فدعوها **﴿فأتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ﴾**.

وقوله: **﴿قالُوا يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾** يقول تعالى ذكره: فلما رأوا مريم، ورأوا معها الولد الذي ولدته، قالوا لها: يا مريم لقد جئت بأمر عجيب، وأحدثت حدثاً عظيماً. وكلّ عامل عملاً أجاده وأحسنه فقد فراه، كما قال الراجز:

قَدْ أطْعَمَتْنِي دَقَلاً حُجْرِيّا ... قَدْ كُنْتِ تَفْرِينَ بِهِ الفَرِيّا[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى: **﴿فَرِيّاً﴾** قال: عظيماً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾** قال: عظيماً.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾** قال: عظيماً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه، قال: لما رأوها ورأوه معها، قالوا: يا مريم **﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾**: أي الفاحشة غير المقاربة.

---

(١) في «**اللسان**»: دقل: الدقل من التمر: معروف، قيل: هو أردأ أنواعه وفي «**اللسان**»: فرى التهذيب: ويقال للرجل إذا كان جاداً في الأمر قوياً: تركته يفري الفرا ويقد. والعرب تقول: تركته يفري الفرى: إذا عمل العمل أو السقي فأجاد... وأنشد الفراء لزرارة بن صعب يخاطب العامرية.

قَدْ أطْعَمَتْنِي دَقَلاً حَوْلِيّا ... مُسَوَّساً مُدَوَّداً حَجْرِيّا

قَدْ كُنْتِ تَفْرِينَ بِهِ الفَرِيّا

أي كنت تكثرين فيه القول وتعظمينه. يقال: فلان يفري الفرى: إذا كان يأتي بالعجب في عمله. ثم قال: وفي التنزيل العزيز في قصة مريم: ﴿لقد جئت شيئاً فرياً﴾. قال الفراء: الفري الأمر العظيم، أي جئت شيئاً عظيماً. وقيل: جئت شيئاً فرياً: أي مصنوعاً مختلفاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل لها: يا أخت هارون، ومن كان هارون هذا الذي ذكره الله، وأخبر أنهم نسبوا مريم إلى أنها أخته، فقال بعضهم: قيل لها **﴿يا أُخْتَ هارُونَ﴾** نسبة منهم لها إلى الصلاح، لأن أهل الصلاح فيهم كانوا يسمون هارون، وليس بهارون أخي موسى. ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿يا أُخْتَ هارُونَ﴾** قال: كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل يسمى هارون، فشبّهوها به، فقالوا: يا شبيهة هارون في الصلاح.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿يا أُخْتَ هارُونَ ما كانَ أبُوكِ امْرأ سَوْءٍ وَما كانَتِ أُمُّكِ بَغِيّاً﴾** قال: كانت من أهل بيت يُعرفون بالصلاح، ولا يُعرفون بالفساد ومن الناس من يُعرفون بالصلاح ويتوالدون به، وآخرون يُعرفون بالفساد ويتوالدون به، وكان هارون مصلحاً محبباً في عشيرته، وليس بهارون أخي موسى، ولكنه هارون آخر. قال: وذُكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفاً، كلهم يسمون هارون من بني إسرائيل.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن سعيد بن أبي صدقة، عن محمد بن سيرين، قال: نبئت أن كعباً قال: إن قوله: **﴿يا أُخْتَ هارُونَ﴾** ليس بهارون أخي موسى، قال: فقالت له عائشة: كذبت، قال: يا أمّ المؤمنين، إن كان النبيّ ﷺ قاله فهو أعلم وأخبر، وإلا فإني أجد بينهما ستّ مئة سنة، قال: فسكتت.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿يا أُخْتَ هارُونَ﴾** قال: اسم واطأ اسماً، كم بين هارون وبينهما من الأمم أمم كثيرة.

حدثنا أبو كريب وابن المثنى وسفيان وابن وكيع وأبو السائب، قالوا: ثنا عبد الله بن إدريس الأودي، قال: سمعت أبي يذكر عن سماك بن حرب، عن علقمة بن وائل، عن المغيرة بن شعبة، قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران، فقالوا لي: ألستم تقرأون **﴿يا أُخْتَ هارُونَ﴾**؟ قلت: بلى وقد علمتم ما كان بين عيسى وموسى، فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأخبرته، فقال: «**ألا أخْبَرْتَهُمْ أنَّهُمْ كانُوا يُسَمُّونَ بأنْبِيائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ**».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو، عن سماك بن حرب، عن

علقمة بن وائل، عن المغيرة بن شعبة، قال: أرسلني النبيّ ﷺ في بعض حوائجه إلى أهل نجران، فقالوا: أليس نبيك يزعم أن هارون أخو مريم هو أخو موسى؟ فلم أدر ما أردّ عليهم حتى رجعت إلى النبيّ ﷺ، فذكرت له ذلك، فقال: «**إنَّهُمْ كانُوا يُسَمُّونَ بأسْماءِ مَنْ كانَ قَبْلَهُمْ**».

وقال بعضهم: عنى به هارون أخو موسى، ونُسبت مريم إلى أنها أخته لأنها من ولده، يقال للتميميّ: يا أخا تميم، وللمُضَرِيّ: يا أخا مُضَر. ذكر من قال ذلك:

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**يا أُخْتَ هارُونَ**﴾ قال: كانت من بني هارون أخي موسى، وهو كما تقول: يا أخا بني فلان.

وقال آخرون: بل كان ذلك رجلاً منهم فاسقاً معلن الفسق، فنسبوها إليه.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك ما جاء به الخبر عن رسول الله ﷺ الذي ذكرناه، وأنها نسبت إلى رجل من قومها.

وقوله: ﴿**ما كانَ أبُوكِ امْرأَ سَوْءٍ**﴾ يقول: ما كان أبوك رجل سوء يأتي الفواحش ﴿**وَما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً**﴾ يقول: وما كانت أمك زانية، كما:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً**﴾ قال: زانية. وقال: ﴿**وَما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً**﴾ ولم يقل: بغيّة، لأن ذلك مما يوصف به النساء دون الرجال، فجرى مجرى امرأة حائض وطالق، وقد كان بعضهم يشبه ذلك بقولهم: ملحفة جديدة وامرأة قتيل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما قال قومها ذلك لها قالت لهم ما أمرها عيسى بقيله لهم، ثم أشارت لهم إلى عيسى أن كلّموه، كما:

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: لما قالوا لها: ﴿**ما كانَ أبُوكِ امْرأَ سَوْءٍ وَما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً**﴾ قالت لهم ما أمرها الله به، فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام أشارت إليه، إلى عيسى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فأشارَتْ إلَيهِ**﴾ قال: أمرتهم بكلامه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه

﴿فأشارَتْ إلَيهِ﴾ يقول: أشارت إليه أن كلِّموه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله ﴿فأشارَتْ إلَيهِ﴾ أن كَلِّموه.

وقوله: ﴿قالُوا كَيفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيّاً﴾ يقول تعالى ذكره: قال قومها لها: كيف نكلم من وُجد في المهد؟ وكان في قوله ﴿مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيّاً﴾ معناها التمام، لا التي تقتضي الخبر، وذلك شبيه المعنى بكان التي في قوله: ﴿هَلْ كُنْتُ إلاَّ بَشَراً رَسُولاً﴾ وإنما معنى ذلك: هل أنا إلا بشر رسول؟ وهل وجدت أو بعثت وكما قال زهير بن أبي سُلْمَى:

زَجَرْتُ عَلَيْهِ حُرَّةً أرْحَبِيَّةً وَقَدْ كانَ لَوْنُ اللَّيْلِ مِثْلَ الأرَنْدَجِ[1]

بمعنى: وقد صار أو وُجد. وقيل: إنه عني بالمهد في هذا الموضع: حجر أمه. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيّاً﴾ والمهد: الحجر.

قال أبو جعفر: وقد بيَّنا معنى المهد فيما مضى بشواهده، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما قال قوم مريم لها ﴿كَيفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيّاً﴾ وظنوا أن ذلك منها استهزاء بهم، قال عيسى لها متكلماً عن أمه: ﴿إنّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الكِتاب﴾. وكانوا حين أشارت لهم إلى عيسى فيما ذُكر عنهم غضبوا، كما:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: لما أشارت لهم

(١) البيت في ديوان زهير بن أبي سلمى طبعة دار الكتب المصرية بشرح أبي العباس ثعلب، (ص ـ ٣٢٣) ورواية الأصل: أجرت تحريف. وقوله عليه: على ذلك الطريق. وحرة: كريمة. وأرحبية: منسوبة إلى أرحب، وأرحب بطن من همدان، تنسب إليهم النجائب الأرحبية، وقيل: هو موضع. وقال الأزهري: يحتمل أن يكون أرحب فحلا تنسب إليه النجائب لأنها من نسله. والأرندج واليرندج: السواد يسود به الخف، أو هو الجلد الأسود. أي زجرت على هذا الطريق هذه الناقة، والليل أسود مثل الأرندج.

إلى عيسى غضبوا، وقالوا: لسخريتها بنا حين تأمرنا أن نكلم هذا الصبيّ أشدّ علينا من زناها **﴿قالُوا كَيفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيّاً﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه **﴿قالُوا كَيفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيّاً﴾** فأجابهم عيسى عنها فقال لهم **﴿إنّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الكِتابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً. . .﴾** الآية.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿قالُوا كَيفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيّاً﴾** قال لهم: **﴿إنّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الكِتابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾** فقرأ حتى بلغ **﴿ولَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾** فقالوا: إن هذا لأمر عظيم.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول: **﴿كَيفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيّاً قال إنّي عَبْدُ اللَّهِ﴾** لم يتكلم عيسى إلا عند ذلك حين **﴿قالُوا كَيفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيّاً﴾**.

وقوله: **﴿آتانِيَ الكِتابَ﴾** يقول القائل: أو آتاه الكتاب والوحي قبل أن يخلق في بطن أمه فإن معنى ذلك بخلاف ما يظنّ، وإنما معناه: وقضى يوم قضى أمور خلقه إليّ أن يؤتيني الكتاب، كما:

حدثني بشر بن آدم، قال: ثنا الضحاك، يعني ابن مخلد، عن سفيان، عن سماك، عن عكرمة **﴿قالَ آتانِيَ الكِتابَ﴾** قال: قضى أن يؤتيني الكتاب فيما مضى.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: أخبرنا سفيان، عن سماك، عن عكرمة، في قوله **﴿إنّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الكِتابَ﴾** قال: القضاء.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزّاق، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، في قول الله **﴿إنّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الكِتابَ﴾** قال: قضى أن يؤتيني الكتاب.

وقوله: **﴿وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾** وقد بيَّنت معنى النبيّ واختلاف المختلفين فيه، والصحيح من القول فيه عندنا بشواهده فيما مضى بما أغنى عن إعادته. وكان مجاهد يقول في معنى النبيّ وحده ما:

حدثنا به محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: النبيّ وحده الذي

يكلم وينزل عليه الوحي ولا يرسل.

وقوله ﴿**وَجَعَلَنِي مُبارَكاً**﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: وجعلني نفاعاً. ذكر من قال ذلك:

حدثني سليمان بن عبد الرحمن بن حماد الطلحي، قال: ثنا العلاء، عن عائشة امرأة ليث، عن ليث، عن مجاهد ﴿**وَجَعَلَنِي مُبارَكاً**﴾ قال: نفاعاً.

وقال آخرون: كانت بركته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ذكر من قال ذلك:

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن يزيد بن خنيس المخزومي، قال: سمعت وُهيب بن ابن الورد مولى بني مخزوم، قال: لقي عالم عالماً لما هو فوقه في العلم، فقال له: يرحمك الله، ما الذي أعلن من علمي، قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه دين الله الذي بعث به أنبياءه إلى عباده، وقد اجتمع الفقهاء على قول الله ﴿**وَجَعَلَنِي مُبارَكاً أيْنَما كُنْتُ**﴾ وقيل: ما بركته؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان.

وقال آخرون: معنى ذلك: جعلني معلِّم الخير. ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: ثنا سفيان في قوله ﴿**وَجَعَلَنِي مُبارَكاً أيْنَما كُنْتُ**﴾ قال: معلماً للخير.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَجَعَلَنِي مُبارَكاً أيْنَما كُنْتُ**﴾ قال: معلماً للخير حيثما كنت.

وقوله: ﴿**وأوْصَانِي بالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ**﴾ يقول: وقضى أن يوصيني بالصلاة والزكاة، يعني المحافظة على حدود الصلاة وإقامتها على ما فرضها عليّ. وفي الزكاة معنيان: أحدهما: زكاة الأموال أن يؤدّيها. والآخر: تطهير الجسد من دنس الذنوب فيكون معناه: وأوصاني بترك الذنوب واجتناب المعاصي.

وقوله: ﴿**ما دُمْتُ حَيّاً**﴾ يقول: ما كنت حياً في الدنيا موجوداً، وهذا يبين عن أن معنى الزكاة في هذا الموضع: تطهير البدن من الذنوب، لأن الذي يوصف به عيسى صلوات الله وسلامه عليه أنه كان لا يدّخر شيئاً لغد، فتجب عليه زكاة المال، إلا أن تكون الزكاة التي كانت فرضت عليه الصدقة بكلّ ما فضل عن قوته، فيكون ذلك وجهاً صحيحاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: مخبراً عن قيل عيسى للقوم: وجعلني مباركاً وبرّا: أي جعلني برّاً بوالدتي. والبرّ هو البارّ، يقال: هو برّ بوالده، وبارّ به، وبفتح الباء قرأتْ هذا الحرف قرّاء الأمصار. وروي عن أبي نهيك ما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبد المؤمن، عن أبي نهيك أنه قرأ: ﴿**وبَرّاً بِوَالِدَتي**﴾ من قول عيسى عليه السلام، قال أبو نهيك: أوصاني بالصلاة والزكاة والبرّ بالوالدين، كما أوصاني بذلك.

فكأنّ أبا نهيك وجه تأويل الكلام إلى قوله ﴿**وَبَرّاً بِوَالِدَتي**﴾ هو من خبر عيسى، عن وصية الله إياه به، كما أن قوله: ﴿**وأوْصَانِي بالصَّلاةِ والزَّكاةِ**﴾ من خبره عن وصية الله إياه بذلك. فعلى هذا القول يجب أن يكون نصب البرّ بمعنى عمل الوصية فيه، لأن الصلاة والزكاة وإن كانتا مخفوضتين في اللفظ، فإنهما بمعنى النصب من أجل أنه مفعول بهما.

وقوله: ﴿**ولَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِياً**﴾ يقول: ولم يجعلني مستكبراً على الله فيما أمرني به، ونهاني عنه. شقياً، ولكن ذللني لطاعته، وجعلني متواضعاً، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أنه يعني عيسى، كان يقول: سلوني، فإن قلبي ليّن، وإني صغير في نفسي مما أعطاه الله من التواضع.

وحدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَبَرّاً بِوَالِدَتي ولَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِياً**﴾ ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مَريم يحيي الموتى، ويُبرىء الأكمه والأبرص، في آيات سلطه الله عليهنّ، وأذن له فيهنّ، فقالت: طوبى للبطن الذي حملك، والثدي الذي أرضعت به، فقال نبيّ الله ابن مريم يجيبها: طوبى لمن تلا كتاب الله، واتبع ما فيه ﴿**ولَمْ يَكُنْ جَبَّاراً شَقِياً**﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا محمد بن كثير، عن عبد الله بن واقد أبي رجاء، عن بعض أهل العلم، قال: لا تجد عاقًا إلا وجدته جباراً شقياً. ثم قرأ ﴿**وَبَرًّا بِوَالِدَتي ولَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًا**﴾ قال: ولا تجد سيىء المِلْكة إلا وجدته مختالاً فخوراً، ثم قرأ ﴿**ومَا مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ إنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُختالاً فَخُوراً**﴾.

وقوله: ﴿والسَّلامُ عَليَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ يقول: والأمنة من الله عليّ من الشيطان وجنده يوم ولدت أن ينالوا مني ما ينالون ممن يولد عند الولادة، من الطعن فيه، ويوم أموت، من هول المطلع، ويوم أبعث حياً يوم القيامة أن ينالني الفزع الذي ينال الناس بمعاينتهم أهوال ذلك اليوم، كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لايتهم، عن وهب بن منبه ﴿وَالسَّلامُ عَليَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ قال: يخبرهم في قصة خبره عن نفسه، أنه لا أب له وأنه سيموت ثم يُبعث حياً، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ذلكَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي بيَّنت لكم صفته، وأخبرتكم خبره، من أمر الغلام الذي حملته مريم، هو عيسى ابن مريم، وهذه الصفة صفته، وهذا الخبر خبره، وهو ﴿قَوْلَ الحَقِّ﴾ يعني أن هذا الخبر الذي قصصته عليكم قول الحقّ، والكلام الذي تلوته عليكم قول الله وخبره، لا خبر غيره، الذي يقع فيه الوهم والشكّ، والزيادة والنقصان، على ما كان يقول الله تعالى ذكره: فقولوا في عيسى أيها الناس، هذا القول الذي أخبركم الله به عنه، لا ما قالته اليهود، الذين زعموا أنه لغير رِشْدَة، وأنه كان ساحراً كذّاباً، ولا ما قالته النصارى، من أنه كان لله ولداً، وإن الله لم يتخذ ولداً، ولا ينبغي ذلك له.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقِّ﴾ قال: الله الحقّ.

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعوديّ، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: كانوا يقولون في هذا الحرف في قراءة عبد الله، قال: ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾، قال: كلمة الله. ولو وُجِّه تأويل ذلك إلى: ذلك عيسى بن مريم القول الحقّ، بمعنى ذلك القول الحقّ، ثم حذفت الألف واللام من القول، وأضيف إلى الحقّ، كما قيل: ﴿إنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ﴾. وكما قيل: ﴿وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾، كان تأويلاً صحيحاً.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والعراق: «قَوْلُ الحَقّ»

برفع القول، على ما وصفت من المعنى، وجعلوه في إعرابه تابعاً لعيسى، كالنعت له، وليس الأمر في إعرابه عندي على ما قاله الذين زعموا أنه رفع على النعت لعيسى، إلا أن يكون معنى القول الكلمة، على ما ذكرنا عن إبراهيم، من تأويله ذلك كذلك، فيصحّ حينئذٍ أن يكون نعتا لعيسى، وإلا فرفعه عندي بمضمر، وهو هذا قول الحقّ على الابتداء، وذلك أن الخبر قد تناهى عن قصة عيسى وأمه عند قوله ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ﴾ ثم ابتدأ الخبر بأن الحقّ فيما فيه تمتري الأمم من أمر عيسى، هو هذا القول، الذي أخبر الله به عنه عباده، دون غيره. وقد قرأ ذلك عاصم بن أبي النَّجُود وعبد الله بن عامر بالنصب، وكأنهما أرادا بذلك المصدر: ذلك عيسى ابن مريم قولاً حقاً، ثم أدخلت فيه الألف واللام. وأما ما ذُكر عن ابن مسعود من قراءته: «ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَم قَالُ الحقّ»، فإنه بمعنى قول الحقّ، مثل العاب والعيب، والذام والذيم.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندنا: الرفع، لإجماع الحجة من القرّاء عليه. وأما قوله تعالى ذكره: ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ فإنه يعني: الذي فيه يختصمون ويختلفون، من قولهم: ماريت فلاناً: إذا جادلته وخاصمته: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿ذلكَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقِّ الَّذِي فيهِ يَمْتَرُونَ﴾ امتَرت فيه اليهود والنصارى فأما اليهود فزعموا أنه ساحر كذّاب وأما النصارى فزعموا أنه ابن الله، وثالث ثلاثة، وإله، وكذبوا كلهم، ولكنه عبد الله ورسوله، وكلمته وروحه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿الَّذِي فيهِ يَمْتَرُونَ﴾ قال: اختلفوا، فقالت فرقة: هو عبد الله ونبيه، فآمنوا به. وقالت فرقة: بل هو الله. وقالت فرقة: هو ابن الله. تبارك وتعالى عما يقولون علوّا كبيراً. قال: فذلك قوله: ﴿فاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ والتي في الزخرف. قال دِقْيوس ونسطور ومار يعقوب، قال أحدهم حين رفع الله عيسى: هو الله، وقال الآخر: ابن الله، وقال الآخر: كلمة الله وعبده، فقال المفتريان: إن قولي هو أشبه بقولك، وقولك بقولي من قول هذا، فهلمّ فلنقاتلهم، فقاتلوهم وأوطؤوهم إسرائيل، فأخرجوا منهم أربعة نفر، أخرج كلّ قوم عالمهم، فامتروا في عيسى حين رُفع، فقال أحدهم: هو الله هبط إلى الأرض وأحيا من أحيا، وأمات من أمات، ثم صعد إلى السماء، وهم اليعقوبية، فقال الثلاثة: كذبت، ثم قال اثنان منهم للثالث، قل أنت فيه، قال: هو ابن الله، وهم النسطورية، فقال الاثنان: كذبت، ثم قال أحد الاثنين للآخر: قل فيه، قال: هو ثالث ثلاثة: الله إله، وهو إله، وأمه إله، وهم الإسرائيلية ملوك النصارى قال الرابع: كذبت، هو عبد الله ورسوله

وروحه وكلمته، وهم المسلمون، فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال، فاقتتلوا، فظهر على المسلمين، وذلك قول الله: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يأْمُرُونَ بالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ قال قتادة: هم الذين قال الله: ﴿فاخْتَلَفَ الأحْزَابُ﴾ اختلفوا فيه فصاروا أحزاباً.

القول في تأويل قوله تعالى.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لقد كفرت الذين قالوا: إن عيسى ابن الله، وأعظموا الفِرْية عليه، فما ينبغي لله أن يتخذ ولداً، ولا يصلح ذلك له ولا يكون، بل كلّ شيء دونه فخلقه، وذلك نظير قول عمرو بن أحمر:

فـي رأسِ خَـلْـقـاءَ مِـنْ عَـنْـقـاءَ مُـشْـرِفَـةٍ ... لا يُـبْـتَـغَـى دُونَـهـا سَـهْـلٌ وَلا جَـبَـلُ[1]

وأن من قوله ﴿أنْ يَتَّخِذَ﴾ في موضع رفع بكان. وقوله: ﴿سُبْحانَهُ﴾ يقول: تنزيهاً لله وتبرئة له أن يكون له ما أضاف إليه الكافرون القائلون: عيسى ابن الله. وقوله: ﴿إذَا قَضَى أمْراً فإنَّمَا يَقُول لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يقول جل ثناؤه: إنما ابتدأ الله خلق عيسى ابتداء، وأنشأه إنشاء، من غير فحل افتحل أمه، ولكنه قال له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ لأنه كذلك يبتدع الأشياء ويخترعها، إنما يقول، إذا قضى خلق شيء أو إنشاءه: كن فيكون موجوداً حادثاً، لا يعظم عليه خلقه، لأنه لا يخلقه بمعاناة وكلفة، ولا ينشئه بمعالجة وشدّة.

وقوله: ﴿وَإنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فاعْبُدُوهُ﴾ اختلف القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة والبصرة: «وأنَّ اللَّهَ رَبّي وَرَبُّكُمْ» واختلف أهل العربية في وجه فتح «أن» إذا فتحت، فقال بعض نحوّيي الكوفة: فُتحت ردّاً على عيسى وعطفاً عليه، بمعنى: ذلك عيسى ابن مريم، وذلك أن الله ربي وربكم. وإذا كان ذلك كذلك كانت أن رفعاً، وتكون بتأويل خفض، كما قال: ﴿ذَلِكَ أنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ﴾ قال: ولو فتحت على قوله: ﴿وأوْصَانِي﴾ بأن الله، كان وجهاً. وكان بعض البصريين يقول: وذُكر ذلك أيضاً عن أبي عمرو بن العلاء، وكان ممن يقرؤه

---

(١) البيت لعمرو بن أحمر «اللسان» عنق قال: وأما قول ابن أحمر:

فـي رأسِ خَـلْـقـاءَ مِـنْ عَـنْـقـاءَ مُـشْـرِفَـةٍ ... لا يُـبْـتَـغَـى دُونَـهـا سَـهْـلٌ ولاَ جَـبَـلُ

فإنه يصف جبلاً، يقول: لا ينبغي أن يكون فوقها سهل ولا جبل أحصن منها. ا هـ. قلت: والخلقاء: الصخرة الملساء. والعنقاء: البعيدة في السماء. والمشرفة: العالية. ورواية الشطر الثاني في الأصل:

مـا يـنـبـغـي دونـهـا سـهـل ولا جـبـل

بالفتح إنما فتحت أن بتأويل ﴿وَقَضَى﴾ أن الله ربي وربُّكم. وكانت عامة قرّاء الكوفيين يقرؤونه: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ بكسر إن بمعنى النسق على قوله: ﴿فإنَّما يَقُولُ لَهُ﴾. وذُكر عن أبيّ بن كعب أنه كان يقرؤه: «فإنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ إنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ» بغير واو.

قال أبو جعفر: والقراءة التي نختار في ذلك: الكسر على الابتداء. وإذا قرىء كذلك لم يكن لها موضع، وقد يجوز أنْ يكون عطفاً على «إنَّ» التي مع قوله ﴿قالَ إنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الكِتابَ وَإنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ ولو قال قائل، ممن قرأ ذلك نصباً: نصب على العطف على الكتاب، بمعنى: آتاني الكتاب، وآتاني أن الله ربي وربُّكم، كان وجهاً حسناً. ومعنى الكلام: وإني وأنتم أيها القوم جميعاً الله عبيد، فإياه فاعبدوا دون غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لايتهم، عن وهب بن منبه، قال: عهد إليهم حين أخبرهم عن نفسه ومولده وموته وبعثه ﴿إنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي إني وإياكم عبيد الله، فاعبدوه ولا تعبدوا غيره.

وقوله: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ يقول: هذا الذي أوصيتكم به، وأخبرتكم أن الله أمرني به هو الطريق المستقيم، الذي من سلكه نجا، ومن ركبه اهتدى، لأنه دين الله الذي أمر به أنبياءه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧)﴾.

يقول تعالى ذكره: فاختلف المختلفون في عيسى، فصاروا أحزاباً متفرّقين من بين قومه، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثني الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿فاخْتَلَفَ الأحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ قال: أهل الكتاب.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فاخْتَلَفَ الأحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ ذُكر لنا أن لما رُفع ابن مريم، انتخبت بنو إسرائيل أربعة من فقهائهم، فقالوا للأوّل: ما تقول في عيسى؟ قال: هو الله هبط إلى الأرض، فخلق ما خلق، وأحيا ما أحيا، ثم صَعِد إلى السماء، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت اليعقوبية من النصارى وقال الثلاثة الآخرون: نشهد أنك كاذب، فقالوا للثاني: ما تقول في عيسى؟ قال: هو ابن الله، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت النّسطورية من النصارى وقال الاثنان الآخران: نشهد أنك كاذب، فقالوا للثالث: ما

تقول في عيسى؟ قال: هو إله، وأمه إله، والله إله، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت الإسرائيلية من النصارى، فقال الرابع: أشهد أنك كاذب، ولكنه عبد الله ورسوله، هو كلمة الله وروحه فاختصم القوم، فقال المرء المسلم: أنشُدكم الله ما تعلمون أن عيسى كان يَطعم الطعام، وأن الله تبارك وتعالى: لا يطعم الطعام قالوا: اللهمّ نعم، قال: هل تعلمون أن عيسى كان ينام؟ قالوا: اللهمّ نعم، قال فخصمهم المسلم قال: فاقتتل القوم. قال: فذُكر لنا أن اليعقوبية ظهرت يومئذٍ وأصيب المسلمون، فأنزل الله في ذلك القرآن: **﴿إنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بآياتِ الله وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بغَيْرِ حَقّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأمُرُونَ بِالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ ألِيمٍ﴾**.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا إسحاق، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة **﴿فاخْتَلَفَ الأحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾** اختلفوا فيه فصاروا أحزاباً..

وقوله: **﴿فَوَيْلٌ للَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْم عَظِيمٍ﴾** يقول: فوادي جهنم الذي يدعي ويلاً للذين كفروا بالله، من الزاعمين أن عيسى لله ولدٌ، وغيرهم من أهل الكفر به من شهودهم يوماً عظيماً شأنه، وذلك يوم القيامة. وكان قتادة يقول في تأويل ذلك ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال الله: **﴿فَوَيْلٌ للَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾** شهدوا هولاً إذاً عظيماً.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٣٨)﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن حال الكافرين به، الجاعلين له أنداداً، والزاعمين أن له ولداً يوم ورودهم عليه في الآخرة: لئن كانوا في الدنيا عمياً عن إبصار الحقّ، والنظر إلى حجج الله التي تدلّ على وحدانيته، صماً عن سماع آي كتابه، وما دعتهم إليه رسل الله فيها من الإقرار بتوحيده، وما بعث به أنبياءه، فما أسمعهم يوم قدومهم على ربهم في الآخرة، وأبصرهم يومئذٍ حين لا ينفعهم الإبصار والسماع. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿أسْمِعْ بِهِمْ وأبْصِرْ﴾** ذاك والله يوم القيامة، سمعوا حين لا ينفعهم السمع، وأبصروا حين لا ينفعهم البصر.

حدثنا الحسن، قال أخبرنا عبد الرّزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله **﴿أسمِعْ بِهِمْ وأبْصِرْ﴾** قال: أسمعُ قومٍ وأبصرُهُم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة، قال **﴿أسمِعْ بِهِمْ وأبْصِرْ يَوْمَ يأْتونَنا﴾** يوم القيامة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسن، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: ﴿أسمِعْ﴾ بحديثهم اليوم ﴿وأبْصِرْ﴾ كيف يصنع بهم ﴿يَوْمَ يأتُونَنا﴾

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أسمِعْ بِهِمْ وأبْصِرْ يَوْمَ يأتُونَنا﴾ قال: هذا يوم القيامة، فأما الدنيا فلا، كانت على أبصارهم غشاوة، وفي آذانهم وقر في الدنيا فلما كان يوم القيامة أبصروا وسمعوا فلم ينتفعوا، وقرأ: ﴿رَبَّنا أبْصَرْنا وسَمِعْنا فارْجِعْنا نَعْمَلْ صَالِحاً إنا مُوقِنُونَ﴾.

وقوله: ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ اليَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: لكن الكافرون الذين أضافوا إليه ما ليس من صفته، وافتروا عليه الكذب اليوم في الدنيا، في ضلال مبين يقول: في ذهاب عن سبيل الحقّ، وأخذ على غير استقامة، مبين أنه جائر عن طريق الرشد والهدى، لمن تأمله وفكَّر فيه، فهُدِي لرشده.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وأنذر يا محمد هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم، على ما فرّطوا في جنب الله، وأورثت مساكنهم من الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له، وأدخلوهم مساكن أهل الإيمان بالله من النار، وأيقن الفريقان بالخلود الدائم، والحياة التي لا موت بعدها، فيا لها حسرةً وندامة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهديّ، قال: ثنا سفيان، عن سَلَمة بن كُهَيل، قال: ثنا أبو الزعراء، عن عبد الله في قصة ذكرها، قال: ما من نفس إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة، وبيت في النار، وهو يوم الحسرة، فيرى أهل النار البيت الذي كان قد أعدّه الله لهم لو آمنوا، فيقال لهم: لو آمنتم وعملتم صالحاً كان لكم هذا الذي ترونه في الجنة، فتأخذهم الحسرة، ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار، فيقال: لولا أن مَنّ الله عليكم.

حدثنا أبو السائب، قال: ثنا معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجاءُ بالمَوْتِ يَوْمَ القِيامَةِ فَيُوقَفُ بينَ الجَنَّةِ والنَّارِ كأنَّه كَبْشٌ أمْلَحُ» قال: «فَيُقالُ: يا أهْلَ الجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، فَيُقالُ: يا أهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا المَوْتُ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ» قال: «فَيَقُولُ: يا أهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلا مَوْت، وَيا أهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْت» قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إذْ قُضِيَ الأمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ وأشار بيده في الدنيا.

حدثني عبيد بن أسباط بن محمد، قال: ثنا أبي، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ في هذه الآية ﴿**وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ**﴾ قال: «**يُنادَى: يا أهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ، فَيَنْظُرونَ، ثُمَّ يُنادَى: يا أهْلَ النَّارِ فَيَشْرَئِبُّونَ فَيَنْظُرونَ، فَيُقالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ المَوْتَ؟ قال: فَيَقُولُونَ: لا، قال: فَيُجاءُ بالمَوْتِ في صُورَةِ كَبْشٍ أمْلَحَ، فَيُقالُ: هَذَا المَوْتُ، ثُمَّ يُؤْخَذُ فَيُذْبَحُ، قالَ: ثُمَّ يُنادِي يا أهْلَ النَّار خُلُودٌ فَلا مَوْتَ، وَيا أهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلا مَوْت**»، قال: ثم قرأ ﴿**وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إذْ قُضِيَ الأمْرُ**﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، في قوله: ﴿**وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ**﴾ قال: يصوّر الله الموت في صورة كبش أملح، فيذبح، قال: فييأس أهل النار من الموت، فلا يرجونه، فتأخذهم الحسرة من أجل الخلود في النار، وفيها أيضاً الفزع الأكبر، ويأمن أهل الجنة الموت، فلا يخشونه، وأمنوا الموت، وهو الفزع الأكبر، لأنهم يخلدون في الجنة، قال ابن جريج: يحشر أهل النار حين يذبح الموت والفريقان ينظرون، فذلك قوله: ﴿**إذْ قُضِيَ الأمْرُ**﴾ قال: ذبح الموت ﴿**وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ**﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال ثني حجاج، عن ابن جريج، عن أبيه أنه أخبره أنه سمع عبيد بن عمير في قصصه يقول: يؤتَى بالموت كأنه دابة، فيذبح والناس ينظرون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ**﴾ قال: يوم القيامة، وقرأ ﴿**أنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتا عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ**﴾.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ**﴾ من أسماء يوم القيامة، عظمه الله، وحذّره عباده. وقوله: ﴿**إذْ قُضِيَ الأمْرُ**﴾يقول: إذ فُرغ من الحكم لأهل النار بالخلود فيها، ولأهل الجنة بمقام الأبد فيها بذبح الموت. وقوله: ﴿**وَهُمْ في غَفْلَةٍ**﴾ يقول: وهؤلاء المشركون في غفلة عما الله فاعل بهم يوم يأتونه خارجين إليه من قبورهم، من تخليده إياهم في جهنم، وتوريثه مساكنهم من الجنة وغيرهم ﴿**وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: وهم لا يصدقون بالقيامة والبعث، ومجازاة الله إياهم على سيىء أعمالهم بما أخبر أنه مجازيهم به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا يحزنك تكذيب هؤلاء المشركين لك يا محمد فيما أتيتهم به من الحقّ، فإن إلينا مرجعهم ومصيرهم ومصير جميع الخلق غيرهم، ونحن وارثو الأرض ومن عليها من الناس بفنائهم منها، وبقائها لا مالك لها غيرنا، ثم علينا جزاء كل عامل

منهم بعمله، عند مرجعه إلينا، المحسن منهم بإحسانه، والمسيء بإساءته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱذۡكُرۡ فِى ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِى عَنكَ شَيۡـًٔا ﴿٤٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه: ﴿واذْكُرْ﴾ يا محمد في كتاب الله ﴿إبْرَاهِيمَ﴾ خليل الرحمٰن، فاقصص على هؤلاء المشركين قصصه وقصص أبيه ﴿إنَّه كَانَ صِدِّيقاً﴾ يقول: كان من أهل الصدق في حديثه وأخباره ومواعيده لا يكذب، والصدّيق هو الفعيل من الصدق.

وقد بيّنا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ﴿نَبِيًّا﴾ يقول: كان الله قد نبأه وأوحى إليه.

وقوله: ﴿إذْ قالَ لأَبِيهِ﴾ يقول: اذكره حين قال لأبيه ﴿يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ﴾ يقول: ما تصنع بعبادة الوَثَن الذي لا يسمع ﴿وَلا يُبْصِرُ﴾ شيئاً ﴿وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ يقول: ولا يدفع عنك ضرّ شيء، إنما هو صورة مصوّرة لا تضرّ ولا تنفع. يقول: ما تصنع بعبادة ما هذه صفته، اعبد الذي إذا دعوته سمع دعاءك، وإذا أحيط بك أبصرك فنصرك، وإذا نزل بك ضرّ دفع عنك.

واختلف أهل العربية في وجه دخول الهاء في قوله: ﴿يا أَبَتِ﴾ فكان بعض نحوِّيي أهل البصرة يقول: إذا وقفت عليها قلت: يا أبه، وهي هاء زيدت نحو قولك: يا أمه، ثم يقال: يا أم إذا وصل، ولكنه لما كان الأب على حرفين، كان كأنه قد أُخِلّ به، فصارت الهاء لازمة، وصارت الياء كأنها بعدها، فلذلك قالوا: يا أبة أقبل، وجعل التاء للتأنيث، ويجوز الترخيم من يا أب أقبل، لأنه يجوز أن تدعو ما تضيفه إلى نفسك في المعنى مضموماً، نحو قول العرب: يا ربّ اغفر لي، وتقف في القرآن: يا أبه في الكتاب. وقد يقف بعض العرب على الهاء بالتاء. وقال بعض نحوِّيي الكوفة: الهاء مع أبة وأمة هاء وقف، كثرت في كلامهم حتى صارت كهاء التأنيث، وأدخلوا عليها الإضافة، فمن طلب الإضافة، فهي بالتاء لا غير، لأنك تطلب الياء، ولا تكون الهاء حينئذ إلا تاء، كقولك: يا أبت لا غير، ومن قال: يا أبه، فهو الذي يقف بالهاء، لأنه لا يطلب بعدها ياء؛ ومن قال: يا أبتا، فإنه يقف عليها بالتاء، ويجوز بالهاء؛ فأما بالتاء فلطلب ألف الندبة، فصارت الهاء تاء لذلك، والوقف بالهاء بعيد، إلا فيمن قال «يا أميمةَ ناصِبِ» فجعل هذه الفتحة من فتحة الترخيم، وكأن هذا طرف الاسم، قال: وهذا بعيد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدۡ جَآءَنِى مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِىٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لأبيه: يا أبت إني قد آتاني الله من العلم ما لم يؤتك فاتبعني يقول: فأقبل مني نصيحتي ﴿أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ يقول: أبصرك هدى الطريق المستوى الذي لا تضلّ فيه إن لزمته، وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه. القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان لله عاصياً، والعصى هو ذو العصيان، كما العليم ذو العلم. وقد قال قوم من أهل العربية: العصى: هو العاصي، والعليم هو العالم، والعريف هو العارف، واستشهدوا لقولهم ذلك بقول طريف بن تميم العنبريّ:

أَوَ كُلَّمـا وَرَدَتْ عُكـاظَ قَبِيلَـةٌ ... بَعَثُوا إلـيَّ عَرِيفَهُـمْ يَتَوَسَّمُ(١)

وقالوا: قال عريفهم وهو يريد: عارفهم، والله أعلم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾.

يقول: يا أبت إني أعلم أنك إن متّ على عبادة الشيطان أنه يمسك عذاب من عذاب الله ﴿فَتَكُونَ للشَّيطانِ وَلِيًّا﴾ يقول: تكون له ولياً دون الله، ويتبرأ منك، فتهلك، والخوف في هذا الموضع بمعنى العلم، كما الخشية بمعنى العلم، في قوله: ﴿فَخَشِينا أنْ يُرْهِقَهُما طُغْيانا وَكُفْراً﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره ﴿قالَ﴾ أبو إبراهيم لإبراهيم حين دعاه إبراهيم إلى عبادة الله وترك عبادة الشيطان، والبراءة من الأوثان والأصنام ﴿أرَاغِبٌ أنْتَ﴾ يا إبراهيم ﴿عَنْ﴾ عبادة ﴿آلِهَتِي ـ لَئِنْ﴾ أنت ﴿لَمْ تَنْتَهِ﴾ عن ذكره بسوء ﴿لأَرْجُمَنَّكَ﴾ يقول: لأرجمنك بالكلام وذلك السبّ، والقول القبيح.

وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿قالَ أرَاغِبٌ أنْتَ عَنْ آلِهَتِي

---

(١) هذا جزء من بيت للنابغة سبق الاستشهاد به في (١٤/ ٢١) وهو:

كِلِيني لِهَمٍّ يا أُمَيمةَ ناصِبِ ... ولَيلٍ أُقاسِيهِ بَطِيءِ الكَواكِبِ

(٢) البيت في «اللسان» عرف ونسبه إلى طريف بن مالك العنبري، وقيل طريف بن عمرو. قال: والعريف والعارف بمعنى، مثل عليم وعالم. قال سيبويه: هو فعيل بمعنى فاعل، كقولهم ضريب قادح والجمع عرفاء.

يا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ﴾ بالشتيمة والقول.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، في قوله: **﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ﴾** قال: بالقول لأشتمنك.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿لأَرْجُمَنَّكَ﴾** يعني: رجْم القول.

وأما قوله: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معنى ذلك: واهجرني حيناً طويلاً ودهراً. ووجَّهوا معنى المليّ إلى المُلاوة من الزمان، وهو الطويل منه. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا محمد بن أبي الوضاح، عن عبد الكريم، عن مجاهد، في قوله: **﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾** قال: دهراً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله **﴿مَلِيّاً﴾** قال حيناً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن **﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾** قال: طويلاً.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن، في قوله **﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾** قال: زماناً طويلاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق **﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾** يقول: دهراً، والدهر: المليّ.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير **﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾** قال دهراً.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، ثنا أسباط، عن السديّ **﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾** قال: أبداً.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: واهجرني سَوِيّاً سالماً من عقوبتي إياك، ووجَّهوا معنى المليّ إلى قول الناس: فلان مليّ بهذا الأمر: إذا كان مضطلعاً به غنياً فيه. وكأن معنى الكلام كان عندهم: واهجرني وعرضُك وافر من عقوبتي، وجسمك معافى من أذاي. ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن

عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾ يقول: اجتنبني سَوِيًا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾ قال: اجتنبني سالماً قبل أن يصيبك مني عقوبة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾ قال: سالماً.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى بن كثير بن درهم أبو غسان، قال: ثنا قرة بن خالد، عن عطية الجدلي ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾ قال: سالماً.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾: اجتنبني سالماً لا يصيبك مني معرّة.

قال أبو جعفر: وأولى القولين بتأويل الآية عندي قول من قال: معنى ذلك: واهجرني سوياً، سليماً من عقوبتي، لأنه عقيب قوله: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ﴾ وذلك وعيد منه له إن لم ينته عن ذكر آلهته بالسوء أن يرجمه بالقول السيء، والذي هو أولى بأن يتبع ذلك التقدّم إليه بالانتهاء عنه قبل أن تناله العقوبة، فأما الأمر بطول هجره فلا وجه له.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لأبيه حين توعّده على نصيحته إياه ودعائه إلى الله بالقول السيء والعقوبة: سلام عليك يا أبت، يقول: أمنة مني لك أن أعاودك فيما كرهت، ولدعائك إليّ ما توعدتني عليه بالعقوبة، ولكني ﴿سأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبي﴾ يقول: ولكني سأسأل ربي أن يستر عليك ذنوبك بعفوه إياك عن عقوبتك عليها ﴿إنَّهُ كانَ بِي حَفِيّاً﴾ يقول: إن ربي عهدته بي لطيفاً يجيب دعائي إذا دعوته يقال منه: تحفى بي فلان. وقد بيَّنت ذلك بشواهده فيما مضى، بما أغنى عن إعادته هاهنا. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿إنَّهُ كانَ بِي حَفِيّاً﴾ يقول: لطيفاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إنَّهُ كانَ بِي

حَفِيّاً﴾ قال: إنه كان بي لطيفاً، فإن الحفيّ: اللطيف.

وقوله: **﴿وأعْتَزِلُكُمْ وَما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** يقول: وأجتنبكم وما تدعون من دون الله من الأوثان والأصنام **﴿وأدْعُو رَبّي﴾** يقول: وأدعو ربي، بإخلاص العبادة له، وإفراده بالربوبية **﴿عَسَى أنْ لا أكُونَ بِدُعاءِ رَبّي شَقِيّاً﴾** يقول: عسى أن لا أشقى بدعاء ربي، ولكن يجيب دعائي، ويعطيني ما أسأله. **القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما اعتزل إبراهيم قومه وعبادة ما كانوا يعبدون من دون الله من الأوثان آنسنا وحشته من فراقهم، وأبدلناه منهم بمن هو خير منهم وأكرم على الله منهم، فوهبنا له ابنه إسحاق، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق **﴿وكُلاًّ جَعَلْنا نَبِيّاً﴾** يقول: وجعلناهم كلهم، يعني بالكلّ إبراهيم وإسحاق ويعقوب أنبياء وقال تعالى ذكره: **﴿وكُلاًّ جَعَلْنا نَبِيّاً﴾** فوحد، ولم يقل أنبياء، لتوحيد لفظ كلّ **﴿وَوَهَبْنا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنا﴾** يقول جلّ ثناؤه: ورزقنا جميعهم، يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب من رحمتنا، وكان الذي وهب لهم من رحمته، ما بسط لهم في عاجل الدنيا من سعة رزقه، وأغناهم بفضله.

وقوله **﴿وَجَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيّاً﴾** يقول تعالى ذكره: ورزقناهم الثناء الحسن، والذكر الجميل من الناس، كما:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَجَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيّاً﴾** يقول: الثناء الحسن.

وإنما وصف جلّ ثناؤه اللسان الذي جعل لهم بالعلوّ، لأن جميع أهل الملل تحسن الثناء عليهم، والعرب تقول: قد جاءني لسان فلان، تعني ثناءه أو ذمه ومنه قول عامر بن الحارث:

إنّي أتَتْنِي لِسانٌ لا أُسَرُّ بِهَا ... مِنْ عَلْوَ لا عَجَبٌ مِنْها وَلا سَخَرُ[1]

---

(١) البيت لأعشى باهلة واسمه عامر بن الحارث «**جمهرة أشعار العرب**» (ص ـ ١٣٥) وهي إحدى المراثي الجياد. وفي «**اللسان**»: لسن «**اللسان**» جارحة الكلام، وقد يكنى بها عن الكلمة، فيؤنث حينئذ. قال أعشى باهلة:

إنـي أتـتـنـي لـسـان... الـبـيـت

قال ابن بري: اللسان هنا: الرسالة والمقالة. وقد يذكر على معنى الكلام. ثم قال: قال اللحياني: «**اللسان**» في الكلام يذكر ويؤنث، يقال إن لسان الناس عليك لحسنة وحسن، أي ثناؤهم. ا هـ و «**اللسان**» الثناء، وقوله عز وجل: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾: معناه: اجعل لي ثناء حسناً باقياً إلى آخر الدهر=

ويُروى: لا كذب فيها ولا سَخَر.

جاءَتْ مُرجَمَةٌ قد كُنتُ أحذَرُها لَوْ كانَ يَنفَعُني الإشفاقُ والحَذَرُ[1]

مرجمّة: يظنّ بها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥١)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: واذكر يا محمد في كتابنا الذي أنزلناه إليك موسى بن عمران، واقصص على قومك أنه كان مخلصاً.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: «إنَّهُ كانَ مُخْلِصاً» بكسر اللام من المُخْلِص، بمعنى: إنه كان يخلص لله العبادة، ويفرده بالألوهة، من غير أن يجعل له فيها شريكاً. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة خلا عاصم: ﴿إنَّهُ كانَ مُخْلَصاً﴾ بفتح اللام من مُخْلَص، بمعنى: إن موسى كان الله قد أخلصه واصطفاه لرسالته، وجعله نبياً مرسلاً.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي: أنه كان ﷺ مُخْلِصاً عبادة الله، مُخْلَصاً للرسالة والنبوّة، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب.

﴿وكانَ رَسُولاً﴾ يقول: وكان لله رسولاً إلى قومه بني إسرائيل، ومن أرسله إليه نبياً.

القول في تأويل قوله تعالى.

﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢) وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (٥٣)﴾.

يقول تعالى ذكره: وناديناً موسى من ناحية الجبل، ويعني بالأيمن: يمين موسى، لأن الجبل لا يمين له ولا شمال، وإنما ذلك كما يقال: قام عن يمين القبلة وعن شمالها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

= ا هـ. وفي «**تاج العروس**» علا: وأما قول أعشى باهلة «من علو» فيروى بضم الواو وفتحها وكسرها، أي أتاني خبر من أعالي نجد. ا هـ. وفي «**جمهرة أشعار العرب**»: السخر: الاستهزاء. ا هـ. وقد استشهد المؤلف بالبيت على أن «**اللسان**» قد يجيء بمعنى الثناء مع أن اللغويين فسروه بمعنى الخبر أو الرسالة أو المقالة.

(١) هذا البيت لأعشى باهلة أيضاً، وهو بعد البيت السابق عليه في القصيدة نفسها، كما في «**جمهرة أشعار العرب**» (ص ـ ١٣٦) ومعنى مرجمة: أي مظنونة، لا يوقف على حقيقتها ويقال: كلام مرجم عن غير يقين. ولعل الشاعر أراد أن الناس كلهم لم يصدقوا خبر هذه الفاجعة التي نزلت بهم، فهم بين مصدق ومكذب.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**مِن جانِبِ الطُّورِ الأيمَنِ**﴾ قال: جانب الجبل الأيمن.

وقد بيَّنا معنى الطور واختلاف المختلفين فيه، ودللنا على الصواب من القول فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: ﴿**وَقَرَّبْناهُ نَجِيّاً**﴾ يقول تعالى ذكره: وأدنيناه مناجياً، كما يقال: فلان نديم فلان ومنادمه، وجليس فلان ومجالسه. وذُكر أن الله جلّ ثناؤه أدناه، حتى سمع صريف القلم. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿**وَقَرَّبْناهُ نَجِيّاً**﴾ قال: أُدْنِيَ حتى سمع صريف القلم.

حدثنا محمد بن منصور الطُّوسِيّ، قال: ثنا يحيى بن أبي بكر، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، قال: أراه عن مجاهد، في قوله: ﴿**وَقَرَّبْناهُ نَجِيّاً**﴾ قال: بين السماء الرابعة، أو قال: السابعة، وبين العرش سبعون ألف حجاب: حجاب نور، وحجاب ظلمة، وحجاب نور، وحجاب ظلمة فما زال يقرب موسى حتى كان بينه وبينه حجاب، وسمع[1] صَريف القلم ﴿**قالَ رَبِّ أرِنِي أنْظُرْ إلَيْكَ**﴾.

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: قرّبه منه حتى سمع صريف القلم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن ميسرة ﴿**وَقَرَّبْناهُ نَجِيّاً**﴾ قال: أُدْنِيَ حتى سمع صريف القلم في اللوح، وقال شعبة: أردفه جبرائيل عليه السلام.

وقال قتادة في ذلك، ما:

حدثنا به الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**وَقَرَّبْناهُ نَجِيّاً**﴾ قال: نجا بصدقه.

وقوله: ﴿**وَوَهَبْنا لَهُ منْ رَحْمَتنا أخاهُ هارُونَ**﴾ يقول: ووهبنا لموسى رحمة منا أخاه هارون ﴿**نَبِيّاً**﴾ يقول: أيَّدناه بنبوّته، وأعنّاه بها، كما:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَية، عن داود، عن عكرمة، قال: قال ابن عباس: قوله: ﴿**وَوَهَبْنا لَهُ منْ رَحْمَتِنا أخاهُ هارُونَ نَبِيّاً**﴾ قال: كان هارون أكبر من موسى، ولكن أراد وهب له نبوّته.

---

(١) عبارة «الدر المنثور» للسيوطي: حتى كان بينه وبينه حجاب، فلما رأى مكانه وسمع.... الخ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد في هذا الكتاب إسماعيل بن إبراهيم، فاقصص خبره إنه كان لا يكذب وعده، ولا يخلف، ولكنه كان إذا وعد ربه، أو عبداً من عباده وعداً وفى به، كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: **﴿إِنَّهُ كانَ صَادِقَ الوَعْدِ﴾** قال: لم يَعِدْ ربه عِدة إلا أنجزها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث أن سهل بن عقيل، حدّثه أن إسماعيل عليه السلام وعد رجلاً مكاناً أن يأتيه، فجاء ونسي الرجل، فظلّ به إسماعيل، وبات حتى جاء الرجل من الغد، فقال: ما برحت من هاهنا؟ قال: لا، قال: إني نسيت، قال: لم أكن لأبرح حتى تأتي، فبذلك كان صادقاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿وكانَ يأْمُرُ أهْلَهُ بِـ﴾**إقامة **﴿الصَّلاةِ و﴾** إيتاء **﴿الزَّكاةِ وكانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً﴾** عمله، محموداً فيما كلفه ربه، غير مقصر في طاعته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد في كتابنا هذا إدريس **﴿إنَّهُ كانَ صِدّيقاً﴾** لا يقول الكذب، **﴿نَبِيّاً﴾**نوحي إليه من أمرنا ما نشاء **﴿وَرَفَعْناهُ مَكاناً عَلِيّاً﴾** ذكر أن الله رفعه وهو حيّ إلى السماء الرابعة، فذلك معنى قوله: **﴿وَرَفَعْناهُ مَكاناً عَلِيّاً﴾** يعني به إلى مكان ذي علوّ وارتفاع. وقال بعضهم: رُفع إلى السماء السادسة. وقال آخرون: الرابعة. ذكر الرواية بذلك:

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني جرير بن حازم، عن سليمان الأعمش، عن شمر بن عطية، عن هلال بن يساف، قال: سأل ابن عباس كعباً وأنا حاضر، فقال له: ما قول الله تعالى لإدريس **﴿وَرَفَعْناهُ مَكاناً عَلِيّاً﴾** قال كعب: أما إدريس، فإن الله أوحى إليه: إني رافع لك كلّ يوم مثل عمل جميع بني آدم، فأحبّ أن تزداد عملاً، فأتاه خليل له

من الملائكة، فقال: إن الله أوحى إليّ كذا وكذا، فكلمْ لي ملك الموت، فليؤخرني حتى أزداد عملاً، فحمله بين جناحيه، ثم صعد به إلى السماء فلما كان في السماء الرابعة، تلقاهم ملك الموت منحدراً، فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس، فقال: وأين إدريس؟ فقال: هوذا على ظهري، قال ملك الموت: فالعجب بعثت أقبض روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض؟ فقبض روحه هناك، فذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكاناً عَلِيّاً﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكاناً عَلِيّاً﴾ قال: إدريس رُفع فلم يمت، كما رُفع عيسى.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله، إلا أنه قال: ولم يمت.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكاناً عَلِيّاً﴾ قال: رفع إلى السماء السادسة، فمات فيها.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مكاناً علياً﴾ إدريس أدركه الموت في السماء السادسة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ قال: السماء الرابعة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ قال: في السماء الرابعة.

حدثنا عليّ بن سهيل، قال: ثنا حجاج، قال: ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية الرياحي، عن أبي هريرة أو غيره «شكّ أبو جعفر الرازي» قال: لما أسري بالنبيّ ﷺ صعد به جبريل إلى السماء الرابعة، فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قالوا: ومن معه؟ قال: محمد، قالوا: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حياه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء، قال: فدخل فإذا هو برجل، قال: هذا إدريس رفعه الله مكاناً علياً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾

قال: حدثنا أنس بن مالك أن نبيّ الله حدث أنه لما عرج به إلى السماء قال: أتيت على إدريس في السماء الرابعة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: هؤلاء الذين اقتصصتُ عليك أنباءهم في هذه السورة يا محمد، الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه، فهداهم لطريق الرشد من الأنبياء من ذريه آدم، ومن ذرية من حملنا مع نوح في الفُلك، ومن ذرية إبراهيم خليل الرحمن، ومن ذرية إسرائيل، وممن هدينا للإيمان بالله والعمل بطاعته واجتبينا: يقول: وممن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا، فالذي عنى به من ذرية آدم إدريس، والذي عنى به من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم، والذي عنى به من ذرية إبراهيم إسحاق ويعقوب وإسماعيل، والذي عنى به من ذرية إسرائيل: موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه مريم، ولذلك فرق تعالى ذكره أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة، وهو إدريس، وإدريس جدّ نوح.

وقوله تعالى ذكره: ﴿**إِذَا تُتلى عَلَيهِمْ آياتُ الرَّحمنِ**﴾ يقول: إذا تتلى على هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين أدلة الله وحججه التي أنزلها عليهم في كتبه، خرّوا لله سجداً، استكانة له وتذللاً وخضوعاً لأمره وانقياداً، ﴿**وَبُكِيّاً**﴾ يقول: خرّوا سجداً وهم باكون، والبُكِيّ: جمع باك، كما العُتِيّ جمع عات والجُثِيّ: جمع جاث، فجمع وهو فاعل على فعول، كما يجمع القاعد قعوداً، والجالس جلوساً، وكان القياس أن يكون: وبُكوّاً وعتوّاً، ولكن كرهت الواو بعد الضمة فقلبت ياء، كما قيل في جمع دلو أدل. وفي جمع البهو أبه، وأصل ذلك أفعل أدلو وأبهو، فقلبت الواو ياء لمجيئها بعد الضمة استثقالاً، وفي ذلك لغتان مستفيضتان، قد قرأ بكلّ واحدة علماء من القرّاء بالقرآن بكيا وعتوّاً بالضمّ، وبكياً وعتياً بالكسر. وقد يجوز أن يكون البكيّ هو البكاء بعينه. وقد:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: قرأ عمر بن الخطاب سورة مريم فسجد وقال: هذا السجود، فأين البكيّ؟ يريد: فأين البكاء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)﴾.

يقول تعالى ذكره: فحدث من بعد هؤلاء الذين ذكرت من الأنبياء الذين أنعمت عليهم، ووصفت صفتهم في هذه السورة، خلْف سوء خلفوهم في الأرض أضاعوا الصلاة.

ثم اختلف أهل التأويل في صفة إضاعتهم الصلاة، فقال بعضهم: كانت إضاعتهموها تأخيرهم إياها عن مواقيتها، وتضييعهم أوقاتها. ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن سعد الكندي، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن الأوزاعي، عن موسى بن سليمان، عن القاسم بن مخيمرة، في قوله: ﴿**فخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ**﴾ قال: إنما أضاعوا المواقيت، ولو كان تركاً كان كفراً.

حدثنا إسحاق بن زيد الخطابي، قال: ثنا الفريابي، عن الأوزاعي، عن القاسم بن مخيمرة نحوه.

حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير، قال: ثني الوليد بن مسلم، عن أبي عمرو، عن القاسم بن مخيمرة، قال: أضاعوا المواقيت، ولو تركوها لصاروا بتركها كفاراً.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: ثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن القاسم نحوه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عيسى، عن الأوزاعي، عن إبراهيم بن يزيد، أن عمر بن عبد العزيز بعث رجلاً إلى مصر لأمر أعجله للمسلمين، فخرج إلى حرسه، وقد كان تقدم إليهم أن لا يقوموا إذا رأوه، قال: فأوسعوا له، فجلس بينهم فقال: أيكم يعرف الرجل الذي بعثناه إلى مصر؟ فقالوا: كلنا نعرفه، قال: فليقم أحدثكم سناً، فليدعه، فأتاه الرسول فقال: لا تعجلني أشدّ عليّ ثيابي، فأتاه فقال: إن اليوم الجمعة، فلا تبرحن حتى تصلي، وإنا بعثناك في أمر أعجله للمسلمين، فلا يعجلنك ما بعثناك له أن تؤخر الصلاة عن ميقاتها، فإنك مصليها لا محالة، ثم قرأ: ﴿**فخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً**﴾ ثم قال: لم يكن إضاعتهم تركها، ولكن أضاعوا الوقت.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن المسعودي، عن القاسم بن عبد الرحمن، والحسن بن مسعود، عن ابن مسعود، أنه قيل له: إن الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾ و ﴿**عَلى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾ و ﴿**عَلى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾ فقال ابن مسعود رضي الله عنه: على مواقيتها، قالوا: ما كنا نرى ذلك إلا على الترك، قال: ذاك الكفر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عمر أبو حفص الأبار، عن منصور بن المعتمر، قال: قال مسروق: لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس، فيكتب من الغافلين، وفي

إفراطهنّ الهلكة، وإفراطهنّ: إضاعتهنّ عن وقتهنّ.

وقال آخرون: بل كانت إضاعتهموها: تركها. ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا أبو صخر، عن القرظي، أنه قال في هذه الآية: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ**﴾ يقول: تركوا الصلاة.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين في ذلك عندي بتأويل الآية، قول من قال: أضعتموها تركهم إياها لدلالة قول الله تعالى ذكره بعده على أن ذلك كذلك، وذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿**إلاَّ مَنْ تابَ وآمَنَ وعَمِلَ صَالِحاً**﴾ فلو كان الذين وصفهم بأنهم ضيعوها مؤمنين لم يستثن منهم من آمن، وهم مؤمنون ولكنهم كانوا كفاراً لا يصلون لله، ولا يؤدّون له فريضة فسقة قد آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله، وقد قيل: إن الذين وصفهم الله بهذه الصفة قوم من هذه الأمة يكونون في آخر الزمان.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى. وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن. قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**فخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاة واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَياً**﴾ قال: عند قيام الساعة، وذهاب صالحي أمة محمد ﷺ ينزو بعضهم على بعض في الأزقة. قال محمد بن عمرو: زنا. وقال الحارث: زناة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله، وقال: زنا، كما قال ابن عمرو.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو تميلة، عن أبي حمزة، عن جابر، عن عكرمة ومجاهد وعطاء بن أبي رباح ﴿**فخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ...**﴾ الآية، قال: هم أمة محمد.

وحدثني الحارث، قال: ثنا الأشيب، قال: ثنا شريك، عن أبي تميم بن مهاجر في قول الله: ﴿**فخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاة**﴾ قال: هم في هذه الأمة يتراكبون تراكب الأنعام والحمر في الطرق، لا يخافون الله في السماء، ولا يستحيون الناس في الأرض.

وأما قوله: ﴿**فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَياً**﴾ فإنه يعني أن هؤلاء الخلف الذين خلفوا بعد أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين سيدخلون غياً، وهو اسم واد من أودية جهنم، أو اسم بئر من آبارها، كما:

حدثني عباس بن أبي طالب، قال: ثنا محمد بن زياد بن رزان[١]، قال: ثنا شرقي بن قطامي، عن لقمان بن عامر الخزاعي، قال: جئت أبا أمامة صديّ بن عجلان الباهلي، فقلت: حدِّثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، قال: فدعا بطعام، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ أَنَّ صخْرَةً زِنَةَ عَشْرِ أَوَاقٍ قُذِفَ بِها مِنْ شَفيرِ جَهَنَّمَ ما بَلَغَتْ قَعْرَها خَمْسينَ خَرِيفاً، ثُمَّ تَنْتَهي إلى غَيَ وأثام**»، قال: قُلْتُ وَما غيّ وَما أثامٌ؟ قالَ: «**بِئْرَانِ في أَسْفَلِ جَهَنَّمَ يَسِيلُ فِيهِما صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ، وَهُمَا اللَّتانِ ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتابِهِ ﴿أَضاعُوا الصَّلاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾، وقوله في الفُرقان: ﴿وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ يَلْقَ أثاماً﴾**».

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عمرو بن عاصم، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن قتادة، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو **﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾** قال: وادياً في جهنم.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله **﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾** قال: وادياً في النار.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية **﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾** قال: نهر في جهنم خبيث الطعم بعيد القعر.

حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن أبيه، في قوله: **﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾** قال: الغيّ: نهر جهنم في النار، يعذّب فيه الذين اتبعوا الشهوات.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن أبيه، في قوله **﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾** قال: الغيّ: نهر جهنم في النار، يعذّب فيه الذين اتبعوا الشهوات.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله **﴿أَضَاعُوا الصَّلاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾** قال: نهر في النار يقذف فيه الذين اتبعوا الشهوات.

---

(١) ذكر صاحب «**تاج العروس**» الحافظ أبا بكر: محمد بن علي بن عاصم بن رازان، بسند أصبهان المعروف بابن المقري، بألف بعد الراء، فلعل «رزان» هنا محرف عن «رازان».

وقال آخرون: بل عنى بالغيّ في هذا الموضع: الخسران. ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً**﴾ يقول: خسراناً.

وقال آخرون: بل عنى به الشرّ. ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً**﴾ قال: الغيّ: الشرّ ومنه قول الشاعر:

فَمَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ ... وَمَنْ يَغْوَ لا يَعْدَمْ عَلَى الغَيِّ لائِما[1]

قال أبو جعفر: وكلّ هذه الأقوال متقاربات المعاني، وذلك أن من ورد البئرين اللتين ذكرهما النبيّ ﷺ، والوادي الذي ذكره ابن مسعود في جهنم، فدخل ذلك، فقد لاقى خسراناً وشرّاً، حسبه به شرّاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فسوف يلقى هؤلاء الخلف السوء الذين وصف صفتهم غياً، إلا الذين تابوا فراجعوا أمر الله، والإيمان به وبرسوله ﴿**وعَمِلَ صَالحاً**﴾ يقول: وأطاع الله فيما أمره ونهاه عنه، وأدّى فرائضه، واجتنب محارمه ﴿**فأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ**﴾ يقول: فإن أولئك منهم خاصة يدخلون الجنة دون من هلك منهم على كفره، وإضاعته الصلاة واتباعه الشهوات. وقوله: ﴿**وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئاً**﴾ يقول: ولا يُبخسون من جزاء أعمالهم شيئاً، ولا يجمع بينهم وبين الذين هلكوا من الخلف السوء منهم قبل توبتهم من ضلالهم، وقبل إنابتهم إلى طاعة ربهم في جهنم، ولكنهم يدخلون مدخل أهل الإيمان.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾﴾.

---

(١) البيت للمرقش الأصغر: ربيعة بن سليمان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وهو ابن أخي المرقش الأكبر، وعم طرفة بن العبد (المفضليات طبع القاهرة ص ـ ١١٨). وفي «**اللسان**»: غوى قال: الغي: الضلال والخيبة. غوى (بالفتح) غياً وغوى (بالكسر) غواية. الأخيرة عن أبي عبيد: ضل. ورجل غاو، وغو، وغوى، ضال: وأغواه هو. وأنشد للمرقش:

«فمن يلق..... البيت»

يقول تعالى ذكره: فأولئك يدخلون الجنة ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾. وقوله: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ نصب ترجمة عن الجنة. ويعني بقوله: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾: بساتين إقامة. وقد بيَّنت ذلك فيما مضى قبل بشواهده المغنية عن إعادته. وقوله: ﴿التي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبادَهُ بالغَيْبِ﴾ يقول: هذه الجنات التي وعد الرحمن عباده المؤمنين أن يدخلوها بالغيب، لأنهم لم يروها ولم يعاينوها، فهي غيب لهم. وقوله: ﴿إنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مأتِياً﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله كان وعده، ووعده في هذا الموضع موعوده، وهو الجنة مأتياً يأتيه أولياؤه وأهل طاعته الذين يدخلهموها الله. وقال بعض نحويي الكوفة: خرج الخبر على أن الوعد هو المأتيّ، ومعناه: أنه هو الذي يأتي، ولم يقل: وكان وعده آتياً، لأن كلّ ما أتاك فأنت تأتيه، وقال: ألا ترى أنك تقول: أتيت على خمسين سنة، وأتت عليّ خمسون سنة، وكلّ ذلك صواب، وقد بيَّنت القول فيه، والهاء في قوله ﴿إنَّهُ﴾ من ذكر الرحمن.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لا يسمع هؤلاء الذين يدخلون الجنة فيها لغواً، وهو الهَذْي والباطل من القول والكلام ﴿إلاّ سَلاَماً﴾ وهذا من الاستثناء المنقطع، ومعناه: ولكن يسمعون سلاماً، وهو تحية الملائكة إياهم. وقوله: ﴿ولَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِياً﴾ يقول: ولهم طعامهم وما يشتهون من المطاعم والمشارب في قدر وقت البُكرة ووقت العشيّ من نهار أيام الدنيا، وإنما يعني أن الذي بين غدائهم وعشائهم في الجنة قدر ما بين غداء أحدنا في الدنيا وعشائه، وكذلك ما بين العشاء والغداء وذلك لأنه لا ليل في الجنة ولا نهار، وذلك كقوله: ﴿خَلَقَ الأرْضَ في يومَيْنِ﴾ و ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ فِي سِتَّةِ أيَّام﴾ يعني به: من أيام الدنيا، كما:

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: سألت زهير بن محمد، عن قول الله: ﴿ولَهُمْ رِزْقهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِياً﴾ قال: ليس في الجنة ليل، هم في نور أبداً، ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب، وفتح الأبواب.

حدثنا عليّ، قال: ثنا الوليد، عن خليد، عن الحسن، وذكر أبواب الجنة، فقال: أبواب يُرى ظاهرها من باطنها، فَتكلم وَتكلم، فتهمهم انفتحي انغلقي، فتفعل.

حدثني ابن حرب، قال: ثنا موسى بن إسماعيل، قال: ثنا عامر بن يساف، عن يحيى، قال: كانت العرب في زمانهم من وجد منهم عشاء وغداء، فذاك الناعم في أنفسهم، فأنزل الله ﴿ولَهُمْ رِزْقُهُم فِيها بُكْرَةً وَعَشِياً﴾: قدر ما بين غدائكم في الدنيا إلى عشائكم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**ولَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِيّاً**﴾ قال: كانت العرب إذا أصاب أحدُهم الغداء والعشاء عجب له، فأخبرهم الله أن لهم في الجنة بكرة وعشياً، قدر ذلك الغداء والعشاء.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: ليس بكرة ولا عشيّ، ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**ولَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وعَشِيّاً**﴾ فيها ساعتان بكرة وعشيّ، فإن ذلك لهم ليس ثم ليل، إنما هو ضوء ونور.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هذه الجنة التي وصفت لكم أيها الناس صفتها، هي الجنة التي نورثها، يقول: نورث مساكن أهل النار فيها ﴿**مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيّاً**﴾ يقول: من كان ذا اتقاء عذاب الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾.

ذُكر أن هذه الآية نزلت من أجل استبطاء رسول الله ﷺ جبرائيل بالوحي، وقد ذكرت بعض الرواية، ونذكر إن شاء الله باقي ما حضَرنا ذكره مما لم نذكر قبل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا عبد الله بن أبان العجلي، وقبيصة ووكيع وحدثنا سفيان بن وكيع قال: ثنا أبي، جميعاً عن عمر بن ذرّ، قال: سمعت أبي يذكر عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن محمداً قال لجبرائيل: «**ما يَمْنَعُكَ أنْ تَزُورَنا أكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنا**»؟ فنزلت هذه الآية: ﴿**ومَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ لَهُ ما بينَ أيْدِينا ومَا خَلْفَنا ومَا بينَ ذلكَ ومَا كانَ رَبُّكَ نَسِيّاً**﴾ قال: هذا الجواب لمحمد ﷺ.

حدثني محمد بن معمر، قال: ثنا عبد الملك بن عمرو، قال: ثنا عمر بن ذرّ، قال: ثني أبي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن النبيّ ﷺ قال لجبرائيل: «**ما يَمْنَعُكَ أن تَزُورَنا أكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنا**»؟ فنزلت ﴿**ومَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ**﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿وومَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ. . .﴾ إلى ﴿ومَا كانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾ قال: احتبس جبرائيل عن النبيّ ﷺ، فوجِد رسول الله ﷺ من ذلك وحزن، فأتاه جبرائيل فقال: يا محمد ﴿ومَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ لَهُ ما بينَ أيْدِينا ومَا خَلْفَنا ومَا بينَ ذلكَ ومَا كانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: لبث جبرائيل عن النبيّ ﷺ، فكأن النبيّ استبطأه، فلما أتاه قال له جبرائيل: ﴿ومَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ﴾. . . الآية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ومَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ لَهُ ما بينَ أيْدِينا ومَا خَلْفَنا﴾ قال: هذا قول جبرائيل، احتبس جبرائيل في بعض الوحي، فقال نبيّ الله ﷺ: «ما جِئْتَ حتى اشْتَقْتُ إلَيْكَ» فقال له جبرائيل: ﴿ومَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ لَهُ ما بينَ أيْدِينا ومَا خَلْفَنا﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تبارك وتعالى ﴿ومَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ﴾ قال: قول الملائكة حين استراثهم محمد ﷺ، كالتي في الضحى.

حدثنا القاسم، قال ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: لبث جبرائيل عن محمد اثنتي عشرة ليلة، ويقولون: قُلي، فلما جاءه قال: «أي جَبْرائِيلُ لَقَدْ رِثْتَ عَليَّ حتى لَقَدْ ظَنَّ المُشْرِكُونَ كُلَّ ظَنّ» فنزلت: ﴿ومَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ لَهُ ما بينَ أيْدِينا ومَا خَلْفَنا ومَا بينَ ذلكَ ومَا كانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿ومَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ﴾ احتبس عن نبيّ الله ﷺ حتى تكلم المشركون في ذلك، واشتدّ ذلك على نبيّ الله، فأتاه جبرائيل، فقال: اشتدّ عليك احتباسنا عنك، وتكلم في ذلك المشركون، وإنما أنا عبد الله ورسوله، إذا أمرني بأمر أطعته ﴿ومَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ﴾ يقول: بقول ربك. ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿لَهُ ما بينَ أيْدِينا ومَا خَلْفَنا ومَا بينَ ذلكَ﴾ فقال بعضهم: يعني بقوله ﴿ما بينَ أيْدِينا﴾ من الدنيا، وبقوله: ﴿ومَا خَلْفَنا﴾ الآخرة ﴿ومَا بينَ ذلكَ﴾ النفختين. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع ﴿لَهُ ما بينَ أيْدِينا﴾ يعني الدنيا ﴿ومَا خَلْفَنا﴾ الآخرة ﴿ومَا بينَ ذلكَ﴾ النفختين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال ﴿**ما بينَ أيْدِينا**﴾ من الدنيا ﴿**ومَا خَلْفَنا**﴾ من أمر الآخرة ﴿**ومَا بينَ ذلكَ**﴾ ما بين النفختين.

وقال آخرون: ﴿**ما بينَ أيْدِينا**﴾ الآخرة ﴿**ومَا خَلْفَنا**﴾ الدنيا ﴿**ومَا بينَ ذلكَ**﴾ ما بين الدنيا والآخرة. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**بينَ أيْدِينا**﴾ الآخرة ﴿**ومَا خَلْفَنا**﴾ من الدنيا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**لَهُ ما بينَ أيْدِينا**﴾ من أمر الآخرة ﴿**ومَا خَلْفَنا**﴾ من أمر الدنيا ﴿**ومَا بينَ ذلكَ**﴾ ما بين الدنيا والآخرة ﴿**ومَا كانَ رَبُّكَ نَسِيّاً**﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة ﴿**لَهُ ما بينَ أيْدِينا**﴾ من الآخرة ﴿**وَما خَلْفَنا**﴾ من الدنيا ﴿**وَما بينَ ذلكَ**﴾ ما بين النفختين.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**ما بينَ أيْدِينا**﴾ من الآخرة ﴿**وَما خَلْفَنا**﴾ من الدنيا.

وقال آخرون في ذلك بما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ﴿**ما بينَ أيْدِينا**﴾ قال: ما مضى أمامنا من الدنيا ﴿**وَما خَلْفَنا**﴾ ما يكون بعدنا من الدنيا والآخرة ﴿**وَما بينَ ذلكَ**﴾ قال: ما بين ما مضى أمامهم، وبين ما يكون بعدهم.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يتأوّل ذلك له ﴿**ما بينَ أيْدِينا**﴾ قبل أن نخلق ﴿**وَما خَلْفَنا**﴾ بعد الفناء ﴿**وَما بينَ ذلكَ**﴾ حين كنا.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: له ما بين أيدينا من أمر الآخرة، لأن ذلك لم يجىء وهو جاء، فهو بين أيديهم، فإن الأغلب في استعمال الناس إذا قالوا: هذا الأمر بين يديك، أنهم يعنون به ما لم يجىء، وأنه جاء، فلذلك قلنا: ذلك أولى بالصواب. وما خلفنا من أمر الدنيا، وذلك ما قد خلفوه فمضى، فصار خلفهم بتخليفهم إياه، وكذلك تقول العرب لما قد جاوزه المرء وخلفه هو خلفه، ووراءه وما بين ذلك: ما بين ما لم يمض من أمر الدنيا إلى الآخرة، لأن ذلك هو الذي بين ذينك الوقتين.

وإنما قلنا: ذلك أولى التأويلات به، لأن ذلك هو الظاهر الأغلب، وإنما يحمل تأويل

القرآن على الأغلب من معانيه، ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له. فتأمل الكلام إذن: فلا تستبطئنا يا محمد في تخلفنا عنك، فإنا لا نتنزّل من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا بالنزول إليها، لله ما هو حادث من أمور الآخرة التي لم تأت وهي آتية، وما قد مضى فخلفناه من أمر الدنيا، وما بين وقتنا هذا إلى قيام الساعة. بيده ذلك كله، وهو مالكه ومصرّفه، لا يملك ذلك غيره، فليس لنا أن نحدث في سلطانه أمراً إلا بأمره إيانا به ﴿وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾ يقول: ولم يكن ربك ذا نسيان، فيتأخر نزولي إليك بنسيانه إياك بل هو الذي لا يعزُب عنه شيء في السماء ولا في الأرض فتبارك وتعالى ولكنه أعلم بما يدبر ويقضي في خلقه. جل ثناؤه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾ قال: ما نسيك ربك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لم يكن ربك يا محمد ربّ السموات والأرض وما بينهما نسياً، لأنه لو كان نسياً لم يستقم ذلك، ولهلك لولا حفظه إياه، فالربّ مرفوع ردّاً على قوله ﴿رَبُّكَ﴾. وقوله: ﴿فاعْبُدْه﴾ يقول: فالزم طاعته، وذلّ لأمره ونهيه ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبادَتِهِ﴾ يقول: واصبر نفسك على النفوذ لأمره ونهيه، والعمل بطاعته، تفز برضاه عنك، فإنه الإله الذي لا مثل له ولا عدل ولا شبيه في جوده وكرمه وفضله ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾ يقول: هل تعلم يا محمد لربك هذا الذي أمرناك بعبادته، والصبر على طاعته مثلاً في كرمه وجوده، فتعبده رجاء فضله وطوله دونه؟ كلا، ما ذلك بموجود. وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾ يقول: هل تعلم للربّ مثلاً أو شبيهاً.

حدثني سعيد بن عثمان التنوخي، قال: ثنا إبراهيم بن مهدي، عن عباد بن عوّام، عن شعبة، عن الحسن بن عمارة، عن رجل، عن ابن عباس، في قوله ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾ قال: شبيهاً.

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن الأعمش، عن مجاهد في هذه الآية ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾ قال: هل تعلم له شبيهاً، هل تعلم له مثلاً تبارك وتعالى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً**﴾ لا سميّ لله ولا عِدل له، كلّ خلقه يقرّ له، ويعترف أنه خالقه، ويعرف ذلك، ثم يقرأ هذه الآية: ﴿**وَلَئِنْ سأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً**﴾ قال: يقول: لا شريك له ولا مثل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**ويقولُ الإنسانُ**﴾ الكافر الذي لا يصدق بالبعث بعد الموت: أخرج حياً، فأُبعث بعد الممات وبعد البلاء والفناء إنكاراً منه ذلك. يقول الله تعالى ذكره: ﴿**أَوَ لاَ يذكرُ الإنسانُ**﴾ المتعجب من ذلك المنكر قدرة الله على إحيائه بعد فنائه، وإيجاده بعد عدمه في خلق نفسه، أن الله خلقه من قبل مماته، فأنشأه بشراً سوياً من غير شيء ﴿**ولمْ يكُ**﴾ من قبل إنشائه إياه ﴿**شيئاً**﴾ فيعتبر بذلك ويعلم أن من أنشأه من غير شيء لا يعجز عن إحيائه بعد مماته، وإيجاده بعد فنائه.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة قوله ﴿**أوَلا يَذْكُرُ الإنسانُ**﴾ فقرأه بعض قرّاء المدينة والكوفة: ﴿**أوَلا يَذْكُرُ**﴾ بتخفيف الذال، وقد قرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة والحجاز: «أوَلا يَذَّكَّرُ» بتشديد الذال والكاف، بمعنى: أو لا يتذكر، والتشديد أعجب إليّ، وإن كانت الأخرى جائزة، لأن معنى ذلك: أو لا يتفكر فيعتبر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فوربك يا محمد لنحشرنّ هؤلاء القائلين: أئذا متنا لسوف نخرج أحياء يوم القيامة من قبورهم، مقرنين بأوليائهم من الشياطين ﴿**ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً**﴾ والجثي: جمع الجاثي. كما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿**ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً**﴾ يعني: القعود، وهو مثل قوله: ﴿**وَتَرَى كُلَّ أُمةٍ جاثِيَةً**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره، ثم لنأخذنَ من كلّ جماعة منهم أشدّهم على الله عتوّاً، وتمرّداً فلنبدأنّ بهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عليّ بن الأقمر، عن أبي الأحوص ﴿**ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً**﴾ قال: نبدأ بالأكابر فالأكابر جرماً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً**﴾ يقول: أيهم أشدّ للرحمن معصية، وهي معصيته في الشرك.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً**﴾ يقول: عصياً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى. وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ**﴾ قال: أمة. وقوله ﴿**عِتِيّاً**﴾ قال: كفراً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله، وزاد فيه ابن جريج: فلنبدأنّ بهم.

قال أبو جعفر: والشيعة هم الجماعة المتعاونون على الأمر من الأمور، يقال من ذلك: تشايع القوم: إذا تعاونوا ومنه قولهم للرجل الشجاع: إنه لمشيع: أي معان، فمعنى الكلام: ثم لننزعنّ من كلّ جماعة تشايعت على الكفر بالله، أشدّهم على الله عتوّاً، فلنبدأنّ بإصلائه جهنم. والتشايع في غير هذا الموضع: التفرّق ومنه قول الله عزّ ذكره: ﴿**وكانُوا شيَعاً**﴾ يعني: فرقاً ومنه قول ابن مسعود أو سعد. إني أكره أن آتي رسول الله ﷺ، فيقول: شيَّعت بين أمتي، بمعنى: فرّقت.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم لنحن أعلم من هؤلاء الذين ننزعهم من كلّ شيعة أولاهم بشدّة

العذاب، وأحقهم بعظيم العقوبة. وذكر عن ابن جريج أنه كان يقول في ذلك ما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج **﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيّاً﴾** قال: أولى بالخلود في جهنم.

قال أبو جعفر: وهذا الذي قاله ابن جريج، قول لا معنى له، لأن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ينزعهم من كلّ شيعة من الكفرة أشدّهم كفراً، ولا شكّ أنه لا كافر بالله إلا مخلَّد في النار، فلا وجه، وجميعهم مخلدون في جهنم، لأن يقال: ثم لنحن أعلم بالذين هم أحقّ بالخلود من هؤلاء المخلدين، ولكن المعنى في ذلك ما ذكرنا. وقد يحتمل أن يكون معناه: ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى ببعض طبقات جهنم صلياً. والصليّ: مصدر صليت تصلي صلياً، والصلي: فعول، ولكن واوها انقلبت ياء فأدغمت في الياء التي بعدها التي هي لام الفعل، فصارت ياء مشدّدة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن منكم أيها الناس إلا وارد جهنم، كان على ربك يا محمد إيرادهموها قضاء مقضياً، قد قضى ذلك وأوجبه في أمّ الكتاب.

واختلف أهل العلم في معنى الورود الذي ذكره الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: الدخول. ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة عن عمرو، قال: أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق، فقال ابن عباس: الورود: الدخول، وقال نافع: لا، فقرأ ابن عباس: **﴿إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾** أورود هو أم لا؟ وقال: **﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيامَةِ فأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ﴾** أورود هو أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها، فانظر هل نخرج منها أم لا؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك، قال: فضحك نافع.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، قال: قال أبو راشد الحَروريّ: ذكروا هذا فقال الحروريّ: لا يسمعون حَسيسها، قال ابن عباس: ويلك أمجنون أنت؟ أين قوله تعالى: **﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيامَةِ فأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الوِرْدِ المَوْرُودُ﴾**. **﴿وَنَسُوقُ المُجْرِمِينَ إلى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾**، وقوله: **﴿وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها﴾** والله إن كان دعاء من مضى: اللهمّ أخرجني من النار سالماً، وأدخلني الجنة غانماً.

قال ابن جريج: يقول: الورود الذي ذكره الله في القرآن: الدخول، ليردنها كل برّ وفاجر في القرآن أربعة أوراد ﴿فأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ وَ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ ﴿وَنَسُوقُ المُجْرِمِينَ إلى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾، وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً﴾ يعرف البرّ والفاجر، ألم تسمع إلى قول الله تعالى لفرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيامَةِ فأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الوِرْدِ المَوْرُودُ﴾، وقال ﴿وَنَسوق المُجْرِمِينَ إلى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ فسمى الورود في النار دخولاً، وليس بصادر.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن بكار بن أبي مروان، عن خالد ابن معدان، قال: قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال: قد مررتم عليها وهي خامدة.

قال ابن عرفة، قال مروان بن معاوية، قال بكار بن أبي مروان، أو قال: جامدة.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا مرحوم بن عبد العزيز، قال: ثني أبو عمران الجَوْنيّ، عن أبي خالد قال: تكون الأرض يوماً ناراً، فماذا أعددتم لها؟ قال: فذلك قول الله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيّاً﴾.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن الجريريّ، عن أبي السليل، عن غنيم بن قيس، قال: ذكروا ورود النار، فقال كعب: تُمْسَكُ النارُ للناس كأنها متن إهالة، حتى يستويَ عليها أقدام الخلائق بَرّهم وفاجرهم، ثم يناديها مناد: أن أمسكي أصحابك، ودعي أصحابي، قال: فيُخْسَف بكلّ وليّ لها، ولهي أعلم بهم من الرجل بولده، ويخرج المؤمنون ندية أبدانهم. قال: وقال كعب: ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة، مع كلّ واحد منهم عمود له شعبتان، يدفع به الدَّفعة، فيصرع به في النار سبع مئة ألف.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن مالك بن مغول، عن أبي إسحاق، قال: كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه، قال: يا ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي، فقيل: وما يبكيك يا أبا ميسرة؟ قال: أَخبرنا أنا واردوها، ولم يُخبرنا أنا صادرون عنها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن إسماعيل، عن قيس، قال: بكى عبد الله بن رواحة في مرضه، فبكت امرأته، فقال: ما يبكيكِ، قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال ابن رواحة: إني قد علمت إني وارد النار فما أدري أناج منها أنا أم لا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو عمرو داود بن الزبرقان، قال: سمعت

السديّ يذكر عن مرّة الهمداني، عن ابن مسعود ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُها﴾ قال: داخلها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلاَّ وارِدُها﴾ قال: يدخلها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن ابن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: كان عبد الله بن رواحة واضع رأسه في حجر امرأته، فبكى، فبكت امرأته، قال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال: إني ذكرت قول الله ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُها﴾ فلا أدري أنجو منها، أم لا.

وقال آخرون: بل هو المَرّ عليها. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلاَّ وارِدُها﴾ يعني جهنم مرّ الناس عليها.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُها﴾ قال: هو المرّ عليها.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: أخبرنا النضر، قال: أخبرنا إسرائيل، قال: أخبرنا أبو إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله في قوله: ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُها﴾ قال: الصراط على جهنم مثل حدّ السيف، فتمرّ الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم. ثم يمرّون والملائكة يقولون: اللهمّ سلم سلم.

وقال آخرون: بل الورود: هو الدخول، ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني عبد الله بن السائب، عن رجل سمع ابن عباس يقرؤها ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُها﴾ يعني الكفار، قال: لا يردها مؤمن.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا عمرو بن الوليد الشَّنّي، قال: سمعت عكرمة يقول ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُها﴾ يعني الكفار.

وقال آخرون: بل الورود عام لكلّ مؤمن وكافر، غير أن ورود المؤمن المرور، وورود الكافر الدخول. ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُها﴾ ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهريها وورود المشركين أن يدخلوها، قال:

وقال النبيّ ﷺ: «**الزَّالُّونَ والزَّالاَّتُ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَقَدْ أحاطَ الجِسْرَ سِماطانِ مِنَ المَلائكَةِ، دَعْوَاهُمْ يَوْمَئِذٍ يا اللَّهُ سَلِّمْ سَلِّمْ**».

وقال آخرون: ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمَّى ومرض. ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد قال: الحمى حظّ كلّ مؤمن من النار، ثم قرأ: ﴿**وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها**﴾.

حدثني عمران بن بكار الكلاعي، قال: ثنا أبو المغيرة، قال: ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم، قال: ثنا إسماعيل بن عبيد الله، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ يعود رجلاً من أصحابه وبه وعك وأنا معه، ثم قال: «**إن الله يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن، لتكون حظه من النار في الآخرة**».

وقال آخرون: يردُها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، قال: ثني السدي، عن مرّة، عن عبد الله ﴿**وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها**﴾ قال: يردُونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا شعبة، عن السديّ، عن مرّة، عن عبد الله، بنحوه.

حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا أسباط، عن عبد الملك، عن عبيد الله، عن مجاهد، قال: كنت عند ابن عباس، فأتاه رجل يقال له أبو راشد، وهو نافع بن الأزرق، فقال له: يا ابن عباس أرأيت قول الله ﴿**وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً**﴾ قال: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها، فانظر هل نصدر عنها أم لا؟.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا ابن جريج، قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يُسأل عن الورود، فقال: «**نحن يوم القيامة على كوى أو كرى، فوق الناس، فتدعى الأمم بأوثانها، وما كانت تعبد الأوّل فالأوّل، فينطلق بهم ويتبعونه، قال: ويعطى كلّ إنسان منافق ومؤمن نوراً، ويغشى ظلمة ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب تأخذ من شاء الله، فَيُطْفأ نور المنافق، وينجو المؤمنون، فتنجو أوّل زمرة كالقمر ليلة البدر، وسبعون ألفاً لا حساب عليهم، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء، ثم كذلك، ثم تحلّ الشفاعة فيشفعون، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله ممن في قلبه وزن شعيرة من خير، ثم يلقون تلقاء الجنة، ويهريق عليهم أهل الجنة الماء، فينبتون نبات الشيء في السيل، ثم يسألون فيجعل لهم الدنيا**

وعشرة أمثالها».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن المبارك، عن الحسن، قال: قال رجل لأخيه: هل أتاك بأنك وارد النار؟ قال: نعم، قال: فهل أتاك أنك صادر عنها؟ قال: لا، قال: ففيم الضحك؟ قال: فما رؤي ضاحكاً حتى لحق بالله.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا عمرو بن الحارث أن بكيراً حدّثه أنه قال لبسر بن سعيد: إن فلاناً يقول: إن ورود النار القيام عليها. قال بسر: أما أبو هريرة فسمعته يقول: **«إذا كان يوم القيامة، يجتمع الناس نادى مناد: ليلحق كل أناس بما كانوا يعبدون، فيقوم هذا إلى الحجر، وهذا إلى الفرس، وهذا إلى الخشبة حتى يبقى الذين يعبدون الله، فيأتيهم الله، فإذا رأوه قاموا إليه، فيذهب بهم فيسلك بهم على الصراط، وفيه عليق، فعند ذلك يؤذن بالشفاعة، فيمرّ الناس، والنبيون يقولون: اللهمّ سلم سلم»**. قال بكير: فكان ابن عميرة يقول: فناج مسلم ومنكوس في جهنم ومخدوش، ثم ناج.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار وورودهموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فناج مسلم ومكدس فيها.

ذكر الأخبار المروية عن رسول الله ﷺ بذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أمّ مبشر امرأة زيد بن حارثة، قالت: قال رسول الله ﷺ وهو في بيت حفصة: **«لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْراً والحُدَيْبِيَةَ»**. قالت: فقالت حفصة: يا رسول الله، أليس الله يقول: **﴿وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها﴾**؟ فقال رسول الله ﷺ: **«فَمَهْ ثُمَّ يَنَجّي اللّهُ الَّذِين اتَّقُوا»**.

حدثنا الحسن بن مدرك، قال: ثنا يحيى بن حماد، قال: ثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أمّ مبشر، عن رسول الله ﷺ، بمثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أمّ مبشر، عن حفصة، قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إنِّي لأَرْجُو أنْ لا يَدْخُلَ النَّارَ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْراً والحُدَيْبِيَةَ»**، قالت: فقلت يا رسول الله، أليس الله يقول **﴿وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها﴾**؟ قال: **«فَلَمْ تَسْمَعِيهِ يَقُولُ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيّاً﴾»**؟

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَية، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقب، عن سليمان بن عمرو بن عبد العِتْواريّ، أحد بني ليث، وكان في

حجر أبي سعيد، قال: سمعت أبا سعيد الخُدريّ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُوضَعُ الصِّرَاطُ بينَ ظَهرَيْ جهَنَّم، عَلَيهِ حَسكٌ كحَسكِ السَّعْدانِ، ثُمَّ يَسْتَجيزُ النَّاسُ، فناجٍ مُسْلِمٌ ومَجْرُوحٌ بِهِ، ثمَّ ناجٍ ومُحْتَبِسٌ ومُكَدَّسٌ فِيها، حتى إذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ القَضاءِ بينَ العِبادِ تَفقَّدَ المُؤْمِنُونَ رِجالاً كانُوا مَعَهُمْ فِي الدُّنْيا يُصَلُّونَ صَلاتَهُمْ، وَيُزَكُّونَ زَكاتَهُمْ وَيَصُومُون صِيامَهُمْ، ويَحُجُّونَ حَجَّهُمْ، ويَغزُونَ غَزْوَهُمْ، فَيَقُولُونَ: أيْ رَبَّنا عِبادٌ مِنْ عِبادِكَ كانُوا مَعَنا فِي الدنْيا، يُصَلُّونَ صَلاتَنا، وَيُزَكُّونَ زَكاتَنا، وَيَصُومُونَ صِيامَنا، ويَحُجُّونَ حَجَّنا، ويَغْزُونَ غَزْونا، لا نَرَاهُمْ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا إلى النَّارِ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِيها مِنْهُمْ فأخرِجُوهُ، فَيَجِدُونَهُمْ قَدْ أخَذَتْهُمُ النَّارُ على قَدْرِ أعمالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أخَذَتْهُ النَّارُ إلى قَدَمَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أخَذَتْهُ إلى نِصْفِ ساقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أخَذَتْهُ إلى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أخَذَتْهُ إلى ثَدْيَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أخَذَتْهُ إلى عُنُقِهِ ولَمْ تَغْشَ الوُجُوهَ، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنها، فَيَطْرَحُونَهُمْ فِي ماءِ الحَياةِ» قِيلَ: وَما ماءُ الحَياةِ يا رَسول اللَّهِ؟ قال: «غُسْلُ أهْلِ الجَنَّةِ، فَيَنْبُتُونَ كما تَنْبُتُ الزَّرْعَةُ فِي غُثاءِ السَّيْلِ، ثُمَّ تَشفَعُ الأنْبِياءُ فِي كُلّ مَنْ كانَ يَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ مُخْلِصاً، فَيَسْتَخرِجُونَهُمْ مِنْها، ثُمَّ يَتَحَنَّنُ اللَّهُ برحْمَتِهِ على مَنْ فِيها، فَما يَتْرُكُ فِيها عَبْداً فِي قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِنَ الإيمَانِ إلاَّ أخْرَجَهُ مِنْها».

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا أبي وشعيب بن الليث، عن الليث بن خالد، عن يزيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخُدريّ، أن رسول الله ﷺ قال: «يُؤْتَى بالجِسْرِ يعني يوم القيامة فَيُجعَلُ بينَ ظَهْرَيْ جَهنَمَ» قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «مَدحَضَةٌ مزِلَّةٌ، عَلَيهِ خَطاطِيفُ وكَلالِيبُ وحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لها شَوْكة عُقَيْفاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقالُ لَها السَّعْدانُ، يَمُرُّ المُؤْمِنُونَ عَلَيها كالطَّرْفِ والبَرْقِ وكالرِّيح، وكأجاوِدِ الخَيْلِ والرِّكابِ، فَناجٍ مُسْلِم، ومَخْدُوشٌ مُسلِمٌ، ومَكْدُوسٌ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يَمُرُّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْباً، فَمَا أنْتُمْ بأشَدَّ مُناشَدَةٍ لي فِي الحَقّ قَد تبَيَّنَ لَكُمْ، مِنَ المُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ للجَبَّارِ تَبارَكَ وَتَعالى، إذَا رأوْهُمْ قَدْ نَجَوا وَبَقِيَ إخْوانُهُمْ».

حدثني أحمد بن عيسى، قال: ثنا سعيد بن كثير بن عُفير، قال: ثنا ابن لَهيعة، عن أبي الزبير، قال: سألت جابر بن عبد الله عن الورود، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هُوَ الدُّخولُ، يَرِدُونَ النَّارَ حتى يَخْرُجُوا مِنها، فآخِرُ مَنْ يَبْقَى رَجُلٌ عَلى الصِّراطِ يَزْحَفُ، فَيرفَعُ اللَّهُ لَهُ شَجَرَةً، قالَ: فَيَقُولُ: أيْ رَبّ أدْنِني مِنْها، قالَ: فَيُدْنِيهِ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالى مِنها، قالَ: ثُمَّ يَقُولُ: أيْ رَبّ أدْخِلْنِي الجَنَّةَ، قالَ: فَيَقُولُ: سَلْ، قالَ: فَيَسألُ، قال: فَيَقُولُ: ذلكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أضْعافِهِ أوْ نَحْوُها قالَ: فَيَقُولُ: يا رَبّ تَسْتَهْزِىءُ بِي؟ قالَ: فَيَضْحَكُ حتى تَبْدُو لَهَواتُهُ وأضْراسُهُ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يحيى بن أيوب «ح» وحدثنا أبو

كريب، قال: ثنا محمد بن زيد، عن رشدين، جميعاً عن زياد بن فائد، عن سهل بن معاذ، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ حَرَسَ وَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ اللّهِ مُتَطَوِّعاً، لا يأْخُذُهُ سُلْطانٌ بحرَسٍ، لَمْ يَرَ النَّارَ بعَيْنِهِ إلاَّ تَحِلَّةَ القَسَمِ، فإنَّ اللّهَ تَعالى يَقُولُ وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها**».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرَّزاق، قال: أخبرنا معمر، أخبرني الزهريّ، عن ابن المسيب عن أبي هريرة، أن النبيّ ﷺ قال: «**مَنْ ماتَ لَهُ ثَلاثَةٌ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ إلاَّ تَحِلَّةَ القَسَمِ**» يعني: الورود.

وأما قوله: ﴿**كانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِياً**﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم معناه: كان على ربك قضاء مقضياً. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**حَتْماً**﴾ قال: قضاء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ﴿**حَتْماً مَقْضِياً**﴾ قال: قضاء.

وقال آخرون: بل معناه: كان على ربك قسماً واجباً. ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو عمرو داود بن الزِّبْرِقان، قال: سمعت السديّ يذكر عن مرّة الهمدانيّ، عن ابن مسعود ﴿**كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِياً**﴾ قال: قسماً واجباً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِياً**﴾ يقول: قسماً واجباً.

قال أبو جعفر: وقد بيَّنت القول في ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**ثم ننجي**﴾ من النار بعد ورود جميعهم إياها، ﴿**الذين اتقوا**﴾ فخافوه، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ﴿**وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِياً**﴾ يقول جلّ ثناؤه: وندع الذين ظلموا أنفسهم، فعبدوا غير الله، وعصَوا ربهم، وخالفوا أمره ونهيه في النار، جثياً، يقول: بروكاً على ركبهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِياً**﴾ على

ركبهم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزّاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة ﴿**وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيّاً**﴾ على ركبهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيّاً**﴾ قال: الجُثِيّ: شرّ الجلوس، لا يجلس الرجل جاثياً إلاّ عند كرب ينزل به.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيّاً**﴾ إن الناس وردوا جهنم وهي سوداء مظلمة، فأما المؤمنون فأضاءت لهم حسناتهم، فأنجوا منها. وأما الكفار فأوبقتهم أعمالهم، واحتُبِسوا بذنوبهم.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٣)﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وإذا تتلى**﴾ على الناس ﴿**آياتنا**﴾ التي أنزلناها على رسولنا محمد ﴿**بينات**﴾، يعني واضحات لمن تأمّلها وفكّر فيها أنها أدلة على ما جعلها الله أدلة عليه لعباده، ﴿**قال الذين كفروا**﴾ بالله وبكتابه وآياته، وهم قريش، ﴿**للذين آمنوا**﴾ فصدّقوا به، وهم أصحاب محمد ﴿**أيُّ الفَريقَينِ خَيْرٌ مَقاماً**﴾ يَعْني بالمَقام: موضع إقامتهم، وهي مساكنهم ومنازلهم ﴿**وأحْسَنُ نَدِيّاً**﴾ وهو المجلس، يقال منه: ندوت القوم أندوهم نَدْواً: إذا جمعتهم في مجلس، ويقال: هو في نديّ قومه وفي ناديهم: بمعنى واحد. ومن النديّ قول حاتم:

وَدُعِيتُ فِي أُولَى النَّدِيّ وَلَمْ يُنْظَرْ إِلَيَّ بِأَعْيُنٍ خُزْرِ[1]

وتأويل الكلام: وإذا تُتلى عليهم آياتنا بيِّنات، قال الذين كفروا للذين آمنوا: أيّ الفريقين منا ومنكم أوسع عيشاً، وأنعم بالاً، وأفضل مسكناً، وأحسن مجلساً، وأجمع عدداً وغاشية في

---

(١) البيت لحاتم الطائي، من شعره في كتاب «**شعراء النصرانية**» القسم الأول (ص ـ ١١٥) وفي «**اللسان**» ندى والندى: المجالسة، وناديته: جالسته، وتنادوا: تجالسوا في النادي والندى: المجلس ما داموا مجتمعين فيه، فإذا تفرقوا عنه فليس بندى. وقيل: الندى: مجلس القوم نهاراً عن كراع. والنادى: كالندى. «**التهذيب**»: النادي المجلس، يندو إليه من حواليه، ولا يسمى نادياً حتى يكون فيه أهله، وإذا تفرقوا لم يكن نادياً، وهو الندى، والجمع الأندية ا هـ. والخزر: جمع خزراء من الخزر، وهو كما في «**اللسان**» خزر كسر العين بصرها خلقة. وقيل: هو ضيق العين وصغرها. وقيل هو النظر الذي كأنه في أحد الشقين، ثم استشهد ببيت حاتم، وقد استشهد المؤلف به، على أن معنى الندى: مجلس القوم.

المجلس، نحن أم أنتم؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، قوله: ﴿**خَيْرٌ مَقاماً وأحْسَنُ نَدِيّاً**﴾ قال: المقام: المنزل، والنديّ: المجلس.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن سليمان، عن أبي ظَبْيان، عن ابن عباس بمثله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**وَإذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا للَّذِينَ آمَنُوا أيّ الفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً**﴾ قال: المقام: المسكن، والنديّ: المجلس والنَّعمة والبهجة التي كانوا فيها، وهو كما قال الله لقوم فرعون، حين أهلكهم وقصّ شأنهم في القرآن فقال: ﴿**كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وكُنُوزٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ**﴾ فالمقام: المسكن والنعيم، والنديّ: المجلس والمجمع الذي كانوا يجتمعون فيه، وقال الله فيما قصّ على رسوله في أمر لوط إذ قال ﴿**وَتأْتُونَ فِي نادِيكُمُ المُنْكَرَ**﴾، والعرب تسمي المجلس: النادي.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿**وأحْسَن نَدِيّاً**﴾ يقول: مجلساً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**أيّ الفَرِيقَيْنِ**﴾ قال: قريش تقولها لأصحاب محمد ﷺ ﴿**وأحْسَنُ نَدِيّاً**﴾ قال: مجالسهم، يقولونه أيضاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، نحوه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَإذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا للَّذِينَ آمَنُوا أيُّ الفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاماً وأحْسَنُ نَدِيّاً**﴾ رأوا أصحاب محمد ﷺ في عيشتهم خشونة، وفيهم قَشافة، فَعَرَّض أهل الشرك بما تسمعون قوله ﴿**وأحْسَنُ نَدِيّاً**﴾ يقول: مجلساً.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرّزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**أيُّ الفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاماً وأحْسَنُ نَدِيّاً**﴾ قال: النديّ: المجلس، وقرأ قول الله تعالى: ﴿**فَلْيَدْعُ نادِيَهْ**﴾ قال: مجلسه.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وكم أهلكنا يا محمد قبل هؤلاء القائلين من أهل الكفر للمؤمنين، إذا تُتلى عليهم آيات الرحمن، أيّ الفريقين خير مقاماً، وأحسن ندياً، مجالس من قرن هم أكثر متاع منازل من هؤلاء، وأحسن منهم منظراً وأجمل صوراً، فأهلكنا أموالهم، وغيرنا صورهم ومن ذلك قول علقمة بن عبدة:

كُمَيْتٌ كَلَوْنِ الأُرْجُوَانِ نَشَرْتُهُ ... لبَيْعِ الرِّئي فِي الصِّوَانِ المُكَعَّبِ(١)

يعني بالصوان: التخت الذي تصان فيه الثياب. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس ﴿**أَحْسَنُ أَثاثاً وَرِئْياً**﴾ قال: الرئي: المنظر، والأثاث: المتاع.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ عن شعبة عن سليمان عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال: الرئي المنظر.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿**أَحْسَنُ أَثاثاً وَرِئْياً**﴾ يقول: منظراً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**أَحْسَنُ أَثاثاً وَرِئْياً**﴾ الأثاث: المال، والرِّئي: المنظر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هوذة، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قوله ﴿**أَثاثاً وَرِئْياً**﴾ قال: الأثاث: أحسن المتاع، والرِّئي: قال: المال.

---

(١) البيت لعلقمة بن عبدة وهو الثاني والعشرون من قصيدته التي مطلعها:

ذهبت من الهجران في غير مذهب

«**مختار الشعر الجاهلي**» طبعة الحلبي بشرح مصطفى السقا (ص ـ ٤٣٦) وفيه «الرداء» في موضع الرئي. قال شارحه: الكميت: الفرس الذي لونه بين السواد والحمرة. والأرجوان صبغ أحمر مشبع. والمراد هنا: ثوب أحمر. والصوان: ثوب تصان فيه الثياب، ويقال له التخت. والمكعب هنا: الموشى من الثياب، وهو من صفة الرداء. ويقال: المكعب المطوى المشدود، وكل ما ربعته فقد كعبته، ومنه الفتاة الكاعب: التي تكعب ثديها وبرز. وفي «**اللسان**» رأى: الرئي (على فعيل) والرئي (على فعل بكسر أوله) الثوب ينشر للبيع عن علي. «**التهذيب**»: الرئي، بهمزة مسكنة: الثوب الفاخر الذي ينشر ليرى حسنه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وكَمْ أهْلَكْنا قَبْلَهُمْ منْ قَرْنٍ هُمْ أحْسَنُ أثاثاً وَرِئْياً**﴾: أي أكثر متاعاً وأحسن منزلة ومستقرّاً، فأهلك الله أموالهم، وأفسد صورهم عليهم تبارك وتعالى.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله ﴿**أحْسَنُ أثاثاً وَرِئْياً**﴾ قال: أحسن صوراً، وأكثر أموالاً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**أثاثاً**﴾ قال: المتاع ﴿**وَرِئْياً**﴾ قال: فيما يرى الناس.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، بنحوه.

حدثنا ابن حميد وبشر بن معاذ، قالا: ثنا جرير بن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس: الأثاث: المال، والرِّئي: المنظر الحسن.

حدثنا القاسم، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس ﴿**وَرِئْياً**﴾: منظراً في اللون والحسن.

حدثنا القاسم، قال: ثني حجاح، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس ﴿**وَرئياً**﴾ منظراً في اللون والحسن.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أحْسَنُ أثاثاً وَرِئْياً**﴾ قال: الرئي: المنظر، والأثاث: المتاع، أحسن متاعاً، وأحسن منظراً.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول في قوله: ﴿**أحْسَنُ أثاثاً**﴾ يعني المال ﴿**وَرِئْياً**﴾ يعني: المنظر الحسن.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة: «وَرِيّاً» غير مهموز، وذلك إذا قرىء كذلك يتوجه لوجهين: أحدهما: أن يكون قارئه أراد الهمزة، فأبدل منها ياء، فاجتمعت الياء المُبدلة من الهمز والياء التي هي لام الفعل، فأدغمتا، فجعلتا ياء واحدة مشددة ليُلْحِقُوا ذلك، إذ كان رأس آية، بنظائره من سائر رؤوس الآيات قبله وبعده، والآخر أن يكون من رويت أروي روية وريّاً، وإذا أريد به ذلك كان معنى الكلام: وكم أهلكنا قبلهم من قرن، هم أحسن متاعاً، وأحسن نظراً لماله، ومعرفة لتدبيره وذلك أن العرب تقول: ما أحسن رؤية فلان في هذا

الأمر إذا كان حسن النظر فيه والمعرفة به. وقرأ ذلك عامة قرّاء العراق والكوفة والبصرة ﴿وَرِئْياً﴾ بهمزها، بمعنى: رؤية العين، كأنه أراد: أحسن متاعاً ومَرآة. وحُكي عن بعضهم أنه قرأ: «أحسن أثاثاً وزياً»، بالزاي، كأنه أراد أحسن متاعاً وهيئة ومنظراً، وذلك أن الزيّ هو الهيئة والمنظر من قولهم: زيَّيت الجارية، بمعنى: زينتها وهيأتها.

قال أبو جعفر: وأولى القراءات في ذلك بالصواب، قراءة من قرأ ﴿أثاثاً وَرِئْياً﴾ بالراء والهمز، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن معناه: المنظر، وذلك هو من رؤية العين، لا من الروية، فلذلك كان المهموز أولى به، فإن قرأ قارىء ذلك بترك الهمز، وهو يريد هذا المعنى، فغير مخطىء في قراءته. وأما قراءته بالزاي فقراءة خارجة، عن قراءة القرّاء، فلا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءتهم، وإن كان لهم في التأويل وجه صحيح.

واختلف أهل العربية في الأثاث أجمع هو أم واحد، فكان الأحمر فيما ذُكر لي عنه يقول: هو جمع، واحدتها أثاثه، كما الحمام جمع واحدتها حمامة، والسحاب جمع واحدتها سحابة. وأما الفراء فإنه كان يقول: لا واحد له، كما أن المتاع لا واحد له. قال: والعرب تجمع المتاع: أمتعة، وأماتيع، ومتع. قال: ولو جمعت الأثاث لقلت: ثلاثة آثّةٍ وأثث. وأما الرئي فإن جمعه: آراء.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم، القائلين: إذا تتلى عليهم آياتنا، أيّ الفريقين منا ومنكم خير مقاماً وأحسن ندياً، من كان منا ومنكم في الضلالة جائراً عن طريق الحقّ. سالكاً غير سبيل الهدى، ﴿فليمدد له الرحمن مدّاً﴾ يقول: فليطوّل له الله في ضلالته، وليمله فيها إملاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً﴾ فليَدعْه الله في طغيانه.

وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

وقوله: ﴿حتى إذَا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ إمَّا العَذَابَ وإمَّا السَّاعَةَ﴾ يقول تعالى ذكره: قل لهم: من كان منا ومنكم في الضلالة، فليمدد له الرحمن في ضلالته إلى أن يأتيهم أمر الله، إما عذاب عاجل، أو يلقوا ربهم عند قيام الساعة التي وعد الله خلقه أن يجمعهم لها، فإنهم إذا أتاهم وعد الله بأحد هذين الأمرين ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكاناً﴾ ومسكناً منكم ومنهم ﴿وأضْعَفُ جُنْداً﴾ أهم أم أنتم؟ ويتبينون حينئذٍ أيّ الفريقين خير مقاماً، وأحسن ندياً.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ويزيد الله من سلك قصد المحجة، واهتدى لسبيل الرشد، فآمن بربه، وصدّق بآياته، فعمل بما أمره به، وانتهى عما نهاه عنه هدى بما يتجدّد له من الإيمان بالفرائض التي يفرضها عليه. ويقرّ بلزوم فرضها إياه، ويعمل بها، فذلك زيادة من الله في اهتدائه بآياته هدى على هداه، وذلك نظير قوله: ﴿وإذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إيماناً فأمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾. وقد كان بعضهم يتأوّل ذلك: ويزيد الله الذين اهتدوا هُدىً بناسخ القرآن ومنسوخه، فيؤمن بالناسخ، كما آمن من قبل بالمنسوخ، فذلك زيادة هدىً من الله له على هُداه من قبل ﴿وَالباقِياتُ الصّالحات خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً﴾ يقول تعالى ذكره: والأعمال التي أمر الله بها عباده ورضيها منهم. الباقيات لهم غير الفانيات الصالحات، خير عند ربك جزاء لأهلها ﴿وَخَيْرٌ مَرَدّاً﴾ عليهم من مقامات هؤلاء المشركين بالله، وأنديتهم التي يفتخرون بها على أهل الإيمان في الدنيا.

وقد بيَّنا معنى الباقيات الصالحات، وذكرنا اختلاف المختلفين في ذلك، ودللنا على الصواب من القول فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا عمر بن راشد، عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، قال: جلس النبيّ ﷺ ذات يوم، فأخذ عوداً يابساً، فحطّ ورقه ثم قال: «**إنَّ قَوْلَ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أكْبَرُ، والحَمْدُ لِلّهِ وَسُبْحانَ اللّهِ، تَحطُّ الخَطايا، كمَا تَحُطُّ وَرَقَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الرّيحُ، خُذْهُنَّ يا أبا الدَّرْداءِ قَبْلَ أنْ يُحالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُنَّ، هُنَّ الباقِياتُ الصَّالِحاتُ، وَهُنَّ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ**»، قال أبو سلمة: فكان أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديث قال: لأهللنّ الله، ولأكبرنّ الله، ولأسبحنّ الله، حتى إذا رآني الجاهل حسب أني مجنون.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿**أفرأيتَ**﴾ يا محمد ﴿**الَّذِي كَفَرَ بآياتِنا**﴾ حججنا فلم يصدّق بها، وأنكر وعيدنا من أهل الكفر ﴿**وقالَ**﴾ وهو بالله كافر وبرسوله ﴿**لأُوتَينَّ**﴾ في الآخرة ﴿**مالاً وَوَلَداً**﴾. وذُكر أن هذه الآيات أنزلت في العاص بن وائل السهمي أبي عمرو بن العاص.
ذكر الرواية بذلك:

حدثنا أبو السائب وسعيد بن يحيى، قالا: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن خباب، قال: كنت رجلاً قَيْناً، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال: والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: فقال: فإذا أنا متّ ثم بُعثت كما تقول، جئتني ولي مال وولد، قال: فأنزل الله تعالى: ﴿**أفرأيْتَ الَّذِي كَفَرَ بآياتِنا وَقالَ لأُوتَينَّ مالاً وَوَلَداً أطَّلَعَ الغَيْبَ أمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً...**﴾ إلى قوله: ﴿**ويَأْتينا فَرْداً**﴾.

حدثني به أبو السائب، وقرأ في الحديث: وولداً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، أن رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يطلبون العاصَ بن وائل السَّهْمِيّ بدين، فأتوه يتقاضونه، فقال: ألستم تزعمون أن في الجنة فضة وذهباً وحريراً، ومن كلّ الثمرات؟ قالوا: بلى، قال: فإن موعدكم الآخرة، فوالله لأُوتينّ مالاً وولداً، ولأُوتينَّ مثل كتابكم الذي جئتم به، فضرب الله مثله في القرآن، فقال: ﴿**أفرأيْتَ الَّذِي كَفَرَ بآياتِنا وَقالَ لأُوتَينَّ مالاً...**﴾. إلى قوله ﴿**ويَأْتِينا فَرْداً**﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**لأُوتَينَّ مالاً وَوَلَداً**﴾ قال: العاصُ بن وائل يقوله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**أفرأيْتَ الَّذِي كَفَرَ بآياتِنا وَقالَ لأُوتَينَّ مالاً وَوَلَداً**﴾ فذُكر لنا أن رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ، أتوا رجلاً من المشركين يتقاضونه ديناً، فقال: أليس يزعم صاحبكم أن في الجنة حريراً وذهباً؟ قالوا: بلى، قال

فميعادكم الجنة، فوالله لا أومن بكتابكم الذي جئتم به، استهزاء بكتاب الله، ولأُوتينّ مالاً وولداً. يقول الله: ﴿**أَطَّلَعَ الغَيْبَ أمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً**﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرّزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: قال خَبَّاب بن الأرَتّ: كنت قَيْناً بمكة، فكنت أعمل للعاص بن وائل، فاجتمعت لي عليه دراهم، فجئت لأتقاضاه، فقال لي: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، قال: قلت: لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: فإذا بُعثت كان لي مال وولد، قال: فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**أفَرأيْتَ الَّذِي كَفَرَ بآياتِنا وَقالَ لأُوتَيَنَّ مالاً وَوَلَداً...**﴾ إلى ﴿**وَيأْتِينا فَرْداً**﴾.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله ﴿**وَوَلداً**﴾ فقرأته عامّة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: ﴿**وَوَلَداً**﴾ بفتح الواو من الولد في كلّ القرآن، غير أن أبا عمرو بن العلاء خَصّ التي في سورة نوح بالضمّ، فقرأها: «مالُهُ وَوُلْدُهُ». وأما عامّة قرّاء الكوفة غير عاصم، فإنهم قرأوا من هذه السورة من قوله ﴿**مالاً وَوَلَداً**﴾ إلى آخر السورة، واللتين في الزخرف، والتي في نوح، بالضمّ وسكون اللام.

وقد اختلف أهل العربية في معنى ذلك إذا ضمت واوه، فقال بعضهم: ضمها وفتحها واحد، وإنما هما لغتان، مثل قولهم العُدْم والعَدَم، والحُزْن والحَزَن. واستشهدوا لقيلهم ذلك بقول الشاعر:

فَلَيْتَ فُلاناً كانَ في بَطْنِ أُمِّهِ ... وَلَيْتَ فُلاناً كانَ وُلْدَ حِمارِ[1]

ويقول الحارث بن حِلِّزة:

وَلَقَدْ رأيْتُ مَعاشِراً ... قَدْ ثَمَّرُوا مالاً وَوُلْدَا[2]

---

(١) البيت في «**اللسان**» ولد ولم ينسبه. قال: الولد والولد واحد، مثل العرب والعرب، والعجم والعجم ونحو ذلك. وأنشد الفراء:

«فليت فلاناً........ البيت»

فهذا واحد. قال: وقيس تجعل الولد جمعاً والولد (بالتحريك) واحداً. ابن السكيت يقال في الولد: (بكسر أوله) والولد (بضم أوله). قال: ويكون الولد (بضم أوله) واحداً وجمعاً قال: وقد يكون الولد (بالضم) جمع الولد، مثل أسد وأسد. وهذا قريب مما نقله المؤلف عن الفراء في «**معاني القرآن**».

(٢) البيت للحارث بن حلزة اليشكري، وهو من شواهد «**لسان العرب**»: ولد مثل الشاهد الذي قبله. واستشهد به الفراء أيضاً في «**معاني القرآن**» مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ (ص ـ ١٩٥) ثم قال: والولد والولد: لغتان مثل ما قالوا: العدم والعدم.

وقول رُؤْبة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَزِيزِ فَرْدَا لَمْ يَتَّخِذْ مِنْ وُلْدِ شَيْءٍ وُلْدَا[١]

وتقول العرب في مثلها: وُلْدُكِ مِن دَمَّى عَقِبَيْكِ، قال: وهذا كله واحد، بمعنى الولد. وقد ذُكر لي أن قيساً تجعل الوُلْد جمعاً، والوَلد واحداً. ولعلّ الذين قرأوا ذلك بالضمّ فيما اختاروا فيه الضمّ، إنما قرأوه كذلك ليفرقوا بين الجمع والواحد.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك عندي أن الفتح في الواو من الوَلد والضمّ فيها بمعنى واحد، وهما لغتان، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب، غير أن الفتح أشهر اللغتين فيها. فالقراءة به أعجبُ إليّ لذلك.

وقوله: ﴿**أَطَّلَعَ الغَيْبَ**﴾ يقول عزّ ذكره: أعلِمَ هذا القائل هذا القول علم الغيب، فعلم أن له في الآخرة مالاً وولداً باطلاعه على علم ما غاب عنه ﴿**أم اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً**﴾ يقول: أم آمن بالله وعمل بما أمر به، وانتهى عما نهاه عنه، فكان له بذلك عند الله عهداً أن يؤتيه ما يقول من المال والولد، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**أَطَّلَعَ الغَيْبَ أمِ اتَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً**﴾ بعمل صالح قدّمه.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله ﴿**كلاَّ**﴾: ليس الأمر كذلك، ما اطلع الغيب، فعلم صدق ما يقول، وحقيقة ما يذكر، ولا اتخذ عند الرحمن عهداً بالإيمان بالله ورسوله، والعمل بطاعته، بل كذب وكفر. ثم قال تعالى ذكره: ﴿**سَنَكْتُبُ ما يَقُولُ**﴾: أي سنكتب ما يقول هذا الكافر بربه، القائل ﴿**لأُوتيَنَّ**﴾ في الآخرة ﴿**مالاً وَوَلَداً ونَمُدُّ لَهُ مِنَ العَذَابِ مَدّاً**﴾ يقول: ونزيده من العذاب في جهنم بقيله الكذب والباطل في الدنيا، زيادة على عذابه بكفره بالله.

وقوله: ﴿**وَنَرِثُهُ ما يَقُولُ**﴾ يقول عزّ ذكره: ونسلب هذا القائل: لأوتينّ في الآخرة مالاً

---

(١) البيتان لرؤبة بن العجاج، وهما من مشطور الرجز، والفرد: المتفرد بالربوبية، وبالأمر دون خلقه، وهو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا ثاني. والبيت ساقه المؤلف مع الشاهدين السابقين عليه. شواهد على أن الولد، بضم الواو وسكون اللام، بمعنى الولد، بالتحريك. وأنه منفرد، وقد يجيء بمعنى الجمع.

ولداً، ماله وولده، ويصير لنا ماله وولده دونه، ويأتينا هو يوم القيامة فرداً، وحدَه لا مال معه ولا ولد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَنَرِثُهُ ما يَقُولُ**﴾: ماله وولده، وذلك الذي قال العاصي بن وائل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَنَرِثُهُ ما يَقُولُ ويأْتِينا فَرْداً**﴾: لا مال له ولا ولد.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرّزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**وَنَرِثُهُ ما يَقُولُ**﴾ قال: ما عنده، وهو قوله ﴿**لأُوتَيَنَّ مالاً وَوَلَداً**﴾ وفي حرف ابن مسعود: ونرثه ما عنده.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَنَرِثُهُ ما يَقُولُ**﴾ قال: ما جمع من الدنيا وما عمل فيها. قال ﴿**ويأْتِينا فَرْداً**﴾ قال: فرداً من ذلك، لا يتبعه قليل ولا كثير.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَنَرِثُهُ ما يَقُولُ**﴾: نرثه[1].

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: واتخذ يا محمد هؤلاء المشركون من قومك آلهة يعبدونها من دون الله، لتكون هؤلاء الآلهة لهم عزّاً، يمنعونهم من عذاب الله، ويتخذون عبادتهموها عند الله زُلْفَى. وقوله: ﴿**كَلَّا**﴾ يقول عزّ ذكره: ليس الأمر كما ظنوا وأمَّلُوا من هذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله، في أنها تنقذهم من عذاب الله، وتنجيهم منه، ومن سوء إن أراده بهم ربُّهم. وقوله: ﴿**سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ**﴾ يقول عزّ ذكره: ولكن سيكفر الآلهة في الآخرة بعبادة هؤلاء المشركين يوم

(١) كذا ابن كثير أيضاً. والذي في الدر عن ابن عباس: ونرثه ما يقول: ماله وولده.

القيامة إياها، وكفرهم بها قيلهم لربهم: تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون، فجحدوا أن يكونوا عبدوهم أو أمروهم بذلك، وتبرّأوا منهم، وذلك كفرهم بعبادتهم. وأما قوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معنى ذلك: وتكون آلهتهم عليهم عوناً، وقالوا: الضدّ: العون. ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً﴾ يقول: أعواناً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً﴾ قال: عوناً عليهم تخاصمهم وتكذّبهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً﴾ قال: أوثانهم يوم القيامة في النار.

وقال آخرون: بل عنى بالضدّ في هذا الموضع: القُرَناء. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً﴾ يقول: يكونون عليهم قرناء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً﴾ قرناء في النار، يلعن بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعض.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ﴿ضِدّاً﴾ قال: قرناء في النار.

وقال آخرون: معنى الضدّ ههنا: العدوّ. ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا مُعاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً﴾ قال: أعداء.

وقال آخرون: معنى الضدّ في هذا الموضع: البلاء. ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً﴾ قال: يكونون عليهم بلاء.

الضدّ: البلاء، والضدّ في كلام العرب: هو الخلاف، يقال: فلان يضادّ فلاناً في كذا، إذا كان يخالفه في صنيعه، فيفسد ما أصلحه، ويصلح ما أفسده، وإذ كان ذلك معناه، وكانت آلهة

هؤلاء المشركين الذين ذكرهم الله في هذا الموضع يتبرؤون منهم، وينتفون يومئذٍ، صاروا لهم أضداداً، فوصفوا بذلك.

وقد اختلف أهل العربية في وجه توحيد الضدّ، وهو صفة لجماعة. فكان بعض نحويّي البصرة يقول: وحد لأنه يكون جماعة، وواحداً مثل الرصد والأرصاد. قال: ويكون الرَّصَد أيضاً لجماعة. وقال بعض نحويي الكوفة وحّد، لأن معناه عوناً، وذكر أن أبا نهيك كان يقرأ ذلك، كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبد المؤمن، قال: سمعت أبا نهيك الأزدي يقرأ: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُون﴾ يعني الآلهة كلها أنهم سيكفرون بعبادتهم.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم تر يا محمد أنا أرسلنا الشياطين على أهل الكفر بالله ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾ يقول: تحرّكهم بالإغواء والإضلال، فتزعجهم إلى معاصي الله، وتغريهم بها حتى يواقعوها ﴿أزاً﴾ إزعاجاً وإغواء. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿أزاً﴾ يقول: تغريهم إغراء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: تؤز الكافرين إغراء في الشرك: امضِ امضِ في هذا الأمر، حتى توقعهم في النار، امضوا في الغيّ امضوا.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو إدريس، عن جويبر، عن الضحاك، في قوله ﴿تَؤُزُّهُمْ أزاً﴾ قال: تغريهم إغراء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿تَؤُزُّهُمْ أزاً﴾ قال: تزعجهم إزعاجاً في معصية الله.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا ابن عثمة، قال: ثنا سعيد بن بشير، عن قتادة في قول الله ﴿تَؤُزُّهُمْ أزاً﴾ قال: تزعجهم إلى معاصي الله إزعاجاً.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ﴿تَؤُزُّهُمْ أزاً﴾ قال تزعجهم إزعاجاً في معاصي الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنا الشَّياطِينَ على الكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أزًّا**﴾ فقرأ: ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ قال: تؤزّهم أزّاً، قال: تشليهم إشلاءً على معاصي الله تبارك وتعالى، وتغريهم عليها، كما يغري الإنسان الآخر على الشيء.

يقال منه: أزَزْت فلاناً بكذا، إذا أغريته به أؤزّه أزّاً وأزيزاً، وسمعت أزيز القدر: وهو صوت غليانها على النار ومنه حديث مطرف عن أبيه، أنه انتهى إلى النبيّ ﷺ وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل.

وقوله: ﴿**فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً**﴾ يقول عزّ ذكره: فلا تعجل على هؤلاء الكافرين بطلب العذاب لهم والهلاك، يا محمد ﴿**إنما نعدّ لهم عدّاً**﴾ يقول: فإنما نؤخر إهلاكهم ليزدادوا إثماً، ونحن نعدّ أعمالهم كلها ونحصيها حتى أنفاسهم لنجازيهم على جميعها، ولم نترك تعجيل هلاكهم لخير أردناه بهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**إنَّما نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً**﴾ يقول: أنفاسهم التي يتنفسون في الدنيا، فهي معدودة كسنهم وآجالهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يوم نجمع الذين اتقوا في الدنيا فخافوا عقابه، فاجتنبوا لذلك معاصيه، وأدّوا فرائضه إلى ربهم ﴿**وَفْداً**﴾ يعني بالوفد: الركبان. يقال: وفدت على فلان: إذا قدمت عليه، وأوفد القوم وفداً على أميرهم، إذا بعثوا من قبلهم بعثاً. والوفد في هذا الموضع بمعنى الجمع، ولكنه واحد، لأنه مصدر واحدهم وافد، وقد يجمع الوفد: الوفود، كما قال بعض بني حنيفة:

إنّي لَمُمْتَدِحٌ فَمَا هُوَ صَانِعٌ ... رأسُ الوُفُودِ مُزاحِمُ بنَ جِسَاسِ[1]

---

(١) البيت لبعض بني حنيفة، كما قال المؤلف. وفي «**تاج العروس**» جثث: جساس بوزن كتاب ابن نشبة بن ربيع التيمي، ابن عمرو بن عبد الله بن لؤي بن عمرو بن الحارث بن تيم الله بن عبد مناة بن أد: أبو قبيلة، من ولده مزاحم بن زفر بن علاج ابن الحارث بن عامرو بن جساس عن شعبة عنه أبو الربيع الزهراني، وأخوه عثمان بن زفر، حدث عن يوسف بن موسى القطان وغيره. وفي «**خلاصة تذهيب تهذيب الكمال**» للخزرجي: مزاحم بن زفر بن الحارث الكوفي، عن عمر بن عبد العزيز؛ وعنه شعبة وسفيان، وثقه ابن معين. وفي «**اللسان**» وفد: قال الله تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمٰن وفداً﴾ قيل الوفد: الركبان المكرمون.... وهم الوفد والوفود: فأما الوفد فاسم للجمع، وقيل جمع. وأما الوفود فجمع وافد.... وجمع الوفد: أوفاد ووفود.

وقد يكون الوفود في هذا الموضع جمع وافد، كما الجلوس جمع جالس. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا ابن فضيل، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن عليّ، في قوله: ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إلى الرَّحْمَنِ وَفْداً**﴾ قال: أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم، ولا يساقون سوقاً، ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها رِحال الذهب، وأزمتها الزبرجد، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن إسماعيل، عن رجل، عن أبي هريرة ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إلى الرَّحْمَنِ وَفْداً**﴾ قال: على الإبل.

حدثنا عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إلى الرَّحْمَنِ وَفْداً**﴾ يقول: ركباناً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس الملائي، قال: إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن صورة، وأطيبها ريحاً، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا إلا أن طيب ريحك وحسّن صورتك، فيقول: كذلك كنت في الدنيا أنا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا، فاركبني أنت اليوم، وتلا: ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إلى الرَّحْمَنِ وَفْداً**﴾.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة ﴿**إلى الرَّحْمَنِ وَفْداً**﴾ قال: وفداً إلى الجنة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إلى الرَّحْمَنِ وَفْداً**﴾ قال: على النجائب.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: سمعت سفيان الثوري يقول: ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إلى الرَّحْمَنِ وَفْداً**﴾ قال: على الإبل النوق.

وقوله: ﴿**وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إلى جَهَنَّمَ وِرْداً**﴾ يقول تعالى ذكره: ونسوق الكافرين بالله الذين أجرموا إلى جهنم عطاشاً. والوِرد: مصدر من قول القائل: وردت كذا أرِده وِرداً، ولذلك لم يجمع، وقد وصف به الجمع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثني عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله:

﴿وَنَسُوقُ المُجْرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ يقول: عطاشاً.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن إسماعيل، عن رجل، عن أبي هريرة ﴿وَنَسُوقُ المُجْرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ قال: عطاشاً.

حدثني يعقوب والفضل بن صباح، قالا: ثنا إسماعيل بن عُلَيَّة، عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن يقول في قوله: ﴿وَنَسُوقُ المُجْرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ قال: عطاشاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن يونس، عن الحسن مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿إِلى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ قال: ظماء إلى النار.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَنَسُوقُ المُجْرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ سوقوا إليها وهم ظمء عطاش.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: سمعت سفيان يقول في قوله: ﴿وَنَسُوقُ المُجْرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ قال: عطاشاً.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم يا محمد، يوم يحشر الله المتقين إليه وفداً الشفاعة، حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض عند الله، فيشفع بعضهم لبعض ﴿إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ﴾ منهم ﴿عِنْدَ الرَّحْمَنِ﴾ في الدنيا ﴿عَهْداً﴾ بالإيمان به، وتصديق رسوله، والإقرار بما جاء به، والعمل بما أمر به. كما:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾ قال: العهد: شهادة أن لا إله إلا الله، ويتبرأ إلى الله من الحول والقوّة ولا يرجو إلا الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، قوله: ﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾ قال: المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعاء ﴿إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾ قال: عملاً صالحاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ إِلاَّ

مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾: أي بطاعته، وقال في آية أخرى: ﴿لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إلاَّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضيَ لَهُ قَوْلاً﴾ ليعلموا أن الله يوم القيامة يشفع المؤمنين بعضهم في بعض، ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «إنَّ فِي أُمَّتِي رَجُلاً لَيُدْخِلَنَّ اللَّهُ بِشَفاعَتِهِ الجَنَّةَ أكْثَرَ مِنْ بني تَمِيم»، وكنّا نحدّث أن «الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي المليح، عن عوف بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ شفَاعَتِي لِمَنْ ماتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ باللَّهِ شَيْئاً».

و «مَن» في قوله: ﴿إلاَّ مَنْ﴾ في موضع نصب على الاستثناء، ولا يكون خفضاً بضمير اللام، ولكن قد يكون نصباً في الكلام في غير هذا الموضع، وذلك كقول القائل: أردت المرور اليوم إلا العدوّ، فإني لا أمر به، فيستثنى العدوُ من المعنى، وليس ذلك كذلك في قوله: ﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ إلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾ لأن معنى الكلام: لا يملك هؤلاء الكفار إلا من آمن بالله، فالمؤمنون ليسوا من أعداد الكافرين، ومن نصبه على أن معناه إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهداً، فإنه ينبغي أن يجعل قوله لا يملكون الشفاعة للمتقين، فيكون معنى الكلام حينئذ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً، لا يملكون الشفاعة، إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً. فيكون معناه عند ذلك: إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهداً. فأما إذا جعل لا يملكون الشفاعة خبراً عن المجرمين، فإن «من» تكون حينئذ نصباً على أنه استثناء منقطع، فيكون معنى الكلام: لا يملكون الشفاعة، لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً يملكه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠)﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الكافرون بالله ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إدّاً﴾ يقول تعالى ذكره للقائلين ذلك من خلقه: لقد جئتم أيها الناس شيئاً عظيماً من القول منكراً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿شَيْئاً إدّاً﴾ يقول: قولاً عظيماً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إدّاً﴾ يقول: لقد جئتم شيئاً عظيماً وهو المنكر من القول.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿شَيْئاً إِدّاً﴾ قال: عظيماً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ﴿شَيْئاً إِدّاً﴾ قال: عظيماً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً﴾ قال: جئتم شيئاً كبيراً من الأمر حين دعوا للرحمن ولداً.

وفي الإدّ لغات ثلاث، يقال: لقد جئت شيئاً إدّاً، بكسر الألف، وأدّاً بفتح الألف، وآدّاً، على مثال مادّ فاعل. وقرأ قرّاء الأمصار، وبها نقرأ، وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قرأ ذلك بفتح الألف، ولا أرى قراءته كذلك لخلافها قراءة قرّاء الأمصار، والعرب تقول لكلّ أمر عظيم: إدّ، وإمر، ونكر ومنه قوله الراجز:

قَدْ لَقِيَ الأعْدَاءُ مِنِّي نُكْرَا دَاهِيَةً دَهْيَاءَ إدّا إمْرا[١]

ومنه قول الآخر:

فِي لَهَثٍ مِنْهُ وَحَثْلٍ إدّا[٢]

وقوله: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ يقول تعالى ذكره: تكاد السموات يتشقّقن قطعاً من قيلهم: ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً﴾، ومنه قيل: فَطَر نابُه: إذا انشقّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله:

---

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز. وقد سبق استشهاد المؤلف بهما عند قوله تعالى في سورة الكهف (١٥/ ١٨٤) «لقد جئت شيئاً إمراً». وقد شرحناهما ثمت.

(٢) هذا بيت من مشطور الرجز لم أعرف قائله. واللهث واللهاث: حر العطش في الجوف. وفي «اللسان» لهث ابن سيده: لهث الكلب بالفتح، ولهث يلهث فيهما لهثاً: دلع لسانه من شدة العطش والحر، وكذلك الطائر إذا أخرج لسانه من حر أو عطش. ولهث الرجل ولهث (بفتح الهاء في الأول وكسرها في الثاني) يلهث (بالفتح) وفي اللغتين جميعاً، لهثاً فهو لهثان: أعيا. وأما الحثل فلم أجد في مادة (حثل) في المعاجم معنى يناسب البيت، ولعله محرف عن الخبل، وهو فساد الأعضاء. أو عن الختل، وهو التخادع عن غفلة، ولعل الراجز يصف كلب صيد أو فرساً. وأما الإد فهو العجب والأمر الفظيع؛ وهو محل الشاهد في كلام المؤلف، كالبيتين قبله.

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وتَخِرُّ الجِبالُ هَدّاً أَنْ دَعَوْا للرَّحْمَنِ وَلَداً﴾ قال: إن الشرك فزعت منه السموات والأرض والجبال، وجميع الخلائق إلا الثقلين، وكادت أن تزول منه لعظمة الله، وكما لا ينفع مع الشرك إحسان المشرك، كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحِّدين. وقال رسول الله ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتاكُمْ شَهادَةَ أَنْ لا إِلَه إِلاَّ اللَّهُ، فَمَنْ قَالَها عِنْدَ مَوْتِهِ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ» قالُوا: يا رسول الله، فمن قالها في صحته؟ قال: «تلكَ أَوْجَبُ وأَوْجَبُ». ثم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ لَوْ جِيءَ بالسَّمَوَاتِ والأَرَضِينَ وَما فيهِنَّ وَما بَيْنَهُنَّ وَما تَحْتَهُنَّ، فَوُضِعْنَ في كِفَّةِ المِيزَانِ، وَوُضِعَتْ شَهادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فِي الكِفَّةِ الأُخْرَى، لَرَجَحَتْ بِهِنّ».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وتَخِرُّ الجِبالُ هَدّاً﴾ ذُكر لنا أن كعباً كان يقول: غضبت الملائكة، واستعرت جهنم، حين قالوا ما قالوا.

وقوله: ﴿وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ﴾ يقول: وتكاد الأرض تنشق، فتنصدع من ذلك ﴿وتَخِرُّ الجِبالُ هَدّاً﴾ يقول: وتكاد الجبال يسقط بعضها على بعض سقوطاً. والهدّ: السقوط، وهو مصدر هددت، فأنا أهدّ هدّاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وتَخِرُّ الجِبالُ هَدّاً﴾ يقول: هدماً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُريج، قال: قال ابن عباس: ﴿وتَخِرُّ الجِبالُ هَدّاً﴾ قال: الهدّ: الانقضاض.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وتَخِرُّ الجِبالُ هَدّاً﴾ قال: غضباً لله. قال: ولقد دعا هؤلاء الذين جعلوا لله هذا الذي غضبت السموات والأرض والجبال من قولهم، لقد استتابهم ودعاهم إلى التوبة، فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ قالوا: هو وصاحبته وابنه، جعلوها إلهين معه ﴿وَما مِنْ إِله إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ...﴾ إلى قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُنَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وتكاد الجبال أن تخرّ انقضاضاً، لأنْ دَعَوا للرحمن ولداً. ف «أن» في موضع نصب في قول بعض أهل العربية، لاتصالها بالفعل، وفي قول غيره في موضع خفض بضمير الخافض وقد بيَّنا الصوابَ من القول في ذلك في غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقال: ﴿أَنْ دَعَوْا للرَّحْمَنِ وَلَداً﴾ يعني بقوله: ﴿أَنْ دَعَوْا﴾: أن جعلوا له ولداً، كما قال الشاعر:

أَلا رُبَّ مَنْ تَدْعُو نَصِيحاً وَإِنْ تَغِبْ تَجِدْهُ بِغَيْبٍ غيرَ مُنْتَصِحِ الصَّدْرِ[(١)]

وقال ابن أحمر:

أَهْوَى لَهَا مِشْقَصاً حَشْراً فَشَبْرَقَها وكنتُ أَدْعُو قَذَاها الإثْمِدَ القَرِدَا[(٢)]

وقوله: ﴿وَما يَنْبَغِي للرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً﴾ يقول: وما يصلح لله أن يتخذ ولداً، لأنه ليس كالخلق الذين تغلبهم الشهوات، وتضطرهم اللذّات إلى جماع الإناث، ولا ولد يحدث إلا من أنثى، والله يتعالى عن أن يكون كخلقه، وذلك كقول ابن أحمر:

فِي رأسِ خَلْقاءَ مِنْ عَنْقاءَ مُشْرِفَةٍ ما ينبغي دُونَها سَهْلٌ وَلا جَبَلُ[(٣)]

يعني: لا يصلح ولا يكون.

---

(١) انظر شرح هذا الشاهد مع شرح تاليه.

(٢) البيت في «اللسان» دعا. ونسبه إلى ابن أحمر الباهلي. قال: ودعوته بزيد، ودعوته إياه سميته به، تعدى الفعل بعد إسقاط الحرف؛ قال ابن أحمر الباهلي:

«أهوى لها.... البيت»

أي أسميه، وأراد: أهوى لها بمشقص، فحذف الحرف وأوصل وقوله عز وجل ﴿أن دعوا للرحمٰن ولداً﴾: أي جعلوا، وأنشد بيت ابن أحمر أيضاً وقال: أي كنت أجعل وأسمي؛ ومثله قول الشاعر:

«ألا رب من تدعو نصيحاً...... البيت»

والمشقص من النصال. ما كان طويلاً غير عريض، فإذا كان عريضاً فهو المعبلة «اللسان» شقص. وسهم محشور وحشر: مستوى قذذ الريش، وكل لطيف دقيق حشر. وشبرقها: مزقها، يقال: ثوب مشبرق: مقطع ممزق. وفي كتاب «المعاني الكبير» لابن قتيبة طبع حيدر أباد (ص ـ ٩٨٨)، يقول: كنت من إشفاقي عليها أسمي ما يصلحها قذى، فكيف ما يؤذيها. وقوله «أدعو» أي أسمي؛ تقول ما تدعون هذا فيكم؟ أي ما تسمونه؟ والحشر: السهم الخفيف الريش الذي قد شاد قصبه ورصافه. والإثمد: الكحل الأسود والقرد: هو الذي ينقطع في العين؛ وقيل القرد: الذي لصق بعضه ببعض. والمعنى: كنت أسمي الإثمد قذى، من حذري عليها.

(٣) تقدم الاستشهاد بهذا البيت قريباً في هذا الجزء (ص ـ ٨٤) وشرحناه ثمة.

﴿إنْ كُلّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ إلاَّ آتي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ يقول: ما جميع من في السموات من الملائكة، وفي الأرض من البشر والإنس والجنّ ﴿إلاَّ آتي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ يقول: إلا يأتي ربه يوم القيامة عبداً له، ذليلاً خاضعاً، مقرّاً له بالعبودية، لا نسب بينه وبينه. وقوله: ﴿آتي الرَّحْمَنِ﴾ إنما هو فاعل من أتيته، فأنا آتيه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لقد أحصى الرحمن خلقه كلهم، وعدّهم عداً، فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم، وعرف عددهم، فلا يعزب عنه منهم أحد ﴿وكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ القِيامَةِ فَرْداً﴾ يقول: وجميع خلقه سوف يرد عليه يوم تقوم الساعة وحيداً لا ناصر له من الله، ولا دافع عنه، فيقضي الله فيه ما هو قاض، ويصنع به ما هو صانع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الذين آمنوا بالله ورسوله، وصدّقوا بما جاءهم من عند ربهم، فعملوا به، فأحلوا حلاله، وحرّموا حرامه ﴿سيجعلُ لهُمُ الرحمنُ وداً﴾ في الدنيا، في صدور عباده المؤمنين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يحيى بن طلحة، قال: ثنا شريك، عن مسلم الملائي، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾ قال: محبة الناس في الدنيا.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾ قال: حباً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾ قال: الودّ من المسلمين في الدنيا، والرزق الحسن. واللسان الصادق.

حدثني يحيى بن طلحة، قال: ثنا شريك، عن عبيد المُكْتِبِ، عن مجاهد، في قوله

﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾ قال: محبة في المسلمين في الدنيا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن القاسم بن أبي بزّة، عن مجاهد، في قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾ قال: يحبهم ويحببهم إلى خلقه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾ قال: يحبهم ويحببهم إلى المؤمنين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عليّ بن هاشم، عن ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: يحبهم ويحببهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو، عن قتادة، في قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾ قال: ما أقبل عبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه، وزاده من عنده.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾: إي والله في قلوب أهل الإيمان. ذُكر لنا أن هَرِم بن حيان كان يقول: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقه مودّتهم ورحمتهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، أن عثمان بن عفان كان يقول: ما من الناس عبد يعمل خيراً ولا شرّاً، إلا كساه الله رداء عمله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن الثوريّ، عن مسلم، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾ قال: محبة.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف.

حدثني محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطيّ، قال: أخبرنا يعقوب بن محمد، قال: ثنا عبد العزيز بن عمران، عن عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جُبير بن مطعم، عن أبيه، عن أمه أمّ إبراهيم ابنة أبي عبيدة بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيها، عن عبد الرحمن بن عوف،

أنه لما هاجر إلى المدينة، وجَد في نفسه على فراق أصحابه بمكة، منهم شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأميَّة بن خلف، فأنزل الله تعالى: **﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾**.

وقوله: **﴿فإنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لِتُبَشِّر بِهِ المُتَّقِينَ﴾** يقول تعالى ذكره: فإنَّما يسَّرنا يا محمد هذا القرآن بلسانك تقرؤه، لتبشر به المتقين الذين اتقوا عقاب الله، بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، بالجنة. **﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً﴾** يقول: ولتنذر بهذا القرآن عذاب اللّه قومكَ من قريش، فإنهم أهل لَددَ وجدل بالباطل، لا يقبلون الحقّ. واللَّدّ: شدّة الخصومة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿لُدّاً﴾** قال: لا يستقيمون.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله **﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً﴾** يقول: لتنذر به قوماً ظَلَمة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً﴾**: أي جدالاً بالباطل، ذوي لَددَ وخصومة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا محمد بن فضيل، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: **﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً﴾** قال: فُجَّاراً.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله **﴿قَوْماً لُدّاً﴾** قال: جدالاً بالباطل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً﴾** قال: الألدّ: الظلوم، وقرأ قول الله: وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ.

حدثنا أبو صالح الضراريّ[1]، قال: ثنا العلاء بن عبد الجبار، قال: ثنا مهدي بن ميمون، عن الحسن في قول الله عزّ وجلّ: **﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً﴾** قال: صُماً عن الحق،

---

(١) أبو صالح الضراري، بالضاد المعجمة، كما في «**تاج العروس**» ضرر. وفي الأصل: بالصاد المهملة، تحريف.

حدثني ابن سنان، قال: ثنا أبو عاصم، عن هارون، عن الحسن مثله.

وقد بيَّنا معنى الألدّ فيما مضى بشواهده، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وكثيرا أهلكنا يا محمد قبل قومك من مشركي قريش، من قرن، يعني من جماعة من الناس، إذا سلكوا في خلافي وركوب معاصيّ مسلكهم، هل تحس منهم من أحد: يقول: فهل تحسّ أنت منهم أحداً يا محمد، فتراه وتعاينه ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾ يقول: أو تسمع لهم صوتاً، بل بادوا وهلكوا، وخَلَت منهم دورهم، وأوحشت منهم منازلهم، وصاروا إلى دار لا ينفعهم فيها إلا صالح من عمل قدّموه، فكذلك قومك هؤلاء، صائرون إلى ما صار إليه أولئك، إن لم يُعاجلوا التوبة قبل الهلاك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾ قال: صوتاً.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزّاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾ قال: هل ترى عيناً، أو تسمع صوتاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنهُمْ من أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾ يقول: هل تسمع من صوت، أو ترى من عين؟.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾ يعني: صوتاً.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: رِكْز الناس: أصواتهم. قال أبو كريب: قال سفيان: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾؟.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾ قال: أو تسمع لهم حِسّاً. قال: والركز: الحس.

قال أبو جعفر: والركز في كلام العرب: الصوت الخفيّ، كما قال الشاعر:

فَتَوَجَّسَتْ ذِكْرَ الأَنِيسِ فَرَاعَهَا عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ والأَنِيسُ سَقَامُهَا[١]

آخر تفسير سورة مريم، والحمد لله رب العالمين

(١) البيت من معلقة لبيد بن ربيعة العامري «**جمهرة أشعار العرب**» (ص - ٦٣، ٧٤) وشرح الزوزني للمعلقات السبع. وشرى التبريزي للقصائد العشر. والرواية في الجمهرة: «وتسمعت رجز الأنيس». قال: والركز الصوت الخفي. قال الله تعالى: ﴿أو تسمع لهم ركزاً﴾ ويروى رزاً بالتشديد. والأنيس: الإنس. عن ظهر غيب: أي مكان خفي. والغيب ما توارى عنك من أرض أو علم. وفي التبريزي: وتسمعت رز الأنيس. قال: ويروى: توجست ركز الأنيس. أي تسمعت البقرة صوت الناس. فأفزعها، ولم تر الناس. والرز والركز الصوت الخفي. وقوله «عن ظهر غيب» معناه: من وراء حجاب، أي تطمع من حيث لا ترى. «الأنيس سقامها»: معناه: والأنيس هلاكها، أي يصيدها. وراعها أي أفزعها. وفاعل تسمعت: ضمير البقرة. وفاعل راعها: ضمير للرز. وفي الزوزني: وتوجست رز الأنيس، ثم شرح البيت بمثل شرح التبريزي له.

(٢٠) سُورَة طه مَكيّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣﴾.

قال أبو جعفر محمد بن جرير: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿طَهَ﴾ فقال بعضهم: معناه يا رجل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا أبو تميلة، عن الحسن بن واقد، عن يزيد النحويّ، عن عكرمة، عن ابن عباس: طه: بالنَّبَطية: يا رجل.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿طه ما أنْزَلْنا عَلَيْكَ القُرآنَ لِتَشْقَى﴾ فإن قومه قالوا: لقد شَقِي هذا الرجل بربه، فأنزل الله تعالى ذكره ﴿طَهَ﴾ يعني: يا رجل ﴿ما أنْزَلْنا عَلَيْكَ القُرآنَ لِتَشْقَى﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عبد الله بن مسلم، أو يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير أنه قال: طه: يا رجل بالسريانية.

قال ابن جريج: وأخبرني زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس، بذلك أيضاً. قال ابن جُرَيج، وقال مجاهد، ذلك أيضاً.

حدثنا عمران بن موسى القزّاز، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: ثنا عُمارة، عن عكرمة، في قوله: ﴿طَهَ﴾ قال: يا رجل، كلمه بالنبطية.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبد الله، عن عكرمة، في قوله ﴿طَهَ﴾ قال: بالنبطية: يا إنسان.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، عن قرة بن خالد، عن الضحاك، في قوله ﴿طَهَ﴾ قال: يا رجل بالنبطية.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حُصَين، عن عكرمة في قوله ﴿طَهَ﴾ قال: يا رجل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿طَهَ﴾ قال: يا رجل، وهي بالسريانية.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرّزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة والحسن في قوله: ﴿طَهَ﴾ قالا: يا رجل.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد، يعني ابن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿طَهَ﴾ قال: يا رجل.

وقال آخرون: هو اسم من أسماء الله، وقَسَم أقسم الله به.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿طَهَ﴾ قال: فإنه قسم أقسم الله به، وهو اسم من أسماء الله.

وقال آخرون: هو حُروف هجاء.

وقال آخرون: هو حروف مقطَّعة يدلّ كلّ حرف منها على معنى، واختلفوا في ذلك اختلافهم في الـم، وقد ذكرنا ذلك في مواضعه، وبيَّنا ذلك بشواهده.

والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه: قول من قال: معناه: يا رجل، لأنها كلمة معروفة في عكّ فيما بلغني، وأن معناها فيهم: يا رجل، أنشدت لمتمم بن نُويرة:

هَتَفْتُ بِطَهَ فِي القِتالِ فَلَمْ يُجِبْ ... فَخِفْتُ عَلَيْهِ أنْ يَكُونَ مُوَائِلا[(١)]

(١) البيت لمتمم بن نويرة كما قال المؤلف. وفي «اللسان» طهطه: الليث في تفسير (طه) مجزومة أنها بالحبشة: يا رجل قال: ومن قرأ (طه) فحرفان. وبلغنا أن موسى لما سمع كلام الرب عز وجل استفزه الخوف، حتى قام على أصابع قدميه خوفاً، فقال الله عز وجل (طه) أي اطمئن. الفراء: (طه) حرف هجاء. قال: وجاء في التفسير (طه) يا رجل: يا إنسان. قال: وحدث قيس عن عاصم بن زر، قال: قرأ رجل على ابن مسعود (طه) فقال عبد الله: (طه)بكسرتين، فقال الرجل: أليس إنما أمر أن يطأ قدمه، فقال له عبد الله: هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ. قال الفراء: وكان بعض القراء يقطعها (ط.هـ) وروى الأزهري عن أبي حاتم قال: (طه) افتتاح سورة، ثم استقبل الكلام فخاطب النبي ﷺ، فقال: «ما أنزل عليك القرآن لتشقى». وقال قتادة: (طه) بالسريانية: يا رجل. وقال سعيد بن جبير وعكرمة: هي بالنبطية: يا رجل، وروى ذلك عن ابن عباس ا هـ. «اللسان».

وقال آخر:

إنَّ السَّفاهَةَ طَهَ مِنْ خَلائِقِكُمْ لابارَكَ اللّهُ فِي القَوْمِ المَلاعِينِ[1]

فإذا كان ذلك معروفاً فيهم على ما ذكرنا، فالواجب أن يوجه تأويله إلى المعروف فيهم من معناه، ولا سيما إذا وافق ذلك تأويل أهل العلم من الصحابة والتابعين.

فتأويل الكلام إذن: يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، ما أنزلناه عليك فنكلفك ما لا طاقة لك به من العمل. وذُكر أنه قيل له ذلك بسبب ما كان يلقى من النَّصَب والعناء والسهر في قيام الليل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**ما أنزَلْنا عَلَيْكَ القُرآنَ لِتَشقَى**﴾ قال: هي مثل قوله: ﴿**فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ**﴾ فكانوا يعلقون الحبال في صدورهم في الصلاة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿**ما أنزَلْنا عَلَيْكَ القُرآنَ لِتَشقَى**﴾ قال: في الصلاة كقوله: ﴿**فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ**﴾ فكانوا يعلقون الحبال بصدورهم في الصلاة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**ما أنْزَلْنا عَلَيْكَ القُرآنَ لِتَشْقَى**﴾ لا والله ما جعله الله شقياً، ولكن جعله رحمة ونوراً، ودليلاً إلى الجنة.

وقوله: ﴿**إلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى**﴾ يقول تعالى ذكره: ما أنزلنا عليك هذا القرآن إلاَّ تذكرة لمن يخشى عقاب الله، فيتقيه بأداء فرائض ربه واجتناب محارمه، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى**﴾ وإن الله أنزل كتبه، وبعث رسله رحمة رحم الله بها العباد، ليتذكر ذاكر، وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله، وهو ذكر له أنزل الله فيه حلاله وحرامه، فقال: ﴿**تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأرْضَ والسَّمَوَاتِ العُلَى**﴾.

(١) هذا الشاهد كالذي قبله، على أن معنى (طه) في كلام العرب: يا رجل: ولم أقف على قائل البيت.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ قال: الذي أنزلناه عليك تذكرة لمن يخشى.

فمعنى الكلام إذن: يا رجل ما أنزلنا عليك هذا القرآن لتشقى به، ما أنزلناه إلاَّ تذكرة لمن يخشى.

وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب تذكرة، فكان بعض نحويي البصرة يقول: قال: إلاَّ تذكرة بدلاً من قوله لتشقى، فجعله: ما أنزلنا عليك القرآن إلاَّ تذكرة. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: نصبت على قوله: ما أنزلناه إلاَّ تذكرة. وكان بعضهم ينكر قول القائل: نصبت بدلاً من قوله ﴿لِتَشْقَى﴾، ويقول: ذلك غير جائز، لأن ﴿لِتَشْقَى﴾ في الجحد، و ﴿إلاَّ تَذْكِرَةً﴾ في التحقيق، ولكنه تكرير. وكان بعضهم يقول: معنى الكلام: ما أنزلنا عليك القرآن إلاَّ تذكرة لمن يخشى، لا لتشقى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى (٤) ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ (٥)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: هذا القرآن تنزيل من الربّ الذي خلق الأرض والسموات العلى. والعُلَى: جمع عليا.

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله: ﴿تَنْزِيلاً﴾ فقال بعض نحويي البصرة: نصب ذلك بمعنى: نزّل الله ذلك تنزيلاً. وقال بعض من أنكر ذلك من قيله هذا من كلامين، ولكن المعنى: هو تنزيل، ثم أسقط هو، واتصل بالكلام الذي قبله، فخرج منه، ولم يكن من لفظه.

قال أبو جعفر: والقولان جميعاً عندي غير خطأ.

وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ يقول تعالى ذكره: الرحمن على عرشه ارتفع وعلا.

وقد بيَّنا معنى الاستواء بشواهده فيما مضى وذكرنا اختلاف المختلفين فيه فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. وللرفع في الرحمن وجهان: أحدهما بمعنى قوله: تنزيلاً، فيكون معنى الكلام: نزله من خلق الأرض والسموات، نزله الرحمن الذي على العرش استوى. والآخر بقوله: ﴿عَلى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ لأن في قوله استوى، ذكراً من الرحمن.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، وما تحت الثرى، ملكاً له، وهو مدبر ذلك كله، ومصرّف جميعه. ويعني بالثرى: الندى. يقال للتراب الرطب المبتلّ: ثرى منقوص، يقال منه: ثريت الأرض تثرى، ثرى منقوص، والثرى: مصدر. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَما تَحتَ الثَّرَى**﴾ والثَّرَى: كلّ شيء مبتلّ.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وَما تَحْتَ الثَّرَى**﴾ ما حفر من التراب مبتلاً.

وإنما عنى بذلك: وما تحت الأرضين السبع. كالذي:

حدثني محمد بن إبراهيم السليمي المعروف بابن صدران[1]، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا محمد بن رفاعة، عن محمد بن كعب ﴿**وَما تَحْتَ الثَّرَى**﴾ قال: الثرى: سبع أرضين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن تجهر يا محمد بالقول، أو تخف به، فسواء عند ربك الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴿**فإنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ**﴾ يقول: فإنه لا يخفى عليه ما استسررته في نفسك، فلم تبده بجوارحك ولم تتكلم بلسانك، ولم تنطق به وأخفى.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله ﴿**وأخفى**﴾ فقال بعضهم: معناه: وأخفى من السرّ، قال: والذي هو أخفى من السرّ ما حدّث به المرء نفسه ولم يعمله.

---

(١) في «**الخلاصة**» للخزرجي: محمد بن إبراهيم بن صدران، بضم المهملة الأولى، الأزدي، السليمي، بتحتانية بعد اللام المكسورة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وأخْفَى﴾ قال: السرّ: ما عملته أنت وأخفى: ما قذف الله في قلبك مما لم تعمله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وأخْفَى﴾ يعني بأخفى: ما لم يعمله، وهو عامله وأما السرّ: فيعني ما أسرّ في نفسه.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿يَعْلَمُ السِّر وأخْفَى﴾ قال: السرّ: ما أسرّ ابن آدم في نفسه. وأخفى: قال: ما أخفى ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعمله، فالله يعلم ذلك، فعلمه فيما مضى من ذلك، وما بقي علم واحد، وجميع الخلائق عنده في ذلك كنفس واحدة، وهو قوله: ﴿ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال سعيد بن جُبير، عن ابن عباس: السرّ: ما أسرّ الإنسان في نفسه وأخفى: ما لا يعلم الإنسان مما هو كائن.

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ومحمد بن عمرو، قالا: ثنا أبو عاصم، عن عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وأخْفَى﴾ قال: أخفى: الوسوسة. زاد ابن عمرو والحارث في حديثيهما: والسرّ: العمل الذي يسرّون من الناس.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿وأخْفَى﴾ قال: الوسوسة.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة، في قوله ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وأخْفَى﴾ قال: أخفى حديث نفسك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا الحسين بن الحسن الأشقر، قال: ثنا أبو كُدَينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وأخْفَى﴾ قال: السرّ: ما يكون في نفسك اليوم. وأخفى: ما يكون في غد وبعد غد، لا يعلمه إلاَّ الله.

وقال آخرون: بل معناه: وأخفى من السرّ ما لم تحدّث به نفسك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الفضل بن الصباح، قال: ثنا ابن فضيل، عن عطاء، عن سعيد بن جُبير، في قوله: ﴿**يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَى**﴾ قال: السرّ: ما أسررت في نفسك وأخفى من ذلك: ما لم تحدّث به نفسك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**وَإنْ تَجْهَرْ بالقَوْلِ فإنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وأخْفَى**﴾ كنا نحدث أن السرّ ما حدّثت به نفسك، وأن أخفى من السرّ: ما هو كائن مما لم تحدّث به نفسك.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا سليمان بن حرب، قال: ثنا أبو هلال، قال: ثنا أبو قتادة، قوله في ﴿**يَعْلَمُ السِّرَّ وأخْفَى**﴾ قال: يعلم ما أسررت في نفسك، وأخفى: ما لم يكن وهو كائن.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ﴿**يَعْلَمُ السِّرَّ وأخْفَى**﴾ قال: أخفى من السرّ: ما حدّثت به نفسك، وما لم تحدث به نفسك أيضاً مما هو كائن.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**يَعْلَمُ السِّرَّ وأخْفَى**﴾ أما السرّ: فما أسررت في نفسك. وأما أخفى من السرّ: فما لم تعمله وأنت عامله، يعلم الله ذلك كله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنه يعلم سرّ العباد، وأخفى سرّ نفسه، فلم يطلع عليه أحداً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**يَعْلَمُ السِّرَّ وأخْفَى**﴾ قال: يعلم أسرار العباد، وأخفى سرّه فلا يعلم.

قال أبو جعفر: وكأن الذين وجّهوا ذلك إلى أن السرّ هو ما حدّث به الإنسان غيره سرّاً، وأن أخفى: معناه: ما حدّث به نفسه، وجهوا تأويل أخفى إلى الخفيّ. وقال بعضهم: قد توضع أفعل موضع الفاعل، واستشهدوا لقيلهم ذلك بقول الشاعر:

تَمَنَّى رِجالٌ أنْ أمُوتَ وَإنْ أمُتْ فتلكَ طَرِيقٌ لَسْتُ فِيها بأوْحَدِ[1]

---

(١) ورد هذا البيت في مقطوعة خمسة أبيات كتب بها الوليد بن عبد الملك لما مرض وقد بلغه عن أخيه سليمان أنه تمنى موته، لماله من العهد بعده، فعاتبه الوليد في كتاب وفيه هذه الأبيات، وأولها:

«تمنى الرجل..... الخ» =

والصواب من القول في ذلك، قول من قال: معناه: يعلم السرّ وأخفى من السرّ، لأن ذلك هو الظاهر من الكلام ولو كان معنى ذلك ما تأوّله ابن زيد، لكان الكلام: وأخفى الله سرّه، لأن أخفى: فعل واقع متعدّ، إذ كان بمعنى فعل على ما تأوّله ابن زيد، وفي انفراد أخفى من مفعوله، والذي يعمل فيه لو كان بمعنى فعل الدليل الواضح على أنه بمعنى أفعل، وأن تأويل الكلام: فإنه يعلم السرّ وأخفى منه. فإذا كان ذلك تأويله، فالصواب من القول في معنى أخفى من السرّ أن يقال: هو ما علم الله مما أخفى عن العباد، ولم يعلموه مما هو كائن ولما يكن، لأن ما ظهر وكان فغير سرّ، وأن ما لم يكن وهو غير كائن فلا شيء، وأن ما لم يكن وهو كائن فهو أخفى من السرّ، لأن ذلك لا يعلمه إلاّ الله، ثم من أعلمه ذلك من عباده. وأما قوله تعالى ذكره: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**﴾ فإنه يعني به: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلاّ له. يقول: فإياه فاعبدوا أيها الناس دون ما سواه من الآلهة والأوثان ﴿**لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى**﴾ يقول جلّ ثناؤه: لمعبودكم أيها الناس الأسماء الحسنى، فقال: الحسنى، فوحّد، وهو نعت للأسماء، ولم يقل الأحاسن، لأن الأسماء تقع عليها هذه، فيقال: هذه أسماء، وهذه في لفظة واحدة ومنه قول الأعشى:

وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إنْ ظَفِرْتُ بِهِ ... رَبٌّ غَفُورٌ وَبِيضٌ ذاتُ أَطْهارِ[(١)]

فوحد ذات، وهو نعت للبيض لأنه يقع عليه هذه، كما قال: حَدائقَ ذاتَ بهجةٍ ومنه قوله جلّ ثناؤه: ﴿**مآرِبُ أُخرَى**﴾ فوحد أخرى، وهي نعت لمآرب، والمآرب: جمع، واحدتها: مأربة، ولم يقل أُخر، لما وصفنا، ولو قيل: أُخَر، لكان صواباً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ مسليه عما يلقى من الشدّة من مشركي قومه، ومعرفه ما إليه صائر أمره وأمرهم، وأنه معليه عليهم، وموهن كيد الكافرين، ويحثه على الجدّ في أمره،

= ذكرها المسعودي في «**مروج الذهب**» طبعة دار الرجاء (١٠٣/٣). والشاهد في قوله بأوحد، فإنه بمعنى: بواحد.

(١) في «**اللسان**» عقب يقال: أعقبه الله بإحسانه خيراً: والاسم العقبي، وهو شبه العوض. واستعقب منه خيراً أو شراً: اعتاضه، فأعقبه خيراً، أي عوضه وأبدله. والشاهد في البيت أن قائله وصف البيض وهو جمع بيضاء، بكلمة (ذات) وهي واحدة، ولم يطابق بين النعت والمنعوت في العدد. وتأويل ذلك عند المؤلف أنه كلمة البيض وإن كانت جمعاً فإنها يشار إليها بكلمة هذه وهذه في الأصل إشارة للواحدة فلما جاز أن يشار بهذه إلى الجمع جاز أن ينعت البيض بذات التي هي للواحدة. وذلك نظير قول القرآن: «له الأسماء الحسنى والأسماء جمع، والحسنى صفتها وهي واحدة.

والصبر على عبادته، وأن يتذكر فيما ينوبه فيه من أعدائه من مُشركي قومه وغيرهم، وفيما يزاول من الاجتهاد في طاعته ما ناب أخاه موسى صلوات الله عليه من عدوّه، ثم من قومه، ومن بني إسرائيل وما لقي فيه من البلاء والشدّة طفلاً صغيراً، ثم يافعاً مترعرعاً، ثم رجلاً كاملاً: ﴿وَهَلْ أتاكَ﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ مُوسَى﴾ ابن عمران ﴿إذْ رأى ناراً﴾؟ ذكر أن ذلك كان في الشتاء ليلاً، وأن موسى كان أضلّ الطريق فلما رأى ضوء النار ﴿قالَ لأَهْلِهِ﴾ ما قال.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: لما قضى موسى الأجل، سار بأهله فضلّ الطريق. قال عبد الله بن عباس: كان في الشتاء، ورُفعت لهم نار فلما رآها ظنّ أنها نار، وكانت من نور الله ﴿قالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إنّي آنَسْتُ ناراً﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه اليماني، قال: لما قضى موسى الأجل، خرج ومعه غنم له، ومعه زند له، وعصاه في يده يهشّ بها على غنمه نهاراً، فإذا أمسى اقتدح بزنده ناراً، فبات عليها هو وأهله وغنمه، فإذا أصبح غدا بأهله وبغنمه، فتوكأ على عصاه، فلما كانت الليلة التي أراد الله بموسى كرامته، وابتداءه فيها بنبوّته وكلامه، أخطأ فيه الطريق حتى لا يدري أين يتوجه، فأخرج زنده ليقتدح ناراً لأهله ليبيتوا عليها حتى يصبح، ويعلم وجه سبيله، فأصلد زنده فلا يورى له ناراً، فقدح حتى أعياه، لاحت[1] النار فرآها، ف ﴿قَالَ لأهلِهِ امْكُثُوا إنّي آنَسْتُ ناراً لَعَلّي آتِيكُمْ مِنها بقَبَسٍ أوْ أجِدُ عَلى النّارِ هُدىً﴾.

وعنى بقوله: ﴿آنَسْتُ ناراً﴾ وجدت، ومن أمثال العرب: بعد اطلاع إيناس، ويقال أيضاً: بعد طلوع إيناس، وهو مأخوذ من الأنس.

وقوله: ﴿لَعَلّي آتِيكُمْ مِنْها بقَبسٍ﴾ يقول: لعلي أجيئكم من النار التي آنست بشُعْلة. والقَبَس: هو النار في طَرَف العود أو القصبة. يقول القائل لصاحبه: أقبسني ناراً، فيعطيه إياها في طرف عود أو قصبة. وإنما أراد موسى بقوله لأهله: ﴿لَعَلّي آتِيكُمْ مِنها بقَبَسٍ﴾ لعلي آتيكم بذلك لتصطلوا به، كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه ﴿لَعَلّي آتِيكُمْ مِنها بِقَبَسٍ﴾ قال: بقبس تَصْطَلون.

وقوله: ﴿أوْ أجِدُ عَلى النّارِ هُدىً﴾ دلالة تدلّ على الطريق الذي أضللناه، إما من خبر هاد يهدينا إليه، وإما من بيان وعلم نتبينه به ونعرفه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

---

(١) المقام يقتضي أن يقول: حتى إذا أعياه، لاحت... إلخ أو: فلاحت، ثم لاحت.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**أوْ أجِدُ عَلى النَّارِ هُدىً**﴾ يقول: من يدلّ على الطريق.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**أوْ أجِدُ عَلى النَّارِ هُدىً**﴾ قال: هادياً يهديه الطريق.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿**أوْ أجِدُ عَلى النَّارِ هُدىً**﴾: أي هداة يهدونه الطريق.

حدثني أحمد بن المقدام، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت أبي يحدّث، عن قتادة، عن صاحب له، عن حديث ابن عباس، أنه زعم أنها أيلة ﴿**أوْ أجِدُ عَلى النَّارِ هُدًى**﴾. وقال أبيّ: وزعم قتادة أنه هدى الطريق.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ﴿**أوْ أجِدُ عَلى النَّارِ هُدىً**﴾ قال: من يهديني إلى الطريق.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه ﴿**أوْ أجِدُ عَلى النَّارِ هُدىً**﴾ قال: هدى عن علم الطريق الذي أضللنا بنعت من خبر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا سفيان، عن أبي سعيد، عن عكرمة، قال: قال ابن عباس ﴿**لَعَلّي آتِيكُمْ مِنها بِقَبَسٍ أوْ أجِدُ عَلى النَّارِ هُدىً**﴾ قال: كانوا أضلوا عن الطريق، فقال: لعلّي أجد من يدلني على الطريق، أو آتيكم بقبس لعلكم تصطلون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما أتى النار موسى، ناداه ربه: ﴿**يا مِوسَى إنّي أنا رَبُّك فاخْلَعْ نَعْلَيكَ**﴾ كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه، قال: خرج

موسى نحوها، يعني نحو النار، فإذا هي في شجر من العليق، وبعض أهل الكتاب يقول في عوسجة فلما دنا استأخرت عنه فلما رأى استئخارها رجع عنها، وأوجس في نفسه منها خيفة فلما أراد الرجعة، دنت منه ثم كلم من الشجرة، فلما سمع الصوت استأنس، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿يا مُوسَى اخلَعْ نَعْلَيْكَ إنَّكَ بالوَادِ المُقَدَّسِ طُوىً﴾ فخلعها فألقاها.

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله أمر الله موسى بخلع نعليه، فقال بعضهم: أمره بذلك، لأنهما كانتا من جلد حمار ميت، فكره أن يطأ بهما الوادي المقدّس، وأراد أن يمسه من بركة الوادي.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عاصم، عن أبي قلابة، عن كعب، أنه رآهم يخلعون نعالهم ﴿اخلَعْ نَعْلَيْكَ إنَّكَ بالوَادِ المُقَدَّسِ طُوىً﴾ فقال: كانت من جلد حمار ميت، فأراد الله أن يمسه القدس.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، في قوله ﴿فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ قال: كانتا من جلد حمار ميت.

حدثنا بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعد، عن قَتادة، قال: حدثنا، أن نعليه كانتا من جلد حمار، فخلعهما ثم أتاه.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قَتادة، في قوله ﴿فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ قال: كانتا من جلد حمار، فقيل له اخلعهما.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج. قال: وأخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة وأبو سفيان، عن معمر، عن جابر الجعفي، عن عليّ بن أبي طالب ﴿فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ قال: كانتا من جلد حمار، فقيل له اخلعهما. قال: وقال قَتادة مثل ذلك.

وقال آخرون: كانتا من جلد بقر، ولكن الله أراد أن يطأ موسى الأرض بقدميه، ليصل إليه بركتها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال الحسن: كانتا، يعني نعلي موسى، من بقر، ولكن إنما أراد الله أن يباشر بقدميه بركة الأرض، وكان قد قدس مرّتين. قال ابن جُرَيْج: وقيل لمجاهد: زعموا أن نعليه كانتا من جلد حمار أو ميتة، قال:

لا، ولكنه أمر أن يباشر بقدميه بركة الأرض.

حدثني يعقوب، قال: قال أبو بشر، يعني ابن علية، سمعت ابن أبي نجيح، يقول في قوله: ﴿**فاخلَعْ نَعْلَيْكَ إنَّكَ بالْوَادِ المُقَدَّسِ طُوىً**﴾ قال: يقول: أفض بقدميك إلى بركة الوادي.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: أمره الله تعالى ذكره بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي، إذ كان وادياً مقدساً.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب، لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار ولا لنجاستهما، ولا خبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة، وإن في قوله ﴿**إنَّكَ بالوَادِ المُقَدَّسِ**﴾ بعقبه دليلاً واضحاً، على أنه إنما أمره بخلعهما لما ذكرنا. ولو كان الخبر الذي:

حدثنا به بشر قال: ثنا خلف بن خليفة عن حميد بن عبد الله بن الحارث، عن ابن مسعود، عن نبيّ الله ﷺ، قال: «**يَوْمَ كَلَّمَ اللّهُ مُوسَى، كانَتْ عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ وكساءُ صُوفٍ، وسَرَاوِيلُ صُوفٍ، وَنَعْلانِ مِنْ جِلْدِ حِمارٍ غيرِ مُذَكّى**» صحيحاً لم نعده إلى غيره، ولكن في إسناده نظر يجب التثبت فيه.

واختلفت القراءة في قراءة قوله: ﴿**إنّي أنا رَبُّكَ**﴾ فقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة والبصرة: «نُودِيَ يا مُوسَى أنّي» بفتح الألف من «أني»، فأنّ على قراءتهم في موضع رفع بقوله: نودي، فإن معناه كان عندهم: نودي هذا القول. وقرأه بعض عامة قرّاء المدينة والكوفة بالكسر: ﴿**نُودِيَ يا موسى إني**﴾ على الابتداء، وأن معنى ذلك قيل: يا موسى إني.

قال أبو جعفر: والكسر أولى القراءتين عندنا بالصواب، وذلك أن النداء قد حال بينه وبين العمل في أن قوله «يا موسى»، وحظ قوله «نودي» أن يعمل في أن لو كانت قبل قوله «يا موسى»، وذلك أن يقال: نودي أن يا موسى إني أنا ربك، ولا حظّ لها في «إن» التي بعد موسى.

وأما قوله: ﴿**إنَّكَ بالوَادِ المُقَدَّسِ**﴾ فإنه يقول: إنك بالوادي المطهر المبارك، كما:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**إنَّكَ بالوَادِ المُقَدَّسِ**﴾ يقول: المبارك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد، قوله ﴿**إنَّكَ بالوَادِ المُقَدَّسِ طُوىً**﴾ قال: قُدِّس بُورك مرّتين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قوله: ﴿**إنَّكَ بالوَادِ المُقَدَّسِ طُوىً**﴾ قال: بالوادي المبارك.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿طُوىً﴾ فقال بعضهم: معناه: إنك بالوادي المقدس طويته، فعلى هذا القول من قولهم طوى مصدر خرج من غير لفظه، كأنه قال: طويت الوادي المقدس طوى.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: قوله: ﴿إِنَّكَ بِالوَادِ المُقَدَّسِ طُوىً﴾ يعني الأرض المقدسة، وذلك أنه مرّ بواديها ليلاً فطواه، يقال: طويت وادي كذا وكذا طوى من الليل، وارتفع إلى أعلى الوادي، وذلك نبيّ الله موسى ﷺ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: مرّتين، وقال: ناداه ربه مرّتين فعلى قول هؤلاء طوى مصدر أيضاً من غير لفظه، وذلك أن معناه عندهم: نودي يا موسى مرّتين نداءين. وكان بعضهم ينشد شاهداً لقوله طوى، أنه بمعنى مرّتين، قول عديّ بن زيد العبادي:

أعـاذِلَ إنَّ الـلَّـوْمَ فِـي غَـيْـرِ كُـنْـهِـهِ ... عَـلـيَّ طُـوىً مِـنْ غَـيِّـكِ الـمُـتَـرَدِّدِ[1]

وروى ذلك آخرون: «عليّ ثِنىً»: أي مرّة بعد أخرى، وقالوا: طُوى وثنىً بمعنى واحد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، ﴿فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بالوَادِ المُقَدَّسِ طُوًى﴾ كنا نحدّث أنه واد قدّس مرّتين، وأن اسمه طُوَى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنه قدّس طوى مرّتين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جُرَيج، قال الحسن: كان قد قدّس مرّتين.

وقال آخرون: بل طُوى: اسم الوادي.

---

(١) البيت لعدي بن زيد «**اللسان**»: طوى. قال: وإذا كان طوى وطوى (بكسر الطاء وضمها) وهو الشيء المطوي مرتين، فهو صفة بمنزلة ثنى وثنى (بكسر الثاء وضمها)، وليس بعلم لشيء وهو مصروف لا غير، كما قال عدي بن زيد:

«أعـــاذل إن الـــلـــوم..... الـــبـــيـــت»

ورأيت في حاشية نسخة من أمالي ابن بري أن الذي في شعر عدي: على ثني من غيك، أراد اللوم المكرر».

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿طُوًى﴾: اسم للوادي.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: طُوى: قال: اسم الوادي.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ قال: ذاك الوادي هو طوى، حيث كان موسى، وحيث كان إليه من الله ما كان. قال: وهو نحو الطور.

وقال آخرون: بل هو أمر من الله لموسى أن يطأ الوادي بقدميه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن منصور الطوسي، قال: ثنا صالح بن إسحاق، عن جعفر بن برقان، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قول الله تبارك وتعالى: ﴿اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ قال: طأ الوادي.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا الحسن، عن يزيد، عن عكرمة، في قوله: ﴿طُوًى﴾ قال: طأ الوادي.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن سعيد بن جبير، في قول الله ﴿طُوًى﴾ قال: طأ الأرض حافياً، كما تدخل الكعبة حافياً، يقول: من بركة الوادي.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد ﴿طُوًى﴾ طأ الأرض حافياً.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قرّاء المدينة: «طُوَى» بضم الطاء وترك التنوين، كأنهم جعلوه اسم الأرض التي بها الوادي، كما قال الشاعر:

نَصَرُوا نَبِيَّهُمُ وَشَدُّوا أَزْرَهُ ... بِحُنَيْنَ حِينَ تَوَاكُلِ الأَبْطَالِ[1]

---

(١) البيت لحسان بن ثابت «اللسان» حنن. والشاهد فيه أن حنين غير مصروف، لأنه جعله اسماً للبلدة كما قال المؤلف أو لبقة.

فلم يجرّ حنين، لأنه جعله اسماً للبلدة لا للوادي ولو كان جعله اسماً للوادي لأجراه كما قرأت القرّاء: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾، وكما قال الآخر:

أَلَسْنَا أَكْرَمَ الثَّقَلَيْنِ رَحْلاً ... وأعْظَمَهُمْ بِبَطْنِ حِرَاءَ نَارَا[1]

فلم يجرّ حراء، وهو جبل، لأنه جعله اسماً للبلدة، فكذلك «طُوَى» في قراءة من لم يجره جعله اسماً للأرض. وقرأ ذلك عامَّة قرّاء أهل الكوفة: ﴿طُوىً﴾ بضم الطاء والتنوين وقارئو ذلك كذلك مختلفون في معناه على ما قد ذكرت من اختلاف أهل التأويل فأما من أراد به المصدر من طويت، فلا مؤنة في تنوينه وأما من أراد أن يجعله اسماً للوادي، فإنه إنما ينوّنه لأنه اسم ذكر لا مؤنث، وأن لام الفعل منه ياء، فزاده ذلك خفة فأجراه كما قال الله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ إذ كان حنين اسم واد، والوادي مذكر.

قال أبو جعفر: وأولى القولين عندي بالصواب قراءة من قرأه بضم الطاء والتنوين، لأنه إن يكن اسماً للوادي فحظه التنوين لما ذكر قبل من العلة لمن قال ذلك، وإن كان مصدراً أو مفسراً، فكذلك أيضاً حكمه التنوين، وهو عندي اسم الوادي. وإذ كان ذلك كذلك، فهو في موضع خفض ردّا على الوادي.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ (١٣) إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ (١٤)﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة القرّاء الذين قرأوا: «وأنّا» بتشديد النون، و ﴿أنا﴾ بفتح الألف من «أنا» ردّاً على: نودي يا موسى، كأنه معنى الكلام عندهم: نودي يا موسى إني أنا ربك، وأنا اخترتك، وبهذه القراءة قرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة. وأما عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة فقرأوه: ﴿وأنا اخْتَرْتُكَ﴾ بتخفيف النون على وجه الخبر من الله عن نفسه أنه اختاره.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان قد قرأ بكلّ واحدة منهما قرّاء أهل العلم بالقرآن، مع اتفاق معنييهما. فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب فيه. وتأويل الكلام: نودي أنّا اخترناك. فاجتبيناك لرسالتنا إلى من نرسلك إليه ﴿فاسْتَمِعْ إلى ما يُوحَى﴾ يقول: فاستمع لوحينا الذي نوحيه إليك وعه، واعمل به ﴿إنَّنِي أنا اللّهُ﴾ يقول تعالى

---

(١) البيت في «اللسان» حرى قال الجوهري: لم يصرف حراء لأنه ذهب به إلى البلدة التي هو بها. وفي الحديث «كان يتحنث بحراء» مصروفاً، وهو جبل من جبال مكة. وفي رواية «اللسان»: طرا، في موضع: رحلا.

ذكره: إنني أنا المعبود الذي لا تصلح العبادة إلاَّ له، لا إلَهَ إلاَّ أنا فلا تعبد غيري، فإنه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواي ﴿**فاعْبُدْنِي**﴾ يقول: فأخلص العبادة لي دون كلّ ما عبد من دوني ﴿**وأقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**﴾.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم: معنى ذلك: أقم الصلاة لي فإنك إذا أقمتها ذكرتني.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**أقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**﴾ قال: إذا صلى ذكر ربه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد، قوله ﴿**وَأقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**﴾ قال: إذا ذكر عَبَد ربه.

قال آخرون: بل معنى ذلك: وأقم الصلاة حين تذكرها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن مُغيرة، عن إبراهيم في قوله: ﴿**وأقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**﴾ قال: يصليها حين يذكرها.

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثني عمي عبد الله بن وهب، قال: ثني يونس ومالك بن شهاب، قال: أخبرني سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ نَسِيَ صَلاةً فَلْيُصَلِّها إذَا ذَكَرَها، قال اللّهُ: ﴿أقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾**». وكان الزهري يقرؤها: «أقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرَى» بمنزلة فعلى.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من قال: معناه: أقم الصلاة لتذكرني فيها، لأن ذلك أظهر معنييه ولو كان معناه: حين تذكرها، لكان التنزيل: أقم الصلاة لذكركها. وفي قوله: ﴿**لِذِكْرِي**﴾ دلالة بينة على صحة ما قال مجاهد في تأويل ذلك ولو كانت القراءة التي ذكرناها عن الزهري قراءة مستفيضة في قَراءة الأمصار، كان صحيحاً تأويل من تأوّله بمعنى: أقم الصلاة حين تذكرها، وذلك أن الزهري وجَّه بقراءته أقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرَى بالألف[1] لا بالإضافة، إلى أقم لذكراها، لأن الهاء والألف حذفتا، وهما مرادتانَ في الكلام ليوفق بينها وبين

(١) في الأصل: إذ، ولعله تحريف عن «إلى».

سائر رؤوس الآيات، إذ كانت بالألف والفتح. ولو قال قائل في قراءة الزهري هذه التي ذكرنا عنه، إنما قصد الزهري بفتحها تصييره الإضافة ألفاً للتوفيق بينه وبين رؤوس الآيات قبله وبعده، لأنه خالف بقراءته ذلك كذلك من قرأه بالإضافة، وقال: إنما ذلك كقول الشاعر:

أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثُمَّ آوِي إلى أُمَّا وَيُرْوِينِي النَّقِيعُ[1]

وهو يريد: إلى أمي، وكقول العرب: يا أبا وأما، وهي تريد: يا أبي وأمي، كان له بذلك مقال.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الساعة التي يبعث الله فيها الخلائق من قبورهم لموقف القيامة جائية **﴿أكادُ أُخْفِيها﴾** فعلى ضمّ الألف من أخفيها قراءة جميع قرّاء أمصار الإسلام، بمعنى: أكاد أخفيها من نفسي، لئلا يطلع عليها أحد، وبذلك جاء تأويل أكثر أهل العلم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿أكادُ أُخْفِيها﴾** يقول: لا أظهر عليها أحداً غيري.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿إنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أكادُ أُخْفِيها﴾** قال: لا تأتيكم إلاّ بغتة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد **﴿إنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أكادُ أُخْفِيها﴾** قال: من نفسي.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: **﴿أكادُ أُخْفِيها﴾** قال: من نفسي.

---

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» مصورة الجامعة (ص ـ ١٩٦) قال: والعرب تقول: بيتاً وأما، يريدون: بأبي وأمي ومثله (يا ويلتا أعجزت) وإن شئت جعلتها يا إضافة، وإن شئتياندبة ا هـ. والنقيع والنقيعة: المحض من اللبن يبرد، قال ابن بري: شاهده قول الشاعر:

«........ ويكفيني النقيع»

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿**أَكَادُ أُخْفِيهَا**﴾ قال: من نفسي.

حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا محمد بن عبيد الطنافسي، قال: ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله: ﴿**أَكَادُ أُخْفِيهَا**﴾ قال: يخفيها من نفسه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله: ﴿**أَكَادُ أُخْفِيهَا**﴾ وهي في بعض القراءة: «أخفيها من نفسي». ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقرّبين، ومن الأنبياء المرسلين.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قَتادة، قال: في بعض الحروف: «إنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أكادُ أُخْفِيها مِنْ نَفْسِي».

وقال آخرون: إنما هو: «أكادُ أَخْفِيها» بفتح الألف من أَخفيها بمعنى: أظهرها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا محمد بن سهل، قال: سألني رجل في المسجد عن هذا البيت.

دَابَ شَهْرَيْنِ ثُمَّ شَهْراً دَمِيكاً بِأَرِيكَيْنِ يَخْفِيانِ غَمِيرا[١]

فقلت: يظهران، فقال ورقاء بن إياس وهو خلفي: أقرأنيها سعيد بن جبير: «أكادُ أَخْفِيها» بنصب الألف.

وقد رُوي عن سعيد بن جبير وفاق لقول الآخرين الذين قالوا: معناه: أكاد أخفيها من نفسي. ذكر الرواية عنه بذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عطاء، عن سعيد بن جبير ومنصور، عن مجاهد، قالا ﴿**إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا**﴾ قالا: من نفسي.

---

(١) البيت لكعب «**اللسان**»: والتاج: دمك قالا: يقال أقمت عنده شهراً دميكاً، أي شهراً تاماً، قال كعب:

داب شهرين ثم شهراً دميكا

ا هـ. ولم يذكر الشطر الثاني من البيت. وفي «**معجم ما استعجم**» للبكري (ص - ١٤٤) قال أبو عبيدة: أريك في بلاد ذبيان. قال: وهما أريكان: أريك الأسود، وأريك الأبيض. والأريك الجبل الصغير. ويخفيان: بفتح الياء يخرجان. والغمير: له معاني كثيرة، منها في «**تاج العروس**»: الغمير كأمير: حب البهمي الساقط من سنبله حين ييبس، أو نبات أخضر قد غمره اليبيس... الخ.

حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري، قال: ثنا ابن فضيل، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير ﴿**أَكَادُ أُخْفِيهَا**﴾ قال: من نفسي.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى بتأويل الآية من القول، قول من قال: معناه: أكاد أخفيها من نفسي، لأن تأويل أهل التأويل بذلك جاء. والذي ذُكر عن سعيد بن جبير من قراءة ذلك بفتح الألف قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به نقلاً مستفيضاً.

فإن قال قائل: ولم وجهت تأويل قوله ﴿**أَكَادُ أُخْفِيهَا**﴾ بضم الألف إلى معنى: أكاد أخفيها من نفسي، دون توجيهه إلى معنى: أكاد أظهرها، وقد علمت أن للإخفاء في كلام العرب وجهين: أحدهما الإظهار، والآخر الكتمان وأن الإظهار في هذا الموضع أشبه بمعنى الكلام، إذ كان الإخفاء من نفسه يكاد عند السامعين أن يستحيل معناه، إذ كان محالاً أن يخفي أحد عن نفسه شيئاً هو به عالم، والله تعالى ذكره لا يخفى عليه خافية؟ قيل: الأمر في ذلك بخلاف ما ظننت، وإنما وجّهنا معنى ﴿**أُخْفِيهَا**﴾ بضمّ الألف إلى معنى: أسترها من نفسي، لأن المعروف من معنى الإخفاء في كلام العرب: الستر. يقال: قد أخفيت الشيء: إذا سترته. وأن الذين وجّهوا معناه إلى الإظهار، اعتمدوا على بيت لامرىء القيس بن عابس الكندي.

حُدثت عن معمر بن المثنى أنه قال: أنشدنيه أبو الخطاب، عن أهله في بلده:

فَإنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لا نُخْفِهِ ... وإنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لا نَقْعُدُ[(١)]

بضمّ النون من لا نخفه، ومعناه: لا نظهره، فكان اعتمادهم في توجيه الإخفاء في هذا الموضع إلى الإظهار على ما ذكروا من سماعهم هذا البيت، على ما وصفت من ضم النون من نخفه. وقد أنشدني الثقة عن الفرّاء:

فَإنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لا نَخْفِهِ

بفتح النون من نخفه، من خفيته أخفيه، وهو أولى بالصواب لأنه المعروف من كلام

---

(١) البيت لامرىء القيس بن عابس الكندي. استشهد به صاحب «اللسان» خفا على أن قوله لا نخفه، بفتح النون أي لا نظهره. وكذا قرىء قوله تعالى: ﴿أكاد أخفيها﴾ أي أصهرها. حكاه اللحياني، عن الكسائي، عن محمد بن سهل، عن سعيد بن جبير ا هـ. قال في «اللسان» يقال خفيت الشيء: أظهرته واستخرجته، يقال خفى المطر الفنار: إذا أخرجهن من أنفاقهن، أي من جحرتهن. قال امرؤ القيس يصف فرساً.

خفاهن من أنفاقهن كأنما ... خفاهن ودق من عشي مجلب

وخفيت الشيء أخفيه: كتمته، وهو من الأضداد. وأخفيت الشيء: سترته وكتمته. ورواية المؤلف البيت كما في «**معاني القرآن**» للفراء. وفي «**اللسان**» خفا: «فان تكتموا السر لا نخفه».

العرب. فإذا كان ذلك كذلك، وكان الفتح في الألف من أَخفيها غير جائز عندنا لما ذكرنا، ثبت وصحّ الوجه الآخر، وهو أن معنى ذلك: أكاد استرها من نفسي.

وأما وجه صحة القول في ذلك، فهو أن الله تعالى ذكره خاطب بالقرآن العرب على ما يعرفونه من كلامهم وجرى به خطابهم بينهم فلما كان معروفاً في كلامهم أن يقول أحدهم إذا أراد المبالغة في الخبر عن إخفائه شيئاً هو له مسرّ: قد كدت أن أخفي هذا الأمر عن نفسي من شدّة استسراري به، ولو قدرت أخفيه عن نفسي أخفيته، خاطبهم على حسب ما قد جرى به استعمالهم في ذلك من الكلام بينهم، وما قد عرفوه في منطقهم. وقد قيل في ذلك أقوال غير ما قلنا، وإنما اخترنا هذا القول على غيره من الأقوال لموافقة أقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين، إذ كنا لا نستجيز الخلاف عليهم، فيما استفاض القول به منهم، وجاء عنهم مجيئاً يقطع العذر. فأما الذين قالوا في ذلك غير قولنا ممن قال فيه على وجه الانتزاع من كلام العرب، من غير أن يعزوه إلى إمام من الصحابة أو التابعين، وعلى وجه يحتمل الكلام غير وجهه المعروف، فإنهم اختلفوا في معناه بينهم، فقال بعضهم: يحتمل معناه: أريد أخفيها قال: وذلك معروف في اللغة. وذُكر أنه حُكي عن العرب أنهم يقولون: أولئك أصحابي الذين أكاد أنزل عليهم، وقال: معناه: لا أنزل إلاّ عليهم. قال: وحُكي: أكاد أبرح منزلي: أي ما أبرح منزلي، واحتجّ ببيت أنشده لبعض الشعراء:

كَـادَتْ وكِـدْتُ وَتِـلْـكَ خَـيْـرُ إرَادَةٍ ... لَوْ عـادَ مِنْ عَـهْـد الصَّبابَـةِ ما مَـضَـى (١)

وقال: يريد: بكادت: أرادت قال: فيكون المعنى: أريد أخفيها لتجزى كلّ نفس بما تسعى. قال: ومما يُشبه ذلك قول زيد الخيل:

سَرِيعٌ إلـى الـهَـيْـجـاءِ شـاكٍ سِلاحُـهُ ... فَـمَـا إنْ يَـكـادُ قِـرْنُـهُ يَـتَـنَـفَّـسُ (٢)

(١) البيت في «اللسان»: كيد. قال: ويقال فلان يكيد أمراً ما أدري ما هو؟ إذا كان يريغه، ويحتال له، ويسعى له وقال: «بلغوا الأمر الذي كادوا»: يريد طلبوا أو أرادوا، وأنشد أبو بكر في كاد بمعنى أراد، للأفوه:

فـإن تـجـمـع أوتـاد وأعـمـدة ... وسـاكـن بـلـغـوا الأمـر الـذي كـادوا

أراد: الذي أرادوا وأنشد.

كـادت وكـدت وتـلـك خـيـر إرادة ... لـو (كـان) مـن أمـر الـصـبـابـة مـا مـضـى

قال: معناه: ما أرادت. قال: ويحتمله قوله تعالى: ﴿لم يكد يراها﴾ لأن الذي عاين من الظلمات آيسه من التأمل ليده، والإبصار إليها. والبيت شاهد على أن كاد بمعنى أراد، استشهد به المؤلف عند قوله تعالى: ﴿أكاد أخفيها﴾.

(٢) البيت لزيد الخيل كما قال المؤلف. واستشهد به صاحب «اللسان»: كاد على أن كاد قد تجيء صلة في الكلام، قال: وتكون كاد صلة للكلام (زائدة). أجاز ذلك الأخفش وقطرب وأبو حاتم. واحتج قطرب بقول الشاعر:

«سـريـع ...... الـبـيـت»

معناه: ما يتنفس قرنه. ولكن أبا جعفر الطبري جعله شبيها بالشاهد السابق عليه، وتوجيه قطرب لهذا الشاهد أوضح وأحسن. وإن التي قبل يكاد: زائدة، أو نافية مؤكدة لما النافية قبلها.

وقال: كأنه قال: فما يتنفس قرنه، وإلا ضعف المعنى قال: وقال ذو الرُّمَّة:

إذا غَيَّرَ النَّأيُ المُحِبِّينَ لَمْ يَكَدْ رَسِيسُ الهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ(١)

قال: وليس المعنى: لم يكد يبرح: أي بعد يُسر، ويبرح بعد عُسر وإنما المعنى: لم يبرح، أو لم يرد يبرح، وإلا ضعف المعنى قال: وكذلك قول أبي النجم:

وَإنْ أتاكَ نَعِيّ فانْدُبَنَّ أبا قَدْ كادَ يَضْطَلِعُ الأعْداءَ والخُطَبَا(٢)

وقال: يكون المعنى: قد اضطلع الأعداء، وإلاّ لم يكن مدحاً إذا أراد كاد ولم يرد يفعل.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إن الساعة آتية أكاد، قال: وانتهى الخبر عند قوله أكاد لأن معناه: أكاد أن آتي بها قال: ثم ابتدأ فقال: ولكني أخفيها لتجزى كلّ نفس بما تسعى. قال: وذلك نظير قول ابن ضابىء:

---

(١) هذا البيت من حائية ذي الرمة المشهورة ديوانه طبعة كيمبردج سنة ١٩١٩ (ص ـ ٧٨) قال شارحه: النأي البعيد. رسيس الهوى: مسه، وما خفي منه، أو أوله، ويقال: لم يجد رسيس الحمى. واستشهد المؤلف بالبيت على أن المعنى فيه: لم يبرح، أو لم يرد يبرح؛ وعلى هذا يكون الفعل (يكاد) زائداً في الكلام، وقد جاء في «**اللسان**» زائداً في الكلام، وقد جاء في «**اللسان**»: رسس رواية أخرى للبيت، تؤيد ما ذهب إليه المؤلف، من أن المعنى على زيادة (يكاد)، وهي:

إذَا غَيَّرَ النَّأيُ المُحِبِّينِ لم أجِدْ رَسِيسَ الهَوَى مِن حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

وهذه الرواية هي التي عدل إليها الشاعر، حين خطأه ابن شبرمة قاضي البصرة لما سمعه ينشد القصيدة في المربد. ولكن المحققين قالوا: إن بديهة ذي الرمة في الرواية الأولى، كانت أجود من روايته، (في الرواية الثانية) وقد بين العلامة المحقق رضي الله الديلي الأسترابادي: محمد بن الحسن، صواب الرواية الأولى، بأن معنى لم يكد: لم يقرب وأن نفى مقاربة الشيء أبلغ من نفي الشيء فيكون معنى البيت: إذا غير البعاد قلوب المحبين، فبعاد مية عني لا يذهب بما أحس لها من حب ثابت مقيم ولا يقارب أن يذهب به. وانظر شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، طبعة الآستانة (٢/٣٠٦) أفعال المقاربة. وقد أبطل الرضي زعم من زعم من النحاة أن «نفي كاد إثبات وأن إثباته نفي» وهو كلام نفيس دال على ذكائه ودقة فهمه.

(٢) البيت لأبي النجم كما قال المؤلف، والشاهد في قوله «كاد يضطلع» فقد ذهب المؤلف أن معناه: قد اضطلع الأعداء وإلا لم يكن مدحاً إذا أراد كاد، ولم يرد يفعل، وعلى هذا التخريج للبيت يكون الفعل (كاد) صلة (زائدة)، مثل الشاهدين السابقين عليه عنده. ويضطلع الأعداء: أي يضطلع بهم وبالخطب، أسقط الباء، فعدى الفعل بنفسه إلى المعمول الذي كان مجروراً بالباء قبل إسقاطها. يقال اضطلع بحمله، أي قوى عليه ونهض به، وهو من الضلاعة أي القوة. وفي «**اللسان**» ضلع: واضطلع الحمل أي احتمله أضلاعه. وقال ابن السكيت: يقال هو مضطلع بحمله أي قوى على حمله، وهو مفتعل مج الضلاعة. والنعي: الناعي الذي يخبر بموت من مات.

هَمَمْتُ ولَمْ أفْعَلْ وكِدْتُ ولَيْتَنِي ... تَرَكْتُ على عُثمانَ تَبْكِي أقارِبُهُ[١]

فقال: كدت، ومعناه: كدت أفعل.

وقال آخرون: معنى ﴿أخفيها﴾: أظهرها، وقالوا: الإخفاء والإسرار قد توجههما العرب إلى معنى الإظهار، واستشهد بعضهم لقيله ذلك ببيت الفرزدق:

فَلَمَّا رأى الحَجَّاجَ جَرَّدَ سَيْفَهُ ... أسَرَّ الحَرُورِيُّ الَّذِي كانَ أضْمَرَا[٢]

وقال: عَنَى بقوله: أسرّ: أظهر. قال: وقد يجوز أن يكون معنى قوله: ﴿وأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ وأظهروها. قال: وذلك أنهم قالوا: ﴿يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بآياتِ رَبِّنا﴾. وقال جميع هؤلاء الذين حكينا قولهم جائز أن يكون قول من قال: معنى ذلك: أكاد أخفيها من نفسي، أن يكون أراد: أخفيها من قِبلي ومن عندي. وكلّ هذه الأقوال التي ذكرنا عمن ذكرنا توجيه منهم للكلام إلى غير وجهه المعروف، وغير جائز توجيه معاني كلام الله إلى غير الأغلب عليه من وجوهه عند المخاطبين به، ففي ذلك مع خلافهم تأويل أهل العلم فيه شاهد عدل على خطأ ما ذهبوا إليه فيه.

وقوله: ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ يقول تعالى ذكره: إن الساعة آتية لتجزى كلّ نفس

---

(١) البيت لضابىء بن الحراث البرجمي، حبسه الخليفة عثمان، لأنه كان فحاشاً، هجا قوماً فأراد عثمان تأديبه، فلما دعي ليؤدب، شد سكيناً في ساقه، ليقتل بها عثمان، فعثر عليه، ثم ضرب وأعيد إلى السجن حتى مات فيه. والبيت من مقطوعة لامية له أنشدها أبو العباس المبرد انظر رغبة الآمل، بشرح الكامل للمرصفي (٤/ ٩١).

فلا تتبعيني إن هلكت ملامة ... فليس بعار قتل من لا أقاتله

هممت ولم أفعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله

والشاهد في قوله: كدت، أي كدت أفعل ما هممت به من قتل عثمان. وهو نظير ما في القرآن: «إن الساعة آتية أكاد». ذهب قوم إلى أن معناه: أكاد أن آتي بها. ثم ابتدأ فقال: ولكني أخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى والبيت لضابىء لا لابنه كما قال المؤلف.

(٢) لم أجد هذا البيت في ديوان الفرزدق، وهو من شواهد أبي عبيدة. «اللسان» سرر قال: أسررت الشيء: أخفيته، وأسررته: أعلنته، ومن الإظهار قوله تعالى: ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ أي أظهروها وأنشد الفرزدق:

فلما رأى الحجاج جرد سيفه

البيت. قال شمر: ألم أجد هذا البيت للفرزدق وما قال غير أبي عبيدة في قوله «وأسروا الندامة» أي أظهروها. قال: ولم أسمع ذلك لغيره. قال الأزهري: وأهل اللغة أنكروا قول أبي عبيدة أشد الإنكار. وقيل: أسروا الندامة: يعني: الرؤساء من المشركين أسروا الندامة في سفلتهم الذين أضلوهم، وأسروها: أخفوها وكذلك قال الزجاج: وهو قول المفسرين، والحروري: الخارجي نسبة إلى حروراء، وهو أول مجتمعاتهم لما نابذوا أمير المؤمنين علياً، وأظهروا التحكيم «لا حكم إلا لله». قسموا المحكمة، والحرورية، والخوارج.

يقول: لتثاب كلّ نفس امتحنها ربها بالعبادة في الدنيا بما تسعى، يقول: بما تعمل من خير وشرّ، وطاعة ومعصية. وقوله: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ يقول تعالى ذكره: فلا يردّنك يا موسى عن التأهُّب للساعة، من لا يؤمن بها، يعني: من لا يقرّ بقيام الساعة، ولا يصدّق بالبعث بعد الممات، ولا يرجو ثواباً، ولا يخاف عقاباً. وقوله: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ يقول: اتبع هوى نفسه، وخالف أمر الله ونهيه ﴿فَتَرْدَى﴾ يقول: فتهلك إن أنت انصددت عن التأهُّب للساعة، وعن الإيمان بها، وبأن الله باعث الخلق لقيامها من قبورهم بعد فنائهم بصدّ من كفر بها. وكان بعضهم يزعم أن الهاء والألف من قوله ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ كناية عن ذكر الإيمان، قال: وإنما قيل عنها وهي كناية عن الإيمان كما قيل ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يذهب إلى الفعلة، ولم يجر للإيمان ذكر في هذا الموضع، فيجعل ذلك من ذكره، وإنما جرى ذكر الساعة، فهو بأن يكون من ذكرها أولى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴿١٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما هذه التي في يمينك يا موسى؟ فالباء في قوله ﴿بِيَمِينِكَ﴾ من صلة تلك، والعرب تصل تلك وهذه كما تصل الذي ومنه قول يزيد بن مفرغ:

عَدسْ ما لِعَبَّادٍ عَلَيْكِ إمارَةٌ أمِنْتِ وَهَذا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ[1]

كأنه قال: والذي تحملين طليق.

ولعلّ قائلاً أن يقول: وما وجه استخبار الله موسى عما في يده؟ ألم يكن عالماً بأن الذي في يده عصا؟ قيل له: إن ذلك على غير الذي ذهبتَ إليه، وإنما قال ذلك عزّ ذكره له إذ أراد أن يحوّلها حية تسعى، وهي خشبة، فنبهه عليها، وقرّره بأنها خشبة يتوكأ عليها، ويهشّ بها على غنمه، ليعرّفه قُدرته على ما يشاء، وعظم سلطانه، ونفاذ أمره فيما أحبّ بتحويله إياها حيَّة تسعى، إذا أراد ذلك به ليجعل ذلك لموسى آية مع سائر آياته إلى فرعون وقومه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾﴾.

---

(١) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري، يخاطب بغلته حين هرب من عبيد الله بن زياد وأخيه عباد، وكان ابن مفرغ يهجوهما إذا تأخر عليه العطاء، وله قصة مشهورة. وعدس: زجر للبغل أو اسم له. ويروى نجوت في مكان: أمنت «اللسان»: عدس. وهذا: اسم إشارة، وقد وصل بجملة تحملين فصار من الأسماء الموصولة في قول بعض النحويين. هذا: مبتدأ وجملة تحملين: صلة؛ وطليق: خبر المبتدأ. أي والذي تحملينه طليق، ليس لأحد عليه سلطان.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن موسى: قال موسى مجيباً لربه: ﴿**هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وأَهُشُّ بِها على غَنَمِي**﴾ يقول: أضرب بها الشجر اليابس فيسقط ورقها وترعاه غنمي، يقال منه: هشّ فلان الشجر يهشّ هشاً: إذا اختبط ورق أغصانها فسقط ورقها كما قال الراجز:

أَهُشُّ بالْغَصَا عَلى أغْنامِي مِنْ ناعِمِ الأَرَاكِ والْبَشامِ(١)

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قَتادة، في قوله: ﴿**وأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي**﴾ قال: أخبط بها الشجر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي**﴾ قال: أخبط.

حدثنا بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي**﴾ قال: كان نبيّ الله موسى ﷺ يهشّ على غنمه ورق الشجر.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي**﴾ يقول: أضرب بها الشجر للغنم، فيقع الورق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْها وأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي**﴾ قال: يتوكأ عليها حين يمشي مع الغنم، ويهشّ بها، ويحرّك الشجر حتى يسقط الورق الحبَلة وغيرها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسن، عن عكرمة ﴿**وأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي**﴾ قال: أضرب بها الشجر، فيسقط من ورقها عليّ.

حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه، قال: ثنا عليّ بن الحسن، قال: ثنا حسين، قال: سمعت عكرِمة يقول ﴿**وأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي**﴾ قال: أضرب بها الشجر، فيتساقط الورق على غنمي.

---

(١) في «**اللسان**» هش: الهش أن تنثر ورق الشجر بعصا. هش الغصن يهشه هشاً خبطه فالقى ورقة لغنمه، ومنه قوله عز وجل: ﴿وأهش بها غنمي﴾ قال الفراء: أي أضرب بها الشجر اليابس، ليسقط ورقها، فترعاه غنمه. والأراك والبشام: نوعان من الشجر ترتعيهما الماشية، وفي أغصانها لين، وقد تأكلها الماشية إذا كانت خضراء.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا مُعاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿**وأهُشُّ بها عَلى غَنَمِي**﴾ يقول: أضرب بها الشجر حتى يسقط منه ما تأكل غنمي.

وقوله: ﴿**وَلِيَ فيها مآرِبُ أُخرَى**﴾ يقول: ولي في عصاي هذه حوائج أخرى، وهي جمع مأربة، وفيها للعرب لغات ثلاث: مأرُبة بضم الراء، ومأرَبة بفتحها، ومأرِبه بكسرها، وهي مفعلة من قولهم: لا أرب لي في هذا الأمر: أي لا حاجة لي فيه. وقيل «أخرى» وهن مآرب جمع، ولم يقل أُخر، كما قيل: ﴿**لَهُ الأَسْماءُ الحُسْنَى**﴾ وقد بيَّنت العلة في توجيه ذلك هنالك. وبنحو الذي قلنا في معنى المآرب، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي، قال: ثنا حفص بن جميع، قال: ثنا سماك بن حرب، عن عكرِمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**وَلي فِيها مآرِبُ أُخرَى**﴾ قال: حوائج أخرى قد علمتها.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿**وَلي فِيها مآرِبُ أُخرَى**﴾ يقول: حاجة أخرى.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿**وَلِيَ فِيها مآرِبُ أُخرَى**﴾ قال: حاجات.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح ﴿**وَليَ فِيها مآرِبُ أُخرَى**﴾ قال: حاجات ومنافع.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد ﴿**وَليَ فِيها مآرِبُ أُخرَى**﴾ قال: حاجات.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَليَ فِيها مآرِبُ أُخرَى**﴾ يقول: حوائج أخرى أحمل عليها المزود والسقاء.

حدثنا بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَليَ فِيها مآرِبُ أُخرَى**﴾ قال: حوائج أخرى.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قَتادة، في قوله ﴿**وَليَ فِيها مآرِبُ أُخرَى**﴾ قال: حاجات منافع أخرى.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه ﴿**وَليَ فِيها مآرِبُ أُخرَى**﴾: أي منافع أخرى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلِيَ فِيها مآرِبُ أُخرَى**﴾ قال: حوائج أخرى سوى ذلك.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿**مآرِبُ أُخرَى**﴾ قال: حاجات أخرى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال الله لموسى: ألق عصاك التي بيمينك يا موسى، يقول الله جل جلاله: فألقاها موسى، فجعلها الله حية تسعى، وكانت قبل ذلك خشبة يابسة، وعصا يتوكأ عليها ويهشّ بها على غنمه، فصارت حية بأمر الله، كما:

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي، قال: ثنا حفص بن جميع، قال: ثنا سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما قيل لموسى: ألقها يا موسى، ألقاها ﴿**فإذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى**﴾ ولم تكن قبل ذلك حية قال: فمرّت بشجرة فأكلتها، ومرّت بصخرة فابتلعتها قال: فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها قال: فولى مدبراً، فنودي أن يا موسى خذها، فلم يأخذها ثم نودي الثانية: أن ﴿**خُذْهَا وَلا تخفْ**﴾، فلم يأخذها فقيل له في الثالثة: إنَّكَ مِنَ الآمِنِين فأخذها.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: قال له، يعني لموسى ربه: ﴿**أَلْقِها يا مُوسَى**﴾ يعني ﴿**فألْقاها فإذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى**﴾ ﴿**فلَمَّا رآها تَهْتَزُّ كأنَّها جانٌ وَلَّى مُدْبِراً ولَمْ يُعَقِّبْ**﴾ فنودي: ﴿**يا مُوسَى لا تَخَفْ إنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه، ﴿**قال أَلْقِها يا مُوسَى فألْقاها فإذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى**﴾ تهتزّ، لها أنياب وهيئة كما شاء الله أن تكون، فرأى أمراً فظيعاً، فولى مُدْبِراً، ولَم يُعقِّب فناداه ربه: ﴿**يا مُوسَى أقبِلْ وَلا تخفْ سَنُعِيدُها سِيرَتها الأُولى**﴾.

وقوله: ﴿**قالَ خُذْها وَلا تَخَفْ**﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لموسى: خذ الحية، والهاء والألف من ذكر الحية. ﴿**وَلا تَخَفْ**﴾ يقول: ولا تخف من هذه الحية ﴿**سَنُعِيدُها سِيرَتها الأُولى**﴾ يقول: فإنا سنعيدها لهيئتها الأولى التي كانت عليها قبل أن نصيِّرها حية، ونردّها عصا كما كانت. يقال لكل من كان على أمر فتركه، وتحوّل عنه ثم راجعه: عاد فلان سيرته الأولى، وعاد لسيرته الأولى، وعاد إلى سيرته الأولى. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿**سِيرَتها الأُولى**﴾ يقول: حالتها الأولى.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**سِيرَتها الأُولى**﴾ قال: هيئتها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه ﴿**سَنُعِيدُها سِيرَتها الأُولى**﴾ أي سنردّها عصا كما كانت.

حدثنا بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**سَنُعِيدُها سِيرَتها الأُولى**﴾ قال: إلى هيئتها الأولى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: واضمم يا موسى يدك، فضعها تحت عضدك والجناحان هما اليدان، كذلك رُوي الخبر عن أبي هُريرة وكعب الأحبار. وأما أهل العربية، فإنهم يقولون: هما الجنبان. وكان بعضهم يستشهد لقوله ذلك بقول الراجز:

أضُمُّهُ لِلصَّدْرِ والجَنَاحِ[(١)]

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا

(١) في «**اللسان**»: جنح: وجناحا الطائر: يداه. وجناح الإنسان يده. ويدا الإنسان: جناحاه. وقال الزجاج: الجناح: العضد، ويقال: اليد كلها جناح ا هـ. وجناحا العسكر جانباه، وجناحا الوادي: مجريان عن يمينه وشماله ا هـ. ولم أقف على قائل الرجز.

الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**إلى جَناحِكَ**﴾ قال: كفه تحت عضده.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد مثله.

وقوله: ﴿**تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غيرِ سُوءٍ**﴾ ذكر أن موسى عليه السلام كان رجلا آدم، فأدخل يده في جيبه، ثم أخرجها بيضاء من غير سوء، من غير برص، مثل الثلج، ثم ردّها، فخرجت كما كانت على لونه.

حدثنا بذلك ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه.

حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري، قال: ثنا شريك، عن يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس، في قوله ﴿**تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غيرِ سُوءٍ**﴾ قال: من غير برص.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**مِنْ غيرِ سُوءٍ**﴾ قال: من غير برص.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قَتادة، في قوله ﴿**بَيْضاءَ مِنْ غيرِ سُوءٍ**﴾ قال: من غير برص.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**مِنْ غيرِ سُوءٍ**﴾ قال: من غير برص.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غيرِ سُوءٍ**﴾ قال: من غير برص.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿**مِنْ غيرِ سُوءٍ**﴾ قال: من غير برص.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا حماد بن مسعدة، قال: ثنا قرة، عن الحسن في قول الله: ﴿**بَيْضَاءَ مِنْ غيرِ سُوءٍ**﴾ قالَ: أخرجها الله من غير سوء، من غير برص، فعلم موسى أنه لقي ربه.

وقوله: ﴿**آيَةً أُخْرَى**﴾ يقول: وهذه علامة ودلالة أخرى غير الآية التي أريناك قبلها من

تحويل العصا حية تسعى على حقيقة ما بعثناك به من الرسالة لمن بعثناك إليه. ونصب آية على اتصالها بالفعل، إذ لم يظهر لها ما يرفعها من هذه أو هي. وقوله: ﴿**لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى**﴾ يقول تعالى ذكره: واضمم يدك يا موسى إلى جناحك، تخرج بيضاء من غير سوء، كي نريك من أدلتنا الكبرى على عظيم سلطاننا وقُدرتنا. وقال: الكبرى، فوحَّد، وقد قال: ﴿**مِنْ آيَاتِنَا**﴾ كما قال: ﴿**لَهُ الأسماءُ الحُسْنَى**﴾ وقد بيَّنا ذلك هنالك. وكان بعض أهل البصرة يقول: إنما قيل الكبرى، لأنه أريد بها التقديم، كأن معناها عنده: لنريك الكبرى من آياتنا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٢٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه موسى صلوات الله عليه: ﴿**اذْهَبْ**﴾ يا موسى ﴿**إلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**﴾ يقول: إنه تجاوز قدره، وتمرّد على ربه وقد بيَّنا معنى الطغيان بما مضى بما أغنى عن إعادته، في هذا الموضع وفي الكلام محذوف استغني بفهم السامع بما ذكر منه، وهو قوله: ﴿**اذْهَبْ إلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**﴾ فادعه إلى توحيد الله وطاعته، وإرسال بني إسرائيل معك ﴿**قالَ رَبِّ اشْرَحْ لي صَدْرِي**﴾ يقول: ربّ اشرح لي صدري، لأعي عنك ما تودعه من وحيك، وأجترىء به على خطاب فرعون ﴿**وَيَسِّرْ لي أمْرِي**﴾ يقول: وسهل عليّ القيام بما تكلفني من الرسالة، وتحملني من الطاعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لي صَدْرِي**﴾ قال: جرأة لي.

وقوله: ﴿**وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي**﴾ يقول: وأطلق لساني بالمنطق، وكانت فيه فيما ذكر عُجمة عن الكلام الذي كان من إلقائه الجمرة إلى فيه يوم همّ فرعون بقتله. ذكر الرواية بذلك عمن قاله:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿**عُقْدَةً مِنْ لِساني**﴾ قال: عجمة لجمرة نار أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون، تردّ به عنه عقوبة فرعون، حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل، فقال: هذا عدوّ لي، فقالت له: إنه لا يعقل.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي﴾ لجمرة نار أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون، تدرأ به عنه عقوبة فرعون، حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل، فقال: هذا عدوّ لي، فقالت له: إنه لا يعقل، هذا قول سعيد بن جبير.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جرَيج، عن مجاهد، قوله: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي﴾ قال: عجمة الجمرة نار أدخلها في فيه، عن أمر امرأة فرعون تردّ به عنه عقوبة فرعون حين أخذ بلحيته.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: لما تحرّك الغلام، يعني موسى، أورته أمه آسية صبياً، فبينما هي ترقصه وتلعب به، إذ ناولته فرعون، وقالت: خذه فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته فنتفها، فقال فرعون: عليّ بالذباحين، قالت آسية: ﴿لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾ إنما هو صبيّ لا يعقل، وإنما صنع هذا من صباه، وقد علمتَ أنه ليس في أهل مصر أحلى مني أنا أضع له حلياً من الياقوت، وأضع له جمراً، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه، وإن أخذ الجمر فإنما هو صبيّ فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طستاً من جمر، فجاء جبرائيل ﷺ، فطرح في يده جمرة، فطرحها موسى في فيه، فأحرقت لسانه، فهو الذي يقول الله عزّ وجلّ ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾، فزالت[(١)] عن موسى من أجل ذلك.

وقوله: ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ يقول: يفقهوا عني ما أخاطبهم وأراجعهم به من الكلام ﴿وَاجْعَلْ لي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي﴾ يقول: واجعل لي عوناً من أهل بيتي ﴿هارُونَ أَخِي﴾. وفي نصب هارون وجهان: أحدهما أن يكون هارون منصوباً على الترجمة عن الوزير[(٢)].

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، قال: قال ابن عباس: كان هارون أكبر من موسى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

---

(١) في النسخة رقم ١٠٠ بدار الكتب المصرية: فترالت، ولعله: فزالت، أي العقدة.

(٢) لم يبين المؤلف الوجه الثاني في نصب هارون، وقد بينه الشوكاني في تفسيره في «فتح القدير» طبعة الحلبي (٣/ ٣٥١) قال: وانتصاب «وزيراً» و«هارون» على أنهما مفعولا اجعل وقيل: مفعولاه: «لي وزيراً» ويكون هارون عطف بيان للوزير ا هـ. قلت: وعنى المؤلف بالترجمة: البدل. وهو أخو عطف البيان.

إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن موسى أنه سأل ربه أن يشدد أزره بأخيه هارون. وإنما يعني بقوله: ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ قوّ ظهري، وأعنّي به. يقال منه: قد أزر فلان فلاناً: إذا أعانه وشدّ ظهره. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ يقول: أشدد به ظهري.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ يقول: اشدد به أمري، وقوّني به، فإن لي به قوّة.

وقوله: ﴿وأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ يقول: واجعله نبياً مثل ما جعلتني نبياً، وأرسله معي إلى فرعون ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً﴾ يقول: كي نعظمك بالتسبيح لك كثيراً ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً﴾ فنحمدك ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً﴾ يقول: إنك كنت ذا بصر بنا لا يخفى عليك من أفعالنا شيء.

وذُكر عن عبد الله بن أبي إسحاق أنه كان يقرأ: «أَشْدُد بِهِ أَزْرِي» بفتح الألف من أشدد «وأُشْرِكه فِي أَمْرِي» بضم الألف من أشركه، بمعنى الخبر من موسى عن نفسه، أنه يفعل ذلك، لا على وجه الدعاء. وإذا قرىء ذلك كذلك جزم أشدد وأشرك على الجزاء، أو جواب الدعاء، وذلك قراءة لا أرى القراءة بها، وإن كان لها وجه مفهوم، لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال الله لموسى ﷺ: قد أعطيت ما سألت يا موسى ربك من شرحه صدرك وتيسيره لك أمرك، وحلّ عقدة لسانك، وتصيير أخيك هارون وزيراً لك، وشدّ أزرك به، وإشراكه في الرسالة معك ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد تطوّلنا عليك يا موسى قبل هذه المرّة مرّة أخرى، وذلك حين أوحينا إلى أمك، إذ ولدتك في العام الذي كان فرعون يقتل كلّ مولود ذكر من قومك ما أوحينا إليها ثم فسَّر تعالى ذكره ما أوحى إلى أمه، فقال: هو أن اقذفيه في التابوت فأن في موضع نصب ردّاً على «ما» التي في قوله: ﴿ما يُوحَى﴾، وترجمة عنها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد مننا عليك يا موسى مرّة أخرى حين أوحينا إلى أمك، أن اقذفي ابنك موسى حين ولدتك في التابوت **﴿فاقْذِفِيهِ فِي اليَمّ﴾** يعني باليم: النيل **﴿فَلْيُلْقِهِ اليَمُّ بالساحِلِ﴾** يقول: فاقذفيه في اليم، يلقه اليم بالساحل، وهو جزاء أخرج مخرج الأمر، كأن اليم هو المأمور، كما قال جلّ ثناؤه: **﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنا ولْنَحْمِلْ خَطَاياكُمْ﴾** يعني: اتبعوا سبيلنا نحمل عنكم خطاياكم، ففعلت ذلك أمه به فألقاه اليم بمَشْرَعة آل فرعون، كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما ولدت موسى أمه أرضعته، حتى إذا أمر فرعون بقتل الولدان من سنته تلك عمدت إليه، فصنعت به ما أمرها الله تعالى، جعلته في تابوت صغير، ومهدت له فيه، ثم عمدت إلى النيل فقذفته فيه، وأصبح فرعون في مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كلّ غداة، فبينا هو جالس، إذ مرّ النيل بالتابوت فقذف به وآسية ابنة مُزَاحم امرأته جالسة إلى جنبه، فقال: إن هذا لشيء في البحر، فأتوني به، فخرج إليه أعوانه حتى جاءوا به، ففتح التابوت فإذا فيه صبيّ في مهده، فألقى الله عليه محبته، وعطف عليه نفسه. وعنى جلّ ثناؤه بقوله: **﴿يأْخُذْهُ عَدُوّ لي وَعَدُوّ لَهُ﴾** فرعون هو العدوّ، كان لله ولموسى.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: **﴿فاقْذِفِيهِ فِي اليَمّ﴾** وهو البحر، وهو النيل.

واختلف أهل التأويل في معنى المحبة التي قال الله جلّ ثناؤه **﴿وألْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنّي﴾** فقال بعضهم: عنى بذلك أنه حببه إلى عباده.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحسين بن عليّ الصدائي والعباس بن محمد الدوري، قالا: ثنا حسين الجعفي عن موسى بن قيس الحضرمي، عن سلمة بن كهيل، في قول الله: **﴿وألْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً منّي﴾** قال عباس: حببتك إلى عبادي وقال الصُّدَائي: حببتك إلى خلقي.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أي حسنت خلقك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني إبراهيم بن مهدي، عن رجل، عن

الحكم بن أبان، عن عكرمة، قوله: ﴿وألْقَيتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً منِّي﴾ قال: حسناً وملاحة.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله ألقى محبته على موسى، كما قال جلّ ثناؤه ﴿وأَلْقَيتَ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ فحببه إلى آسية امرأة فرعون، حتى تبنَّته وغذَّته وربَّته، وإلى فرعون، حتى كفَّ عنه عاديته وشرّه. وقد قيل: إنما قيل: وألقيت عليك محبة مني، لأنه حببه إلى كل من رآه. ومعنى ﴿أَلْقَيتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنّي﴾ حببتك إليهم يقول الرجل لآخر إذا أحبه: ألقيت عليك رحمتي: أي محبتي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي﴾ فقال بعضهم: معناه: ولتغذى وتربى على محبتي وإرادتي.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قَتادة، في قوله: ﴿ولِتُصنَعَ عَلى عَيْنِي﴾ قال: هو غذاؤه، ولتُغذى على عيني.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي﴾ قال: جعله في بيت الملك ينعم ويترف غذاؤه عندهم غذاء الملك، فتلك الصنعة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأنت بعيني في أحوالك كلها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي﴾ قال: أنت بعيني إذ جعلتك أمك في التابوت، ثم في البحر، و ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾. وقرأ ابن نهيك: «وَلِتَصْنَعَ» بفتح التاء. وتأوّله كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبد المؤمن، قال: سمعت أبا نهيك يقرأ «وَلِتَصْنَعَ عَلى عَيْني» فسألته عن ذلك، فقال: ولتعمل على عيني.

قال أبو جعفر: والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ بضم التاء، لإجماع الحجة من القرّاء عليها. وإذا كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين به، التأويل الذي تأوّله قَتادَة،

وهو: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ ولتغذى على عيني، ألقيت عليك المحبة مني. وعنى بقوله: ﴿عَلى عَيْنِي﴾ بمرأى مني ومحبة وإرادة.

وقوله: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ يقول تعالى ذكره: حين تمشي أختك تتبعك حتى وجدتك، ثم تأتي من يطلب المراضع لك، فتقول: هل أدلكم على من يكلفه؟ وحذف من الكلام ما ذكرت بعد قوله ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ استغناء بدلالة الكلام عليه. وإنما قالت أخت موسى ذلك لهم لِما:

حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: لما ألقته أمه في اليم ﴿قالَتْ لأخْتِهِ قُصّيهِ﴾ فلما التقطه آل فرعون، وأرادوا له المرضعات، فلم يأخذ من أحد من النساء، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع، فأبى أن يأخذ، فقالت أخته: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ ناصِحُونَ﴾؟ فأخذوها وقالوا: بل قد عرفِت هذا الغُلام، فدلّينا على أهله، قالت: ما أعرفه، ولكن إنما قلت هم للملك ناصحون.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: قالت، يعني أمّ موسى لأخته: قصّيه فانظري ماذا يفعلونَ به، فخرجت في ذلك ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ وقد احتاج إلى الرضاع والتمس الثدي، وجمعوا له المراضع حين ألقى الله محبتهم عليه، فلا يؤتى بامرأة، فيقبل ثديها، فيرمضهم ذلك، فيؤتى بمرضع بعد مرضع، فلا يقبل شيئاً منهم، فقالت لهم أخته حين رأت من وجدهم به وحرصهم عليه ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لكُم وَهُمْ لَهُ ناصِحُونَ﴾ أي لمنزلته عندكم وحرصكم على مسرّة الملك، وعنى بقوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ هل أدلكم على من يضمه إليه فيحفظه ويرضعه ويربيه. وقيل: معنى ﴿وكَفَّلَها زَكَرِيَّا﴾ ضمها.

وقوله: ﴿فَرَجَعْناكَ إِلى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَلا تَحْزَنَ﴾ يقول تعالى ذكره: فرددناك إلى أمك بعد ما صرت في أيدي آل فرعون، كيما تقرّ عينها بسلامتك ونجاتك من القتل والغرق في اليم، وكيلا تحزن عليك من الخوف من فرعون عليك أن يقتلك، كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما قالت أخت موسى لهم ما قالت، قالوا: هات، فأتت أمه فأخبرتها، فانطلقت معها حتى أتتهم، فناولوها إياه فلما وضعته في حجرها أخذ ثديها، وسرّوا بذلك منه، وردّه الله إلى أمه كي تقرّ عينها، ولا تحزن، فبلغ لطف الله لها وله، أن ردّ عليها ولدها وعطف عليها نفع فرعون وأهل بيته مع الأمنة من القتل الذي يتخوف على غيره، فكأنهم كانوا من أهل بيت فرعون في الأمان والسعة، فكان على فرش فرعون

وسرره.

وقوله: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْساً﴾ يعني جلّ ثناؤه بذلك: قتله القبطي الذي قتله حين استغاثه عليه الإسرائيلي، فوكزه موسى. وقوله: ﴿فَنَجَّيناكَ مِنَ الغَمّ﴾ يقول تعالى ذكره: فنجيناك من غمك بقتلك النفس التي قتلت، إذ أرادوا أن يقتلوك بها فخلصناك منهم، حتى هربت إلى أهل مدين، فلم يصلوا إلى قتلك وقودك. وكان قتله إياه فيما ذُكر خطأً، كما:

حدثني واصل بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن فضيل، عن أبيه، عن سالم، عن عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ خَطأً، فقال اللّهُ لَهُ: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْناكَ مِنَ الغَمّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾**».

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، ومحمد بن عمرو، قالا: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿فَنَجَّيناكَ مِنَ الغَمّ﴾ قال: من قتل النفس.

حدثنا بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَنَجَّيناكَ مِنَ الغَمّ﴾ النفس التي قتل.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾ فقال بعضهم: ابتليناك ابتلاء واختبرناك اختباراً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾ يقول: اختبرناك اختباراً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾ قال: ابتليت بلاء.

حدثني العباس بن الوليد الآملي، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا أصبغ بن زيد الجهني، قال: أخبرنا القاسم بن أيوب، قال: ثني سعيد بن جبير، قال: سألت عبد الله بن عباس، عن قول الله لموسى ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾ فسألته على الفتون ما هي؟ فقال لي: استأنف النهار يا ابن جبير، فإن لها حديثاً طويلاً، قال: فلما أصبحت غدوت على ابن عباس لأنتجز منه ما وعدني، قال: فقال ابن عباس: تذاكر فرعون وجلساؤه ما وعد الله إبراهيم أن يجعل في ذرّيته أنبياء وملوكاً، فقال بعضهم: إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك وما يشكون، ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا: ليس هكذا كان الله وعد إبراهيم، فقال فرعون: فكيف ترون؟

قال: فأتمروا بينهم، وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالاً معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل، فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم، وأن الصغار يذبحون قالوا: يوشك أن تفنوا بني إسرائيل، فتصيرون إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم، فاقتلوا عاماً كلّ مولود ذكر، فيقلّ أبناؤهم، ودعوا عاماً لا تقتلوا منهم أحداً، فتشبّ الصغار مكان من يموت من الكبار، فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم، فتخافون مكاثرتهم إياكم، ولن يقلوا بمن تقتلون، فأجمعوا أمرهم على ذلك.

فحملت أمّ موسى بهارون في العام المقبل الذي لا يذبح فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة، حتى إذا كان العام المقبل حملت بموسى، فوقع في قلبها الهمّ والحزن، وذلك من الفتون يا ابن جبير، مما دخل عليه في بطن أمه مما يراد به، فأوحى الله إليها ﴿**ألاَّ تَخافِي وَلا تَحْزَنِي إنَّا رَادُّوهُ إلَيْكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ**﴾، وأمرها إذا ولدته أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم فلما ولدته فعلت ما أمرت به، حتى إذا توارى عنها ابنها أتاها إبليس، فقالت في نفسها: ما صنعت بابني لو ذبح عندي، فواريته وكفنته كان أحبّ إليّ من أن ألقيه بيدي إلى حيتان البحر ودوابه، فانطلق به الماء حتى أوفى به عند فرضة مستقى جواري آل فرعون، فرأينه فأخذنه، فهممن أن يفتحن الباب، فقال بعضهنّ لبعض: إن في هذا مالاً، وإنا إن فتحناه لم تصدّقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه، فحملنه كهيئته لم يحرّكن منه شيئاً، حتى دفعنه إليها فلما فتحته رأت فيه الغلام، فأُلقي عليه منها محبة لم يُلق مثلها منها على أحد من الناس ﴿**وأصْبَحَ فُؤَادُ أُمّ مُوسَى فارِغاً**﴾ من كلّ شيء إلا من ذكر موسى.

فلما سمع الذبّاحون بأمره أقبلوا إلى امرأة فرعون بشفارهم يريدون أن يذبحوه، وذلك من الفتون يا ابن جُبير فقالت للذباحين: انصرفوا عني، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل، فآتي فرعون فأستوهبه إياه، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم، وإن أمر بذبحه لم ألمكم. فلما أتت به فرعون قالت: ﴿**قرّةُ عَينٍ لِي وَلَكَ**﴾ قال فرعون: يكون لك، وأما أنا فلا حاجة لي فيه. فقال: والذي يحلف به لو أقرّ فرعون أن يكون له قرّة عين كما أقرّت به، لهداه الله به كما هدى به امرأته، ولكن الله حرمه ذلك. فأرسلت إلى من حولها من كلّ أنثى لها لبن، لتختار له ظِئراً، فجعل كلما أخذته امرأة منهم لترضعه لم يقبل ثديها، حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت، فحزنها ذلك، فأمرت به فأخرج إلى السوق مجمع الناس ترجو أن تصيب له ظئراً يأخذ منها، فلم يقبل من أحد.

وأصبحت أمّ موسى، فقالت لأخته: قُصّيه واطلبيه، هل تسمعين له ذكراً، أحيّ ابني، أو قد أكلته دوابّ البحر وحيتانه؟ ونسيت الذي كان الله وعدها، فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون، فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤورات: أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، فأخذوها وقالوا: وما يدريك ما نصحهم له؟ هل يعرفونه؟ حتى شكوا في ذلك، وذلك

من الفتون يا ابن جُبير فقالت: نصحهم له وشفقتهم عليه، رغبتهم في ظؤورة الملك، ورجاء منفعته، فتركوها فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر، فجاءت فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها حتى امتلأ جنباه، فانطلق البُشَراء إلى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئراً، فأرسلت إليها، فأتيت بها وبه فلما رأت ما يصنع بها قالت: امكثي عندي حتى ترضعي ابني هذا فإني لم أحبّ حبه شيئاً قطّ قال: فقالت: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي، فيضيع، فإن طابت نفسك أن تعطينيه، فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آلوه خيراً فعلت، وإلا فإني غير تاركة بيتي وولدي وذكرت أمّ موسى ما كان الله وعدها، فتعاسرت على امرأة فرعون، وأيقنت أن الله تبارك وتعالى منجز وعده، فرجعت بابنها إلى بيتها من يومها، فأنبته الله نباتاً حسناً، وحفظه لما قضى فيه، فلم يزل بنو إسرائيل وهم مجتمعون في ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسخرة التي كانت فيهم.

فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأمّ موسى: أزيريني ابني. فوعدتها يوماً تزيرها إياه فيه، فقالت لخواصّها وظؤورتها وقهارمتها: لا يبقينَّ أحد منكم إلا استقبل ابني بهدية وكرامة ليرى ذلك، وأنا باعثة أمينة تحصي كلّ ما يصنع كلّ إنسان منكم فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون. فلما دخل عليها نحلته وأكرمته، وفرحت به، وأعجبها ما رأت من حُسن أثرها عليه، وقالت: انطلقن به إلى فرعون، فلينحله، وليكرمه. فلما دخلوا به عليه جعلته في حجره، فتناول موسى لحية فرعون حتى مدّها، فقال عدوّ من أعداء الله: ألا ترى ما وعد الله إبراهيم أنه سيصرعك ويعلوك، فأرسِلْ إلى الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جُبير، بعد كلّ بلاء ابتلي به وأريد به. فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون، فقالت: ما بدا لك في هذا الصبيّ الذي قد وهبته لي؟ قال: ألا ترين يزعم أنه سيصرعني ويعلوني، فقالت: اجعل بيني وبينك أمراً تعرف فيه الحقّ، ائت بجمرتين ولؤلؤتين، فقرّبهنّ إليه، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين علمت أنه يعقل وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين، فاعلم أن أحداً لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل، فقرّب ذلك إليه، فتناول الجمرتين، فنزعوهما منه مخافة أن تحرقا يده، فقالت المرأة: ألا ترى؟ فصرفه الله عنه بعد ما قد همّ به، وكان الله بالغاً فيه أمره.

فلما بلغ أشدّه، وكان من الرجال، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة، حتى امتنعو كلّ امتناع. فبينما هو يمشي ذات يوم في ناحية المدينة، إذ هو برجلين يقتتلان، أحدهما من بني إسرائيل، والآخر من آل فرعون، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فغضب موسى واشتدّ غضبه، لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل، وحفظه لهم، ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من قِبَل الرضاعة غير أمّ موسى، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره فوكز موسى الفرعوني فقتله، وليس

يراهما أحد إلا الله والإسرائيلي، فقال موسى حين قتل الرجل: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيطانِ إنَّه عَدوّ مُضلّ مُبِينٌ﴾ ثم قال: ﴿رَبِّ إنّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم﴾ ﴿فأصْبَحَ فِي المَدِينَةِ خائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ الأخبار، فأتى فرعون، فقيل له: إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلاً من آل فرعون، فخُذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك، فقال: ابغوني قاتله ومن شهد عليه، لأنه لا يستقيم أن يقضي بغير بيِّنه ولا ثبت، فطلبوا له ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون ثَبَتاً، إذ مرّ موسى من الغد، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس وكره الذي رأى، فغضب موسى، فمدّ يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني، قال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم ﴿إنَّكَ لَغَوِيّ مُبِينٌ﴾ فنظر الإسرائيلي موسى بعد ما قال، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني، فخاف أن يكون بعد ما قال له ﴿إنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ أن يكون إياه أراد، ولم يكن أراده، وإنما أراد الفرعوني، فخاف الإسرائيلي، فحاجز الفرعوني فقال: ﴿يا مُوسَى أتُرِيدُ أنْ تَقْتُلَنِي كمَا قَتَلْتَ نَفْساً بالأمْسِ﴾ وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله، فتتاركا فانطلق الفرعوني إلى قومه، فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس؟ فأرسل فرعون الذباحين، فسلك موسى الطريق الأعظم، فطلبوه وهم لا يخافون أن يفوتهم. وجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة، فاختصر طريقاً قريباً حتى سبقهم إلى موسى، فأخبره الخبر، وذلك من الفتون يا ابن جُبير.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿فُتُوناً﴾ قال: بلاءً، إلقاؤه في التابوت، ثم في البحر، ثم التقاط آل فرعون إياه، ثم خروجه خائفاً.

قال محمد بن عمرو، وقال أبو عاصم: خائفاً، أو جائعاً «شكّ أبو عاصم»، وقال الحارث: خائفاً يترقب، ولم يشكّ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد مثله وَقال: ﴿خَائِفاً يَتَرقَّبُ﴾، ولم يشكّ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾ يقول: ابتليناك بلاءً.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا مُعاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾ هو البلاء على إثر البلاء.

وقال آخرون: معنى ذلك: أخلصناك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾ أخلصناك إخلاصاً.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن يعلى بن مسلم، قال: سمعت سعيد بن جُبير، يفسِّر هذا الحرف: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾ قال: أخلصناك إخلاصاً.

قال أبو جعفر: وقد بيَّنا فيما مضى من كتابنا هذا معنى الفتنة، وأنها الابتلاء والاختبار بالأدلة المُغنية عن الإعادة في هذا الموضع.

وقوله: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ وهذا الكلام قد حذف منه بعض ما به تمامه اكتفاء بدلالة ما ذكر عما حذف. ومعنى الكلام: وفتناك فتوناً، فخرجت خائفاً إلى أهل مدين، فلبثت سنين فيهم.

وقوله: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يا مُوسَى﴾ يقول جلّ ثناؤه: ثم جئت للوقت الذي أردنا إرسالك إلى فرعون رسولاً ولمقداره. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يا مُوسَى﴾ يقول: لقد جئت لميقات يا موسى.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن مجاهد، قال: ﴿عَلَى قَدَرٍ يا مُوسَى﴾ قال: موعد.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد، قال: على ذي موعد.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿عَلَى قَدَرٍ يا مُوسَى﴾ قال: قدر الرسالة والنبوّة.

والعرب تقول: جاء فلان على قدر: إذا جاء لميقات الحاجة إليه ومنه قول الشاعر:

نالَ الخِلافَةَ أوْ كانَتْ لَهُ قَدَراً ... كَمَا أتَى رَبَّهُ مُوسى عَلَى قَدَرِ[1]

---

(١) هذا البيت لجرير، من قصيدة عدة أبياتها تسعة وعشرون بيتاً في ديوانه طبعة الصاوي بالقاهرة (٢٧٤، ٢٧٦) والرواية فيه: «نال الخلافة» كرواية المؤلف. وفي بعض كتب الشواهد: «جاء الخلافة». وفي هامش الديوان: =

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾ أنعمت عليك يا موسى هذه النعم، ومننت عليك هذه المنن، اجتباء مني لك، واختياراً لرسالتي والبلاغ عني، والقيام بأمري ونهيي ﴿**اذْهَبْ أَنْتَ وأَخُوكَ**﴾ هارون ﴿**بِآياتي**﴾ يقول: بأدلتي وحججي، اذهبا إلى فرعون بها إنه تمرّد في ضلاله وغيه، فأبلغه رسالاتي ﴿**وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِي**﴾ يقول: ولا تضعفا في أن تذكراني فيما أمرتكما ونهيتكما، فإن ذكركما إيَّاي يقوّي عزائمكما، ويثبت أقدامكما، لأنكما إذا ذكرتماني، ذكرتما مَنِّي عليكما نِعَماً جمّة، ومِنَناً لا تحصى كثرة. يقال منه: وَنى فلان في هذا الأمر، وعن هذا الأمر: إذا ضعف، وهو يَنِي وَنْياً كما قال العجاج:

فَمَا وَنى مُحَمَّدٌ مُذْ أنْ غَفَرْ لَهُ الإلهُ ما مَضَى وَما غَبَرْ[١]

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلا تَنِيا**﴾ يقول: لا تبطئا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿**وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِي**﴾ يقول: ولا تضعفا في ذكري.

٢٠٢٨١ **حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني

= ويروى «عز الخلافة» البيت. ومحل الشاهد في البيت، قوله: «على قدر» فإن معناه: القضاء الموافق. قال في «**اللسان**» قدر يقال: قدر الإله كذا تقديراً؛ وإذا وافق الشيء الشيء قلت جاء قدره. وقال ابن سيده: القدر والقدر (بسكون الدال وتحريكها): القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء، ويحكم به من الأمور.

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز (١٤ ـ ١٥) من أرجوزة للعجاج ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ (ص ـ ١٥) وألواناً، كما في «**اللسان**»: وني الفترة في الأعمال والأمور، وقد وني يني ونياً وونياً (على فعول) أي ضعف. وتواني في حاجته قصر. وفي حديث عائشة تصف أباها، رضي الله عنهما: «سبق إذ ونيتم»: أي قصرتم فترتم.

الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِي﴾ قال: لا تضعفا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد ﴿تَنيا﴾ تضعفا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله: ﴿وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِي﴾ يقول: لا تضعفا في ذكري.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قَتادة، في قوله: ﴿وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِي﴾ قال: لا تضعفا.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا مُعاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِي﴾ يقول: لا تضعفا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِي﴾ قال: الواني: هو الغافل المفرط، ذلك الواني.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لموسى وهارون: فقولا لفرعون قولاً ليّناً. ذُكر أن القول اللين الذي أمرهما الله أن يقولاه له، هو أن يكنياه.

حدثني جعفر ابن ابنة إسحاق بن يوسف الأزرق، قال: ثنا سعيد بن محمد الثقفي، قال: ثنا عليّ بن صالح، عن السديّ: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيّناً﴾ قال: كنياه.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ اختلف في معنى قوله: ﴿لَعَلَّهُ﴾ في هذا الموضع، فقال بعضهم معناها ههنا الاستفهام، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى: فقولا له قولا ليناً، فانظرا هل يتذكر ويراجع أو يخشى الله فيرتدع عن طغيانه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ يقول: هل يتذكر أو يخشى.

وقال آخرون: معنى لعلّ ههنا كي. ووجّهوا معنى الكلام إلى ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ فادعواه وعظاه ليتذكر أو يخشى، كما يقول القائل: اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك، بمعنى: لتأخذ أجرك، وافرغ من عملك لعلنا نتغدّى، بمعنى: لنتغدى، أو حتى نتغدى، ولكلا هذين القولين وجه حسن، ومذهب صحيح.

وقوله: ﴿قالا ربّنا إنّنا نخاف أن يفرُطَ علَينا﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى وهارون: ربنا إننا نخاف فرعون إن نحن دعوناه إلى ما أمرتنا أن ندعوه إليه، أن يعجل علينا بالعقوبة وهو من قولهم: فرط مني إلى فلان أمر: إذا سبق منه ذلك إليه، ومنه: فارط القوم، وهو المتعجل المتقدّم أمامهم إلى الماء أو المنزل كما قال الراجز:

قَدْ فَرَط العِلْجُ عَلَينا وَعَجِلْ[1]

وأما الإفراط: فهو الإسراف والإشطاط والتعدّي. يقال منه: أفرطت في قولك: إذا أسرف فيه وتعدّى. وأما التفريط: فإنه التواني. يقال منه: فرَّطت في هذا الأمر حتى فات: إذا توانى فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿أن يفرُطَ علَينا﴾ قال: عقوبة منه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إنّنا نخافُ أن يفرُطَ علَينا أو أن يطغَى﴾ قال: نخاف أن يعجل علينا إذ نبلغه كلامك أو أمرك، يفرط ويعجل. وقرأ ﴿لا تخافا إنّني معَكُما أسمَعُ وأرَى﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾.

يقول الله تعالى ذكره: قال الله لموسى وهارون: ﴿لا تخافا﴾ فرعون ﴿إنّني معَكُما﴾

---

(١) في «اللسان» فرط عليه يفرط: عجل عليه وعداً وآذاه. وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿إننا نخاف أن يفرط علينا﴾ قال: يعجل إلى عقوبتنا. والعلج: الرجل القوي الضخم. ولم أعرف قائل الرجز.

أعينكما عليه، وأبصركما ﴿أسمَعُ﴾ ما يجري بينكما وبينه، فأفهمكما ما تحاورانه به ﴿وأرَى﴾ ما تفعلان ويفعل، لا يخفى عليّ من ذلك شيء ﴿فأتِياهُ فَقُولا﴾ له ﴿إنّا رَسُولا رَبّكَ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج ﴿قالَ لا تَخافا إنَّنِي مَعَكُما أسْمَعُ وأرَى﴾ ما يحاوركما، فأوحي إليكما فتجاوبانه.

وقوله: ﴿فَأْتِياهُ فَقُولا إنَّا رَسُولا رَبّكَ﴾ أرسلنا إليك يأمرك أن ترسل معنا بني إسرائيل، فأرسلهم معنا ولا تعذّبهم بما تكلفهم من الأعمال الرديئة ﴿قَدْ جِئْناكَ بآيَةٍ﴾ معجزة ﴿مِنْ رَبّكَ﴾ على أنه أرسلنا إليك بذلك، إن أنت لم تصدّقنا فيما نقول لك أريناكها، ﴿والسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى﴾ يقول: والسلامة لمن اتبع هدى الله، وهو بيانه. يقال: السلام على من اتبع الهدى، ولمن اتبع بمعنى واحد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لرسوله موسى وهارون: قولا لفرعون إنا قد أوحى إلينا ربك أن عذابه الذي لا نفاد له، ولا انقطاع على من كذب بما ندعوه إليه من توحيد الله وطاعته، وإجابة رسله ﴿وَتَوَلّى﴾ يقول: وأدبر مُعرضاً عما جئناه به من الحقّ، كما:

حدثنا بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أنَّ العَذَابَ عَلى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلّى﴾ كذّب بكتاب الله، وتولى عن طاعة الله.

وقوله: ﴿قالَ فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسَى﴾ في هذا الكلام متروك، ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه، وهو قوله: ﴿فَأْتِياهُ﴾ فقالا له ما أمرهما به ربهما وأبلغاه رسالته، فقال فرعون لهما ﴿فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسَى﴾ فخاطب موسى وحده بقوله: يا موسى، وقد وجه الكلام قبل ذلك إلى موسى وأخيه. وإنما فعل ذلك كذلك، لأن المجاوبة إنما تكون من الواحد وإن كان الخطاب بالجماعة لا من الجميع، وذلك نظير قوله: ﴿نَسِيا حُوتَهُما﴾ وكان الذي يحمل الحوت واحد، وهو فتى موسى، يدلّ على ذلك قوله: ﴿إنّي نَسِيتُ الحُوتَ وَما أنْسانِيهُ إلاَّ الشَّيْطانُ أنْ أذْكُرَهُ﴾.

وقوله: ﴿قالَ رَبُّنا الَّذِي أعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى له مجيباً: ربنا الذي أعطى كلّ شيء خلقه، يعني: نظير خلقه في الصورة والهيئة كالذكور من بني

آدم، أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجاً، وكالذكور من البهائم، أعطاها نظير خلقها، وفي صورتها وهيئتها من الإناث أزواجاً، فلم يعط الإنسان خلاف خلقه، فيزوّجه بالإناث من البهائم، ولا البهائم بالإناث من الإنس، ثم هداهم للمأتي الذي منه النسل والنماء كيف يأتيه، ولسائر منافعه من المطاعم والمشارب، وغير ذلك.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: بنحو الذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ يقول: خلق لكلّ شيء زوجة، ثم هداه لمنكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه ومولده.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ يقول: أعطى كلّ دابة خلقها زوجاً، ثم هدى للنكاح.

وقال آخرون: معنى قوله ﴿**ثُمَّ هَدَى**﴾ أنه هداهم إلى الأُلفة والاجتماع والمناكحة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ يعني: هدى بعضهم إلى بعض، ألَّف بين قلوبهم وهداهم للتزويج أن يزوّج بعضهم بعضاً.

وقال آخرون: معنى ذلك: أعطى كلّ شيء صورته، وهي خلقه الذي خلقه به، ثم هداه لما يُصلحه من الاحتيال للغذاء والمعاش.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا: ثنا ابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: ﴿**أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ قال: أعطى كلّ شيء صورته ثم هدى كلّ شيء إلى معيشته.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ قال: سوّى خلق كلّ دابة، ثم هداها لما يُصلحها، فعلّمها إياه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿**رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ قال: سوّى خلق كلّ دابة ثم هداها لما يُصلحها

وعلّمها إياه، ولم يجعل الناس في خلق البهائم، ولا خلق البهائم في خلق الناس، ولكن خلق كلّ شيء فقدّره تقديراً.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حميد عن مجاهد ﴿**أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ قال: هداه إلى حيلته ومعيشته.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أعطى كلّ شيء ما يُصلحه، ثم هداه له.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله: ﴿**أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ**﴾ قال: أعطى كلّ شيء ما يُصلحه. ثم هداه له.

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك، لأنه جلّ ثناؤه أخبر أنه أعطى كلّ شيء خلقه، ولا يعطي المعطي نفسه، بل إنما يعطي ما هو غيره، لأن العطية تقتضي المعطي المُعطَى والعطية، ولا تكون العطية هي المعْطَى، وإذا لم تكن هي هو، وكانت غيره، وكانت صورة كلّ خلق بعض أجزائه، كان معلوماً أنه إذا قيل: أعطى الإنسان صورته، إنما يعني أنه أعطى بعض المعاني التي به مع غيره دعي إنساناً، فكأن قائله قال: أعطى كلّ خلق نفسه، وليس ذلك إذا وجه إليه الكلام بالمعروف من معاني العطية، وإن كان قد يحتمله الكلام. فإذا كان ذلك كذلك، فالأصوب من معانيه أن يكون موجهاً إلى أن كلّ شيء أعطاه ربه مثل خلقه، فزوّجه به، ثم هداه لما بيّنا، ثم ترك ذكر مثل، وقيل ﴿**أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَه**﴾ كما يقال: عبد الله مثل الأسد، ثم يحذف مثل، فيقول: عبد الله الأسد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (٥٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: قال فرعون لموسى، إذ وصف موسى ربه جلّ جلاله بما وصفه به من عظيم السلطان، وكثرة الإنعام على خلقه والإفضال: فما شأن الأمم الخالية من قبلنا لم تقرّ بما تقول، ولم تصدّق بما تدعو إليه، ولم تخلص له العبادة، ولكنها عبدت الآلهة والأوثان من دونه، إن كان الأمر على ما تصف من أن الإشياء كلها خلقه، وأنها في نعمه تتقلّب، وفي مِنَنه تتصرف؟ فأجابه موسى فقال: علم هذه الأمم التي مضت من قبلنا فيما فعلت من ذلك، عند ربي في كتاب: يعني في أمّ الكتاب، لا علم لي بأمرها، وما كان سبب ضلال من ضلّ منهم فذهب عن دين الله ﴿**لا يَضِلُّ رَبّي**﴾ يقول: لا يخطىء ربي في تدبيره وأفعاله، فإن كان عذّب تلك

القرون في عاجل، وعجل هلاكها، فالصواب ما فعل، وإن كان أخر عقابها إلى القيامة، فالحقّ ما فعل، هو أعلم بما يفعل، لا يخطىء ربي **﴿ولاَ يَنْسَى﴾** فيترك فعل ما فعْله حكمة وصواب. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿فِي كِتابٍ لا يَضِلُّ رَبّي وَلا يَنْسَى﴾** يقول: لا يخطىء ربي ولا ينسى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُولى﴾** يقول فما أعمى القرون الأولى، فوكلها نبي الله موكلاً فقال: **﴿عِلْمُها عِنْدَ رَبّي...﴾** الآية يقول: أي أعمارها وآجالها.

وقال آخرون: معنى قوله **﴿لا يَضِلُّ رَبّي وَلا يَنْسَى﴾** واحدا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿لا يَضِلُّ رَبّي وَلا يَنْسَى﴾** قال: هما شيء واحد.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد مثله.

والعرب تقول: ضلّ فلان منزله: إذا أخطأه، يضله بغير ألف، وكذلك ذلك في كلّ ما كان من شيء ثابت لا يبرح، فأخطأه مريده، فإنها تقول: أضله، فأما إذا ضاع منه ما يزول بنفسه من دابة وناقة وما أشبه ذلك من الحيوان الذي ينفلت منه فيذهب، فإنها تقلو: أضلّ فلان بعيره أو شاته أو ناقته يُضله بالألف. وقد بيَّنا معنى النسيان فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في قراءة قوله **﴿مَهْداً﴾** فقرأته عامّة قرّاء المدينة والبصرة: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ مِهاداً» بكسر المِيم من المِهاد وإلحاق ألف فيه بعد الهاء، وكذلك عملهم ذلك في كلّ القرآن. وزعم بعض من اختار قراءة ذلك كذلك، أنه إنما اختاره من أجل أن المهاد: اسم

الموضع، وأن المهد الفعل قال: وهو مثل الفرش والفراش. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين: ﴿مَهْداً﴾ بمعنى: الذي مهد لكم الأرض مهداً.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قَرأة الأمصار مشهورتان، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب فيها.

وقوله: ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فيها سُبُلاً﴾ يقول: وأنهج لكم في الأرض طرقاً. والهاء في قوله فيها: من ذكر الأرض، كما:

حدثنا بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً﴾: أي طرقاً.

وقوله: ﴿وأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً﴾ يقول: وأنزل من السماء مطراً ﴿فأخرجنا به أزْوَاجاً مِنْ نَباتٍ شَتَّى﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن إنعامه على خلقه بما يحدث لهم من الغيث الذي ينزله من سمائه إلى أرضه، بعد تناهي خبره عن جواب موسى فرعون عما سأله عنه وثنائه على ربه بما هو أهله. يقول جلّ ثناؤه: فأخرجنا نحن أيها الناس بما ننزل من السماء من ماء أزواجاً، يعني ألواناً من نبات شتى، يعني مختلفة الطعوم، والأراييح والمنظر. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿مِنْ نَباتٍ شَتَّى﴾ يقول: مختلف.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ (٥٤) ﴾.

يقول تعالى ذكره: كلوا أيها الناس من طيب ما أخرجنا لكم بالغيث الذي أنزلناه من السماء إلى الأرض من ثمار ذلك وطعامه، وما هو من أقواتكم وغذائكم، وارعوا فيما هو أرزاق بهائمكم منه وأقواتها أنعامكم ﴿إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ﴾ يقول: إن فيما وصفت في هذه الآية من قدرة ربكم، وعظيم سلطانه لآيات: يعني لدلالات وعلامات تدلّ على وحدانية ربكم، وأن لا إله لكم غيره ﴿أُولِي النُّهَى﴾ يعني: أهل الحجى والعقول. والنهي: جمع نُهية، كما الكُشَي: جمع كُشْيَة.

قال أبو جعفر: والكُشَي: شحمة تكون في جوف الضبّ، شبيهة بالسرّة وخصّ تعالى ذكره بأن ذلك آيات لأولي النُّهَي، لأنهم أهل التفكُّر والاعتبار، وأهل التدبر والاتعاظ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: من الأرض خلقناكم أيها الناس، فأنشأناكم أجساماً ناطقة ﴿وَفِيها نُعِيدُكُمْ﴾ يقول: وفي الأرض نعيدكم بعد مماتكم، فنصيركم تراباً، كما كنتم قبل إنشائنا لكم بشراً سوياً ﴿وَمِنْها نُخْرِجُكُمْ﴾ يقول: ومن الأرض نخرجكم كما كنتم قبل مماتكم أحياء، فننشئكم منها، كما أنشأناكم أوّل مرّة. وقوله: ﴿تارَةً أُخْرَى﴾ يقول: مرّة أخرى، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَمِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرَى﴾ يقول: مرّة أخرى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿تارَةً أُخْرَى﴾ قال: مرّة أخرى الخلق الآخر.

قال أبو جعفر: فتأويل الكلام إذن: من الأرض أخرجناكم ولم تكونوا شيئاً خلقاً سوياً، وسنخرجكم منها بعد مماتكم مرّة أخرى، كما أخرجناكم منها أوّل مرّة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد أرينا فرعون آياتنا، يعني أدلتنا وحججنا على حقيقة ما أرسلنا به رسولينا، موسى وهارون إليه كلها ﴿فَكَذَّبَ وأَبَى﴾ أن يقبل من موسى وهارون ما جاءا به من عند ربهما من الحقّ استكباراً وعتوّا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال فرعون لما أريناه آياتنا كلها لرسولنا موسى: أجئتنا يا موسى لتخرجنا من منازلنا ودورنا بسحرك هذا الذي جئتنا به ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فاجْعَلْ بَيْنَنا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً﴾ لا نتعدّاه، لنجيء بسحر مثل الذي جئت به، فننظر أينا يغلب صاحبه، لا نخلف ذلك الموعد ﴿نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكاناً سُوًى﴾ يقول: بمكان عدل بيننا وبينك ونَصَف.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين:

«مَكانا سِوًى» بكسر السين، وقرأته عامة قرّاء الكوفة: ﴿مَكاناً سُوًى﴾ بضمها.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا، أنهما لغتان، أعني الكسر والضم في السين من «سوى» مشهورتان في العرب. وقد قرأت بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، مع اتفاق معنييهما، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وللعرب في ذلك إذا كان بمعنى العدل والنصب لغة هي أشهر من الكسر والضم وهو الفتح، كما قال جلّ ﴿ثناؤه تَعالَوا إلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ﴾ وإذا فتح السين منه مدّ. وإذا كسرت أو ضمت قصر، كما قال الشاعر:

فَإنَّ أبانا كانَ حَلَّ بِبَلْدَةٍ سُوىً بينَ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلانَ والفِزْرِ[1]

ونظير ذلك من الأسماء: طُوًى، وطَوًى وثِنًى وثُنًى وَعَدًى، وعُدًى. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿مَكاناً سُوًى﴾ قال: منصفاً بينهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد، بنحوه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿مَكاناً سوًى﴾: أي عادلاً بيننا وبينك.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قَتادة، قوله: ﴿مَكاناً سُوًى﴾ قال: نصفاً بيننا وبينك.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿فاجْعَلْ بَيْنَنا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أنْتَ مَكاناً سُوًى﴾ قال: يقول: عدلاً. وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

(١) البيت لموسى بن جابر الحنفي «اللسان» سوى قال: قال الأخفش: سوى إذا كان بمعنى غير أو العدل يكون فيه ثلاث لغات: إن ضممت السين أو كسرت قصرت فيهما جميعا، وإن فتحت مددت. تقول: مكان سوى وسوى وسواء: أي عدل ووسط بين الفريقين، قال موسى بن جابر:

وجدنا أبانا.... البيت»

والفزر: أبو قبيلة من تميم، وهو سعد بن زيد مناة بن تميم.

حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿مَكاناً سُوىً﴾ قال: مكانا مستوياً يتبين للناس ما فيه، لا يكون صوب ولا شيء فيغيب بعض ذلك عن بعض مستوٍ حين يرى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال موسى لفرعون، حين سأله أن يجعل بينه وبينه موعداً للاجتماع: ﴿موعدكم﴾ للاجتماع ﴿يَوْمُ الزّينَةِ﴾ يعني يوم عيد كان لهم، أو سوق كانوا يتزيَّنون فيه ﴿وأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ﴾ يقول: وأن يُساق الناس من كلّ فجّ وناحية ﴿ضُحىً﴾ فذلك موعد ما بيني وبينك للاجتماع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزّينَةِ وأنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحىً﴾ فإنه يوم زينة يجتمع الناس إليه ويحشر الناس له.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج ﴿قال مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزّينَةِ﴾ قال: يوم زينة لهم، ويوم عيد لهم ﴿وأنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحىً﴾ إلى عيد لهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد ﴿يَوْمُ الزّينَةِ﴾ قال: يوم السوق.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿يَوْمُ الزّينَةِ﴾: موعدهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد مثله.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ قال موسى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزّينَةِ وأنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحىً﴾ وذلك يوم عيد لهم.

حدثنا بِشر، قال: ثنا يزيد ثنا سعيد، عن قتادة ﴿قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزّينَةِ﴾ يوم عيد كان لهم. وقوله: ﴿وأنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحىً﴾ يجتمعون لذلك الميعاد الذي وعدوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ**﴾ قال: يوم العيد، يوم يتفرّغ الناس من الأعمال، ويشهدون ويحضُرون ويرون.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق ﴿**قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ**﴾ يوم عيد كان فرعون يخرج له ﴿**وأنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحىً**﴾ حتى يحضروا أمري وأمرك، وأنّ من قوله ﴿**وأنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحىً**﴾ رفع بالعطف على قوله ﴿**يَوْمُ الزِّينَةِ**﴾. وذُكر عن أبي نهيك في ذلك ما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: عبد المؤمن، قال: سمعت أبا نهيك يقول: ﴿**وأنْ يَحْشَرَ النَّاسَ ضحىً**﴾ يعني فرعون يحشر قومه.

وقوله: ﴿**فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ**﴾ يقول تعالى ذكره: فأدبر فرعون معرضاً عما أتاه به من الحقّ ﴿**فجَمَعَ كَيْدَهُ**﴾ يقول: فجمع مكره، وذلك جمعُه سحرتَه بعد أخذه إياهم بتعلمه، ﴿**ثُمَّ أتى**﴾ يقول: ثم جاء للموعد الذي وعده موسى، وجاء بسحرته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**قَالَ مُوسَى**﴾ للسحرة لما جاء بهم فرعون: ﴿**وَيلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلى اللهِ كَذِباً**﴾ يقول: لا تختلفوا على الله كذباً، ولا تتقوّلوه ﴿**فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ**﴾ فيستأصلكم بهلاك فيبيدكم. وللعرب فيه لغتان: سَحَت، وأسحت، وَسَحت، أكثر من أسحت، يقال منه: سحت الدهر، وأسحت مال فلان: إذا أهلكه فهو يَسْحَته سحتاً، وأسحته يُسْحته إسحاتاً. ومن الإسحات قول الفرزدق:

وَعَضُّ زَمانٍ يا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ ... مِنَ المَالِ إلاَّ مُسْحَتا أوْ مُجَلَّفُ[1]

---

(١) هذا البيت للفرزدق من نقيضته التي مطلعها:

عـزفـت بـأعـشـاش ومـا كـدت تـعـزف

وقبل البيت الشاهد قوله انظر ديوانه طبعة الصاوي (ص ـ ٥٦٥).

إلَيْكَ أمِيرَ المُؤْمِنِينَ رَمَتْ بِنا ... هُمُومُ المُنَى والهَوْجَلُ المُتَعَسَّفُ

ورواية الشاهد عند المؤلف موافقة لرواية «**اللسان**»: جلف. قال: قال أبو الغوث: المسحت: المهلك. والمجلف: الذي بقيت منه بقية، أو هو الذي أخذ من جوانبه. والمجلف أيضاً: الرجل الذي جلفته السنون، أي أذهبت أمواله. وفي «**اللسان**» سحت وقوله عز وجل ﴿فيسحتكم بعذاب﴾: قرىء: فيسحتكم بعذاب، ويسحتكم. بفتح الياء والحاء، ويسحت (بضم الياء) أكثر فيسحتكم (بفتح الياء والحاء): يقشركم. ويسحتكم =

ويُروى: إلا مسحت أو مجلف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَيُسْحِتَكم بِعَذَابٍ﴾ يقول: فيهلككم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ يقول يستأصلكم بعذاب.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ قال: فيستأصلكم بعذاب فيهلككم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ قال: يهلككم هلاكاً ليس فيه بقيَّة، قال: والذي يسحت ليس فيه بقية.

حدثنا موسى قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ يقول يهلككم بعذاب.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: «فَيَسْحَتَكُمْ» بفتح الياء من سحت يَسحت. وقرأته عامة قرّاء الكوفة: ﴿فَيُسْحِتَكُمْ﴾ بضم الياء من أسحت يُسْحِت.

قال أبو جعفر: والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، غير أن الفتح فيها أعجب إليّ لأنها لغة أهل العالية، وهي أفصح، والأخرى وهي الضمّ في نجد.

وقوله: ﴿وَقَدْ خابَ مَنِ افْتَرَى﴾ يقول: ولم يظفر من يخلق كذباً ويقوله، بكذبه ذلك، بحاجته التي طلبها به، ورجا إدراكها به.

= (بضم الياء) يستأصلكم، وأسحت ماله: استأصله وأفسده، قال الفرزدق:

وعـــفـــى زمـــان... أو مـــجـــلـــف

أما رفع مجلف، فهو على تقدير ضمير مبتدأ، كأنه قال: أو هو مجلف. والبيت شاهد عند الطبري، على أن معنى قوله تعالى: فيسحتكم: يستأصلكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فتنازع السحرة أمرهم بينهم. وكان تنازعهم أمرهم بينهم فيما ذكر أن قال بعضهم لبعض، ما:

حدثنا بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿فَتَنازَعُوا أمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وأسَرُّوا النَّجْوَى﴾** قال السحرة بينهم: إن كان هذا ساحراً فإنا سنغلبه، وإن كان من السماء فله أمر.

وقال آخرون بل هو أن بعضهم قال لبعض: ما هذا القول بقول ساحر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حُدثت عن وهب بن منبه، قال: جمع كلّ ساحر حباله وعصيه، وخرج موسى معه أخوه يتكىء على عصاه، حتى أتى المجمع، وفرعون في مجلسه، معه أشراف أهل مملكته، قد استكَفَّ له الناس، فقال موسى للسحرة حين جاءهم: **﴿وَيْلَكُمْ لا تَفْتَروا عَلى اللّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خابَ مَنِ افْتَرَى﴾** فترادّ السحرة بينهم، وقال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر.

وقوله: **﴿وأسَرُّوا النَّجْوَى﴾** يقول تعالى ذكره: وأسرّوا السحرة المناجاة بينهم.

ثم اختلف أهل العلم السرار الذي أسروه، فقال بعضهم: هو قول بعضهم لبعض: إن كان هذا ساحراً فإنا سنغلبه، وإن كان من أمر السماء فإنه سيغلبنا. وقال آخرون في ذلك ما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حُدثت عن وهب بن منبه، قال: أشار بعضهم إلى بعض بتناج: **﴿إنْ هَذَانِ لَساحِرَانِ يُرِيدَانِ أنْ يخْرِجاكُمْ مِنْ أرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما﴾**.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿فَتَنازَعُوا أمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وأسَرُّوا النَّجْوَى﴾** من دون موسى وهارون، قالوا في نجواهم: **﴿إنْ هَذَانِ لَساحِرَانِ يُرِيدانِ أنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ أرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى﴾** قالوا: إن هذان لساحران، يَعْنُون بقولهم: إن هذان موسى وهارون، لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما، كما:

حدثنا بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿إنْ هَذَانِ لَساحِرَانِ يُرِيدَانِ**

أنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ أرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما﴾ موسى وهارون صلى الله عليهما.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة قوله: **﴿إنْ هَذَانِ لَساحِرَانِ﴾** فقرأته عامة قرّاء الأمصار: «إنَّ هَذَانِ» بتشديد إن وبالألف في هذان، وقالوا: قرأنا ذلك كذلك. وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: «إن» خفيفة في معنى ثقيلة، وهي لغة لقوم يرفعون بها، ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى ما. وقال بعض نحويِّ الكوفة: ذلك على وجهين: أحدهما على لغة بني الحارث بن كعب ومن جاورهم، يجعلون الاثنين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف. وقد أنشدني رجل من الأَسْد عن بعض بني الحارث بن كعب:

فـأطْـرَقَ إطْـرَاقَ الـشُّـجـاعِ وَلَـوْ رَأى مَـسـاغـاً لِـنـابـاهُ الـشُّـجـاعُ لَـصَـمَّـمـا[1]

قال: وحكي عنه أيضاً: هذا خط يدا أخي أعرفه، قال: وذلك وإن كان قليلاً أقيس، لأن العرب قالوا: مسلمون، فجعلوا الواو تابعة للضمة، لأنها لا تعرب، ثم قالوا: رأيت المسلمين، فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم قالوا: فلما رأوا الياء من الاثنين لا يمكنهم كسر ما قبلها، وثبت مفتوحاً، تركوا الألف تتبعه، فقالوا: رجلان في كلّ حال. قال: وقد اجتمعت العرب على إثبات الألف في كلا الرجلين، في الرفع والنصب والخفض، وهما اثنان، إلا بني كنانة، فإنهم يقولون: رأيت كِلَيِ الرجلين، ومررت بكلي الرجلين، وهي قبيحة قليلة مَضَوا على القياس. قال: والوجه الآخر أن تقول: وجدت الألف من هذا دعامة، وليست بلام «فَعلَى» فلما بنيت زدت عليها نوناً، ثم تركت الألف ثابتة على حالها لا تزول بكلّ حال، كما قالت العرب الذي، ثم زادوا نوناً تدلّ على الجمع، فقالوا: الذين في رفعهم ونصبهم وخفضهم، كما تركوا هذان في رفعه ونصبه

---

(١) البيت للمتلمس: جرير بن عبد العزى، وقيل جرير بن عبد المسيح، من كلمة له رواها ابن الشجري انظر كتاب الأشموني في النحو بشرح الأستاذ محيي الدين عبد الحميد طبعة الحلبي (١/ ٤٧). قال: أطرق سكت فلم يتكلم وأرخى عينيه ينظر إلى الأرض. والشجاع: ضرب من الحيات لطيف دقيق، وهو أجرؤها. أو هو الحية العظيمة تثب على الفارس والراجل وتقوم على ذنبها، وربما بلغت رأس الفارس، وتكون في الصحاري. ومساغا: اسم مكان من ساغ يسوغ: إذا دخل ونفذ وصمما عض ونيب. والبيت جار على لغة بني الحارث بن كعب ومن لف لفهم، والشاهد فيه أن قوله لناباه مثنى مجرور باللام، وقد جاء بالألف، وهي لغة بني الحارث ابن كعب وبني العنبر وبني الهجيم وبطون من ربيعة وبكر بن وائل، وزبيد وخثعم وهمدان وعذرة. ويخرج بعض النحويين على هذه اللغة قوله تعالى: ﴿إن هذان لساحران﴾ وقوله ﷺ «لا وتران في ليلة». قال الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ١٩٨ من مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩) فقراءتنا بتشديد إن، وبالألف؛ على جهتين: إحداهما على لغة بني الحارث بن كعب يجعلون الاثنين في رفعهما وخفضهما بالألف، أنشدني رجل من الأسد عنهم

«فـأطـراق إطـراق الـشـجـاع..... الـبـيـت»

وحكي هذا الرجل عنهم: هذا خط يداً أخي، أعرفه بعينه وذلك وإن كان قليلاً أقيس. (وساق المؤلف كلام الفراء إلى آخره).

وخفضه. قال: وكان القياس أن يقولوا: الَّذون. وقال آخر منهم: ذلك من الجزم المرسل، ولو نصب لخرج إلى الانبساط.

وحُدثت عن أبي عُبيدة معمر بن المثنى، قال: قال أبو عمرو وعيسى بن عمر ويونس، إن هذين لساحران في اللفظ، وكتب «هذان» كما يريدون الكتاب، واللفظ صواب. قال: وزعم أبو الخطاب أنه سمع قوماً من بني كنانة وغيرهم، يرفعون الاثنين في موضع الجرّ والنصب. قال: وقال بشر بن هلال: إن بمعنى الابتداء والإيجاب. ألا ترى أنها تعمل فيما يليها، ولا تعمل فيما بعد الذي بعدها، فترفع الخبر ولا تنصبه، كما نصبت الاسم، فكان مجاز «إن هذان لساحران»، مجاز كلامين، مَخْرجه: إنه: إي نَعَم، ثم قلت: هذان ساحران. ألا ترى أنهم يرفعون المشترك كقول ضابىء:

فَمَنْ يَكُ أمْسَى بالمَدِينَةِ رَحْلُهُ ... فإنّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ[1]

وقوله:

إنَّ السُّيُوفَ غُدُوَّها وَرَواحَها ... تَرَكَتْ هَوازِنَ مِثْلَ قَرْنِ الأَعْضَبِ[2]

قال: ويقول بعضهم: «إن الله وملائكتُهُ يصلون على النبيّ» فيرفعون على شركة الابتداء، ولا يعملون فيه إنَّ. قال: وقد سمعت الفصحاء من المُحْرِمين يقولون: إن الحمدَ والنعمةُ لك

---

(١) البيت لضابىء بن الحارث البرجمي، وهو أول أبيات قالها وهو محبوس بالمدينة، في زمن عثمان بن عفان. وبعده ثلاثة أبيات أنشدها أبو العباس المبرد في الكامل «**خزانة الأدب**» للبغدادي (٤/ ٣٢٣، ٣٢٨) واستشهد به النحاة على أن قوله (قيار) مبتدأ حذف خبره، والجملة اعتراضية بين اسم إن وخبرها، والتقدير: فإني وقيار كذلك، لغريب. وإنما لم يجعل الخبر لقيار، ويكون خبر إن محذوفاً؛ لأن اللام لا تدخل في خبر المبتدأ حتى يقدم، نحو لقائم زيد. وهذا تخريج له خلاف مذهب سيبويه، فإن الجملة عنده في نية التأخير، وهي معطوفة لا معترضة. وزعم الكسائي والفراء أن نصب إن ضعيف لأنها إنما تغير الاسم ولا تغير الخبر، قال الزجاج: وهذا غلط، لأن إن قد عملت عملين: الرفع والنصب، وليس في العربية ناصب ليس معه مرفوع، لأن كل منصوب مشبه بالمفعول، والمفعول لا يكون بغير فاعل، إلا فيما لم يسم فاعله. وكيف يكون نصب إن ضعيفاً وهي تتخطى الظروف وتنصب ما بعدها نحو «إن فيها قوماً جبارين»، ونصبِ إن من أقوى المنصوبات ا هـ.

(٢) البيت للأخطل «**خزانة الأدب**» للبغدادي (٢/ ٣٧٢) من قصيدة له ستة عشر بيتاً مدح بها العباس بن محمد بن عبد الله بن العباس. والبيت شاهد عند النحاة على أنه قد يعتبر الأول في اللفظ دون الثاني، أي يعتبر المبدل منه في اللفظ، دون البدل، فإن قوله «غدوها» بدل من السيوف، قال المبرد في الكامل: هو بدل اشتمال، وقد روعي المبدل منه في اللفظ، بإرجاع الضمير إليه من الخبر، ولم يراع البدل ولو روعي لقيل «تركا» بالتثنية. وهوازن: أبو قبيلة، وهو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر، والأعضب: الذي انكسر أحد قرنيه. وأورد المؤلف البيت شاهداً على أنهم قد يرفعون المشترك، أي المعطوف على اسم إن، وليس في البيت عطف على اسم إن، وإنما هو إبدال من المنصوب كما قرره المبرد وأبو علي الفارسي في إيضاح الشعر.

والملكُ، لا شريك لك. قال: وقرأها قوم على تخفيف نون إن وإسكانها. قال: ويجوز لأنهم قد أدخلوا اللام في الابتداء وهي فصل، قال:

أُمُّ الحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ(١)

قال: وزعم قوم أنه لا يجوز، لأنه إذا خفف نوّن «إن» فلا بدّ له من أن يدخل «إلا» فيقول: إن هذا إلا ساحران.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندنا: ﴿إنّ﴾ بتشديد نونها، وهذان بالألف لإجماع الحجة من القرّاء عليه، وأنه كذلك هو في خطّ المصحف. ووجهه إذا قرىء كذلك مشابهته الذين إذ زادوا على الذي النون، وأقرّ في جميع الأحوال الإعراب على حالة واحدة، فكذلك ﴿إِنَّ هَذَانِ﴾ زيدت على هذا نون وأقرّ في جميع أحوال الإعراب على حال واحدة، وهي لغة بلحرث بن كعب، وخثعم، وزبيد، ومن وليهم من قبائل اليمن.

وقوله: ﴿وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمْ المُثْلَى﴾ يقول: ويغلبا على ساداتكم وأشرافكم، يقال: هو طريقة قومه ونظورة قومه، ونظيرتهم إذا كان سيدهم وشريفهم والمنظور إليه، يقال ذلك للواحد والجمع، وربما جمعوا، فقالوا: هؤلاء طرائق قومهم ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً﴾ وهؤلاء نظائر قومهم. وأما قوله: ﴿المُثْلَى﴾ فإنها تأنيث الأمثل، يقال للمؤنث، خذ المثلى منهما. وفي المذكر: خذ الأمثل منهما، ووحدت المثلى، وهي صفة ونعت للجماعة، كما قيل: ﴿لهُ الأسْماءُ الحُسْنَى﴾، وقد يحتمل أن يكون المُثلى أنثت لتأنيث الطريقة.

وبنحو ما قلنا في معنى قوله: ﴿بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله:

---

(١) هذا بيت من مشطور الرجز نسبه الصاغاني في العباب إلى عنترة بن عروش بالشين في آخره، وقيل بالسين، مولى ثقيف. «خزانة الأدب الكبرى» للبغدادي (٤/٣٢٨، ٣٣٠). وهو شاهد على أنه شذ دخول اللام على خبر المبتدأ المؤخر، مجرداً من إن. وقدر بعضهم: لهي عجوز، لتكون في التقدير داخلة على المبتدأ. قال ابن السراج في الأصول: قال أبو عثمان: وقرأ سعيد بن جبير (إلا أنهم ليأكلون الطعام): فتح أن، وجعل اللام زائدة كما زيدت في قوله:

أم الحليس لعجوز شهربه ترضى من اللحم بعظم الرقبه

انتهى. وعند ابن جني غير زائدة، لكنها في البيت ضرورة. قال في سر الصناعة: وأما الضرورة التي تدخل لها اللام في غير خبر إن فمن ضرورات الشعر، ولا يقاس عليها: والوجه أن يقال: لأم الحليس عجوز شهربه، كما يقال لزيد قائم. وأورد المؤلف البيت شاهداً على أن اللام في «وقيارٌبها لغريب» هي لام ابتداء أخرجت إلى الخبر، كما في قول الراجز: أم الحليس لعجوز، وأصله: لأم الحليس عجوز.

﴿وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى﴾ يقول: أمثلكم وهم بنو إسرائيل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى﴾** قال: أولي العقل والشرف والأنساب.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله **﴿وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى﴾** قال: أولي العقول والأشراف والأنساب.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله: **﴿وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى﴾** وطريقتهم المُثلى يومئذٍ كانت بنو إسرائيل، وكانوا أكثر القوم عدداً وأموالاً وأولاداً. قال عدوّ الله: إنما يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهما.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله **﴿بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى﴾** قال: ببني إسرائيل.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى﴾** يقول: يذهبا بأشراف قومكم.

وقال آخرون: معنى ذلك: ويغيرا سنتكم ودينكم الذي أنتم عليه، من قولهم: فلان حسن الطريقة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى﴾** قال: يذهبا بالذي أنتم عليه، يغير ما أنتم عليه. وقرأ: **﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الفَسادَ﴾** قال: هذا قوله: **﴿وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى﴾** وقال: يقول طريقتكم اليوم طريقة حسنة، فإذا غيرت ذهبت هذه الطريقة. ورُوي عن علي في معنى قوله: **﴿وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى﴾** ما:

حدثنا به القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن القاسم، عن عليّ بن أبي طالب، قال: يصرفان وجوه الناس إليهما.

قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله ابن زيد في قوله: **﴿وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى﴾** وإن كان قولاً له وجه يحتمله الكلام، فإن تأويل أهل التأويل خلافه، فلا أستجيز لذلك القول به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ (٦٤)﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿فأجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة ﴿فأجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ بهمز الألف من ﴿فأجْمِعُوا﴾، ووجّهوا معنى ذلك إلى: فأحكموا كيدكم، واعزموا عليه من قولهم: أجمع فلان الخروج، وأجمع على الخروج، كما يقال: أزمع عليه ومنه قول الشاعر:

يا لَيتَ شعْرِي والمُنى لا تَنفَعُ هَلْ أغْدُوَنْ يَوماً وأمْرِيَ مُجْمَعُ(١)

يعني بقوله: «مجمع» قد أحكم وعزم عليه ومنه قول النبيّ ﷺ: «**مَنْ لَمْ يُجْمِعْ عَلى الصَّوْمِ مِن اللَّيْلِ فَلا صَوْم لَهُ**».

وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل البصرة: «فاجْمِعُوا كَيْدكُمْ» بوصل الألف، وترك همزها، من جمعت الشيء، كأنه وجّهه إلى معنى: فلا تدَعوا من كيدكم شيئاً إلا جئتم به. وكان بعض قارئي هذه القراءة يعتلّ فيما ذُكر لي لقراءته ذلك كذلك بقوله: ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾.

قال أبو جعفر: والصواب في قراءة ذلك عندنا همز الألف من أجمع، لإجماع الحجة من القرّاء عليه، وأن السحرة هم الذين كانوا به معروفين، فلا وجه لأن يقال لهم: اجمعوا ما دعيتم له مما أنتم به عالمون، لأن المرء إنما يجمع ما لم يكن عنده إلى ما عنده، ولم يكن ذلك يوم تزيد في علمهم بما كانوا يعملونه من السحر، بل كان يوم إظهاره، أو كان متفرّقاً مما هو عنده، بعضه إلى بعض، ولم يكن السحر متفرّقاً عندهم فيجمعونه. وأما قوله: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ فغير شبيه المعنى بقوله ﴿فَأَجِمعُوا كَيْدَكُمْ﴾ وذلك أن فرعون كان هو الذي يجمع ويحتفل بما يغلب به

(١) البيت في «**اللسان**»: جمع ولم ينسبه. قال: وجمع أمره وأجمعه وأجمع عليه: عزم عليه، كأنه جمع نفسه له، والأمر مجمع. ويقال أيضاً: أجمع أمرك ولا تدعه منتشراً... وقال آخر:

«يا ليت شعري... البيت»

وقوله تعالى: ﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم﴾ أي: وادعوا شركاءكم قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله؛ لأنه لا يقال: أجمعت شركائي، إنما يقال: جمعت. وقال الفراء: الإجماع: الإعداد والعزيمة على الأمر. قال: ونصب شركائي بفعل مضمر، كأنك قلت: فأجمعوا أمركم، وادعوا شركاءكم. قال أبو إسحاق: قال الذي قاله الفراء غلط في إضماره: «وادعوا شركاءكم»، لأن الكلام لا فائدة له، لأنهم كانوا يدعون شركاءهم لأن يجمعوا أمرهم. قال: والمعنى: فجمعوا أمركم مع شركائكم؛ وإذا كان الدعاء لغير شيء فلا فائدة فيه. قالوا: والواو: بمعنى مع، كقولك: «لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها». المعنى: لو تركت الناقة مع فصيلها. قال ومن قرأ: «فأجمعوا أمركم وشركاءكم» بألف موصوفة، فإنه يعطف شركاءكم على أمركم. قال: ويجوز: فاجمعوا أمركم مع شركائكم.

موسى مما لم يكن عنده مجتمعاً حاضراً، فقيل: فتولى فرعون فجمع كيده.

وقوله: ﴿**ثُمَّ ائْتُوا صَفّاً**﴾ يقول: احضروا وجيئوا صفاً والصفّ ههنا مصدر، ولذلك وحد، ومعناه: ثم ائتوا صفوفاً، وللصفّ في كلام العرب موضع آخر، وهو قول العرب: أتيت الصفّ اليوم، يعني به المصلى الذي يصلى فيه.

وقوله: ﴿**وَقَدْ أَفْلَحَ اليَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى**﴾ يقول: قد ظفر بحاجته اليوم من علا على صاحبه فقهره، كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حُدثت عن وهب بن منبه، قال: جمع فرعون الناس لذلك الجمع، ثم أمر السحرة فقال: ﴿**ائْتُوا صَفّاً وَقَدْ أَفْلَحَ اليَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى**﴾ أي قد أفلح من أفلح اليوم على صاحبه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فأجمعت السحرة كيدهم، ثم أتوا صفاً فقالوا لموسى: ﴿**يا مُوسَىٰ إمَّا أنْ تُلْقِيَ وإمَّا أنْ نَكُونَ أوَّلَ مَنْ ألْقَى**﴾ وترك ذكر ذلك من الكلام اكتفاء بدلالة الكلام عليه.

واختلف في مبلغ عدد السحرة الذين أتوا يومئذٍ صفاً، فقال بعضهم: كانوا سبعين ألف ساحر، مع كلّ ساحر منهم حبل وعصا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن هشام الدستوائي، قال: ثنا القاسم بن أبي بزّة، قال: جمع فرعون سبعين ألف ساحر، فألقوا سبعين ألف حبل، وسبعين ألف عصا فألقى موسى عصاه، فإذا هي ثعبان مبين فاغر به فاه، فابتلع حبالهم وعصيهم، ﴿**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً**﴾ عند ذلك، فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلهما، فعند ذلك ﴿**قالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلى ما جاءنا مِنَ البَيِّنات**﴾.

وقال آخرون: بل كانوا نيفاً وثلاثين ألف رجل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: ﴿**قالو يا مُوسَى إمَّا أنْ تُلْقِيَ وَإمَّا أنْ نَكونَ نحنُ المُلْقِينَ قالَ لهُمْ مُوسَى**﴾: ألقوا، فألقوا حبالهم وعصيهم، وكانوا

بضعة وثلاثين ألف رجل ليس منهم رجل إلا ومعه حبل وعصا.

وقال آخرون: بل كانوا خمسة عشر ألفاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حدثت عن وهب بن منبه، قال: صف خمسة عشر ألف ساحر، مع كلّ ساحر حباله وعصيه.

وقال آخرون: كانوا تسع مئة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، قال: كان السحرة ثلاث مئة من العريش، وثلاث مئة من فيوم، ويشكون في ثلاث مئة من الإسكندرية فقالوا لموسى: إما أن تلقي ما معك قبلنا، وإما أن نلقي ما معنا قبلك، وذلك قوله: ﴿**وإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى**﴾ وأنّ في قوله: ﴿**إِمَّا أَنْ**﴾ في موضع نصب، وذلك أن معنى الكلام: اختر يا موسى أحد هذين الأمرين: إما أن تلقي قبلنا، وإما أن نكون أوّل من ألقى، ولو قال قائل: هو رفع، كان مذهباً، كأنه وجَّهه إلى أنه خبر، كقول القائل:

فَسِيرَا فإمَّا حاجَةٌ تَقْضِيانِها وإمَّا مَقِيلٌ صَالِحٌ وصَدِيقُ(١)

وقوله: ﴿**قالَ بَلْ أَلْقُوا**﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى للسحرة: بل ألقوا أنتم ما معكم قبلي. وقوله: ﴿**فإِذَا حِبالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى**﴾، وفي هذا الكلام متروك، وهو: فألقوا ما معهم من الحبال والعصيّ، فإذا حبالهم، ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام الذي ذكر عليه عنه. وذُكر أن السحرة سحروا عين موسى وأعين الناس قبل أن يلقوا حبالهم وعصيهم، فخيل حينئذٍ إلى موسى أنها تسعى، كما:

---

(١) البيت من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» (مصورة الجامعة، الورقة ١٩٨) قال: وقوله «إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى»: أن وأن: في موضع نصب، والمعنى: اختر إحدى هاتين؛ ولو رفع إذ لم يظهر الفعل، كان صواباً، كأنه خبر، كقول الشاعر:

«فسيراً..... البيت»

ولو رفع «فإما منا بعد وإما فداء» كان أيضاً صواباً. ومذهبه كمذهب قوله: «فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان» والنصب في قوله «إما أن تلقى» وفي قوله «فإما منا بعد وإما فداء»: أجود من الرفع، لأنه شيء ليس بعام، مثل ما ترى من معنى قوله «فإمساك» و «فصيام ثلاثة أيام» لما كان المعنى يعم الناس في الإمساك بالمعروف وفي صيام الثلاثة الأيام في كفارة اليمين، كان كالجزاء، فرفع لذلك، والاختيار إنما هي فعلة واحدة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حُدثت عن وهب بن منبه، قال: قالوا يا موسى، ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ فكان أوّل ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون، ثم أبصار الناس بعد، ثم ألقى كلّ رجل منهم ما في يده من العصي والحبال، فإذا هي حيات كأمثال الحبال، قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً.

واختلفت القراءة في قراءة قوله: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾ بالياء بمعنى: يخيل إليهم سعيها. وإذا قرىء ذلك كذلك، كانت «أن» في موضع رفع. ورُوي عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه: «تُخَيَّلُ» بالتاء، بمعنى: تخيل حبالهم وعصيهم بأنها تسعى. ومن قرأ ذلك كذلك، كانت «أن» في موضع نصب لتعلق تخيل بها. وقد ذُكر عن بعضهم أنه كان يقرؤه: «تُخَيَّلُ إِلَيْهِ» بمعنى: تتخيل إليه. وإذا قرىء ذلك كذلك أيضاً فـ«أن» في موضع نصب بمعنى: تتخيل بالسعي لهم.

والقراءة التي لا يجوز عندي في ذلك غيرها ﴿يُخَيَّلُ﴾ بالياء، لإجماع الحجة من القراء عليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩)﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: فأوجس في نفسه خوفاً موسى فوجده. وقوله: ﴿**قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى**﴾ يقول تعالى ذكره: قلنا لموسى إذ أوجس في نفسه خيفة: ﴿**لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى**﴾ على هؤلاء السحرة، وعلى فرعون وجنده، والقاهر لهم ﴿**وأَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا**﴾ يقول: وألق عصاك تبتلع حبالهم وعصيهم التي سحروها حتى خيل إليك أنها تسعى.

وقوله: ﴿**إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ**﴾ اختلفت القرّاء في قراءة قوله، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة ﴿**إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ**﴾ برفع كيد وبالألف في ساحر بمعنى: إن الذي صنعه هؤلاء السحرة كيد من ساحر. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ» برفع الكيد وبغير الألف في السحر بمعنى إن الذي صنعوه كيد سحر.

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، وذلك أن الكيد هو المكر والخدعة، فالساحر مكره وخدعته من سحر يسحر، ومكر السحر وخدعته: تخيله إلى المسحور، على خلاف ما هو به في حقيقته، فالساحر كائد بالسحر، والسحر كائد بالتخييل، فإلى أيهما

أضفت الكيد فهو صواب. وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأ: «كَيْدَ سِحْرٍ» بنصب كيد. ومن قرأ ذلك كذلك، جعل إنما حرفاً واحداً وأعمل صنعوا في كيد.

قال أبو جعفر: وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من القرّاء على خلافها.

وقوله: ﴿وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ يقول: ولا يظفر الساحر بسحره بما طلب أين كان. وقد ذُكر عن بعضهم أنه كان يقول: معنى ذلك: أن الساحر يُقتل حيث وُجد. وذكر بعض نحويي البصرة، أن ذلك في حرف ابن مسعود: «وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ أَيْنَ أَتَى» وقال: العرب تقول: جئتك من حيث لا تعلم، ومن أين لا تعلم. وقال غيره من أهل العربية الأول: جزاء يقتل الساحر حيث أتى وأين أتى وقال: وأما قول العرب: جئتك من حيث لا تعلم، ومن أين لا تعلم، فإنما هو جواب لم يفهم، فاستفهم كما قالوا: أي الماء والعشب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾.

وفي هذا الكلام متروك قد استغنى بدلالة ما ترك عليه هو: فألقى موسى عصاه، فتلقفت ما صنعوا ﴿فأُلقيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قالُوا آمَنَّا بِرَبّ هارُونَ وَمُوسَى﴾ وذكر أن موسى لما ألقى ما في يده تحوّل ثعباناً، فالتقم كلّ ما كانت السحرة ألقته من الحبال والعصيّ. ذكر الرواية عمن قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: لما اجتمعوا وألقوا ما في أيديهم من السحر، ﴿خيل إلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أنَّها تَسْعَى فأوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنا لا تَخَفْ إنَّكَ أنْتَ الأعْلَى وألْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا﴾ فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين. قال: فتحت فماً لها مثل الدَّحْل، ثم وضعت مشفرها على الأرض ورفعت الآخر، ثم استوعبت كلّ شيء ألقوه من السحر، ثم جاء إليها فقبض عليها، فإذا هي عصا، فخرّ السحرة سجداً ﴿قالُوا آمَنَّا بِرَبّ هارُونَ وَموسَى قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أنْ آذَنَ لَكُمْ إنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أيْدِيَكُمْ وَأرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ﴾ قال: فكان أوّل من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ قال: فكان أوّل من صلب في جذوع النخل فرعون.

حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿فأوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ فأوحى الله إليه ﴿لا تَخَفْ وألْقِ ما في يَمِينَكَ﴾ تَلْقَف ما يأفِكُونَ فألْقَى عَصَاهُ فأكلت كلّ حية لهم فلما رأوا ذلك سجدوا وقَالُوا آمَنَّا بِرَبّ الْعَالَمِينَ رَبّ هَارُونَ وَمُوسَى.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حُدثت عن وهب بن منبه ﴿فأوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خيفَةً مُوسَى﴾ لما رأى ما ألقوا من الحبال والعصيّ وخيل إليه أنها تسعى، وقال: والله إن كانت لعصياً في أيديهم، ولقد عادت حيات، وما تعدو عصاي هذه، أو كما حدّث نفسه، فأوحى الله إليه أن ﴿ألْقِ ما في يَمِينكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا إنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أتَى﴾ وفرح موسى فألقى عصاه من يده، فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم، وهي حيات في عين فرعون وأعين الناس تسعى، فجعلت تلقفها، تبتلعها حية حية، حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا، ثم أخذها موسى فإذا هي عصا في يده كما كانت، ووقع السحرة سجداً، قالوا: آمنا بربّ هارون وموسى، لو كان هذا سحر ما غلبنا.

وقوله: ﴿قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وقال فرعون للسحرة: أصدّقتم وأقررتم لموسى بما دعاكم إليه من قبل أن أطلق ذلك لكم ﴿إنَّهُ لكَبِيرِكُم﴾ يقول: إن موسى لعظيمكم ﴿الَّذي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حُدثت عن وهب بن منبه، قال: لما قالت السحرة: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هارُونَ وَمُوسَى﴾ قال لهم فرعون، وأسف ورأى الغلبة والبينة: ﴿آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلع أنْ آذَنَ لَكُمْ إنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾: أي لعظيم السحار الذي علمكم. وقوله: ﴿فَلأُقَطِّعَنَّ أيْدِيَكُمْ وأرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ﴾ يقول: فلأقطعنّ أيديكم وأرجلكم مخالفاً بين قطع ذلك، وذلك أن يقطع يمنى اليدين ويسرى الرجلين، أو يسرى اليدين، ويمنى الرجلين، فيكون ذلك قطعاً من خلاف، وكان فيما ذُكر أوّل من فعل ذلك فرعون، وقد ذكرنا الرواية بذلك. وقوله: ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ يقول: ولأصلبنكم على جذوع النخل، كما قال الشاعر:

هُمْ صَلَبُوا العَبْدِيّ فِي جِذْعِ نَخْلَةٍ فَلا عَطَسَتْ شَيْبانُ إلاَّ بأجْدَعا[1]

يعني على جذع نخلة، وإنما قيل: في جذوع، لأن المصلوب على الخشبة يرفع في

(١) البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكري «اللسان» عبد قال: قال سيبويه: النسبة إلى عبد القيس عبدي، وهو من القسم الذي أضيف فيه الأول، لأنهم لو قالوا: قيس، لا لتبس بالمضاف إلى قيس عيلان ونحوه، قال سويد بن أبي كاهل:

«وهم صلبوا..... البيت»

قال ابن بري: قوله بأجدعا، أي بأنف أجدع، فحذف الموصوف، وأقام صفته مكانه. واستشهد المؤلف بقوله: صلبوا العبديّ في جذع نخلة أي على جذع نخلة، كقوله القرآن: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ وإنما ذلك على الاستعارة التبعية في الحرف (في) بتشبيه الاستعلاء بالظرفية، بجامع التمكن في كل منهما.

طولها، ثم يصير عليها، فيقال: صلب عليها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾ لما رأى السحرة ما جاء به عرفوا أنه من الله فخروا سجداً، وآمنوا عند ذلك، قال عدوّ الله: ﴿**فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ...**﴾ الآية.

حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال فرعون: ﴿**لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وأَرْجُلَكُمْ مِن خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾ فقتلهم وقطعهم، كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا: ﴿**رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَتَوَفَّنا مُسْلِمِينَ**﴾ وقال: كانوا في أوّل النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء.

وقوله: ﴿**وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنا أَشَدُّ عَذَاباً وأَبْقَى**﴾ يقول: ولتعلمنّ أيها السحرة أينا أشدّ عذاباً لكم، وأدوم، أنا أو موسى.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قالت السحرة لفرعون لما توعدهم بما توعَّدهم به: ﴿**لَنْ نُؤْثِرَكَ**﴾ فنتبعك ونكذّب من أجلك موسى ﴿**عَلى ما جاءَنا مِنَ البَيِّناتِ**﴾ يعني من الحجج والأدلة على حقيقة ما دعاهم إليه موسى. ﴿**وَالَّذِي فَطَرَنا**﴾ يقول: قالوا: لن نؤثرك على الذي جاءنا من البينات، وعلى الذي فطرنا. ويعني بقوله: ﴿**فَطَرَنا**﴾ خلقنا فالذي من قوله: ﴿**وَالَّذِي فَطَرَنا**﴾ خفض على قوله: ﴿**ما جاءَنا**﴾، وقد يحتمل أن يكون قوله: ﴿**وَالَّذِي فَطَرَنا**﴾ خفضاً على القسم، فيكون معنى الكلام: لن نؤثرك على ما جاءنا من البيّنات والله. وقوله: ﴿**فاقْضِ ما أنْتَ قاضٍ**﴾ يقول: فاصنع ما أنت صانع، واعمل بنا ما بدا لك ﴿**إنما تَقْضِي هَذِهِ الحَياةَ الدُّنيا**﴾ يقول: إنما تقدر أن تعذّبنا في هذه الحياة الدنيا التي تفنى. ونصب الحياة الدنيا على الوقت وجعلت إنما حرفاً واحداً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حُدثت عن وهب بن منبه ﴿**لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلى ما جاءَنا مِنَ البَيِّناتِ وَالَّذِي فَطَرَنا**﴾ أي على الله على ما جاءنا من الحجج مع بينة ﴿**فاقْضِ ما أنْتَ قاضٍ**﴾: أي اصنع ما بدا لك ﴿**إنَّما تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنيا**﴾ أي ليس سلطان

إلا فيها، ثم لا سلطان لك بعده.

وقوله: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنا لِيَغْفِرَ لَنا خَطايانا﴾ يقول تعالى ذكره: إنا أقررنا بتوحيد ربنا، وصدقنا بوعده ووعيده. وأن ما جاء به موسى حقّ ﴿لِيَغْفِرَ لَنا خَطايانا﴾ يقول: ليعفو لنا عن ذنوبنا فيسترها علينا ﴿وَما أَكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِن السِّحْرِ﴾ يقول: ليغفر لنا ذنوبنا، وتعلمنا ما تعلمناه من السحر، وعملنا به الذي أكرهتنا على تعلُّمه والعمل به. وذُكر أن فرعون كان أخذهم بتعليم السحر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن سهل، قال: ثنا نعيم بن حماد، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن أبي سعيد، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَما أَكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ قال: غلمان دفعهم فرعون إلى السحرة، تعلمهم السحر بالفَرَما.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَما أَكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ قال: أمرهم بتعلم السحر، قال: تركوا كتاب الله، وأمروا قومهم بتعليم السحر.

﴿وَما أَكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ قال: أمرتنا أن نتعلمه.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وأَبْقَى﴾ يقول: والله خير منك يا فرعون جزاء لمن أطاعه، وأبقى عذاباً لمن عصاه وخالف أمره، كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق ﴿وَاللَّه خَيْرٌ وأَبْقَى﴾: خير منك ثواباً، وأبقى عذاباً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب، ومحمد بن قيس في قول الله: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وأَبْقَى﴾ قالا: خيراً منك إن أُطِيع، وأبقى منك عذاباً إن عُصِي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل السحرة لفرعون: ﴿إِنَّهُ مَنْ يأْتِ ربه﴾ من خلقه ﴿مُجْرِماً﴾ يقول: مكتسباً الكفر به، ﴿فإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ﴾ يقول: فإن له جهنم مأوى ومسكناً، جزاء له على كفره ﴿لا يَمُوتُ فِيها﴾ فتخرج نفسه ﴿وَلا يَحْيا﴾ فتستقرّ نفسه في مقرّها فتطمئنّ، ولكنها تتعلق بالحناجر منهم ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً﴾ موحداً لا يُشرك به ﴿قَدْ عَمِلَ الصَّالِحاتِ﴾ يقول: قد عمل ما

أمره به ربه، وانتهى عما نهاه عنه ﴿فأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ العُلَى﴾ يقول: فأولئك الذين لهم درجات الجنة العُلَى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحاتِ فأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ العُلَى﴾. ثم بين تلك الدرجات العلى ما هي، فقال: هن ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ يعني: جنات إقامة لا ظعن عنها ولا نفاد لها ولا فناء ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهَارُ﴾ يقول: تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿خالِدِينَ فِيها﴾ يقول: ماكثين فيها إلى غير غاية محدودة فالجنات من قوله ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ مرفوعة بالردّ على الدرجات، كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: ﴿وَمَنْ يأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحاتِ فأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ العُلى﴾ قال: عَدْن.

وقوله: ﴿وَذلكَ جَزاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ يقول: وهذه الدرجات العُلى التي هي جنات عدن على ما وصف جلّ جلاله ثواب من تزكى، يعني: من تطهر من الذنوب، فأطاع الله فيما أمره، ولم يدنس نفسه بمعصيته فيما نهاه عنه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ أوْحَينا إلى﴾ نبينا ﴿مُوسَى﴾ إذ تابعنا له الحجج على فرعون، فأبى أن يستجيب لأمر ربه، وطغى وتمادى في طغيانه ﴿أنْ أسْرِ﴾ ليلاً ﴿بِعبادِي﴾ يعني بعبادي من بني إسرائيل ﴿فاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي البَحْرِ يَبَساً﴾ يقول: فاتخذ لهم في البحر طريقاً يابساً. واليَبَس واليَبْس: يجمع أيباس، تقول: وقفوا في أيباس من الأرض. واليَبْس المخفف: يجمع يبوس. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿يَبَساً﴾ قال: يابساً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد مثله.

وأما قوله: ﴿لا تَخافُ دَرَكاً وَلا تَخْشَى﴾ فإنه يعني: لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك، ولا تخشى غرقاً من بين يديك ووَحَلاً. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿لا تخافُ دَرَكاً وَلا تَخْشَى﴾ يقول: ﴿لا تخافُ﴾ من آل فرعون ﴿دَرَكاً وَلا تَخْشَى﴾ مِنَ البَحْرِ غرقاً.

حدثنا بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لا تَخافُ دَرَكاً وَلا تَخْشَى﴾ يقول: لا تخاف أن يدركك فرعون من بعدك ولا تخشى الغرق أمامك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جُرَيْج: قال أصحاب موسى: هذا فرعون قد أدركنا، وهذا البحر قد غشينا، فأنزل الله: ﴿لا تَخافُ دَرَكاً﴾ أصحاب فرعون ﴿وَلا تَخْشَى﴾ من البحر وحلاً.

حدثني أحمد بن الوليد الرملي، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: ثنا هشيم، عن بعض أصحابه، في قوله: ﴿لا تَخافُ دَرَكاً وَلا تَخْشَى﴾ قال: الوَحَل.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله ﴿لا تَخافُ دَرَكاً﴾ فقرأته عامّة قرّاء الأمصار غير الأعمش وحمزة: ﴿لا تَخافُ دَرَكاً﴾ على الاستئناف بلا، كما قال: ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيها لا نَسألُكَ رِزْقاً﴾ فرفع، وأكثر ما جاء في هذا الأمر الجواب مع «لا». وقرأ ذلك الأعمش وحمزة «لا تَخَفْ دَرَكاً» فجزما لا تخاف على الجزاء، ورفعا ﴿وَلا تَخْشَى﴾ على الاستئناف، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿يُوَلُّوكُمُ الأدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ﴾ فاستأنف بثم، ولو نوى بقوله: ﴿ولاَ تَخْشَى﴾ الجزم، وفيه الياء، كان جائزاً، كما قال الراجز:

هُزّي إلَيْكِ الجِذْعَ يَجْنِيكِ الجَنى

وأعجب القراءتين إليّ أن أقرأ بها: ﴿لا تخافُ﴾ على وجه الرفع، لأن ذلك أفصح اللغتين، وإن كانت الأخرى جائزة. وكان بعض نحويي البصرة يقول: معنى قوله: ﴿لا تَخافُ دَرَكاً﴾ اضرب لهم طريقاً لا تخاف فيه دركاً، قال: وحذف فيه، كما تقول: زيد أكرمت، وأنت تريد: أكرمته، وكما تقول: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾ أي لا تجزى فيه. وأما نحويو الكوفة فإنهم ينكرون حذف فيه إلا في المواقيت، لأنه يصلح فيها أن يقال: قمت اليوم وفي اليوم، ولا يجيزون ذلك في الأسماء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فسرى موسى ببني إسرائيل إذ أوحينا إليه أن أَسْر بهم، فأتبعهم فرعون بجنوده حين قطعوا البحر، فغشي فرعون وجنده من اليم ما غشيهم، فغرقوا جميعاً **﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَما هَدَى﴾** يقول جلّ ثناؤه: وجاوز فرعون بقومه عن سواء السبيل، وأخذ بهم على غير استقامة، وذلك أنه سلك بهم طريق أهل النار، بأمرهم بالكفر بالله، وتكذيب رسله **﴿وَما هَدَى﴾** يقول: وما سلك بهم الطريق المستقيم، وذلك أنه نهاهم عن اتباع رسول الله موسى، والتصديق به، فأطاعوه، فلم يهدهم بأمره إياهم بذلك، ولم يهتدوا باتباعهم إياه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما نجا موسى بقومه من البحر، وغَشِيَ فرعون قومه من اليم ما غشيهم، قلنا لقوم موسى: **﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْناكُمْ مِنْ عَدُوّكُمْ﴾** فرعون **﴿وَوَاعَدْناكُمْ جانِبَ الطُّورِ الأيمَنَ وَنَزَّلْنا عَلَيْكُمُ المَنَّ والسَّلْوَى﴾** وقد ذكرنا كيف كانت مواعدة الله موسى وقومه جانب الطور الأيمن. وقد بيَّنا المنّ والسلوى باختلاف المختلفين فيهما، وذكرنا الشواهد على الصواب من القول في ذلك فيما مضى قبل، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

واختلفتَ القرّاء في قراءة قوله: **﴿قَدْ أنْجَيْناكُمْ﴾** فكانت عامة قرّاء المدينة والبصرة يقرءونه: **﴿قَد أنْجَيْناكُمْ﴾** بالنون والألف وسائر الحروف الأخر معه كذلك، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «قَدْ أنْجَيْتُكُمْ» بالتاء، وكذلك سائر الحروف الأخر، إلا قوله: **﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكُمُ المَنَّ والسَّلْوَى﴾** فإنهم وافقوا الآخرين في ذلك وقرءوه بالنون والألف.

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان باتفاق المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء ذلك فمصيب.

وقوله: **﴿كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ﴾** يقول تعالى ذكره لهم: كلوا يا بني إسرائيل من شهيات رزقنا الذي رزقناكم، وحلاله الذي طيبناه لكم **﴿وَلا تَطْغَوْا فِيهِ﴾** يقول: ولا تعتدوا فيه،

ولا يظلم فيه بعضكم بعضاً، كما:

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ يقول: ولا تظلموا.

وقوله: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ يقول: فينزل عليكم عقوبتي، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة، قوله: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ يقول: فينزل عليكم غضبي.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾ بكسر الحاء ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ﴾ بكسر اللام. ووجهوا معناه إلى: فيجب عليكم غضبي. وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة: «فَيَحُلَّ عَلَيْكُمْ» بضم الحاء، ووجهوا تأويله إلى ما ذكرنا عن قَتادة من أنه: فيقع وينزل عليكم غضبي.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، وقد حذّر الله الذين قيل لهم هذا القول من بني إسرائيل وقوع بأسه بهم ونزوله بمعصيتهم إياه إن هم عصوه، وخوّفهم وجوبه لهم، فسواء قرىء ذلك بالوقوع أو بالوجوب، لأنهم كانوا قد خوّفوا المعنيين كليهما.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن يجب عليه غضبي، فينزل به. فقد هوى، يقول فقد تردّى فشقي، كما:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَقَدْ هَوَى﴾ يقول: فقد شقِي.

وقوله: ﴿وإنّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ﴾ يقول: وإني لذو غفر لمن تاب من شركه، فرجع منه إلى الإيمان لي ﴿وآمن﴾، يقول: وأخلص لي الألوهة، ولم يشرك في عبادته إياي غيري. ﴿وَعمِلَ صَالِحاً﴾ يقول: وأدّى فرائضي التي افترضتها عليه، واجتنب معاصيّ. ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ يقول: ثم لزم ذلك، فاستقام ولم يضيع شيئاً منه.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿وإنّي لغفّارٌ لِمَنْ تابَ وآمَنَ وَعمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وإنّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ﴾ من الشرك ﴿وآمَنَ﴾ يقول: وحّد الله ﴿وَعمِلَ صَالِحاً﴾ يقول: أدّى فرائضي.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وإنّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ﴾ من ذنبه ﴿وآمَنَ﴾ به ﴿وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ فيما بينه وبين الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر الرازيّ، عن الربيع ﴿وإنّي لَغفاَّرٌ لِمَنْ تابَ﴾ من الشرك ﴿وآمَنَ﴾ يقول: وأخلص لله، وعمل في إخلاصه.

واختلفوا في معنى قوله: ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ فقال بعضهم: معناه: لم يشكُك في إيمانه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ يقول: لم يشكُك.

وقال آخرون: معنى ذلك: ثم لزم الإيمان والعمل الصالح.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ يقول: ثم لزم الإسلام حتى يموت عليه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ثم استقام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر الرازيّ، عن الربيع بن أنس ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ قال: أخذ بسنة نبيه ﷺ.

وقال آخرون: بل معناه: أصاب العمل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَعمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ قال: أصاب العمل.

وقال آخرون: معنى ذلك: عرف أمر مُثيبه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن الكلبيّ ﴿**وإنّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ**﴾ من الذنب ﴿**وآمَنَ**﴾ من الشرك ﴿**وعمِلَ صَالِحاً**﴾ أدّى ما افترضت عليه ﴿**ثُمَّ اهْتَدَى**﴾ عرف مثيبه إن خيراً فخيراً، وإن شرّاً فشرّاً. وقال آخرون بما:

حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاريّ، قال: أخبرنا عمر بن شاكر، قال: سمعت ثابتاً البُنانيّ يقول في قوله: ﴿**وإنّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وآمَنَ وَعمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى**﴾ قال: إلى ولاية أهل بيت النبيّ ﷺ.

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في ذلك، من أجل أن الاهتداء هو الاستقامة على هدى، ولا معنى للاستقامة عليه إلا وقد جمعه الإيمان والعمل الصالح والتوبة، فمن فعل ذلك وثبت عليه، فلا شكّ في اهتدائه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وما أعجلك**﴾ وأيّ شيء أعجلك ﴿**عن قومك يا موسى**﴾، فتقدمتهم وخلّفتهم وراءك، ولم تكن معهم؟ ﴿**قال هُمْ أولاءِ على أثَري**﴾ يقول: قومي على أثري يَلْحَقُون بي. ﴿**وَعَجِلْتُ إلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾ يقول: وعجلت أنا فسبقتهم ربّ، كيما ترضى عني.

وإنما قال الله تعالى ذكره لموسى: ما أعجلك عن قومك؟ لأنه جلّ ثناؤه، فيما بلغنا، حين نجاه وبني إسرائيل من فرعون وقومه، وقطع بهم البحر، وعدَهم جانب الطور الأيمن، فتعجّل موسى إلى ربه، وأقام هارون في بني إسرائيل، يسير بهم على أثر موسى. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: وعد الله موسى حين أهلك فرعون وقومه ونجاه وقومه، ثلاثين ليلة، ثم أتمها بعشر، فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة، تلقاه فيها بما شاء، فاستخلف موسى هارون من بني إسرائيل، ومعه السامريّ، يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به، فلما كلم الله موسى، قال له ﴿**ما أعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يا موسى قالَ هُمْ أولاءِ على أثَري وَعَجِلْتُ إلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**وَعَجِلْتُ إلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾ قال: لأرضيك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (٨٦)﴾.

يقول الله تعالى ذكره قال الله لموسى: فإنا يا موسى قد ابتلينا قومك من بعدك بعبادة العجل، وذلك كان فتنتهم من بعد موسى. ويعني بقوله: ﴿مِنْ بَعْدِكَ﴾: من بعد فراقك إياهم. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ وكان إضلال السامريّ إياهم دعاءه إياهم إلى عبادة العجل.

وقوله: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إلى قومه﴾ يقول: فانصرف موسى إلى قومه من بني إسرائيل بعد انقضاء الأربعين ليلة ﴿غَضْبانَ أسِفاً﴾ متغيظاً على قومه، حزيناً لما أحدثوه بعده من الكفر بالله. كما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿غَضْبانَ أسِفاً﴾ يقول: حزيناً. وقال في الزخرف: ﴿فَلَمَّا آسَفُونا﴾ يقول: أغضبونا، والأسف على وجهين: الغضب، والحزن.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿غَضْبانَ أسِفاً﴾ يقول: حزيناً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أسِفاً﴾: أي حزيناً على ما صنع قومه من بعده.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿أسِفاً﴾ قال: حزيناً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

وقوله: ﴿قالَ يا قَوْمِ أَلَم يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً﴾ يقول: ألم يعدكم ربكم أنه غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى، ويعدكم جانب الطور الأيمن، وينزل عليكم المنّ والسلوى، فذلك وعد الله الحسن بني إسرائيل الذي قال لهم موسى: ألم يعدكموه ربكم. وقوله: ﴿أفَطالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أمْ أرَدْتُم أنْ يَحِلَّ عَلَيكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يقول: أفطال عليكم العهد بي، وبجميل نعم الله عندكم، وأياديه لديكم، أم أردتم أن يحلّ عليكم غضب من ربكم: يقول: أم أردتم أن

يجب عليكم غضب من ربكم فتستحقوه بعبادتكم العجل، وكفركم بالله، فأخلفتم موعدي. وكان إخلافهم موعده، عكوفهم على العجل، وتركهم السير على أثر موسى للموعد الذي كان الله وعدهم، وقولهم لهارون إذ نهاهم عن عبادة العجل، ودعاهم إلى السير معه في أثر موسى: ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ حتى يَرْجِعَ إلَيْنا مُوسَى﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال قوم موسى لموسى: ما أخلفنا موعدك، يعنون بموعده: عهده الذي كان عهده إليهم، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى «ح» وحدثنا الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿مَوْعِدِي﴾ قال: عهدي، وذلك العهد والموعد هو ما بيّناه قبل.

وقوله: ﴿بِمِلْكِنا﴾ يخبر جلّ ذكره عنهم أنهم أقروا على أنفسهم بالخطأ، وقالوا: إنا لم نطق حمل أنفسنا على الصواب، ولم نملك أمرنا حتى وقعنا في الذي وقعنا فيه من الفتنة.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة: «بِمَلْكِنا» بفتح الميم، وقرأته عامة قرّاء الكوفة: «بِمُلْكِنا» بضم الميم، وقرأه بعض أهل البصرة ﴿بِمِلْكِنا﴾ بالكسر. فأما الفتح والضمّ فهما بمعنى واحد، وهما بقدرتنا وطاقتنا، غير أن أحدهما مصدر، والآخر اسم. وأما الكسر فهو بمعنى ملك الشيء وكونه للمالك.

واختلف أيضاً أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: ما أخلفنا موعدك بأمرنا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ عن ابن عباس، قوله: ﴿ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا﴾ يقول: بأمرنا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿بِمَلْكِنا﴾ قال: بأمرنا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

وقال آخرون: معناه: بطاقتنا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**قالُوا ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا**﴾: أي بطاقتنا.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**قالُوا ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا**﴾ يقول: بطاقتنا.

وقال آخرون: معناه: ما أخلفنا موعدك بهوانا، ولكنا لم نملك أنفسنا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا**﴾ قال: يقول بهوانا، قال: ولكنه جاءت ثلاثة، قال ومعهم حليّ استعاروه من آل فرعون، وثياب.

وقال أبو جعفر: وكلّ هذه الأقوال الثلاثة في ذلك متقاربات المعنى، لأن من لم يهلك نفسه، لغلبة هواه على ما أمر، فإنه لا يمتنع في اللغة أن يقول: فعل فلان هذا الأمر، وهو لا يملك نفسه وفعله، وهو لا يضبطها وفعله وهو لا يطيق تركه. فإذا كان ذلك كذلك، فسواء بأيّ القراءات الثلاث قرأ ذلك القارىء، وذلك أن من كسر الميم من الملك، فإنما يوجه معنى الكلام إلى ما أخلفنا موعدك، ونحن نملك الوفاء به لغلبة أنفسنا إيانا على خلافه، وجعله من قول القائل: هذا ملك فلان لما يملكه من المملوكات، وأن من فتحها، فإنه يوجه معنى الكلام إلى نحو ذلك، غير أنه يجعله مصدراً من قول القائل: ملكت الشيء أملكه ملكاً وملكة، كما يقال: غليت فلاناً أغلبه غَلباً وغَلَبة، وأن من ضمها فإنه وجّه معناه إلى ما أخلفنا موعدك بسلطاننا وقدرتنا، أي ونحن نقدر أن نمتنع منه، لأن كل من قهر شيئاً فقد صار له السلطان عليه. وقد أنكر بعض الناس قراءة من قرأه بالضمّ، فقال: أيّ ملك كان يومئذٍ لبني إسرائيل، وإنما كانوا بمصر مستضعفين، فأغفل معنى القوم وذهب غير مرادهم ذهاباً بعيداً وقارئو ذلك بالضم لم يقصدوا المعنى الذي ظنه هذا المنكر عليهم ذلك، وإنما قصدوا إلى أن معناه: ما أخلفنا موعدك بسلطان كانت لنا على أنفسنا نقدر أن نردّها عما أتت، لأن هواها غلبنا على إخلافك الموعد.

وقوله: ﴿**وَلَكِنَّا حُمِّلْنا أَوْزاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ**﴾ يقول: ولكنا حملنا أثقالاً وأحمالاً من زينة القوم، يعنون من حليّ آل فرعون وذلك أن بني إسرائيل لما أراد موسى أن يسير بهم ليلاً من مصر

بأمر الله إياه بذلك، أمرهم أن يستعيروا من أمتعة آل فرعون وحليهم، وقال: إن الله مغنمكم ذلك، ففعلوا، واستعاروا من حليّ نسائهم وأمتعتهم، فذلك قولهم لموسى حين قال لهم ﴿**أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا، وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ**﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ**﴾ فهو ما كان مع بني إسرائيل من حليّ آل فرعون، يقول: خطئونا بما أصبنا من حليّ عدوّنا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**أَوْزَاراً**﴾ قال: أثقالاً. وقوله: ﴿**مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ**﴾ قال: هي الحليّ التي استعاروا من آل فرعون، فهي الأثقال.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿**وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً**﴾ قال: أثقالاً ﴿**مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ**﴾ قال: حليهم.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ**﴾ يقول: من حليّ القبط.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ**﴾ قال: الحليّ الذي استعاروه. والثياب ليست من الذنوب في شيء، لو كانت الذنوب كانت حملناها نحملها، فليست من الذنوب في شيء.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأ عامة قرّاء المدينة وبعض المكيين: ﴿**حُمِّلْنَا**﴾ بضم الحاء وتشديد الميم بمعنى أن موسى يحملهم ذلك. وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة وبعض المكيين: «حَمَلْنا» بتخفيف الحاء والميم وفتحهما، بمعنى أنهم حملوا ذلك من غير أن يكلفهم حمله أحد.

قال أبو جعفر: والقول عندي في تأويل ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، لأن القوم حملوا، وأن موسى قد أمرهم بحمله، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب.

وقوله: ﴿**فَقَذَفْنَاهَا**﴾ يقول: فألقينا تلك الأوزار من زينة القوم في الحفرة ﴿**فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ**﴾ يقول: فكما قذفنا نحن تلك الأثقال، فكذلك ألقى السامريّ ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿**فَقَذَفْنَاها**﴾ قال: فألقيناها ﴿**فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيّ**﴾: كذلك صنع.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿**فَقَذَفْنَاها**﴾ قال: فألقيناها ﴿**فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيّ**﴾ فكذلك صنع.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فَقَذَفْنَاها**﴾: أي فنبذناها.

وقوله: ﴿**فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ**﴾ يقول: فأخرج لهم السامريّ مما قذفوه ومما ألقاه عجلاً جسداً له خوار، ويعني بالخوار: الصوت، وهو صوت البقر.

ثم اختلف أهل العلم في كيفية إخراج السامريّ العجل، فقال بعضهم: صاغه صياغة، ثم ألقى من تراب حافر فرس جبرئيل في فمه فخار.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فَكَذلكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ**﴾ قال: كان الله وقّت لموسى ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر فلما مضت الثلاثون قال عدوّ الله السامري: إنما أصابكم الذي أصابكم عقوبة بالحليّ الذي كان معكم، فهلموا وكانت حلياً تعيروها[1] من آل فرعون، فساروا وهي معهم، فقذفوها إليه، فصوّرها صورة بقرة، وكان قد صرّ في عمامته أو في ثوبه قبضة من أثر فرس جبرئيل، فقذفها مع الحليّ والصورة ﴿**فَأَخْرَجَ لَهُمْ عجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ**﴾ فجعل يخور خوار البقر، فقال: ﴿**هَذَا إلهُكُمْ وإلَهُ مُوسَى**﴾.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: لما استبطأ موسى قومه قال لهم السامريّ: إنما احتبس عليكم لأجل ما عندكم من الحليّ، وكانوا استعاروا حلياً من آل فرعون فجمعوه فأعطوه السامريّ فصاغ منه عجلاً، ثم أخذ القبضة التي قبض من أثر الفرس، فرس الملك، فنبذها في جوفه، فإذا هو عجل جسد له خوار، قالوا: هذا إلهكم وإله موسى، ولكن موسى نسي ربه عندكم.

وقال آخرون في ذلك بما:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: أخذ السامريّ

(١) لعله: تعوروها: أي استعاروها، كما أورده في «**اللسان**» في قصة العجل من حديث ابن عباس.

من تربة الحافر، حافر فرس جبرئيل فانطلق موسى واستخلف هارون على بني إسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة، فأتمها الله بعشر، قال لهم هارون: يا بني إسرائيل إن الغنيمة لا تحلّ لكم، وإن حلي القبط إنما هو غنيمة، فاجمعوها جميعاً، فاحفروا لها حفرة فادفنوها، فإن جاء موسى فأحلها أخذتموها، وإلاّ كان شيئاً لم تأكلوه. فجمعوا ذلك الحليّ في تلك الحفرة، فجاء السامريّ بتلك القبضة فقذفها فأخرج الله من الحليّ عجلاً جسداً له خوار، وعدّت بنو إسرائيل موعد موسى، فعدوا الليلة يوماً، واليوم يوماً فلما كان لعشرين خرج لهم العجل فلما رأوه قال لهم السامريّ: **﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾** فعكفوا عليه يعبدونه، وكان يخور ويمشي **﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيّ﴾** ذلك حين قال لهم هارون: احفروا لهذا الحليّ حفرة واطرحوه فيها، فطرحوه، فقذف السامريّ تربته. وقوله: **﴿فَقَالَ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾** يقول: فقال قوم موسى الذين عبدوا العجل: هذا معبودكم ومعبود موسى. وقوله **﴿فَنَسِيَ﴾** يقول: فضلّ وترك.

ثم اختلف أهل التأويل في قوله **﴿فَنَسِيَ﴾** من قائله ومن الذي وصف به وما معناه، فقال بعضهم: هذا من الله خبر عن السامريّ، والسامريّ هو الموصوف به، وقالوا: معناه: أنه ترك الدين الذي بعث الله به موسى وهو الإسلام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن حكيم بن جُبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: يقول الله: **﴿فَنَسِيَ﴾**: أي ترك ما كان عليه من الإسلام، يعني السامري.

وقال آخرون: بل هذا خبر من الله عن السامري، أنه قال لبني إسرائيل، وأنه وصف موسى بأنه ذهب يطلب ربه، فأضلّ موضعه، وهو هذا العجل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس **﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾** يعني زينة القوم حين أمرنا السامريّ لما قبض قبضة من أثر جبرائيل عليه السلام، فألقى القبضة على حليهم فصار عجلاً جسداً له خوار **﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾** الذي انطلق يطلبه **﴿فَنَسِيَ﴾** يعني: نسي موسى، ضلّ عنه فلم يهتد له.

حدثنا بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿فَنَسِيَ﴾** يقول: طلب هذا موسى فخالفه الطريق.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة **﴿فَنَسِيَ﴾** يقول:

قال السامريّ: موسى نسي ربه عندكم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿فَنَسِيَ﴾ موسى، قال: هم يقولونه: أخطأ الربَّ العجل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿فَنَسِيَ﴾ قال: نسي موسى، أخطأ الربّ العجل، قوم موسى يقولونه.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿فَنَسِيَ﴾ يقول: ترك موسى إلهه ههنا وذهب يطلبه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ قال: يقول: فنسي حيث وعده ربه ههنا، ولكنه نسي.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا مُعاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ يقول: نسي موسى ربه فأخطأه، وهذا العجل إله موسى.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى بتأويل ذلك القول الذي ذكرناه عن هؤلاء، وهو أن ذلك خبر من الله عزّ ذكره عن السامريّ أنه وصف موسى بأنه نسي ربه، وأنه ربه الذي ذهب يريده هو العجل الذي أخرجه السامري، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه، وأنه عقيب ذكر موسى، وهو أن يكون خبراً من السامريّ عنه بذلك أشبه من غيره.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره موبخاً عَبَدة العجل، والقائلين له ﴿هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾، وعابهم بذلك، وسفَّه أحلامهم بما فعلوا ونالوا منه: أفلا يرون أن العجل الذي زعموا أنه إلهكم وإله موسى لا يكلمهم، وإن كلَّموه لم يردّ عليهم جواباً، ولا يقدر على ضرّ ولا نفع، فكيف يكون ما كانت هذه صفته إلها؟ كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم. قال: ثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث،

قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿لا يَرْجِعُ إلَيْهِمْ قَوْلاً﴾ العجل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد ﴿أفَلا يَرَوْنَ ألاَّ يَرجِعُ إلَيْهِمْ قَوْلاً﴾ قال: العجل.

حدثنا بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال الله: ﴿أفَلا يَرَوْنَ ألاَّ يَرْجِعُ إلَيهِمْ﴾ ذلك العجل الذي اتخذوه ﴿قولاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً﴾.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ قالَ لَهُمْ هارُونُ منْ قَبْلُ﴾: يقول: لقد قال لعبدة العجل من بني إسرائيل هارون، من قبل رجوع موسى إليهم، وقيله لهم ما قال، مما أخبر الله عنه ﴿إنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ يقول: إنما اختبر الله إيمانكم ومحافظتكم على دينكم بهذا العجل، الذي أحدث فيهم الخوار، ليعلم به الصحيح الإيمان منكم من المريض القلب، الشاكّ في دينه، كما:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال لهم هارون: ﴿إنَّما فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ يقول: إنما ابتليتم به، يقول: بالعجل.

وقوله: ﴿وَإنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فاتَّبِعُونِي وأطِيعُوا أمْرِي﴾: يقول: وإن ربكم الرحمن الذي يعمّ جميع الخلق نعمه، فاتّبعوني على ما آمركم به من عبادة الله، وترك عبادة العجل، وأطيعوا أمري فيما آمركم به من طاعة الله، وإخلاص العبادة له. وقوله: ﴿قالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ﴾ يقول: قال عَبَدة العجل من قوم موسى: لن نزال على العجل مقيمين نعبده، حتى يرجع إلينا موسى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾

يقول تعالى ذكره: قال موسى لأخيه هارون لما فرغ من خطاب قومه ومراجعته إياهم على ما كان من خطأ فعلهم: يا هارون أيّ شيء منعك إذ رأيتهم ضلوا عن دينهم، فكفروا بالله وعبدوا العجل ألا تتبعني.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي عذل موسى عليه أخاه من تركه اتباعه، فقال بعضهم: عذله على تركه السير بمن أطاعه في أثره على ما كان عهد إليه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما قال القوم: ﴿**لَنْ نَبرَحَ عَلَيهِ عاكِفِينَ حتى يَرْجِعَ إلَينا مُوسَى**﴾ أقام هارون فيمن تبعه من المسلمين ممن لم يُفتتن، وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل، وتخوّف هارون إن سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى: ﴿**فَرَّقْتَ بينَ بَني إسْرائِيلَ ولَمْ تَرْقُبْ قَوْلي**﴾ وكان له هائباً مطيعاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**ما مَنَعَكَ إذْ رأيْتَهُمْ ضَلُّوا ألاَّ تَتَّبِعَنِ**﴾ قال: تدعهم.

وقال آخرون: بل عذله على تركه أن يصلح ما كان من فساد القوم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، قوله: ﴿**ما مَنَعَكَ إذْ رأيْتَهُمْ ضَلُّوا ألاَّ تَتَّبِعَنِ**﴾ قال: أمر موسى هارون أن يصلح، ولا يتبع سبيل المفسدين، فذلك قوله: ﴿**ألاَّ تَتَّبِعَنِ أفَعَصَيْتَ أمْرِي**﴾ بذلك، وقوله: ﴿**قالَ يا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرأسِي**﴾ وفي هذا الكلام متروك، ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام عليه، وهو: ثم أخذ موسى بلحية أخيه هارون ورأسه يجرّه إليه، فقال هارون: ﴿**يا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرأسِي**﴾.

وقوله: ﴿**إنّي خَشِيتُ أنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بينَ بَنِي إسْرائيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلي**﴾ فاختلف أهل العلم في صفة التفريق بينهم، الذي خشيه هارون، فقال بعضهم: كان هارون خاف أن يسير بمن أطاعه، وأقام على دينه في أثر موسى، ويخلف عبدة العجل، وقد ﴿**قالُوا**﴾ له ﴿**لَنْ نَبرَحَ عَلَيهِ عاكِفِينَ حتى يَرْجِعَ إلَينا مُوسَى**﴾ فيقول له موسى ﴿**فَرَّقْتَ بينَ بَنِي إسْرائِيلَ ولَمْ تَرْقُبْ قَوْلي**﴾ بسيرك بطائفة، وتركك منهم طائفة وراءك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال ابن زيد، في قول الله تعالى: ﴿**ما مَنَعَكَ إذْ رأيْتَهُمْ ضَلُّوا ألاَّ تَتَّبِعَنِ أفَعَصَيْتَ أمْرِي**﴾ قال: ﴿**خَشِيتُ أنْ تَقُول فَرَّقْتَ بينَ بَنِي إسْرائِيلَ ولَمْ تَرْقُبْ قَوْلي**﴾ قال: خشيت أن يتبعني بعضهم ويتخلف بعضهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: خشيت أن نقتتل فيقتل بعضنا بعضاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ﴿**إنّي خَشِيتُ أنْ**

تَقُولَ فَرَّقْتَ بينَ بَنِي إسْرائِيلَ ولَـمْ تَرْقُبْ قَوْلي﴾ قال: كنا نكون فرقتين فيقتل بعضنا بعضاً حتى نتفانى.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب، القول الذي قاله ابن عباس من أن موسى عذل أخاه هارون على تركه اتباع أمره بمن اتبعه من أهل الإيمان، فقال له هارون: إني خشيت أن تقول، فرّقت بين جماعتهم، فتركت بعضهم وراءك، وجئت ببعضهم، وذلك بيِّن في قول هارون للقوم **﴿يا قَوم إنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فاتَّبِعُونِي وأطِيعُوا أمْرِي﴾** وفي جواب القوم له وقيلهم **﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكفِينَ حتى يَرْجِعَ إلَيْنا مُوسَى﴾**.

وقوله: **﴿ولَـمْ تَرْقُبْ قَوْلي﴾** يقول: ولم تنظر قولي وتحفظه. من مراقبة الرجل الشيء، وهي مناظرته بحفظه، كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، قال: قال ابن عباس: **﴿ولَـمْ تَرْقُبْ قَوْلي﴾** قال: لم تحفظ قولي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: **﴿فمَا خَطْبُكَ يا سامِرِيّ﴾** قال موسى للسامري: فما شأنك يا سامري، وما الذي دعاك إلى ما فعلته، كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله **﴿فَمَا خَطْبُكَ يا سامِرِيّ﴾** قال: ما أمرك؟ ما شأنك؟ ما هذا الذي أدخلك فيما دخلت فيه.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿قالَ فما خَطْبُكَ يا سامِرِيّ﴾** قال: مالك يا سامريّ؟

وقوله: **﴿بَصُرْتُ بِمَا لَـمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾** يقول: قال السامريّ: علمت ما لم يعلموه، وهو فعلت من البصيرة: أي صرت بما عملت بصيراً عالماً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، قال: لما قتل فرعون الولدان قالت أمّ السامريّ: لو نحيته عني حتى لا أراه، ولا أدري قتله، فجعلته في غار، فأتى جبرئيل، فجعل كفّ نفسه في فيه، فجعل يُرضعه العسل واللبن، فلم يزل يختلف إليه حتى

عرفه، فمن ثم معرفته إياه حين قال: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾.

وقال آخرون: هي بمعنى: أبصرت ما لم يبصروه. وقالوا: يقال: بصرت بالشيء وأبصرته، كما يقال: أسرعت وسرعت ما شئت. ذكر من قال: هو بمعنى أبصرت:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿قال بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ يعني فرس جبرئيل عليه السلام.

وقوله: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ يقول: قبضت قبضة من أثر حافر فرس جبرئيل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما قذفت بنو إسرائيل ما كان معهم من زينة آل فرعون في النار، وتكسرت، ورأى السامريّ أثر فرس جبرئيل عليه السلام، فأخذ تراباً من أثر حافره، ثم أقبل إلى النار فقذفه فيها، وقال: كن عجلاً جسداً له خوار، فكان للبلاء والفتنة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: قبض قبضة منه من أثر جبرئيل، فألقى القبضة على حليهم فصار عجلاً جسداً له خوار، فقال: هذا إلهكم وإله موسى.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُها﴾ قال: من تحت حافر فرس جبرئيل، نبذه السامريّ على حلية بني إسرائيل، فانسبك عجلاً جسداً له خوار، حفيف الريح فيه فهو خواره، والعجل: ولد البقرة.

واختلف القرّاء في قراءة هذين الحرفين، فقرأته عامّة قرّاء المدينة والبصرة ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ بالياء، بمعنى: قال السامريّ: بصرت بما لم يبصر به بنو إسرائيل. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «بَصُرْتُ بِمَا لَمْ تَبْصُرُوا بهِ» بالتاء على وجه المخاطبة لموسى ﷺ وأصحابه، بمعنى: قال السامريّ لموسى: بصرت بما لم تبصر به أنت وأصحابك.

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء مع صحة معنى كل واحدة منهما، وذلك أنه جائز أن يكون السامريّ رأى جبرئيل، فكان عنده ما كان بأن حدثته نفسه بذلك أو بغير ذلك من الأسباب، أن تراب حافر فرسه الذي كان عليه يصلح لما حدث عنه حين نبذه في جوف العجل، ولم يكن علم ذلك عند موسى، ولا عند أصحابه من

بني إسرائيل، فلذلك قال لموسى: «بَصُرْتُ بِمَا لَمْ تَبْصُرُوا بِهِ» أي علمت بما لم تعلموا به. وأما إذا قرىء ﴿بَصُرْتُ بِما لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ بالياء، فلا مؤنة فيه، لأنه معلوم أن بني إسرائيل لم يعلموا ما الذي يصلح له ذلك التراب.

وأما قوله: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أثَرِ الرَّسُولِ﴾ فإن قرّاء الأمصار على قراءته بالضاد، بمعنى: فأخذت بكفي تراباً من تراب أثر فرس الرسول. وروي عن الحسن البصري وقتادة ما:

حدثني أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا هشيم، عن عباد بن عوف، عن الحسن أنه قرأها: «فَقَبَصْتُ قَبْصَةً» بالصاد.

وحدثني أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا هشيم، عن عباد، عن قَتادة مثل ذلك بالصاد. بمعنى: أخذت بأصابعي من تراب أثر فرس الرسول، والقبضة عند العرب: الأخذ بالكفّ كلها، والقبصة: الأخذ بأطراف الأصابع.

وقوله: ﴿فَنَبَذْتُها﴾ يقول: فألقيتها ﴿وكَذَلَكَ سَوَّلَتْ لي نَفْسِي﴾ يقول: وكما فعلت من إلقائي القبضة التي قبضت من أثر الفرس على الحلية التي أوقد عليها حتى انسبكت فصارت عجلاً جسداً له خوار. ﴿سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ يقول: زينت لي نفسي أنه يكون ذلك كذلك، كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿وكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ قال: كذلك حدثتني نفسي.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال موسى للسامريّ: فاذهب فإن لك في أيام حياتك أن تقول: لامساس: أي لا أمسُّ، ولا أُمسُّ.. وذُكر أن موسى أمر بني إسرائيل أن لا يؤاكلوه، ولا يخالطوه، ولا يبايعوه، فلذلك قال له: إن لك في الحياة أن تقول لامساس، فبقي ذلك فيما ذكر في قبيلته، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان والله السامريّ عظيماً من عظماء بني إسرائيل، من قبيلة يقال لها سامرة، ولكن عدوّ الله نافق بعد ما قطع البحر مع بني إسرائيل. قوله: ﴿فاذْهَبْ فإنَّ لَكَ فِي الحَياةِ أنْ تَقولَ لامِساسَ﴾ فبقاياهم اليوم يقولون لامساس.

وقوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ اختلفت القرّاء في قراءته، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ بضم التاء وفتح اللام بمعنى: وإن لك موعداً لعذابك وعقوبتك على ما فعلت من إضلالك قومي حتى عبدوا العجل من دون الله، لن يخلفكه الله، ولكن يذيقكه. وقرأ ذلك الحسن وقَتادة وأبو نهيك: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلِفَهُ﴾ بضمّ التاء وكسر اللام، بمعنى: وإن لك موعداً لن تخلفه أنت يا سامريّ، وتأوّلوه بمعنى: لن تغيب عنه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبد المؤمن، قال: سمعت أبا نهيك يقرأ «لَن تُخْلِفَهُ أنتَ» يقول: لن تغيب عنه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة «وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلِفَهُ» يقول: لن تغيب عنه.

قال أبو جعفر: والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، لأنه لا شكّ أن الله موف وعده لخلقه بحشرهم لموقف الحساب، وأن الخلق موافون ذلك اليوم، فلا الله مخلفهم ذلك، ولا هم مخلفوه بالتخلف عنه، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب في ذلك.

وقوله: ﴿وَانْظُرْ إلى إلهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفاً﴾ يقول: وانظر إلى معبودك الذي ظلت عليه مقيماً تعبده، كما:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفاً﴾ الذي أقمت عليه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: فقال له موسى: ﴿انْظُرْ إلى إلهِكَ الَّذي ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفاً﴾ يقول: الذي أقمت عليه. وللعرب في ظلت: لغتان: الفتح في الظاء، وبها قرأ قرّاء الأمصار، والكسر فيها وكأن الذين كسروا نقلوا حركة اللام التي هي عين الفعل من ظللت إليها، ومن فتحها أقرّ حركتها التي كانت لها قبل أن يحذف منها شيء، والعرب تفعل في الحروف التي فيها التضعيف ذاك، فيقولون في مَسِسْت ومِسْت وفي هممت بذلك: همت به، وهل أحست فلاناً وأحسسته، كما قال الشاعر:

خَلا أنَّ العِتاقَ مِنَ المَطايا أحَسْنَ بِهِ فَهُنَّ إلَيْهِ شُوسُ[1]

---

(١) البيت لأبي زبيد الطائي «اللسان»: حسس. ورواية الشطر الثاني فيه: «حسين به فهن إليه شوس». قال: حس بالشيء يحس (كيقتل) حسا (بالفتح) وحسا (بالكسر) وحسيساً، وأحس به، وأحسه: شعر به. وأما قولهم «أحسست بالشيء» فعلى الحذف كراهية التقاء المثلين. قال سيبويه: وكذلك يفعل في كل بناء يبنى اللام من =

وقوله: ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والعراق ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بضم النون وتشديد الراء، بمعنى لنحرقنه بالنار قطعة قطعة. ورُوي عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك: «لَنُحْرِقَنَّهُ» بضم النون، وتخفيف الراء، بمعنى: لنحرقنه بالنار إحراقة واحدة، وقرأه أبو جعفر القارىء: «لَنَحْرُقَنَّهُ» بفتح النون وضم الراء بمعنى: لنبردنه بالمبارد من حرقته أحرقه وأحرّقه، كما قال الشاعر:

بِـذِي فِـرْقَـيْـنِ يَـوْمَ بَـنُـو حُـبَـيْـبٍ نُـيُـوبَـهُـمُ عَـلَـيْـنـا يَـحْـرُقُـونـا[1]

والصواب في ذلك عندنا من القراءة ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بضم النون وتشديد الراء، من الإحراق بالنار، كما:

حدثني عليّ قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ يقول: بالنار.

= الفعل منه على السكون، ولا تصل إليه الحركة، شبهوها بأقمت. الأزهري: ويقال: هل أحست: بمعنى أحسست. ويقال: حست بالشيء إذا علمته وعرفته. قال: ويقال: أحسست الخبر وأحسسته وحسيت وحست: إذا عرفت منه طرفاً وتقول ما أحسست بالخبر وما أحست وما حسيت وما حست: أي لم أعرف منه شيئاً... وربما قالوا: حسيت بالخبر، وأحسيت به، يبدلون من السين ياء، قال أبو زيد:

«خـــلا أن...... الـــــبـــيـــــت»

قال الجوهري وأبو عبيدة يروى بيت أبي زبيد: «أحسن به فهن إليه شوس». وأصله أحسن. ا هـ. ويقال في ظل وما أشبهه من كل مضعف مكسور العين في الماضي: ظللت أفعل كذا، بلامين، وظلت أفعل كذا بحذف اللام الأولى، وبفتح الفاء. وظلت أفعل كذا، بحذف اللام ونقل حركتها إلى الظاء.

(١) البيت أنشده المفضل الضبي ونسبه لعامر بن شقيق «اللسان»: حرق، و «معجم ما استعجم» للبكري (٢١٠) وذو وفرقين ـ أو ذات فريقين كما في «معجم ما استعجم» هضبة ببلاد بني تميم، بين طريق البصرة والكوفة، وهي إلى البصرة أقرب. ا هـ. وفي «شرح الحماسة» للتبريزي (٢/ ٦٧) نسب القصيدة لعامر بن شقيق من بني كوز بن كعب بن جالة بن ذهل بن مالك. وقيل: البيت:

فـــإنـــك لـــو رأيـــت ولـــن تـــريـــه أكـــف الـــقـــوم تـــخـــرق بـــالـــقـــنـــيـــنـــا

قال: وذو فرقين: هضبة في بلاد بني أسد، من ناحية الفرات. وقوله «بذي فرقين»: يجوز أن يتعلق بقوله: «لو رأيت»، ويجوز أن يتعلق بتخرق بالقنينا. وكذلك قوله «يوم بني حبيب»: ويجوز أن يكون ظرفاً لكل واحد من الفعلين، لأنهما ظرفان: أحدهما للزمان والآخر للمكان، وأضاف اليوم إلى الجملة التي بعده، لأن الأزمنة تضاف إلى الجمل، من الابتداء والخبر، والفعل والفاعل، تبنيا لها. ويقال: هو يحرق أنيابه: إذا حك بعضها يبعض تهديداً، ويقال: هو يحرق عليه الأرم، أي يصرف بأنيابه تغيظاً. ويقال: حرقه بالمبرد: إذا برده. وحكى أبو حاتم: فلان يحرق نابه علي، برفع الباء، لأن هو الذي يحرق. وقال أبو العلاء قوله «بذي فرقين»: أراد: ذات فرقين، فذكر على معنى الموضع أو الجبل وهي التي ذكرها عبيد في قوله:

فـــذات فـــرقـــيـــن فـــالـــقـــلـــيـــب

قيل: هي ثنية كسنام الفالج، فلذلك سميت ذات فرقين.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**لَنُحَرِّقَنَّهُ**﴾ فحرّقه ثم ذراه في اليم.

وإنما اخترت هذه القراءة لإجمال الحجة من القرّاء عليها. وأما أبو جعفر، فإني أحسبه ذهب إلى ما:

حدثنا به موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط عن السديّ: ﴿**وَانْظُرْ إلى إلهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي اليَمّ نَسْفاً**﴾ ثم أخذه فذبحه، ثم حرقه بالمبرد، ثم ذراه في اليم، فلم يبق بحر يومئذٍ إلا وقع فيه شيء منه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَانْظُرْ إلى إلهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي اليَمّ نَسْفاً**﴾ قال: وفي بعض القراءة: لنذبحنه ثم لنحرقنه، ثم لننسفنه في اليمّ نسفاً.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في حرف ابن مسعود: «وَانْظُرْ إلى إلهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفاً لَنَذْبَحَنَّهُ ثُمَّ لَنُحْرِقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي اليَمّ نَسْفاً».

وقوله: ﴿**ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي اليَمّ نَسْفاً**﴾ يقول: ثم لنذرّينه في البحر تذرية يقال منه: نسف فلان الطعام بالمنسف: إذا ذراه فطير عنه قشوره وترابه باليد أو الريح. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل:

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي اليَمّ نَسْفاً**﴾ يقول: لنذرينه في البحر.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: ذراه في اليمّ، واليمّ: البحر.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: ذراه في اليم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في اليمّ، قال: في البحر.

وقوله: ﴿**إنَّمَا إلهُكُمُ اللهُ الَّذِي لا إلَهَ إلاَّ هُوَ**﴾ يقول: ما لكم أيها القوم معبود، إلا الذي له

عبادة جميع الخلق لا تصلح العبادة لغيره، ولا تَنبغي أن تكون إلا له ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ يقول: أحاط بكل شيء علماً فعلمه، فلا يخفى عليه منه شيء ولا يضيق عليه علم جميع ذلك. يقال منه: فلان يسع لهذا الأمر: إذا أطاقه وقوي عليه، ولا يسع له: إذا عجز عنه فلم يطقه ولم يقو عليه. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

حدثنا بِشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ يقول: ملأ كلّ شيء علماً تبارك وتعالى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: كما قصصنا عليك يا محمد نبأ موسى وفرعون وقومه وأخبار بني إسرائيل مع موسى ﴿كَذٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أنْباءِ ما قَدْ سَبَقَ﴾ يقول: كذلك نخبرك بأنباء الأشياء التي قد سبقت من قبلك، فلم تشاهدها ولم تعاينها. وقوله: ﴿وَقَدْ آتَيْناكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً﴾ يقول تعالى ذكره لمحمد ﷺ: وقد آتيناك يا محمد من عندنا ذكراً يَتذكر به، ويتعظ به أهل العقل والفهم، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه، فجعله ذكرى للعالمين. وقوله ﴿مَنْ أعْرَضَ عَنْهُ﴾ يقول تعالى ذكره: من ولّى عنه فأدبر فلم يصدّق به ولم يقرّ، ﴿فإنه يَحْمِلُ يَوْمَ القِيامَةِ وِزْراً﴾ يقول: فإنه يأتي ربه يوم القيامة يحمل حملاً ثقيلاً، وذلك الإثم العظيم، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿يَوْمَ القِيامَةِ وِزْراً﴾ قال: إثماً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج. عن ابن جُرَيج، عن مجاهد مثله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: خالدين في وزرهم، فأخرج الخبر جلّ ثناؤه عن هؤلاء المعرضين عن ذكره في الدنيا أنهم خالدون في أوزارهم، والمعنى: أنهم خالدون في النار بأوزارهم، ولكن لما

كان معلوماً المراد من الكلام اكتفي بما ذكر عما لم يذكر.

وقوله: ﴿وَساءَ لَهُمْ يَوْمَ القِيامَة حمْلاً﴾ يقول تعالى ذكره: وساء ذلك الحمل والثقل من الإثم يوم القيامة حملاً، وحقّ لهم أن يسوءهم ذلك، وقد أوردهم مهلكة لا منجي منها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَساءَ لَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ حِمْلاً﴾ يقول: بئسما حملوا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَساءَ لَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ حِمْلاً﴾ يعني بذلك: ذنوبهم.

وقوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ يقول تعالى ذكره: وساء لهم يوم القيامة، يوم ينفخ في الصور، فقوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ ردّ على يوم القيامة. وقد بيَّنا معنى النفخ في الصور، وذكرنا اختلاف المختلفين في معنى الصور، والصحيح في ذلك من القول عندي بشواهده المغنية عن إعادته في هذا الموضع قبل.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ بالياء وضمها على ما لم يسمّ فاعله، بمعنى: يوم يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور. وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ ذلك «يَوْمَ نَنْفُخُ فِي الصُّورِ» بالنون بمعنى: يوم ننفخ نحن في الصور، كأن الذي دعاه إلى قراءة ذلك كذلك طلبه التوفيق بينه وبين قوله: ﴿ونَحْشُرُ المُجْرِمِينَ﴾ إذ كان لا خلاف بين القرّاء في نحشر أنها بالنون.

قال أبو جعفر: والذي أختار في ذلك من القراءة يوم ينفخ بالياء على وجه ما لم يسمّ فاعله، لأن ذلك هو القراءة التي عليها قرّاء الأمصار وإن كان للذي قرأ أبو عمرو وجه غير فاسد.

وقوله: ﴿ونَحْشُرُ المُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾ يقول تعالى ذكره: ونسوق أهل الكفر بالله يومئذٍ إلى موقف القيامة زرقاً، فقيل: عنى بالزرق في هذا الموضع: ما يظهر في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم عند الحشر لرأي العين من الزرق. وقيل: أريد بذلك أنهم يحشرون عمياً، كالذي قال الله ﴿ونَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً﴾. وقوله: ﴿يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ إنْ لَبِثْتُمْ إلاَّ عَشْراً﴾ يقول تعالى ذكره: يتهامسون بينهم، ويسرّ بعضهم إلى بعض: إن لبثتم في الدنيا، يعني أنهم يقول بعضهم لبعض: ما لبثتم في الدنيا إلا عشراً. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يَتَخافَتُون بَيْنَهُمْ**﴾ يقول: يتسارُّون بينهم.

حدثنا بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ**﴾: أي يتسارُّون بينهم ﴿**إنْ لَبِثْتُمْ إلاَّ عَشْراً**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: نحن أعلم منهم عند إسرارهم وتخافتهم بينهم بقيلهم ﴿**إنْ لَبِثْتُمْ إلاَّ عَشْراً**﴾ بما يقولون لا يخفى علينا مما يتساررونه بينهم شيء ﴿**إذْ يَقُولُ أمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إنْ لَبِثْتُمْ إلاَّ يَوْماً**﴾ يقول تعالى ذكره حين يقول أو فاهم عقلاً، وأعلمهم فيهم: إن لبثتم في الدنيا إلا يوماً. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن شعبة، في قوله: ﴿**إذْ يَقُولُ أمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً**﴾ أوفاهم عقلاً.

وإنما عنى جلّ ثناؤه بالخبر عن قيلهم هذا القول يومئذٍ، إعلام عباده أن أهل الكفر به ينسون من عظيم ما يعاينون من هول يوم القيامة، وشدّة جزعهم من عظيم ما يردون عليه ما كانوا فيه في الدنيا من النعيم واللذّات، ومبلغ ما عاشوا فيها من الأزمان، حتى يخيل إلى أعقلهم فيهم، وأذكرهم وأفهمهم أنهم لم يعيشوا فيها إلا يوماً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ويسألك يا محمد قومك عن الجبال، فقل لهم: يذريها ربي تذرية، ويطيرها بقلعها واستئصالها من أصولها، ودكّ بعضها على بعض، وتصييره إياها هباء منبثاً ﴿**فَيَذَرُها قاعاً صَفْصَفاً**﴾ يقول تعالى ذكره: فيدع أماكنها من الأرض إذا نسفها نسفاً، قاعاً: يعني: أرضاً ملساء، صفصفاً: يعني مستوياً لا نبات فيه، ولا نشز، ولا ارتفاع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**قاعاً صَفْصَفاً**﴾ يقول: مستوياً لا نبات فيه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**فَيَذَرُها قاعاً صَفْصَفاً**﴾ قال: مستوياً، الصفصف: المستوى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا عبد الله بن يوسف، قال: ثنا عبد الله بن لهيعة، قال: ثنا أبو الأسود، عن عروة، قال: كنا قعوداً عند عبد الملك حين قال كعب: إن الصخرة موضع قدم الرحمن يوم القيامة، فقال: كذب كعب، إنما الصخرة جبل من الجبال، إن الله يقول: ﴿**وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الجِبالِ فَقُلْ يَنْسِفُها رَبّي نَسْفاً**﴾ فسكت عبد الملك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**صَفْصَفاً**﴾ قال: مستوياً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

قال أبو جعفر: وكان بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل الكوفة يقول: القاع: مستنقع الماء، والصفصف: الذي لا نبات فيه.

وقوله: ﴿**لا تَرَى فِيها عِوَجاً وَلا أَمْتاً**﴾ يقول: لا ترى في الأرض عوجاً ولا أمتاً.

واختلف أهل التأويل في معنى العوج والأمت، فقال بعضهم: عنى بالعوج في هذا الموضع: الأودية، وبالأمت: الروابي والنشوز.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿**لا تَرَى فِيها عِوَجاً وَلا أَمْتاً**﴾ يقول: وادياً، ولا أمتاً: يقول: رابية.

حدثني محمد بن عبد الله المخرمي، قال: ثنا أبو عامر العقدي، عن عبد الواحد بن صفوان مولى عثمان، قال: سمعت عكرمة، قال: سئل ابن عباس، عن قوله ﴿**لا تَرَى فِيها عِوَجاً وَلا أَمْتاً**﴾ قال: هي الأرض البيضاء، أو قال: الملساء التي ليس فيها لبنة مرتفعة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿لا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلا أمْتاً﴾** قال: ارتفاعاً، ولا انخفاضاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله **﴿لا تَرَى فِيها عِوَجاً وَلا أمْتاً﴾** قال: لا تعاديَ، الأمت: التعادي.

وقال آخرون: بل عنى بالعوج في هذا الموضع: الصدوع، وبالأمت: الارتفاع من الآكام وأشباهها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قَتادة، في قوله: **﴿لا تَرَى فِيها عِوَجاً﴾** قال: صدعاً **﴿وَلا أمْتاً﴾** يقول: ولا أكمة.

وقال آخرون: عنى بالعوج: الميل، وبالأمت: الأثر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿لا تَرَى فِيها عِوَجاً وَلا أمْتاً﴾** يقول: لا ترى فيها ميلاً، والأمت: الأثر مثل الشراك.

وقال آخرون: الأمت: المحاني والأحداب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قال: الأمت: الحدب.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بالعوج: الميل، وذلك أن ذلك هو المعروف في كلام العرب.

فإن قال قائل: وهل في الأرض اليوم من عوج، فيقال: لا ترى فيها يومئذٍ عوجاً. قيل: إن معنى ذلك: ليس فيها أودية وموانع تمنع الناظر أو السائر فيها عن الأخذ على الاستقامة، كما يحتاج اليوم من أخذ في بعض سبلها إلى الأخذ أحياناً يميناً، وأحياناً شمالاً، لما فيها من الجبال والأودية والبحار. وأما الأمت فإنه عند العرب: الانثناء والضعف. مسموع منهم: مدّ حبله حتى

ما ترك فيه أمتاً: أي انثناء وملأ سقاءه حتى ما ترك فيه أمتاً ومنه قول الراجز:

مـا فِـي انـجِـذَابِ سَـيْـرِهِ مِـنْ أمْـتِ(١)

يعني: من وهن وضعف، فالواجب إذا كان ذلك معنى الأمت عندهم أن يكون أصوب الأقوال في تأويله: ولا ارتفاع ولا انخفاض، لأن الانخفاض لم يكن إلاَّ عن ارتفاع. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: لا ترى فيها ميلاً عن الاستواء، ولا ارتفاعاً، ولا انخفاضاً، ولكنها مستوية ملساء، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿قاعاً صَفْصَفاً﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يومئذٍ يتبع الناس صوت داعي الله الذي يدعوهم إلى موقف القيامة، فيحشرهم إليه ﴿لا عِوَجَ لَهُ﴾ يقول: لا عوج لهم عنه ولا انحراف، ولكنهم سراعاً إليه ينحشرون. وقيل: لا عوج له، والمعنى: لا عوج لهم عنه، لأن معنى الكلام ما ذكرنا من أنه لا يعوجون له ولا عنه. ولكنهم يؤمونه ويأتونه، كما يقال في الكلام: دعاني فلان دعوة لا عوج لي عنها: أي لا أعوج عنها. وقوله ﴿وَخَشَعَتِ الأصْوَاتُ للرَّحْمَنِ﴾ يقول تعالى ذكره: وسكنت أصوات الخلائق للرحمن فوصف الأصوات بالخشوع. والمعنى لأهلها إنهم خُضَّع جميعهم لربهم، فلا تسمع لناطق منهم منطقاً إلاَّ من أذن له الرحمن، كما:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَخَشَعَتِ الأصْوَاتُ للرَّحْمَنِ﴾ يقول: سكنت.

وقوله: ﴿فَلا تَسْمَعُ إلاَّ هَمْساً﴾ يقول: إنه وطء الأقدام إلى المحشر. وأصله: الصوت الخفيّ، يقال همس فلان إلى فلان بحديثه إذا أسرّه إليه وأخفاه ومنه قول الراجز:

---

(١) البيت من مشطور الرجز، وهو للعجاج كما في «اللسان» أمت والرواية فيه:

مـا فـي انـطـلاق ركـبـه مـن أمـت

قال: وفي حديث أبي سعيد الخدري: «أن النبي ﷺ حرم الخمر، فلا أمت فيها، وأنا أنهى عن السكر والمسكر». قال أبو منصور: معنى قول أبي سعيد عن النبي: أراد أنه حرمها تحريماً لا هوادة فيه ولا لين، لكنه شدد في تحريمها؛ وهو من قولك: سرت سيراً لا أمت فيه: أي لا وهن فيه ولا ضعف. وجائز أن يكون المعنى أنه حرمها تحريماً لا شك فيه. وأصله من الأمت بمعنى الحزر والتقدير، لأن الشك يدخلها. قال العجاج:

مـا فـي انـطـلاق ركـبـه مـن أمـت

أي من فتور واسترخاء ا هـ.

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنا هَمِيسَا إنْ يَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسَا[1]

يعني بالهمس: صوت أخفاف الإبل في سيرها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عليّ بن عابس، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿فَلا تَسْمَعُ إلاَّ هَمْساً﴾ قال: وطء الأقدام.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿وَخَشَعَتِ الأصْوَاتُ للرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إلاَّ هَمْساً﴾ يعني: همس الأقدام، وهو الوطء.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿فَلا تَسْمَعُ إلاَّ هَمْساً﴾ يقول: الصوت الخفيّ.

حدثنا إسماعيل بن موسى السديّ، قال: أخبرنا شريك، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني، عن عكرمة ﴿فَلا تَسْمَعُ إلاَّ هَمْساً﴾ قال: وطء الأقدام.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا حماد، عن حميد، عن الحسن ﴿فَلا تَسْمَعُ إلاَّ هَمْساً﴾ قال: همس الأقدام.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَلا تَسْمَعُ إلاَّ هَمْساً﴾ قال قتادة: كان الحسن يقول: وَقع أقدام القوم.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿فَلا تَسْمَعُ إلاَّ هَمْساً﴾ قال: تهافتاً، وقال: تخافت الكلام.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

---

(١) البيت مما أنشده ابن عباس، وقد نقله عنه السيوطي في الإتقان وكثير من المفسرين، ومنهم المؤلف، ونقل صاحب «اللسان» همس شطره الأول. وهو:

وهن يمشين بنا هميساً

قال: وهو صوت نقل أخفاف الإبل ا هـ. وقال في أول المادة: الهمس: الخفي من الصوت والوطء والأكل. وفي التنزيل: «فلا تسمع إلا همساً» في «التهذيب» يعني به والله أعلم: خفق الأقدام على الأرض. وقال الفراء: يقال إنه نقل الأقدام إلى المحشر. ويقال: الصوت الخفي. وروى عن ابن عباس أنه تمثل فأنشد:

وهن يمشين بنا هميساً

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿هَمْساً﴾ قال: خفض الصوت.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد، قال: خفض الصوت، قال: وأخبرني عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: كلام الإنسان لا تسمع تحرّك شفتيه ولسانه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قوله: ﴿فَلا تَسْمَعُ إلاَّ هَمْساً﴾ يقول: لا تسمع إلاَّ مشياً، قال: المشي الهمس: وطء الأقدام.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره ﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إلاَّ﴾ شفاعة ﴿مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ أن يشفع ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ وأدخل في الكلام له دليلاً على إضافة القول إلى كناية «مَنْ» وذلك كقول القائل الآخر: رضيت لك عملك، ورضيته منك، وموضع مَن من قوله ﴿إلاَّ مَنْ أذِنَ لَهُ﴾ نصب لأنه خلاف الشفاعة.

وقوله ﴿يَعْلَمُ ما بينَ أيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: يعلم ربك يا محمد ما بين أيدي هؤلاء الذين يتبعون الداعي من أمر القيامة، وما الذي يصيرون إليه من الثواب والعقاب ﴿وَما خَلفَهُمْ﴾ يقول: ويعلم أمر ما خلفوه وراءهم من أمر الدنيا، كما:

حدثنا بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يَعْلَمُ ما بينَ أيْدِيهِمْ﴾ من أمر الساعة ﴿وَما خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا.

وقوله: ﴿وَلا يُحيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يحيط خلقه به علماً. ومعنى الكلام: أنه محيط بعباده علماً، ولا يحيط عباده به علماً. وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك: أن الله يعلم ما بين أيدي ملائكته وما خلفهم، وأن ملائكته لا يحيطون علماً بما بين أيدي أنفسم وما خلفهم، وقال: إنما أعلم بذلك الذين كانوا يعبدون الملائكة، أن الملائكة كذلك لا تعلم ما بين أيديها وما خلفها، موبخهم بذلك ومقرّعهم بأن من كان كذلك، فكيف يعبد، وأن العبادة إنما تصلح لمن لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: استسَرَت وجوه الخلق، واستسلمت للحيّ القيوم الذي لا يموت، القيوم على خلقه بتدبيره إياهم، وتصريفهم لما شاءوا. وأصل العنو الذلّ، يقال منه: عنا وجهه لربه يعنو عنواً، يعني خضع له وذلّ، وكذلك قيل للأسير: عان لذلة الأسر. فأما قولهم: أخذت الشيء عنوة، فإنه يكون وإن كان معناه يؤول إلى هذا أن يكون أخذه غلبة، ويكون أخذه عن تسليم وطاعة، كما قال الشاعر:

هَلْ أنتَ مُطِيعي أيُها القَلْبُ عَنْوَةً ... ولَمْ تَلَحْ نَفْسٌ لم تلم في اخْتِيالِهَا[١]

وقال آخر:

فَمَا أخَذُوها عَنْوَةً عَنْ مَوَدَّةٍ ... وَلَكِنْ بِحَدّ المَشْرَفِي اسْتَقالَهَا[٢]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَعَنَتِ الوُجُوهُ للْحَيِّ القَيُّومِ**﴾ يقول: ذلّت.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿**وَعَنَتِ الوُجُوهُ للْحَيِّ القَيُّومِ**﴾ يعني بعنت: استسلموا لي.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَعَنَتِ الوُجُوهُ**﴾ قال: خشعت.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد مثله.

---

(١) لم أقف على قائل البيت. وعنوة: قال في «**اللسان**» (عنو) في حديث الفتح أنه دخل مكة عنوة: أي قهراً وغلبة. قال ابن الأثير: هو من عنا يعنو: إذا ذل وخضع والعنوة: المرة منه، كأن المأخوذ بها يخضع ويذل. وأخذت البلاد عنوة: بالقهر والإذلال. ابن الأعرابي: عنا يعنو: إذا أخذ الشيء قهراً. وعنا يعنو عنوة: إذا أخذ الشيء صلحاً، بإكرام ورفق. والعنوة أيضاً المودة. قال الأزهري: أخذت الشيء عنوة: يكون غلبة ويكون عن تسليم وطاعة ممن يؤخذ منه الشيء وأنشد الفراء لكثير:

فَمَا أخَذُوها عَنْوَةً عَنْ مَوَدَّةٍ ... وَلَكِنَّ ضَرْبَ المَشْرَفِيّ اسْتَقالَهَا

فهذا على معنى التسليم والطاعة بلا قتال. وقال الأخفش في قوله تعالى: ﴿وعنت الوجوه﴾: استأسرت. قال: والعاني: الأسير. وقال أبو الهيثم: العاني: الخاضع.

(٢) البيت لكثير عزة، كما في «**اللسان**» عنا وقد تقدم القول في معناه في الشاهد السابق عليه. والمشرفي: السيف منسوب إلى قرية يقال لها مشارف بالشام أو باليمن. واستقالها: أخذها وانتزعها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلحَيّ القَيُّومِ﴾** أي ذلّت الوجوه للحيّ القيوم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قَتادة، في قوله: **﴿وَعَنَتِ الوُجُوهُ للحَيّ القَيُّومِ﴾** قال: ذلت الوجوه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: قال طلق: إذا سجد الرجل فقد عنا وجهه، أو قال: عنا.

حدثني أبو حُصَين عبد الله بن أحمد، قال: ثنا عبثر، قال: ثنا حصين، عن عمرو بن مرّة، عن طلق بن حبيب، في هذه الآية: **﴿وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيّ القَيُّومِ﴾** قال: هو وضع الرجل رأسه ويديه وأطراف قدميه.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن فضيل، عن ليث، عن عمرو بن مرّة، عن طلق بن حبيب في قوله: **﴿وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيّ القَيُّومِ﴾** قال: وهو وضعك جبهتك وكفيك وركبتيك وأطراف قدميك في السجود.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: ثنا محمد بن فضيل، عن حصين، عن عمرو بن مرّة، عن طلق بن حبيب في قوله: **﴿وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيّ القَيُّومِ﴾** قال: وضع الجبهة والأنف على الأرض.

حدثني يعقوب: قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن عمرو بن مرّة، عن طلق بن حبيب، في قوله: **﴿وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيّ القَيُّومِ﴾** قال: هو السجود على الجبهة والراحة والركبتين والقدمين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيّ القَيُّومِ﴾** قال: استأسرت الوجوه للحيّ القيوم، صاروا أسارى كلهم له. قال: والعاني: الأسير.

وقد بيَّنا معنى الحيّ القيوم فيما مضى، بما أغنى عن إعادته هاهنا. وقوله: **﴿وَقَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾** يقول تعالى ذكره: ولم يظفر بحاجته وطلبته من حَمل إلى موقف القيامة شركاً بالله، وكفراً به، وعملاً بمعصيته. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**وَقَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً**﴾ قال: من حمل شركاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَقَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً**﴾ قال: من حمل شركاً، الظلم هاهنا: الشرك.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره وتقدّست أسماؤه: ومن يعمل من صالحات الأعمال، وذلك فيما قيل أداء فرائض الله التي فرضها على عباده ﴿**وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾ يقول: وهو مصدّق بالله، وأنه مجازٍ أهل طاعته وأهل معاصيه على معاصيهم ﴿**فلا يَخافُ ظُلْماً**﴾ يقول: فلا يخاف من الله أن يظلمه، فيحمل عليه سيئات غيره، فيعاقبه عليه ﴿**وَلا هَضْماً**﴾ يقول: لا يخاف أن يهضمه حسناته، فينقصه ثوابها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾ وإنما يقبل الله من العمل ما كان في إيمان.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، قوله: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾ قال: زعموا أنها الفرائض. ذكر من قال ما قلنا في معنى قوله: ﴿**فَلا يَخافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً**﴾.

حدثنا أبو كريب وسليمان بن عبد الجبار، قالا: ثنا ابن عطية، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿**لا يَخافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً**﴾ قال: هضماً: غضباً.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال: ﴿**لاَ يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً**﴾ قال: لا يخاف ابن آدم يوم القيامة أن يظلم، فيزاد عليه في سيئاته، ولا يظلم فيهضم في حسناته.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً**﴾ يقول: أنا

قاهر لكم اليوم، آخذكم بقوّتي وشدّتي، وأنا قادر على قهركم وهضمكم، فإنما بيني وبينكم العدل، وذلك يوم القيامة.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا مُعاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فَلا يَخافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً﴾ أما هضماً فهو لا يقهر الرجل الرجل بقوّته، يقول الله يوم القيامة: لا آخذكم بقوّتي وشدتي، ولكن العدل بيني وبينكم، ولا ظلم عليكم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿هَضْماً﴾ قال: انتقاص شيء من حقّ عمله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد مثله.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقيّ، قال: ثنا أبو أسامة، عن مِسْعر، قال: سمعت حبيب بن أبي ثابت يقول في قوله: ﴿وَلا هَضْماً﴾ قال: الهضم: الانتقاص.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿فَلا يَخاف ظُلْماً وَلا هَضْماً﴾ قال: ظلماً أن يزاد في سيئاته، ولا يُهْضَم من حسناته.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَلا يَخافُ ظلْماً وَلا هَضْماً﴾ قال: لا يخاف أن يظلم، فلا يجزى بعمله، ولا يخاف أن ينتقص من حقه، فلا يوفى عمله.

حدثنا الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا سلام بن مسكين، عن ميمون بن سِياه، عن الحسن، في قول الله تعالى: ﴿فَلا يَخافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً﴾ قال: لا ينتقص الله من حسناته شيئاً، ولا يحمل عليه ذنب مسيء.

وأصل الهضم: النقص، يقال: هضمني فلان حقي، ومنه امرأة هضيم: أي ضامرة البطن، ومنه قولهم: قد هضم الطعام: إذا ذهب، وهَضَمْت لك من حقك: أي حططتك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: كما رغبنا أهل الإيمان في صالحات الأعمال، بوعدناهم ما وعدناهم،

كذلك حذرنا بالوعيد أهل الكفر بالمُقام على معاصينا، وكفرهم بآياتنا، فأنزلنا هذا القرآن عربياً، إذ كانوا عَرَباً ﴿**وَصَرَّفْنا فِيهِ مِنَ الوَعِيدِ**﴾ فبيناه: يقول: وخوّفناهم فيه بضروب من الوعيد ﴿**لعلَّهم يتَّقون**﴾ يقول: كي يتقونا، بتصريفنا ما صرّفنا فيه من الوعيد ﴿**أوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً**﴾ يقول: أو يحدث لهم هذا القرآن تذكرة، فيعتبرون ويتعظون بفعلنا بالأمم التي كذّبت الرسل قبلها، وينزجرون عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وكَذلكَ أنْزَلْناهُ قُرآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنا فِيهِ مِنَ الوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ ما حُذّروا به من أمر الله وعقابه، ووقائعه بالأمم قبلهم ﴿**أوْ يُحْدِثُ لَهُمْ**﴾ القرآن ﴿**ذِكْراً**﴾: أي جِدّاً وورعاً.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ﴿**أوْ يُحْدِث لَهُمْ ذِكْراً**﴾ قال: جِداً وورعاً. وقد قال بعضهم في: ﴿**أوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً**﴾ أن معناه: أو يحدث لهم شرفاً، بإيمانهم به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فارتفع الذي له العبادة من جميع خلقه، الملك الذي قهر سلطانه كلّ ملك وجبار، الحقّ عما يصفه به المشركون من خلفه ﴿**وَلا تَعْجَلْ بالقُرآنِ مِنْ قَبْلِ أنْ يُقْضَى إلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾: يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ولا تعجل يا محمد بالقرآن، فتقرئه أصحابك، أو تقرأه عليهم، من قبل أن يوحى إليك بيان معانيه، فعوتب على إكتابه وإملائه ما كان الله ينزله عليه من كتابه مَنْ كان يُكْتِبه ذلك، من قبل أن يبين له معانيه، وقيل: لا تتله على أحد، ولا تمله عليه، حتى نبينه لك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَلا تَعْجَلْ بالقُرآنِ مِنْ قَبْلِ أنْ يُقْضَى إلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾ قال: لا تتله على أحد حتى نبينه لك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُريج، قال: يقول: لا تتله على أحد حتى نتمه لك هكذا قال القاسم: حتى نتمه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلا تَعْجَلْ بالقُرآنِ مِن قَبْلِ أنْ يُقْضَى إلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾ يعني: لا تعجل حتى نبينه لك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَلا تَعْجَلْ بالقُرآنِ مِنْ قَبْلِ أنْ يُقْضَى إلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾: أي بيانه.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة ﴿**وَلا تَعْجَلْ بالقُرآنِ مِنْ قَبْلِ أنْ يُقْضَى إلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾ قال: تبيانه.

حدثنا ابن المثنى وابن بشار، قالا: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن قتادة ﴿**مِنْ قَبْلِ أنْ يُقْضَى إلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾ من قبل أن يبين لك بيانه.

وقوله: ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾ يقول تعالى ذكره: وقل يا محمد: ربّ زدني علماً إلى ما علمتني أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن يضيع يا محمد هؤلاء الذين نصرّف لهم في هذا القرآن من الوعيد عهدي، ويخالفوا أمري، ويتركوا طاعتي، ويتبعوا أمر عدوّهم إبليس، ويطيعوه في خلاف أمري، فقديماً ما فعل ذلك أبوهم آدم ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنا إلَيْهِ**﴾ يقول: ولقد وصينا آدم وقلنا له: إنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الجَنَّةِ﴾ فوسوس إليه الشيطان فأطاعه، وخالف أمري، فحلّ به من عقوبتي ما حلّ.

وعنى جلّ ثناؤه بقوله: ﴿**مِنْ قَبْلُ**﴾ هؤلاء الذين أخبر أنه صرف لهم الوعيد في هذا القرآن وقوله: ﴿**فَنَسِيَ**﴾ يقول: فترك عهدي، كما:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنا إلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ**﴾ يقول: فترك.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**فَنَسِيَ**﴾ قال: ترك أمر ربه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنا إلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزماً**﴾ قال: قال له ﴿**يا آدَمُ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِك فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى**﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿**لا تَظْمَأُ فِيها وَلا تَضْحَى**﴾، وقرأ حتى بلغ: ﴿**وَمُلْكٍ لا يَبْلَى**﴾ قال: فنسي ما عهد إليه في ذلك، قال: وهذا عهد الله إليه، قال: ولو كان له عزم ما أطاع عدوّه الذي حسده، وأبي أن يسجد له مع مَنْ سجد له إبليس، وعصى الله الذي كرّمه وشرّفه، وأمر ملائكته فسجدوا له.

حدثنا ابن المثنى وابن بشار قالا: ثنا يحيى بن سعيد، وعبد الرحمن، ومؤمل، قالوا: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، قال: إنما سُمي الإنسان لأنه عهد إليه فنسي.

وقوله: ﴿**ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزماً**﴾ اختلف أهل التأويل في معنى العزم ها هنا، فقال بعضهم: معناه الصبر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزماً**﴾ أي صبراً.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن قتادة ﴿**ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً**﴾، قال: صبراً.

حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجَوْزَجاني، قال: ثنا أبو النضر، قال: ثنا شعبة، عن قتادة، مثله.

وقال آخرون: بل معناه: الحفظ، قالوا: ومعناه: ولم نجد له حفظاً لما عهدنا إليه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية ﴿**ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزماً**﴾ قال: حفظاً لما أمرته.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هاشم بن القاسم، عن الأشجعيّ، عن سفيان، عن عمرو بن قيس، عن عطية، في قوله ﴿**ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزماً**﴾ قال: حفظاً.

حدثنا عباد بن محمد، قال: ثنا قبيصة، عن سفيان، عن عمرو بن قيس، عن عطية، في قوله ﴿**ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً**﴾ قال: حفظاً لما أمرته به.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً**﴾ يقول: لم نجد له حفظاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً**﴾ قال: العزم: المحافظة على ما أمره الله تبارك وتعالى بحفظه، والتمسك به.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً**﴾ يقول: لم نجعل له عزماً.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا الحجاج بن فضالة، عن لقمان بن عامر، عن أبي أمامة قال: لو أن أحلام بني آدم جمعت منذ يوم خلق الله تعالى آدم إلى يوم الساعة، ووضعت في كفة ميزان، ووضع حلم آدم في الكفة الأخرى، لرجح حلمه بأحلامهم، وقد قال الله تعالى: ﴿**ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً**﴾.

قال أبو جعفر: وأصل العزم اعتقاد القلب على الشيء، يقال منه: عزم فلان على كذا: إذا اعتقد عليه ونواه ومن اعتقاد القلب: حفظ الشيء، ومنه الصبر على الشيء، لأنه لا يجزع جازع إلا من خورَ قلبه وضعفه، فإذا كان ذلك كذلك، فلا معنى لذلك أبلغ مما بينه الله تبارك وتعالى، وهو قوله: ﴿**ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً**﴾ فيكون تأويله: ولم نجد له عزم قلب، على الوفاء الله بعهده، ولا على حفظ ما عهد إليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ (١١٦) فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ (١١٧)﴾.

يقول تعالى ذكره معلماً نبيه محمداً ﷺ، ما كان من تضييع آدم عهده، ومعرّفه بذلك أن ولده لن يعدوا أن يكونوا في ذلك على منهاجه، إلا من عصمه الله منهم: واذكر يا محمد ﴿**إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ أبَى**﴾ أن يسجد له ﴿**فَقُلْنا يا آدَمُ إنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ**﴾ ولذلك من شنآنه لم يسجد لك، وخالف أمري في ذلك وعصاني، فلا تطيعاه فيما يأمر كما به، فيخرجكما بمعصيتكما ربكما، وطاعتكما له ﴿**مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى**﴾ يقول: فيكون عيشك من كدّ يدك، فذلك شقاؤه الذي حذّره به، كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: أهبط إلى آدم ثور أحمر، فكان يحرث عليه، ويمسح العرق من جبينه، فهو الذي قال الله تعالى ذكره: ﴿**فَلا**

يُخرِجَنَّكُما مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ فكان ذلك شقاءه.

وقال تعالى ذكره: **﴿فَتَشْقَى﴾** ولم يقل: فتشقيا، وقد قال: **﴿فَلا يُخْرِجَنَّكُما﴾** لأن ابتداء الخطاب من الله كان لآدم عليه السلام، فكان في إعلامه العقوبة على معصيته إياه، فيما نهاه عنه من أكل الشجرة، الكفاية من ذكر المرأة، إذ كان معلوماً أن حكمها في ذلك حكمه، كما قال: **﴿عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ﴾** اجتزىء بمعرفة السامعين معناه، من ذكر فعل صاحبه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (١٢٠)﴾.

يقول تعالى ذكره، مخبراً عن قيله لآدم حين أسكنه الجنة: **﴿إنَّ لَكَ﴾** يا آدم **﴿أنْ لا تَجُوعَ فِيها وَلا تَعْرَى﴾**. و «أن» في قوله **﴿ألا تَجُوعَ فِيها﴾** في موضع نصب بإن التي في قوله: **﴿إنَّ لَكَ﴾**.

وقوله: **﴿وأنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيها﴾** اختلفت القرّاء في قراءتها، فقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة والكوفة بالكسر: وإنك، على العطف على قوله: **﴿إنَّ لَكَ﴾**. وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة وعامة قرّاء الكوفة والبصرة: وأنك، بفتح ألفها عطفاً بها على «أن» التي في قوله: «أنْ لا تَجُوعَ فِيها». ووجّهوا تأويل ذلك إلى أن لك هذا وهذا فهذه القراءة أعجب القراءتين إليّ؛ لأن الله تبارك وتعالى ذكره وعد ذلك آدم حين أسكنه الجنة، فكون ذلك بأن يكون عطفاً على أن لا تجوع أولى من أن يكون خبر مبتدإ، وإن كان الآخر غير بعيد من الصواب. وعنى بقوله: **﴿لا تَظْمأُ فيها﴾** لا تعطش في الجنة ما دمت فيها **﴿وَلا تَضْحَى﴾**، يقول: لا تظهر للشمس فيؤذيك حرّها، كما قال ابن أبي ربيعة:

رأتْ رَجُلاً أمّا إذا الشَّمْسُ عارَضَتْ فَيَضْحى وأمّا بالعَشِيّ فَيَخْصَرُ[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة القرشي المخزومي. وقد أورده صاحب «اللسان» في (ضحا) ولم ينسبه. قال: وضحا الرجل ضحوا (على فعل) وضحوا (على فعول) وضحيا: برز للشمس وضحى بكسر الحاء يضحي في اللغتين معه ضحوا وضحياً: أصابته الشمس قال الله تعالى: ﴿وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحي﴾ قال: لا يؤذيك حر الشمس. وقال الفراء: لا تضحي: لا تصيبك شمس مؤذية. قال: وفي بعض التفسير: لا تضحي: لا تعرق. قال الأزهري: والأول أشبه بالصواب، وأنشد:

«رأت رجلا..... البيت» اهـ

وقال «يخصر» هو من الخصر بالتحريك، وهو البرد يجده الإنسان في أطرافه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وأنّك لا تَظْمَأُ فِيها وَلا تَضْحَى**﴾ يقول: لا يصيبك فيها عطش ولا حرّ.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وأنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيها وَلا تَضحَى**﴾ يقول: لا يصيبك حرّ ولا أذى.

حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي، قال: ثنا عبد الرحمن بن شريك، قال: ثني أبي، عن خصيف عن سعيد بن جُبير ﴿**لا تَظْمَأُ فِيها وَلا تَضْحَى**﴾ قال: لا تصيبك الشمس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَلا تَضحَى**﴾ قال: لا تصيبك الشمس.

وقوله: ﴿**فَوَسْوَسَ إلَيْهِ الشَّيْطَانُ**﴾ يقول: فألقى إلى آدم الشَّيطان وحدّثه ﴿**فَقالَ يا آدَمُ هَلْ أدُلُّكَ على شَجَرَةِ الخُلْدِ**﴾ يقول: قال له: هل أدلك على شجرة إن أكلت منها خلدت فلم تمت، وملكت ملكاً لا ينقضيَ فيبلى، كما:

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**قال يا أدَمُ هَلْ أدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى**﴾ إن أكلت منها كنت ملكاً مثل الله أوْ تَكُونا منَ الخالِدين فلا تموتان أبداً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فأكل آدم وحوّاء من الشجرة التي نُهيا عن الأكل منها، وأطاعا أمر إبليس، وخالفا أمر ربهما ﴿**فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما**﴾ يقول: فانكشفت لهما عوراتهما، وكانت مستورة عن أعينهما، كما:

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: إنما أراد، يعني إبليس بقوله: ﴿**هَلْ أدُلُّكَ عَلى شَجَرةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى**﴾ ليبدي لهما ما توارى عنهما من سوآتهما، بهتك لباسهما، وكان قد علم أن لهما سَوْءَة لما كان يقرأ من كتب الملائكة، ولم يكن آدم يعلم ذلك، وكان لباسهما الظفر، فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدمت حوّاء، فأكلت ثم قالت: يا آدم كل، فإني قد أكلت، فلم يضرّني، فلما أكل آدم بدت لهما سوآتهما.

وقوله: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ﴾ يقول: أقبلا يشدّان عليهما من ورق الجنة، كما:

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ﴾ يقول: أقبلا يغطيان عليهما بورق التين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ﴾ يقول: يوصلان عليهما من ورق الجنة.

وقوله: ﴿وَعَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ يقول: وخالف أمر ربه، فتعدّى إلى ما لم يكن له أن يتعدّى إليه، من الأكل من الشجرة التي نهاه عن الأكل منها. وقوله: ﴿ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ يقول: اصطفاه ربه من بعد معصيته إياه فرزقه الرجوع إلى ما يرضى عنه، والعمل بطاعته، وذلك هو كانت توبته التي تابها عليه. وقوله: ﴿وَهَدَى﴾ يقول: وهداه للتوبة، فوفّقه لها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال الله تعالى لآدم وحوّاء: ﴿اهْبِطَا منها جَمِيعاً﴾ إلى الأرض ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ﴾ يقول: أنتما عدوّ إبليس وذرّيته، وإبليس عدوّكما وعدوّ ذرّيتكما.

وقوله: ﴿فإمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً﴾ يقول: فإن يأتكم يا آدم وحوّاء وإبليس مني هدى: يقول: بيان لسبيلي، وما أختاره لخلقي من دين ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ يقول: فمن اتبع بياني ذلك وعمل به، ولم يزغ عنه ﴿فَلا يَضِلُّ﴾ يقول: فلا يزول عن محجة الحق، ولكنه يرشد في الدنيا ويهتدي ﴿وَلا يَشْقَى﴾ في الآخرة بعقاب الله، لأن الله يدخله الجنة، وينجيه من عذابه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحسين بن يزيد الطحان، قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن عمرو بن قيس الملائي، عن عكرمة عن ابن عباس، قال: تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه أن لا يضلّ في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هَدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾.

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي، قال: ثنا حكام الرازيّ، عن أيوب بن موسى، عن مرو، ثنا الملائي عن ابن عباس أنه قال: إن الله قد ضمن... فذكر نحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أيوب بن يسار أبي عبد الرحمن، عن عمرو بن قيس، عن رجل عن ابن عباس، بنحوه.

حدثنا عليّ بن سهل الرملي، قال: ثنا أحمد بن محمد النسائي، عن أبي سلمة، عن عطاء، عن سعيد بن جُبير، قال: قال ابن عباس: من قرأ القرآن واتبع ما فيه عصمه الله من الضلالة، ووقاه، أظنه أنه قال: من هول يوم القيامة، وذلك أنه قال: ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى**﴾ في الآخرة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى (١٢٦)﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْري**﴾ الذي أذكره به فتولى عنه ولم يقبله ولم يستجب له، ولم يتعظ به فينزجر عما هو عليه مقيم من خلافه أمر ربه ﴿**فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً**﴾ يقول: فإن له معيشة ضيقة. والضنك من المنازل والأماكن والمعايش: الشديد يقال: هذا منزل ضنك: إذا كان ضيقاً، وعيش ضنك: الذكر والأنثى والواحد والاثنان والجمع بلفظ واحد ومنه قول عنترة:

وإنْ نَزَلُوا بضَنْكٍ أنْزِلِ[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً**﴾ يقول: الشقاء.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث،

---

(١) هذا جزء من عجز بيت لعنترة بن عمرو بن شداد العبسي **«مختار الشعر الجاهلي»** طبعة الحلبي شرح مصطفى السقا (ص ـ ٣٨٨) والبيت بتمامه هو:

إنْ يُلْحَقُوا أكْرُرْ وإنْ يُسْتَلْحَمُوا   أشْدُدْ وإنْ يُلْفَوْا بِضَنْكٍ أنْزِلِ

وفي **«اللسان»**: ضنك: الظنك الضيق من كل شيء، الذكر والأنثى فيه سواء. ومعيشة ضنك: ضيقة. وفي التنزيل «فإن له معيشته ضنكاً» أي غير حلال.

قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿ضَنكاً﴾ قال: ضيقة.

حدثنا الحسن، قال: ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قَتادة، في قوله: ﴿فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾ قال: الضنك: الضيق.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزّة، عن مجاهد، في قوله: ﴿فإنَّ لَهُ مَعَيشَةً ضَنكاً﴾ يقول: ضيقة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد مثله.

واختلف أهل التأويل في الموضع الذي جعل الله لهؤلاء المعرضين عن ذكره العيشة الضنك، والحال التي جعلهم فيها، فقال بعضهم: جعل ذلك لهم في الآخرة في جهنم، وذلك أنهم جعل طعامهم فيها الضريع والزقوم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو بن عليّ بن مقدم، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن عوفُ، عن الحسن، في قوله: ﴿فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾ قال: في جهنم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَنْ أعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿ولَمْ يُؤمِنْ بآياتِ رَبِّهِ﴾ قال: هؤلاء أهل الكفر. قال: ومعيشة ضنكاً في النار شوك من نار وزقوم وغسلين، والضريع: شوك من نار، وليس في القبر ولا في الدنيا معيشة، ما المعيشة والحياة إلا في الآخرة، وقرأ قول الله عزّ وجلّ: ﴿يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي﴾ قال: لمعيشتي قال: والغسلين والزقوم: شيء لا يعرفه أهل الدنيا.

حدثنا الحسن، قال: ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة ﴿فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾ قال: في النار.

وقال آخرون: بل عنى بذلك: فإن له معيشة في الدنيا حراماً. قال: ووصف الله جلّ وعزّ معيشتهم بالضنك، لأن الحرام وإن اتسع فهو ضنك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن يزيد، عن عكرِمة في قوله: ﴿مَعِيشَةً ضَنكاً﴾ قال: هي المعيشة التي أوسع الله عليه من الحرام.

حدثني داود بن سليمان بن يزيد المكتب من أهل البصرة، قال: ثنا عمرو بن جرير البجلي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم في قول الله: ﴿**مَعِيشَةً ضَنْكاً**﴾ قال: رزقاً في معصيته.

حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا يعلى بن عبيد، قال: ثنا أبو بسطام، عن الضحاك ﴿**فإنَّ لَهُ مَعيشَةً ضَنْكاً**﴾ قال: الكسب الخبيث.

حدثني محمد بن إسماعيل الصراري، قال: ثنا محمد بن سوار، قال: ثنا أبو اليقظان عمار بن محمد، عن هارون بن محمد التيمي، عن الضحاك، في قوله: ﴿**فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً**﴾ قال: العمل الخبيث، والرزق السيء.

وقال آخرون ممن قال عنى أن لهؤلاء القوم المعيشة الضنك في الدنيا، إنما قيل لها ضنك وإن كانت واسعة، لأنهم ينفقون ما ينفقون من أموالهم على تكذيب منهم بالخلف من الله، وإياس من فضل الله، وسوء ظنّ منهم بربهم، فتشتدّ لذلك عليهم معيشتهم وتضيق

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَمَنْ أعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً**﴾ يقول: كلّ مال أعطيته عبداً من عبادي قلّ أو كثر، لا يتقيني فيه، لا خير فيه، وهو الضنك في المعيشة. ويقال: إن قوماً ضُلاَّلاً أعرضوا عن الحق وكانوا أولي سعة من الدنيا مكثرين، فكانت معيشتهم ضنكاً، وذلك أنهم كانوا يرون أن الله عزّ وجلّ ليس بمخلف لهم معايشهم من سوء ظنهم بالله، والتكذيب به، فإذا كان العبد يكذّب بالله، ويسيء الظنّ به، اشتدّت عليه معيشته، فذلك الضنك.

وقال آخرون: بل عني بذلك: أن ذلك لهم في البرزخ، وهو عذاب القبر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يزيد بن مخلد الواسطي، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن أبي حازم عن النعمان بن أبي عياش، عن أبي سعيد الخدريّ، قال في قول الله: ﴿**مَعِيشَةً ضَنْكاً**﴾ قال: عذاب القبر.

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا بِشر بن المفضل، قال: ثنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن أبي حازم، عن النعمان بن أبي عياش، عن أبي سعيد الخُدريّ، قال: إن المعيشة الضنك، التي قال الله: عذاب القبر.

حدثني حوثرة بن محمد المنقري، قال: ثنا سفيان، عن أبي حازم، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد الخُدريّ ﴿فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ قال: يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه.

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا أبي وشعيب بن الليث، عن الليث، قال: ثنا خالد بن زيد، عن ابن أبي هلال، عن أبي حازم، عن أبي سعيد، أنه كان يقول: المعيشة الضنك: عذاب القبر، إنه يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنّيناً تنهشه وتخدش لحمه حتى يُبعث. وكان يقال: لو أن تنّيناً منها نفخ الأرض لم تنبت زرعاً.

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: يطبق على الكافر قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، وهي المعيشة الضنك التي قال الله: ﴿مَعِيشَةً ضَنْكاً ونَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيامَةِ أعْمَى﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح والسديّ في قوله: ﴿مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ قال: عذاب القبر.

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال: ثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا سفيان الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله: ﴿فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ قال: عذاب القبر.

حدثني عبد الرحمن بن الأسود، قال: ثنا محمد بن ربيعة، قال: ثنا أبو عُمَيس، عن عبد الله بن مخارق عن أبيه، عن عبد الله، في قوله: ﴿مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ قال: عذاب القبر.

حدثني عبد الرحيم البرقيّ، قال: ثنا ابن أبي مَريم، قال: ثنا محمد بن جعفر وابن أبي حازم، قالا: ثنا أبو حازم، عن النعمان بن أبي عياش، عن أبي سعيد الخدريّ ﴿مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ قال: عذاب القبر.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هو عذاب القبر الذي:

حدثنا به أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثنا عمي عبد الله بن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن درّاج، عن ابن حُجَيرة عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أتَدْرُونَ فِيمَ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿فإنَّ لَهُ مَعيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القيامَةِ أعْمَى﴾ أتَدْرُونَ ما المَعِيشَةُ الضَّنْكُ؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**عَذَابُ الكافرِ في قَبْرِهِ، والَّذِي نَفْسي بيَدِهِ، إنَّه لَيُسَلَّطُ عَلَيْهِ تَسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّيناً، أتَدْرُونَ ما التِّنِّينُ: تسْعَةٌ وَتسْعُونَ حَيَّة، لكلّ حَيَّة سَبْعَةُ رُؤُوسٍ، يَنْفُخُونَ في جِسْمِهِ وَيَلْسَعُونَهُ ويَخْدِشُونَهُ إلى يَوْمِ القِيامَةِ**».

وإن الله تبارك وتعالى أتبع ذلك بقوله: ﴿**وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وأَبْقَى**﴾ فكان معلوماً بذلك أن المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم قبل عذاب الآخرة، لأن ذلك لو كان في الآخرة لم يكن لقوله ﴿**وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وأَبْقَى**﴾ معنى مفهوم، لأن ذلك إن لم يكن تقدّمه عذاب لهم قبل الآخرة، حتى يكون الذي في الآخرة أشدّ منه، بطل معنى قوله ﴿**وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وأَبْقَى**﴾. فإذ كان ذلك كذلك، فلا تخلو تلك المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم من أن تكون لهم في حياتهم الدنيا، أو في قبورهم قبل البعث، إذ كان لأوجه لأن تكون في الآخرة لما قد بيّنا، فإن كانت لهم في حياتهم الدنيا، فقد يجب أن يكون كلّ من أعرض عن ذكر الله من الكفار، فإن معيشته فيها ضنك، وفي وجودنا كثيراً منهم أوسع معيشة من كثير من المقبلين على ذكر الله تبارك وتعالى، القائلين له المؤمنين في ذلك، ما يدلّ على أن ذلك ليس كذلك، وإذ خلا القول في ذلك من هذين الوجهين صحّ الوجه الثالث، وهو أن ذلك في البرزخ.

وقوله: ﴿**ونَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيامَةِ أعْمَى**﴾ اختلف أهل التأويل في صفة العمى الذي ذكر الله في هذه الآية، أنه يبعث هؤلاء الكفار يوم القيامة به، فقال بعضهم: ذلك عمى عن الحجة، لا عمى عن البصر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال: ثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا سفيان الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله: ﴿**ونَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيامَةِ أعْمَى**﴾ قال: ليس له حجة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**ونَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيامَةِ أعْمَى**﴾ قال: عن الحجة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد مثله، وقيل: يحشر أعمى البصر.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك ما قال الله تعالى ذكره، وهو أنه يحشر أعمى عن الحجة ورؤية الشيء كما أخبر جلّ ثناؤه، فعمّ ولم يخصص.

وقوله: ﴿**قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً**﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم في ذلك، ما:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرزاق، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**قالَ رَبِّ لِمَ**

حَشَرْتَنِي أعْمَى﴾ لا حجة لي.

وقوله: ﴿وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: وقد كنت بصيراً بحجتي.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد ﴿وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً﴾ قال: عالماً بحجتي.

وقال آخرون: بل معناه: وقد كنت ذا بصر أبصر به الأشياء.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً﴾ في الدنيا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً﴾ قال: كان بعيد البصر، قصير النظر، أعمى عن الحقّ.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا، أن الله عزّ شأنه وجل ثناؤه، عمّ بالخبر عنه بوصفه نفسه بالبصر، ولم يخصص منه معنى دون معنى، فذلك على ما عمه فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الآية، قال: ربّ لم حشرتني أعمى عن حجتي ورؤية الأشياء، وقد كنت في الدنيا ذا بصر بذلك كله.

فإن قال قائل: وكيف قال هذا لربه: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِي أعْمَى﴾ مع معاينته عظيم سلطانه، أجهل في ذلك الموقف أن يكون لله أن يفعل به ما شاء، أم ما وجه ذلك؟ قيل: إن ذلك منه مسألة لربه يعرّفه الجرم الذي استحقّ به ذلك، إذ كان قد جهله، وظنّ أن لا جرم له، استحق ذلك به منه، فقال: ربّ لأيّ ذنب ولأيّ جرم حشرتني أعمى، وقد كنت من قبل في الدنيا بصيراً وأنت لا تعاقب أحداً إلا بدون ما يستحق منك من العقاب.

وقوله: ﴿قالَ كَذَلِكَ أتَتْكَ آياتنا فَنَسِيتَها﴾ يقول تعالى ذكره، قال الله حينئذٍ للقائل له: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِي أعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً﴾: فعلت ذلك بك، فحشرتك أعمى كما أتتك آياتي، وهي حججه وأدلته وبيانه الذي بيَّنه في كتابه، فنسيتها: يقول: فتركتها وأعرضت عنها، ولم تؤمن بها، ولم تعمل. وعنى بقوله ﴿كَذَلِكَ أتَتْك﴾ هكذا أتتكَ. وقوله: ﴿وكذلكَ اليَوْمَ تُنْسَى﴾ يقول: فكما نسيت آياتنا في الدنيا، فتركتها وأعرضت عنها، فكذلك اليوم ننساك، فنتركك في النار.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿وكَذَلكَ اليَوْمَ تُنْسَى﴾ فقال بعضهم بمثل الذي قلنا في ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال، ثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا سفيان الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله: ﴿وكَذَلكَ اليَوْمَ تُنْسَى﴾ قال: في النار.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿كَذَلكَ أتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها﴾ قال: فتركتها ﴿وكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنْسَى﴾ وكذلك اليوم تترك في النار.

ورُوي عن قتادة في ذلك ما.

حدثني بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿قالَ كَذَلكَ أتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وكَذَلكَ اليَوْمَ تُنْسَى﴾ قال: نسي من الخير، ولم ينس من الشرّ.

وهذا القول الذي قاله قَتادة قريب المعنى مما قاله أبو صالح ومجاهد، لأن تركه إياهم في النار أعظم الشرّ لهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وهكذا نجزي: أي نثيب من أسرف فعصى ربه، ولم يؤمن برسله وكتبه، فنجعل له معيشة ضنكاً في البرزخ كما قد بيّنا قبل ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أشَدُّ وأبْقَى﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولعذاب في الآخرة أشدّ لهم مما وعدتهم في القبر من المعيشة الضنك ﴿وأبقى﴾ يقول: وأدوم منها، لأنه إلى غير أمد ولا نهاية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أفلم يهد لقومك المشركين بالله، ومعنى يهد: يبين. يقول: أفلم يبين لهم كثرة ما أهلكنا قبلهم من الأمم التي سلكت قبلها التي يمشون في مساكنهم ودورهم، ويرون آثار عقوباتنا التي أحللناها بهم سوء مغبة ما هم عليه مقيمون من الكفر بآياتنا،

ويتعظوا بهم، ويعتبروا، وينيبوا إلى الإذعان، ويؤمنوا بالله ورسوله، خوفاً أن يصيبهم بكفرهم بالله مثل ما أصابهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَساكِنِهِمْ**﴾ لأن قريشاً كانت تتجر إلى الشأم، فتمرّ بمساكن عاد وثمود ومن أشبههم، فترى آثار وقائع الله تعالى بهم، فلذلك قال لهم: أفلم يحذّرهم ما يرون من فعلنا بهم بكفرهم بنا نزول مثله بهم، وهم على مثل فعلهم مقيمون. وكان الفرّاء يقول: لا يجوز في كم هذا الموضع أن يكون إلا نصباً بأهلكنا وكان يقول: وهو وإن لم يكن إلا نصباً، فإن جملة الكلام رفع بقوله: ﴿**يَهْدِ لَهُمْ**﴾ ويقول: ذلك مثل قول القائل: قد تبين لي أقام عمرو أم زيد في الاستفهام، وكقوله ﴿**سَواءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ**﴾ ويزعم أن فيه شيئاً يرفع سواء لا يظهر مع الاستفهام، قال: ولو قلت: سواء عليكم صمتكم ودعاؤكم تبين ذلك الرفع الذي في الجملة وليس الذي قال الفرّاء من ذلك، كما قال: لأن كم وإن كانت من حروف الاستفهام فإنها لم تجعل في هذا الموضع للاستفهام، بل هي واقعة موقع الأسماء الموصوفة. ومعنى الكلام ما قد ذكرنا قبل وهو: أفلم يبين لهم كثرة إهلاكنا قبلهم القرون التي يمشون في مساكنهم، أو أفلم تهدهم القرون الهالكة. وقد ذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «**أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ مَنْ أَهْلَكْنا**» فكم واقعة موقع من في قراءة عبد الله، هي في موضع رفع بقوله: ﴿**يَهْدِ لَهُمْ**﴾وهو أظهر وجوهه، وأصحّ معانيه، وإن كان الذي قاله وجه ومذهب على بعد.

وقوله: ﴿**إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لأُولِي النُّهَى**﴾ يقول تعالى ذكره: إن فيما يعاين هؤلاء ويرون من آثار وقائعنا بالأمم المكذّبة رسلها قبلهم، وحلول مُثْلاتنا بهم لكفرهم بالله ﴿**لآياتٍ**﴾ يقول: لدلالات وعبراً وعظات ﴿**لأُولي النُّهَى**﴾ يعني: لأهل الحجى والعقول، ومن ينهاه عقله وفهمه ودينه عن مواقعة ما يضره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**لأُولي النُّهَى**﴾ يقول: التقى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لأُولي النُّهَى**﴾ أهل الورع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ يا محمد أن كلّ من قضى له أجلاً فإنه لا يخترمه قبل بلوغه أجله ﴿وأجلٌ مسمّىً﴾ يقول: ووقت مسمى عند ربك سماه لهم في أمّ الكتاب وخطه فيه، هم بالغوه ومستوفوه ﴿لَكانَ لِزَاماً﴾ يقول: للازمهم الهلاك عاجلاً، وهو مصدر من قول القائل: لازم فلان فلاناً يلازمه ملازمة ولزاماً: إذا لم يفارقه، وقدّم قوله: ﴿لَكانَ لِزَاماً﴾ قبل قوله ﴿أَجَلٌ مُسَمّىً﴾ ومعنى الكلام: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاماً، فاصبر على ما يقولون. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزَاماً وأَجَلٌ مُسَمّىً﴾ الأجل المسمى: الدنيا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزَاماً وأَجَلٌ مُسَمّىً﴾ وهذه من مقاديم الكلام، يقول: لولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل[(١)] مسمى كان لزاما، والأجل المسمى، الساعة، لأن الله تعالى يقول ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ، والسَّاعَةُ أدْهَى وأمَرُّ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزَاماً وأَجَلٌ مُسَمّىً﴾ قال: هذا مقدّم ومؤخر، ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاماً.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿لَكانَ لِزَاماً﴾ فقال بعضهم: معناه: لكان موتاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ قال: ثني أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله:

(١) لعله يريد: لولا أن الله سبقت كلمته بتأخير عذابهم إلى أجل مسمى. ويجوز أن تكون «إلى» وضعت في موضع واو العطف سهواً من الناسخ.

﴿لَكانَ لِزَاماً﴾ يقول: موتاً.

وقال آخرون: معناه لكان قتلاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ﴿لَكانَ لِزَاماً﴾ واللزام: القتل.

وقوله: ﴿فاصْبِرْ على ما يَقُولُونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه لنبيه: فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء المكذّبون بآيات الله من قومك لك إنك ساحر، وإنك مجنون وشاعر ونحو ذلك من القول ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يقول: وصل بثنائك على ربك، وقال: بحمد ربك. والمعنى: بحمدك ربك، كما تقول: أعجبني ضرب زيد، والمعنى: ضربي زيداً. وقوله: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ وذلك صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِها﴾ وهي العصر ﴿وَمِنْ آناءِ اللَّيْلِ﴾ وهي ساعات الليل، واحدها: إنْيٌ، على تقدير حمل ومنه قول المنخَّل السعدي:

حُـلْـوٌ وَمُـرٌّ كَـعِـطْـفِ الـقِـدْحِ مُـرَّتُـهُ فِـي كُـلِّ إنْـيٍ قَـضَـاهُ الـلَّـيْـلُ يَـنْـتَـعِـلُ[1]

ويعني بقوله: ﴿وَمِنْ آناءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ صلاة العشاء الآخرة، لأنها تصلى بعد مضيّ آناء من الليل.

وقوله: ﴿وأطْرَافَ النَّهارِ﴾: يعني صلاة الظهر والمغرب وقيل: أطراف النهار، والمراد بذلك الصلاتان اللتان ذكرنا، لأن صلاة الظهر في آخر طرف النهار الأوّل، وفي أوّل طرف النهار الآخر، فهي في طرفين منه، والطرف الثالث: غروب الشمس، وعند ذلك تصلى المغرب، فلذلك قيل أطراف، وقد يحمل أن يقال: أريد به طرفا النهار. وقيل: أطراف، كما قيل صَغَتْ قُلُوبُكما فجمع، والمراد: قلبان، فيكون ذلك أوّل طرف النهار الآخر، وآخر طرفه الأول[2].

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عاصم، عن ابن أبي

---

(١) في «اللسان»: أني لأني: واحد آناء الليل، وهي ساعاته، وفي التنزيل العزيز: «ومن آناء الليل». قال أهل اللغة: منهم الزجاج: آناء الليل: ساعاته، واحدها: إني وإني؛ فمن قال: إني، فهو مثل نحي وأنحاء؛ ومن قال: إني فهو مثل معي وأمعاء؛ قال الهذلي المتنخل:

الـسَّـالِـكُ الـثُّـغْـرَ مَـتَـخْـشِـيًـا مَـوَارِدَهُ بِـكُـلِّ إنْـيٍ قَـضَـاهُ الـلَّـيْـلُ يَـنْـتَـعِـلُ

قال الأزهري: كذا رواه ابن الأنباري، وأنشد الجوهري: «حلو ومر... البيت»، ونسبه أيضاً المتنخل؛ فإما أن يكون هو البيت يعنيه، أو آخر من قصيدة أخرى.

(٢) في الأصل: الآخر؟ وهو سهو من الكاتب، كما تبين من عبارة المؤلف.

زيد، عن ابن عباس ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِها﴾ قال: الصلاة المكتوبة.

حدثنا تميم بن المنتصر، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله، قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ، فرأى القمر ليلة البدر فقال: «**إِنَّكُمْ رَاءُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلى صَلاةٍ قَبلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِها فافْعَلُوا**» ثُمَّ تَلا: ﴿وسَبِّحْ بحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِها﴾».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِها﴾ قال ابن جريج: العصر، وأطراف النهار قال: المكتوبة.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قَتادة في قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ قال: هي صَلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِها﴾ قال: صلاة العصر. ﴿وَمِنْ آناءِ اللَّيْلِ﴾ قال: صلاة المغرب والعشاء. ﴿وأطْرافَ النَهارِ﴾ قال: صلاة الظهر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿وَمِنْ آناءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وأطْرَافَ النَّهارِ﴾: قال: من آناء الليل: العَتَمة. وأطراف النهار: المغرب والصبح.

ونصب قوله ﴿وأطْرافَ النهارِ﴾ عطفاً على قوله ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾، لأن معنى ذلك: فسبح بحمد ربك آخر الليل، وأطراف النهار. وبنحو الذي قلنا في معنى ﴿آناءِ اللَّيْلِ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، قال: قال ابن عباس ﴿وَمِن آناءِ اللَّيْلِ﴾ قال: المصلى من الليل كله.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَية، عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن قرأ: ﴿وَمِنْ آناء اللَّيْلِ﴾ قال: من أوّله، وأوسطه، وآخره.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَمِنْ آناءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ قال: آناء الليل: جوف الليل.

وقوله: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ يقول: كي ترضى.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والعراق: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ بفتح التاء. وكان عاصم والكسائي يقرآن ذلك: «لَعَلَّكَ تُرْضَى» بضم التاء، ورُوي ذلك عن أبي عبد

الرحمن السُلَميّ، وكأنّ الذين قرأوا ذلك بالفتح، ذهبوا إلى معنى: إن الله يعطيك، حتى ترضى عطيَّته وثوابه إياك، وكذلك تأوّله أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ**﴾ قال: الثواب، ترضى بما يثيبك الله على ذلك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج ﴿**لَعَلَّكَ تُرْضَىٰ**﴾ قال: بما تُعْطَى.

وكأن الذين قرأوا ذلك بالضم، وجهوا معنى الكلام إلى لعلّ الله يرضيك من عبادتك إياه، وطاعتك له. والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، وهما قراءتان مستفيضتان في قَرَأة الأمصار، متفقتا المعنى، غير مختلفتيه وذلك أن الله تعالى ذكره إذا أرضاه، فلا شكّ أنه يرضى، وأنه إذا رضي فقد أرضاه الله، فكل واحدة منهما تدلّ على معنى الأخرى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولا تنظر إلى ما جعلنا لضُرباء هؤلاء المعرضين عن آيات ربهم وأشكالهم، مُتْعة في حياتهم الدنيا، يتمتعون بها، من زهرة عاجل الدنيا ونضرتها ﴿**لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ**﴾ يقول: لنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك، ونبتليهم، فإن ذلك فانٍ زائل، وغُرور وخُدَع تضمحلّ ﴿**وَرِزْقُ رَبِّكَ**﴾ الذي وعدك أن يرزقكه في الآخرة حتى ترضى، وهو ثوابه إياه ﴿**خَيْرٌ**﴾ لك مما متعناهم به من زهرة الحياة الدنيا. ﴿**وأَبْقَى**﴾ يقول: وأدوم، لأنه لا انقطاع له ولا نفاد. وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ، من أجل أن رسول الله ﷺ بعث إلى يهوديّ يستسلف منه طعاماً، فأبى أن يُسْلفه إلاّ برهن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن موسى بن عبيدة، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي رافع، قال: أرسلني رسول الله ﷺ إلى يهودي يستسلفه، فأبى أن يعطيه إلاّ برهن، فحزن رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿**وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتَّعْنا بِهِ أزْوَاجاً مِنهُمْ زَهْرَةَ الحَياةِ الدُّنْيا**﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا محمد بن كثير، عن عبد الله بن واقد، عن

يعقوب بن يزيد، عن أبي رافع، قال: نزل رسول الله ﷺ ضيف، فأرسلني إلى يهوديّ بالمدينة يستسلفه، فأتيته، فقال: لا أسلفه إلاّ برهن، فأخبرته بذلك، فقال: «**إنّي لأمِينٌ فِي أهْلِ السَّماءِ وفِي أهْلِ الأرْضِ، فاحْمِلْ دِرْعِي إلَيْهِ**» فنزلت: ﴿**وَلَقَدْ آتَيناكَ سَبْعاً مِنَ المَثانِي والقُرآنَ العَظِيمَ**﴾.

وقوله: ﴿**وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتَّعْنا بِهِ أزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الحَياةِ الدُّنْيا**﴾ إلى قوله: ﴿**وَالعاقِبَةُ للتَّقْوَى**﴾.

ويعني بقوله: ﴿**أزْوَاجاً مِنْهُمْ**﴾ رجالاً منهم أشكالاً، وبزهرة الحياة الدنيا: زينة الحياة الدنيا. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**زَهْرَةَ الحَياةِ الدُّنْيا**﴾: أي زينة الحياة الدنيا.

ونصب زهرة الحياة الدنيا على الخروج من الهاء التي في قوله به من ﴿**مَتَّعْنا بِهِ**﴾، كما يقال: مررت به الشريف الكريم، فنصب الشريف الكريم على فعل مررت، وكذلك قوله: ﴿**إلى ما مَتَّعْنا بِهِ أزْوَاجاً مِنْهُم زَهْرَةَ الحَياةِ الدُّنْيا**﴾ تنصب على الفعل بمعنى: متعناهم به زهرة الحياة الدنيا وزينة لهم فيها. وذكر الفراء أن بعض بني فقعس أنشده:

أبَعْدَ الَّذِي بالسَّفْحِ سَفْحِ كُوَاكِبٍ ... رَهِينَةَ رَمْسٍ مِنْ تُرابٍ وَجَنْدَلِ(١)

فنصب رهينة على الفعل من قوله: «أبعد الذي بالسفح»، وهذا لا شكّ أنه أضعف في

---

(١) البيت من شواهد الفراء عن بعض بني فقعس، كما قال المؤلف. وكواكب، بضم الكاف: جبل بعينه، ورهينة الرمس الذي نزل واستقر به لا يبرحه. والرمس: القبر. أو التراب والصخور يوارى بها الميت في لحده. والجندل: الصخر. والشاهد في البيت: نصب رهينة على الخروج كما قال المؤلف، كما نصبت «زهرة الحياة الدنيا». قال صاحب «**تاج العروس**»: والخروج عند أئمة النحو: هو النصب على المفعولية، وهو عبارة البصريين، لأنهم يقولون في المفعول: هو منصور على الخروج: أي خروجه عن طرفي الإسناد وعمدته، وهو كقولهم له (فضلة) ا هـ. أراد المؤلف أن رهينة منصوب على البدل من محل المجرور وهو قوله (بالسفح)، لأنه محله النصب على المفعولية. وقد بين أبو البقاء العكبري في «أعراب القرآن» وجوه نصب «زهرة الحياة الدنيا» قال (٢/ ٦٨) في نصبه أوجه: (أحدها) أن يكون منصوباً بفعل محذوف، دل عليه «متعنا» أي جعلنا لهم زهرة الحياة الدنيا. (والثاني) أن يكون بدلا من موضع (به). و (الثالث) أن يكون بدلاً من أزواج. والتقدير: ذوي زهرة؛ فحذف المضاف. ويجوز أن يكون جعل الأزواج زهرة على المبالغة. ولا يجوز أن يكون صفة، لأنه معرفة، وأزواجاً: نكرة. و (الرابع): أن يكون على الذم، أي أذم أو أعني. و (الخامس): أن يكون بدلا من (ما). اختاره بعضهم. وقال آخرون: لا يجوز؛ لأن قوله تعالى: ﴿**لنفتنهم**﴾ من صلة «متعنا»، فيلزم منه الفصل بين الصلة والموصول بالأجنبي. و (السادس): أن يكون حالاً من الهاء، أو من (ما)، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين، وجر الحياة على البدل. وممن اختاره مكي (لعله أبو الحرم مكي بن ريان الماكسيني الضرير)، وفيه نظر و (السابع): أنه تمييز لما، أو للهاء في (به)، حكى عن الفراء، وهو غلط، لأنه معرفة ا هـ.

العمل نصباً من قوله: ﴿مَتَّعْنا بِهِ أزْوَاجاً مِنْهُمْ﴾ لأن العامل في الاسم وهو رهينة، حرف خافض لا ناصب. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ قال: لنبتليهم فيه ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وأبقَى﴾ مما متَّعنا به هؤلاء من هذه الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وأْمُرْ﴾ يا محمد ﴿أهْلَكَ بالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيها﴾ يقول: واصطبر على القيام بها، وأدائها بحدودها أنت ﴿لا نَسْئَلُكَ رِزْقاً﴾ يقول: لا نسألك مالاً، بل نكلفك عملاً ببدنك، نؤتيك عليه أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ يقول: نحن نعطيك المال ونكسبكه، ولا نسألكه. وقوله: ﴿والعاقِبَةُ للتَّقْوَى﴾ يقول: والعاقبة الصالحة من عمل كلّ عامل لأهل التقوى والخشية من الله دون من لا يخاف له عقاباً، ولا يرجو له ثواباً. وبنحو الذي قلنا في قوله ﴿وأْمُرْ أهْلَكَ بالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيها﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا حفص بن غياث، عن هشام بن عروة، قال: كان عروة إذا رأى ما عند السلاطين دخل داره، فقال: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتَّعْنا بِهِ أزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الحَياةِ الدُّنيا لِنَفْتِنَهُمْ فيه وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وأبْقَى وأْمُرْ أهْلَكَ بالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيها لا نَسألُكَ رِزْقاً نحْنُ نَرْزُقُكَ والعاقِبَةُ للتَّقْوَى﴾ ثم ينادي: الصلاة الصلاة، يرحمكم الله.

حدثنا أبو كريب قال، ثنا عثام، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أنه كان إذا رأى شيئاً من الدنيا جاء إلى أهله، فقال: الصلاة ﴿وأْمُرْ أهْلَكَ بالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيها لا نَسألُكَ رِزْقاً﴾.

حدثنا العباس بن عبد العظيم، قال: ثنا جعفر بن عون، قال: أخبرنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: كان يبيت عند عمر بن الخطاب من غلمانه أنا ويرفأ، وكانت له من الليل ساعة يصليها، فإذا قلنا لا يقوم من الليل كان قياماً[١]، وكان إذا صلى من الليل ثم فرغ قرأ هذه الآية: ﴿وأْمُرْ أهْلَكَ بالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيها. . .﴾ الآية.

(١) لعله يريد: كان يقوم قياماً أي قياماً طويلاً، والضمير في كان راجع إلى «عمر» رضي الله عنه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٣٣)﴾.

يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم في الآيات قبل: هلا يأتينا محمد بآية من ربه، كما أتى قومه صالح بالناقة وعيسى بإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، يقول الله جلّ ثناؤه: أو لم يأتهم بيان ما في الكتب التي قبل هذا الكتاب من أنباء الأمم من قبلهم التي أهلكناهم لما سألوا الآيات فكفروا بها لما أتتهم كيف عجّلنا لهم العذاب، وأنزلنا بأسنا بكفرهم بها، يقول: فماذا يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم حال أولئك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**أوَ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ ما فِي الصُّحُفِ الأُولى**﴾ قال: التوارة والإنجيل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله: ﴿**أوَ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ ما في الصُحُفِ الأُولى**﴾ الكتب التي خلت من الأمم التي يمشون في مساكنهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ (١٣٤)﴾.

يقول تعالى ذكره: ولو أنا أهلكنا هؤلاء المشركين الذين يكذّبون بهذا القرآن من قبل أن ننزله عليهم، ومن قبل أن نبعث داعياً يدعوهم إلى ما فرضنا عليهم فيه بعذاب ننزله بهم بكفرهم بالله، لقالوا يوم القيامة، إذ وردوا علينا، فأردنا عقابهم: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولاً يدعونا إلى طاعتك، ﴿**فنتبع آياتك**﴾ يقول: فنتبع حجتك وأدلتك وما تنزله عليه من أمرك ونهيك من قبل أن نذلّ بتعذيبك إيانا ونخزى به، كما:

حدثني الفضل بن إسحاق، قال: ثنا أبو قتيبة سلم بن قتيبة، عن فضيل بن مرزوق، عن

عطية العوفي، عن أبي سعيد الخُدريّ، عن النبيّ ﷺ قال: «**يَحتَجُّ عَلى اللّهِ يَوْمَ القيامَةِ ثَلاثَةٌ: الهَالِكُ فِي الفَتْرَةِ، والمَغْلُوبُ عَلى عَقْلِهِ، والصَّبيُّ الصَّغيرُ، فَيَقُولُ المَغْلُوبُ عَلى عَقْلِهِ: لَمْ تَجْعَلْ لي عَقْلاً أَنْتَفِعِ بِهِ، وَيَقُولُ الهَالِكُ فِي الفتْرَةِ: لَمْ يأْتِني رَسُولٌ وَلا نَبيٌّ، وَلَوْ أتانِي لَكَ رَسُولٌ أوْ نَبيٌّ لَكُنْتُ أطْوَعَ خَلْقِكَ لَكَ. وقرأ: ﴿لَوْلا أرْسَلْتَ إلَيْنا رَسُولاً﴾ ويَقُولُ الصَّبيُّ الصَّغِيرُ: كُنْتُ صَغِيراً لا أعْقِلُ» قالَ: «فَتُرْفَعُ لَهُمْ نارٌ وَيُقالُ لَهُمْ: رِدُوها» قال: «فَيرِدُها مَنْ كانَ فِي عِلْمِ اللّهِ أنَّه سَعيدٌ، وَيَتَلَكَّأُ عَنْها مَنْ كانَ فِي عِلْمِ اللّهِ أنَّهُ شَقِيّ، فَيَقُولُ: إيَّايَ عَصَيْتُمْ، فَكَيْفَ بِرُسُلي لَوْ أتَتْكُمْ؟**».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ (١٣٥)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: كلكم أيها المشركون بالله متربص يقول: منتظر لمن يكون الفلاح، وإلى ما يؤول أمري وأمركم متوقف ينتظر دوائر الزمان، ﴿**فتربصوا**﴾ يقول: فترقبوا وانتظروا، فستعلمون من أهل الطريق المستقيم المعتدل الذي لا اعوجاج فيه إذا جاء أمر الله وقامت القيامة، أنحن أم أنتم؟ ﴿**ومن اهتدى**﴾ يقول: وستعلمون حينئذٍ من المهتدي الذي هو على سنن الطريق القاصد غير الجائر عن قصده منا ومنكم. وفي «مَن» من قوله: ﴿**فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أصحَابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ**﴾، والثانية من قوله: ﴿**وَمَنِ اهْتَدَى**﴾ وَجهان: الرفع، وترك اعمال تعلمون فيهما، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿**لنَعْلَمَ أيُّ الحِزْبَيْنِ**﴾ أحْصَى والنصب على إعمال تعلمون فيهما، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿**وَااللّهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ منَ المُصْلِحِ**﴾.

تمّ الجزء السادس عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري،

ويليه الجزء السابع عشر

وأوله: سورة الأنبياء

محتوى الجزء السادس عشر من تفسير الطبري

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٧٩	أما السفينة فكانت لمساكين	٥
٨٠	وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين	٧
٨١	فأردنا أن يبدلهما ربهما	٧
٨٢	وأما الجدار فكان لغلامين	٩
٨٣	ويسألونك عن ذي القرنين	١٢
٨٤	إنا مكّنا في الأرض	١٢
٨٥	فأتبع سببا	١٢
٨٦	حتى إذا بلغ مغرب الشمس	١٦
٨٧	قال أما من ظلم فسوف تعذّبه	١٨
٨٨	وأما من آمن وعمل صالحاً	١٨
٨٩	ثم أتبع سببا	١٩
٩٠	حتى إذا بلغ مطلع الشمس	١٩
٩١	كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ...	١٩
٩٢	ثم أَتْبع سبباً	٢١
٩٣	حتى إذا بلغ بين السدّين	٢١
٩٤	قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج	٢١
٩٥	قال ما مكني فيه ربي خيرٌ	٢٩
٩٦	آتوني زُبَر الحديد	٣٠
٩٧	فما اسطاعوا أن يظهروه	٣٠
٩٨	قال هذا رحمة من ربي	٣٤
٩٩	وتركنا بعضهم يومئذٍ يموج	٣٦
١٠٠	وعرضنا جهنميومئذٍ للكافرين	٣٦
١٠١	الذين كانت أعينهم في غطاء	٣٩
١٠٢	أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا ..	٣٩
١٠٣	قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا	٤٠
١٠٤	الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا	٤٠
١٠٥	أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ...	٤٣
١٠٦	ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا	٤٣
١٠٧	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات	٤٤
١٠٨	خالدين فيها لا يبغون عنها حولا	٤٤
١٠٩	قل لو كان البحر مداداً لكلمات ..	٤٧
١١٠	قل إنما أنا بشر مثلكم يُوحى إليّ	٤٨

تفسير سورة مريم عليها السلام

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	كهيعص	٥٠
٢	ذكر رحمة ربك عبده زكريا	٥٤
٣	إذ نادى ربه نداء خفيا	٥٤
٤	قال ربّ إني وهن العظم مني	٥٤
٥	وإني خفت الموالى من ورائي	٥٦
٦	يرثني ويرث من آل يعقوب	٥٦
٧	يا زكريا إنا نبشرك بغلام	٥٩
٨	قال رب أنّى يكون لي غلام	٦١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٩	قال كذلك قال ربك	٦٣
١٠	قال ربّ اجعل لي آية	٦٥
١١	فخرج على قومه من المحراب	٦٥
١٢	يا يحيى خذ الكتاب بقوّة	٦٩
١٣	وحَنانا من لدنًا وزكاة	٦٩
١٤	وبرّا بوالديه ولم يكن جباراً عصيا	٧٠
١٥	وسلام عليه يوم وُلد	٧٢
١٦	واذكر في الكتاب مريم	٧٢
١٧	فاتخذت من دونهم حجاجا	٧٣
١٨	قالت إني أعوذ بالرحمٰن منك	٧٢
١٩	قال إنما أنا رسول ربك	٧٢
٢٠	قالت أنّى يكون لي غلام	٧٣
٢١	قال كذلك قال ربك	٧٣
٢٢	فحملته فانتبذت به مكاناً قصيا	٧٤
٢٣	فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة	٧٤
٢٤	فناداها من تحتها ألا تحزني	٨٠
٢٥	وهزّي إليك بجذع النخلة	٨٠
٢٦	فكلي واشربي وقرّي عينا	٨٨
٢٧	فأتت به قومها تحمله	٩٠
٢٨	يا أخت هارون ما كان أبوك	٩٢
٢٩	فأشارت إليه	٩٣
٣٠	قال إني عبد الله آتاني الكتاب	٩٤
٣١	وجعلني مباركاً أينما كنت	٩٤
٣٢	وبرّا بوالدتي ولم يجعلني جباراً ...	٩٧
٣٣	والسلام عليّ يوم وُلدت	٩٧
٣٤	ذلك عيسى ابن مريم	٩٨
٣٥	ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه	١٠٠
٣٦	وإن الله ربي وربكم فاعبدوه	١٠٠
٣٧	فاختلف الأحزاب من بينهم	١٠١
٣٨	أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا	١٠٢
٣٩	وأنذرهم يوم الحسرة	١٠٣
٤٠	إنا نحن نرث الأرض	١٠٤
٤١	واذكر في الكتاب إبراهيم	١٠٥
٤٢	إذ قال لأبيه يا أبت لِمَ تعبد	١٠٥
٤٣	يا أبت إني قد جاءني من العلم ...	١٠٥
٤٤	يا أبت لا تعبد الشيطان	١٠٦
٤٥	يا أبت إني أخاف أن يمسك	١٠٦
٤٦	قال أراغب أنت عن آلهتي	١٠٦
٤٧	قال سلام عليك سأستغفر لك	١٠٨
٤٨	وأعتزلكم وما تدعون من دون الله	١٠٨
٤٩	فلما اعتزلهم وما يعبدون	١٠٩
٥٠	ووهبنا له من رحمتنا	١٠٩
٥١	واذكر في الكتاب موسى	١١٠
٥٢	وناديناه من جانب الطور الأيمن ..	١١٠
٥٣	ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون	١١٠
٥٤	واذكر في الكتاب إسماعيل	١١٢
٥٥	وكان يأمر أهله بالصلاة	١١٢
٥٦	واذكر في الكتاب إدريس	١١٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٧	ورفعناه مكاناً عليا	١١٢
٥٨	أولئك الذين أنعم الله عليهم	١١٤
٥٩	فخلف من بعدهم خلف	١١٤
٦٠	إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً	١١٨
٦١	جنات عدن التي وعد الرحمٰن	١١٨
٦٢	لا يسمعون فيها لغوا	١١٩
٦٣	تلك الجنة التي نورث من عبادنا	١٢٠
٦٤	وما نتنزّل إلا بأمر ربك	١٢٠
٦٥	ربّ السموات والأرض	١٢٣
٦٦	ويقول الإنسان أإذا ما متّ	١٢٤
٦٧	أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه	١٢٤
٦٨	فوربك لنحشرهم والشياطين	١٢٤
٦٩	ثم لننزعنّ من كلّ شيعة	١٢٥
٧٠	ثم لنحن أعلم بالذين هم	١٢٥
٧١	وإن منكم إلا واردها	١٢٦
٧٢	ثم ننجي الذين اتَّقَوْا	١٣٢
٧٣	وإذا تُتلى عليهم آياتنا	١٣٣
٧٤	وكم أهلكنا قبلهم من قرن	١٣٥
٧٥	قل من كان في الضلالة	١٣٧
٧٦	ويزيد الله الذين اهتدى هُدًى	١٣٨
٧٧	أفرأيت الذي كفر بآياتنا	١٣٩
٧٨	أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمٰن	١٣٩
٧٩	كلا سنكتب ما يقول ونمدّ له	١٤١
٨٠	ونرثه ما يقول ويأتينا فردا	١٤١
٨١	واتخذوا من دون الله آلهة	١٤٢
٨٢	كلا سيكفرون بعبادتهم	١٤٢
٨٣	ألم تر أنا أرسلنا الشياطين	١٤٤
٨٤	فلا تعجل عليهم إنما نعدّ	١٤٤
٨٥	يوم نحشر المتقين إلى الرحمٰن	١٤٥
٨٦	ونسوق المجرمين إلى جهنم وِردا	١٤٥
٨٧	لا يملكون الشفاعة	١٤٧
٨٨	وقالوا اتخذ الرحمٰن ولدا	١٤٨
٨٩	لقد جئتم شيئاً إدّا	١٤٨
٩٠	تكاد السموات يتفطّرن منه	١٤٨
٩١	أن دعوا للرحمٰن ولدا	١٥٠
٩٢	وما ينبغي للرحمٰن	١٥٠
٩٣	إن كلّ من في السموات	١٥٠
٩٤	لقد أحصاهم وعدّهم عدّا	١٥٢
٩٥	وكلهم آتيه يوم القيامة فردا	١٥٢
٩٦	إن الذين آمنوا وَعمِلُوا الصَّالِحاتِ	١٥٢
٩٧	فإنما يسَّرناه بلسانك	١٥٢
٩٨	وكم أهلكنا قبلهم من قرن	١٥٢

تفسير سورة طه

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	طه	١٥٧
٢	ما أنزلنا عليك القرآن لتسقى	١٥٧
٣	إلا تذكرة لمن يخشى	١٥٧
٤	تنزيلاً ممن خلق الأرض	١٦٠
٥	الرحمٰن على العرش استوى	١٦٠
٦	له ما في السموات وما في الأرض	١٦١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٧	وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السرّ ..	١٦١
٨	الله لا إلٰه إلا هو	١٦١
٩	وهل أتاك حديث موسى	١٦١
١٠	إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا	١٦٤
١١	فلما آتاها نودي يا موسى	١٦٦
١٢	إني أنا ربك فاخلع نعليك	١٦٦
١٣	وأنا اخترتك فاستمع لما يُوحى ...	١٧١
١٤	إنني أنا الله لا إله إلا أنا	١٧١
١٥	إن الساعة آتية أكاد أُخفيها	١٧٣
١٦	فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها	١٧٣
١٧	وما تلك بيمينك يا موسى	١٧٩
١٨	قال هي عصاي أتوكأ عليها	١٧٩
١٩	قال ألقها يا موسى	١٨٢
٢٠	فألقاها فإذا هي حية تسعى	١٨٢
٢١	قال خذها ولا تخف	١٨٢
٢٢	واضمم يدك إلى جناحك	١٨٣
٢٣	لنريك من آياتنا الكبرى	١٨٣
٢٤	اذهب إلى فرعون إنه طغى	١٨٥
٢٥	قال ربّ اشرح لي صدري	١٨٥
٢٦	ويسِّر لي أمري	١٨٥
٢٧	واحلل عقدة من لساني	١٨٥
٢٨	يفقهوا قولي	١٨٥
٢٩	واجعل لي وزيراً من أهلي	١٨٥
٣٠	هارون أخي	١٨٥
٣١	أُشْددُ به أزري	١٨٦
٣٢	وأشركه في أمري	١٨٦
٣٣	كي نسبحك كثيراً	١٨٦
٣٤	ونذكُرك كثيراً	١٨٦
٣٥	إنك كنت بنا بصيرا	١٨٧
٣٦	قال قد أوتيت سؤالك يا موسى ..	١٨٧
٣٧	ولقد مننا عليك مرّة أخرى	١٨٧
٣٨	إذ أوحينا إلى أمك ما يُوحى	١٨٧
٣٩	أن اقذفيه في التابوت	١٨٨
٤٠	إذ تمشي أختك فتقول	١٨٩
٤١	واصطنعتك لنفسي	١٩٦
٤٢	اذهب أنت وأخوك بآياتي	١٩٦
٤٣	اذهبا إلى فرعون إنه طغى	١٩٦
٤٤	فقولا له قولاً لينا	١٩٧
٤٥	قالا ربنا إننا نخاف	١٩٧
٤٦	قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى	١٩٨
٤٧	فأتياه فقولا إنا رسولا ربك	١٩٨
٤٨	إنا قد أوحي إلينا أن العذاب	١٩٩
٤٩	قال فمن ربكما يا موسى	١٩٩
٥٠	قال ربنا الذي أعطى	١٩٩
٥١	قال فما بال القرون الأولى	٢٠١
٥٢	قال علمها عند ربي في كتاب	٢٠١
٥٣	الذي جعل لكم الأرض مَهْداً	٢٠٢
٥٤	كلوا وارعوا أنعامكم	٢٠٣
٥٥	منها خلقناكم	٢٠٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٦	ولقد أريناه آياتنا كلَّها	٢٠٤
٥٧	قال أجئتنا لتخرجنا	٢٠٤
٥٨	فلنأتينك بسحر مثله	٢٠٤
٥٩	قال موعدكم يوم الزينة	٢٠٦
٦٠	فتولى فرعون فجمع كيده	٢٠٦
٦١	قال لهم موسى ويلكم	٢٠٧
٦٢	فتنازعوا أمرهم بينهم	٢٠٩
٦٣	قالوا إن هذان لساحران	٢٠٩
٦٤	فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا	٢١٤
٦٥	قالوا يا موسى إما أن تلقى	٢١٥
٦٦	قال بل ألقوا فإذا حبالهم	٢١٥
٦٧	فأوجس في نفسه خيفة	٢١٧
٦٨	قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى	٢١٧
٦٩	وألق ما في يمينك	٢١٧
٧٠	فألقى السحرة سجدا	٢١٨
٧١	قال آمنتم له قبل أن آذن لكم	٢١٨
٧٢	قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا	٢٢٠
٧٣	آنا آمنا بربنا ليغفر لنا	٢٢٠
٧٤	إنه من يأت ربه مجرما	٢٢١
٧٥	ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات	٢٢١
٧٦	جنات عدن تجري من تحتها الأنهار	٢٢٢
٧٧	ولقد أوحينا إلى موسى	٢٢٢
٧٨	فأتبعهم فرعون بجنوده	٢٢٤
٧٩	وأضلّ فرعون قومه وما هدى	٢٢٤
٨٠	يا بني إسرائيل قد أنجيناكم	٢٢٤
٨١	كلوا من طيبات ما رزقناكم	٢٢٤
٨٢	وإني لغفار لمن تاب وآمن	٢٢٥
٨٣	وما أعجلك عن قومك يا موسى	٢٢٧
٨٤	قال هم أولاء على أثري	٢٢٧
٨٥	قال فإنا قد فتنَّا قومك	٢٢٨
٨٦	فرجع موسى إلى قومه	٢٢٨
٨٧	قالوا ما أخلفنا موعدك	٢٢٩
٨٨	فأخرج لهم عجلاً جسدا له خوار	٢٢٩
٨٩	أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا	٢٣٤
٩٠	ولقد قال لهم هارون	٢٣٤
٩١	قالوا لن نبرح عليه عاكفين	٢٣٤
٩٢	قال يا هارون ما منعك	٢٣٥
٩٣	ألا تتبعن أفعصيت أمري	٢٣٥
٩٤	قال يا ابن أمّ لا تأخذ بلحيتي	٢٣٥
٩٥	قال فما خطبك يا سامري	٢٣٧
٩٦	قال بصرت بما لم يبصروا به	٢٣٧
٩٧	قال اذهب فإن لك في الحياة	٢٣٩
٩٨	إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو	٢٣٩
٩٩	كذلك نقصّ عليك من أنباء	٢٤٣
١٠٠	من أعرض عنه فإنه يحمل	٢٤٣
١٠١	خالدين فيه وساء لهم	٢٤٣
١٠٢	يوم يُنفخ في الصور ونحشر	٢٤٣
١٠٣	يتخافتون بينهم إن لبثتم	٢٤٣
١٠٤	نحن أعلم بما يقولون	٢٤٥

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠٥	ويسئلونك عن الجبال	٢٤٥
١٠٦	فيذرها قاعاً صفصفاً	٢٤٥
١٠٧	لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا	٢٤٥
١٠٨	يومئذٍ يتبعون الداعي لا عوج له ..	٢٤٨
١٠٩	يومئذٍ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن	٢٥٠
١١٠	يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم	٢٥٠
١١١	وعنت الوجوه للحيّ القيوم	٢٥٠
١١٢	ومن يعمل من الصالحات	٢٥٣
١١٣	وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً	٢٥٤
١١٤	فتعالى الله الملك الحقّ	٢٥٥
١١٥	ولقد عهدنا إلى آدم من قبل	٢٥٦
١١٦	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ...	٢٥٨
١١٧	فقلنا يا آدم إن هذا عدوّ لك	٢٥٨
١١٨	إن لك ألا تجوع فيها ولا تَعْرَى ..	٢٥٩
١١٩	وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى	٢٥٩
١٢٠	فوسوس إليه الشيطان	٢٥٩
١٢١	فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما ...	٢٦٠
١٢٢	ثم اجتباه ربه فتاب عليه	٢٦٠
١٢٣	قال اهبطا منها جميعا	٢٦١
١٢٤	ومن أعرض عن ذكري	٢٦٢
١٢٥	قال ربِّ لم حشرتني أعمى	٢٦٢
١٢٦	قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها	٢٦٢
١٢٧	وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن	٢٦٨
١٢٨	أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم	٢٦٨
١٢٩	ولولا كلمة سبقت من ربك	٢٧٠
١٣٠	فاصبر على ما يقولون	٢٧٠
١٣١	ولا تمدنّ عينيك إلى ما متّعنا به .	٢٧٣
١٣٢	وأمر أهلك بالصلاة واصطبر	٢٧٥
١٣٣	وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه	٢٧٦
١٣٤	ولو أنا أهلكناهم بعذاب	٢٧٦
١٣٥	قل كلّ متربص فتربصوا	٢٧٧